كتاب

المنازل والديار

تأليف

مجد الدولة الأمير أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني

٤٨٨ — ٥٨٤ هـ

المكتب الإسلامي للطباعة والنشر

كتاب

المنازل والديار

تأليف

مجد الدولة الأمير أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني

٤٨٨ — ٥٨٤ هـ

الجزء الأول

المكتب الاسلامي للطباعة والنشر

المكتب الاسلامي للطباعة والنشر
لصاحبه
محمد زهير الشاويش
دمشق : الحلبوني ص.ب ٨٠٠ هاتف ١١٦٣٧ برقياً : اسلامي
بيروت : ص.ب ٣٧٧١ هاتف ٢٥٠٠٦٨

الطبعة الأولى
١٣٨٥ هـ — ١٩٦٥ م

بسم الله الرّحمن الرّحيم

مُقدّمة :

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله الطيبين .

وبعد ، فهذا كتاب موضوعه طريف ، ما نعلم أحداً أفرده بالتأليف ، وهو البكاء على المنازل العافية ، والأطلال الدارسة ، حفز المؤلف إلى جمعه ، كما ذكر في مقدمته ، ما نال بلاده وأوطانه من الخراب ، وما أصابها من الزلازل التي أبادت أسرته تحت أنقاض الحصن ، وما توالى عليه بعد ذلك من نكبات مستمرة جعلته يستريح إلى جمعه .

ولما كان هذا الموضوع يتناول معاني شتى ، فقد عقد أسامة لكل معنى من هذه المعاني فصلاً خاصاً أورد فيه قليلاً من النثر ، وكثيراً مما تخيَّره من شعر الجاهليين فمن بعدهم حتى أيامه ، وخلله مقاطيع من شعره لم يرد لأكثرها ذكر في ديوانه .

ومما تجدر الاشارة إليه ، أنه لم يورد نصاً مما اختاره إلا وجاء فيه لفظ مما عنون به الفصل .

وقيمة الكتاب لاتقتصر على إيراده هذه النماذج المتخيَّرة مصنفة على معانيها فحسب ، بل إن شطراً كبيراً من قيمته يرجع إلى أنه حفظ لنا قدراً كبيراً من الشعر لانصيبه في غيره من الكتب والدواوين .

أما تاريخ تأليفه لهذا الكتاب ، فإن نكبة الزلزال تحدّدها ، فقد تم ذلك في أعقابها مباشرة ، أي خلال سنة اثنتين وخمسين وخمسمئة للهجرة ، وانتهى من جمعه في جمادى الأولى لسنة ثمان وستين وخمسمئة للهجرة ، كما هو مذكور في نهاية الأصل ، وعلى هذا يكون جمعه وتأليفه قد استغرق ست عشرة سنة مع ما كان يقوم به المؤلف من أعمال .

الأصل ومنهج العمل فيه :

أما الأصل الذي اعتمدنا عليه في إخراج هذا الكتاب ، فهو النسخة المطبوعة بالتصوير عن المخطوطة الأم التي نشرتها دار النشر للآداب الشرقية في أكاديمية العلوم للاتحاد السوفياتي ، وهي المخطوطة المصوَّرة الوحيدة التي رجعنا إليها ، إذ ليس للمخطوطة الأم أكثر من نسخة فيما نعلم ، وقد ذكر على غلافها في ذيل عنوان الكتاب ما نصه :

« وهذه النسخة بخط المصنف الجامع كما ذكره العلامة الطالوي [1] قبل هذه الورقة في ترجمة المؤلف ، وإن ذلك مذكور في آخر هذه المجلدة ، ولمرور الأيام فقدت من آخر المجلدة بعض الأوراق التي أثبت فيها أن هذا الكتاب بخط المصنف رحمه الله تعالى ، وكان كتبه لهذه النسخة في جمادى الأولى سنة ٥٦٨ » .

وقد قام العلامة الطالوي المذكور بترجمة للمؤلف أثبتها في أوائل الكتاب قبل عنوانه ، وذكر خلالها قوله : « لفق هذه الترجمة من تراجم فقير عفو ربه المتعالي الطالوي محمد أبو المعالي مالك هذه النسخة التي هي بخط مؤلفها مجد الدولة العلامة الفهامة الأمير أسامة ، علقها لنفسه وبحصن كيفا وقع الفراغ منها في جمادى الأولى سنة ثمان وستين وخمسمئة كما نص في آخرها وسمع عليه أيضاً بدمشق ، وصورة السماع آخر الكتاب مع سماعات أخر والحمد لله وحده . حرره الفقير محمد بن أحمد الطالوي ، بمنزله بدمشق عام ست بعد الألف في غرة رمضان » اﻫ .

وهذا يدل على أن النسخة قرئت على المؤلف ، وسمعها منه غير واحد ، وأن علماء الشام كانوا يتداولونها فيما بينهم .

وقد جاء فيها بعض التعليقات بخط مغاير للأصل أثبتناها مع الاشارة إليها في مكانها

---

(١) هو محمد بن أحمد الطالوي ، الأرتقي ، الدمشقي ، الحنفي ، أبو المعالي (٩٥٠ — ١٠١٤) ﻫ: أديب ، ناظم ، ناثر ، مؤرخ . توفي بدمشق ختام شهر رمضان . من آثاره : « سانحات دمى القصر في مطارحات بني العصر » جمع فيها أشعاره وترسلاته ، وتراجم بعض الأدباء ، و« الجواهر المضية في تواريخ الدولة الطالوية الأرتقية » ، و« منتقى من شعر أبي تمام » . ترجمته في « المحبي » ١٤٩/٢ و « هدية العارفين » ٢٦٦/٣ و « إيضاح المكنون » ١/٢ وفهرس مخطوطات الظاهرية ، وفهرست الخديوية ٢٦١/٤ .

عند التحقيق ، وهي لاتعدو تصويب لفظة ، أو تعيين اسم قائل لم يعينـه المؤلف ، أو تفسير كلمة لغوية . وهذا مع ما سبق يجعل لها مكانة مرموقة من الوجهة العلمية والتاريخية .

وخط النسخة لايخلو من صعوبة منشؤها طبيعة الخط ذاته ، وإهمال الحروف المعجمة من النقط غالباً ، جرياً على سنَّة الأقدمين في الكتابة . وقـد أعان تخريج النصوص على تذليل جانب من تلك الصعوبة وتيسيرها .

أما عملنا في الكتاب ، فقد عمدنا إلى نسخ الأصل المخطوط ، ومقابلة المنسوخ عليـه ، واستيفاء ضبطه ، ثم تخريج ماورد فيـه من الحديث والشعر فيما أمكننا الوقوف عليـه من أمهات المصادر الأدبية والحديثية ، وإثبات اختلاف الرواية [1] ، وشرح غريب النصوص ، والاشارة إلى مانقلناه بالنص عن أئمة الأدب واللغة ، وعزو ما أورده المؤلف مغفل النسبة من الشعر إلى قائله ماأمكن ، والتعريف ببعض الشعراء وخاصة المغمورين منهم .

والله يعلم مدى الجهد الذي كابدناه في سبيل إخراج الكتاب على صورته هذه .

هذا وقد تولى تحقيق الكتاب وتخريج نصوصه والتعليق عليه ، والاشراف على تصحيحه الأستاذ شعيب الأرنؤوط بمعاونة قسم التحقيق والتصحيح في المكتب الاسلامي .

والله سبحانه نسأل أن يغفر زلاتنا ويعفو عن تقصيرنا ، ويلهمنـا السداد في القول والعمل ويجزي من أسهم من الفضلاء بقسط محمود في تذليل عقبات التحقيق ، إنه ولي التوفيق .

غرة المحرم : ١٣٨٥ هـ　　　　　　المكتب الاسلامي

---

(١) لايفوتنا بهذه المناسبة أن نقول : إن رواية المؤلف لكثير من النصوص أعلى وأجود من الروايات المعروفة في غيره من المصادر ، وإن كان يرد فيه أحياناً روايات ضعيفة كنا ندعها كما هي باعتبار أن أصل الكتاب بخط المؤلف ، ونشير في الحاشية إلى رواية المصادر الأخرى .

ترجمة المؤلف *

نسبه :

هو أسامة بن مرشد بن علي بن مقلّد بن نصر بن منقذ بن محمد بن منقذ بن نصر بن هاشم بن سوار بن زياد بن رغيب بن مكحول بن عمرو بن الحارث بن عامر بن مالك بن أبي مالك بن عوف بن كنانة بن عوف بن عُذرَةَ بن زيد اللات بن رُفيدَة بن ثور بن كلب بن وَبَرة بن تغلب بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حِمير بن سبأ بن يشجُب ابن يعرُب بن قحطان .

قال ياقوت : هكذا ذَكر هو نسبه ، وفيه اختلاف يسير عند ابن الكلبي .

كناه ولقبه :

كنيته : أبو المظفر ، ونقل ياقوت كنية أخرى له ، وهي : أبو أسامة . وقال العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله : وقد وجدت له كنية ثالثة في عنوان كتابه « البديع في نقد الشعر » الموجود بمكتبة بلدية الاسكندرية ، وهي : أبو الفوارس . والكنية الأولى أشهر ، ولم أجد ما يؤيد الأخريين . ويلقب بمؤيد الدولة مجد الدين .

مولده ووفاته :

قال العماد الاصفهاني : وكنت أتمنى أبداً لقياه ، وأشيم على البعد حياه ، حتى لقيته في صفر سنة إحدى وسبعين بدمشق ، وسألته عن مولده ، فقال : سنة ثمان وثمانين وأربعمئة ، يوم الأحد السابع والعشرين من جمادى الآخرة .

(*) مصادر الترجمة : « وفيات الاعيان » ١/١٧٥ ، « معجم الأدباء » ٥/١٨٨ ، « خريدة القصر وجريدة العصر » قسم شعراء الشام ١/٤٩٨ ، «تهذيب ابن عساكر» ٢/٤٠٠ ، « البداية والنهاية » ١٢/٣٣١ ، « الدارس في تاريخ المدارس » ١/٣٨٤ ، « إعلام النبلاء » ٤/٢٧٦ ، واستعنا أيضاً في ترجمته بما كتبه عن نفسه في « الاعتبار » وبما كتبه الاستاذ أحمد محمد شاكر رحمه الله في «لباب الآداب» والاستاذ أحمد أمين في «فيض الخاطر» ٤/١١٣ .

وترجم له ابن كثير في سنة أربع وثمانين وخمسمئة ، وقال : بلغ من العمر ستاً وتسعين سنة ، توفي في هذه السنة ليلة الثلاثاء الثالث والعشرين من رمضان ودفن شرقي جبل قاسيون .

أسرته :

بنو منقذ أسرة مجيدة نشأ فيها رجال كبار جلُّهم فارس شجاع ، وشاعر أديب ، وكانوا ملوكاً بالقرب من قلعة شَيْزَر عند جسر بني منقذ المنسوب إليهم ، وكانوا يترددون إلى حماة وحلب وتلك النواحي ، ولهم بها الدور النفيسة ، والأملاك المثمنة ، وذلك كله قبل أن يملكوا قلعة شيزر ، وكان ملوك الشام يكرمونهم ، ويجلُّون أقدارهم ، وشعراء عصرهم يقصدونهم ويمدحونهم .

وكان حصن شيزر لآل منقذ الكنانيين يتوارثونه من أيام صالح بن مرداس الذي ملك حلب سنة (٤١٧) وقتل سنة (٤١٩) ، ويظهر أنه خرج من أيديهم بعد ذلك إلى الروم ، واسترده منهم سديد الملك أبو الحسن علي بن مقلّد جد أسامة في يوم السبت (٢٧) رجب سنة (٤٧٤) بالأمان بمال بذله للأُسقفِ الذي كان فيه . وبقي الحصن في أيديهم حتى خرب بالزلازل في سنة (٥٥٢) ، وقتل كل مَن فيه مِن بني منقذ تحت أنقاضه .

ورأس هذه الأسرة وزعيمها : أبو المتوّج مقلّد بن نصر بن منقذ الملقب «مخلص الدولة» . قال ابن خلكان : كان رجلا نبيل القدر ، سائر الذِكر ، رزق السعادة في بنيه وحفدته . مات بحلب في ذي الحجة سنة (٤٥٠) وحمل إلى كفر طاب . وكان الشعراء يقصدونه ويمدحونه ، ورثاه بعضهم بقصائد نفيسة ، منهم أبو محمد بن سنان الخفاجي مؤلف « سر الفصاحة »

ثم ابنه : ابو الحسن علي بن مقلّد الملقب « سديد الملك » ، وكان أديباً شاعراً ، وشجاعاً

مقداماً، قوي النفس كريماً، مات سنة (٤٧٥)، ومدحه جماعة من الشعراء كابن الخياط وابن سنان.

ثم ابنه أبو سلامة مرشد بن علي – والد المؤلف – الملقب مجد الدين، ولد سنة (٤٦٠) ومات سنة (٥٣١)، وكان فارساً شجاعاً، ثابت الجنان عند البأس، لا يرتاع، صالحاً، دائباً على مرضاة ربه، ليس له شغل سوى الحرب وجهاد الافرنج والاكثار من الصيام والمواظبة على تلاوة القرآن ونسخه، يحكى عنه أنه نسخ القرآن أكثر من أربعين مرة، وكان مغرماً بالصيد لهجاً به، له فيه ترتيب لانظير له فيما حكى ابنه عنه، وحضر وقائع كثيرة، وفي بدنه جراح هائلة، ومات على فراشه.

وكانت إمارة الحصن لأخيه الأكبر نصر بن علي، فمات سنة «٤٩١» عن غير عقب، ولما حضرته الوفاة عهد بالامارة إلى مرشد هذا، فأبى زهداً فيها، وقال: والله لا وليتها، ولأخرُجَنَّ من الدنيا كما دخلتها، ثم ولاها أخاه أبا العساكر سلطان بن علي، وكان أصغر منه.

وسلطان هذا لم يرزق أولاداً في أول أمره، فاصطفى لنفسه ابن أخيه – مؤلف الكتاب – وكان يوليه عنايته ويعهد إليه بكثير من المهام، ثم رزق أولاداً في آخر أمره، فأظهر التجني على أخيه وأولاد أخيه، وكان في الأمر بعض الستر في حياة مرشد، وأما بعد وفاته، فقد صارح سلطانُ أولادَ أخيه العداء، وأخرجهم من الحصن كرهاً في العام التالي سنة (٥٣٢) وكان هذا من فضل الله عليهم، فقد نجَوا من الموت تحت أنقاض الحصن في سنة (٥٥٢).

نشأته وأخباره:

كانت قلعة شيزر مطمح المحاربين، وما أكثرهم، فالعرب من بني كلاب في حلب يريدون الاستيلاء عليها، والاسماعيلية يودُّون أن يتخذوها مركزاً لهم ولدعايتهم، والروم يطمعون في استردادها، والصليبيون يرون أنها باب الشام يريدون أن يعروا

منها إليه ، كل ذلك والقلعة بحصونها وخنادقها ، وفيها بنو منقذ بقلوبهم وشجاعتهم وفنونهم الحربية ، استطاعت أن تصدّ كل مهاجم وتخيّب كل آمل .

وكان لابد للقلعة وحولها كلُّ هؤلاء الأعداء أن يكون برنامج أهلها كله حربياً ، وسكانها كلهم جنوداً ، فالطفل جندي صغير ، والشيخ جندي كبير ، والبيت مدرسة حربية ، والأم إحدى المعلمات ، والزوجة محرِّضة الزوج ، والفتاة تخطب الشجاع ، والحياة رخيصة ، يخرج الرجل من بيته وأغلب الظن ألا يعود ، ويسير السائر في الطريق وفي أغلب الأحيان يخرج عليه صليبيٌّ يقاتله أو كلابيٌّ يباغته . وفي ضواحي الحصن كانت أجمات مليئة بالأسود ما أشد ما تفترس وما أكثر ما تنهش ، وفي كل لحظة خبر بقتيل ، ونبأ بغزو ، وإنذار بغارة ، وغارة بلا إنذار ، وحديث القوم في سمرهم رواية أعمال الأبطال : كيف قتل رجل من الحصن عشرة ، وكيف تغلّب رجل على أسدين ، وكيف استطاع فلان الصبي أن ينازل صليبيين ويغلبهما ويقتلهما ويأخذ سلبهما ! . . .

وكان من برنامج الحصن درس مادة هامة هي الأدب ، ولكن كانوا يدرِّسونه على نمط غريب أيضاً ، كانوا يقولون لأبنائهم : إن جدكم ربيعة بن مكدم كان بطلاً كبيراً ، وكان شاعراً كبيراً ، ثم يروون أحداثه وشعره ، ويُلزمونهم حفظه ، ثم يذكرون لهم مَن اشتهر بالفتك في الجاهلية ، كثابت بن جابر ، والبراض ، وتأبط شراً ، ومَن اشتهر به في الاسلام ، كمالك بن الريب ، وعبد الله بن سَبْرَة ، وعبد الله بن حازم ، ويروون لهم فعالهم ، ويحفظونهم أقوالهم ، ويعمدون إلى أقوى الشعر وأبعثه على القتال ، فيلزمونهم حفظه ، كقول عامر بن الطفيل :

إنيِّ وإنْ كُنتُ ابنَ سيّدِ عامرٍ ... وفارِسها المندوبَ في كُلِّ موْكِبِ

فما سوّدتني عامرٌ عن قرابةٍ أبى الله أنْ أسمو بأمٍ ولا أب

ولكنّني أحمي حِماهـا وأتّقي أذاها وأرْمي مَنْ رماها بمَنْكِبِ

وقول خالد بن الوليد رضي الله عنه : « ما ليلة أقرّ لعيني من ليلة تُزفّ إليّ فيها عروس إلا ليلة أغدو فيها لقتال عدو » .

في هذا الحصن العجيب ، وهذا الوسط الغريب ، ولد بطلنا فارس كنانة ، أسامة ابن منقذ حفيدُ فاتح الحصن سديدِ الملك أبي الحسن .

ونشأ أسامة في كنف أبويه وعمه وجده ، وفي وسط أسرة من أعظم الأسر العربية الاسلامية ، وبعد ولادته بنحو سنتين بدأت الحروب الصليبية في بلاد الشام سنة (٤٩٠) ورباه أبوه على الشجاعة والرجولة ، ومرّنه على الفروسية والقتال ، وكان يخرجه معه إلى الصيد ويدفع به بين لهوات الأسود [١] ، فأخرج منه فارساً كاملاً ورجلا ثابتاً كالرواسي لاتزعزعه الأعاصير ، ولا تهوله النكبات والرزايا ، فهو يقول عن نفسه بعد أن جاوز التسعين إذ يحكي بعض ما لقي من الأهوال : « فهذه نكبات تزعزع الجبال ، وتفني الأموال ، والله سبحانه وتعالى يعوِّض برحمته ويختم بلطفه ومغفرته ، وتلك وقعات كبار شاهدتها ، مضافة إلى نكبات نُكِبْتُها ، سلمت فيها النفس لتوقيت الآجال ، وأجحفت بهلاك المال » [٢] .

ويقول أيضاً : « فلا يظن ظان أن الموت يقدِّمه ركوب الخطر ، ولا يؤخِّره شدة الحذر ، ففي بقائي أوضح معتبر ، فكم لقيت من الأهوال ، وتقحّمت

---

(١) انظر « الاعتبار » لاسامة ص ١٠

(٢) « الاعتبار » ص ٣٥

المخاوف والأخطار ، ولاقيت الفرسان ، وقتلت الأسود ، وضُربت بالسيوف ، وطُعنت بالرماح ، وجُرحت بالسهام والجروخ [1] ، وأنا من الأجل في حصن حصين ، إلى أن بلغت تمام التسعين ، فأنا كما قلت :

مع الثمانين عاث الدَّهرُ في جَلَدي ... وساءني ضعف رُجلي واضطرابُ يَدي

إذا كتبتُ فخطي جدُّ مضطرب ... كخطِّ مرتعش الكفَّين مرتَعِد

فاعجب لضعف يدي عن حملها قلماً ... من بعد حَطْمِ القنا في لَبَّة الأسد

وإن مشيت وفي كفي العصا ثقلت ... رجلي كأني أخوض الوحل في الجلد

فقل لمن يتمنَّى طول مدَّتـه ... هذي عواقبُ طول العمر والمدد [2]

وقال بعد أن وضع السيف وحمل العصا :

أصبح كفي مالكاً للعصـا ... من بعد حَمْـلِ الأسمر الذابل

كأنني لم أمشِ يومَ الوغى ... إلى نِزالِ البطَـلِ الباسـل

ولم أشقَّ الجيشَ لا أختشي ... منَ الرَّدَى كالقَدَرِ النَّـازِل

فانظُرْ إلى ما فعل العُمْرُ بي ... مِنْ طولِـه لم أحـظَ بالنائل

يا حَسْرَتا إني غـداً ميِّتٌ ... على فراشي مِيتَـةَ الخامل

هـلاَّ أتاني الموتُ يومَ الوغى ... بينَ القَنَا والأسَلِ النَّاهِـل

وقد سجل في شعره أعمال بطولته ، ومواقفه في القتـال ، وسجل مشاعره في مراحل حياته تسجيلاً صادقاً قوياً ممتعاً ، استمع إلى قوله في مستهل حياته :

لأرمينَّ بنفسي كلَّ مهلكة ... مخوفة يتحاماها ذوو الباس

حتى أصادف حَتفِي فهو أجملُ بي ... من الخُمولِ وأستغني عن النَّـاسِ

---

(١) الجروخ من أدوات الحرب ترمى عنها السهام والحجارة

(٢) « الاعتبار » ص ١٦٣ ـ ١٦٤

ويقول :

يجهلُ في الإقدام رأيي معاشرٌ ... أراهم إذا فرّوا من الموتِ أجهلا
أيرجو الفتى عندَ انقضاءِ حياته ... وإن فرَّ من ورد المنيَّةِ مَزْحَلا
إذا أنا هبْتُ الموت في حَومةِ الوغى ... فلا وجدتْ نفسي من الموت مَوئِلا
وإنّي إذا نازلتُ كَبشَ كتيبةٍ ... فلستُ أبالي أيّنا ماتَ أوّلا

ويقول :

سأنفقُ ما لي في اكتسابِ مكارمٍ ... أعيشُ بها بَعدَ المماتِ مخلّدا
وأسعى إلى الهيجاءِ لا أرهَبُ الرّدى ... ولا أتخشّى فارساً ومهنّدا
فإن نلتُ ما أرجو فللمجدِ ثمّ لي ... وإن مِتُّ خلّفتُ الثّناءَ المؤبّدا

ولم يكتف أبوه بتربيته الحربية ، بل كان يحضر له الشيوخ الكبار ليعلموه هو وإخوته ، فسمع الحديث من الشيخ الصالح أبي الحسن علي بن سالم السِّنبسي سنة (٤٩٩) كما في « تاريخ الإسلام » للذهبي . وكان يؤدّبه الشيخ العالم أبو عبد الله محمد بن يوسف المعروف بابن المنيرة المتوفى سنة (٥٠٣) . وقرأ علم النحو قريباً من عشر سنين على الشيخ العالم أبي عبد الله الطُّلَيطِلي النحوي ، وكان في النحو سيبويه زمانه ، والتوسعُ في علم النحو هذه السنين الطويلة يستدعي كثرة الاطلاع على الشعر القديم ، وعلى غريب القرآن وتفسيره ، وعلى علوم البلاغة وما يتبعها ، وكان الأدباء والشعراء يقصدون أمراء بني منقذ يمدحونهم ويسترفدونهم ، وكانوا هم أيضاً علماء شعراء ، فاقتبس أسامة من هذا المجتمع الأدبي الذي نشأ فيه أدباً جماً وعلماً واسعاً ، وحفظ الكثير من الشعر ، فقد نقل الحافظ الذهبي في « تاريخ الإسلام » عن الحافظ أبي سعيد السمعاني قال : « قال لي أبو المظفر - يعني أسامة - أحفظ أكثر من عشرين ألف بيت من شعر الجاهلية » .

وصار شاعراً فحلاً ، حتى كان السلطان صلاح الدين الأيوبي لشغفه بديوان شعره يفضله على جميع الدواوين .

ولما خرج أسامة من شيزر سنة (٥٣٢) أقام بدمشق نحواً من ثماني سنين في رعاية صديقه وظهيره الأمير معين الدين أنز وزير شهاب الدين محمود حتى نَبَتْ به دمشق « كما تنبو الدار بالكريم »، فسار إلى مصر ، فدخلها يوم الخميس (٢) جمادى الآخرة سنة(٥٣٩)، قال: « فأقرني الحافظ لدين الله – يعني الخليفة الفاطمي عبد المجيد بن المنتصر بالله العلوي – ساعة وصولي ، فخلع عليَّ بين يديه ، ودفع لي تخت ثياب ومئة دينار ، وخوَّلني دخول الحمام ، وأنزلني في دار من دور الأفضل بن أمير الجيوش ، في غاية الحسن ، وفيها بسطها وفرشها ومرتبة كبيرة ، وآلتها من النحاس ، كل ذلك لا يستعاد منه شيء ، وأقمت بها مدة في إكرام واحترام وإنعام متواصل » .

ثم مات الخليفة الحافظ ، وولي الخلافة ابنه الأصغر الظافر بأمر الله أبو منصور اسماعيل ، وكان عمره ١٧ سنه تقريباً ، ووثب على الوزارة سيف الدين أبو الحسن علي بن السلار ، فخلع عليه الخليفة خلع الوزارة ، ولقبه : الملك العادل ، وأرسل ابن السلار أسامة في مهمة حربية سياسية لدى الملك العادل نور الدين بن زنكي ، وبعد وقائع وحروب عاد إلى مصر باستدعاء ابن السلار ، ومكث فيها إلى سنة (٥٤٩) ، ثم خرج منها مكرهاً بعد قتل الخليفة الظافر . وقد وقعت في مصر في هذه السنوات الخمس مدة خلافته (٥٤٤ – ٥٤٩) أحداث وفتن كبار ، قتل فيها ابن السلار الوزير والظافر الخليفة ، واتهم المؤرخون أسامة بأن له يداً في قتلها ، بل بأنه هو الذي حرض على هذه الجرائم المنكرة ، وقد برأه الله من أن يغمس يده في الدماء البريئة ، وإنما اتهم بذلك افتراء واتباعاً للشائعات الكاذبة التي أشاعها ذوو الأغراض من الدساسين ، وأسامة حكى في « الاعتبار » تفاصيل هذه الحوادث .

وتحول أسامة من مصر إلى دمشق فأقام بها مدة ، ثم انتقل بأهله وولده إلى حصن كيفا[(1)] وأقام بها إلى أن أخذ السلطان صلاح الدين الأيوبي دمشق في ربيع الأول سنة (٥٧٠) ، وكان الأمير عضد الدين أبو الفوارس « مرهف بن أسامة » جليس صلاح الدين وأنيسه ، ولم يزل مشغولاً بذكر أسامة ، مشتهراً بإذاعة نظمه ونثره ، فاستدعاه إلى دمشق وهو شيخ قد جاوز الثمانين .

قال العماد : فلما جاء مؤيد الدولة – يعني أسامة – أنزله أرحب منزل ، وأورده أعذب منهل ، وملّكه من أعمال المعرة ضيعة زعم أنها كانت قديماً تجري في أملاكه ، وأعطاه بدمشق داراً وإدراراً ، وإذا كان – يعني السلطان صلاح الدين – بدمشق ، جالسه وآنسه ، وذاكره في الأدب ودارسه . وكان ذا رأي وتجربة وحنكة مهذبة ، فهو يستشيره في نوائبه ، ويستنير برأيه في غياهبه ، وإذا غاب عنه في غزواته كاتبه ، وأعلمه بواقعاته ووقعاته ، واستخرج رأيه في كشف مهماته ، وحل مشكلاته .

ومكث أسامة في دمشق إلى أن مات بها ليلة الثلاثاء (٢٣) رمضان سنة (٥٨٠) .

قال ابن خلكان : ودفن من الغد شرقي جبل قاسيون ، ودخلت تربته ، وهي على جانب نهر يزيد الشمالي .

وأخباره ، رحمه الله كثيرة ، وآثاره عظيمة ، حكى منها كثيراً في كتاب « الاعتبار » .

ثناء العلماء عليه

وصفه الذهبي في « تاريخ الاسلام » بأنه أحد أبطال الاسلام ، ورئيس الشعراء الأعلام ، وقال ياقوت في « معجم الأدباء » : « وفي بني منقذ جماعة أمراء شعراء ، لكن أسامة أشعرهم وأشهرهم » . وقال العماد الأصبهاني : « أسامة كاسمه في قوة نثره ونظمه ، يلوح من كلامه أمارة

---

(١) من أطراف العراق والشام ، قال ياقوت في « معجم البلدان » : هي بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة ، بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر .

الإمارة ، ويؤسس بيت قريضه عمارة العبارة ، نشر له عَلمَ العلم ، ورقي سُلّم السِّلْم ، ولزم طريق السلامة ، وتنكّب سُبُل الملامة ، واشتغل بنفسه ، ومحاورة أبناء جنسه ، حلو المجالسة ، حالي المساجلة ، ندي النّدي ّ بهاء الفكاهة ، عالي النجم في سماء النباهة ، معتدل التصاريف ، مطبوع التصانيف» ، وقال أيضاً : « هذا مؤيد الدولة من الأمراء الفضلاء ، والكرماء الكبراء ، والسادة القادة العظماء ، وقد متعه الله بالعمر وطول البقاء ، وهو من المعدودين من شجعان الشام ، وفرسان الاسلام ، ولم تزل بنو منقذ ملاّك شيزر ، وقد جمعوا السيادة والمفخر ، وكلهم من الأجواد الأمجاد ، وما فيهم إلا ذو فضل وبذل ، وإحسان وعدل ، وما منهم إلا مَن له نظم مطبوع ، وشعر مصنوع ، ومَن له قصيدة ، وله مقطوع . وهذا مؤيد الدولة أعرقهم في الحسب ، وأعرفهم بالأدب» ، وقال أيضاً : « وكنت قد طالعت مذيّل السمعاني ووجدته قد وصفه وقرّظه ، وأنشدني العامري له بأصفهان من شعره ما حفظه » .

وقال الحافظ ابن عساكر : « اجتمعت به بدمشق وأنشدني قصائد من شعره سنة (٥٥٨) وقال لي أبو عبد الله محمد بن الحسن بن الملحي : إن الأمير مؤيد الدولة أسامة شاعر أهل الدهر ، مالك عنان النظم والنثر ، متصرف في معانيه ، لاحق بطبقة أبيه ، ليس يستقصى وصفه بمعان ، ولا يعبر عن شرحها بلسان ، فقصائده الطوال لا يفرق بينها وبين شعر ابن الوليد ، ولا ينكر على منشِدها نسبتها الى لبيد ، وهي على طرف لسانه بحسن بيانه ، غير محتفل بطولها ، ولا يتعثّر لفظه العالي في شيء من فضولها ، وأما المقطعات فأحلى من الشهد ، وألذ من النوم بعد طول السهد ، في كل معنى غريب ، وشرح عجيب » .

وقد سمع منه من الكبراء والأجلاء : الحافظ أبو سعد السمعاني عبد الكريم ابن محمد (٥٠٦ – ٥٦٢ هـ) وهو صاحب كتاب «الأنساب» . والحافظ ابن عساكر ، وهو أبو القاسم علي بن الحسن (٤٩٩ – ٥٧١ هـ) صاحب «تاريخ دمشق» . والعماد الكاتب

الأصبهاني ، واسمه محمد بن محمد بن حامد (٥١٩ – ٥٩٧ هـ) . والحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي (٥٤١ ـ ٦٠٠ هـ) وغيرهم .

مؤلفـــاته

١ – الاعتبار : وهو كتاب طريف يتحدث فيه عن سيرته وأحواله في أطوار حياته ، ألفه وهو ابن تسعين سنة كما نص على ذلك فيه ص (١٦٣) ، وقد طبع مرتين : الأولى في ليدن سنة « ١٨٨٤ — ١٨٨٦ » باعتناء المستشرق الفرنسي هرتويغ درنبورغ . والثانية : في مطبعة جامعة برنستون بالولايات المتحدة « ١٩٣٠ » باعتناء الأستاذ فيليب حتي ، وهي التي أشير إليها في التعليقات .

٢ — لباب الآداب : نشره الأستاذ أحمد محمد شاكر ، وقد رتبه مؤلفه على سبعة كتب ، وقسمه خمسة عشر فصلاً ، وقد ألفه وهو ابن إحدى وتسعين سنة كما ذكر في آخره .

٣ — البديع في نقد الشعر : وهو كتاب جمع فيه ما تفرق في كتب العلماء المتقدمين المصنفة في نقــد الشعر ، وذكر محاسنه وعيوبه كما قال في مقدمته ، وقد طبع بمطبعــة مصطفى البابي الحلبي بتحقيق الدكتور أحمد أحمد بدوي ، والدكتور حامد عبد المجيد .

٤ — التأسي والتسلي : أشار اليه في « لباب الآداب » ص (٢٩٤ و ٤١٠) .

٥ — الشيب والشباب : أشار إليه في « اللباب » ص (٣٧٧) ، وذكر ياقوت أنه ألفه لأبيه .

٦ — النوم والأحلام : أشار إليه في « الاعتبار » ص (١٨٦) .

٧ – أزهار الأنهار : ذكره صاحب « كشف الظنون » .

٨ — التاريخ البدري : جمع فيه أسماء من شهد بدراً من الفريقين ، ذكره الذهبي .

٩ – التجائر المربحة والمساعي المنجحة : ذكره صاحب « كشف الظنون » .

١٠ — كتاب القضاء : ذكره ياقوت .

١١ — تاريخ القلاع والحصون	ذكرها فيليب حتي
١٢ — نصيحة الرعاة	
١٣ — أخبار النساء	

١٤ — أخبار البلدان : في مدة عمره ، ذكره الذهبي

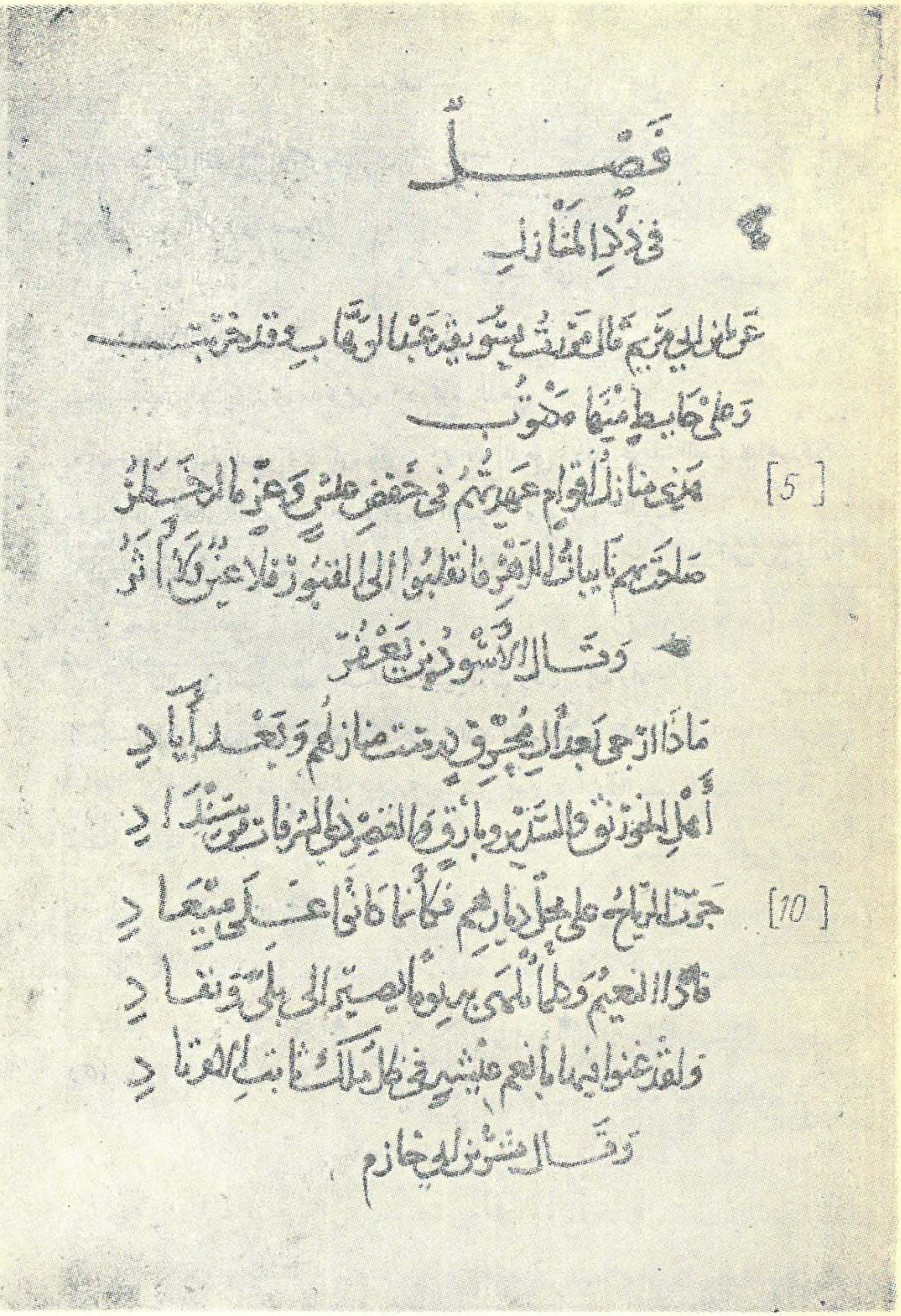
١٥ — ذيل يتيمه الدهر : ذكره ياقوت ، وسماه الذهبي : ذيل خريدة القصر للباخرزي، وهو خطأ ، فان كتاب الباخرزي اسمه : «دمية القصر» ، وهو ذيل «اليتيمة» .

١٦ — ديوان شعره : نشر سنة (١٩٥٣) وحققه وقدم له الدكتور أحمد أحمد بدوي ، والأستاذ حامد عبد المجيد .

١٧ — كتاب في أخبار أهله ، هكذا ذكر ياقوت وقال : إنه رآه .

١٨ — المنازل والديار : وهو هذا الكتاب الذي نقوم بنشره لأول مرة .

★ ★ ★



فصل

في ذكر المنازل

عن ابن ابي مريم قال مررت بسويقة عبد الوهاب بعقد خرب
وعلى حايط منها مكتوب

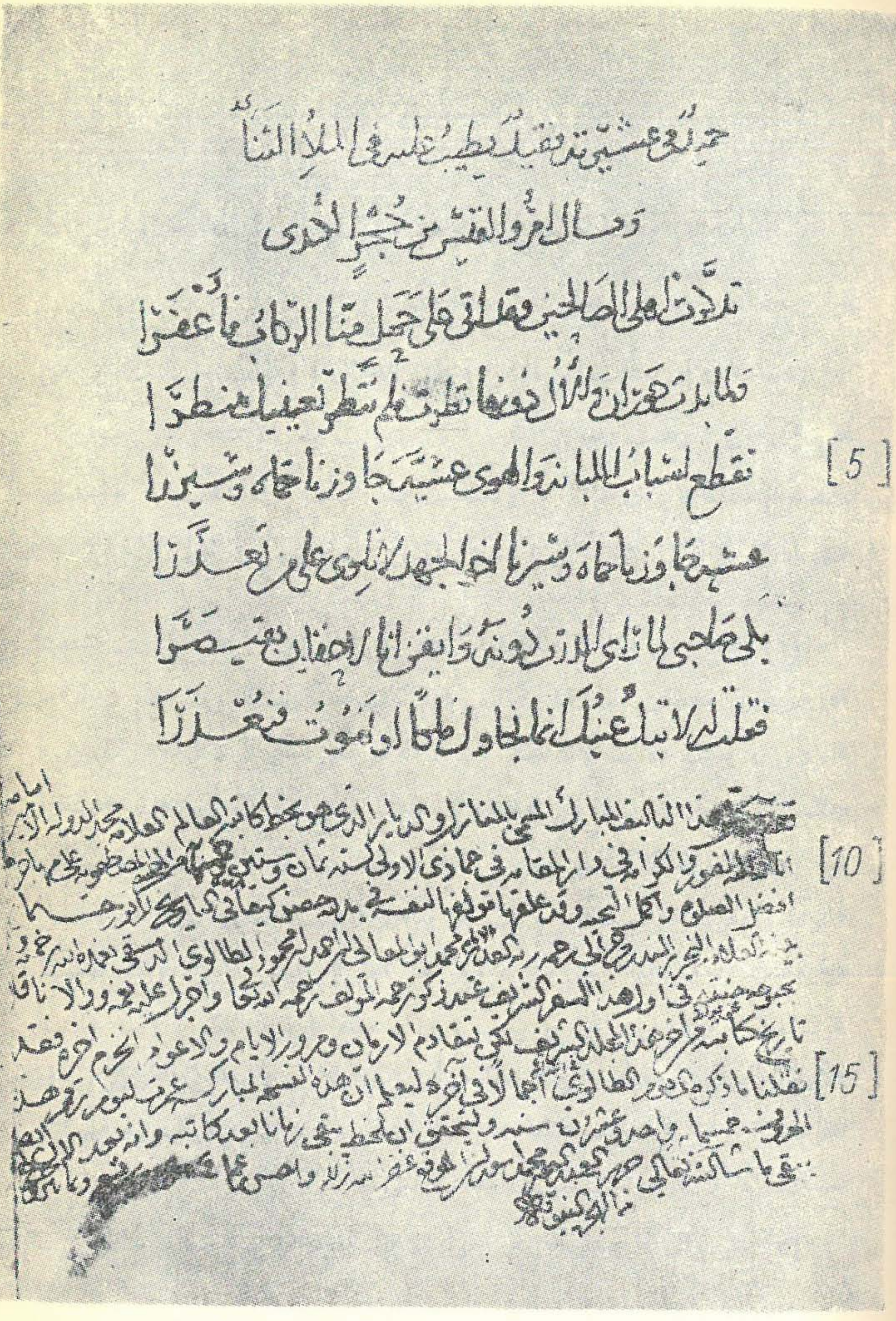
[5] هذي منازل اقوام عهدتهم في خفض عيش وعز ما له خطر
صاحت بهم نايبات الدهر فانقلبوا الى القبور فلا عين ولا اثر

وقال الاسود بن يعفر

ماذا ارجي بعد آل محرق تركوا منازلهم وبعد اياد
اهل الخورنق والسدير وبارق والقصر ذي الشرفات من سنداد
[10] جرت الرياح على محل ديارهم فكأنما كانوا على ميعاد
فاذا النعيم وكل ما يلهى به يوما يصير الى بلى ونفاد
ولقد غنوا فيها بانعم عيشة في ظل ملك ثابت الاوتاد

وقال بشر بن ابي خازم

لوحة رقم (١) وهي الصفحة ١٩ من الأصل



حتى لقي عشية تمر نفسك يطيب عليه في الملا الثنا

وقال امرؤ القيس بن حجر الاخرى

تذكرت اهلي الصالحين وقد اتت على جمل منا الركاب فاعفرا

فلما بدت حوران والآل دونها نظرت فلم تنظر بعينيك منظرا

[5] تقطع اسباب اللبانة والهوى عشية جاوزنا حماة وشيزرا

عشية جاوزنا حماة وسيرنا اخا الجهد لا يلوي على من تعذرا

بكى صاحبي لما راى الدرب دونه وايقن انا لاحقان بقيصرا

فقلت له لا تبك عينك انما نحاول ملكا او نموت فنعذرا

تم هذا التأليف المبارك المسمى بالمنازل والديار وهو بخط كاتبه العالم العلامة مجد الدولة الامير [illegible]

[10] [illegible]

[15] [illegible]

لوحة رقم (٢) وهي الصفحة الأخيرة من الأصل

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أسامةُ بنُ مُرْشِد بن عليّ بنِ مقلّد بن نصْر بنِ منقِذ الكناني غفر الله له، ولجميعِ أمةِ محمَّدٍ صلى الله عليه وسلّم :

الحمد لله وإن تنقّلت بنا الدنيا تنقُّلَ الظِّلال، وتقلَّبَ بنا الدّهرُ من حالٍ إلى حال، وعفَت رسومُ آثارِنا، واستولتْ يدُ الاعتداء على ديارِنا، وتصدَّع شملُنا أيدي سبا[1]، وتشعَّبتْ بنا سُبُلُ المذاهبِ، وأخنَتِ الحوادثُ على مَعشري وآلي، وأفنى الموتُ أُسودي وأشبالي.[2]

---

(١) اقتباس من المثل : « تفرقوا أيدي سبا » . وسبا : هو سبأ بن يشجب ابن يعرب بن قحطان، وقيل : اسم بلدة كانت تسكنها بلقيس . قال في « تاج العروس » يكتب بالألف لأن أصله الهمز، قاله أبو علي القالي في « الممدود والمقصور » وقال الأزهري : العرب لا تهمز « سبأ » في هذا الموضع، لأنه كثر في كلامهم فاستثقلوا فيه الهمز، وإن كان أصله مهموزاً . ضرب المثل بهم لأنه لما أشرف مكانهم على الغرق، وقرب ذهاب جنّاتهم، قبل أن يدهمهم السيل، تبددوا في البلاد، فلحق الأزد بعمان، وخزاعة ببطن مرّ، وهو مر الظهران المسمى الآن بوادي فاطمة قرب مكة، والأوس والخزرج بيثرب، وآل جفنة بأرض الشام، وآل جذيمة الأبرش بالعراق . وقوله : أيدي سبا، أي : متفرقين . واليد : الطريق . قيل للقوم إذا تفرقوا في جهات مختلفة : ذهبوا أيدي سبا، أي : فرّقتهم طرقهم التي سلكوها، كما تفرق أهل سبأ في مذاهب شتى .

(٢) يشير إلى ما حصل له مع إخوته، فقد أمره عمه أبو العساكر سلطان –

كلُّ ذلك بقدرٍ جرى به القلمُ في القِدَمِ ، وقضاءٍ سَبقتْ به المشيئةُ قبلَ الخروج إلى الوجودِ من العدَمِ ، ألقى ما سرَّ من ذلك وساءَ بالتسليم والرضى ، وأفوّضُ إليهِ - جلَّ وعلا - فيما قدَّر وقضى ، وأُقرُّ بأن ابتلاءه بعدله ومعافاته بفضله ، وأرجو من رحمته أن يكون ذلك كفارةً لذنوبٍ سلَفتْ ، وموعِظَةً دعَتْ عن المعاصي وصرَفت ، وأنَّ ما نالنا من الدُّنيا وآفاتِها بذنوبٍ اقترفناها ، فرُحمنا بتعجيلِ مكافاتها .

وصلى الله على رسوله الأمين محمدٍ خاتم النَّبيين ، الذي وصفه في كتابه الكريم فقال : (وإنَّكَ لَعلَى خُلُقٍ عظيمٍ)[القلم : ٥] .

وعلى آلِهِ الطَّيِّبينَ الطاهرينَ ، وأصحابِهِ البَرَرةِ المتّقينَ ، وأزواجِهِ الطَّاهِراتِ أمَّهاتِ المؤمنين ، صلاةً دائمةً إلى يوم الدِّين .

وبعد ، جعلَكَ الله بنجْوَةٍ من النوائب ، وأصفى لكَ الحياةَ من كَدرِ الشوائبِ ، ولا راعكَ بحادثةٍ تُنسي ما قبلَها ، وتصغِّر ما بعدَها ، وتفتحُ

- بن علي - حاكم شيزر - وإخوته بالرحيل ، فتشتتوا في البلاد ، وكان في ذلك الخير لهم ، لانهم نجوا من الزلازل التي هدمت شيزر وقضت على بني منقذ بأسرهم ، وذهبت بملكهم سنة ٥٥٢ هـ . ومضى أسامة يوم أخرج من شيزر إلى دمشق ، واتصل بحاكمها معين الدين أنر ، ثم إلى القاهرة ، في عهد الخليفة الحافظ لدين الله سنة ٥٣٩ هـ . ثم عاد إلى دمشق . فلما نزلت كارثة الزلزال بشيزر ، وذهبت بملك أهله وبأهله ، أخذ يبكيهم ، ويندب حظهم ، ويرثي منازلهم .

من النكبات أبواباً لا تستطيع سدَّها ؛ فإني دعاني إلى جَمْعِ هذا الكتاب ما نالَ بلادي وأوطاني من الخراب ، فإنَّ الزّمانَ جرَّ عليها ذيلَهُ ، وصرفَ إلى تعفيتِها حَوْلَه وحَيْلَه [١] ، فأصبحَتْ كأنْ لم تغنَ بالأمس ، مُوحِشَةَ العرَصاتِ بعد الأُنس ، قد دَثَرَ عُمرانُها ، وهلكَ سُكَّانُها ، فعادَتْ مغانيها رُسوماً ، والمسرّاتُ بها حَسَراتٍ وهموماً .

ولقد وقفتُ عليها بعدما أَصابَها من الزّلازل ما أصابها ، وهي أَوَّلُ أَرض مسَّ جِلْدي ترابها [٢] ، فما عرفتُ داري ، ولا دُورَ والدي وإخوتي ولا دورَ أعمامي وبني عمي وأسرتي ، فبُهِتُّ متحيّراً مستعيذاً بالله من عظيم بلائه ، وانتزاع ما خوَّله من نعمائه .

ثم انصرفتُ فلا أَبثُّكَ خَيبتي رَعِشَ القيامِ أميسُ مَيْسَ الأصورِ [٣]

وقد عَظُمتِ الرَّزيّة حتى غاضت بوادرُ الدُّموع ، وتتابعت الزَّفراتُ حتى أقامت حنايا الضُّلوع ، وما اقتصرَتْ حوادِثُ الزَّمان على خرابِ الدِّيار

---

(١) في « الصحاح » : الحول : القوة ، وكذلك : الحيل ، يقال : لا حيل ولا قوة ، لغة في « حول » .

(٢) اقتباس من قول الشاعر :

بلاد بها نيطت علي تمائمي وأول أرضٍ مس جلدي ترابها

(٣) الصور ، بالتحريك : الميل . و : « أصور » نعت منه .

دون هلاكِ السُّكانِ ، بل كان هلاكُهم أجمعُ ، كارتدادِ الطَّرفِ أو أسرع .

ثم استمرّت النّكباتُ تترى من ذلك الحينِ وهَلُمَّ جرّاً . فاسترحتُ إلى جَمْعِ هذا الكتاب ، وجعلتُه بكاءً للديار والأحباب ، وذلك لا يُفيد ولا يُجدي ، ولكنّه مبلغُ جُهدي ، وإلى اللهِ عزّ وجلّ أشكو ما لقيتُ من زماني وانفرادي من أهلي وإخواني ، واغترابي عن بلادي وأوطاني .

لَوْ كانتِ الأحلامُ فاجتني بما　　أَلقاهُ يقظانَ لأصماني الرَّدى [(١)]

وإليه عزّ وجلّ أرغبُ في أن يَمُنَّ عليَّ وعليهم بغفرانه ، ويُعوِّضنا برحمته في دارِ رضوانه ، إنّه لا يرُدُّ دعاءَ من دعاه ، ولا يُخيِّبُ رجاء من رجاه .

وقد جعلتُ هذا الكتابَ فُصولاً ، فافتتحتُ كلَّ فصلٍ بما يوافقُ حالي ثم أَفضتُ فيما يُوافق ذا القلب الخالي ، لكي لا يأتي الكتاب وهو كلُّه عويل ونياحة ، ليس فيه لِسوى ذي البثِّ راحة .

على أنَّ رزايا الدنيا ، كالأجل تُمهِلُ ولا تُهمِل ، وإن تولَّتِ اليوم فغداً تُقبل . فما أحدٌ من ريبهنَّ سليم .

وتتبُّع هذا المعنى صعب ، وحصره لا يمكن ، وقد أوردتُ فيه ما يُبرِّدُ اللَّوعة ، ويُسكِّنُ الرَّوعة ، والعذر إلى من وقف عليه مبذول ، وهو عند الكرام مقبول .

---

(١) « فاجتني » مخففة من « فاجأتني » . وأصماني الردى : قتلني الموت ، قال في « اللسان » : وأصميت الصيد : إذا رميته فقتلته ، وأنت تراه .

فصول الكتاب

فصل
في ذكر المنازل

عن ابن أبي مريم[1] ، قال : مررت بسُوَيقة عبد الوهاب[2] ، وقد خرِبت ، وعلى حائط منها مكتوب :

هذي منازلُ أقوامٍ عهِدْتُهم   في خفضِ عَيشٍ وعزٍّ ما لَهُ خطَرُ[3]
صاحتْ بهم نائباتُ الدّهرِ فانقلبوا   إلى القُبورِ فلا عَينٌ ولا أثرُ

---

(١) في « معجم الأدباء » ٢١٢/١١ : هو أبو عبد الله بن أبي مريم النسابة ، ذكره ابن النديم ، وقال : له من التصانيف كتاب « المآثر » ، وكتاب « النسب » ، وكتاب « نواقل العرب » .

(٢) في « معجم البلدان » ١٨٣/٥ : وسويقة عبد الوهاب : محلة قديمة بغربي بغداد ، تنسب إلى عبد الوهاب بن ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس . ثم ذكر الخبر الذي أورده المصنف . وعبد الوهاب هذا ، أمير من الشجعان القادة ، سيره عمه الخليفة المنصور سنة ١٤٠ هـ . في سبعين ألفاً إلى مَلَطْيَة ، وبعث معه الحسن بن قحطبة ، فخافتها الروم ، فنزلوا عليها ، وعمروا ما كان خربه الروم منها . وغزا الصائفة سنة ١٥١ وسنة ١٥٢ هـ . وتوفي ببغداد . « الكامل » لابن الاثير ١٨٦/٥ ، ٢١٤ ، ٢٢٥ .

(٣) في « اللسان » الخطر ، بالتحريك : مثل الشيء وعدله ، ولا يقال إلا في الشيء الذي له قدر ومزية .

وقال الأسود بن يعفُر [١] :

ماذا أُرَجّي بعـد آلِ محرّقٍ   دَرَسَتْ منازلُهم وبَعدَ إيادِ [٢]

---

(١) هو الأسود بن يعفر بن عبـــد الأسود النهشلي . وهو أحـد العُشي ، وهو أعشى بني نهشل ، يكنى : أبا الجراح ، شاعر جاهلي ، مقدم ، فصيح ، فحل ، كان ينادم النعمان بن المنذر . والأبيات من قصيدة معـدودة من مختار أشعار العرب وحكمها ، مفضلية مأثورة ، أنشدها المفضل الضبي ص : ٢١٥ .

(٢) رواية البيت في « المفضليات » :

ماذا أؤمّل بعد آل محرّقٍ   تركوا منازلهم وبعـد إياد

ومحرّق : لقبٌ ، لقّبَ به بعض ملوك العرب . وإياد : قبيلة ، وقصتها : أنها كانت أكثر نزار عـدداً ، وأحسنهم وجوهـاً ، وأمدّهم وأشدّهم وأمنعهم ، وكانوا لَقاحاً ، لا يؤدون خرجاً . وهم أول معدّيّ خرج من تهامة ، فنزلوا السواد ، وغلبوا على ما بين البحرين إلى سِنْداد والخورنق ، وسنداد : نهر كان بين الحيرة إلى الأبلّة . وكانوا أغاروا على أموال لانوشروان فأخذوهـا ، فجهز إليهم الجيوش فهزموهم مرة بعد مرة ، ثم إن إياداً ارتحلوا حتى نزلوا الجزيرة ، فوجه اليهم كسرى بعـد ذلك بجيش عظيم ، وكان لقيط متخلفاً عنهم بالحيرة ، فكتب إليهم :

سلام في الصحيفةِ من لقيطٍ   إلى مَن بالجزيرةِ من إيادِ

بأن الليثَ كسرى قد أتاكم   فلا يشغلْكم سوقُ النقّـادِ

فلم يلتفتوا الى قول لقيط ، وتحذيره إياهم ، ثقة بأن كسرى لا يُقدِم عليهم ، فلقيهم بالجزيرة في موضع يقال له : مرج الاكم ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فظفر بهم وهزمهم ، وأنقذ ما كانوا أصابوا من الأعاجم يوم الفرات . ثم اختلفت إياد بعد ذلك ، ـ

أهلِ الخوَرْنَقِ والسَّدير وبارقٍ — والقصرِ ذي الشُّرُفاتِ من سِنداد[١]

جرَتِ الرّياحُ على محلّ ديارِهم — فكأنّما كانوا على ميعاد[٢]

فإذا النَّعيمُ وكلُّ ما يُلهى بـه — يوماً يصيرُ إلى بِلىً ونَفادِ

ولقد غَنُوا فيها بأنعَمِ عيشَةٍ — في ظلِّ مُلْكٍ ثابتِ الأوتاد[٣]

وقال بشر بن أبي خازم[٤] :

ـفلحقت فرقة بالشام، وفرقة رجعت الى السواد ، وأقامت فرقة بالجزيرة . انظر « الشعر والشعراء » ١٥١/١ ، و « الاغاني » ٣٩٣/٢٢ .

(١) الخورنق ، بفتح أوله وثانيه ، وراء مهملة : قصر النعمان بظهر الحيرة ، وانظر في « خزانة الأدب » ١٤٢/١ ، سبب بناء الخورنق . السدير : قصر أو نهر بالحيرة . بارق : ماء بالعراق . سِنداد : نهر أسفل من الحيرة ، بينها وبين البصرة .

(٢) البيت تمثل به حر بن قيس وهو ينظر الى آثار كسرى ، فقال له علي ابن أبي طالب رضي الله عنه : أفلا قلت : (كم تركوا من جنّاتٍ وعُيونٍ وزُرُوعٍ ومقامٍ كريمٍ ونَعْمَةٍ كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوماً آخرين فما بكت عليهم السّماء والأرض وما كانوا منظرين) . الدخان : ٢٥ - ٢٨ .

(٣) غنوا : أقاموا ، يقال : غنينا بمكان كذا وكذا .

(٤) هو بشر بن أبي خازم بن عمرو بن عوف بن حميري بن ناشرة بن أسامة ابن والبة بن الحارث (.. نحو ٩٢ ق هـ) . شاعر ، فارس ، فحل ، جاهلي قديم ، شهد حرب أسد وطيىء .

أيَّ المنازلِ بعدَ الحَوْلِ تَعتَرِفُ أم هل صِباكَ وقد حَكَّمْتَ مُنصَرِفُ [١]

أم ما بكاؤكَ في دارٍ عهِدتَ بها عهداً فأخلف أم في آيِها تقفُ ؟ [٢]

كأنها بعد عَهْدِ العاهدينَ بها من الذنوب وخَرْمَي واحفٍ صُحُفُ [٣]

أضحت خلاءً قِفاراً لا أنيسَ بها إلا الجوازِئُ والظِّلمانُ تَختلفُ

«الجوازئ» : بقر الوحش ، تتجزأ بالعشب الرطب عن الماء . و«الظلمان» . ذكور النعام .

فأَصبحوا بعدَ نُعماهمْ بمبأَسةٍ والدَّهرُ يَخْدعُ أحياناً فينصَرِفُ [٤]

---

(١) رواية البيت في الديوان ص ١٣٧ :

أيَّ المنازلِ بعد الحيِّ تعترِفُ أم ما صِباكَ وقد حُكِّمتَ مطَّرَفُ

تعترف : تسأل وتستخبر . وأم ـ هنا ـ بمعنى : بل . والصبا : جهلة الفتوة واللهو والغزل . وحكمت : صرت حكيما مجرباً من الحكمة .

(٢) في الديوان « أم في آيها تقف » .

(٣) كذا الأصل ، وفي « معجم ما استعجم » ، و « معجم البلدان » ، و « اللسان » بين الذَّنوب وحَزْمي واهبٍ . . وهو اسم جبل لبني سليم . وفي الأصل تحت كلمتي « الذنوب » ، و « خَرمي » و « واحف » ما نصه : مواضع . والحزم : الغليظ المرتفع من الأرض كالحزن ، إلا أن الحزم أغلظ وأرفع . والذنوب وواحف : موضعان . شبه آثار الدار الدارسة بصحائف الكتاب .

(٤) في الديوان أربعة أبيات قبل هذا البيت وهي :

وقفتُ فيها قَلوصي كي تجاوبَني أو يخبرَ الرَّسمُ عنهم أيَّةَ صرفوا

وسلْ نُميراً غداة النَّعفِ من شَطِبٍ إذ فُضَّت الخيلُ من ثهلان ما ازدهفوا ؟

قوله : «يخدع» ، أي : يخالف ما تريد ، يقال للرجل إذا وعد ثم أخلف : « خدع » ، وإذا أطلع الضبُّ رأسه ، ثم أدخله ،يقال : «خدع الضبُّ» « وخدع الريق » : إذا تغير وفسد ، و«خدعت السوق» : إذا كسدت . وقوله : « فينصرف » ، أي : ينقلب ويحول .

تبكي لهم أعينٌ من شَجوِ غيرهم   وإن بكى لهمُ باكٍ فقد لَهِفوا [1]

وقال ابن أبي طاهر :

يا مَنْزِلاً لعِبَ الزَّمان بأهلِه   طوراً يُفرِّقُهم وطوراً يَجْمعُ [2]

لما رأيتم رماح القوم حطّ بكم   إلى مرابطها المُقورَّة الخُنُفُ
إذ يُتَّقى ببني بدر وأردفهم   خلفَ المناطق منّا عاندٌ يكف

(١) في الأصل تحت كلمة « لهفوا » ما نصه : أي : الحق ذلك . ولعل الصواب « حق لهم ذلك » . وفي « الديوان » : « فان بكى منهم باك فقد لهفوا » وفي « المعاني الكبير » ٢ / ٩٣٩ : وإن يكن منهم . والشجو : الهم والحزن . وفي « اللسان» : و لَهِف فهو لهفان ، ولُهِف ، فهو ملهوف أي : حزين ، قد ذهب له مال أو فجع بحميم . يقول : يبكي لهم من ليس منهم رحمة وحزناً عليهم ، وإن بكى منهم باك فقد حق لهم ذلك ، لأنهم أصيبوا بأحبابهم وخلصانهم .

(٢) في هامش الأصل ما نصه : قلت :

يا ليت أن ديارنا كانت كذا   طوراً تفرُّقنا وطوراً تجمع
لكنَّها دَرَسَتْ وأوحشها الرَّدى   من أهلها فهي القفار البلْقع
لا يُرتجى لهمُ إيابٌ جامعٌ   لشتاتهم حتى يَضُمَّ المجمَع

أينَ الذينَ عهِدتُهم بك مرَّةً كان الزمانُ بهم يَضرُّ وينفعُ
أصبحتَ تُفزعُ من رآكَ وطالما كنَّا إليكَ من الحوادثِ نفزَعُ
أيامَ لا أغشَى لأهلِكَ مَربعاً إلّا وفيه للمسرَّةِ مَرْبَعُ
لهفي عليكَ لوَ انَّ لهفاً ينفعُ أو أنَّ دَهراً راحمٌ من يجزَعُ
ما كان ذاكَ العيشُ إلا خُلسَةً خطْفاً كرجْعِ الطَّرفِ أو هو أسْرعُ

وقال عبد الله بن الزِّبَعْرى في العاص بن وائل (١) :

وأصبحتِ المنازلُ وهي قفرٌ مخلَّاةً عليهنَّ القتامُ
كأنَّ الناسَ بعدَكَ نظمُ سِلكٍ تقطَّعَ لا يقومُ له نِظامُ

وقال المتنبي أبو الطيب أحمد بن الحسين (٢) :

أبَني أبينا نحنُ أهلُ منازلٍ أبداً غرابُ البينِ فينا ينْغِقُ (٣)

---

(١) هو عبد الله بن الزّبعرى بن قيس بن عدي أحد شعراء قريش المعدودين أسلم يوم الفتح ، فقبل رسول الله ﷺ إسلامه ، وعفا عما سلف له ، ومدح النبي ﷺ ، واعتذر إليه . وأما العاص أو العاصي ، فهو العاص بن وائل بن هاشم السهمي من قريش . أحد الحكام في الجاهلية . كان نديماً لهشام بن المغيرة وأدرك الاسلام ، وظل على الشرك ، ويعد من المستهزئين ، ومن الذين ماتوا على الكفر .

(٢) ديوانه ٢/٢٣٢ . والأبيات من قصيدة يمدح بها أبا المنتصر شجاع بن محمد ابن أوس بن الرضا الأزدي ، ومطلعها :

أرق على أرقٍ ومثلي يأرقُ وجوىً يزيدُ وعبْرةٌ تترقرقُ

(٣) في « الديوان » : « ينعق » . وغراب البين مثل في التفرق ، كانت

نبكي على الدنيا وما مِنْ مَعْشَرٍ ... جَمَعَتْهُمُ الدُّنيا فلم يتفرَّقوا [١]

أَيْنَ الأَكاسرةُ الجبابرةُ الأُلى ... جمعوا الكُنوزَ فما بقيْن ولا بَقُوا [٢]

ـ العرب إذا صاح في ديارهم الغراب ، تشاءمت به ، وهو كثير في الأشعار . ونغق ، بالغين المعجمة ، ونعق ، بالمهملة : صاح . قال أبو الفتح : أبني أبينا : يا إخواننا ، غراب البين : داعي الموت ، وأنه انتقل من الغزل إلى الوعظ ، وهذا حذق منه ، وحسن تصرف .

وقال الواحدي : هذا فاسد ، وليس على مذهب العرب ، فداعي الموت لا يسمع له صياح ، والأمر في غراب البين أشهر من أن يفسر بما فسره به ، وقد انتقل من الغزل والتشبيب الى الوعظ ، وذكر الموت لا يستحسن الا في المراثي .

والمعنى : يا إخواننا ، ويا بني آدم ، لأن الناس كلهم بنو آدم ، ويجوز أن يكون يريد به قوماً مخصوصين ، من رهطه أو قبيلته . يقول : نحن نازلون في منازل يتفرق عنها أهلها بالموت .

(١) المعشر والعشيرة ، والجماعة : الأهل . يقول : نبكي على فراق الدنيا ، ولا بد منه ، لأن الدنيا دار اجتماع وفرقة ، وعادتها التفريق والجمع ، وما اجتمع فيها قوم الا تفرقوا . ومثله قول بعضهم :

لا يَلْبث القرناء أن يتفرَّقوا ... ليلٌ يكرُّ عليهم ونهار

(٢) الأكاسرة : جمع كسرى ، على غير قياس ، وهم ملوك فارس . والجبابرة : جمع جبار . والألى : بمعنى الذين ، لا واحد له من لفظه . والكنوز: جمع كنز وهو المال المدفون . يقول : أين الملوك ، وأين الجبابرة الذين كنزوا المال وأعدوه فلن يغني عنهم مع الموت شيئاً ، ثم مع هذا ما بقي هو ولا هم . ـ

مِنْ كلّ مَنْ ضاقَ الفضاءُ بجيشه حتى ثوى فحَواه لحدٌ ضيّقُ (١)
خُرْسٌ إذا نُودوا ، كأنْ لم يَعلَمُوا أنَّ الكلامَ لهم حلالٌ مُطلَقُ (٢)

ـ قال العكبري : هذا وعظ شاف ، وهو من قول أبي العاليه :

أين الألى كنزوا الكنوز وأسسوا أين القُرونُ هي القرون الماضية
درجوا فأصبحت المنازلُ منهم عُطُلاً وأصبحت المساكن خالية

(١) في « الديوان » : ثوى .

ومن ـ في أول البيت ـ للتفسير . والجار والمجرور في موضع الحال من الأكاسرة . ومَنْ في قوله : « مَنْ ضاق » نكرة موصوفة ، والجملة بعدها صفة لها . الفضاء : الأرض الواسعة . ثوى : بالثاء المثلثة : معناه : نوى ، أي : أقام في قبره ، وحواه اللحد . وتوى : بالتاء المثناة : هلك . واللحد : ما يكون في جنب القبر ، ومنه قوله ﷺ : « اللحد لنا والشق لغيرنا » . يريد : أين الأكاسرة والملوك الجبارون ، من كل ملك ضاقت بجيشه وجنوده الأرض الواسعة انضم عليه اللحد وضيقه ، بعد أن كان الفضاء يضيق عن جنوده ، وهذا مثل قول أشجع :

وأصبح في لَحْدٍ من الأرض ضيّقٍ وكانت به حيّاً تضيق الصّحاصح

(٢) يقول : هم موتى لا يجيبون داعياً ، كأنهم يظنون أن الكلام محرم عليهم ، ولا يحل لهم أن يتكلموا . قال الواحدي : ولو قال : خرس إذا نودوا لعجزهم عن الكلام ، وعدم القدرة على النطق ، كان أولى وأحسن مما قال ، لأن الميت لا يوصف بما ذكر .

وقال البحتري (١) :

وما أهلُ المَنَازِلِ غيرَ رَكْبٍ   مناياهُمْ رَوَاحٌ وابتكارُ (٢)

لنا في الدَّهر آمالٌ طِوالٌ   نُرَجِّيها وأعمارٌ قِصارُ

وقال أيضاً :

يا مَنْزِلاً نَسَجَتْ لهُ أَيدي الصَّبا   من حَوْكِهِنَّ سبائباً وبُرودا (٣)

هل كنتَ إلا منزِلاً عَمَدَتْ لهُ   عُقُبُ الزَّمانِ فغادَرَتْه عميدا (٤)

وقال أيضاً (٥) :

---

(١) ديوانه ٢/١٩٥ وهما من قصيدة يمدح فيها الحسن بن وهب . أولها :

أناةً أيُّها الفَلَكُ المُدارُ   أنَهْبٌ ما تُطَرِّقُ أم جُبارُ

(٢) الرواح : نقيض الصباح ، وهو اسم للوقت من زوال الشمس إلى الليل . وقد يكون مصدر راح يروح رواحاً ، وهو نقيض قولك : غدا يغدو غدواً . والابتكار : التبكير ، يقال : أبكرت ، وابتكرت ، وبكَّرْتُ .

(٣) السبائب : جمع سبيبة ، وهي شُقَّةُ كتانٍ رقيقة . والبرود : جمع بُرد . وهو ثوب فيه خطوط ، وخص بعضهم به الوشي .

(٤) في « القاموس » عَمَدَ للشيء : قصده . وفي « اللسان » والعقُب : العاقبة ، مثل عُسُر وعسْر ، ومنه قوله تعالى : « هو خير ثواباً ، وخير عُقُباً » أي : عاقبة . ورجل معمود وعميد : هدَّه العشق .

(٥) كذا قال المؤلف ، وهو مشعر بنسبة البيتين للبحتري ، والصحيح أنهما

قِفا نُعْطِ المنازِلَ من جُفُونٍ لها في الشَّوقِ أَحْسَاءٌ غِزار [1]

عفت آياتُهُنَّ ، وأيُّ رَبْعٍ يكون له على الزَّمنِ الخيارُ ؟ [2]

وقال أبو تمام حبيب بن أوس الطائي [3] :

يامنزِلاً أعطى الحوادِثَ حُكمها لا مَطْلَ في عِدَةٍ ولا تَسويفا [4]

أرسى بناديكَ النَّدى وتنفَّست نَفَساً بعَقوتِك الرياحُ ضعيفاً [5]

-لأبي تمام من قصيدة في ديوانه ٢/١٥٢ - ١٦٠ يمدح بها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شبانة ، وهما الثالث والرابع من أبياتها . والبيتان مع آخر يليهما لأبي تمام في أمالي المرتضى ٢/٣٤ أيضاً .

(١) الأحساء : جمع حسي ، وهو الرمل المتراكم أسفله جبل صلد . فاذا مطر الرمل نشف ماء المطر ، فاذا انتهى إلى الجبل الذي أسفله أمسك الماء ومنع الرمل حر الشمس أن ينشف الماء ، فاذا اشتد الحر نبث وجه الرمل عن ذلك الماء فنبع بارداً عذباً . « اللسان » .

(٢) عفا الأثر : اندرس وامَّحى . والآية : العلامة .

(٣) ديوانه ٢/٣٧٦ والأبيات من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف ويعرض بانسان وليَ الثُّغور مكانه ، وكان ناسكاً فهزم . ومطلعها :

أطلالُهم سلبَتْ دُماها الهيفا واستبدَلَتْ وَحْشاً بِهِنّ عُكوفا

(٤) قال التبريزي : يقال : سوّف الرجل: إذا أمطله ، ووعده وعوداً لا تُنجِح . أي : وعد الحوادث أن يدرس ويستوحش ، فلم يقدر على أن يمطلها ، ولا أن يسوفها .

(٥) يدعو للمنزل بالخِصب وتنسيم الرياح ، لأن النسيم ينفع ولا يضر ، وربما ضرّت الريحُ القومَ . وأرسى : أي : أقام . والعَقْوةُ : الساحة وما حول الدار .

شُعِفَ الغمـامُ بعَقْوَتيك وربَّما روَّت رُباكَ الهائمَ المشعوفا [1]

ولئن ثوى بك مُلْقياً أجرانه ضيفُ الخطوب لقد أصاب مَضِيفا [2]

وهي الفجائعُ لم تزلْ نكباتُها يألفْنَ ربـعَ المنزلِ المألوفا [3]

خَلَفَتْ بعَقْوتِـكَ السِّنونَ وطالمـا كانت بناتُ الدهر عنك خُلُوفا [4]

---

(١) في الاصل شعف الغرام والتصويب من الديوان. وفيه « بعرصتيـــك » مكان « بعقويتك ».شعف الغمام : استعارة ، وإنما أراد أنه يواصل المطرُ في هـذا المكان ، فكأنه قد شُعِفَ به . والشعف : غلبة الحب على القلب . الهائم : الذي يذهب على وجهه في الأرض من حب أو جنون . والمعنى : أن الغمام قد يُمطر الهائمَ المشعوفَ فيروى به ، وأنت يا ربع كأنك هائم بهؤلاء الذين كانوا فيك لما كنت تؤثرهم على سواهم . قال التبريزي : وهذا من دعوى الشعراء ، لأن المنازل لا تُحبّ ولا تُبغض . وقال ابن المستوفي « شعف الغمام بعرصتيك » دعاء له .

(٢) في الأصل « ولئن نزى » والتصويب من الديوان . وثوى : أقام . أجرانه : في الديوان : أجرامـه : وهما بمعنى ، قال في « اللسان » : ألقى فلان على فلان أجرامه ، وأجرانه ، وشراشـره . وقال التبريزي : ويقال : ألقى اجرامه بالمكان : إذا اقام ، والأجرام : جمـع جرْم ، وجمَعَه لأن كل عضو من البدن يجوز أن يجعل جِرْماً . قال الصولي : أي : وجد عندك ضيف الخطوب ما أراد ، لايحاشك من أهلك . وقال الخارزنجي : يريد : لقد اصاب ضيف الخطوب من يحسن ضيافتـه وقراه . ومَنْ روى « مضيفاً » بفتح الميم فهو موضع الضيافه ، وهو حسن .

(٣) في الديوان : وهي الحوادث . يقول : هذه الخطوب والأحداث هي فجائع لم تزل مولعة بألفة الربوع والمنازل التي كانت مألوفة بأهلها قبل خفوفهم عنها .

(٤) في الأصل : « الشؤون » قال التبريزي : كأنه يقول : خلف بعرصتك الجَدْبُ

أيامَ لا تسطو بأهلِك نَكْبةٌ ‏ إلا تراجعَ صرفُها مَصْروفا (١)

وقال أيضاً (٢) :

وأبي المنازلِ إنَّها لَشُجونُ ‏ وعلى الصَّبابَةِ إنَّها لَتبين (٣)

فاعقِلْ بِنضْوِ الدارِ نِضوكَ نقتسِمْ ‏ فيها الصَّبابةُ مُسعِدٌ ومعين (٤)

الخصبَ ، والوحشةَ الأنس ، وقال الخارزنجي : والسنون : القحط . وبنات الدهر : الشدائد . يقول : لما ارتحل عنك أهلك خلفتهم الشدائد . والخلوف : الغيب . قال الصولي : والقوم خلوف : إذا غابوا عن ربعهم وفارقوه ، وقوم خلوف : متخلفون في الدار ، وهذا من الأضداد .

(١) في « اللسان » وصرف الدهر : حدثانه ونوائبه .

(٢) ديوانه ٣/٣٢٣م والأبيات مطلع قصيدة يمدح بها الواثق بالله .

(٣) في الديوان : « وعلى العُجومة » قال التبريزي : أقسم بأبيها وإن كان لا أب لها اتساعاً . يقول : إن المنازل الخالية عن أهلها لهموم ، أقسم بها تعظيماً لها . والشجون ، جمع شجن : وهو الحزن ، أي : إنها تذكر العاشق العهود ، فتكسبه حزناً ، وعلى ما بها من العجمة تشكو سوء حال تأثير الزمان فيها ، وما ابتليت به من تسلُّط الدروس عليها لمفارقة سكانها . وإنما يريد : أن الواقف عليها باعتباره وتأمُّله يحصل له ذلك ، فكأن الدار عرفته وأخبرته .

(٤) كذا جاء البيت في أصل المؤلف ، ورواية الديوان :

. . . . . . يقتسم ‏ فرطَ الصبابةِ مسعدٌ وحزين

وهي أجود وأحكم . ونضو الدار : رسمها . ونضوك : راحلتك ، أي : اعقلها حتى يبكي المشتاق إلى من كان فيها .

لا تَمنعنّي وقْفةً أَشفـي بهـا   داءَ الصَّبابة إنَّها ماعُـون [١]

واسق الأثافيَ من شؤونك رِيَّهـا   إنَّ الضَّنين بدمعِه لضنـين [٢]

وقال أبو نواس الحسن بن هانىء [٣] :

عفـا المصلَّى وأقوت الـكُثُبُ   منّيَ فالمربـدانِ فاللَّببُ [٤]

فالمسجدُ الجامعُ المروءة والمجدَ عفـا   فالصَّمَّانُ فالرَّحبُ [٥]

منازلٌ قـد عمرتُهـا زمناً   حتى بدا في عِذاريَ الشُّهب [٦]

في فتيـةٍ كالسُّيوفِ هزُّهم   شرخ شبابٍ وزانهم أدب [٧]

---

(١) في الديوان : « داء الفراق فانها ماعون » قال التبريزي : الماعون : ما كان سهلاً يسيراً من الأشياء . ويسمى الماء: ماعوناً ، وكذلك العطاء السهل . و « الماعون » في الجاهلية : كان اسماً لكل ما ينتفع به من فأس وقـدْرٍ ودَلْوٍ الى غيرهـا . وفي الاسلام : هو اسم لمـا كان طاعة وحسناً من المنافع ، واشتقاقه من « المَعْن » وهو المعروف . فيقول : هذه الوقفة لي فيها نفع ، فتبرّعْ بها عليّ .

(٢) في الديوان : « من شؤوني » قال التبريزي : أي : مَنْ ضنَّ بدمعه مع الشوق الغالب ، فهو الغاية في البخل .

(٣) ديوانه ص ٣ .

(٤) الكثب : تلال الرمل ، جمع كثيب . وأقوت : خلت . المربدان : يريد المربد فثناه ضرورة ، والمربد : موضع بالبصرة ، وهو في الاسلام كعكاظ في الجاهلية .

(٥) في الديوان « الصيّحان »

(٦) في « الديوان » « يفعا » واليفع : الغلام قارب العشرين .

(٧) شرخ الشباب : أوله .

ثم أرابَ الزَّمانُ فاقتسَموا — أيدي سبا في البلادِ فانشعبوا [(١)]

لن يُخلِفَ الدَّهرُ مثلَهم أبداً — عليَّ هيهاتَ شأنُهم عَجَبُ

وقال البُحتري [(٢)] :

فيئي إليك فقد تخوَّنَ أُسرتي — حتْفُ الرَّدى وتحامُلُ النَّكَبات [(٣)]

تلك المنازِلُ ما تُمَتِّعُ واقفاً — بزُهى الشُّخوص ولاوغى الأصوات [(٤)]

لن تُخْلِفَ الأيامُ لي بدلاً بهم — أيهات من بدل بهم أيهاتِ [(٥)]

ومعيِّري بالدَّهر يعلمُ في غدٍ — أنَّ الحصادَ وراءَ كلِّ نبات

---

(١) أراب الزمان : صار ذا ريب ، والريب : صرفه وخطبه . انشعبوا : تفرقوا .

(٢) ديوانه ١ / ٣٦٣ والأبيات من قصيدة يفتخر بها ، ويعاتب قوماً من أهل بلده ومطلعها :

أحبِبْ اليَّ بطيف سُعْدى الآتي — وطروقـه في أعجَب الأوقات

(٣) في الديوان : « حيف الردى » والفيء : الرجوع . وتخون : تنقص .

(٤) الزُّهى : الزينة والايناق . وفي الديوان بعد هذا البيت :

أبني عُبَيدٍ شدَّ ما احترقتْ لكم — كبدي وفاضت فيكمُ عبراتي

ألقى مكارمَكم شجىً لي بعدَكم — وأرى سوابقَ مجدِكم حسراتي

شرف تفاقد وارثوه فأصبحوا — أصداء قفرٍ بالعراء رُفات

من بَعْدِ ما بُنيت على جبل العُلا — أحسابُهم وجرَوْا الى الغايات

كانوا همُ ثَبَج الجميع لطيّىءٍ — في أمرها وطوائف الأشتات

(٥) في الديوان : « لن تحدث الأيام » .

وقال كاسب بن غياث أحد بني حُن [١] :

هل مَنْزِلٌ دارسٌ يُبينُ ... سُؤالَ مَنْ مالَهُ مُعينُ

أَقوى وأَودَتْ بهِ اللّيالي ... وَصَرْفُ دَهْرٍ له فُنُونُ [٢]

فما بِرَبْعِهِ من أنيسٍ ... كأنَّ مَنْ فيه لم يكونوا

صاحَ بمن حلَّهُ زَمانٌ ... واخترَمَتْهُمْ بِهِ المنونُ

فكلُّ عَهدٍ لَهُمْ مُحيلٌ ... وكلُّ رَبْعٍ لهُمْ دفينُ [٣]

سوى الذي حلَّ في فؤادي ... من حبِّهم فهو لا يبينُ

وكلُّ حيٍّ إلى افتراقٍ ... تَشعَبُهُم نِيَّةٌ شَطونُ [٤]

---

(١) جاء في « جمهرة الأنساب »: وبنو حُن بن ربيعة أخي رزاح بن ربيعة لأبيه وأمه ، وهما قبيلا عذرة وفي « الاشتقاق » ٥٤٧ : ومنهم (أي من بني عذرة) بنو حن الذين يقول فيهم النابغة :

لقد قلت للنعمان يوم لقيته ... يريد بني حُنٍّ ببُرقةِ صادرِ

تجنّب بني حُنٍّ فان لقاءهم ... كريهٌ وإن لم تلق إلا بصابر

قلت : والبيتان في ديوانه ٤٦ : من قصيدة يمدح بها بني عُذرة .

(٢) دهر له فنون : أي ضروب ، يريد أن الدهر ذو تارات ، كما يهب يرتجع وكما يصفي يكدر .

(٣) في الأصل : محيل بفتح الميم ، والصواب ضمها ، قال في« اللسان » أحالت الدار : أتى عليها حول ، والمحيل : الذي أتت عليه أحوال وغيرته . والعهد : المنزل الذي لا يزال القوم اذا انتأوا عنه رجعوا اليه ، وكذلك المعهد .

(٤) شعبتهم : فرقتهم . والكلمة من الأضداد . يقال : شعبت الشيء : إذا جمعته وأصلحته ، وشعبته : إذا فرقته . والنية والنوى : الوجه الذي -

وقال آخر :

دَعني وتَسكابَ دَمعي في منازِلِهم فلِلشُّؤونِ ولي من بَعدِهم شانُ (١)

أحبابَنا ما الدِّيارُ اليومَ بعدَكُمُ تلكَ الدِّيار ولا الأوطانُ أوطانُ

وقال القاضي أبو المجدِ محمَّدُ بن عبدِ الله بن سليمان (٢) رحمه الله :

يا مَعشَرَ الأَحْبابِ قد أضحتْ منازِلُهم قُبورا

كنتُ الصَّغيرَ فليتَني لم أُدْعَ بعدَهمُ كبيرا

عن زُنام الزامر قال : لما اشتدَّ بالمعتصِم المرض الذي مات فيه ، أفاق في بعض الأيام ، فقال : هيئوا لي الزلال لأركب فيه في دجلة غداً ، فعملوه ، فركب وركبت معه ، فمرَّ في دجلة بإزاء منازله فقال : يا زنام ازمُرلي :

يامنزلاً لم تَبلَ أطلالُهُ حاشَ لأطلالِكَ أن تبلى

لم أبكِ أطلالَكَ لكنَّني بَكَيْتُ عيشي فيكَ إذ ولَّى

ـ ينويه المسافر من قرب أو بعد ، وهي مونثة لا غير . ونوى شطون : بعيدة ، قال النابغة :

نأت بسعاد عنك نوى شطون فبانت والفؤاد بها رهين

(١) الشؤون جمع شأن : وهي مواصل قبائل الرأس وملتقاها ، ومنها تجيء الدموع .

(٢) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سليمان ، أبو المجد التنوخي المعري ، وهو حفيد أخ لابي العلاء ، مارس القضاء ، ونظم الشعر ، ولما دخل الافرنج الى المعرة انتقل الى شيزر وتوفي بها ٥٢٣ هـ . وكان يفتي على مذهب الشافعي ، له ديوان شعر ورسائل .

والعيشُ أولى ما بكاهُ الفتى   لا بُدَّ للمحزون أن يسلى
قدْ كان لي فيكَ هوىً مرَّة   غيَّرَهُ الدَّهرُ وما ملَّا

فما زال ينتحب حتى عاد إلى منزله .

مات المعتصِمُ رحمه الله لثماني عَشْرةَ [ليلة] بقيت من ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومائتين [١] .

وحدثني من أَثِقُ به أَنه لما وقع بمصر الغلاء العظيم في أيَّام المستنصر بالله [٢] واستولت كتامة [٣] والجندُ على الدولة ، واستنفدوا ما في الخزائن من الأموال ، وتضعضعتِ الدولة ، أمر المستنصر بإحضار ابن الجوهري الواعظ ، فحضر ونُصِبَ له كرسيٌّ ، فلما صَعِدَ على الكرسيِّ ، تلفَّت يميناً وشمالاً إلى نواحي القصر ، ثم أنشد :

يا مَنْزِلاً لم تَبلَ أطلالُه   حاشا لأطلالك أن تبلى

الأبيات .

فارتفع البكاء والضجيج في القَصر ، وما زاد على ذلك ، يُستعاد منه ، ويكرره حتى انقضى المجلس .

---

(١) الخبر بنحوه مع زيادة في آخره في « تاريخ الطبري » ١١/٦ طبعة الحسينية .

(٢) هو معد (المستنصر بالله) بن علي بن الحاكم بأمر الله ، (٤٢٠ – ٤٨٧ هـ) من خلفاء الدولة العبيدية بمصر ، مولده ووفاته فيها .

(٣) كتامة : قبيلة بربرية ، عرفت بالشدة والبأس والقوة ، وطول الباع في الملك ، انظر خبرها في « تاريخ ابن خلدون » ١٤٨/٦ .

وقال آخر :

أحِبُّ منازِلَ الأحبا ... بِ إن غابوا وإن حَضَروا
وأسقيها دُموعَ العيـ ... ـنِ إن لم يَسقِها المطَرُ
بقدْرِ كرامةِ الأحبا ... بِ يُكرَمُ بَعدَها الأثَرُ
ولولا راحةُ الشَّكوى ... لكان القلبُ ينفَطِرُ

وقال آخر(١) :

---

(١) الأبيات مع خبرها في « معجم ما استعجم » ٢/٥٨٠ ، و « معجم البلدان » ٤/١٣٩ ، و « مسالك الأبصار » ١/٣٣٢ قال أبو الفرج : حدثني جعفر بن قدامة، قال : حدثني أبو عبد الله بن حمدون ، قال : كنت مع المتوكل لما خرج الى الشام ، فركب يوماً من دمشق يتنزه في رصافة هشام ، يزور قصوره وقصور ولده ، ثم خرج فدخل ديراً هناك قديماً من بناء الروم ، بين أنهار ومزارع وأشجار ، فبينا هو يدور ، إذ بصر برقعة ملصقة ، فأمر أن تقلع ، فقُلِعَت ، فاذا فيها .

أيا منزلاً بالدير أصبح خاليا ... الابيات

قال : فلما قرأها المتوكل ارتاع لها وتطير ، وقال : أعوذ بالله من سوء أقداره ، ثم دعا بصاحب الدير ، فقال له : من كتب هذه الرقعة ؟ فأقسم أنه لايدري ، قال : وأنا منذ نزل أمير المؤمنين هذا الموضع لا أملِك من أمر هذا الدير شيئاً ، يدخله الجند والشاكرية ، ويخرجون ، وغاية قدرتي أني متوارٍ في قلايتي ، فهمّ بضرب عنقه ، وإخراب الدّير ، فكلمه صحبه الى أن سكن غضبُه ، ثم بان بعد ذلك أن الذي كتب الأبيات رجل من بني روح بن زنباع الجذامي ، وأمه من موالي هشام بن عبد الملك .

أَيا مَنزِلاً بالدَّيرِ أصبحَ خالياً تَلاعَبُ فيه شَمألٌ ودَبورُ [١]

كأنَّكَ لم تَسكُنْك بيضٌ نواعِمٌ ولم تَتبخْتَر في فِنائِك حُورُ [٢]

وأبناءُ أملاكٍ كِرامٌ وسادَةٌ صغيرُهم بين الأنامِ كبيرُ [٣]

إذا لَبِسوا أدراعَهم فَضَراغِمٌ وإن لَبِسوا تيجانَهم فبدورُ [٤]

وقال الحارث بن شداد أخو بني كعب بن عمرو :

إلى الله أشكو ما أرى من عَشيرتي وما كنتُ فيما قد مضى أستزيدُها

تُذكِّرُنيهم وَحدتي ومنازِلٌ سواءٌ علينا رثُّها وجديدُها

أرى الناس راعوا للدِّيار وللحَيا وكعبُ بن عمرو لا يَريعُ شريدُها [٥]

أنشدني الخطيب العالم قدوة الشريعة أبو زكريا يحيى بن سلامة الحصكفي [٦]

---

(١) الدبور : الريح التي تقابل الصّبا .

(٢) في « معجم ما استعجم » و « المسالك » و « معجم البلدان »: « بيض أوانس » .

(٣) في « معجم ما استعجم » عباشِم سادة . . . صغيرهم عند الأنام . . والعباشم : نسبة إلى عبد شمس .

(٤) في « معجم ما استعجم » و « معجم البلدان »: « فعنابس » والعنبس : من أسماء الأسد ، وفي « اللسان » والعنابس من قريش: أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر ، وهم ستة : حرب وأبو حرب ، وسفيان وأبو سفيان ، وعمرو وأبو عمرو ، وسموا بالأسد ، والباقون ، يقال لهم : الأعياص .

(٥) في « اللسان » الحيا : الخصب ، وراع الشيء ريعاً : رجع وعاد ، قال البعيث :

طمِعْتَ بليلى أن تريع وإنّما تُضرِّبُ أعناقَ الرِّجال المطامعُ

(٦) هو يحيى بن سلامة بن الحسين ، أبو الفضل معين الدين (٤٥٩ - ٥٥١ هـ)-

رحمه الله عند اجتماعي به بميَّافارقين [١] في سنة سبع وعشرين وخمسمئة لبعض أهل المعرَّة، وقد اجتاز بقريةٍ من أعمال المعرَّة، يقال لها: سياث [٢] وفيها علوجٌ من الإفرنج يهدِمون من جُدرانها الحجارة، ويكسرونها بالمعاول ليخفَّ عليهم حملُها، فوقف كالمتأسِف وقال:

مررتُ برَبعٍ من سياثٍ فهاجني بها زَجَلُ الأحجار تحت المعاولِ [٣]

ـ الخطيب الحصكفي الطنزي الفقيه النحوي الكاتب الشاعر ولد في ـ طنزة في ديار بكر ـ ونشأ في حصن كيفا، وقدم بغداد، فأخذ بها الأدب عن الخطيب أبي زكريا التبريزي، وتفقه على مذهب الشافعي، ثم رحل إلى ميّافارقين فسكنها وولي بها الخطابة، وصار إليه أمر الفتوى، وتوفي فيها.

(١) ميافارقين: بتشديد الياء، بعدها فاء وألف وراء مهملة وقاف مكسورة بعدها ياء ونون: بلد معروف بديار بكر. بينه وبين آمد ثلاثة برد.

(٢) سياث، بكسر أوله وبعد الألف ثاءٌ مثلثة، قال ياقوت: كانت بليدة بظاهر معرّة النعمان، وهي القديمة، والمعرة اليوم محدثة، كذا ذكره ابن المهذب في «تاريخه». قال: وقد اجتاز بها القاضي أبو يَعْلَى عبد الباقي بن أبي حصن المعري والناس ينقضون بنيانها ليعمروا به موضعاً آخر، فقال: وذكر الأبيات.

(٣) في «معجم البلدان»:

مررت برسم في سياث فراعني بن زَجَلُ الأحجار تحْتَ المعاول

قال في «اللسان» والزجل بالتحريك: اللعب والجلبة ورفع الصوت، وخص به بعضهم: التطريب، وأنشد سيبويه للشماخ.

له زجَلٌ كأنّه صوت حادٍ إذا طلب الوسيقة أو زمير

قلت: والبيت في «الكتاب» ١١/١، قال الأعلم: أراد كأنهو فحذفت الواو ضرورة ـ

تصدّى لها عَبلُ الذِراع كأنّما جنى الدهرُ فيما بينهم حَرْبَ وائل (١)
فقلتُ له شَلّتْ يمينُك خلِّها لمستَخبِرٍ أو واقفٍ أو مُسائل (٢)
منازلُ قومٍ حدَّثتْنا حديثَهم ولم أرَ أحلى من حديثِ المنازلِ

وقال آخر :

إذا أنت لم تَرعَ العُهودَ لمنزلٍ فلستَ براعٍ عَهدَ أهلِ المنازلِ
ولا سيّما دارٌ وُلِدْتَ بربعها وكنتَ بها جَذْلانَ في خير آهل

ـ والزّجل : رفع الصوت الطرِب . وفي حديث الملائكة : « لهم زجَلٌ بالتسبيح » أي : صوت رفيع عال . وسحاب زَجل : أي : ذو رعد .

(١) في « معجم البلدان » :

تناولها عَبْلُ الذراع كأنما رمى الدهر فيما بينهم حرب وائل

والعبل : الضخم من كل شيء . ورجل عبل الذراعين : أي : ضخمها . وحرب وائل : يريد حرب البسوس ، وقعت بين بكر وتغلب ابني وائل ، ومكثت أربعين سنة . والبسوس : اسم امرأة وهي خالة جسّاس بن مرة الشيباني ، كانت لها ناقة يقال لها : « سراب » فرآها كليب وائل في حِماه وقد كسرت بيض طير كان قد أجاره ، فرمى ضرعها بسهم ، فوثب جسّاس على كليب فقتله ، فهاجت حرب بكر وتغلب ابني وائل بسببها أربعين سنة ، حتى ضربت بها العرب المثل في الشؤم ، وبها سميت الحرب .

(٢) في « البلدان » :

أتُتْلِفُها شَلَّتْ يمينك خلِّها لمُعتبرٍ أو زائرٍ أو مسائلِ

يقال : شَلَّت يده تَشَلّ بالفتح ، وأشلها الله . قال الفراء : لا يقال : شُلَّت يدُهُ ، وإنما يقال : أشلَّها الله .

وقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي [١] :

هاج ذا القلبَ منزلُ	بالبُلَيَّيْنِ مُحْوِلُ [٢]
غَيَّرَتْ آيه الصَّبا	وَجَنوبٌ وشَمْأَل
فلئن بان أهلُه	لبِما كان يُؤْهَلُ [٣]
قد أرانا بغِبْطَةٍ	فيه نَلْهو ونَجْذَلُ

---

(١) هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي القرشي أبو الخطاب (٢٣ – ٩٣ هـ) أرق شعراء عصره ، ولم يكن في قريش أشعر منه ٠

(٢) رواية البيت في « الديوان » ص : ٣٤٠

هاج ذا القلب منزلٌ دارس الآي محول

وهاج القلب : أثار أشجانه وحرك بلابله . ودارس : ذاهب المعالم طامس الآثار . والآي : جمع آية ، وهي العلامة . محول . أتى عليه حول . والبُلَيّين ، بالضم ثم الفتح كأنه تثنية ُبلَيّ . قال في « البلدان » . تثني الشعراء هذا وأمثاله كثيراً إما يعتقدون ضمّه إلى موضع آخر ثم يثنونه ، كما قالوا : القمران والعمران ، وإما لاقامة وزن الشعر . « وُبلي » بكسر اللام قد ذكرت في شعر عمر بن أبي ربيعة . قال :

سائلا الربع بالبُلي وقولا هِجْتَ شوْقاً لي الغداة طويلاً

(٣) في « الديوان » : فبما كان يؤهل ، ورواية الأصل هي الصواب ، لانه اذا اجتمع شرط وقسم فالجواب للسابق ، وقبل البيت :

ولقد كان آهلاً فيه ظبي مبتّل
طيّبُ النشر واضح أحورُ العين أكحل

وقال جريرُ بنُ عطيّة بن الخطفى [١] :

ذُمَّ المنازلَ بعدَ مَنْزِلَةِ اللّوى والعيشَ بعد أولئك الأقوام [٢]

ضَرَبتْ معارِفها الروامسُ بعدَنا وسِجالُ كلّ مُجَلجِلٍ سَجّام [٣]

---

(١) ديوانه : ٥٥١ والأبيات من قصيدة يرد فيها على الفرزدق ، وهي من «النقائض» ١ / ٢٥٦ وأولها:

سَرَتِ الهُمُومُ فَبِتْنَ غير نيام وأخو الهموم يروم كلّ مرام

ذُمّ المنازل . . . . . .

(٢) في الأصل « ذم » بصيغة الماضي . واللّوى : بالكسر وفتح الواو والقصر : قال في « البلدان » : وهو في الأصل منقطع الرملة ، يقال : قد ألويتم ، فانزلوا: إذا بلغوا منقطع الرمل ، وهو أيضاً موضع بعينه ، قد أكثرت الشعراء من ذكره وخلطت بين ذلك اللوى والرمل فعزّ الفصل بينهما . وهو في واد من أودية بني سليم . ومما يدل على أنه واد ، قول بعض العرب :

لقد هاج لي شوقاً بكاءُ حمامةٍ ببطن اللّوى ورقاء تصدع بالفجر

والمنزلة والمنزل : موضع النزول .

(٣) معارفها : قال أبو عبيدة : ما بقي من آثار الدار مما يعرف مثل الحائط الدارس حتى يبقى جذمه ، أو العرصة قد امحّت إلا ما بقي من رسمها وموضعها الذي تعرف بـه . والرواسم من الرياح : ذات التراب ، والرمس : التراب بعينه . والمجلجل : يريد صوت الرعد من السحاب . وقوله : سجال : يريد مطرة بعد مطرة . والسجل : الدلو . وإنما شبه المطر في كثرته به ، يريد كأن القطر في عظمه إذا دفع بالارض كوقع مصبّ الدلو في كثرته وعظمه .

ولقد أراكِ وأنتِ جامعةُ الهوى   يُثنى بعهدِكِ خيرَ دارِ مُقام [1]

وإذا أتيتُ على المنازل باللِّوى   فاضتْ دموعي غيرَ ذاتِ نظامِ [2]

وقال أبو حيَّة النميري [3] :

ألا حَيِّيا قَصْراً رُسومَ المنازل   بسُلَّانَ سُلْمانَيْنِ أو مِيْثِ عاقل [4]

---

(١) في « الديوان» و «النقائض» تثني . جامعة الهوى : قال أبو عبيدة : أي : مجتمعة الهوى ، لم يفترق ، وكان فيك مَنْ يحبني وأحبه ، فهذا اجتماع الهوى . وروى : أثني ، أي : أثني بما كنا أولينا ، ونصب خير على النداء ، والمعنى في ذلك : أراك خير دار مقام .

(٢) في «النقائض» و «الديوان» : « فاذا وقفت على المنازل » قال أبو عبيدة : وروى : مررت ، وروى : دموعك . وغير ذات نظام : أي تقطر قطراً غير متسق لكثرته .

(٣) هو الهيثم بن الربيع بن زرارة من بني نمير بن عامر ، أبو حية (٠٠٠-١٨٣ هـ) شاعر مجيد ، فصيح راجز من أهل البصرة ، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية .

(٤) في الأصل « سلمانين أو ميث » بفتح أولها. وفي « اللسان » أتيته قصراً ، أي : عشياً . والسُّلان : بضم أوله وتشديد ثانيه على وزن فعلان . قال البكري : موضع بين البصرة واليمامة . وقال الخليل : السِّلان بالكسر ، والسليل ، والسِّلة : أودية بالبادية معروفة . وسُلمانين : بضم أوله وتكرير النون ، علم مرتجل بلفظ التثنية ، قال البكري : واد بين تبْرع وبين العتَك . وقال في « البلدان » هما واديان في جبل لغني ، يقال له : سواج . ومَنْ روى : بلفظ جمع السلامة لسلمان ، فقال : سلمانين واد يصبُّ على الدهناء شمالي الحفر حفر الرِّباب بناحية اليمامة بموضع يقال له: الهُرار . وميث : بكسر أوله وسكون ثانيه ، والميثاء : الرملة اللينة، وجمعها-

خلتْ مِنْ أنيسٍ صالحينَ فأصْبَحتْ ... مَراداً لوحْدانِ النّعاجِ الخَواذلِ (١)

بما قد أرى الحيَّ الجميعَ بغِبطةٍ ... بها ، والنَّوى قطَّاعةٌ للوسائلِ (٢)

وقال أيضاً :

أأبكاكَ رسمُ المنزلِ المتقادِمِ ... بأمراشَ أقوى من حُلولِ الأخارِمِ (٣)

ميث ، وذو الميث : موضع بعقيق المدينة . العاقل ، بكسر القاف على وزن فاعل : قال البكري : قال عمارة : هو ماء لبني أبان بن دارم من وراء القريتين ، وقال الطوسي عن شيوخه : هو جبل كان يسكنه حُجْرٌ أبو امرىء القيس .

(١) الأنيس : المؤانس ، وكل ما يؤنس به ، ومراداً : من رادت الابل ترود رياداً في المرعى مقبلة ومدبرة ، وذلك ريادها ، والموضع : مراد . الوُحدان : جمع الواحد ، ويقال : الأحدان في موضع الوحدان ، وفي حديث العيد « فصلينا وُحداناً » أي : منفردين . النعاج : جمع النعجة ، وهي الأنثى من الظباء والبقر الوحشي والشاء الجبلي ، والجمع نعاج ونعجات . قال أبو عبيد : ولا يقال لغير البقر من الوحش: نعاج . والخواذل : جمع خاذل ، من خذلت الظبية والبقرة وغيرهما من الدواب ، وهي خاذل وخذول : إذا تخلفت عن صواحبها وانفردت ، وقيل : تخلفت فلم تلحق . وخذلت الظبية : أقامت على ولدها .

(٢) الحي الجميع : المجتمع . الوسائل : جمع الوسيلة ، وهي الوصلة والقُربى . وقال الجوهري : الوسيلة ما يتقرب به إلى الغير .

(٣) لم أجد هذه الأبيات في كتب الأدب ، ولعلها مطلع القصيدة التي منها الأبيات السائرة :

وخبرك الواشون أن لن أحبكم ... بلى وستور الله ذات المحارم

انظر « الامالي » ٢/٢٨٠ ، و « السمط » ٩٣٤ . وفي الأصل تحت كلمة

فأمرتْ به عيناكَ لما عَرَفْتها بمبتدرٍ نظمَ الفريدينِ ساجم [(١)]

لِعرفانِك الرَّبعَ الذي صَدعَ العصا به البينُ صَدعاً ليس بالمتلائم [(٢)]

فقد كنت أدري أنَّ للبين صَيْحةً على الحيِّ في يومٍ لنفسِكَ ضائم

ـ « أمراش » : موضع . والرسم : الأثر الباقي من الدار بعد أن عفت . وأمراشَ : قال « ياقوت » : بالشين المعجمة ، موضع فيه روضة .

قلت : وقد ذكرها في الرياض ، واستشهد بقول بعض بني نمير :

بروضة أمراشٍ رمتنا بطرفها أناةَ الضُّحى كسلى القيامِ عرُوبَ

وأقوت الدار والأرض : خلت من أهلها .

(١) أمرت : أصله من المري ، وهو مسح ضرع الناقة لتدر ، يقال : مرى الناقة مرياً : مسح ضَرْعها لِلدِّرَّة ، والاسم : المرْية ، وأمرت هي : درّ لبنها . والفريد والفرائد : الشّذر الذي يفصل بين اللؤلؤ والذهب ، واحدته فريدة . والفريد : الدرُّ اذا نُظم وفُصِلَ بغيره . وسجم الدمع سجوماً وسجاماً : سال .

(٢) قوله : صدع العصا : قال في « اللسان » : وأصل العصا ، الاجتماع والائتلاف . ومنه : إياك وقتيل العصا ، معناه : إياك أن تكون قاتلاً أو مقتولاً في شق عصا المسلمين . وانشقت العصا : أي : وقع الخلاف ، ويقال للرجل إذا أقام بالمكان واطمأن : ألقى عصاه وألقى بوانيَه . وقال أبو الهيثم : العصا تضرب مثلاً للاجتماع ، ويضرب انشقاقها مثلاً للافتراق الذي لا يكون بعده اجتماع ، وذلك لأنها لاتُدعى عصا إذا انشقت . المتلائم : من قولك : لأمت الجرح والصدع : إذا شددته فالتأم ، ولاءَمت بين القوم ملاءَمة : إذا أصلحت وجمعت ، وإذا اتفق الشيئان فقد التأما .

وقال الراعي ، وهو عبيدُ بنُ حُصين النُّميري [1] ، وكان قومُه ارتحلوا ، فصار بعضهم إلى العراق ، وبعضهم إلى الشام :

تذكَّرت فاستبكاكَ رَسْمُ المنازلِ ‏ ‏ بقارة أَقوى أو بسوقة حائلِ [2]

---

(١) هو عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل من بني نمير (٠٠ - ٩٠ هـ) شاعر من فحول المحدثين ، عاصر جريراً والفرزدق .

(٢) في « الأمالي ٢/١٤٠ » : قال أبو عمرو بن العلاء : سمعت جندل بن الراعي ينشد بلال بن أبي بردة قصيدة أبيه :

نعوسٌ إذا درّت جروزٌ إذا غدت ‏ ‏ بويزل عامٍ أو سديسٌ كبازلِ

قال : فكاد صدري ينفرج لحسن إنشاده ، وجودة الشعر . وقال البكري في « السمط » ٢/٧٦٤ :

هذا بيت من القصيدة ، وأولها :

تذكرت واستبكاك رسمُ المنازل ‏ ‏ بقارةَ أهوى أو ببرقة حائل

ورواية البيت في « اللسان » مادة هنف :

تهانفت واستبكاك رسم المنازل ‏ ‏ بسوقة أهوى أو بقارة حائل

وقد أنشده بعد قوله . وقد يكون « التهانف » بكاء غير الطفل ، ثم قال : فهذا هنا إنما هو للرجال دون الأطفال ، لأن الأطفال لا تبكي على المنازل والأطلال ، وقد يكون « تهانفت » تشبهت بالأطفال في بكائك .

ورواه في « معجم البلدان » :

بقارة أهوى أو بسوقة حائل

وقال : أهوى ، بالقصر : موضع بأرض هجر ، قال الحفصي : أهوى : أرض باليمامة ثم من بلاد قشير ، وقيل: ما آن لحمان ، وهما المروت ، وأهل المروت بنو حمان -

خَلَتْ من جميعٍ ساكِنٍ وتبدَّلت ظِباءَ السَّليل بعد خالٍ وجامل [١]

ذكرْتُ بها مَنْ لن أُباليَ بَعدهُ تفرُّقُ حيٍّ في النَّوى متزايل [٢]

وإنَّ امرءاً بالسّيف أكبرُ همِّه وبُطنان ليس الشَّوقُ عنه بغافل [٣]

ـ وهو جبل فيه مياه ومراتع ، وبين أهوى ، وحجر اليمامة أربعة ليال . وفي « اللسان » مادة سوق : سوقة أهوى وسوقة حائل : موضعان ، وأنشد البيت .

(١) الجميع : الحيّ المجتمع . والسليل : بفتح أوله وكسر ثانيه . قال في « البلدان » قال الليث : السليل والسُّلان : الأودية . وقيل : العرصة التي بعقيق المدينة . وفي « اللسان » وإنه لخال مالٍ ، وخائل مال ، وخولُ مالٍ ، أي : حسن القيام على نعمه يدبره ويقوم عليه . والجامل : القطيع من الابل مع رعاته وأربابه .

(٢) متزايل : من تزيّل القوم تزيُّلاً وتزييلاً : تفرقوا . والتزايل : التباين . والمزايلة : المفارقة .

(٣) رواية البيت في « معجم ما استعجم » ١/٢٥٩

وإن امرءاً بالشام أكثر أهله وبُطنان ليس الشوق عنه بغافل

وقال : بطنان على لفظ جمع بطن : موضع من أرض الشام . وكان عبد الملك يشتو به في حربه مصعباً ، ومصعَب يشتو بمسكن قال كثير :

وما لست من نصحي أخاً لي بمنكر وبطنان إذ أهل القباب عماعم

وقال الراعي :

وإن امرءاً . . . . البيت

وقال جرير بن عطية [١]

شَعِفْتَ بعَهْدٍ ذكَّرتْهُ المنازِلُ وكيف تناسي الحِلم والشَّيبُ شامل [٢]
لعمْرُكَ لا أنسى ليالِيَ مَنْعِجٍ ولا عاقلاً إذ مَنزلُ الحيِّ عاقِل [٣]
فيا حبذا أيامَ يحتلُّ أَهلُها بذاتِ الغضى والحيُّ في الدار آهِل [٤]
وإذ نحن أُلَّافٌ لدى كلِّ مَنْزلٍ ولما تفرَّقْ للطِّيات الحمائل [٥]

---

(١) ديوانه : ٤٣٩ من قصيدة يمدح بها الحجاج بن يوسف الثقفي .

(٢) في « الديوان » : « وكدت تناسى » وشعفت : من الشعف ، وهو شدة الحب . يقال : شعفني حبها : أصاب مني شَعْفَةَ القلب ، أي : رأسه عند معلَّق النياط . قال الأزهري : ما علمت أحداً جعل للقلب شعْفَة غير الليث ، والحب الشديد يتمكن من سواد القلب لا من طرفه .

(٣) منعج : بفتح أوله وإسكان ثانيه ، بعده عين مهملة مكسورة : واد يأخذ بين حفر أبي موسى والنِّباج ، ويدفع في بطن فلج ، ويوم منعج من أيام العرب لبني يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناه بن تميم على بني كلاب . وعاقل : وادٍ لبني أبان بن دارم من دون بطن الرمة ، وهو يناوح منعجاً من قدامه وعن يمينه ، أي : يحاذيه ، قال ذلك السكري في شرح قول جرير : لعمرك لا أنسى . . « معجم البلدان »

(٤) في « الديوان » :

ألا حبذا أيامَ يحتلُّ أهلنا بذات الغضى والحيُّ في الدار آهل

والآهل : العامر ، يريد أن الدار آهلة بالحي .

(٥) في « الديوان » « الجمائل » وهي جمع : جمال . والطيات : قال في ـ

وقال أيضاً [١] :

حَيِّ المنازِلَ إذ لا نبتغي بَدَلاً بالدّار داراً وبالجيران جيرانا [٢]

نُهْدي السَّلام لأهلِ الغَوْرِ من مَلَحٍ هيهاتَ مِنْ مَلَحٍ بالغورِ مَهْدانا [٣]

- « اللسان » : الطَّيّة : الوطن والمنزل والنيّة . وبعدت عنا طِيَّته : وهو المنزل الذي انتواه ، والجمع طيّات ، وقد يخفف في الشعر .

(١) ديوانه ٥٩٣ والأبيات من قصيدة يهجو بها الأخطل ، أولها :

بانَ الخَليطُ ولو طُووِعتُ مابانا وقطّعوا من حِبالِ الوَصْلِ أقرانا

ومن أبياتها السّائرة :

إن العُيون التي في طَرْفِها مَرَضٌ قَتَلْنَنا ثُمّ لم يُحيين قتلانا

يصرعن ذا اللبِّ حتى لا حراك به وهنّ أضعف خلقِ الله أركانا

(٢) في الديوان بعد هذا البيت :

قد كنتُ في أثرِ الأظعانِ ذا طربٍ مروّعا من حذار البين محزانا

يا رُبَّ مكتئبٍ لو قد نُعيت له باكٍ وآخر مسرورٍ بمنعانا

لو تعلمين الذي نلقى أويتِ لنا أو تسمعين إلى ذي العرش شكوانا

كصاحبِ الموج إذ مالت سفينته يدعو إلى الله إسراراً وإعلانا

يا أيها الراكبُ المُزجي مطيّته بلغ تحيّتنا لُقّيت حُملانا

بلغ رسائل عنّا خفّ محملُها على قلائصَ لم تحملْنَ حيرانا

كيما نقولَ إذا بلّغْتَ حاجتنا أنت الأمين إذا مستأمنٌ خانا

(٣) مَلَح : بفتح أوله وثانيه : قال في « البلدان » : ذكر السكري في شرح شعر جرير : أنه ماء لبني العَدَويّة . والغور : ما انحدر واطمأن من الأرض وهو هنا موضع بعينه .

أحببْ إليَّ بـذاك الجزعِ منزِلةً بالطَّلحِ طَلْحاً وبالأعطانِ أعطانا (١)

روي أن أبا عمرو ابن العلاء (٢) رحمـه الله غاب عن البصرة عشرين سنة ، ثم عاد فجلس مجْلِسَه في الجامع ، ففقد إخوانَـه وأصحابـه الذين كانوا يقعدون إليه ، فبكى وأنشأ يقول :

يا مَنزل الحيّ الذيـ ـن تفرّقت بهم المنازِلْ

أصبحْت بعد عِمارةٍ قَفراً تهبُّ بـك الشّمائل (٣)

فلئن رأيتُك مُوحشاً فبما رأيتُ وأنت آهل (٤)

وقال عديٌّ بن الرِّقاع العاملي (٥) :

---

(١) جزع الوادي : بالكسر : حيث تجزعـه ، أي : تقطَعُـه . أو هي هنا : محلة القوم . الطلح : شجرة حجازية ، جناتُها كجناة السّمُرة ، ولها شوك أحجن ، ومنابتها بطون الأودية ، وهي أعظم العضاة شوكاً ، وأصلبهـا عوداً ، وأجودها صمغاً . والعطن للابل : كالوطن للناس ، وقد غلب على مبركهـا حول الحوض ، والجمع أعطان . وفي الحديث «صلوا في مرابض الغنم ولا تصلوا في أعطان الابل» .

(٢) هو زبان بن عمار التميمي المازني البصري ، أبو عمرو ، ويلقب أبوه بالعلاء (٧٠ - ١٤٥ هـ) من أئمة اللغـة والأدب ، وأحـد القراء السبعة ، ولد بمكة ، ونشأ بالبصرة ، ومات بالكوفة .

(٣) الشمائل : جمع الشمال ، وهي الريح التي تهبّ من ناحية القطب .

(٤) كذا الأصل « فبما » والصواب « لما » انظر ص : ٢٧ التعليق رقم : ٣ .

(٥) هو عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرّقاع ، من عاملة (٠٠ - نحو ٩٥ هـ) كان شاعراً مقدماً عند بني أمية ، مداحاً لهم ، خاصاً بالوليد بن عبد الملك . والبيت-

فهلَ انتَ منصرفٌ فتنظُرَ ما ترى أبقى الحوادثُ من رُسُوم المَنزل [١]

دار بإحدى الرِّجلَتين كأنَّها قد عُفِّيتْ حِججاً ولَّما تُحلل [٢]

وكأنَّ سُهكَ المُعصِراتِ كَسَوْنَها تُربَ الفدافدِ واليفاع بمُنخُل [٣]

فسُقيتِ من دارٍ وإن لم تَسْمعي أصواتَنا مَطَرَ الربيع المُسبِل

قد كان أهلُك مَرَّةً لك زينةً فاستبْدلوا بَدَلاً ولم تستبدلي

فابكي إذا بكَتِ المنازلُ أهلَها مَعذورةً وظَلَمتِ إنْ لَمْ تَفْعلي

أهلاً كِراماً لن يَحُلَّكِ مِثْلُهم في ذا الزَّمانِ ولا الزَّمانِ المُقبِل

ـ الأول والثاني في « الشعر والشعراء » ٦٠٣/٢ من جملة أبيات ، استهلها ابن قتيبة بقوله : وقال في آخر الرحلتين ، بالحاء المهملة ، وكذلك جاءت في البيت الثاني وهو تصحيف .

(١) في « الشعر والشعراء » هل أنت منصرف فتنظر ما ترى .

(٢) الرجلتين : قال البكري : رجلة بكسر أوله وإسكان ثانيه وهي ثلاث رِجَل . رجلة التيس ، ورجلة أحجاء ، ورجلة أبلي . وزاد « ياقوت » رجلتا بقر ، وكلها مواضع . وقال أبو حنيفة : والرِّجلة : مسيل يُنبت الكلأ . عُفّيت : قال في « اللسان » : عفا المنزل يعفو ، وعفت الدار ونحوها عفاءً وعفوّاً ، وعفَّت وتعفَّتْ تعفّياً : درست ، يتعدى ولا يتعدى ، والتشديد للمبالغة .

(٣) البيت في « اللسان » وفيه « البقاع » بدل « اليفاع » وسهك المعصرات : قال أبو حنيفة : وقال قوم : إن المعصرات الرياح ذوات الأعاصير ، وهو الرهج والغبار ، واستشهدوا بقول الشاعر :

وكأن سهك المعصرات . . . البيت ـ

وقال أيضاً [١] :

لمن المنــازلُ أقفرتْ بعبــاء ... لو شِئتُ هيَّجتِ الغـداة بكائي [٢]

لولا التجلُّدُ واعترافي أنَّـهُ ... لا قومَ إلا عَقْرُهم لِفَناء [٣]

لرثيتُ أصحابي الذينَ توجَّهوا ... ودعوتُ أخْرسَ لا يُجيبُ دُعائي [٤]

وفراق ذي حَسَبٍ ورَوْعة فاجعٍ ... داويتــه بتجمُّــلٍ وعَزاء [٥]

ـ وسهكه يَسْهَكه ، لغة في سحقه . وقيل : السَّهك : الكسر ، والسحق بعد السهك ،وسهكت الريح : إذا أطارت ترابها،وسهكت الريح : أي : مرت مرّاً شديداً . الفدافد : جمع الفدفد وهي الفلاة التي لا شيء بها ، وقيل : هي الأرض الغليظة ذات الحصى . والفدفد أيضاً : المكان المرتفع فيه صلابة . اليفاع : المشرف من الأرض والجبل ، وقيل : التل المشرف .

(١) الأبيات الثلاثة في « معجم البلدان » ٣٠٤/٦ . وفي « الشعر والشعراء » ٦٠٣/٢ في ترجمة عدي قصيدة في عمر بن الوليد يشبه أن تكون هذه الأبيات مطلعها .

(٢) في « معجم البلدان » « بغباء » بالغين المعجمة ، وقال ياقوت : غباء بالفتح والمد : موضع بالشام ، وذكر البيت ، وجاء فيه بعده :

فالغمر غمر بني جذيمة قــد ترى ... مأهولةً فخلت من الأحيـاء

(٣) في « معجم البلدان » لولا التجلد والتعزي أنه : وفي « اللسان » العقر : المنزل والضيعـــة .

(٤) في «معجم البلدان» ناديت أصحابي . . . . ما يجيب . . . .

والأخرس : يريد بهـا الأطلال .

(٥) ريع فلان يُراع ، إذا فزع . وراعه الشيء رؤوعاً ورووعاً وروعةً : ـ

لِيرى الرجالُ الشامتون صَلابتي وأكفّ ذاك بعفّةٍ وحياء

وقال البحتري [١] :

منازلُ أضحتْ للرّياح منازلاً تَرَدّدُ فيها بين نُؤيٍ ورِمْدِدِ [٢]

شجَتْ صاحبي أطلالها فتهلّلتْ مدامِعُهُ فيها وما قُلتُ أسعِدِ [٣]

وقَلّتْ لعيني في المنازِلِ عَبْرةٌ من الشَّوْق لم تُمْلَكْ بصبْر فتُرْدِدِ [٤]

وقال أيضاً :

سألتُ الغوادي مُلحِفاً في سُؤالها وناشدتُها في سَقْي بُرْقَةِ ثَهْمَدِ [٥]

ـ أفزعه بكثرته أو جماله . والتجمل : تكلف الجميل ، والعزاء : الصبر عن كل ما فقدت ، وقيل : حسنه .

(١) ديوانه ١/١٤٩ وهي . من قصيدة يمدح بها أحمد بن المدبر ، أولها :

لَعَمْرُ المغاني يوم صحراء أرْثَدِ لَقَدْ هيّجتْ وَجداً على ذي توجُّدِ

(٢) النؤي : حفير حول الخيمة يمنع السيل . و«رمدد» في الأصل : بفتح الراء والدال ، والصواب كسرهما : صفة للرماد الكثير ، يقال : رمادٌ أرمدُ ورِمْدِد ، ورمديد : كثير دقيق جداً .

(٣) تهللت الدموع : سالت . أسعد : من الاسعاد وهو المعونة . وفي الحديث : أنه قال : « لا إسعاد في الاسلام » وهو إسعاد النساء في المناحات ، تقوم المرأة ، فتقوم معها أخرى من جاراتها فتساعدها على النياحة .

(٤) في الديوان :

«وقلّتْ لدار المالكيّةِ عَبْرةٌ» . . . . . .

(٥) الغوادي : جمع غادية ، وهي السحابه تنشأ صباحاً . ملحفاً : من ـ

منازلُ ما أبقى البِلى من عِراصِها ... سوى أرْسُمٍ مَعْفُوَّةِ الآيِ هُمَّدِ (١)

وقال آخر :

تَزافرَ صَحْبي يومَ ذي الأثْلِ زَفرةً ... تذوبُ قلوبٌ من لَظاها وأضْلُعُ (٢)

منازلُ لم تَسْلَمْ عليهنَّ مُقْلةٌ ... ولا جَمَّ بعدَ البينِ فيهنَّ مَدْمَعُ (٣)

فدمعٌ على رَسْمِ الدِّيارِ مُفرَّقٌ ... وقلبٌ على أهلِ الدِّيارِ مُرَوَّعُ

وقال عُبَيد الله بنُ قيس الرُّقَيَّات (٤) :

ـ الالحاف ، وهو شدة الالحاح في المسألة ، وفي التنزيل : « لا يسألون الناس إلحافاً » ـ البُرقة ، بضم الأول : هي في الأصل الأرض ذات الحجارة المختلفة الألوان . وثهمد : بفتح أوله وإسكان ثانيه ، وبالميم المفتوحة والدال المهملة . هو جبل في حمى ضَرِيّة كما في « معجم ما استعجم » . وبرقة ثهمد : لبني دارم .

(١) الأرسم : جمع رسم ، وهو الأثر ، وقيل : ما ليس له شخص من الآثار . معفوّة : دارسة ، الآي : جمع آية ، وهي العلامة .

(٢) تزافر : من الزّفير ، وهو أن يملأ الرجل صدره غمّاً ثم هو يزفر به ، يقال : زَفَر يزفِرُ : أخرج نَفَسَه بعد مدّه . ذو الأثل : قال « البكري » موضع بودّان ، بفتح أوله وإسكان ثانيه .

(٣) في « الصحاح » جم الماء يجمُّ جموماً : إذا كثر في البئر ، واجتمع بعدما استُقي ما فيها .

(٤) هو أبو هاشم عبيد الله بن قيس بن شريح أحد بني عمرو بن عامر ابن لؤي ، شاعر قريش في العصر الأموي ، كان مع مصعب الزبير ، وله فيه أشعار كثيرة ، توفي نحو ٨٥ هـ . والأبيات في ديوانه : ٧٥ مطلع قصيدة كلها في الغزل .

يا سَنَدَ الظَّاعنين من أُحدٍ حُيِّيتَ من منزلٍ ومن سَنَدِ (١)

ما إن بمثواكَ غيرُ راكدةٍ سُفْعٍ وهابٍ كالفرخ مُلْتَبِدِ (٢)

استبدلتْ بالظباء والبقرِ ال عين خلافَ العقائل الخُرُدِ (٣)

أساخِطٌ أنت أمْ رضيتَ بما استبدلتَ بالحيِّ بعدهم فقدِ (٤)

بُدِّلتَ غيرَ الرضى وشطَّ بهم عنكَ صُروفُ المنون والأبدِ (٥)

---

(١) السند : ما قابلك من الجبل وعلا من السفح . وأحد : اسم الجبل الذي كانت عنده غزوة أحد سنة ثلاث ، وهو تلقاء المدينة .

(٢) في الديوان بعد هذا البيت :

والنؤي كالحوضِ خُطَّ دون عوا دي السَّيلِ منه ومَضْرب الوَتِدِ

والوحش فيه كأنها هَمَلٌ ترعى بجوٍّ عوازبَ العَقِدِ

السفع : الأثافي ، واحدتها سفعاء . الهابي : الرماد .

(٣) في الديوان :

أبدلتْ عُفْرَ الظباء والبقرِ ال عينِ . . . .

والعفر : مفردها أعفر ، وهو الظبي الذي تعلو بياضه حمرة ، أو الذي في ظهره حمرة وأقرابه بيض ، أو الأبيض ليس بالشديد البياض . والعين : بقر الوحش سميت كذلك لعظم سواد عينها في سعة . العقائل : واحدتها عقيلة ، وهي الكريمة المخدرة . والخرد : واحدتها خريدة ، وهي البكر لم تمس ، أو الخفرة الطويلة السكوت ، الخافضة الصوت المتسترة .

(٤) في الأصل : فساخط ، وأثبت رواية الديوان . فقد ، أي : فحسب .

(٥) شط بهم : بعد بهم . والأبد : الدهر .

وقال الشريف المرتضى أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى بن محمد ابن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم (١) :

أَعلى العهْدِ منزلٌ بالجِناب كانَ فيه متى أردْتُ طِلابي (٢)

المغاني تِلْكَ المغاني فهل فيـ ـهنَّ ما قد عَهِدْتُ من أطرابي (٣)

ليْسَتِ الدَّارُ بعدأن تُوحِشَ الدّا رُ تُرى غَيْرَ جَنْدَلٍ وتُراب (٤)

وإذا لم يُعِدْ حنيني على الدّا رِ حَبيباً فلَيْسَ يُغني انتحابي (٥)

---

(١) هو علي بن الحسين العلوي الأديب الفقيه المتكلم (٣٥٥ - ٤٣٦ هـ) من أحفاد الحسين بن علي بن أبي طالب نقيب الطالبيّين ، من تآليفه « أمالي المرتضى » و « ديوان شعر » والأبيات في ديوانه : ١/٨٣ مطلع قصيدة يمدح بها فخر الملك .

(٢) الجناب : بكسر أوله وبالباء المعجمة بواحدة قال « البكري » : أرض لغطفان ، هكذا قال أبو حاتم عن الأصمعي . وقال في موضع آخر : الجناب : أرض لفزارة وعُذرة. وقال ابراهيم بن محمد بن عرفة : الجناب : أرض بين فزارة وكلب ، ويدل أن لعذرة فيها شركة ، قول جميل لبثينة : ما رأيت عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان على البلاط ، إلا غرت عليك وأنت بالجناب . قال : وكان فائق الجمال . وقال ياقوت : هو موضع بعراض خيبر وسلاح ووادي القرى . وقيل : هو من منازل بني مازن .

(٣) المغاني ، جمع المغنى : وهــو المنزل . والاطراب ، جمع الطرب : وهو الشوق .

(٤) في الاصل : « نوى » والتصويب من الديوان .

(٥) في الديوان : « وإذا لم يعد نحيبي على الربع » والنحيب والانتحاب : رفع الصوت بالبكاء ، أو أشدّ البكاء .

وقال الشريف نظام الملك أبو الحسن علي الفاطمي أحد شعراء الدولة بمصر إذ أنابها ، ويعرف بالأخفش [(١)] :

أَحبابَنا لم تَذُقْ عيناي مذ بَعُدَتْ عنّي منازِلُكُمْ غَمْضاً ولا وَسَنا

ولا وجَدْتُ لقلبي من يُسَرُّ به ولم تَرَ العينُ شيئاً بعدَكُم حَسَنا

وقال البكّاء واسمه أرطاة بن كعب ـ جاهلي [(٢)] :

لمن المنازِلُ قد عَفَوْنَ سِنينا أقفرنَ بعدَ تحدُّدٍ وبَلِينا [(٣)]

بقنان ودعة والبُقيل تغيَّرت بعدي تحنُّ بها الرِّياح حنينا

ما كنت أوّل من تفرَّق شملُه ورأى الغداةَ من الفراق يقينا

وبدارةِ السَّلَمِ التي شوَّقْتِها دِمَنٌ يظلُّ حمامُها يُبكينا [(٤)]

(١) ذكره العماد في « خريدة القصر وجريدة العصر » قسم ـ شعراء مصر ١/٢٣٨ : فقال : كنت أسمع التجار من أهل مصر وغيرهم من أهل الشام يصفونه ويطرونه ، وعلى مَنْ بمصر من الشعراء يقدّمونه ، فاذا استنشدهم أحدٌ شعره قالوا : ما نحفظه ، لكنا لقبوله بمصر بعين الفضل نلحظه حتى أنشدني الشريف أحمد بن حيدرة الزيدي الحسيني شعره ، فوجدتُ موافقاً لَخبَرِه خُبْرَه .

(٢) في « الاصابة » ١/١١١ : أرطاة بن كعب بن قيس بن حبيب بن عامر بن حيويه بن لوذان بن ثعلبة بن عدي بن فزارة الفزاري ، يلقب البكاء ، ذكره المرزباني ، وقال : مخضرم ، ثم أنشد له البيتين الثالث والرابع ، وهما أيضاً في « معجم ما استعجم » ٢/٥٣٥ ، « ومعجم البلدان » ٤/١٩ .

(٣) كذا الأصل « تحدُّدٍ » بالحاء المهملة ، ولعل الصواب « تجدد » بالجيم .

(٤) في « معجم ما استعجم » دارة السلم : بفتح السين واللام ، وهو الشجر المعروف ، وهي في ديار فزارة .

وقال الرماح بن ميّادة [١] ، وميادة أمه سندية ، وأبوه الأبرد بن ثوبان بن سراقة بن سلمى بن ظالم :

مَنازلُ أما أهلهـا فتحمَّلوا فساروا وأمّـا خَيْمُهـا فقيمُ [٢]

كأنّي بها لما عرفتُ رُسومَها ثقيلٌ لدى أيـدي الرُّقاةِ سليم [٣]

ولم ترَ عيني مَرْبَعاً مثل مَرْبَعٍ بذي العُشِّ لو أن النعيم يدوم [٤]

وقال عباس بن كثير بن جابر بن عمرو بن غيظ بن السَّبد :

سقى الصَّفرات العُفْرِ حولَ تَبالَةَ إلى رُحَبٍ بالوَشْـم غيثٌ مطبِّق [٥]

---

(١) هو أبو شرحبيل الرماح بن أبرد بن ثوبان بن سراقة من بني مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان ، وأمه ميادة غلبت عليه . شاعر رقيق هجاء ، أدرك الدولتين الأموية والعباسية توفي سنة ١٤٩ هـ .

(٢) البيت في « اللسان » مادة : خيم ، منسوب لمزاحم . والخيم : أعواد تنصب في القيظ ، وتجعل لها عوارض ، وتظلل بالشجر ، فتكون أبرد من الأخبيـة ، وقيل : هي عيدان يبنى عليها الخيام .

(٣) الرسوم : آثار الدار . والرقاة ، جمع راق ، وهو الذي يعوذ صاحب الآفة كالحمى والصرع . والسليم : الملدوغ ، قال الأصمعي وأبو عبيد : إنما سمي الملدوغ سليماً ، على جهة التفاؤل بالسلامة ، كما سميت المهلكة مفازة على جهة التفاؤل لمن دخلها بالفوز .

(٤) البيت في « معجم ما استعجـم » وقال : ذو العُش : على لفـظ عش الطائر : موضع ببلاد بني مرة ، دون حرة النار بليلة .

(٥) في « معجم ما استعجم » تبالة ، بفتح أوله باللام على وزن فَعالة : بقرب

منازلُ من حيّي ذؤيبِ بن مازنٍ ... وغيظٍ وكعبٍ قبل أن يتفرّقوا

عصائبَ في برّ البلاد وبحرها ... فمنهم شآمٌ غائرٌ ومُشرِّق

ديارٌ من الحيّ الذين رماحُهم ... معاقلُ في الهيجا وبالوَتْر تسبق

عظامٌ مقاريهم جِماعٌ قدورُهم ... مدى الدهر تنتابُ النّهارَ وتُطرَق [١]

بهم تُتّقى الحربُ العوانُ وفيهم ... حِفاظٌ على جُلّ الأمورِ ومَصدَق [٢]

– الطائف على طريق اليمن من مكة ، وهي لبني مازن ، قال عمرو بن معدي كرب :

أأغزو رجال بني مازن ... ببطن تبالةَ أم أرقد

وهي التي يضرب بها المثل ، فيقال : « أهون من تبالة على الحجاج » وزعم أبو اليقظان أن أول عمل وليه الحجاج عمل تبالة ، وهي بلدة صغيرة من اليمن فلما قرب منها ، قال للدليل : أين هي ؟ قال : تسترها عنك هذه الأكمة . فقال : أهون عليّ بعمل بلدة تسترها عني أكمة وكر راجعاً . وهي مما يضرب المثل بخصبها . قال لبيد :

فالضيف والجار الجنيب كأنما ... هبطا تبالةَ مخصباً أهضامُها

والوشم : موضع باليمامة ، يشتمل على أربع قرى ، وبين الوشم وقراه مسيرة ليلة ، وبينها وبين اليمامة ليلتان . وغيث مطبق : شامل عام .

(١) في « اللسان » المقاري : القدور ، عن ابن الأعرابي وأنشد

ترى فصلانهم في الورد هزلى ... وتسمن في المقاري والحبال

وانتاب الرجل القوم : إذا قصدهم مرة بعد مرة ، وهو ينتابهم . وطرق القوم يطرقهم طرقاً وطروقاً : جاءهم ليلا .

(٢) في « الصحاح » والعوان من الحروب : التي قوتل فيها مرة بعد مرة ، –

عن سنان بن يزيد الديلمي قال : كنت مع مـولاي جرير بن سهم التيمي وهو يسير أمام أمير المؤمنـين علي بن أبي طالب رضوان الله عليه إلى الشام ، فلما انتهى إلى مدائن كسرى ، وقف مولاي ينظر ، ثم تمثل :

جرت الرياحُ على محلِّ ديارِهم فكأنَّمـا كانوا على ميعاد

الأبيات التي تقدمت للأسود بن يعفر ، فقال له علي رضوان الله عليـه أي شيءٍ قلت ؟ فأنشده الشعر فقال : هلاّ قلت :

(كم تركوا من جنات وعيون . . .) ثم قال : يا ابن أخي إن هـؤلاء كفروا النِّعَم ، فحلّت بهم النِّقَم ، فإياكم وكُفْر النِّعم ، فتحـلّ بكم النِّقَم .

وقال الشريف البياضي[1] :

مالي أُعَلِّلُ نفسي بالوقوفِ على منازلٍ أقفَرَتْ منكم وأطلالِ

ـكأنهم جعلوا الأولى بكراً . وفي « اللسان » الحفاظ : الذب عن المحارم ، والمنـع لها عند الحروب . والمصدق : الجد ، والصلابة .

(١) هو أبو جعفر مسعود بن عبد العزيز بن المحسن بن الحسن بن عبـد الرزاق البياضي : شاعر هاشمي من أهل بغداد مولداً ووفاة . وإنما قيـل له : البياضي ، لأن أحد أجداده ، كان في مجلس بعض الخلفاء مع جماعة من العباسيين ، وكانوا قد لبسوا سواداً ما عداه ، فانه كان قد لبس بياضاً ، فقال الخليفـة : من ذلك البياضي ؟ فثبت ذلك الاسم عليه ، واشتهر به . توفي سنة ٤٦٨ هـ .

وأبتغي البُرءَ فيها وهي باليَةٌ هيهاتَ كيفَ يُداوي بالياً بالي [1]

وقال آخر:

يذكّرني لَمْعُ البروقِ منازلي بنجدٍ وأهليها فأضنى بها وجْدا

وهذي النَّوى حُكْمٌ من الله نازِلٌ وما كُنْتُ مِمَّنْ يستطيعُ له ردّا

وقال الأقرع بن معاذ:

حيِّ المنازلَ بين حمَّة فاللِّوى إنْ كنْتَ مشْتَغلاً بهنَّ عميدا [2]

يا برقَ حمَّةَ ما فعلتَ على البِلى لازلتَ يصحبُكَ الغمامُ سديدا

فلئن بكيتُ لأبكينَّ صَبابةً ولئن صَبَرْتُ لأصبِرنَّ جليدا

وقال عبيد الله بن قيس الرقيات:

ما هاجَ من مَنزلٍ بذي العَلَمِ بَيْن لِوى المنجنونِ فالسَّلَمِ [3]

لم تُبقِ منه الرّياح مَعْلَمَةً إلا بقايا الثُّمام والحُمَمِ [4]

---

(١) في هامش الأصل: «منها».

(٢) في «معجم البلدان» ٣/٣٤٤: وفي بلاد العرب حمّاتٌ كثيرة، ثم ذكرها فانظره.

(٣) ديوانه: ٧ ورواية البيت فيه:

ما هاج من منزلٍ بذي علم بين لوى المنجنون فالثّلم

والعلم: الجبل، ربما يكون اسم موضع بعينه. لوى المنجنون: اللوى: منقطع الرمل، والمنجنون: موضع. الثلم: بلدة بالشام.

(٤) المعلمة: الاثر يستدل به على وجودها. الثمام: نبت ضعيف لا يطول، ـ

وقفتُ بالدّار مـا أبيّنُهـا ... إلا ادِّكاراً توهُّمَ الحُلُـمِ

بادَتْ وأقوتْ من الأنيس كمـا ... أقوت محاريبُ دارِسِ الأمَمِ (١)

واستبدَلَ الحيُّ بعدَها إضَماً ... هيهات غَمْرُ الفراتِ مـن إضَمِ (٢)

قيل لأعرابية أصيبتْ بابنها : ما أحسنَ عزاءَكِ ! قالت : إن فقدي إياه ، أمَّنَنيْ كلَّ فقدٍ سواه ، وإن مصيبَتَه هوَّنت عليَّ المصائب من بعـده ، ثم قالت : (٣)

مَن شاءَ بعدَكَ فَلْيمُتْ ... فَعَلَيـكَ كنتُ أحاذِرُ

كنتَ السَّواد لنـاظِري ... فعَلَيـكَ يبـكي النَّاظرُ (٤)

ـ واحدته : ثمامة قال السكري : والثمام يلقى على خشب يتبردون بها كشبه الخيمة ، وهو أبرد من غيره ، وهي الخيام ، وإذا رحلوا ، قلعوا أخبيتهم وتركوا الخيام فتبقى .

(١) أقوت : خلت من الأنيس. المحاريب : المساجد تعمل من حجارة منقورة ، فترفع عن الأرض فلذلك تبقى وهي النصائب .

(٢) إضم : واد دون المدينة . يقول : ما أبعـد الأرض التي يغمرهـا الفرات عن إضم .

(٣) الخبر في « العقد الفريد » ٣/٢٥٤ ، و « نهاية الأرب » ٥/١٦٦ بزيادة بيت هو :

إني وغيري لا محا ... لة حيث صار القوم صائر

والأول والثـاني في « شعر الصولي » ١٦٩ ، و « الأغاني » ١٠/٤٩ ، و« الوفيات » ١/٢٩ لابراهيم الصولي.

(٤) في « الأغاني » و« اوفيات » . . . لمقلتي ... فبكى عليك الناظر

ليتَ المنــازلَ والدِيــا رَ حَفــائرٌ ومَقــابر [١]

كان الرَّقاشيُّ [٢] يجتمعُ إليه جماعةٌ من أصحابه وإخوانه يتحدثون ويتذاكرون ، فغاب في بعض أحواله ، ثم رجع بعد مدَّةٍ ، فوجد بعضهم قد مات ، وبعضهم قد غاب ، فوقف على محلَّتهم وبكى وقال :

لولا التَّطَيُّرُ قُلتُ غيَّركُم رَيبُ الزَّمانِ فخُنتُمُ عَهدي

دَرَسَتْ منازِلُ كنتُ آلَفُها من بَعدِكُم وتغيَّرتْ بعدي

وقال أبو العلاء بن سليمان المعري [٣] :

أعفى المنازِلِ قبرٌ يُستراحُ به وأَفضلُ اللُّبسِ فيما أعلمُ الكَفَنُ

إن الذين على وجهِ الثَّرى وَطِئوا يُشابِهون أُناساً في الثَّرى دُفِنُوا [٤]

وقال آخر [٥] :

دعني وتَسْكابَ دَمْعي في منازِلِهم فللشُّؤونِ ولي مِن بَعدِهم شَانُ

أحبابَنا ما الدِّيارُ اليومَ بعدَكُمُ تِلْكَ الدِّيارُ ولا الأوطانُ أوطانُ

وقال آخر :

---

(١) في الأصل : « حضائر » وهو تحريف . وفي «الأساس» الحفيرة : القبر .

(٢) هو الفضل بن عبد الصمد بن الفضل أبو العباس الرقاشي البصري : شاعر مجيد ، قدم بغداد ومدح هارون الرشيد ومحمد الأمين والبرامكة .

(٣) «اللزوميات» ٢/٣٣٣.

(٤) في « الديوان » : «يشابهون أناساً بعده دفنوا» .

(٥) سبق ذكر هذين البيتين ، انظر الصفحة : ٢١ .

أبكي إلى الشَّرْقِ أن كانتْ منازِلُكم بجانبِ الغربِ خوفَ القيلِ والقالِ
أقولُ بالخدِّ خالٌ حين أذكُرُه خوفَ الرَّقيبِ وما بالخدِّ من خالِ

وقال مهيار [1] :

يا منزِلاً لعبتْ به أيدي البِلى لَعِبَ الشُّكوكِ وقد بدا بتيَقُّنِ [2]
إمّا تُناشدُني العُهُودَ فإنَّها خِيسَتْ فكانت بئسَ ذُخْرُ المقتني [3]
نفضَ الصِّبا أوراقَه وأعادَني خُوطَ اليراعةِ كيف تُغمَزُ تَنْحَني [4]
إني لأعلَمُ قبلَ فضِّي ختمَه ما في كِتابٍ بالمشيبِ مُعنْوَنِ

---

(١) هو الحسين مهيار بن مَرزَوَيه: الكاتب الفارسي الديلمي الشاعر المشهور كان مجوسياً ، فأسلم على يد الشريف الرضي . وكان شاعراً جزل القول ، مقدماً على أهل وقته ، رقيق الحاشية ، طويل النفس في قصائده . توفي ليلة الأحد لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة ثمان وعشرة وأربعمئة هجرية .

(٢) ديوانه ٣٠/٤ والأبيات من قصيدة يمدح بها الوزير الكافي أبا العباس أحمد بن إبراهيم الضبي . ورواية البيت فيه :

يا منزلا لعبت به أيدي الصَّبا لعِبَ الشُّكوك وقد بدت بتيقُّن

(٣) في الديوان : «حُفِظت فكانت بئس ذُخر المقتني » وخاس العهد خيساً وخيساناً : نقضه وخانه .

(٤) الخوط : الغصن . واليراعة : القصبة . يُغمز : يُجسُّ . وفي «الديوان» قبل هذا البيت الأبيات التالية :

سكَنَتْكَ بَعْدَهمُ الوحوشُ تشبُّهاً بهمُ وليتَكَ آنفاً لم تُسكنِ
لعيونهنّ علامةٌ سحريةٌ عندي فما بالُ الظِّباء تَفتنُني ؟! —

وقال آخر :(١)

أَمُزْمِعةٌ لِلْبَيْنِ ليلى ولم تَمُتْ   كأنَّكَ عمَّا قد أظلَّكَ غافلُ (٢)
سَتعلَمُ إنْ شطَّتْ بهم غربةُ النَّوى   وزالوا بلَيْلى أنَّ لبَّكَ زائـل (٣)
وأنَّكَ مَسلوبُ التَّصبُّرِ والأسى   إذا بَعُدَتْ ممَّنْ تُحِبُّ المنازِلُ (٤)

وقال آخر : (٥)

تَطوي المنازِلَ عن حبيبكَ دائباً   وتَظَلُّ تبكيه بدَمْعٍ ساجِم (٦)
ألَّا أقَمْتَ ولو على جَمْرِ الغَضى   قُلِّبتَ أو حدِّ الحسامِ الصارِمِ

- أزمانَ أنفقُ من شبـابي مُسرفاً   والعيش أعمى عن صُروف الأزمُنِ
ندمان كلِّ فصيحـــة التأنيث لو   خطبتْ لتنعَت حُسنها لم تُحسِنِ
تمشي قناةً ثم يذكرُ قدُّهـــا   أن التثـــني للقضيب فينثني
لله ما تلك الغصون لوَ انهـــا   غيرَ الخديعة أثمرتْ للمجتني

(١) البيتان الأول والثاني للمجنون في « الأغاني » ٢/٧٨، و « أمالي القالي » ١/١٦٤، وقد أيـد البكري في « اللآلي » ص ٤٢٥ هذه النسبة ووصلهما بالبيت الثالث . وقد أدرج الخالديان الأبيات الثلاثة في مقطوعة ابن الدمينة التي مطلعهـا :

هل القلب عن ذكرى أميمة ذاهل   نعم حين يمشي بي الى القبر حامل

انظر ديوانه ، ص : ١٩ التعليق رقم : ٥

(٢) في « الأشباه والنظائر » أمزمعة بالبين ، وفي « الأمالي » أمزمعة ليلى ببين .

(٣) في « الأشباه والنظائر » ستعلم إن زالت . . . فزالوا . . عقلك . . .

(٤) في «السمط» وانك ممنوع التصبر والعزا .

(٥) الأبيات في «الأمالي» ١/١٦٥ ، ولم ينسبها لقائل .

(٦) في « الأمالي » تطوي المراحل .

كذَبتكَ نفسُكَ لستَ من أهلِ الهوى تشكو الفراقَ وأنتَ عَيْنُ الظالم

قلت : لي على من تقدَّم ذكره من الشعراءِ أفضلُ المزيّة ، إذ كنت دونَهم صاحب الرزيَّة ، فكان شعري أولى أن يقدَّم على أشعارهم ، وإن قصَّرت بي البلاغةُ عن اقتفاء آثارِهم ، لكن للمتقدِم السَّبقُ ، وهو بالتَّقدِمَة أولى وأحق . وإنْ كُنْتُ وهم كما قال ذرٌّ لأبيه : يا أَبَهْ ! مالك إذا تكلَّمتَ أبكيتَ الناس ، وإذا تكلَّم غيرُك لم يُبكِهِم ؟ قال : يا بُنَيَّ ليس النائحةُ المستأجرةُ كالثكلى .

وأنا ذاكِرٌ شيئاً من شعر أخي رحمه الله وشعري مما يدخل في هذا الفصل .

قال أخي عزُّ الدَّولة أبو الحسن علي بن مرشد بن علي بن مقلِد بن نصر بن منقذ رضي الله عنه :[1]

يا مَنْزلاً لَعِبَ البلى برُسومِهِ شَعَفاً ببَهْجَتِه فليس يَرِيمُ[2]

لا تَبْعَدَنَّ وجادَ ربعَكَ وابلٌ يُروي ثراكَ أَتِيُّهُ ويُسيم[3]

---

(١) قال الحافظ ابن عساكر : ولد سنة ٤٨٧ هـ بشيزر ، وسمع الحديث ببغداد ، وكتبه بخط حسن ، وكان فهماً شاعراً ، قدم دمشق غير مرة . استشهد رحمه الله على باب غزة في شهر رمضان سنة ٥٤٥هـ في حرب الفرنج لعنهم الله .

(٢) الشعف : شدة الحب . ليس يريم : ليس يبرح .

(٣) في « اللسان » الوابل: المطر الشديد الضخم القطر . وسيل أتي وأتاوي: لا يُدرى من أين أتى ، وقال اللحياني : أي : أتى ولَبَّس مطرُه علينا ، قال العجاج:

كأنّه والهول عسكريٌّ سيلٌ أتيٌّ مدّه أتيٌّ

فاسْقِ الرُّبوعَ من الدُّموعِ سِجالَها إنَّ الرُّسومَ لها علَيْكَ رُسومُ [١]

وقال أيضاً :

سَلِ المَنازِلَ عمَّن كانَ يَسكُنُها مِنَ الأحِبَّةِ والإخوانِ ماصَنعوا
تُخبرْكَ وعظاً بلا لَفْظٍ فقد نظَرَتْ آمالَهم والمنايا كيفَ تَصطَرِع
وهكذا بعدَ نَفْخِ الصُّورِ خاويةً تُضحي المنازلُ أعلاهُنَّ مُتَّضِع
بني أَبي إنْ عدا دَهْرٌ ففرَّقَنا فهَمُّ نفسي بكم ما عِشتُ مُجتَمِع [٢]
بَرَّحتُمُ أدمُعي حتى لقد مَحِلَتْ جُفونُ عيني وماتَ اليأسُ والطَّمَعُ [٣]
وإنَّ دَهراً رمى عَن جيدِه دُرَراً أمثالَكُمْ لَزمانٌ عاطِلٌ ضَرِعُ [٤]

وقال أيضاً :

يا مَنْزِلاً أضحى كَجِسمي بالِياً حَزَنَ القُلوبِ وحَسْرةً للنَّاظرِ
لي كلَّ يَوْمٍ في رُبوعِكَ زَفْرةٌ يرمي لَظاها بالشَّرارِ الطائرِ
غرَبَتْ شموسُكَ والذينَ عهِدْتُهم بكَ في مُلِمَّاتِ الزَّمانِ الغابرِ
فعَليهِمُ مني سلامٌ نَشْرُهُ مُتضوِّعٌ كثنائِهم في الحاضرِ

(١) « الرسوم » : ما لصق بالأرض من آثار الديار . و« رسوم » من : رسَم له كذا ، أي : أمره به .

(٢) هذا البيت والبيتان بعده في « معجم الأدباء » ٥/٢٢٠ بزيادة بيت آخر وهو:
هل تعلمون الذي في النفس من أسف عليكم وحنينٍ ليس ينقطعُ

(٣) في « معجم الأدباء » : نزحتم أدمعي . أي : استنفدتموها حتى لم يبق شيء منها ، من نزح البئر : استقى ماءها حتى أتى عليه أو كاد .

(٤) الضرِع : الضعيف الذليل .

قلتُ : كان رحمه الله تأخَّر عنا ، وخرجتُ أنا وأخواي إلى دمشق ، ثم إلى مصر ، فكان يتأسّفُ لبُعدِنا عند خلوِّ منازلنا منا .

وهذا شيءٌ من شعري في هذا المعنى بعدما أصابنا من الزلزال ما أصابنا قلت :

إلى الله أَشكو روعتي لمنازِلٍ خَلَتْ وجوى قلبي لأهل المنازل
سُيوفي إذا ما نازَلَتْني مُلِمَّةٌ حُصُوني إذا خِفتُ الرّدى ومعاقِلي
مَضَوْا سَلَفاً قَبْلي فلَمْ أحْظَ بَعدَهُم مِنَ العَيْشِ والعُمْرِ الطَّويل بطائل

وقلت :

هَذي مَنازِلُهم عَفتْ وتَفرَّقوا فسَلِ المنازلَ عنهُم ماذا لَقُوا
تُخْبِرْكَ أنَّ الأرضَ قدْ وارَتْهمُ وأَبتْ لَهُم أن يَسْمعوا أو ينطِقوا
وبَقيتُ بَعدَهُمُ لِهمٍّ فادِحٍ وكآبةٍ تُضْني وخَطبٍ يَطرُق
أرجو اللِّحاق بهم ودونَ لحاقِهم بابٌ من الأَجلِ الموَقَّتِ مُغلَقُ
فإذا نهاني عن رَجاءِ لِقائِهم بأسي هَفا قَلبٌ إليهم شَيِّق

وقلت :

قُلْ لِلّذي فقدَ الأحِبَّةَ وانثنى يسقي مَنازِلَهم دُموعاً تَسجُم
ماذا وُقوفُك في الدِّيار مُسائلاً عن أهلِها ومتى يُجيبُ الأبكَم؟
سَلْ عَنْهُمُ صَرْفَ الزّمانِ فإنّه بهمُ من الدَّارِ المُحيلةِ أَعلَمُ
أَفناهُمُ رَيْبُ المنون وهذهِ آثارُهم عِظةٌ لمن يتوسَّمُ [1]

---

(١) توسم الشيء : تخيله وتفرسه وتعرفه .

هي شيمةُ الأيّام كفٌّ تبتني ... مُذْ كانتِ الدُّنيا وكفٌّ تهدِمُ
وإذا رأيتَ مُحَسَّدينَ فقلَّما ... تُرْجيهمُ الأيَّامُ حتى يُرْحَموا (١)
ونرى تقلُّبَ هذه الدُّنيا بنا ... وكأنّنا فيها سُكارى نُوَّمُ

وقلت :

يُعنِّفُني في الدارِ صَحبي على البُكا ... فيا ويْحَ قلبي من خَليٍّ وجاهِلِ
وقالوا أتبكي للمنازلِ قُلْتُ لا ... ولكنَّما أبكي لأهلِ المنازلِ

وقلت : (٢)

حَيَّا رُبوعَكِ من رُبىً ومَنازلٍ ... ساري الغَمامِ بكلِّ هامٍ هامِلِ
وسَقتْكِ يادارَ الهوى بعدَ النَّوى ... وَطفاءُ تَسْفحُ بالهَتونِ الهاطِلِ (٣)
حتى تُروِّضَ كلَّ ماحٍ ماحِلٍ ... عافٍ وتُرْوي كلَّ ذاوٍ ذابِلِ (٤)
أَبكيكِ أم أبكي زماني فيكِ أمْ ... أهليكِ أم شرْخَ الشَّبابِ الزائِلِ؟ (٥)

---

(١) في « الأساس » :والأكابر محسدون ، قال :

إن العرانين تلقاها محسَّدَةً ... ولا ترى للئام النَّاس حُسَّادا

قلت : والبيت للمغيرة شاعر المهلّب وهو في « معجم الشعراء » ٢٧٣ . وقيل : للمهلبية : ما أكثر حسّادكم ، فأنشدوه البيت . وفي « اللسان » وأرجى الأمر : أخره ، لغة في أرجأه ، قال ابن السكيت : أرجأت الأمر وأرجيته : إذا أخرته، يهمز ولا يهمز .

(٢) « ديوانه » ص : ٣٠٤ من قصيدة يندب فيها وطنه وأهله الهالكين في الزلزال .

(٣) سحابة وطفاء : مسترخية لكثرة مائها ، أو هي الدائمة السح .

(٤) روّض المكان : جعله روضة .

(٥) في « الديوان » : الراحل . وشرخ الشباب : أوله .

ما قَدْرُ دَمعي أنْ يُقَسِّمَه الجوى   والوجدُ بينَ أحِبَّةٍ ومنازِلِ [١]

أنفقْته سَرَفاً وَها أنا ماثِلٌ   في ماحِلٍ أبكي بجَفْنٍ ماحِلِ [٢]

وإذا فزِعتُ إلى العزاء دعوتُ مَن   لا يَسْتجيب ورُمتُ نُصْرة خاذِلِ

وقلت :

أنظُرْ منازِلَ آلِ مُنقذَ إنَّها   عِظَةُ اللَّبيبِ وعِبْرةٌ للنَّاظِرِ

كانوا بها في نِعمةٍ محروسَةٍ   بمكارمٍ وذوابلٍ وبَواتِرِ [٣]

ما رامَها مَلِكٌ ولا ذو قُدْرَةٍ   إلا انثنى عنها بقَلْبٍ طائرِ

مُتلَهِّفاً ما اسطاعَها ومَنِ الذي   يَلِجُ العرينَ على الهِزَبْر الخادِرِ؟ [٤]

فأصابَها قدَرٌ فأهلَكَ مَنْ بها   وأعادَ شامِخَها كَرَسمٍ داثِرِ

فإذا ذكَرْتُهُمُ عرَتْني حَسْرَةٌ   تَمري سَحائِبَ دَمعيَ المتبادِرِ

وقلت :

يا منزلاً كان فيه العِزُّ مقْتَرناً   بالسَّيْفِ والمالُ مقروناً إلى الكرَم

مَنْ خافَ جَوْراً وَعُدْماً ثم لاذَ به   لاقى الأمانَينِ مِنْ جَوْرٍ ومِنْ عَدَم

---

(١) في « الديوان » . . يقسمه الأسى .

(٢) يريد بـ « ماحل » الأولى : المنزل الجدب ، و بـ « ماحل » الثانية : الجامد الذي لا يدمع .

(٣) في « اللسان » وقنا ذابل : دقيق لاصق الليط ، وفي « الأساس » : ومن المجاز : وقنا ذابل ، ورماح ذوابل .

(٤) الهزبر : من أسماء الأسد ، وأسد خادر : مقيم في عرينه ، داخل في الخدر .

أَفنَتْ حُماتَكَ أحداثُ الزّمانِ فيا ... للهِ مِنْ فتكِها بالأسْدِ في الأُجُمِ
أعيَت مناواتُهم غُلْبَ الملوكِ إلى ... أن جاءهم قدَرٌ قد خُطَّ بالقَلَم
فأصبَحُوا لا تُرى إلا مساكِنُهم ... كأنّ ما خُوّلوه كان في الحُلُم
ولم تَدَعْ منهُمُ إلا حديثَهُمُ ... كما تُحدِّثُ عن عادٍ وعن إرَمِ
فيا لقلبي لِأحزانٍ أكابِدُها ... عليهمُ ولِدَمْعٍ غيرِ مُكتتَمِ

وقلت :

غاضَتْ دُموعي في المنازلِ وارعوى ... صَبْري وراجَعني الرُّقادُ النّافِرُ
إن لم أَسُحَّ بها سَحائبَ أدْمُعٍ ... يَنجابُ خشيتَها الغمامُ الباكِرُ
أَأُحَمِّلُ الأطلالَ منَّةَ عارِضٍ ... وسحابُ دمعي مُستَهِلٌّ ماطِرُ
إنّي إذاً بشؤون عيني باخِلٌ ... وبعَهْدِ من سَكنَ المنازلَ غادرُ

وقلت :(١)

إنْ لَمْ تُطيقا يومَ رامَهْ ... أن تُسعِدَا فذرا المَلامَهْ (٢)
عنَّفتُماني أنْ وقَفـ ... ـتُ بمنزلٍ أقضي ذِمامَهْ (٣)
وشَكَوْتُما من وقفةٍ ... فيه الكلالَةَ والسآمَهْ (٤)
هو منْزِلُ الأحباب لَمْ ... يَدَعِ البلى إلا رِمامَه

---

(١) ديوانه : ٩٧ .

(٢) رامة : قال البكري : موضع بالعقيق . والاسعاد : المعونة .

(٣) في « الديوان » أن مررت . والذمام : العهد ، وكل حرمة تلزمك إذا ضيعتها المذمّة .

(٤) ليس هذا البيت في الديوان، وكللت من المشي أكلُّ كلالاً وكلالة ، أي :أعييت.

وعليَّ حقٌّ أن تُصا ... فِحَ سُحْبُ أجفاني رَغامه
وأبيكمـا لأُرْوِيَنَّ ... ولو بسَحِّ دَمٍ أُوامَهْ [١]
فإلامَ لوْمُكُمـا أفي ... رَعْيِ العُهودِ عليَّ آمَهْ؟ [٢]

وقلت :

هـذي منازِلُهم وأنـ ... ـت بهم معنًّى مُغرَمُ
فاسفحْ دُموعَكَ في ثرا ... ها أو يُمازِجها الدَّمُ
واسألْ بهم صَرْفَ الزَّما ... نِ فإنَّه هـو أعلَمُ
يُخبِرْكَ أنّ القومَ قد ... قدِموا على ما قدَّموا
وغداً يُخيِّم حيث حَلّوا في القُبورِ وخَيَّموا

وقال مهيار : [٣]

أنظُرْ مَعي فهْيَ نَظرةٌ أَمَمُ ... أَعَلَمُ السَّفح ذلك العَلَمُ
أنتَ بريءٌ مما تُشبِّهُهُ الـ ... ـعَيْنُ وطَرفي بالدّمع مُتَّهَمُ
يُطرِبُني اليومَ للمنازِلِ ما ... أسأرَ عِندي أيّامُها القُدُمُ [٤]
ويَطَّبيني على فصاحَةِ شـكْـ ... ـواي إليها رُبوعُها العُجُمُ [٥]

---

(١) الأوام : شدة العطش . وفي « الديوان » بعد هذا البيت :

ما الدمع للأطلال لـ ... ـكن أهلها أجرَوْا سِجامه

(٢) في « اللسان » الآمة ، بتخفيف الميم : العيب .

(٣) ديوانه ٣/٢٥٧ .

(٤) أسأر : أبقى

(٥) ويطبيني : يستميلني .

عليّ يا دار جُهدُ عيني وما | عليَّ عارٌ أنْ تبخَل الدِّيمُ
لكِ الرِّضى من جِمامِ أدْمُعِها | أو دَمِها إن سقى ثراكِ دَمُ [1]

وقال أيضاً [2] :

لها مَنزلٌ بالغورِ بينَ مُفدَّنٍ | مَشيدٍ ومَنشورِ البساطِ مُرَوَّضِ [3]
حَبستُ به أبغي الحياة لقاتِلي | غراماً وأدعو بالشفاء لُمرِضي
رأتْ شيبةً ما صَرَّحتْ لعوارضي | فصرَّحَ بالهِجرانِ كلُّ مُعرِّضِ
وقالتْ أشَيْخٌ قُلتُ كهلٌ فأطرقتْ | وقالت: أمام السهمِ إنذارُ مُنبضِ [4]
نَباعنكَ بعدالشيبِ قلبي وناظري | ومِن أين يصفو أسودانِ لأبيضِ [5]

* * *

---

(١) في الديوان : وذمُّها ، وهو تصحيف ، والجمام: معظم الماء .

(٢) ديوانه : ٢/١٥٠ .

(٣) في « اللسان » بناء مفدّن : طويل ، ورواية الديوان بين مُعدّن ، والمعدن : المموه بالمعدن .

(٤) في الأصل «أمام الشيب» والمنبض : الذي يجذب وتر القوس ، لتصوت ، وفي المثل : « لا يعجبك الانباض قبل التوتير » يضرب في استعجال الأمر قبل بلوغ إناه ، ومنه أيضاً « إنباض بغير توتير» .

(٥) في الديوان : يناغيك ، وهو تصحيف .

فصل آخر

في ذكر المنازل

السابق إلى بكاء المنازل امرؤ القيس بن حُجر - واسمه حُنْدُج . والحندجة: القطعة الصغيرة من الرمل - بقوله : [1]

قِفا نبكِ من ذِكرى حبيبٍ ومنزلِ بسِقْطِ اللّوى بين الدَّخول فحوْمَل [2]

فتوضِحَ فالمِقراةِ لَمْ يَعفُ رَسْمُها لما نَسَجَتْهُ من جَنوبٍ وشَمْأَلِ [3]

---

(١) « ديوانه » : ٨ ، و « شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات» : ١٥ .

(٢) قال الأعلم : السَّقط والسِّقط والسُّقط : منقطع الرمل . واللوى : حيث يسترق الرمل فتخرج منه إلى الجدَد ، وفي المثل : ألويتم فانزلوا . وإنما خص منقطع الرمل وملتواه ، لأنهم كانوا لا ينزلون إلا في صلابة من الأرض، ليكون أثبت لأوتاد الأبنية ، وأمكن لحفر النؤي ، وإنما تكون الصلابة حيث ينقطع الرمل ويلتوي ويرق . والدَّخول وحومل : بلدان .

(٣) توضح والمقراة : موضعان . لم يعف : لم ينمح . الرسم : ما لصق بالأرض من آثار الديار . ونسج الريحين : اختلافهما وتعاقبهما عليها ، وستر إحداهما إياها بالتراب ، وكشف الأخرى التراب عنها . قال الأعلم : وقوله : « لم يعف رسمها » يقول : تغير لتقادم عهده ، وبقيت منه آثار تدل عليه ، منعها من أن تذهب البتة اختلاف الريحين عليه ، فكلما رمسته هذه ودفنته بما هالت عليه من الرمل ، سفرت -

وُقوفاً بها صَحبي عليَّ مَطِيَّهُم يَقولونَ لا تَهلِكْ أسىً وتجمَّلِ [(١)]

وإنَّ شفائي عَبْرةٌ لو سَفَحْتُها فَهَلْ عِندَ رسمٍ دارسٍ مِن مُعوَّلِ؟ [(٢)]

ـ عنه الأخرى وأظهرته . فهو ـ وإن تغير أثره ـ باق ، فنحن ننظر إليه ونحزن ، ولو ذهب كل الذهاب لاسترحنا ، ولم ننظر إلى ما يحزننا .

(١) المطي : الابل ، واحدها مطية وانما سميت بذلك ، لأنه يركب مطاها ، أي ظهرها ، ويقال : إنما سميت مطية ، لأنه يُمطى بها في السير ، أي يمد بها . وهو منصوب بقوله : وقوفاً . وقفت الدابة : حبستها . الأسى : الحزن . تجمل : تصبر .

(٢) في « الديوان » وإن شفائي عبرة إن سفحتها . وفي « شرح القصائد » : « وإن شفائي عبرة مهراقة » . وسفحتها : صببتها . المعول : من العويل والبكاء وأن يقول : واعولاه . ويحتمل أن يكون من التعويل والاعتماد على الشيء ، أي أن البكاء على الرسوم لا يجدي ، فلا ينبغي أن يعول عليه ، قال ابن الأنباري : فان قال قائل : كيف قال في البيت الأول : « لم يعف رسمها » فخبر أن الرسم لم يدرس وقال في هذا البيت : « عند رسم دارس » ? قيل له : في هذا غير قول . قال الأصمعي : قد درس بعضه ، وبقي بعضه ، ولم يذهب كله ، كما تقول : قد درس كتابك ، أي ذهب بعضه وبقي بعضه . وقال أبو عبيدة : رجع فأكذب نفسه بقوله : « فهل عند رسم دارس » كما قال زهير :

قف بالديار التي لم يعفها القدم بلى وغيرها الأرواح والدِّيَمَ

وقال آخرون : ليس قوله في هذا البيت : « فهل عند رسم دارس » بناقض لقوله « لم يعف رسمها » لأن معناه : لم يدرس رسمها من قلبي وهو في نفسه دارس .

وقال النابغةُ الذبياني وهو زياد بن معاوية [١] :

دعاكَ الهوى واستَجْهَلَتْكَ المنـازلُ   وكيفَ تصابي المرءِ والشَّيبُ شامِلُ؟ [٢]

وقَفتُ بربعِ الدارِ قد غيَّرَ البـلى   معالِمَها والسَّارياتُ الهواطِلُ [٣]

أُسائِلُ عن سُعدَى وقد مرَّ دونَهـا   على عُرُصاتِ الدارِ سَبعٌ كوامِلُ [٤]

وقال جريرُ بنُ عطيَّة [٥] :

قُلْ للمنازلِ منْ أُثَيْلَةَ تَنطِقِ   بالجزْعِ جَزْعِ القَرْنِ لما تُخْلَقِ [٦]

حُيِّيتَ مِنْ طَلَلٍ تقادَمَ عهدُهُ   وسُقيتَ من صَوْبِ الغمامِ المُغدِقِ

---

(١) « ديوانه » بشرح البَطَلْيوسي ص ٥٨ ، من قصيدة يرثي بهـا النعمان بن الحارث بن أبي شمر الغساني .

(٢) قال البطليوسي : قال أبو الحسن : يقول : لما رأيت منازل من كنت تهوى وعرفتها ، حركت منك ما كان ساكناً ، وذكرتك بعض ما قد نسيت ، وحملتك على الجهل والصبا . وقوله : « وكيف تصابي المرء »: رجع يعذل نفسه ، ويزجرها عما دعته إليه من اللهو ، إذ لايليق بذي الشيب الصبا .

(٣) في «الديوان »« معارفها » والربع : المنزل حيث كان . والساريات : سحابه يأتي ليلاً . والهواطل : السوائل بالمطر . قال البطليوسي : يقول : وقفت بربع هذه الدار ، وقد محت الأمطار رسومها وغيرتهـا .

(٤) في « الديوان » « وقد مر بعدنا على عرصات الدار » وقوله : سبع كوامل : أراد سبع سنين كوامل ، لم ينقص منهن شيء .ودونها : بعدها . وحجرات الدار : نواحيها.

(٥) لم أجدها في ديوانه .

(٦) في « المحيط » وذو المأثول ، وذات الأثل ، والأثيـلة : مواضـع ، قال المرتضى : وأما « الأثيلة » فانها لبني ضمرة من كنانة .

وقال أرطاة بن سُهَيَّة [١]، وسُهيَّة أمه، وأبوه زفر بن عبد الله بن مالك ابن شدّاد:

وِمنْ عَجَبِ الأيامِ أنْ كلُّ مَنْزِلٍ لوَجْرَةَ من أكنافِ رَمَّانَ دارِسُ [٢]
طِلابُ بعيدٌ واختلافٌ من النَّوى إذا ما أتى من دونِ وَجْرَةَ فارس
وقَدْ طالما عِشْنا جميعاً ووُدُّنا جميعٌ إلى مَن يبتغي الأُنسَ آنِسُ

وقال أبو حَيَّةَ النُّميري، واسمُه الهَيْثَمُ بن الربيع:

لعلَّ الهوى إنْ أنتَ حَيَّيتَ منزلاً بأكيابَ مُرْتَدٌّ عليْكَ عقابِلُهْ [٣]
فلمَّا سألتُ الربْعَ أينَ تيَمَّمَتْ نوى الحيِّ لمْ يَنْطِقْ وضُلِّلَ سائِلُه [٤]

---

(١) في « الاصابة » ١/٢١١ : هو أرطاة بن زفر بن عبد الله بن مالك بن سواد بن ضمرة الغطفاني المزني الشاعر المشهور، أدرك الجاهلية، وعاش إلى خلافة عبد الملك بن مروان.

(٢) وجرة : قال الأصمعي : هو موضع بين مكة والبصرة على ثلاث مراحل من مكة، طولها أربعون ميلاً، ليس فيها منزل، فهي مربّ الوحش. ورمّان : قال ياقوت : بفتح أوله وتشديد ثانيه : جبل في بلاد طيىء في غربي سلمى، أحد جبلي طيىء، وإليه انتهى فلّ أهل الردّة يوم بزاخة، فقصدهم خالد رضي الله عنه، فرجعوا إلى الاسلام، وهو جبل في رمل وهو مأسدة.

(٣) في « اللسان » العقابيل : بقايا العلة والعداوة والعشق، واحدها : عقبولة وعقبول، قال المرتضى الزبيدي : قلت : ويجمع أيضاً على عقابل في ضرورة الشعر.

(٤) في « الصحاح » النية والنوى : الوجه الذي ينويه المسافر من قرب أو بعد.

وكنتُ إذا خُبِّرتُ أن مكلَّفاً بكى أو تعنَّاه عِدادٌ يُماطِلُهْ [1]
من الحبِّ عَنَّفتُ المُحِبَّ فقد بكى فؤاديَ حتى أسلَمَتْه عواذِلُهْ
كأنَّ فؤادي طائرٌ في حِبالةٍ رأى غيَّه لما اعتقته حبائِلُه [2]

وقال أبو تمام حبيب بن أوْس الطائي [3]:

يا بَرْقُ طالِعْ منزلاً بالأبرَقِ واحْدُ السحابَ لهُ حُداءَ الأنيُقِ [4]
دِمَنٌ لَوَتْ عزْمَ الفؤادِ ومَزَّقَتْ فيها دموعَ العَينِ كلَّ مُمزَّقِ [5]

وقال المتنبي [6]:

---

(١) في « اللسان »وعنى عناء وتعنّى : نصب،وعنّيته أنا تعنية ، وتعنّيْتُه أيضاً فتعنّى ، وتعنى العناء : تجشمه وعنّاه هو وأعناه . وفيه أيضاً ويقال : به مرض عِداد : وهو أن يدعه زماناً ، ثم يعاوده ، ويقال : بالرجل عِدادٌ ، أي : مس من جنون،وقيده الأزهري ، فقال : هو شبه الجنون يأخذ الانسان في أوقات معلومة.

(٢) الحبالة ، ككتابة : وهي التي يصاد بها ، والجمع حبائل .

(٣) ديوانه : ٤٠٦/٢ من قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب ، ويصف فرساً حمله عليه .

(٤) قال التبريزي : يقول للبرق : سق سحابك برعده ، وصوّبه إليه ، كما تُساق النوق بالحُداء .

(٥) قال التبريزي : لوت : ثنت ، أي : كان في الفؤاد تعديها والاستمرار على السير ، فلما انتهينا إليها ، ثنت هذا العزم ، وردته حتى تركنا السير ، ووقفنا عليها . ويروى : « أي ممزق » .

(٦) ديوانه ٢٤٩/٣ من قصيدة يمدح بها القاضي أحمد بن عبد الله الأنطاكي .

لكِ يا منازلُ في القُلوبِ منــازِلُ أَقْفَرتِ أنتِ وهُنَّ منْكِ أواهِلُ (١)
يَعْلَمْنَ ذاكِ وما علِمتِ وإنمــا أَوْلاكُما ببُكىً عليه العاقِلُ (٢)
وأنا الذي جَلَبَ المنيَّةَ طرفُــهُ فمَنِ المُطالِبُ والقتيلُ القاتلُ (٣)
تخلو الدِّيارُ من الظِّبـاءِ وعِندَهُ من كلِّ تابعةٍ خَيالٌ خاذِلُ (٤)

---

(١) ديوانه : ٣/٢٤٩ من قصيدة يمدح بها القاضي أبا الفضل أحمد بن عبد الله الأنطاكي وأقفرتِ : خلوت ورحل عنك أهلوك.وأواهل : عامرة ذات أهل . يقول مخاطباً منازل الأحبة : قد تمثل خيالك في قلوب المحبين ، فكان لك فيها منازل ، غير أنك قد أقفرت من أهلك ، أما القلوب فما برحت آهلة بك .

(٢) قال العكبري : يروى « يُبكى » على مالم يُسمّ فاعله ، وروى أبو الفتح « ببكى » على المصدر . والعاقل : يريد به الفؤاد . قال الواحدي : إن منازلك التي في القلب تعلم اقفاركِ وخلوّكِ من الأحبّة وأنتِ لاتعلمين ، والأحق منكما بالبكاء عليه هو العاقل ، يعني : القلب ، أي : ان قلبي أحق بأن يبكى عليه منكِ ، لأنكِ جماد لاتعلمين ماحلّ بك ، أما هو فعليم به .

(٣) في « الديوان » « اجتلب » وجلب واجتلب بمعنى . يقول : إن طرفي هو الذي جلب المنيّة إليّ بالنظر ، فمن أطالب بدمي ، وأنا الذي قتلت نفسي ؟! .

(٤) الضمير في « وعنده » للذي جلب في البيت السابق ، يعـني نفسه . الظباء : الحبائب الشبيهات بالغزلان . والتابعة : التي تتبع أمها في المرعى ، أراد الصغيرة السن من الظباء . وظبية خاذل وخذول : إذا تأخرت عن المرعى .

قال العكبري : تخلو ديارهم من حسانها وتفارقها ، وخيال من أهواه لايفارقني . وقال الواحدي : تخلو الديار من النساء الحسان ، وعندي من كل صغيرة منهن خيال يأتيني ، كأنه تأخر عنهن .

وقال البحتري :

سَقَمٌ دونَ أعينٍ ذاتِ سُقْمٍ وعَذابٌ دونَ الثَّنايا العِذابِ [١]

وكمثلِ الأحبابِ ـ لو يَعلَمُ العا ذِلُ ـ عندي منازِلُ الأحبابِ

وقال ابن زريق الكاتب : [٢]

باللهِ يا مَنزِلَ اللّهوِ الذي درَسَتْ آياتُهُ وعَفتْ مُذْ بِنْتُ أَربُعُهُ [٣]

هَلِ الزمانُ مُعيدٌ فيكَ لذَّتَنا أمِ اللّيالي التي أمضَتْهُ تُرْجِعُهُ ؟

---

(١) ديوانه ٨٣/١ من قصيدة يمدح بها اسماعيل بن شهاب . الثنايا : من الأضراس الأربع التي في مقدم الفم ، ثنتان من فوق ، وثنتان من أسفل . والعذاب : الحلوة .

(٢) هو علي بن زريق البغدادي أبو الحسن ، شاعر هجر وطنه ، وتوفي بالأندلس . وفي « نفح الأزهار في منتخبات الأشعار » وكانت له ابنة عم قد كلف بها أشد الكلف ، ثم ارتحل من بغداد لفاقة أصابته ، فقصد أبا الخير عبد الرحمن الأندلسي في الأندلس ، ومدحه بقصيدة بليغة ، فأعطاه عطاء قليلاً ، فقال ابن زريق : إنا لله وإنا اليه راجعون . ثم تذكر فراق ابنة عمه ، وما بينهما من بعد المسافة وتحمل المشقة ، فاعتل غماً ومات . قالوا : وأراد عبد الرحمن بذلك أن يختبره . ولما كان بعد أيام سأل عنه فتفقدوه في الخان الذي كان فيه ، فوجدوه ميتاً ، وعند رأسه رقعة مكتوب فيها هذه القصيدة :

لا تعذليه فان العذل يُولعه قد قلت حقاً ولكن ليس يسمعُه

وانظر « الوافي » للصفدي ٦٥/١٢ ـ ٦٧ ، و« كشف الظنون » : ١٣٢٩ .

(٣) القصيدة بتمامها في « الكشكول » ١١٨/١ . وقد ذكر أبو حيان في « الامتاع والمؤانسة» ١٦٦/٢ بيتين من القصيدة ، دون أن ينسبهما لقائل .

فِي ذِمَّةِ اللهِ مَنْ أَصبَحَتْ مَنْزِلَهُ	وجادَ غيْثٌ على مَرْباكَ مُمْرِعُهُ (١)
مَن عندَهُ لِيَ عهْدٌ لم يُضِعْهُ كَما	عندي له عهدُ صِدقٍ لا أُضَيِّعُه (٢)
ومَن يُصَدِّعُ قلبي ذِكرُهُ وإذا	جَرى على قَلْبِهِ ذِكري يُصدِّعُه
أستودِعُ اللهَ في بغدادَ لي قمراً	بالكَرْخِ من فلَكِ الأزرارِ مَطلَعُه (٣)
ودَّعتُــه وبودّي أن يُوَدِّعني	روحُ الحياةِ وأني لا أودِّعُهُ (٤)
كمْ قد تشفَّعَ بي أن لا أفارِقَــه	وللضَّرورةِ حالٌ لا تُشَفِّعُــه (٥)
وكم تشبَّثَ بي يومَ الرحيلِ ضُحىً	وأدمعي مُستَهِلّاتٌ وأدمعُه

(١) في « الكشكول » وجاد غيث على مغناك ممرعه . وفي « اللسان » ومكان مَرِع ومريع : خصيب ممرع ناجع ، وغيث مريع وممراع : تمرع عنه الأرض . وفي حديث الاستسقاء « اللهم اسقنا غيثاً مريئاً مريعاً مربعاً » المريع : ذو المراعة والخصب .

(٢) في « الكشكول » :

من عنده ليَ عهْدٌ لا يضيِّعُه كما له عهدُ صِدْقٍ لا أضيِّعه

(٣) الكرخ : حي من أحياء بغداد اليوم في غربي المدينة . وانظر « معجم البلدان » ٢٣١/٧ . وفي « اللسان » الأزرار : الخشبات التي يدخل فيها رأس عمود الخباء . وقيل: الأزرار : خشبات يخرزن في أعلى شقق الخباء ، وأصولها في الأرض ، واحدها : زر . وقال ابن الأثير : الزر : واحد الأزرار التي تشدُّ بها الكِلل والستور على مايكون في حجلة العروس .

(٤) في « الكشكول » صفو الحياة .

(٥) في « الكشكول » كم قد تشفع بي أن لا أفارقه .

لا أكذِبُ اللهُ ثوبُ الصَّبرِ مُنخَرِقٌ　　عنّي لفُرقَتِه لكِنْ أُرقّعه

وقال آخر :

تطوي المنازِلَ عن حَبيبكَ دائباً　　وتظلُّ تبكيهِ بدَمعٍ ساجِم (١)

ألّا أقمتَ ولو على جَمْرِ الغضى　　قُلّبتَ أو حدِّ الحُسامِ الصَّارِم

كذَبتك نفسُكَ لستَ من أهلِ الهوى　　تشكو الفِراقَ وأنتَ عينُ الظالم (٢)

وقالت امرأة من كلب :

سقا اللهُ المنازلَ بينَ شَرْجٍ　　وبينَ نواظرٍ دِيَماً رِهَاما (٣)

فلو أنا نُطاعُ إذا أَمرْنا　　أطلنا في دِيارهم المُقاما

فإني لا أَني ما عِشتُ أُهدي　　لها ولِمَن يَحِلُّ بها السَّلاما (٤)

وما يُغني السَّلامُ إذا نَزَلنا　　لِوى لامٍ ألامَ اللهُ لاما (٥)

---

(١) قد مرّ ذكر هذا الابيات ص : ٥١ وتخريجها .

(٢) كذبتك نفسك : أي أوهمتك وأخطأتك .

(٣) الأول والثاني في « معجم البلدان » ٥ / ٢٥١ من غير نسبة ، وجاء فيه بعد الاول بيت آخر هو :

وأوساط الشقيق شقيق عبس　　سقى ربي أجارعه الغماما

قال ياقوت : وشرج : ماء لبني عبس بنجد من أرض العالية . وقال الخارزنجي : نواظر آكام : معروفة في أرض باهلة ، وقيل : ناظرة وشرج : ماءان لعبس . والرّهمة بالكسر : المطر الضعيف الدائم الصغير القطر ، والجمع: رِهَم ورِهام .

(٤) أني : مضارع . ونى ، بمعنى : فتر وضعف وكلّ وأعيى .

(٥) يقال : لُمْت فلاناً على كذا لوماً : اذا عذلته ، وألامه ولوّمه وألمته : بمعنى : لُمْته .

وقال إسماعيل بن يسار مولى قريش [١] :

ما على رَسمِ منزلٍ بالجنـاب ... لو أبان الغداةَ رَجْعَ الجواب [٢]

غيَّرتْـه الصَّبـا وكلُّ مُلِثٍّ ... دائم الوَدْقِ مُكفهِرِّ السَّحاب [٣]

دارَ هندٍ وهل زماني بهنـدٍ ... عائدٌ بالهوى وصَفوِ الجنابِ [٤]

---

(١) هو اسماعيل بن يسار النِّسائي مولى تيم بن مرّة ، تيم قريش ، أصله من سبي فارس ، اشتهر بشدة تعصبه للعجم ، وافتخاره بهم في شعره على العرب ، وكان منقطعاً الى آل الزبير ، ثم اتصل بعبد الملك بن مروان ومدحه ، ومـدح الخلفاء من ولده بعـده ، وعاش عمراً طويلاً الى أن أدرك آخر أيام بني أمية . والأبيات مطلع قصيدة في « الأغاني » ٤/٤١٠ .

(٢) الجَناب بالفتح : الفناء وما قرب من محـلة القوم ، وقيل : هو موضع في أرض كلب من السّماوة بـين العراق والشـام . والجِناب بالكسر : موضع بعراض خيبر وسَلاح ووادي القرى ، وقيل : هو من منازل بني مازن . وقال نصر : الجناب : من ديار بني فزارة بين المدينـة وفيد . انظر « معجم البلدان » لياقوت ٣/١٤٠ .

(٣) ألث المطر ولث : اذا أقام أيامـاً ولم يقلع ، والودق : المطـر كله ، شديده وهينه .

(٤) ورد في « الأغاني » بعد هذا البيت الأبيات التالية :

كالذي كان والصفاء مصون ... لم تشبـه بهجـرة واجتناب

ذاك منها إذ أنت كالغصن غضٌّ ... وهي رؤدٌ كدُمية المحراب

غادة تستبي العقول بعـذبٍ ... طيّب الطَّعم باردِ الأنيـاب

صاحِ أبصَرتَ أو سمِعتَ براعٍ ردَّ في الضَّرْعِ ما مَرى في الحِلاب [١]

أَقصَرت شِـرَّتي وولّى شبابي واستراحتْ عواذِلي من عتابي [٢]

وقال جميلُ بن معمرٍ العُذري :

إنَّ المنـازلَ هيَّجت أطـرابي واستَعجَمتْ آياتُهـا بجوابي [٣]

وأثيثٍ من فوق لونٍ نقيٍ كبياض اللجين في الزّرياب

فأقل الملام فيهـــا وأقصر لجّ قلبي من لوعة واكتئاب

(١) مرى الناقة مرياً : مسح ضرعها للدّرة . والحِلاب ، بكسر الحاء المهملة : الاناء الذي يحلب فيه . وفي «الأغاني» « رد في الضرع ماقرى في الحلاب». وقرى الماء في الحوض : جمعه . والعِلاب ، بكسر العين المهملة : جمع عُلبة بضمها : وهي محلب من جلد . وفي الجمهرة : « العلبة » إناء من جلدِ جنب بعير ، وربما كان من أديم ، والجمع علاب ، يتخذ كالعُسّ يحتلب فيه ، وأنشد البيت .

ورواية البيت في «شرح شواهد الشافية» للبغدادي ٣١٧/٤ « صاح هل ريت .... » قال البغدادي : أصله : هل رأيت ، واستشهد به صاحب « الكشاف » على قراءة الكسائي « أريت الذي يكذب بالدين » وروي « صاح أبصرت أو سمعت براع » وعلى هذا لا شاهد فيه .

(٢) في «الأغاني» « انقضت شرتي وأقصر جهلي ». وفي «اللسان» : الشرة : النشاط . وفي الحديث « ان لهذا القرآن شرّة ، ثم إن للنـــاس عنه فترة » ، الشرة : النشاط .

(٣) ديوانه : ٣١ ، و«الأغاني» : ٢٣١/٢ ، و ١٠٦/٨ ، وانظر خبر هذا الشعر فيه . والأطراب : جمع طرب ، وهو الشوق . واستعجمت : سكتت .

قفراً تلوحُ بذي اللُّجينِ كأنَّها ... أنضاءُ وشمٍ أوسُطورُ كتاب [١]

لما وقفْتُ بها القَلُوصَ تبادَرَتْ ... مني الدُّموعُ لفُرقةِ الأحباب [٢]

وذكرت عصراً يا بثينة شفَّني ... إذ فاتني وذكرتُ شَرْخَ شبابي [٣]

وقال الشريف الرضي رحمه الله [٤] :

أيا منازِلَ سلْمى أينَ سَلْماكِ ... من أجلهـا إذ أتيناها أتينـاكِ

زُرناكِ شوقاً ولو أنَّ النَّوى بسَطَتْ ... عرْضَ الفلاةِ لنا جَمْـراً لزُرْناكِ

وقال أبو الصَّفي رفاعة بن عاصم الثقفي :

أمـنزلـتي ثجَّاء من بَطْـنِ واسـطٍ ... إلى ذي الأراطي كيفَ حالُكُما بعدي؟

تتابعَ أنواءُ الربيـعِ عليكما ... أما لكما بالمالكيّةِ من عَهْدِ ؟ [٥]

---

(١) في «الأغاني» ٢/١٣١ « قفرٌ » ، وذو اللجين : لعله اسم موضع ولم يذكر في كتب البلدان والمعاجم التي بين أيدينا . وأنضاء : جمع نضو ، وأصله البعـــير المهزول ، وأطلق هنا على ماتبقى من الوشم لقلته وامّحائه .

(٢) القلوص : الناقة الشابة .

(٣) في «الأغاني» « ... شاقني ، وذكرت أيامي ..... » وشرخ الشباب : أوله ونضارته وقوته .

(٤) لم يرد هذان البيتان في « ديوان الشريف » ، ولعلها لأحـد الشعـراء ممن عارض قصيدة الشريف الرضـي ، السائرة :

يا ظبية البان ترعى في خمائله ... ليهنك اليوم أن القلب مرعاك

(٥) في « معجم ياقوت » : المالكية : نسبت إلى رجل اسمه مالك ، قرية على باب بغداد ، وأخرى على الفرات بالعراق .

وقال آخر :

سقى الله بابَ الكَرْخِ من مُتَنَزَّهٍ　　إلى قصْرِ وضّاحٍ فبِرْكَةِ زُلْزُلِ (١)

منازلِ لو أن امرأَ القيسِ حلَّها　　لأقصرَ عن ذكرى حبيبٍ ومنزلِ

وقال كُثَيِّرُ بنُ عبدِ الرحمن الخزاعي (٢) :

كأنْ لم تكُنْ سُعدى بأحياء غَيْقَةٍ　　ولم تُرَ من ليلى بهنّ منازل (٣)

---

(١) بركة زلزل : ببغداد بين الكرخ والصراة ، وباب محول وسويقة أبي الورد ، حفرها زلزل : أحد الذين يضرب بهم المثل في ضرب العود ، ووقفها على المسلمين ، ونسبت المحلة بأسرها إليه .

(٢) هو كثيّر عزّة شاعر متيم مشهور من أهل المدينة ، أكثر إقامته بمصر ، وفد على عبد الملك بن مروان ، فرفع منزلته واختص به ، وببني مروان . قال المرزباني : كان شاعر أهل الحجاز في الاسلام ، لا يقدمون عليه أحداً ، أخباره مع عزه بنت جميل الضّمرية كثيرة ، انظر ترجمته وأخباره في «الأغاني» ٩/١ ، و«طبقات ابن سلام» : ٤٥٧ ، و«الشعر والشعراء» ٤٨٠/١ ، و«معاهد التنصيص» ١٣٦/٢ ، و«الخزانة» ٣٨١/٢ ، و «سمط اللآلي» : ٦١/١ .

(٣) ديوانه ٩١/٢ من قصيدة يمدح بها عبد العزيز بن مروان مطلعها :

عفا ميث كلاءى بعدنا فالأجاول　　فأثماد حسنى فالبراق القوابل

وفيه « بأعناء غيقة » قال الشارح : الأعناء : جمع عنو وعنا : وهي الجوانب والنواحي . وغيقة : قال ابن حبيب : هي لبني غفار بن مليل بن ضمرة بن بكر ابن عبد مناف بن كنانة ، وهو بين مكة والمدينة ، قال كثير :

عفت غيقة من أهلها فحريمها　　فبرقة حَسْنى قاعها فصريمها

ولم تتربَّـعْ بالسُّريرِ ولم يكـنْ ... به الصَّيفَ خيماتُ العُذَيبِ الظَّلائل (١)

أبى الصبرَ عن سُعدى هوى ذو عَلاقةٍ ... ووجدٌ بسعدى شاركَ القلْبَ قاتِلُ

وقال جريرُ بنُ عطيَّة : (٢)

خليليَّ هيجا عَبْرةً أو قِفا بنـا ... على منْزلٍ بين النَّقيعة والحبلِ (٣)

فإني لباقي الدَّمعِ إن كنت باكياً ... على كلِّ دارٍ حلَّها مرةً أهلي

لعمرُكَ لولا اليأسُ ما انقطع الهوى ... ولولا الهوى ماحنَّ مِن والهٍ قبلي

تُريدينَ أن أرضى وأنتِ بخيلةٌ ... ومَنْ ذا الذي يُرضي الأخلاءَ بالبُخل (٤)

وقال أيضاً :

حيِّ المنازلَ بالبَرْدَينِ قد بلِيَتْ ... للحيِّ لم يبقَ منها غيرُ أبلادِ (٥)

---

(١) السرير ، بضم أوله : واد من أودية خيبر ، قال ابن اسحاق : وواديا خيبر : السرير وخلص . قال البكري : وهو من الجار على سبعة أميال ، قال كثير :

ديارٌ بأعناء السُّرير كأنما ... عليهن في أكناف غيقةَ شيد

(٢) ديوانه : ٤٦٠ ، « والنقائض » ١/١٤٤ ، من قصيدة يردُّ فيها على البعيث ، ويهجو الفرزدق .

(٣) في الأصل : « البقيعة » وهو تصحيف ، صوابه كما أثبتناه من « الديوان » ، و « النقائض » و « معجم البلدان » و « التاج » . قال أبو عبيدة : النقيعة : خبراء بين بلاد بني سليط وضبة ، والخبراء : أرض تنبت الشجر . وقال البكري : النقيعة : خبراوات بلبب الدهناء الأعلى ينتقع فيها الماء .

(٤) في الديوان و« النقائض » « ... أن نرضى ... يرضي الأحباء ... » .

(٥) ديوانه : ١٥٣ من قصيدة يمدح بها معاوية بن هشام بن عبد الملك .—

ما كِدْتَ تعرِفُ هذا الربعَ غيَّرهُ   مرُّ السِّنين كما غيَّرنَ أجلادي (١)

لقد علِمتُ وما أُخبرتُ عن أحدٍ   أنَّ الهوى بنقى البشرين معتادي (٢)

وقال عروة بن الورد (٣) :

ألمْ تعرِفْ منازِلَ أمِّ عمروٍ   بمُنعرَجِ النَّواصفِ من أبانِ (٤)

ـ والبردان : قال البكري : أراد بَرِداً ، فثناه وخففه ، وهو موضع من حرَّة ليلى ، والأبلاد : جمع بلد ، وهو الأثر .

(١) في « اللسان » أجلاد الانسان وتجاليده : جماعة شخصه ، وقيل : جسمه وبدنه . ذلك لأن الجلد محيط بها .

(٢) في الديوان « من أحد ... بنقى يبرين ... » ويبرين : رمل معروف في ديار بني سعد من تميم .

(٣) هو عروة بن الورد بن زيد من بني عبس ، من شعراء الجاهلية وفرسانها ، وكان يلقب بعروة الصعاليك لجمعه إياهم ، وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم ، ولم يكن لهم معاش ولا مغزى ، ترجمته في « الأغاني » ٣/٧٠ ، و« الشعر والشعراء » ٢/٦٥٧ ، و« السمط » ٢/٨٢٣ ، و« الخزانة » ٤/١٩٤ ، و« رغبة الآمل ٢/١٠٤ . والأبيات في « منتهى الطلب » : ٢٤٩ .

(٤) المنعرج : المنعطف ، والنواصف : قال الأصمعي : واحدتها ناصفة ، مواضع تتسع من الأودية كالرحاب . وأبان ، بفتح أوله : جبل ، قال البكري : وهما أبانان : أبان الأبيض ، وأبان الأسود ، بينهما نحو فرسخ ، ووادي الرُّمَّة يقطع بينهما ، كما يقطع بين عدنة وبين الشَّربَّة ، فأبان الأبيض لبني جُريد من بني فزارة خاصة ، والأسود لبني والبة من بني الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد .

وقفتُ بها ففاضَ الدَّمعُ منّي كمُنحَدِرٍ من النَّظم الجُمان
ولكن لن يُلبّثَ وَصلَ حيٍّ وجدَّة وَجهِهِ مرُّ الزَّمان

وقال حفص الأموي[1] :

يا مَنْزِلَ الحيّ بالأجراع من لَجِبٍ بادتْ معارِفه في سالفِ الحِقَبِ[2]
دارٌ لأسماءَ إذ كانتْ تُجاوِرُنا والحبلُ إذ كان منها غيرُ مُنقَضِبِ
إذا تذكَّرتُ أهلَ الغمْرِ ساعدَني موّارُ دمعٍ على الخدَّين مُنسَكِبِ[3]
كانوا لنا جيرة حتى تخوَّنهم دهرٌ يفرِّقُ بينَ الجيرةِ الصَّقَبِ[4]

---

(١) في «معجم الادباء» ٢٠٩/١٠ : شاعر من شعراء الدولة الأموية ، عاش حتى أدرك دولة بني العباس ، ولحق بعبد الله بن علي فاستأمنه ، فهو من مخضرمي الدولتين ، وكان يختلف إلى كثير بن عبد الرحمن المعروف بكثير عزة الشاعر ، يروي عنه شعره .

(٢) في «اللسان» الجَرعة والجرْعة والجرع والأجرع والجرعاء : الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل ، وقيل : هي الرملة السهلة المستوية ، وقيل : هي الدِّعص لا تنبت شيئاً . والجرعة عندهم : الرملة العذاة الطيبة المنبت التي لا وعوثة فيها ، وجمع الجَرع : أجراع وجراع ، وجمع الجرعة جراع . معارفه : ماعرف منه . وسالف الحقب : الأزمان الغابرة .

(٣) الغمر : ماء باليمامة أو موضع لطيىء ، أو هو جبل أحمر طويل لحي من بني أسد ، يقال لهم : بنو مخاشن ، قاله البكري .

(٤) في «اللسان» تخونته الدهور وتخوفته ، أي : تنقَّصته ، والصَّقَب : القرب ، يقال : هو صقَبُك ، معناه : القرب ، ومكان صَقَبٌ وصَقِب : قريب .

وغرَّبتهم نوىً عنَّا مطوِّحةٌ ومن تَغُلْهُ النَّوى يَشحطْ ويغترِبِ [(١)]

جاءَ الفِراقُ ولم نلْبسْ لِبغتتِهِ ثوبَ العزاءِ ولم نذْهل عن الطَّرَبِ [(٢)]

فنحن بينَ شجٍ لم يقضِ عبْرَتَه وبينَ حرّانَ باكي العينِ مُنتحِبِ [(٣)]

وقال جميل بنُ معْمر :

أهاجتكَ المنازِلُ والطُّلولُ عَفوْنَ وخفَّ منهنَّ الحُمولُ [(٤)]

نعمْ وذكرتَ دنيا قد تقضَّتْ وأيُّ نعيمِ دُنيا لا يَزولُ

أُسائلُ دارَ بثنةَ أينَ حلَّتْ كأنَّ الدارَ تفهمُ ما أقولُ

وقال الشريف الرضي رضي الله عنه :

يقرُّ بعيني أن أرى لكِ مَنزِلاً بنَعْمانَ يزكو تُرْبُهُ ويطيبُ [(٥)]

وأرضاً بنُوّارِ الأقاحي صقيلةً تردَّدُ فيها شمألٌ وجنوبُ

وأيُّ حبيبٍ غيَّبَ النَّأيُ شخصَهُ وحالَ زمانٌ دونَهُ وخُطوبُ

---

(١) طوّحه تطويحاً : توّهه وذهب به هاهنا وهاهنا ، أو حمله على ركوب مفازة يخاف فيها هلاكه . وغاله الشيء غولاً واغتاله : أهلكه .

(٢) البغتة : الفجأة . الطرب هنا : الحزن ، والكلمة من الأضداد .

(٣) الشجو : الحزن ، قال في « اللسان » : وأما « شجٍ » بالتخفيف ، فهو اسم الفاعل من : شجي يشجى فهو شجٍ . والنحب والنحيب : رفع الصوت بالبكاء ، والانتحاب مثله .

(٤) لم ترد هذه الأبيات فيما جمع من شعره .

(٥) ديوانه ١٤١/١ . ونعمان ، بفتح أوله واسكان ثانيه : وادي عرفة دُونها الى منى وهو كثير الاراك .

تطاولَتِ الأعلامُ بيني وبينه ... وأصبحَ نائي الدّارِ وهوقريبُ [١]

يقولونَ مَشعوفُ الفؤادِ مُرَوَّعٌ ... ومشعوفة تدعو به فيُجيبُ [٢]

عفافيَ مِن دونِ التقيَّةِ زاجرٌ ... وصونُكِ من دونِ الرقيبِ رقيب

وفي القلبِ داءٌ في يديكِ دواؤه ... ألا رُبَّ داءٍ لا يراهُ طبيبُ

وقال زهير بن أبي سُلمى :

كمْ للمنازلِ من عامٍ ومن زَمَنٍ ... لِآلِ أسماءَ بالقُفَّيْنِ فالرُّكُنِ [٣]

لآلِ أسماءَ إذ هامَ الفُؤادُ بها ... حيناً وإذ هيَ لم تظعَنْ ولمْ تبِنِ [٤]

وإذ كلانا إذا حانتْ مُفارَقةٌ ... من الدِّيارِ طوى كشحاً على حَزَنِ [٥]

---

(١) في الديوان بعد هذا البيت :

لكِ اللهُ من مَطْلولةِ القلْبِ بالهوى ... قتيلةِ شوقٍ والحبيبُ غريبُ

أقِلُّ سلامي إن رأيتُكِ خيفةً ... وأعرِضُ كيما لا يقالَ مُريبُ

وأطرِقُ والعينانِ يُومِضُ لحظُها ... إليكِ وما بيْنَ الضلوعِ وجيبُ

(٢) في « الديوان » بعد هذا البيت :

وما علموا أنّا إلى غير ريبةٍ ... بقاءَ الليالي نغتدي ونؤوبُ

(٣) ديوانه : ص : ١١٦ من قصيدة يمدح بها هرم بن سنان ولم يروها الأعلم ، وهي من رواية الكوفيين . القفان : قال ياقوت : القف ، علم لواد من أودية المدينة ، وقد ورد في شعر زهير مفرداً ومثنى . ورُكُن : موضع باليمامة .

(٤) لم تظعن : لم ترتحل . وتبن : تفارق . يقول : كانت هذه المنازل لها اذا هام الفؤاد بها .

(٥) إذا حانت مفارقةٌ : إذا جاءت ساعة المفارقة . طوى كشحاً على حزن : أي ولى على حزن ، ومنه : طوى كشحه عني ، ومنه : عدوٌ كاشح ، أي : مُوَلٍّ .

فقلتُ والدّارُ أَحياناً يشُطُّ بهـا ... صَرْفُ الأميرِ على ما كانَ من شَجنِ (١)

لصاحبي وقـد زالَ النَّهارُ بنا ... هلْ تؤْنسانِ ببطنِ الجوِّ من ظُعُنِ (٢)

يقطْعنَ أميالَ أجوازِ الفَلاةِ كما ... يغشى النَّواتي غِمارَ اللُّجِ بالسُّفُنِ (٣)

وقال النَّابغة الذبياني :

أهاجَكَ مِنْ أسماءَ رَبعُ المنازلِ ... بروضَةِ نُعْمِيٍّ فذَاتِ الأجاوِلِ (٤)

---

(١) في الديوان : على من كان ذا شجن . يشط بها : يبعد بها . وصرف الأمير : تصرفه وتقلبه حيث يريد . والأمير : الذى يؤامر في الأمر، ويأمر القوم بالمسير : يصدرون عن رأيه . الشجن : الهوى والحاجة .

(٢) في الديوان بعد هذا البيت :

قد نكَّبَتْ ماءَ شرجٍ عن شمائلها ... وجوّ سلمى على أركانها اليُمنِ

وزال النهار بنا : أي تقارب مجيء الليل . تؤنسان : تبصران . والظعن : النساء في الهوادج ، والظعينة : مركب المرأة ، والظعينة : المرأة . والجو هنا : موضع ، قال في « الصحاح » : هو باليمامة ، وفي « تاج العروس » أنه علم على ثلاثة عشر موضعاً غير اليمامة .

(٣) في « الديوان » « يقطعن أجواز أميال الفلاة كما » الميل : القطعة من الأرض على مدّ البصر والجمع أميال ، وقال أبو عمرو : والأميال هاهنا : أميال الطرق ، علاماتها يهتدى بها . أجواز : أوساط ، والواحد : جوز . والنواتي : الملاحون ، والواحد : نوتي . والغمار : الماء الكثير ، والواحدة : غمرة . واللج : معظم الماء لاترى جانبيه ، والواحدة لجة .

(٤) « مختار الشعر الجاهلي » ص ٢٠٨ ورواية البيت فيه : -

أرَبّتْ بها الأرواحُ حتى كأنَّما   تهادَيْنَ أعلى تُربها بالمناخلِ (١)

عَهِدْتُ بها حيّاً كِراماً فبُدِّلتْ   خناطِيلَ آرامِ الظِّباء المطافلِ (٢)

أهاجَكَ من أسماءَ رسم المنازِلِ   بروضة ُنعميٍّ فذات الأجاوِلِ

وفي الديوان بشرح ابن السكيت ص : ٢٧ : « ببرقة ُنعْميٍّ فروض الأجاول »

والروضة : الموضع الذي فيه ماء ونبت ، فان كان فيه نبت وشجر فهو حديقة .

ونعمي : قال الزمخشري : وادٍ بتهامة . والأجاول ـ في الأصل : الأحاول ، بالحاء ،

وهو تصحيف ـ موضع نواحي كلفى ، وهي بين الجار وودان ، أسفل من الثنية ،

قاله محمد بن حبيب .

(١) أربت : لزمت وألحت فلم تبرح . وقوله : تهادين : قال ابن السكيت :

يقول : كأن الشمال تهدي إلى الجنوب ، والجنوب إليها ، يريد أن الرياح تعاقبت على

هذه المنازل . وفي الديوان بعد هذا البيت :

وكلُّ ُملِثٍّ مكفَهِرٍّ سحابُه   كميش التوالي مرثَعِنٍّ الأسافل

إذا رجفت فيه رحاً مرجَحِنّةٌ   تبعَّق ثجّاجٌ غـزيرُ الحوافِلِ

والملث : السحاب الدائم . والمكفهر : المتراكب الغليظ . والكميش : السريع .

المرثعن : المسترخي ، ويقال للسحابة المستديرة : هذه رحى مرجحنة . وتبعق :

انفرج من الودق وانشق . والثجاج : الصباب . والحوافل : السحاب الكثير الماء .

(٢) في « مختار الشعر الجاهلي » « خناطيل آجال النَّعام الجوافِلِ » وخناطيل :

جماعات ، الواحدة : خنطلة ، وخنطل . والمطافل : أولاد الظباء ، قال ابن السكيت :

ويروى « النعاج » مكان الظباء .

وقال زهير :

لِسَلْمى بشرْقِيّ القَنانِ منازلُ ... ورَسمٌ بصَحراءِ اللُّبَيَّيْنِ ماثلُ (١)

أتى عامَ حلَّتْ صيفُه وربيعُه ... وعامٌ وعامٌ يتبَعُ العامَ قابلُ (٢)

تحمَّل عنها أهلُها وخلتْ لها ... سِنونَ فمنها مُستَبينٌ وحائل (٣)

---

(١) ديوانه ص : ٢٩٢ ، وفيه « حائل » بدل « ماثل » وهما بمعنى . بشرقيّ : مما يلي الشرق منه . والقنان : جبل لبني أسد . ورسم: أثر بلا شخص ، واللبيين : موضع .

(٢) في « الديوان » « عفا » قال الشارح : عفا : درس ، ويروى : « عفت . عاماً وعاماً » وفي الشرح : « أي ذهب ذلك العام الذي حلت فيه ومضى ، أي عفا صيف ذلك العام وربيعه ، ومضى عام يتبع ذلك العام . قابل : أي : مقبل ، وكان الوجه « عامٌ » ولكنها إضافة غير محضة ، كما تقول : هذا يومَ أقوم ، وهذا يومَ أكرمتك ، فان قلت : هذا يوم أكلي ، لم يكن إلا الرفع ، لأنها إضافة صحيحة ، والاولى غير محضة » . ورفع الصيف والربيع على معنى العام .

(٣) في « الديوان » « تحمل منها ... فمنها مستبين وماثل » وماثل : دارس لاطىء . ومنها : يريد من هذه المنازل . وحائل : متغيّر ، يريد منها مايستبين ، ومنها مالا يستبين . وبعد هذا البيت :

كأنَّ عليها نُقبَةً حِمْيريَّةً ... يقطّعُها بين الجفون الصياقلُ

تبصّر خليلي هل ترى من ظعائنٍ ... كما زالَ في الصُّبحِ الأشاءُ الحواملُ

نَشَزْنَ من الدَّهناءِ يقطعن وسطَها ... شقائقَ رَمْلٍ بينهنّ خمائلُ

فلما بدَت ساقُ الجواءِ وصارةٌ ... وفَرْشٌ وحمَّاوا تُهنّ القوابلُ

طربت . . . . .

طَرِبتَ وقال القلبُ هل دونَ أهلِها ... لِمَنْ جاورَتْ إلا لَيالٍ قلائِل

وقال عديٌّ بن الرقاع :

أَتعرِفُ بالصحراءِ شرقيَّ شابكٍ ... منازِلَ أعراها الأنيسُ ومَلْعبا [1]

ظَلِلت أُرائيها صِحابي وقد أرى ... بها أَهلَها من بين غرٍّ وأشيبا

ومُحْتَجِباتٍ بالسُّتورِ كأنَّما ... تُجِنُّ سُتورُ الخَزِّ منهُنَّ رَبْرَبا

أَخطْرَةُ شوقٍ في الفؤادِ تعرَّضَتْ ... لِتشْكأَ قلباً مُستَهاماً معذَّبا

وقال ذو الرمة غيلان : [2]

خليليَّ عُوجا مِنْ صُدُورِ الرَّواحِلِ ... بِجُمهورِ حُزْوى فابكيا في المنازِلِ [3]

لعلَّ انحدارَ الدَّمعِ يُعقِبُ راحةً ... مِنَ الوَجْدِ أو يشْفي نجيَّ البلابلِ [4]

---

(١) في « معجم البلدان » شابك : موضع من منازل قضاعة بالشام في قول عدي بن الرقاع الشاعر، ثم أنشد البيتين .

(٢) هو غيلان بن عقبة العدوي ، شاعر أموي ، أحب مية ، وعرف بها ، توفي ١١٧ هـ . انظر ترجمته وأخباره في «الأغاني» ٣٠٦/١٧، و«الشعر والشعراء» ٥٠٦/١ و«الموشح» : ١٧٠ ، و«طبقات ابن سلام» : ٤٦٧ ، و «وفيات الاعيان» ١٨٤/٣ ، و«خزانة البغدادي» ٥١/١ .

(٣) ديوانه : ص ٤٦١ ، والجمهور : الرملة العظيمة المشرفة على ماحولها . وحزوى : موضع في ديار بني تميم ، قاله البكري . وفي «الاغاني» ٣٦٥/٥ : بجرعاء حزوى . والجرعاء : الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل ، وقيل : هي الرملة السهلة المستوية .

(٤) النجي : ماتحدث به نفسك . والبلابل : الهموم في الصدور . وفي الخزانة —

دَعاني وما داعي الهوى مِنْ بلادِها إذا ما نأتْ خرقاءُ عنّي بغافـل [(١)]

وقال أيضاً :

أَلا حـيِّ المنـازِلَ بالسَّلامِ على نُحْلِ المنـازِلِ بالكلامِ [(٢)]

لِمَيٍّ باللِّوى دَرَجَتْ عليـه رياحُ الصَّيف عاماً بعدَ عامِ [(٣)]

أَلا يا ليْتَنـا يا مَـيُّ نَدْري متى نَلْقاكِ في عَرَجِ اللِّمامِ [(٤)]

– ٥١٩/٤ ؛ والديوان : أن أبا بكر بن عياش قال : كانت تصوبني مصيبة ، فأصبر وأكظم ، فأسرع ذلك في بدني ، فمررت بكناسة الكوفة ، فرأيت أعرابياً ينشد :

لعل انحـدار الدمع يعقب راحة من الوجد أو يشفي نجي البلابل

فأصابتني مصيبة ، فبكيت ، فوجـدته أهونَ عليَّ ، فسألت عن الاعـرابي ، فقيل : هو ذو الرمة . وفي الديوان بعد هذا البيت :

وإن لم تكُنْ إلا رُسُوماً محيلةً ورَمْكاً على وُرْقٍ مطايا مراجل

كأنّ قرا جرعائها رجّعَتْ بـه يهوديَّة الاقلامِ وحي الرسائلِ

(١) نأت : بعدت . يقول : هواها مايغفل عني وإن بعدت عنها .

(٢) ديوانه ص : ٥٩٤ .

(٣) في الديوان « لميٍّ بالمعا » والمعا : موضع ، وفي الديوان بعد هذا البيت :

سَحَبْنَ ذُيولَهُنّ بها فأمْسَتْ مصرّعةً بهـا دِعَمُ الخيامِ

رَجَحْنَ على بوارِحِ كلّ نجم و طيَّرتِ المواصِفُ بالثُّمام

تجاورُهُنَّ بالعَرَصاتِ شُعْثٌ عواطِلُ قد خُلِعْنَ من الرّمامِ

كأنّ مغانيَ الأصرامِ فيهـا ملمّعَـةٌ معـالِمُها بشـامِ

(٤) في عوج اللّمام : في عطف اللمام ، يريـد : حتى تـلم الدار بالدار ، أي حين يجتمع القوم ، يقال : ألمّ به : إذا أتاه .

وقال أيضاً :

أَمَنْزِلَتَيْ ميٍّ سلامٌ عليكما   على النَّأي والنَّائي يودُّ ويَنْصَحُ (١)

ولا زالَ من نوءِ السِّماكِ عليكما   ونوءِ الثُّريَّا وابلٌ متبطِّحُ (٢)

وإنْ كُنْتُما قد هِجْتُما راجعَ الهوى   لِذي الشَّوقِ حتى ظلَّتِ العينُ تَسْفَحُ

أَجلْ عَبْرةً كادَتْ لِعرْفانِ مَنْزِلٍ   لِميَّةَ لو لم تُسْهِلِ الماءَ تَذْبَحُ (٣)

إذا غيَّرَ النَّأيُ المحبِّينَ لم أجِدْ   رَسيسَ الهوى من حبِّ ميَّةَ يَبْرَحُ (٤)

---

(١) ديوانه : ٧٧ . ويروى : أيا طللي ميّ ... والنائي : البعيد ، يعني نفسه ، يقول : هو يود وينصح .

(٢) النوء : سقوط نجم مع ظهور نجم آخر . والسماكان : نجمان نيران ، يقال لأحدهما : السماك الرامح ، لأن أمامه نجماً صغيراً ، يقال له : راية السماك ورمحه ، وللآخر : السماك الأعزل ، لأنه ليس أمامه شيء . والثريا : من الكواكب ، سميت بذلك لغزارة نوئها ، وقيل : سميت بذلك لكثرة كواكبها مع صغر مرآتها ، فكأنها كثيرة العدد بالاضافة إلى ضيق المحل .

(٣) في الديوان بعد هذا البيت :

على حين راهقتُ الثلاثين وارْعوتْ   لداتي وكاد الحِلمُ بالجهل يرْجحُ

(٤) في الديوان : لم يكد . والنأي : البعد . ورسيس الهوى : مسه . ويبرح : يزول . قال في « الخزانة » ٤/٧٥ يقول : إن العشاق إذا بعدوا عمّن يحبون ، دبّ السلو إليهم ، وزال عنهم ما كانوا يقاسون . وأما أنا فلم يقرب زوال حبّها عني ، فكيف يمكن أن يزول ؟! .

فلا القُرْبُ يُدْني مِنْ هواها مَلالَةً ... ولا حبُّها إن تنزحِ الدَّارُ ينزحُ (١)

تَصَرَّمُ أهـواءُ القُلُوبِ ولا أرى ... نصيبكِ مِنْ قلبي لغيركِ يُمنحُ (٢)

وبعضُ الهوى بالهَجْرِ يُمحى فينمحي ... وحبُّكِ عندي يستجِدُّ ويَرْبَحُ (٣)

وقال ذو الرمة أيضاً :

ألا أيُّهذا المَنْزِلُ الدَّارِسُ اسلَمِ ... وأُسقيتَ صَوْبَ الباكِرِ المُتَغَيِّمِ (٤)

وإن كُنْتَ قدهيَّجتَ لي دونَ صُحْبَتي ... رسيسَ هوىً من حبِّ ميَّةَ مُسْقِمِ (٥)

هوىً كادَتِ العينانِ يَفرُطُ منهما ... له سَنَنٌ مثـلُ الجُمانِ المنظَّمِ (٦)

---

(١) ينزح : يبعد ، يقول : لايتغير عما عمد لها من الحب لا في قربها ، ولا في بعدها . وفي الديوان بعد هذا البيت :

إذا خطرتْ منْ ذكر ميّة خطرةٌ ... على النّفس كادتْ في فؤادك تجرحُ

(٢) في الديوان « تصرّف » . ويمنح : يعطى . يقول : من الناس من يهجر فيمحى حبه ، وحبك يتجدد ويزداد .

(٣) في « الديوان » فيمتحي ، قال في « اللسان » : وامّحى الشيء يمّحي امّحاء ، انفعل ، وكذلك امتحى : إذا ذهب أثره ، وكره بعضهم امتحى ، والأجود امّحى ، والأصل فيه : انمحى ، وأما امتحى فلغة رديئة .

(٤) ديوانه ص ٦٢٦ ، وفيه : « سُقِّيْتَ » وفي الديوان بعده :

ولا زال مسنُوّاً ترابُكَ تستقي ... عزاليَ بَرّاقِ العوارِضِ مُرْزِمِ

(٥) في الديوان « رجيع هوى » .

(٦) يفرط : يسبق . وفي الحديث « وأنا فرطكم على الحوض » . السنن : ماجرى منه . والجمان : حب من فضة كهيئة اللؤلؤ ، شبه قطرات الدمع به ، وفي الديوان بعد هذا البيت الأبيات التالية : —

أحبُّ المكانَ القَفْرَ من أجلِ أنني ... بـه أتغنّى باسْمِها غيرَ مُعْجِمِ

وقال الحارثُ بن خالد :(١)

إنّي وما نحرُوا غـداةَ مِنىً ... عِنْدَ الجِمارِ تَؤُودُها العُقْلُ (٢)

لو بُـدِّلتْ أعـلى منازِلِهـا ... سُفْـلاً وأصبحَ سُفْلُهـا يعلُو (٣)

وماذا يَهيجُ الشّوْقَ مِنْ رَسْمِ دِمْنَةٍ ... عَفَتْ غيرَ مِثْلِ الحِمْيَرِيِّ المسهَّمِ

أرَبّت بها الأمطارُ حتى كأنَّها ... كتاب زبورٍ في مهاريقِ مُعْجَمِ

وكلُّ نؤوجٍ ينبري من جُنُوبها ... بِتَسْهاكِ ذَيْلٍ من فرادى ومُتْئِمِ

أضرّتْ بها الأرواحُ أو كلُّ ذبلةٍ ... دَرُوجٍ متى تعْصِفْ بها الريحُ تَرْسُمِ

لِمِيَّةَ عنـد الزُّرق لأيـاً عرفتُها ... بجُرْثومـةِ الآري والمتخيَّمِ

ومستَقْوِسٍ قد ثلّمَ السَّيْلُ جدْرَهُ ... شبيـهٍ بأعضـادِ الخبيطِ المهـدَّمِ

فلمـا رأيتُ الدّارَ غشّيْتُ عمّتي ... شآبيبَ دَمْـعٍ لِبْسَةَ المتلثّمِ

مخافـةَ عيـني أن تَنمَّ دموعُها ... عليّ بأسرارِ الضّميرِ المكتّمِ

(١) هو الحارث بن خالد بن العاص بن هشام المخزومي : شاعر غزل من أهل مكة ، نشأ في أواخر أيام عمر بن أبي ربيعة ، وكان يذهب مذهبه ، لايتجاوز الغزل إلى المديح ولا الهجاء ، ترجمته في « الأغاني » ٩/٢٢٧ ، و «تهذيب ابن عساكر» ٣/٤٣٧ و«خزانة البغدادي» ١/٢١٧ ، و«السمط» ٢/٦٤٥ .

(٢) « الأغاني » ٣/٣١٣ ، و«المختار من شعر بشار» : ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، و«الأمالي» ٢/١٤ ، و«زهر الآداب» ١/٢٣٨ ، والأول والثاني والرابع في «الحماسة» بشرح المرزوقي ٣/١٢٨٢ . وتؤودها : تثقلها . والعُقُل : جمع عقال ، ويجوز في عين هذا الجمع التسكين كما هنا .

(٣) في « الاغاني » « لو بدلت أعلى مساكنها » .

فيكادُ يعرِفُها الخبيرُ بها فيرُدُّهُ الإقواءُ والمَحْلُ (١)
لعَرفتُ مَنْزِلها بما ضَمِنَتْ مِنّي الضُّلوعُ لأهلِها قبلُ (٢)

وقال البحتري :

جئنا نحيّي من أثيلَةَ مَنْزِلاً جُدُداً معالِمُه بذي الأنصابِ (٣)
أدّى إلي العَهْدَ مِنْ عِرْفانِها حتّى لكادَ يَرُدُّ رَجعَ جوابي (٤)

وقال أيضاً :

مُستهتَرٌ بالظاعنينَ وفيهم صدٌّ يسعِّرُ لوعةَ المُستهتَرِ (٥)

---

(١) أقوت الدار إقواء : أقفرت . والمحل : الجدب .

(٢) في الاغاني « لعرفت مغناها بما احتَمَلَتْ » .

(٣) ديوانه ٢٨٩/١ من قصيدة يمدح بها ابراهيم بن المدبّر ، ويذكر وقعته مع الزنج ، مطلعها :

قد كان طيفُكَ مرّةً يُغرى بي يعتادُ رَكْبي طارقاً وركابي
فالآن مايزدار غير مغبّةٍ ومن الصُّدودِ زيارة الاغبابِ

(٤) في الديوان « من عرفانه » .

(٥) ديوانه ٨٦٠/٢ وفيه « يضرِّم » والابيات من قصيدة يمدح بها أبا صالح عبد الله بن محمد بن يزداد ، ويذكر خروج عبيد الله بن يحيى بن خاقان إلى مكة ، مطلعها :

هجَرتْ وطَيْفُ خيالِها لم يَهْجُرِ ونأت بحاجةِ مُغْرَمٍ لم يُقْصِرِ
ودَعَتْ هواكَ بموعدٍ متيسِّر يوم اللقاء ونائلٍ متعذِّرِ

قال في « اللسان » : الاستهتار : الولوع بالشيء ، والافراط فيه حتى كأنه أهتِر ، أي خرف . والمستهتر : المولع .

يَسَلُ المنازِلَ عنهم وعلى اللِّوى ... دِمَنُ دَوارِسُ إن تُسَلْ لم تُخْبِرِ [(١)]

ومِنَ السَّفاهةِ أن تظلَّ مُكفْكِفاً ... دَمعاً على طَلَلٍ تأبَّدَ مُقْفِرِ [(٢)]

وقال أيضاً :

لا زالَ محتَفِلُ الغَمامِ الماطِرِ ... يَهْمي على حَجَراتِ أهلِ الحاجرِ [(٣)]

فَلَرُبَّ مَنْزِلَةٍ هناكَ مُحيلَةٍ ... ومَحَلَّةٍ قفرٍ ورَسْمٍ داثِرِ [(٤)]

أبهتْ لساكِنِها النَّوى وتكشَّفتْ ... عن أهلِها سِنَةُ الزَّمانِ الناضرِ [(٥)]

ولقد تكونُ بها الأوانسُ من مها ... ميلِ القلوبِ إلى الصِّبى وجآذِرِ [(٦)]

---

(١) يسل : مخففة من « يسأل » .

(٢) في « اللسان » : الاوابد ، جمع آبدة : وهي التي قد توحشت ونفرت من الأنس ، ومنه قيل للدار إذا خلا منها أهلها ، وخلفتهم الوحش بها : قد تأبَّدت ، قال لبيد : بمنى تأبَّدَ غَوْلُها فرِجامُها . وتأبّدَ المنزل : أي أقفر وألفته الوحوش .

(٣) ديوانه ١٠١٦/٢ وفيه : « محتفل الغمام الباكر » ، ومحتفل الغمام : يريد السحاب الذي اجتمع ماؤه وامتلأ ، قال في « اللسان » : الحفل : اجتماع الماء في محفله ، ومَحْفِلُ الماء : مجتمعه . يهمي : يصب . وفي « اللسان » : وحُجْرة القوم : ناحية دارهم ، والجمع حُجْر وحَجَرات . والحاجر في اللغة : من مسايل المياه ومنابت العشب ما استدار به سند أو نهر مرتفع ، والحاجر : منزل من منازل الحاج بالبادية ، وقال البكري : موضع في ديار بني تميم .

(٤) في الديوان « فلرب أطلال » . والداثر : المحو .

(٥) في « اللسان » : أبَهَ له يأبَهُ أبها ، وأبِهَ له وبه : فطن .

(٦) في الديوان « صور » والمعنى واحد ، والمها : البقر الوحشي ، والجآذر : أولادها .

وقال أبو حيَّة النُّميري :

طَرِبتَ وهاجَتْكَ المنازِلُ من جَفنِ ... ألا رُبَّما يعتادُكَ الشَّوقُ بالحُزنِ (١)

نظرتُ إلى أظعانِ زينبَ بالضُّحى ... فأعولتُها لو أنَّ إعوالَها يُغني (٢)

فوالله لا أنساكِ زَينَبُ ما دَعتْ ... مطوَّقةٌ ورْقاءُ شَجْواً على غُصنِ

وقال الأحوصُ :

زُبَيْرِيَّةٌ بالعَرْجِ منها منازِلٌ ... وبالخَيْفِ من أدنى منازِلِها رَسْمُ (٣)

---

(١) في « معجم البلدان » : جفن ، بالفتح ثم السكون ، ونون : ناحية بالطائف ثم أنشد البيت .

(٢) في «اللسان »: أعول إعوالاً وعوّل تعويلاً : إذا صاح وبكى . قلت : ويعني بقوله : « فأعولتها » أي : بكيت عليها .

(٣) في « معجم ما استعجم » : « زبيرية بالجزع .... وبالعرج ... » والعرج : قال البكري : بفتح أوله وإسكان ثانيه بعده جيم : قرية جامعة على طريق مكة من المدينة . وفي « معجم ما استعجم » ١٣٧٤/٤ : وحدّث يعقوب بن حميد قال : أقبلت من مكّة فلما صرت بوَدّان ، لقيت صفراء من مولّداتها ، فقلت : يا جاريه ما فعلت نعم ؟ ، فقالت : سل النصيب ، تريد قوله :

ألا تسأل الخيماتِ من بطنِ أرثَدٍ ... إلى النّخل من ودّان ما فعلت نُعمُ

أسائل عنها كلّ ركبٍ لقيتُه ... وما لي بها من بعد أن فارقت علم

وذكر اسحاق الموصلي أن هذا إنما هو لعبد الله أبي شجرة السُّلمي يشبب برملة بنت الزبير بن العوام وزاد فيه : —

أسائلُ عنها كلَّ ركبٍ لقيتُهُ ... ومالي بها من بعد مكّتنا عِلْمُ [(١)]

أيا صاحبَ النَّخلاتِ من بطنِ أرْثدٍ ... إلى النخل من ودَّانَ ما فعلَتْ نُعمُ [(٢)]

فإن تكُ حَرْبٌ بينَ قومي وقومِها ... فإني لها في كلِّ حادثةٍ سِلْمُ

وقال البحتري :

أكثَرْتَ في لَوْمِ المُحبِّ فأقلِلِ ... وأمرْتَ بالصَّبرِ الجميلِ فأجْمِلِ [(٣)]

لم يكْفِهِ نأيُ الأحِبَّةِ باللِّوى ... حتَّى ثَنَيْتَ عليهِ لوْمَ العُذَّلِ

أبالغور أم بالجلْسِ أمست وأينما ... تكن دارُها مني فذكري لها سُقم

زُبيريَّة بالجِزْعِ منها منازلٌ ... وبالعَرْج من أدنى منازِلها رَسْم

فان تكُ حربٌ بين قومي وبينها ... فقد ترتجي من كلِّ نائرةٍ سلْمُ

أتترك إتيانَ الحبيب تأثُّماً ... ألا إن هجران الحبيب هو الاثمُ

(١) في « معجم ما استعجم » : « ومالي بها من بعد أن فارقت علم » .

(٢) في « معجم ما استعجم » « ألا تسأل الخيمات من بطن أرثدٍ » قال ياقوت : ودان : بين مكة والمدينة ، قرية جامعة من نواحي الفُرع ، بينها وبين هرشى ستة أميال ، وبينها وبين الأبواء نحو من ثمانية أميال قريبة من الجحفة ، وهي لضمرة وغفار وكنانة ، وقرأت بخط كراع الهنائي على ظهر كتاب « المنضد » من تصنيفه قال بعضهم : خرجت حاجاً فلما جزت بودان أنشدت :

أيا صاحب الخيمات من بعد أرثدٍ ... إلى النخل من ودّان مافعلت نُعم

فقال لي رجل من أهلها : أنظر هل ترى نخلاً ؟ فقلت : لا ، فقال : هذا خطأ ، إنما هو النخل ، ونخل الوادي : جانبه .

(٣) ديوانه ٢٤٩/٢ من قصيدة يمدح بها محمد بن صالح الهاشمي .

قَسَمَ الصَّبابَةَ فِرْقَتَيْنِ فشوقُهُ   للظّاعنينَ ودمعُهُ للمنزلِ

متقسِّم الأحشاء يَندُبُ أَرْبُعاً   مُتقسّماتٍ بالصَّبا والشَّمْأَلِ (١)

حطَّتْ على تلكَ المنازلِ والرُّبا   منهنَّ أعباءُ الغمامِ المُثقَلِ (٢)

وقال أيضاً :

منازلُ لم نُذَمِّمْ عَهْدَ مُعرَسِنا   فيها ولا ذُمَّ يوماً عَهْدُها فينا (٣)

تَجَرَّمَتْ عندَها أيّامُنا حِجَجاً   مَعدودَةً وخلتْ فيها ليالينا (٤)

وقال أيضاً :

خُذا من بُكائي في المنازلِ أَوْدَعا   ورُوحا على لَوْمي بِهِنَّ أو ارْبَعا (٥)

فما أنا بالمشتاقِ إن قُلْتُ أسعِدا   لِنَنْدُبَ ربعاً من سُعادَ ومَرْبَعا (٦)

ولي لوْعَةٌ تَسْتَغْرِقُ الهَجْرَ والنَّوى   جميعاً ودَمعٌ يُنْفِدُ الحُبَّ أجمعا

---

(١) في الديوان : « ينشد أربعاً » .

(٢) في الديوان : « حطت على تلك الأجارع » والأجارع : جمع أجرع : الرملة الطيبة المنبت لا وعوثة فيها .

(٣) مجلة المجمع ، الجزء الاول ، المجلد الرابع والثلاثون : ١٠٣ ، تحت عنوان : مما لم ينشر من شعر البحتري ، للدكتور صالح الاشتر ، وفيه « عهد مغرمنا » وفي « اللسان »: التعريس : نزول القوم في السفر من آخر الليل يقعون فيه وقعة للاستراحة ثم ينيخون وينامون نومة خفيفة ثم يثورون مع انفجار الصبح سائرين . . . واعرسوا : لغة فيه قليلة . والموضع : معرَّس ومعرَس .

(٤) في « اللسان »: تجرمت السنة ، أي: انقضت ، وتجرم الليل : ذهب .

(٥) ديوانه ٢/١٦٦٣ وفيه « خذا من بكاءٍ » واربعا : قفا وانتظرا .

(٦) في الديوان : « لنندب مغنىً ». والاسعاد : المساعدة والموافقة والمعونة .

وقال مهيار بن مَرْزَويه الدَّيلمي :

وبالغورِ للناسينَ عهـديَ مَنْزِلٌ حَنانَيْكَ من شاتٍ أقامَ وصائفِ [١]

أُغالِطُ فيـه رِقْبَـةً لا جهالةً وأسألُ عنه وهو بادي المعارفِ [٢]

ويعذُلني في الدَّارِ صحبي كأنَّني على عَرَصاتِ الدَّارِ أوَّلُ واقفِ

أنشد المبرد قال : أنشدتني القريطية من بني قريط [٣] :

سقى اللهُ نجـداً من ربيـعٍ وصيّف وماذا نُرجّي من ربيعٍ سقى نجْدا [٤]

على أنه قـد كانَ لِلعَيْشِ مَرَّةً ولِلْبيضِ والفِتيـانِ منزلةً حمدا

وقال آخر :

وإنَّ بصَحْراء الغُـوَيرِ منازِلاً لِأحبابنا أكرِمْ بها من منازِلِ

وفيها الذي هامَ الفُؤادُ بحبِّها على أنَّه لم يحظَ منهـا بطائِلِ

وقال أبو الفتح الحسن بن عبد الله بن عبد الجبار بن أبي حصينة السُّلَمي [٥] :

---

(١) ديوانه ٢/٢٥٩ وفيه : « من شات لديه وصائف » .

(٢) في « الديوان » أغالط فيه سائلا .

(٣) هم بنو قريط بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب على ما في « جمهرة ابن حزم » : ٢٨٢ ، و« التاج » مادة : قرط ، والبيتان في « معجم البلدان » مادة : نجد ، غير منسوبين .

(٤) في « اللسان » : الصَّيِّف : المطر الذي يجيء في الصيف .

(٥) هو الحسن بن عبد الله بن أحمد بن عبد الجبار أبو الفتح بن أبي حصينة السلمي ، ولد ونشأ في معرة النعمان . كان شاعراً فحلاً مكثراً ، انقطـع الى أسرة بني مرداس ملوك شمالي الشام ، فمدحهم ، فأجازوه وأحسنوا إليـه فأثرى . —

سَلِ المنزلَ الغَوْريَّ أينَ خرائدُه　　وأينَ تولّى بـدْرُه وفراقِـدُه [1]
وإن كانَ ذاكَ الرَّبعُ مُذ بانَ أهلُه　　لَيعتادُهُ الوَجدُ الذي أنا واجدُه
ومن لوعةٍ من أهلِهِ لو شكوْتُها　　إليه لَلانَتْ وهي صُمٌّ جلامدُه [2]
وقفنا به فاستَمْطَرَتْ كلُّ مُقلَةٍ　　عِهادَ البُكـا آياتُـه ومعاهِـدُه [3]
وأنبتَ من سُحبِ الدُّموعِ تُرابُه　　حَياً بشَّرَ النُّجاعَ بالخِصبِ رائدُه [4]

- وله ديوان شعر طبـع مع شرحه لأبي العلاء المعري . قال ابن الوردي في شعره: هو السهل الممتنع ، سلس القياد ، عذب الألفاظ ، حسن السبك ، لطيف المقاصد عري عن الحشو ، توفي سنة ٤٥٧ هـ . انظر ترجمة في تاريخ ابن الوردي ٣٦٥/١ و « ارشاد الأديب » ٩٠/١٠ و « فوات الوفيات » ٢٣٩/١ .

(١) ديوانه ٢٣٤/١ ، قال أبو العلاء : قوله الخرائد : هي الحسان من النساء واحدتها خريد وخريدة ، وقالوا في الجمع : خُرَّد ، بتشديد الراء على غـير قياس ، لأن « فعلاً » جمع فاعل وفاعلة ، ولم يقولوا امرأة خارد ، ولا خاردة ، فـأما « الخرد » على مثال « فُعُل » ، فعلى القياس ، مثل صحيفة وصحف .

(٢) في الديوان : « ولي لوعة » .

(٣) قال المعري : الآيات : العلامات ، واحدتها آية ، ومنه آيات القرآن ، أي : أنها علامات النبوة ، وقيل : الآية : الجماعة ، يقال : خرج القوم بآيتهم ، أي : بجماعتهم . والعهاد : أمطار في اثر أمطار ، وربما قالوا العهاد : أول الأمطار ، وهي العهود أيضاً ، قال أبو زبيد الطائي :

أصلتيّ تسمو العيون اليه　　مستنير كالبدر عـام العهود

(٤) النجاع : جمع ناجع : وهو الذي يطلب الكلأ .

وقال كثير بن عبد الرحمن الخزاعي :

اللشَّوقِ لمَّا هيَّجَتْكَ المنازلُ بحيثُ التقَتْ من بَيْنَتَيْنِ العياطِلُ [١]

تذكَّرتَ فانهلَّتْ لعيني عَبرَةٌ يجودُ بها جارٍ من الدَّمع هامِلُ [٢]

ليالي من عيشٍ نَعِمْنا بوجهِه زماناً وسُعدى لي خليلٌ مواصِلُ [٣]

---

(١) ديوانه ٢٤٤/١ في الأصل « بيشتين » والتصويب من « الديوان » و « معجم ما استعجم » و « معجم البلدان » . والبيت الاول في « معجم ما استعجم » . والاول والثاني في « معجم البلدان » ٣٤٥/٢ .

وقوله من بينتين ، أراد بينة موضع من الجي ، والجي : وادي الرويثة الذي ذهب بأهله وهم نيام . وقال شارح الديوان : والعياطل جمع عيطل ، قال في «الاساس» وامرأة وناقة عيطل : طويلة في حسن ، ويروى الغياطل . قلت : وكذلك جاءت في « معجم ما استعجم » .

(٢) في الديوان : « فانهلت لعينك عبرة . . . . . وابل » وبعده الأبيات التالية

غوادٍ من الأشراط وطف تعلها روائح أنواء الثريا الهواطلُ

وغير آيات ببرق رُواوةٍ تنائي الليالي والمدى المتطاول

ظليات بها تغضي على حرّ عبرةٍ كأنك من تجريبك الدّهر جاهل

وقوله : من الأشراط . يريد : الشرطين ، قال في اللسان : الشرطان : نجمان من الحمل ، يقال لهما ! قرنا الحمل . وهما أول نجم من الربيع ، ومن ذلك صار أوائل كل أمر يقع : أشراطه . ويقال لهما : الاشراط . وطف : جمع وطفاء . يقال : سحابة وطفاء ، أي : دانية من الارض ، مسترخية لكثرة مائها . ورواوة: موضع في جبال مزينة .

(٣) في الديوان « . . لهونا . . صديق . . » .

وقال البحتري :

لَيْتَ المنازِلَ سِرْنَ يومَ مُتالع ... إذ لم يَكُنْ أُنسُ الخليط مُقيما [(١)]

فلَرُبَّما أرْوَتْ دُمـوعـاً من دَمٍ ... فيها وأظمَتْ لائمـاً ومَلُوما

ولقد مَنَعْتُ الدّار إعلانَ الهوى ... وطَوَيْتُ عنها سِرَّكِ المكتومـا [(٢)]

وسَلي مُحيلَ الرَّبـع هَلْ أَبثَثْتُهُ ... إلا الوقـوفَ عليـه والتَّسلـيما [(٣)]

سُقيتْ رُباكِ بكلِّ نوْءِ عاجلٍ ... منْ وَبْلِهِ حقاً لهـا مَعْلُوما

وقال البحتري أيضاً :

نشَدْتُكَ اللهَ من برْقٍ على إِضَمٍ ... إلّا سَقَيتَ جنوبَ الخَبتِ فالعَلَم [(٤)]

---

(١) ديوانه ١٨٥/١ ومتالع : بضم أوله وباللام المكسورة ، وبالعين المهملة : جبل لغني بالحمى قاله الخليل ، وقال الاصمعي : جبل بنجد وفيه عين يقال لها : الحرارة .

(٢) في الديوان بعده :

فكأنما الواشون كانوا أربعاً ... ممحّوة لعراصها ورُسوما

(٣) في الديوان بعد هذا البيت :

لم أشك حُبَّك بالنُّحول ولم أرد ... بسقام جسمي أن أكونَ سقيما

وتغيض من حَذَرِ الوشاةِ مدامعي ... فاذا خلوتُ أفضتُهُنّ سجوما

(٤) ديوانه ١٦٨/٢ من قصيدة يمدح بهـا عبيد الله بن يحيى بن خاقان وفيه « الحزن » موضع « الخبت » وإضم بكسر أوله ، وفتح ثانيه : واد دون المدينـة ، قاله الطوسي ، وقال أبو عمرو الشيباني وابن الأعرابي : إضم جبل لأشجع وجهينة ، وقيل : واد لهم . قاله البكري .

وَصُبتَ بينَهُما حتى تُسيلَهُما بمُستَهِلٍّ منَ الوَسميّ منسَجِمِ (١)
منازلٌ ما تُجيبُ الصَّبَّ من خرَسٍ ولا تريعُ إلى شكواه من صَمَمِ (٢)
أَقامَ ينشُدُ شملاً غيرَ مُتَّفِقٍ من آلِ ليلى وشعباً غيرَ ملتئم

وقال ذو الرمة غيلان :

أَأَن تَرَسَّمْتَ من خرْقاءَ منْزِلةً ماءُ الصَّبابةِ من عَيْنَيْكَ مَسجومُ (٣)
مَنازِلُ الحيِّ إذ لا الدَّارُ نازحَةٌ بالأصفِياء وإذ لا العيشُ مذمومُ (٤)

---

(١) الوسمي : أول المطر ، وهو بعد الخريف، لأنه يسم الأرض بالنبات ، فيصيِّر فيها أثراً في أول السنة،وأسجمت السحابة : دام مطرها .وفي « اللسان » : هل السحاب بالمطر ، وهل المطر هلاً ؛ وانهل بالمطر انهلالا واستهل : وهو شدة انصبابه ، ويقال : استهلت السماء ، وذلك أول مطرها .

(٢) تريع : تعود وترجع .

(٣) ديوانه ص : ٥٦٧ ، وفيه : « أعن » وترسمت : نظرت رسومها . والصبابة : رقة الشوق ، ومسجوم : مصبوب صباً . وفي الديوان بعد هذا البيت :

كأنها بَعْدَ أحوالٍ مضينَ لها بالأشيمينِ يمانٍ فيه تسهيم
أودى بها كلُّ عرّاصٍ ألث بها وجافِلٌ من عجاج الصيف مهجوم
ودِمنةٌ هيجت شوقي معالمُها كأنها بالهِدَمْلاتِ الرواسيمُ

(٤) في الديوان بعد هذا البيت :

كادَتْ بها العينُ تنبو ثمَّ ثبتها معارف الدار والجون اليحاميم
هل حبل خرقاءبعد الهجر مرموم أم هل لها آخر الايام تكليم
أم نازحُ الوصلِ مخلاف بشيمته لونان منقطع منه فمصروم
لا ، غير أنا كأنا من تذكرها وطولِ ما قد نأتنا نزَّع هيم

تعتادُني زفراتُ حين أذكرها تكادُ تنقدُّ منهنَّ الحيازيم [1]

وقال البحتري :

أرى بينَ مُلتفِّ الأراكِ منازلاً مَواثلَ لوكانتْ مهاها مواثلا [2]

فقفْ مُسعداً فيهنَّ إن كنتَ عاذِراً وسِرْ مُبعداً عنْهنَّ إن كُنتَ عاذِلا

لِقينا المغاني باللِّوى فكأنَّنا لقينا الغواني الآنِساتِ عواطلا [3]

وقال القاضي أبو الفتح محمود بن إسماعيل بن قادوس [4] منشىء ديوان الرسائل بمصر من ابتداء قصيدة :

هذي منازلُ منْ هَويتَ فيَمِّم واربَعْ وسُحَّ برَبعها دِيَمَ الدَّم

عُجنا فمنْ صَبٍّ بصبِّ دُموعِه دَرِبٍ ومن مُتعمِّلٍ متعلِّم

وقال آخر :

وقفتُ لليلى بعدَ عِشرينَ حجَّةً بمنزِلةٍ فانهلَّتِ العيْنُ تدْمَعُ

كأنَّ زِماماً في الفؤاد معلَّقاً تقودُ به حيثُ استمرَّتْ وأتبع

---

(١) في الديوان « تكاد تنفض » والحيازيم : الصدور وما اشتمل عليه ، والحيزوم : الصدر .

(٢) ديوانه ٢/٢٠٤ من قصيدة يمدح بها محمد بن يوسف .

(٣) في الديوان « اللابسات » .

(٤) هو محمود بن اسماعيل بن حميد الدمياطي أبو الفتح المعروف بابن قادوس ، كاتب الانشاء بالديار المصرية ، وشيخ القاضي الفاضل ، وكان يلقبه بذي البلاغتين مات سنة احدى وخمسين هجرية « الخريدة » ١/٢٢٦ ، و « حسن المحاضرة » ١/٣٢٤-

وقال آخر :

ما للمنازل لا يُجبنَ حزينَا أَصممْنَ أم قدُمَ البِلى فبلينا ؟ (١)

لا بَلْ بَلِينَ فهجنَ داءً ساكِناً لمتيَّمٍ وأثرْنَ منه دفينا

روحُوا العشيَّة روحة مذكورةً إن مِتنَ مِتن وإن حيين حيينا (٢)

قلت : مرت بي هذه الأبيات في خبر استطرفته فأوردته ، وليس مما قصدتُ له ؛ لكن الأبيات أوجبت إيراده . رُوي (٣) أنّ المأمونَ أمرَ أن يُحملَ إليه عَشرةٌ منَ الزّنادِقة سُمّوا له من أهلِ البصْرةِ ، فجُمِعوا ، وأبصرَهُمْ طُفَيْلي ، فقال : ما اجتمع هؤلاء (٤) إلا لصنيع ، فانسَلّ ، فدخل في وسطهم ، ومضى بهم الموكّلون حتى انتهوا بهم إلى زورق ، قد أُعِدَّ لهم ، فدخلوا في الزّورق ، فقال الطفيلي : هي نزهة فدخل معهم الزورق ، فلم يكن بأسرع من أن قُيّدَ القومُ ، وقُيِّدَ معهم الطفيلي ، ثم سِيرَ بهم إلى بغداد ، فلما دخلوا على

(١) في العقد « قدم المدى فبلينا » .

(٢) رواية البيت في « العقد » :

راحوا العشية روحة منكورة إن متن متنا أو حيين حيينا

(٣) الخبر في « العقد الفريد » ٦ / ٢٠٨ ، ٢١١ و « نهاية الأرب » ٣ / ٣٣٤ ، و « التطفيل » للخطيب البغدادي : ٤١ باختلاف يسير في اللفظ .

(٤) في « العقد » و « التطفيل » ما اجتمع هؤلاء ، وفي « نهاية الأرب » ما اجتمعوا .

المأمون ، جعل يدعو بأسمائهم رجلا رجلا ، ويأمر بضرب أعناقهم حتى وصل إلى الطفيلي ، وقد استوفى العِدَّة ، فقال للمتوكلين : ما هـذا ؟ قالوا : والله ما ندري غير أنّا وجدناه مع القوم فجئنا به ؛ فقال له المأمون : مـا قصَّتُك ويلك ومن أنت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين امرأته طالِقٌ إن كان يعرف من أقاويلهم شيئاً ، ولا مما يدينون به ، وإنما أنا رجل طفيلي رأيتهم مجتمعين فظننت صنيعاً يُدعون اليه . فضحك المأمون ، وقال : يُؤدَّب . وكان إبراهيم بن المهدي قائماً على رأسه فقال : يا أمير المؤمنين هب لي أدَبـه ، وأُحدِّثك بحديث عجيب عن نفسي . قال : قل يا إبراهيم . قال : خرجت من عندك يوماً ، وطفت في سكك بغداد متطرِّباً حـتى انتهيت إلى موضع ، فشممْتُ من أبازير [1] قدرٍ قد فاح طيبها ، فتاقت نفسي إليهـا وإلى طيب رائحتها ، فوقفت على خياط ، فقلت : لمن هذه الدار ؟ فقال لرجـل من من التجار البزازين ، قلت : ما اسمه ؟ قال : فلانُ بنُ فلان . ثم رميتُ بطرفي إلى شباك فيها مُطِلٍّ ، فنظرت إلى كفٍّ قد خرج على معصم [2] فشغلني يا أمير المؤمنين حُسنُ الكف والمِعصم عن رائحة القدر ، فبقيت باهتاً ساعـة ، ثم أدركني ذهني ، فقلت للخياط : هو ممن يشرب النبيـذ ؟ قال : نعم ،

---

(١) الأبازير : التوابل ، فارسي معرب.

(٢) في « العقد الفريد » : فنظرت الى الدار ، فاذا بشباك فيها مطل ، فنظرت إلى كف قد خرجت من الشباك قابضة على عضد ومعصم . وفي « نهايـة الأرب » « فاذا شباك فيها مطل ، وإذا كف قد خرج من الشباك ومعصم ».

وأحسب أن عنده اليوم دعوة وليس يُنادِمُ إلا تجاراً مثله مستورين .

فأنا كذلك[١] إذ أقبل رَجُلان جليلان راكبان من رأس الدَّرْبِ ، فقال لي الخياط : هؤلاء منادموه[٢] ، فقلت : ما اسماهما وما كناهما ؟ فقال : فلان وفلان ، فحركت دابتي وداخلتهما ، فقلت : جُعِلتُ فداكما قد استبطأكما أبو فلان ، حرسه الله ، وسايرتهما حتى أتيا الباب ، فأجَلّاني وقدّماني ، فدخلت ودخلا ، فلما رآني معهما صاحب المنزل ، لم يَشُكَّ أني منهما بسبيل ، أو قادم قدم عليهما من موضع ، فرحب بي ، وأجلسني في أفضل المواضع ، فجيء يا أمير المؤمنين بالمائدة وعليها خبز نظيف ، وأُتينا بذلك اللون ، فكان طعمُه أطيب من ريحه[٣] ، فقلت في نفسي : هذه الألوانُ قد أكلتها بقيت الكف كيف أصل إلى صاحبتها ؟ ثم رُفِع الطعام ، وجيء بالوَضوء ثم صرنا إلى مجلس الشراب والمنادمة ، فإذا أشكلُ منزل يا أمير المؤمنين ، وجعل صاحب المنزل يلطف بي ، ويُقبِلُ[٤] عليَّ بالحديث ، وجعلوا لا يشكُّون أن ذلك منه عن معرفةٍ متقدمة ، حتى إذا

---

(١) في العقد « فبينا أنا كذلك » وفي « النهاية » « فاني لكذلك » .

(٢) في « النهاية » هؤلاء منادماه .

(٣) في « العقد » و « النهاية » وأتينا بتلك الألوان ، فكان طعمها أطيب من ريحها .

(٤) في « العقد » : « ويميل » .

شربنا أقداحاً ، خرجت علينا جاريةٌ ، كأنها جان [١] تنثني كالخيزران ، فأقبلت ، فسلمت غير خَجِلةٍ ، وثنيت لها وسادة ، فجلست ، وأُتي بعود ، فوضع في حجرها فجسَّته فتوهَّمت [٢] في جسها حِذْقها ، ثم اندفعت تغني :

توهَّمها طرفي فأصبح خدُّها ... وفيه مكانَ الوَهْمِ من نظري أثْرُ [٣]

يُصافِحُها كفِّي فتألَمُ كفُّها ... فمَنْ مسِّ كفِّي في أناملِها عَقْرُ [٤]

فهيَّجت يا أمير المؤمنين بلابلي ، وطربتُ لحسن الشِّعر وحذقها ، ثم اندفَعتْ تغني :

أشَرْتُ إليها هل عرفتِ مودَّتي ... فردَّتْ بطرْفِ العينِ إنِّي على العَهْدِ

فحِدْتُ عن الإظهارِ عَمْداً لِسِرِّها ... وحادَتْ عن الإظهارِ أيضاً على عَمْدِ

فصحت : السلاح [٥] يا أمير المؤمنين ، وجاءني من الطَّرَبِ ما لم أملك نفسي [معه] [٦] ثم اندفعَتْ تغنِّي الصَّوتَ الثالث :

أليسَ عجيباً أنَّ بيتاً يَضُمُّني ... وإيَّاكِ لا نخلو ولا نتكلَّمُ

---

(١) في « نهاية الأرب » « كأنها بدر » .

(٢) في « العقد » و « النهاية » « فاستبنت » .

(٣) الأثر : أثر الجرح يبقى بعد البرء .

(٤) في « العقد » « وصافحها كفي فآلم كفَّها » والعقر : الجرح .

(٥) وفي « النهاية » « فصحت يا أمير المؤمنين وجاءني ... »

(٦) الزيادة من « نهاية الأرب » .

سِوى أعيُنٍ تشكو الهوى بجفونها وتَقطِيعِ أنفاسٍ على النار تُضرَمُ [١]

إشارةِ أفواهٍ وغمْزِ حواجبٍ وتكسيرِ أجفانٍ وكفٍّ تُسَلِّم

فحسدتُها والله يا أمير المؤمنين على حذقها ومعرفتها بالمعنى الذي قصدتهُ من الشعر، ولم تخرجْ عن الفنِّ الذي بدأت به، فقلت: بقي عليكِ ياجارية، فضربت بعودها الأرض، وقالت: متى كنتم تُحضِرون مجالِسكم البغضاء؟ فندمتُ على ما كانَ مني، ورأيتُ القوم كأنَّهم قد تغيروا لي، فقلتُ: أما عند كم عودٌ غيرُ هذا؟ قالوا: بلى. وأُتيتُ بعودٍ، فأصلحتُ من شأنهِ ثم غنيت:

ما للمنازلِ لا يُجِبْنَ حزينــا ـ الأبيات ـ التي تقدمت فما استتمته [٢] يا أمير المؤمنين حتى قامت الجارية، فانكبت [٣] على رِجْليَّ تُقَبِّلُهما وقالت: معذرةً إليك ياسيدي، فوالله ماسمعتُ أحداً يُغني هذا الصوتَ غناءكَ، وقام مولاها، وأهل المجلس ففعلوا كفعلها، وطرِبَ القوم، واستحثوا الشرب [٤] فشربوا بالطاسات والكاسات، ثم اندفعتُ أُغني:

أَبى اللهُ أن أُمْسِي ولا تَذْكُرِينَني وقد سَجَمتْ عيناي من ذِكْرِكِ الدَّما [٥]

---

(١) في «النهاية» «وتقطيع أكبادٍ».

(٢) في «العقد» «فما أتممته».

(٣) في «العقد» و«النهاية» «فأكبت».

(٤) في «العقد» «الشراب».

(٥) في «العقد»: «أفي الحقِّ أن تمسي ولا تذكريني... وقد سفحت» «وفي النهاية» «أن تمشي ولا تذكرِّني وقد همت».

إلى الله أشكو بُخلَها وسماحتي   لها عسل مني وتبذُلُ علقما

فرُدِّي مُصابَ القلب أنتِ قَتَلْتِهِ   ولا تَتْرُكيهِ ذاهِلَ القلب مغرما [(١)]

فطرِبَ القوم ياأميرَ المؤمنين حتى خرجوا من عقولهم ، فأمسكتُ عنهم ساعة حتى تراجعوا ، ثم غنيت الصوت الثالث [(٢)] :

هذا محبُّكِ مطويٌّ على كَمَدِهْ   عَبرى مدامِعُه تجري على جَسَدِه [(٣)]

لَهُ يدٌ تسألُ الرَّحمنَ رَحمَته   مما به ويدٌ أُخرى على كَبِدِه [(٤)]

فجعلت الجاريةُ تصيح : هذا الغناء والله ياسيدي لا ما كنا فيه منذ اليوم ، فسَكِرَ القوم . وكان صاحبُ المنزل حسنَ الشرب ، صحيح العقل فأمر غلمانه أن يخرجوهم ، ويحفظوهم إلى منازلهم ، وخلوت معه ، فلما شربنا أقداحاً ، قال : ياسيدي ذهب ما مضى من أيامي ضياعاً إذ كنت لاأعرفك ، فمن أنت يامولاي ؟ فلم يزل يُلِحُّ عليَّ حتى أخبرتُه [الخبر] ، فقام وقبَّل رأسي وقال : وأنا أعجب ياسيدي أن يكون هذا الأدب إلا لمثلك ، وإني لجالس مع الخلافة ولا أشعر ، ثم سألني عن قصتي ، فأخبرته حتى وصلت [(٥)] إلى صاحبة الكفِّ والمِعْصم فقلت : أما الطعام ، فقد نلت منهُ

---

(١) في « العقد » و « النهاية » « ذاهل العقل » .

(٢) في « العقد » « ثم اندفعت أغني الثالث » .

(٣) في « العقد » « جرى مدامعه » وفي « النهاية » « مطويّاً » .

(٤) في « العقد » « .. تسأل الرحمن راحته بما جنى » .

(٥) في « النهاية » « بلغت » .

حاجتي ، وبقي الكف ، والمعصم ، فقال للجارية : قومي فقولي لفلانة : تنزل إليّ ، فلم يَزَلْ يُنزل إلي جواريه واحدة واحدة ، فأنظر كفَّها ومعصَمها ، فأقول : ليس هي حتى قال : والله ما بقي غير أختي وأمي ، وبالله لأنزلنهما إليك فعجبت من كرمه وسعة صدره ، فقلت : جعلت فداكِ إبدأ بالاخت قبل الأم ، فعسى أن تكون هي ، ففعل ، فلما رأيت كفَّها ومِعْصَمَها قلت : هي هذه ، فأمر غلمانه ، فساروا إلى عشرة مشايخ من جِلَّةِ جيرانه ، فأقبلوا بهم ، وأمر ببدرتين فيهما عشرون ألف درهم ، ثم قال للمشايخ : هذه أختي فلانة ، أُشهِدُكم أني قد زوجتها من سيدي ابراهيم بن المهدي ، وأمهرتها عنهُ عشرين أَلف درهم ، فرضيتْ ، وقبلتِ النكاح ، فدفع إليها بدرةً ، وفرق الأخرى على المشايخ ، وقال لهم : انصرفوا . ثم قال : ياسيدي أمهّدُ لك بعض البيوت ، فتنام فيه مع أَهلك ، فأحشمني ما رأيت من كرمه ، فقلت : بل أحضر عمارِيَّةً [1] فاحملها إلى منزلي قال : ماشئت . فأحضرت عماريَّة ، فحملتها إلى منزلي ، فوالله يا أمير المؤمنين لقد أَتبعنا من الجهاز ماضاقت عنه [بعض] بيوتنا ، فأولدتها هذا الغلام القائم على رأس أمير المؤمنين . فعجب المأمون من كرم الرجل ، وأَلحقه في خاصته ، وأطلق الطفيلي وأجازه .

---

(١) العمارية : هودج يجلس فيه .

وقال بشر بن أبي خازم :

تَغَيَّرَتِ المنازلُ مِنْ سُلَيْمى ... بِرامَةَ فالكَثيبِ إلى بُطاحِ (١)

دِيارٌ قد تَحُلُّ بهـا سُلَيْمى ... هضيمَ الكَشْحِ جائلةَ الوِشاحِ (٢)

لَيالِيَ تستَبيكَ بذي غُرُوبٍ ... يُشَبَّهُ ظَلْمُهُ خَضِلَ الأقاحِ (٣)

وقال مهيار :

هَلْ عند ظَبْيِ المنحنى ... إجابـةٌ فيُسْـأَلا (٤)

أَمْ أنا مَعْـذورٌ إذا ... سـأَلتُ عَنْهُ الطَّلَلا

بلى عَدِمْتُ النَّازلِيـ ... ـنَ فبَكَيْتُ المَنزِلا (٥)

عَثَرْتُ في غَـدْرِكَ بي ... عَـثْرَةَ من لا وألا

كانَ دَلالاً فَغفَرْ ... ناهُ فتمَّ مَلَـلا

---

(١) ديوانه : ٤٣ . ورامة والكثيب وبطاح : أسماء مواضع .

(٢) هضيم الكشح : دقيقة الخصر . جائلة الوشاح : وشاحها يجول في وسطها لدقة خصرها .

(٣) تستبيك : تأسرك وتذهب بعقلك . بـذي غروب : بفم ذي غروب ، والغروب ، جمـع غرب ، وغرب الفم : كثرة ريقه وبلله . والظلم : المـاء الذي يجري ويظهر على الأسنان من صفاء اللون لا من الريق كالفرند ، حتى يتخيل لك فيه سواد من شدة البريق والصفاء ، قاله في « اللسان » .

(٤) ديوانه ٣ / ١٤٣ من قصيدة كتب بها إلى عميد الكفاة أبي سعد بن عبد الرحيم في المهرجان ، وفيه « من جائِدٍ فيُسْأَلا » . والبيت الخامس لم يرد في الديوان .

(٥) في الديوان بعد هذا البيت :

يا أمَّ ذاتِ الوَدْعِ تُر ... عيها الجنـــاب المبقلا

والودع : خرز بيض تخرج من البحر تتفاوت في الصغر ، والمراد به القلادة .

فصـل

في ذكر الدّيار

قال الله تبارك وتعالى : (وإذْ أَخذْنا مِيْثاقَكُم لا تَسْفِكُوْنَ دِماءَكُم ولا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِنْ دِيارِكُم [ثم أَقْرَرْتُم وأَنتُم تَشْهَدُون]) . [البقرة : ٨٤] .

قال الخليل : كلُّ مَوْضِعٍ حلَّه قومٌ ، فهو دارٌ ، وإن لم تكُنْ فيه أَبنِيَةٌ ، وسُمِّيتْ داراً لِدَورِها على سُكَّانِها ، كما سُمِّيَ الحائطُ حائطاً لإحاطته على ما يحويه [(١)].

قال القاضي الماوردي رحمه الله :

إن قيل : هَلْ يَسفِكُ أَحَدٌ دَمَه ، ويُخرِج نفسه من دياره ؟ ففيه قولان . أَحدهما : معناه لا يَقْتُلْ بَعْضُكُم بعضاً ، ولا يُخرِجْهُ من دياره .

والثاني : أنه القِصاصُ الذي يُقْتَصُّ منهم بمن قتلوه ، فصاروا قاتلين لأنفسهم بالقِصاص [(٢)] .

---

(١) انظر كلام الخليل هذا في « القرطبي ٢٢ / ١٨ . وفي « اللسان » وقال ابن جني : هي من دار يدور لكثرة حركات الناس فيها .

(٢) في الطبري ٢ / ٣٠٠ فإن قال قائل : وما معنى قوله : (لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم) ؟ وقال : أو كان القوم يقتلون أنفسهم ، ويخرجونها من ديارها ، فنهوا عن ذلك ؟ قيل : ليس الأمر في ذلك على ما ظننت،ـ

وقوله تعالى : (ولا تُخْرِجُونَ أنفُسَكُم من دِيارِكُم) فيه ثلاثة أقاويل.
أَحدها : لا يُخرج بعضكم بعضاً . والثاني : لا تسيئوا جِوارَ مَنْ جاوَرَكُم فتلجؤوهم إلى الخروج من دِيارِكُم . والثالث ، لا تفعلون ما تخرجون به من الجنة التي هي داركم .

قوله عز وجل : (هو الذي أَخْرَجَ الَّذينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتابِ مِنْ دِيارِهِم لِأَوَّلِ الحَشْرِ ما ظَنَنْتُم أَنْ يَخْرُجوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مانِعَتُهُم حُصُونُهُم من اللهِ فأتاهُمُ اللهُ مِنْ حَيثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وقذَفَ في قُلوبِهِمُ الرُّعبَ

ولكنهم نهوا عن أن يقتل بعضهم بعضاً ، فكان في قتل الرجل منهم الرجل قتلُ نفسه ، إذ كانت ملتها واحدة ، فهما بمنزلة رجل واحد ، كما قال عليه السلام: « انما المؤمنون في تراحمهم وتعاطفهم بينهم بمنزلة الجسد الواحد إذا اشتكى بعضه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » وقد يجوز أن يكون معنى قوله (لا تسفكون دماءكم) لا يقتل الرَّجُلُ منكم الرَّجُلَ منكم ، فيُقادَ به قصاصاً ، فيكون بذلك قاتلاً نفسه ، لأنه كان الذي سبب لنفسه ما استحقت به القتل ، فأضيف بذلك إليه قتلُ ولي المقتول إياه قصاصاً بوليه ، كما يقال للرجل يركب فعلاً من الأفعال يستحق به العقوبة ، فيعاقب العقوبة : « أنت جنيت هذا على نفسك » .

يُخَرِّبونَ [١] بُيُوتَهُم بأيديهم وأَيْدي المؤْمنين فاعْتَبِروا يا أولي الأبصار) [٢] [الحشر : ٢].

(أخرجَ الذين كفروا من أهـل الكتاب) يعني يهود بني النضير (من ديارهم)، يعني من منازِلهم بالحجاز (لأول الحشر) أجلاهم رسول الله

---

(١) هكذا ضبطت الراء في الأصل بالتشديد وهي قراءة أبي عمرو بن العلاء البصري، وسائر القراء على التخفيف فقد جاء في «الطبري» ٢٨ / ٣٠ : واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأتـه عامَّة قراء الحجاز والمدينـة والعراق سوى أبي عمرو «يُخْرِبون» بتخفيف الراء، بمعنى يخرجون، ويتركونها معطّلة خرابا، وكان أبو عمرو يقرأ ذلك «يخرّبون» بالتشديد، بمعنى يهدمون بيوتهم، وقد ذكر عن أبي عبد الرحمن السلمي، والحسن البصري، أنهما كانا يقرءان ذلك نحو قراءة أبي عمرو، وكان ابو عمرو فيما ذكر عنه يزعم أنه إنما اختار التشديد في الراء، لما ذكرت من أن الاخراب إنما هو ترك ذلك خراباً بغير ساكن، وإن بني النضير لم يتركوا منازلهم، فيرتحلوا عنها، ولكنهم خربوهـــا بالنقض والهدم، وذلك لا يكون فيما قال إلا بالتشديد. وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عنـدي قراءة من قرأه بالتخفيف، لاجماع الحجة من القراء عليه، وقد كان بعض أهل المعرفة بكلام العرب يقول : التخريب والاخراب بمعنى واحد، وإنمـا ذلك في اختلاف اللفظ لا اختلاف في المعنى.

(٢) في البخاري ٨ / ٤٨٣. ومسلم ٤ / ٢٣٢٢ عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس : فالحشر ؟ قال : نزلت في بني النضير.

صلى الله عليه وسلم بعد رجوعه من أُحد إلى أَذْرِعاتِ الشام [١] ، وأعطى كلّ ثلاثةِ نفرٍ بعيراً يحمِلون عليه ما استقلّ إلا السلاحَ . وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد عاهدهم حين هاجر إلى المدينة أن لا يقاتلوا معه ولا عليه ، فكَفُّوا يومَ بدر ، لظهور المسلمين على المشركين ، وأعانوا المشركين يوم أُحد حين رأوا ظهورهم على المسلمين .

فقُتِل رئيسُهم كَعْبُ بن الأشرف ، قتلهُ محمد بن مسلمة رحمه الله غِيلَةً ، وسأذكر قتله بعد الفراغ من تفسير هذه الآية . ثم سار النبي صلى الله عليه وسلم ، فحاصرهم ثلاثاً وعشرين ليلة محارباً حتى أجلاهم عن ديارهم .

وقوله تعالى : (لأول الحشر) انهم أول من أجلاه النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود ، وقيل : أَول حشرهم : أنهم يحشرون بعدها إلى أرض المحشَر في القيامة . وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لما أجلاهم : « هذا أول الحشر وإنّا على الأثر » [٢]

وقيل : أول حشرهم لما ذكره قتادة رحمهُ الله أنهم يأتي عليهم بعد ذلك نار من مَشْرِقِ الشمس تحشُرُهم إلى مَغرِبها تبيتُ معهم إذا باتوا ، وتأكل من تخلّف .

---

(١) انظر تفسير الآية في ابن كثير : ٤ / ٣٣٠ ، فقد ذكر أن طائفة منهم ذهبوا إلى أذرعات ، وطائفة ذهبت الى خيبر .

(٢) رواه ابن جرير : ٢٨ / ٢٩ عن محمد بن بشار عن ابن أبي عدي عن عوف عن الحسن قال : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما أجلى بني النضير : « امضوا فهذا أول الحشر وإنّا على الأثر ». ورواه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الأشج: حدثنا أبو أسامة عن عوف عن الحسن به واسناده صحيح ، لكنه مرسل .

قتل كعب بن الأشرف (١)

كان قتل كعب بن الأشرف في ربيع الأول على رأس خمسة وعشرين شهراً من الهجرة .

قال ابن إسحاق رحمه الله : كان من حديث كعب بن الأشرف، أنه لما أصيب أصحاب بدر ، قدم زيدُ بن حارثة رحمه الله، إلى أهل السافلة ،

(١) في « الفتح » قال ابن اسحاق وغيره : كان عربياً من بني نبهان ، وهم بطن من طيىء ، وكان أبوه أصاب دماً في الجاهلية ، فأتى المدينة ، فحالف بني النضير ، فشرف فيهم ، وتزوج عقيلة بنت أبي الحُقيق ، فولدت له كعباً ، وكان طويلا جسيماً ذا بطن وهامة ، وهجا المسلمين بعد وقعة بدر ، وخرج الى مكة ، فنزل على ابن وداعة السهمي والد المطلب ، فهجاه حسان ، وهجا امرأته عاتكة بنت أسيد ابن أبي العيص بن أميَّة فطردته ، فرجع كعب إلى المدينة ، وتشبب بنساء المسلمين حتى آذاهم . وروى ابو داود والترمذي من طريق الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه : أن كعب بن الاشرف كان شاعراً ، وكان يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويحرض عليه كفار قريش، وكان النبي قدم المدينة وأهلها أخلاط ، فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم استصلاحهم ، وكان اليهود والمشركون يؤذون المسلمين أشد الاذى ، فأمر الله رسوله والمسلمين بالصبر . فلما أبى كعب أن ينزع عن أذاه ، أمر رسول الله ﷺ سعد بن معاذ أن يبعث رهطاً ليقتلوه . وذكر ابن سعد ان قتله كان في ربيع الاول من السنة الثالثة . قلت : وخبر مقتل كعب في صحيح البخاري ٧ / ٢٥٩ ، وصحيح مسلم ٣ /١٤٢٥ ،وتاريخ الطبري ٢ / ٤٨٧ ، وطبقات ابن سعد ٢ / ٣١ ، وسيرة ابن هشام ٢ / ٥١ ، والبداية والنهاية ٤ / ٥ .

وعبدالله بن رواحة رحمه الله ، إلى أهل العالية بشيرين ، بعثهما رسول الله ﷺ إلى مَنْ بالمدينة من المسلمين بفتح الله تعالى عليه ، وقتل من قتل من المشركين .

قال كعب بن الأشرف - وكان رجلاً من طيىءٍ ، ثم أحد بني نبهان وكانت أمه من بني النضير - حين بلغه الخبر : أحق هذا ؟ أترون محمداً قتل هؤلاء الذين يسمِّي هذان الرجلان ؟ - يعني زيد بن حارثة ، وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهما - فهؤلاء أشراف العرب ، وملوك الناس ، والله لئن كان محمَّد أصاب هؤلاء القوم لبطنُ الأرض خيرٌ من ظهرها . فلمَّا تيقَّن عدو الله الخبر ، خرج حتى أتى مكة ، فنزل على المطلب بن أبي وداعة بن ضبيرة السهمي ، وعنده عاتكة ابنة أبي العيص بن أميَّة بن عبد شمس بن مناف ، فأنزله وأكرمه . فجعل يحرِضُ على رسول الله ﷺ ، ويُنْشِدُ الأشعار ويبكي أصحاب القَليب من قريش الذين أُصيبوا ببدر . فمن ذلك قوله :

طَحَنَتْ رَحى بَدْرٍ لِمَهْلِكِ أَهْلِها ... ولِمْثلِ بدْرٍ تَسْتَهِلُّ الأَدْمُعُ [1]

قُتِلَتْ سَراةُ النَّاس حَوْلَ حِياضِهِم ... لا تَبْعَدوا إنَّ الملوكَ تُصرَّعُ [2]

---

(١) في دلائل النبوة للبيهقي ورقة : ٢٧ وجه أول . وسيرة ابن هشام : « أهله . . . . . . وتدمع » ورحى الحرب : معظمها ومجتمع القتال ، ويقال : استهل المطر والدمع : إذا سالا .

(٢) سراة الناس : أشرافهم ، وَبعِدَ يَبْعَدُ : هلك .

كم قد أُضيبَ به من ابيضَ ماجدٍ ذي بَهجَةٍ يأوي إليه الضُّيَّعُ (١)

طَلْقُ اليَدَيْنِ إذاالكواكبُ أخْلَفَتْ حَمَّالُ أثقالٍ يَسودُ ويُرَفعُ (٢)

ويقولُ أقوامٌ أُسَرُّ بسُخْطِهِم إنَّ ابنَ الاشرفِ ظل كعبٌ يجزَعُ (٣)

صَدَقوا فلَيْتَ الأرض ساعةَ قُتِّلوا ظَلَّتْ تسوخُ بأهلِها وتُصَدَّعُ

صارَ الذي أثَرَ الحديثَ بطعنَةٍ أو عاشَ أعمى مُرْعَشاً لا يَسْمَعُ

نُبِّئتُ أنَّ بني المغيرةِ كلَّهم خَشَعوا لقَتلِ أبي الحكيم وجُدِّعوا (٤)

---

(١) الماجد : الشريف ، والبهجة : حسن الظاهر ، والضُّيَّع : جمع ضائع، وهو الفقير .

(٢) في « السيرة » « ويربع » وهي أعلى وأجود أي : يأخذ الربع ، يريد أنه كان رئيساً ، لأن الرئيس في الجاهلية كان يأخذ ربع الغنيمة . وطلق اليدين : كثير المعروف كريم . وأخلفت : أي لم يكن معها مطر .

(٣) في الاصل « أثير » وهو خطأ . وفي السيرة « إن ابن الاشرف ظلّ كعباً يجزع » أراد : إن ابن الاشراف كعباً ظل يجزع ، وعلى هذا يكون « كعباً » بدلا من « ابن الاشرف » وعلى رواية الاصل يكون اسم ظل، وكان حقه ان يكون مضمراً فأظهره كقوله :

سعاد التي اضناك حبُّ سعادا وإعراضها عنك استمر وزادا

(٤) في الأصل تحت كلمة « أبي الحكيم » يعني أباجهل. والتجديع : قطع الأنف، وأراد به هنا ذلهم وذهاب عزهم . وفي السيرة بعد هذا البيت :

وابنا ربيعة عنده ومنبِّه مانال مِثْل المهلكين وتُبَّعُ

نُبِّئْتُ أنَّ الحارثَ بنَ هِشامِهِم في النَّاس يبني الصالحاتِ ويَجمعُ
لِيَزُورَ يَثْرِبَ بالجموعِ وإنَّما يحمي عن الحَسَبِ الكريمِ الأرْوَعُ [١]

ثم رَجَعَ كعبُ بنُ الأشرف إلى المدينة ، فشبَّب بأمِّ الفضل بنت الحارث [٢] فقال :

أراحِلٌ أنتَ لَمْ تُلمِمْ بِمُنْتَبِهٍ وتاركٌ أنتَ أمَّ الفضل بالحَرَمِ ؟ [٣]
ترتَجُّ ما بين كَعْبَيْها ومِرْفقِها إذا تأتَّتْ قياماً ثُمَّ لم تَقُمِ [٤]
أشباهُ أمِّ حَكيمٍ إذْ تُواصِلُنا والحَبْلُ منها متينٌ غيرُ مُنْجَذِمِ
إحدى بني عامرٍ هامَ الفؤادُ بها ولو تَشاءُ شَفَتْ كعباً من السَّقَمِ [٥]

---

(١) في السيرة : « يحمى على » والأروع : الذي يروعك بحسنه وجماله

(٢) هي لبابة بنت الحارث الهلالية أخت ميمونة زوجة النبي ﷺ ، وزوجة العباس بن عبد المطلب ، وأم أكثر بنيه ، يقال: إنها أول امرأة أسلمت بعد خديجة، فكان النبي ﷺ يزورها ويقيل عندها ، وروت عنه أحاديث كثيرة أخرج حديثها الجماعة وكانت من المنجبات ، قال ابن حبان : ماتت في خلافة عثمان قبل زوجها العباس . انظر « الاستيعاب » ٤/١٩٠٧ ، «والاصابة» ٤/٤٦١ ، « وتهذيب التهذيب » ١٢/٤٤٩ .

(٣) في الطبري : « لم تحلل بمنقبة » وبعد البيت

صفراءُ رادِعة لو تُعصَرُ انعصَرتْ من ذي القوارير والحنّاءِ والكَتَمِ

(٤) في الأصل «تأنت » وما أثبته هو ما جاء في تاريخ ابن جرير .

(٥) في الطبري : «جُنّ »

فَرْعُ النِّساءِ وفرعُ القومِ والدُهَا　　أهـلُ المحلَّةِ والإيفاءِ بالذِّمَمِ [١]

لم أرَ شَمْساً بليلٍ قَبْلَها طَلَعتْ　　حتى تجلَّت لنـا في ظُلْمَةِ الظُّلَمِ [٢]

ثم شبَّب بنساء المسلمين حتى آذاهم . فقال رسول الله ﷺ : « من لي من ابن الأشرف » ؟ فقال محمد بن مسلمة [٣] رحمه الله : أنا لك به يا رسول الله ، أنا أقتله. قال : « فافعل إن قدرت على ذلك » فرجع محمد فمكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب إلا ما يُعلِّقُ به نفسه ، فذُكِر ذلك لرسولِ الله ﷺ ، فدعاه فقال له : « لِمَ تركت الطعام والشراب » ؟ قال : يا رسول الله قلت لك قولاً لا أدري أوفي لك به أم لا ؟ قال : « إنما عليك الجَهْد » قال : يارسول الله إنَّه لابدَّ أن نقول. قال : « قولوا ما بدا لكم ، فأنتم في حِلٍّ من ذلك » فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة ، وأبو نائلة سِلكان بن سَلامــة بن وَقْش [٤] وكان

---

(١) في الطبري « أهل التحلّة »

(٢) في الطبري : «في ليلة »

(٣) هو أبو عبد الرحمن محمد بن مسلمة الأوسي الأنصاري الحارثي صحابي جليل ، شهد المشاهد بدراً وما بعدها إلا غزوة تبوك . قال ابن عبد البر : كان من فضلاء الصحابة ، واستخلفه النبي ﷺ على المدينة في بعض غزواته ، وكان ممن اعتزل الفتنة ، فلم يشهد الجمل ولاصفين . مات بالمدينة سنة ثلاث واربعين هـ . انظر «الاصابة» ٣/٣٦٣ ، و«الاستيعاب» ٣/١٣٧٧ .

(٤) هو أبو وائل سلكان بن سلامة بن وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل الأنصاري الأشهلي ، شهد أحداً وغيرها ، وكان شاعراً ، ومن الرماة المشهورين.

أخا كعب بن الأشرف من الرضاعة ، وعبَّاد بن بشر بن وقش [١] والحارث بن أوس بن معاذ [٢] ، وأبو عبس بن جَبْر [٣] رضي الله عنهم . ثم قدّموا إلى (عدو الله) كعب بن الأشرف قبل أن يأتوه أبا نائلة ، فجاءه فتحدث معهُ ساعة ، وتناشدا الأشعار [٤] وكان أبو نائلة يقول الشعر ، ثم قال :

---

(١) هو أبو الربيع عباد بن بشر بن وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل الأنصاري الأشهلي ، أسلم بالمدينة على يد مصعب بن عمير ، وشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها ، وكان من فضلاء الصحابة ، روى البخاري عن عائشة قالت : ثلاثة من الأنصار لم يكن أحدٌ يعتدُّ عليهم فضلاً ، كلهم من بني عبد الأشهل ، سعد بن معاذ ، وأسيد بن حضير ، وعباد بن بشر ، قتل يوم اليمامة شهيداً وهو ابن خمس وأربعين سنة ، وكان له يومئذ بلاء وغناء .

(٢) هو الحارث بن أوس بن معاذ بن النعمان بن امرىء القيس بن زيد ابن عبد الأشهل بن أخي سعد بن معاذ سيد الأوس ، شهد بدراً ، وقتل يوم أحد شهيداً ، وكان يوم قتل ابن ثمان وعشرين سنة .

(٣) هو عبد الرحمن بن جبر ـ ويقال ابن جابر ـ ابن عمرو بن زيد بن جشم ابن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس الانصاري الحارثي . شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول ﷺ ، وهو معدود في كبار الصحابة من الأنصار ، مات سنة أربع وثلاثين ، وهو ابن سبعين سنة ، صلى عليه عثمان ، ودفن بالبقيع .

(٤) في البخاري ومسلم أن الذي خاطب كعباً هو محمد بن مسلمة ، قال ابن حجر : والذي عند ابن إسحاق وغيره من أهل المغازي أنه ابو نائلة ، وأومأ الدمياطي إلى ترجيحه ، ويحتمل أن يكون كل منهما كامه في ذلك ، لان أبا نائلة أخوه من الرضاعة ، ومحمد بن مسلمة ابن أخته .

ويحك يا ابن الأشرف إني قد جئتك بحاجة أريد ذكرها لك فاكْتُم عني . قال: أفعل . قال : كان قدومُ هذا الرجل علينا بلاءً من البلاء ، عادَتْنا العربُ ورَمَوْنا عن قَوْسٍ واحدة ، وقطعت عنا السُّبُل حتى ضاع العيال ، وجَهِدَتِ الأنفسُ ، وأصبحنا قد جَهِدنا وجَهِدَ عيالُنا . فقال كعب : أنا ابن الأشرف أما والله لقد كنت أخبرك يا ابن سلامة أن الأمر سيصير إلى ما أقول . فقال له أبو نائلة : ومعي رجال من أَصحابي على مثل رأيي ، وقد أردت أنْ آتيك بهم ، فنبتاع منك طعاماً ، فتُحْسِنَ من ذلك إلينا ، ونرهنك ما يكون لك فيه وفاء . فقال كعب : ما كنت أُحِبُّ يا أبا نائلة أَن أرى هذه الخصاصة بك ، وإن كنتَ لَمِنْ أكرَمِ النـاس عليّ ، أنت أخي نازعتني الثدي ، فاصدقني ذاتَ نفسك ، ما الذي تريدون في أمره ؟ قال : خذلانه والتنحيَ عنه . قال : سررتني يا أبا نائلة فما ترهنوني ؟ أَترهنوني أبناءكم ؟ قال : لقد أردت أن تفضحنا . قال : أترهنوني نساءكم ؟ قال : كيف نرهنُك نساءنا وأنت أشبُّ أهل يثرِبَ وأَعطرُهم ، ولكنَّا نرهنُك من الَحلْقَةِ [1] ما فيه وفاء . وأراد أَبو نائلة أن لا ينكر السلاح إذا جاؤوا به . قـال : إن في الحلقة لوفاءً ، فخرج أبو نائلة من عنده على ميعاد ، فأجمعوا أَمرهم على أن يأتوه إذا أَمسـى لميعاده ، ثم أتوا النبي ﷺ عشاء فأخبروه . قال ابن اسحاق : فمشى معهم رسول الله ﷺ إلى البقيع ، ثم وجههم فقـال :

(١) الحلقة هنا : السلاح كله .

« انطلقوا على اسم الله ، اللّهم أعنهم » ثم رجع رسول الله ﷺ إلى بيته [وهو في ليلة مُقْمِرَة] فأقبلوا حتى انتهوا إلى حِصْنه، فهتف به أبو نائلة ، وكان كعب حديث عَهْدٍ بعُرْسٍ ، فوثب في ملحفته ، فأَخَذَتْ امرأته بناحيتها ، وقالت : إنك امرؤ محارب ، وإن أصحاب الحرب لا ينزلون في هذه الساعة . فقال : إنه أبو نائلة لو وجدَني نائماً ما أيقظني . قالت : والله إني لأعرف في صوته الشرّ ، فقال : لو يُدْعى الفتى لطعنةٍ أجابا . فنزل فتحدَّثَ مَعَهُم ساعةً ، وتحدَّثوا معه ، ثم قالوا له : هل لك يا ابن الأشرف أن نتماشى إلى شِعْبِ العجوز (١) فنتحدث به بقية ليلتنا هذه . قال : إنْ شئتم ، فخرَجوا يتماشَوْنَ ، فمَشَوْا ساعة ، ثم إن أبا نائلة أدخل (٢) يده في فَوْدَيْ رأسِ كَعْبٍ ، ثم شمَّ يدَه فقال : ما رأيتُ كالليلةِ طيباً أعطرَ قطُّ . ثم مشى ساعة، ثم عاد لمثلِها حتى اطمأن ، ثم مشى ساعة ، ثم عاد لمثلها ، فأخذ بفودِه ساعة ، ثم قال : اضربوا عدو الله فضرَبوه فاختلفت عليه أسيافهم فلم تغن شيئاً . قال محمد بن مسلمة : فذكرت مِغْوَلاً (٣) في سيفِي حين رأيت أسيافنا لا تغني شيئاً ، فأَخذْته وقد صاح عدو الله صيحة لم يَبْقَ حولَنا

---

(١) شعب العجوز : موضع بظاهر المدينة ، ذكره ياقوت ، وقال : قتل عنده كعب بن الأشرف .

(٢) في «سيرة ابن هشام» شام ، وهما بمعنى .

(٣) المغول : السكين التي تكون في السوط .

حِصنٌ إلا [وقد] أُوقِدَت عليه نارٌ ، فوضعته في ثُنَّته[١] وتحاملت علَيه حتى بلَغَتْ عانتَه ، فوقع عدوُّ الله ، فاحتُز رأسه . وقد أُصيبَ الحارثُ بنُ أوس بن معاذ ، فجرح في رجلِه ، أصابه بعض أسيافنا . قال : فخرجنا حتى [سلَكنا على بني أميَّةَ بن زيد ، ثم على بني قريظة ، ثم على بُعاث][٢] حتى أسندنا في حرَّة العُرَيْض[٣] وقد أَبطأ علَينا صاحبنا الحارثُ بنُ أوس ، ونزفه الدَّمُ ، فوقفنا له ساعة حتى أتانا يتبع آثارنا ، فحملْناه فجئنا به رسول الله ﷺ . قال الواقدي : فلما بلغوا بقيع الغرقد ، وقد قام رسول الله ﷺ تلك الليلة يصلي ، فلما سمع تكبيرهم بالبقيع ، كبر وعرف أن قد قتلوه . ثم أتوا النبي ﷺ ، وهو واقف على باب المسجد فقال : « أفلحت الوجوه ». قالوا : ووجْهُكَ يا رسولَ الله ، ورَمَوْا برأْسِ كعبٍ بين يديهِ ، فحمِدَ الله على قتله . ثم أتوا بصاحبهم الحارث ، فتفلَ على جرحهِ ، فلم يؤذه . قال محمد بن مسلمة : فأصبحنا وقد خافت يهود لوقعتنا بعدو الله ،

---

(١) الثنة : مابين السُّرَّة والعانة ، وفي الطبري : «ثندوته» ، والثندوة كما في « اللسان » : لحم الثدي ، وقال ابن السكيت : هي اللحم الذي حول الثدي .

(٢) ما بين معقفين من سيرة ابن هشام والطبري .

(٣) أسند في الحرة : صعد . والحرة : أرض فيها حجارة سود ، والعريض: وادي المدينة .

فليس فيها يهودي إلا وهو يخاف على نفسه . قال الواقدي : ففزعت يهود ومن معها من المشركين، فجاؤوا إلى النبي ﷺ حين أصبحوا، فقالوا لقد طُرِقَ صاحبنا الليلة، وهو سيِّدٌ من ساداتِنا فقُتِلَ غِيلةً بلا جُرْمٍ ولا حَدَثٍ علمناه، فقال النبي ﷺ : « إنه لو قرَّ كما قَرَّ غيرُه مِمَّن هو على مثل رأيه ما اغتيل، ولكنَّه نال منا الأذى وهجانا، ولن يَفْعَلَ أحد منكم مِثلَ فِعْلِهِ إلا كان له السيف ». ودعاهم رسول الله ﷺ إلى أن يكتبوا بينهم كتاباً ينتهون إلى ما فيه، فكتبوا بينهم وبينه ﷺ كتاباً في دار رملة بنت الحارث، وخافت يهود من يوم قتل كعب ابن الأشرف .

قلت : اقتضت الآية ذِكْرَ قتلِ كَعْبِ بن الأشرف فذكرته، وإن لم يكن مما قصدته .

قوله عز وجل : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وأَمْوالِهِمْ [يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْواناً ويَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَه أُولئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ] ﴾ [الحشر : ٨] . يعني تعالى بالمهاجرين : من هاجر عن وطنه من المسلمين إلى رسول الله ﷺ إلى دار الهجرة، وهي المدينة خوفاً من أذى المشركين، ورغبةً في نُصْرَةِ نبيه ﷺ، فهم المقدَّمونَ في الإسلام .

﴿ يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ﴾ يعني : فضلاً من عطاء الله تعالى في

الدنيا ، ورضواناً من ثوابه في الآخرة . وروى علي بن رباح اللخمي : أَن عمر بن الخطاب رِضوانُ اللهِ عليه خطب بالجابية ، فقال : من أراد أن يســأل عن القرآن ، فليأتِ أُبَيَّ بن كعب ، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأتِ زيدَ بن ثابت ، ومن أراد أَن يسألَ عن الفقه فليأتِ مُعاذَ بن جبل ، ومن أَراد أن يسأل عن المال ، فليأتني فانَّ الله تعالى جعلني له خازناً وقاسماً ، فاني بادىءٌ بأزواج رسول الله ﷺ فمعطيهن ، ثم بالمهاجرين الأولين أَصحابي . (أخرجوا من ديارهم وأموالهم) [١] قال قتادة : لأنهم اختاروا اللهَ ورسوله ﷺ على ما فيــه من شدَّة ، حتى ذُكِرَ لنا أَنَّ الرَّجل كان يَعصِبُ على بطنِهِ الحجر ، ليُقيمَ صُلْبَه من الجوع ، وكان الرجــل يتخذ الحفيرة في الشتاء دثاراً ، ما لهُ دِثارٌ غيرُها [٢] رضوان الله عليهم أجمعين .

وقولــه عز وجل : (وقالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ على الأَرْضِ مِنَ الـكافِرينَ دَيَّارا . إنَّكَ إنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبادَكَ وَلا يَلِدُوا إلَّا فاجِراً كَفَّارا) [نوح : ٢٦ ـ ٢٧] .

في قولِهِ (ديارا) وجهــان . أَحدهما : يعني أحداً . والآخر : من يسكن الديار .

قيل : إنَّ رجـلاً من قوم نوح عليه السلام مرَّ بهِ وعلى كَتِفه

---

(١) في الاصل « أخرجنا من ديارنا وأموالنا »

(٢) ابن جرير : ٢٨/٤٠ ، وخرجه السيوطي في «الدرالمنثور» ٦/١٩٤ ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر .

وَلدٌ له صغير ، فقال لابنه : احذر هذا ، فانه يُضلِلُ . يعني نوحاً عليه السلام ، فقال الصبي لأبيه : أنزلني فأنزله عن كتفه ، فرمى نوحاً عليه السلام ، فشجَّهُ ، فحينئذٍ غَضِبَ نوحٌ عليهِ السلام ، ودعا عليهم .

وقيل : لما أنزل اللهُ عزَّ وجلَّ عليهِ (أنهُ لن يؤمن من قومك إلاَّ من قد آمن) [هود : ٣٦] دعا عليهم [1] . عن ابن بُرَيْدَةَ عن أبيهِ رحمه الله قال : كان رسول الله ﷺ يعلِّمُهُم إذا دخلوا المقابر أن يقول قائلهم : « السلام عليكم يا أهل الدِّيارِ من المؤمنين المسلمين وإنّا بكم لاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية » [2] .

قال الخِنَّوْت ، وهو توبة بن مُضَرِّس [3]

رَحلَتْ حَرامُ عَنِ البلادِ فلَنْ تَرى ... أُخْرى المَنُونِ بها وُجوهَ حَرامِ [4]

---

(١) ذكره ابن جرير في التفسير ٢٩/١٠١ عن قتادة وعزاه السيوطي في « الدر » ٦/٢٧٠ إلى عبد الرزاق ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٢) «المسند» : ٥/٣٥٣ ، ومسلم : ٢/٦٧١، وابن ماجه : ١/٥٩٤ عن علقمة ابن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه . . .

(٣) الخنوت — بكسر الخاء وتشديد النون المفتوحة وتسكين الواو — : هو توبة ابن مضرس ، من بني سعد بن زيد مناة بن تميم ، وأمه رميلة بنت عوف بن علقمة ، وكان يعرف بها ؛ شاعر محسن، قتل أخواه طارق ومرداس، فجزع عليهما جزعاً شديداً وثأر لهما ، وقال فيهما مراثي جيدة روى الآمدي بعضها . وظل توبة يبكيهما ، حتى طلب اليه الاحنف بن قيس أن يكف ، فلما أبى سماه الخنوت ، وهو الذي يمنعه الغيظ أو البكاء عن الكلام « المؤتلف والمختلف » ٩١ وانظر مجاز القرآن ١/١٦٣ والسمط : ٦٦٠ .

(٤) حَرام : اسم لبطون كثيرة في تميم ، منها حرام بن جشم بن سعد—

وَلَقَد تَرى بالجِزْعِ منْهُمْ مَجلِساً ... ضَخْماً ومَبْرَكَ جامِلٍ قمقام [1]

أَضحَتْ ديارُ بني أبيكَ كأنَّها ... بالبُرْقَتَينِ تَخُطُّ بالأقلام [2]

فاتْرُكْ بكاءكَ في الدِّيارِ فقد قضَتْ ... عيناكَ نَحْبَهُما مِنَ التَّسجام [3]

وفي بني حَرام يقول رؤبة بن العَجَّاج [4] :

— ابن زيد مناة بن تميم ، وحرام بن سعد بن مالك بن سعيد بن زيد مناة بن تميم ، وحرام بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم «جمهرة ابن حزم» : ٢١٥ ، ٢١٦ . والمنون : الدهر .

(١) الجزع : منعطف الوادي ، وقرية عن يمين الطائف واخرى عن شمالها . والجامل : جماعة من الابل تقع على الذكور والاناث . والقمقام : العدد الكثير .

(٢) البرقتين : مثنى بُرْقه ، وهي موضع ، قال البكري : وهو ما كان من الارض رملاً وحجارة مختلطة . وقال بعض اللغويين : هو من الارض إكام فيها حجارة وطين .

(٣) النحب في « اللسان » : الحاجة ، والنذر . والتسجام : الانصباب ، من سَجَّمت السحابه مطرها تسجيماً وتسجاماً : صبّته .

(٤) هو رؤبة بن عبد العجّاج بن رؤبة التميمي السعدي من رجاز الاسلام وفصحائهم ، والمذكورين المقدمين منهم ، بدوي نزل البصرة ، وهو من مخضرمي الدولتين ، وقد أخذ عنه وجوه أهل اللغة ، وكانوا يقتدون به ويحتجون بشعره ، ويجعلونه إماماً . انظر ترجمته في الاغاني : ٢٠ / ٣١٢ ، ووفيات الاعيان ٢ / ٦٣ ، والشعر والشعراء ٢ / ٥٧٥ ، والمؤتلف : ١ / ١٧٥ ، والسمط ١ / ٥٦ ، وتهذيب التهذيب ٣ / ٢٩٠ ، والبداية والنهاية ١٠ / ٩٦ ، والخزانة ١ / ٤٣ .

أَقْفَرَتِ الوَعْساءُ مِنْ حَرَام وقدْ يكونون ذوي أحْلامِ [١]
بها وأحياناً ذَوي عُرام فإن تَكُن سوائِقُ الأيّام [٢]
ساقَتْهُمُ للبَلَد الشآمي فبالسَّلامِ ثمَّ بالسَّلامِ

وقال التهامي [٣] :

مَاتَتْ لِفَقْدِ الظَّاعِنينَ دِيارُهم فكأنَّهم كانوا لها أرْواحا
ولقد عَهِدْتُ بها فهل أُرَيَنَّهُ مغدىً لمنتَجِع العُلى ومَراحا [٤]

وقال آخر :

أينَ أهلُ الديارِ من قوم نُوحٍ ثُمَّ عادٌ مِنْ بَعْدِهمْ وثَمودُ

---

(١) الوعساء : السهل اللين من الرمل .

(٢) العرام : الشدّة والقوة والشراسة .

(٣) هو أبو الحسن علي بن محمد بن نهد التهامي شاعر معروف من أهل تهامة - بين الحجاز واليمن - زار الشام والعراق ، وولي خطابة الرملة ، ثم رحل الى مصر مستخفياً ، ومعه كتب حسان بن مفرج الطائي ، أيام استقلاله ببادية فلسطين إلى بني قرة ، فظفروا به وحبس في سجن القاهرة، ثم قتل سراً في سجنه سنة ٤١٦ ه والبيتان في ديوانه : ١٠ من قصيدة يمدح بها أبا الحسين بن عبد الواحد القاضي مطلعها :

لو جادهنَّ غداةَ رُمن رواحا غيثٌ كدمعي ما أردْن براحا

(٤) في « الديوان »: لمنتجع الصبى .

بينما هُمْ على النَّمارِقِ والدِّيـ ـباج أفضتْ إلى التُّراب الخدودُ (١)

وقال كثير بن عبد الرحمن الخزاعي :

لمن الدِّيارُ بأبْرَقِ الحَنَّـانِ فالبُرْقِ فالهضَباتِ مِنْ أُدْمانِ (٢)

أَقْوَت منازِلُهم وغَيَّرَ رَسْمَها بَعْدَ الأنيس تعاقُبُ الأزمانِ (٣)

---

(١) النمارق : واحدتها نُمْرُقة ، وهي الوسادة ، ومنه قوله تعالى : (ونمارق مصفوفة) . والديباج : ضرب من الثياب ، مشتق من الدَّبج ، وهو النقش والتزيين. وأفضت : انتهت .

(٢) ديوانه ١ / ١٧٩ ، والاول والثاني في «معجم البلدان» ١ / ٧٦ وأبرَقُ الحَنَّان : قال ياقوت : بفتح الحاء المهملة ، وتشديد النون ، وآخره نون أخرى : ماء لبني فزارة ، قالوا : سمي بذلك لأنه يسمع فيه الحنين ، فيقال : ان الجن فيه تحن الى من قفل عنها ، ثم أورد الأبيات . البرق : جمع بُرْقة ، وهي من نواحي اليمامة . وأدمان : في الأصل بكسر الهمزة ، وضبطه ياقوت بالضم ثم بالسكون وميم وألف ونون ، قال يعقوب : أدمان شعبة تدفع عن يمين بدر ثلاثة أميال ، ثم أورد البيت شاهداً .

(٣) في الديوان بعد هذا البيت :

فوقفت فيها صاحبيَّ وما بها يا عزَّ من نَعَم ولا انسان

إلا الظباءَ بها كأن نزيبها ضرب الشراع نواحي الشريان

قلت : والنزيب صوت ذكر الظباء خاصة ، والشراع كالشرعة : الوتر الرقيق. والشريان : شجر من عضاه الجبال يعمل منه القسي . قال في « اللسان » يعني ضرب الوتر سيتي القوس .

فإذا غَشيتُ لها ببُرقَةِ واسِطٍ ... ولِواء بيْنه مَنْزِلاً أبْكاني (١)

وقال أبو نُواس الحسَنُ بن هانىء :

لَقَدْ طالَ في رَسْم الدِيارِ بُكائي ... وقدْ طالَ تَرْدادي بها وَعَنائي (٢)

كأنّي مُريغٌ في الديار طَريدَةً ... أراها أمامي تارَةً وورائي (٣)

فلما بَدا لي اليأسُ عدَّيْتُ ناقتي ... عن الدَّارِ واستولى عليَّ عزائي (٤)

وقال آخر :

لَيْتَ الدِيارَ التي تَبْقى فَتحْزُنَنا ... كانت تَبيدُ إذا ما أهْلُها بانُوا

بانوا بافئِدَةٍ فيهم مُعَذَّبةٍ ... لو خَلّفوها لَدِنّاهُم كما دانوا

---

(١) في الديوان « فلوى لبينة » . وقال الشارح: قوله « فلوى لبينة » ويروى «فلوى كتينة » و « فلوى حبيب » . وبرقة واسط : عددها ياقوت بين البرق في «معجمه» ولم يحددها ، وقال : لم يحضرني شاهدها ، قلت : والبيت شاهد عليها . وواسط بين العذيبة والصفراء ، والعذيبة : قرية بين الجار وينبع .

(٢) ديوانه : ٤٠٢ ، والابيات مطلع قصيدة يمدح بها هارون الرشيد .

(٣) في « الديوان » مرّة . ومريغ : من أراغ بمعنى طلب وأراد ، تقول : أرغت الصيد ، وماذا تريغ ؟ أي : ما تريد وتطلب ، والطريدة : ما طردت من صيد وغيره . يصف تردده على مابقي من آثار الديار ، وحيرتـــه بالتعلق بآثار الأحبة ، ويشبه نفسه بالذي يطلب طريدة تتفلت منه ، فهي وراءه إن أقدم الى أمام ، وأمامه إن التفت إلى وراء .

(٤) عديت ناقتي : جاوزت بها . والعزاء : الصبر عن كل مافقدت .

يَنْأَوْنَ عنَّا وما تنأى مَوَدَّتُهم   فالقلبُ رَهْنٌ لَدَيهِم أينما كانوا

وقال آخر : (للشريف الرضي رحمه الله) [١]

ولقد مَرَرْتُ على دِيارِهم   وطُلُولُها بيد البِلى نَهْبُ

فوقفتُ حتى عَجَّ مِنْ لَغَبٍ   نِضْوي ولَجَّ بعذْليَ الرَّكْبُ [٢]

وتلفَّتَتْ عيني فمُذْ خَفِيَت   عنّي الطُّلُولُ تلفَّتَ القلبُ

وقال سَيْدوكُ الواسطي ـ وتنسب إلى الرّستمي [٣] :

مَرَرْنا بأكْنافِ العَقيق فأعشَبَتْ   أباطِحُ من أَجْفانِنـا ومَسايِلُ

فَمِنْ واقفٍ في جفنِهِ الدَّمع واقفٌ   ومن سائلٍ في خدِه الدّمع سائل

وكادت تُناجينا الديار صبابةً   وتبكي كما نبكي عليها المنازل

---

(١) كتبت هذه الجملة في الأصل بعد قوله : « وقال آخر » بخط مغاير للاصل، مما يدل على أنها ألحقت بالأصل بعد الكتابة من المؤلف أو ممن قرأه . والأبيات في ديوانه : ١ / ١٤٦ .

(٢) في الديوان « حتى ضـــج » وهما بمعنى ، قال في اللسان : عجَّ يَعِجُّ وَيَعَجُّ عجّاً وعجيجاً ، وضَجّ يضِجُّ : رفع صوته وصاح . واللغب :الاعياء . والنضو : البعير المهزول ، ولج في الأمر : تمادى عليه .

(٣) وردت الأبيات في « اليتيمة » ٣ / ٣٠٣ منسوبة إلى الرستمي أبي سعيد محمد بن الحسن بن محمد بن الحسن بن علي بن رستم من أبناء أصبهان ، من قصيدة يمدح بها مؤيد الدولة ، وقد ترجم الثعالبي في « اليتيمة » ٢ / ٣٧١ لسيدوك ، ولم يورد الأبيات في ترجمته .

وقال أبو نواس :

لِمَن الدّيارُ تَسَرْبَلَتْ ببلاها أَنْسَتْكَ رُؤْيَتها وما تَنساها [(١)]

لا تكذِبَنَّ فما أراكَ بِمُنْتَهٍ عنها وإنْ خَبَّرْتَ أَنْ ستَناهى [(٢)]

وقال أبو العلاء بن سليمان المعري :

عَلامَ هَجَرْتَ شرْقَ الأرْض حتى أَتيتَ الغَرْبَ تَخْتَبِرُ العِبادا [(٣)]

---

(١) ديوانه : ٤٩٦ ، وفيه « نسيتك ربّتُها وما تنساها » وتسربلت بالبلى : لبسته ، يريد : أنها درست وعفت .

(٢) في الديوان « . . . وإن كلّفت أن تشناها » وتشناها : مخفف « تشنأها » أي : تبغضها .

(٣) « شروح سقط الزند » : ٢ / ٧٨٥ وبعد هذا البيت :

فكانَتْ مِصرُ ذاتُ النّيل عصْراً تنافِسُ فيك دِجْلَةَ والسَّوادا

وإنَّ من الصَّراة إلى بحر الـ فرات إلى قُوَيْقٍ مُسْتَرادا

مياهٌ لو طرحْتَ بها لُجيناً ومشبهها لَمُيِّزَتِ انتقادا

قال التبريزي : علام ، أي : على ما ، وعلى أيّ شيء هجرت شرق الأرض وأتيت الغرب ، كأنك تختبر بذلك أهل الأرض ، وكنت في الدهر القديم تسافر إلى مصر ، فتنافس فيك دجلة وبلادها . وقال البطليوسي : العصر : الدهر ، والمنافسة المحاسدة . ودجلة : نهر بغداد ، ويعني بالسواد : سواد العراق ، وسواد كل بلد : ما حوله من القرى ، وسمي سواداً لخضرة النبات ، والصراة : مجتمع دجلة والفرات ، ودجلة : نهر بغداد ، والفرات : نهر العراق ، وقويق : نهر حلب ، والمستراد : يكون مصدراً بمعنى الاستزادة ، وهي التصرف ، ويكون المكان الذي يستراد-

فإنْ تجـدِ الدّيارَ كما أرادَ الـ غريبُ فمـا الصَّديقُ كما أرادا (١)
إذا الشّعْرى اليمانيَةُ استقلّت فجـدِّدْ للشّآميَةِ الوِدادا (٢)

ـفيه ، أي : يتصرف فيه ، واللجين : الفضة ، والانتقاد : تخليص الجيد من الرديء من كل شيء . يقول : من شدة صفاء هذه المياه ، وخلوصها من الشوائب ، لو مزج بها ذوب اللجين ، وما يشبهها من الجواهر ، لأخرجها النقاد عنها وزيفوها ، كما تميز الدراهم الزيوف من الخالصة ، ولم يروها أهلاً لان تختلط بها .

(١) رواية البطليوسي : « فان يجد » وشرح البيت بقوله : في هـذا البيت تقديم وتأخير ، وتقديره : فان يجـد الغريب الديار كما أراد ، فالغريب مرتفـع بـ « يجد » لا بـ « أراد » والصديق يقع الواحد والجمع والمذكر والمؤنث .وقال الخوارزمي : يقول : إن وجدت ديار المغرب كما أرادها القريب ، فليس الصديق هناك كما أراده الغريب ويشهد لصحة هذا الوجه قوله :

وقيل أفاد بالأسفار مالاً فقلنا هل أفاد بها فؤادا ؟

(٢) في « السقط » استنـارت . والشعرى اليمانية : هـي العبور ، والشعرى الشآمية : هي الغميصـاء . قال ابن الصوفي : لأن مغيب العبور في شق اليمن ، ومغيب الغميصاء في شق الشام ، قال البطليوسي : وإنما قال هذا لانـه قد ذكر في هذا الشعر أن خاله قـــد نهض من الشرق الى الغرب ، وأنه جاب البر والبحر ، فقال له : إذا سرت نحو الشعرى الجنوبية فاستنارت لك من مطلعها ، فسر أيضاً نحو الشعرى الشمالية ، لتكون قد مشيت الجنوب والشمال والشرق والغرب ، والبر والبحر ، ولم تبق من الارض موضعاً .

فَلِلشَّام الوَفاءُ وإنْ سِواهُ تَوافى مَنْطِقاً غَـدَرَ اعتِقادا [(١)]

ظَعَنْتَ لتستفيدَ أخـاً وَفِيّا وضَيَّعْتَ القَـديمَ المُسْتَفادا [(٢)]

وقال ابنُ الزَّقاق من شعراء الأندلس [(٣)] :

حَنَنْتُ إلى الدِّيار ولي حَنينٌ إلى الأحباب ليسَ إلى الرُّبوعِ

ولو أنّي أحِنُّ إلى مَغـاني أحبَّائي حَنَنْتُ إلى ضُلوعي

روي أن المجنون قيس بن الملوح : لما اختُبِلَ عقلُه ، كان يخرجُ فيأتي الشامَ ، فيقول : أين أرضُ بني عامر ؟ فيقال له : أين أنت من أرض بني

---

(١) توافى : أظهر الوفاء وليس من خلقه ، كما يقال : تحامق : إذا أظهر الحمق وليس كذلك ، قال التبريزي : أي إن طاب لك غير الشام ، فانما يطيب لك ظاهره ، فأمـا في الباطن فانك فيه غريب ، ولا تكون فيه كما تكون في بلادك وعشيرتك . وقال البطليوسي : نسب الوفاء الى الشام والمراد به أهله ، كذلك نسب الغدر الى غير الشام ، والمراد أيضاً أصحابه . يحضه على الرجوع الى الشام ويرغبه فيه .

(٢) قال الخوارزمي : إنما قال « أخاً وفياً » ولم يقل: « حديثاً » مع مطابقته للقديم ، لأن الاخ لا يطلب لانه حديث ، بل لأنه وفيّ حديثاً أو قديماً .

(٣) هو أبو الحسن علي بن ابراهيم بن عطية اللخمي البلنسي المعروف بابن الزقاق ، اخذ عن ابن السيد ، واشتهر ومدح الأكابر ، وجود النظم ، وتوفي وله دون الأربعين في سنة ثمان وعشرين وخمسمئة . انظر « المغرب » ٢/٣٢٣ و « فوات الوفيات » ٢/١٢٥ .

عامر ؟ عليك بنجم كذا ، فسر عليه ، فينصرف ويسير حتى يأتي أرض بني عامر ، فيقف عند جبل لهم ، يقال له : التوباذ وينشد :

وأَجْهَشْتُ للتَّوْباذِ لمَّا عَرَفْتُهُ ... وكبَّر للرَّحمن حينَ رآني [1]

فأذْرَيْتُ دَمْعَ العين لما رأيتُهُ ... ونادى بأعلى صَوْتِهِ فدَعاني

فقلتُ لَهُ أينَ الذين عَهِدْتُهم ... حَواليْكَ في أَمْنٍ وَخَفْضِ مكان [2]

فقال مَضَوْا واستودَعُوني دِيارَهُم ... وَمَنْ ذا الذي يبقى على الحدثان [3]

وقال آخر [4] :

أحبابنا ما الدِّيارُ اليومَ بَعْدَكُمُ ... تلكَ الديارُ ولا الأوطانُ أوطان

---

(١) الخبر مع الشعر في الديوان : ٢٧٥ ، و«الاغاني» : ٢ / ٥٢ و«الامالي» ٢٠٥/١ ، و«تزيين الأسواق» : ٦٠ ، و«الزهرة» : ٢١٣ قال ياقوت في « المعجم » والتوباذ : بالفتح ثم السكون والباء موحدة وآخره ذال معجمة : جبل بنجد. وفي الديوان و «الاغاني » ، و « معجم ما استعجم » : « وأجهشت للتوباذ حين رأيته » وفي الديوان « وهلل » وأجهشت : تهيأت للبكاء .

(٢) في الديوان « في خِصْب وطيب زمان » وفي « أمالي المرتضى» « بجنبك في خفض » .

(٣) في الديوان : « بلادهم . . . . يبقى مع . . . » .

(٤) سبق ذكر هذا البيت في ص ٢١ ثم في ص ٤٩

وقال القاضي المهذب أبو محمد الحسن بن علي بن الزبير أحد شعراء مصر [١] :

لَكُمْ خَيالٌ في الجُفونِ مُمَثَّلٌ ... أبداً وَذِكْرٌ بالفُؤادِ مُوَكَّلُ

وإلى دِيارِكُمُ نَحِنُّ صَبابَةً ... ونَفُضُّ أَوْعِيَةَ الدُّموعِ ونُرْسِلُ

تِلْكَ المنازِلُ ما تَمُرُّ سحابةٌ ... تَهمي بها إلّا وَعَيْنٌ تَهْمِلُ [٢]

ما ضَرَّها إذ ينزِلون رُبوعَها ... أَنْ لا يُرى فيها لِعَلْوَةَ مَنْزِلُ

---

(١) شاعر من أهل أسوان – بصعيد مصر – وفاته بالقاهرة (٠٠٠ – ٥٦١هـ) وهو أخو الرشيد الغساني أحمد بن علي ، قال العماد الأصبهاني : لم يكن بمصر في زمن المهذب أشعر منه ، واشتغل بعلوم القرآن ، فصنف تفسيراً في خمسين جزءاً، وله ديوان شعر . وقال ابن شاكر : اختص بالصالح بن رزّيك ، ويقال : إن أكثر الشعر الذي في ديوان الصالح ، إنما هو من شعر المهذب . انظر ترجمته في « فوات الوفيات » ١ / ١٢٤ . و « خريدة القصر » ١ / ٢٠٤ .

(٢) تهمي : في « اللسان » همى الشيء هَمْياً : سقط، وهمت عينه هَمْياً وهُمِيّاً وهَمَياناً : صبت دمعها ، وقيل : سال دمعها ، وكذلك كل سائل من مطر وغيره . وهمَلت عينه تهمُل – بالضم والكسر – هَمْلاً وهمولاً وهَمَلاناً : وانهملت : فاضت وسالت .

وقال السِّنْبِسي (١) :

وإنّي كلّما زادَ التيـاحي إليك وأُضرِمَ القلبُ الخفوقُ (٢)

أَمُرُّ على ديارِكُمُ وإني لِمَنْ أمسى بها صَبٌّ مَشوق

وأومي بالتَّحِيَّةِ من بَعيدٍ كما يُومي بأُصْبُعِهِ الغَريقُ (٣)

وقال أبو تَغلِبْ الحارِث بن غَنْم العدواني :

ألا لَيْتَ شِعري هَل أبيتَنَّ لَيْلةً بِحَوْزَةَ أو بالجِزْعِ أو بِقرانِ (٤)

وهل أرَيَنْ تلك الديارَ التي بها نَداماي قِدْماً حيثُ كنتُ أراني

---

(١) السِّنبْسي : محمد بن خليفـة بن حسين ، أبو عبد الله النميري السنبسي الأنباري (٠٠ — ٥١٥ هـ) شاعر قائد ، أصله من هيت ، أقـام بالحلة عنـد سيف الدولة صدقة بن مزيد ، فكان شاعره وشاعر ابنه دبيس بن صدقة . قال ابن الدبيثي : قدم بغـداد غير مرة ، وكتب الناس من شعره سنة ٤٩٨ هـ . نسبتـه الى سنبس بن معاوية من طيىء . ترجم له صاحب « فوات الوفيـات » ٢ / ٤٠٢ .

(٢) التاح : عطش . أضرم ، يقال : ضرمت النار وتضرمت واضطرمت : اشتعلت .

(٣) الايماء : الاشارة بالأعضاء كالرأس واليد والعين .

(٤) حوزة : قال ياقوت : كأنه مصدر حاز يحوز حوزة واحدة ، وحوزة الملك : بيضته ، والحوزة : الناحية ، وهو واد بالحجاز كانت عنده وقعة لعمرو ابن معدي كرب مع بني سليم . قِران : بالتخفيف ناحيـة بالسراة من بلاد دوس كان بها وقعة ، وقيل : هي من الأصقاع النجدية .

وقالَ عديُّ بنُ الرِّقاعِ العامليّ :

لَيتَ شِعري هل تُخبِرَنّي الدِّيارُ ... بيقينٍ عن أهلِها أينَ ساروا

أَسَفاً هيَّجَتْ فما لكَ منها الـ ... ـيومَ إلاّ تفَجُّعٌ وادِّكارُ

دارُ حيٍّ تقادمَ العَهْدُ منها ... بعدَ حُضّارِها فبارَتْ وباروا (١)

صادَفوا من غوائلِ الدَّهرِ غُولاً ... بعدما أنجَدوا سِنينَ وغاروا (٢)

فكأني مِنْ ذِكْرِهِم خالطَتْني ... مِنْ فِلَسْطينَ بِنْتُ كَرْمٍ عُقارُ (٣)

وقال عبد الله بن قيس الرُّقيّات :

هَـلْ للدِّيارِ بأهلِها عِلْمُ ... أَمْ هل يُبينُ فيَنْطِقُ الرَّسْمُ (٤)

ياصاحِ هلْ أبكاكَ مَوْقِفُنا ... أمْ هل علينا في البُكا إثْمُ

---

(١) العهد : الالتقاء ، والعهد : ما عهدته فثافنته ، يقال : عهدي بفلان وهو شاب ، أي : أدركته فرأيته كذلك . باروا : هلكوا .

(٢) الغول : المنية . وكل ما أهلك الانسان فهو غول .

(٣) العُقار : الخمر ، سميت بذلك لأنها عاقرت العقل ، وعاقرت الدن ، أي : لزمته .

(٤) ديوانه : ٥٥ ، و«الأغاني» : ٩١/٥ ، وفيها « تبين » وبعد البيت :

قالت سكينةُ فيم تصرمنا ... أسُكَيْنُ ليس لوجهك الصَّرم

تخطو بخلخالَيْنِ حشوهما ... ساقان مار عليهما اللحم

أَمْ ما بُكاؤكَ مَنْزِلاً خَلَقاً   قَفْراً يَلوحُ كأنَّهُ الوَشْمُ (١)

وقال النابغة الجعْدي ، واسمه قيس بن عبد الله بن عمرو بن عدس بن ربيعة بن جعدة (٢) :

أَلاَ يا دِيارَ الحيِّ بـين مُحجَّرٍ   إلى جانب القَمْرى كأنْ لم تَغَيَّرِ (٣)

وَقَفْتَ بها لا أَنْتَ قاضٍ لُبانَةً   ولا اليأسُ يَشْفي حاجةَ المتذكِّرِ

---

(١) الوشم : أن يغرز بالابرة في الجلد ، ثم يُذر عليه الكحل والنؤور ، فيبقى سواده ظاهراً ، كانت النساء في الجاهلية تفعله تزييناً به ، ونهى النبي ﷺ عنه ، وأما تشبيه الآثار والاطلال بالوشم ، فقد جاء في أشعارهم ، قال طرفة :

لخولة أطلال ببرقـة ثهمد   تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

(٢) ترجمته في « طبقات فحول الشعراء » : ١٠٣ ، و « الشعر والشعراء » ١ / ٢٤٧ ، و « الاستيعاب » ٣ / ٥٥٢ ، و« الاصابة » : ٢١٨/٦ ، و « الأغاني » ٥ / ١ و « المعمرين » : ٨١ ، و « سمط اللآلي » ٢٤٧ ، و « خزانة الأدب » ١ / ٥١٢ . وقد قام المكتب الاسلامي بطبـع ما جمع من شعره طبعة متقنة غير أن الابيات الثلاثة الاولى لم ترد فيه فتستدرك . ورواية الشطر الاول من البيت الرابع فيه « فان كنت لا ترضى بما كان جائياً » .

(٣) محجر : بضم أوله وفتح ثانيه بعده جيم مشددة مفتوحـة وراء مهملة : قرن في ديار أبي بكر بن كلاب بفرع الشُّرة ، والسرة : واد يصب بين دمخ والرملات ، رملات أبي بكر ، ومحجر: قرن في أسفله جرعة بيضاء حجيّر بها ، ومحجر أيضاً في بلاد عذرة : قرن مؤزر بجرعة بيضاء ضَبَطت أسفله كله ، وهو بأطراف السبال . والقمرى : بفتح اوله وكسره واسكان ثانيه وبالراء المهملة بعدها الف التأنيث على وزن فعلى : موضع لبني مخرّبة من بني نهشل ، قاله البكري .

أَلا أَيُّها الباكي على ما يَعُولُه ... تَجَمَّلْ على ما يُحدِثُ الدَّهرُ واصبر [(١)]

فإن أنتَ لم تَصْبِر لِما كان جائياً ... فإن كان تَنكيرٌ لَدَيْكَ فأَنكِرِ

وقال عِكْرِمَةُ بن ربيعة العَبْدَري :

فإن يَكُ عبدُ الدار خَلَّتْ مكانَها ... وبُقّيتُ فرداً في ديارِهم وَحْدي

فيارُبَّ يومٍ لو هَتَفْتُ أجابني ... مَصاليتُ أبطالٌ سِراعٌ إلى المجْدِ [(٢)]

وقال لبيد بن ربيعة العامري [(٣)] :

بَلينا وما تَبْلى النُّجومُ الطوالِعُ ... وتَبقى الدِّيارُ بَعْدَنا والمصانِعُ [(٤)]

---

(١) في « اللسان » وعالني الشيء : غلبني وثقل علي .

(٢) مصاليت : جمع مِصْلَت ، بكسر الميم : وهو الماضي في الامور المسرع.

(٣) هو لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري أبو عقيل ، كان من شعراء الجاهلية وفرسانهم وأجوادهم ، أدرك الاسلام ، وقدم على رسول الله ﷺ في وفد بني كلاب ، فأسلموا ورجعوا الى بلادهم ، ثم قدم لبيد الكوفة وأقام بها إلى ان مات ، ويقال : إن وفاته كانت في أول خلافة معاوية ، وانه مات وهو ابن مائة وسبع وخمسين سنة . انظر ترجمته في « الشعر والشعراء » ١/٢٣٢ ، و«الخزانة» ١/٣٣٧ ، و«التاريخ الكبير» للبخاري ٤/٢٤٩ ، و «الاستيعاب» ٣/١٣٣٥ و«أسد الغابة» : ٤/٢٦٠ ، و«الاصابة» ٣/٣٠٧ و «الاغاني » ١٥/٣٦٠ .

(٤) ديوانه : ١٦٨ ، و«الشعر والشعراء» ١/٢٣٦ ، و«الاغاني» : ١٥ /٣٧٣ وفيها « وتبقى الجبال » والمصانع : الأبنية أو الحصون أو القرى ، واحدها : مصنع ، وقال الطوسي : مصانع الماء : وهو بناء يبنى يكون فيه الماء ، ويقال: المصانع : القصور .

وقد كنتُ في أكنافِ جارِ مَضِنَّةٍ ففـارقَني جارٌ بأرْبَدَ نافِعُ [١]

فلا جَزِعٌ إن فرّقَ الدَّهْرُ بيننا وكلُّ فتىً يوماً به الدَّهرُ فاجِعُ [٢]

ولا أنا يأتيني طَريفٌ بفَرْحةٍ ولا أنا مما أَحدَثَ الدَّهرُ جازِعُ [٣]

وما النَّاسُ إلّا كالدِّيار وأهلِها بها يومَ حَلُّوها وغَدْواً بَلاقِعُ [٤]

وما المرءُ إلا كالشِّهابِ وضَوْئِهِ يَحُورُ رَماداً بعد إذ هو ساطِعُ [٥]

---

(١) قال ابو عمرو: يقال : علق مَضَنَّة ومَضِنَّة . وأكناف : جوانب . جار مضنة : يضن به ويتنافس عليه . ففارقني بأربدجار نافع ، وأربد: هو الجار، وكذلك تقول : أقبل بك الاسد ، كأنك لما أقبلت أقبل الاسد .

(٢) فلا جزع : يقول : لا يروى عني ذاك ، أي: لاأنكر أني قد مرت بي مثل هذه المصائب بفراق أخ وابن عم ، فلا جزع لميت إن مات بعد من أهلي ، لكون قلبي قد وقرته المصائب . قال أبو الحسن : وهذا تفسير أبي عمرو أيضاً .

(٣) في الديوان « فلا » يقول : لا أفرح بما استطرف من مال أو شيء يسر ، ولا أجزع إن نكبني الدهر .

(٤) غدواً : غداً ، الغد: أصله الغدو ، حذفت منه الواو بلا عوض ، ولم يستعمل تاماً إلا في الشعر . يقول : بيناهم أحياء إذ ماتوا ، وكذلك الديار ، بينا هي عامرة ، إذ أقفرت من أهلها فصارت بلاقع ، أي قفاراً .

(٥) قال الطوسي : الشهاب : النار . ويحور : يصير ، من اين حرت : من أين جئت . إلى أين حرت : إلى أين صرت ، ما حويرك ؟ أي: ما مردود جوابك ؟ وكذا فسر أبوعمرو؛ ساطع : مشتعل .

وما البرُّ إلا مُضْمَراتٌ من التُّقى ... وما المال والأهلُون إلا ودائعُ (١)

يقولُ الفتى إني سأفعل ذاكُمُ ... وما لِلفتى عِلْمٌ بمـا الله صانِعُ (٢)

وقال زهير بن أبي سلمى :

لِمَنْ الديارُ بقُنَّـةِ الحِجْرِ ... أَقْفَرْنَ من حِجَجٍ ومن دَهرِ (٣)

لَعِبَ الرياحُ بهـا وغَيَّرَها ... بعدي سَوافي المُوْرِ والقَطْرِ (٤)

---

(١) في الديوان : « إلا معمرات . . . » قال الطوسي : مضمرات : ماأضمرت. معمرات . العرب تقول : هذه الدار لك عمري ، اي : انها لك ما عمرت ، يقول: فهذا المال لك ما عمرت ، فـاذا متّ فلا شيء لك منه ، انما هو وديعة ، وكذا قال ابو عمرو . قال ابو الحسن ، وقال ابو عبد الله : معمرات : عارية .

(٢) لم يرد هذا البيت في الديوان، ولا في «الشعر والشعراء» و«الأغاني» .

(٣) ديوانه : ٨٦ و « مختارالشعر الجاهلي » ٢٦٣ من قصيدة يمدح بها هرماً. وفيه « أقوين » ، أي خلون . ورواه أبو عمرو « من حجـج ومن شهر » ورواه أبو عبيدة « مذ حجـج ومذ شهر » قال ياقوت : الحجر ، بالكـــسر اسم لثلاثـة مواضع : هي حجر ثمود ، وهي من وادي القرى على يوم بين جبال ، وبهـا كانت منازل ثمود ، وحجر الكعبة ، ثم حجر : قرية لبني سليم حذاءها جبل ليس بالشامخ يقال له : قنة الحجر . سأل عنها لتغيرها بعده عن الحال التي عهدها عليها .

(٤) رواية الاعـلم : « لعب الزمان » السوافي : الرياح الشديدة تسفي التراب وتطيره . والمور : التراب تثيره الريح . والقطر : المطر ، وجر عطفاًعلى مايجاوره. قال في «الاغاني» : والقطر لا سوافي له ، وهذا تفعله العرب في المجاورة ، وهو مثل قولهم «جُحْرُ ضبٍّ خربٍ » وفي هامش الديوان : السوافي يقال للتراب—

وقال عديّ بن الرِّقاع العاملي :

مَنَعَ النَّوم طارِقاتُ الهُموم ... بأسىً وادِّكارِ خَطبٍ قديم (١)

مِنْ لَدُنْ أن أجنَّني اللَّيلُ حتى ... فَضَحَ الصُّبحُ واضِحاتِ النُّجوم

مِن ديارٍ غَشيتُها ذُكْرَةً ما ... بينَ صارات ضَاحِكٍ فالهريم (٢)

نَسجتْ ظَهْرَها الرِّياحاتُ حتى ... بَرِىء القاعُ من جميع الرُّسوم

واختلافُ الأيَّام حتى محاها ... سالفُ الدهر بعد سَكْنٍ مُقيم

جَمَعَتْنا بها نوى الحيِّ حَوْلاً ... نتلَهَّى بسِرِّنا المكتوم

ولقد حال دون ذلك هَمٌّ ... مِثلُهُ فليَرُعْ فؤاد الحليمِ

إنَّ قومي تتابعُوا بعد ما كا ... نوا هُمُ القوْمَ فابْكِ غيرَ مَلُوم

ـ الذي تسفيه الريح ، والرياح التي تسفي التراب ، يقال : سفت الريح التراب ، أي : ذرته ، ويقال للتراب نفسه : ساف ، أي : مسفى ، كما يقال : ماء دافق ، أي : مدفوق ؛ فاذا أريد بالسوافي هنا التراب يكون كسر القطر للمتابعة ، لقرب جواره من المور ، وإذا أريد بها الرياح يكون كسر القطر في موقعه ، لأن الريح كما تسفي التراب وتذهب به ، تسوق المطر وتفرقه .

(١) الطارقات : التي تأتي ليلاً ، وأصل الطرق : الدق .

(٢) في الأصل تحت كلمة الهريم ما نصه : موضع . صارات : جمع صارة وهي رأس الجبل وأعلاه ، وضاحك : جبل في أعراض المدينة .

ولقد كان يَخْفِضُ الجارُ فيهم   غيرَ مُسْتَشْرَفٍ ولا مَظْلُوم [١]

وقال البحتري [٢] :

مَتى تَسْتَزِدْ فَضْلاً من العُمْر تَغْتَرِفْ   بسَجْلَيْكَ من أرْي الخُطوب وصابِها [٣]

يُسَرُّ بعُمْرانِ الديار مُضَلَّلٌ   وعُمرانُها تَدْنو بها من خَرابِها [٤]

ولم أرْتَض الدُّنيا أوانَ مَجيئها   فكيف ارْتِضائيها أوانَ ذهابها !؟

وقال أيضاً :

شَرْخُ الشَّبابِ أخو الصِّبى وأليفُه   والشَّيْبُ ترجيةُ الهوى وخُفُوفُه [٥]

---

(١) يخفِض : من الخَفْض ، وهو الدَّعة ، وعيش خفض ، وخافض ومخفوض وخفيض : خصيب في دعة وخصب ولين . واستشرفه حقه : ظلمه .

(٢) ديوانه : ٢٣١/١ و « أمالي المرتضى » ٢٣٠/٢ من قصيدة يمدح بها صاعد بن مَخْلَد ، مطلعها

معادٌ من الأيام تعذيبنا بها   وإبعادها بالالف بعد اقترابها

(٣) في الديوان « من شهد الخطوب » والسجل : الدلو العظيم ، والأري : العسل ، والصاب : العلقم ، وبعد هذا البيت :

تُشَذِّبنا الدنيا بأخفض سعيها   وغول الأفاعي بلَّةٌ من لُعابها

(٤) لعل الصواب « يدنو » بالياء . وفي الديوان ، و« أمالي المرتضى » : « وعمرانها مستأنف من خرابها » . وفي « الصناعتين » ٢١٨ : يُسر المضلَّل بعمران الديار ، وانما تستأنف عمرانها من خرابها ، وما ارتضيت الدنيا أوان مجيئها ، فكيف ارتضائيها أوان ذهابها ؟!.

(٥) ديوانه : ٧٧/١ والأبيات مطلع قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان . وشرخ

وأراكَ تَعْجَبُ من صبابَةِ مُغْرَمٍ أَسْيانَ طالَ على الدِّيارِ وُقُوفه [1]

صَرفَ المسامِعَ عن مَلامَةِ لائِمٍ لا لَوْمُــهُ أَجدى ولا تَعْنيفُه [2]

فَسَقى اللِّوى لا بَلْ سَقى عَهْدَ اللِّوى أَيَّامَ نَرْتَبِعُ اللِّوى وَنَصيفُــه

وقال أيضاً :

بني تَغْلبٍ أَعْزِزْ عليَّ بأنْ أَرَى دِيارَكُم أَمْسَتْ وَلَيس بها أَهْلُ [3]

خَلَتْ بَلَدٌ من سَاكنيها وأَوْحَشَتْ مَرابِعُ من سِنْجارَ يَهْمي بها الوَبْلُ [4]

الشباب : أوله . وفي « اللسان » : التزجية : دفع الشيء كما تُزجي البقرة ولدها ، أي : تسوقه ، ويقال : زجَّيت الشيء تزجية : إذا دفعته برفق . والخفوف : سرعة السير من المنزل .

(١) في « اللسان » ورجل آس وأسيان : حزين .

(٢) في الديوان : « عن ملامة عاذل » وبعد البيت :

شمس تألَّقُ والفِراق غروبها عنّا وبدرٌ والصُّدود كسوفُه

فاذا تحمَّل من تهامة بارِق لَجِبٌ تسير مع الجنوب زحوفه

صَخِب الرَّواحِ إذا تصوَّب مُزنُه ذعر الأجادِلَ في السماء حفيفه

(٣) ديوانه : ٣٨/١ من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان ، ويذكر حرب ربيعة ، وعفو المتوكل عنهم بواسطته .

(٤) في « معجم البلدان » : سنجار ، بكسر أوله وسكون ثانيه ، ثم جيم وآخره راء : مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة ، بينها وبين الموصل ثلاثة أيام ، وهي في لحف جبل عال .

وَأزْعجَ أهلَ المَحْلَبِيَّاتِ ناجِزٌ مِن الحرْبِ ما فيه خداعٌ ولا هَزْلُ [(١)]

وأَقْوَتْ من القَمْقامِ أعراضُ ماردٍ فما ضَمِنَتْ تلك الأعِقَّةُ والرَّمْلُ [(٢)]

أَفي كلّ يومٍ فِرْقَةٌ من جميعِكُم تَبيدُ ودارٌ من مَجامِعِكم تخلو

وقال مهيار :

يا دِيارَ الحيِّ من خَبْتِ اللِّوى عُدْتِ ظَنّاً بعدَ ما كُنتِ حَقيقه [(٣)]

أخذ الدَّهْرُ قشيباً رائقاً من مَغانيكِ وأَعطاكِ سُحوقَه [(٤)]

---

(١) المحلبيات : هي المحلبية ، وهي بليدة بين الموصل وسنجار ، قال الأخطل وذكر بني سليم :

فأصبحت منهم سنجارُ خالية فالمحلبيات فالخابور فالسَّرَرِ

كرّوا إلى حرَّتيهم يعمرونهما كما تكرُّ إلى أوطانها البقر

قال البكري : وهذه المواضع كلها بالجزيرة . وفي « اللسان » الناجز : الحاضر .

(٢) في « اللسان » القمقام والقماقم من الرجال : السيد الكثير الخير ، الواسع الفضل . الأعراض : جمع عرصة : وهي كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء ، والأعقة : جمع عقيق ، وهو الوادي ، أو ما شقه ماء السيل في الارض فأنهره ووسعه .

(٣) ديوانه ٣١٧/٢ والابيات مطلع قصيدة كتبها إلى الرئيس أبي طالب يهنئه بالنيروز . وفي الديوان « من جنب الحمى » ، وفي « اللسان » الخبت : ما اطمأن من الارض واتسع ، واللوى : ما استرق من الرمل .

(٤) السحوق ، جمع سَحْق : وهو الثوب الخلق البالي . وفي الديوان بعد هذا البيت:

فلئن كنت عدوَّ العينِ من بعدهم إنكِ للقلب صديقه

خِلْتُ لمَّا لم أُطِقْ حَمْلَ النَّوى　　أنَّ تِلْكَ الدِّمَنَ الصُّمَّ مُطِيقه

لم أَكُنْ أَعلَمُ حتى نَحِلتْ　　كنُحُولي إنَّهـا مِثْلي مَشوقه

أَيْنَ جيراني بها لَهْفي لهم　　لَهْفَةً سَكْرَتُها غَيرُ مُفيقه (١)

وقال الشَّريف المرتضى أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب رضوان الله عليهم :

أيُّ دَمْعٍ جَرى ونحنُ بنجرا　　نَ لنـا والدِّيارُ ثَمَّ رُسُومُ (٢)

دِمَنٌ لو رَنَتْ اليهنَّ عَيْنا　　كَ قُبَيْلَ الفراقِ قُلْتَ نُجُومُ (٣)

ومَغانٍ من النُّحولِ كأرْوا　　حٍ ولكنْ ليست لهنَّ جُسومُ (٤)

مـا سُرِرْنا إلَّا بهنَّ ، وفيهِ　　نَّ قِفاراً سِيقتْ إلينا الهُمومُ (٥)

---

(١) في الديوان « لهفي بهم » .

(٢) ديوانه : ٣/١٨١ من قصيدة يمدح بها فخر الملك مطلعها

ما أرادت إلا الجفاءَ ظَلومُ　　يوم رامت عنـا ولسنا نريم

(٣) في الديوان « قلت النجوم » .

(٤) المغاني : المنازل التي كان بها أهلوها ، واحدها مغنى ، وقيل : المغنى : المنزل الذي غني به أهله ، ثم ظعنوا عنه .

(٥) في الديوان « ما مررت إلا بهن ومنهن قفاراً » .

وقال أيضاً :

قد مَرَرْنا على الدِيارِ تَبدَّلْـ ـنَ دُثوراً بِجِـدَّةٍ وخُمولا[1]

نَكِرَتْهـا العُيونُ منَّا فما تَعْـ ـرِفُ إلاّ رُسُومَها والطُّلولا

قال أبو عبد الله الطبري[2] : قال رجلٌ لأبي محمد الجريري رحمهُ الله[3] : كنتُ على بساطِ الأنس ، وفُتِحَ لي طريقٌ إلى الانبساط ، فزَلَلتُ زَلَّةً ، فحُجِبْتُ عن مقامي ، فكيف السبيل إليه ؟ دُلَّني على الوصول إلى ما كنتُ عليه ، فبكى أبو محمد ، وقال : يا أخي الكلُّ في قهرِ

---

(١) ديوانه : ٥٦/٣ من قصيدة يهنىء بها فخر الملك بعيد النحر سنة اثنتين وأربعمئة مطلعها

نوِّلينا منك الغداة قليـــلا وصلينا فقـــد هجرت طويلا

(٢) الخبر في « طبقات الصوفية » : ٢٥٩ ، و « تاريخ بغداد » ١٥/٤ ، و « حلية الأولياء » ٣٧٤/١٠ وفيها : سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله الطبري . ولم نعثر له على ترجمة .

(٣) هو أحمد بن محمد بن الحسين أبو محمد الجريري بفتح الجيم كما ضبطه الذهبي في « المشتبه » كان من كبار اصحاب الجنيد ، وصحب سهـــل بن عبد الله التستري . أقعد بعد الجنيد في مجلسه ، لتمام حاله ، وصحة علمه ، مات سنة إحدى عشرة وثلاثمئة . انظر ترجمته في المصادر التي تقدمت وفي « الرسالة القشيرية » ، و«طبقات الشعراني» ١١٠/١ .

هـذه الخُطَّة ، وفي أَسْرِ هـذه الرزيَّة ، ثم شهق وسكت ساعـة ، ثم أنشد :

قِفْ بالديارِ فهـذه آثارُهم نَبكِ الأحِبَّةَ حَسْرَةً وتشوُّقا

كم قد وقفتُ بها أسائلُ مُخبراً عن أهلها أو صادِراً أو مُشفِقا

فأجابني داعي الهوى في رَسْمِها فارقتَ من تَهْوى فعزَّ المُلتقى

قيل : لما تغيَّر المتوكل على محمد بن عبد الملك الزيات [١] كان يتمثل قبل الإيقاع به بقول أبي العتاهية [٢] :

سَلْ دِيارَ الحيِّ مَنْ غَيَّرَها وعَفاها ومحا مَنْظَرَها [٣]

---

(١) هو ابو جعفر محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة الزيات ، وزير المعتصم والواثق ، من بلغاء الكتاب والشعراء ، ولما مرض الواثق عمل ابن الزيات على تولية ابنه وحرمان المتوكل ، فلم يفلح ، وولي المتوكل ، فنكبه وعذبه الى ان مات . انظر ترجمته في «تاريخ بغداد» ٣٤٢/٢ ، «ووفيات الأعيان» ١٨٢/٤ ، «وخزانة الادب» ٢١٥/١ ، «وهبة الأيام» : ٧٦ ، «وأمراء البيان» ٢٨٨/١ .

(٢) هو أبو اسحاق اسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان العنزي بالولاء ، شاعر مكثر ، سريع الخاطر ، غزير البحر ، لطيف المعاني ، سهل الألفاظ كثير الافتنان ، قليل التكلف ، إلا أن شعره - كما قال الأصمعي - كساحة الملوك يقع فيها الجوهر والذهب والتراب والخزف والنوى . انظر ترجمته في « الاغاني » ١/٤ ، «وتاريخ بغداد» ٢٥٠/٦ ، و«الشعر والشعراء» ٧٦٥/٢ ، و«ابن خلكان» ١٩٨/١ و«معاهد التنصيص» ٢٨٥/٢ ، و«لسان الميزان» ١١٣/١ .

(٣) هذه الأبيات ورد منهـا البيت الأخير فقط في ديوان أبي العتاهية-

وهي الدُّنيا إذا ما أدْبَرَتْ   جعلتْ مَعروفَها مُنْكرَها

إنَّما الدُّنيا كظِلٍّ زائِلٍ   أَحْمَدُ اللهَ كذا قدَّرَها

وقال أبو كبير ، واسمه عُتبة بن قادِم أحدُ بني حرام :

ياصاحِ قِفْ بديارِ الحيِّ مُقفِرَةً   من الأحبَّةِ واحْبِسْ أينُقاً قُودا (١)

سَقى الإلهُ وإنْ بانوا وقلَّ لهم   مَبْنى الخيام وتلك الأجْبُلَ السُّودا

مَنازِلاً كنتُ أَهوى أن أكونَ بها   كما مضى ليتَ كانَ العيشُ مردودا

وقال محمد بن عبد الأزدي ثم السلاماني :

أرسمَ ديار بالستارَيْنِ تعرف   عَفتْها شَمالٌ ذاتُ نيرَينِ حَرْجَفُ (٢)

ـ ص ١٢٥ ، وأولها فيه :

عجبـاً أعجب من ذي بصر   يأمن الدنيـا وقد أبصرها

ان للانسان يومـاً صَرْعةً   ينبغي للمرء أن يحذَرهـا

(١) في « اللسان » الناقـة : الأنثى من الابل ، والجمع أنوق وأنؤق وأونق وأينق ، وفي قولهم : « أينق » مذهبان ، أحدهما : أن تكون عين « أينق » قلبت الى ما قبل الفاء ، فصارت في التقـدير أونق ، ثم أبدلت الواو ياء ، لأنها كما أعلت بالقلب كذلك أعلت أيضاً بالابدال ، والآخر أن تكون العين حذفت ، ثم عوضت الياء منها قبل الفاء ، فمثالها على هـذا القول أيفل ، وعلى القول الاول أعفل . والقود : جمع قوداء ، وهي الناقة الطويلة .

(٢) في «معجم البلدان» : والستاران في ديار بني ربيعة : واديان ، يقال لهما : السَّودة ، يقال لاحدهما: الستار الاغبر، وللآخر: الستار الجابري ، وفيهما عيون فوارة تسقي نخيلاً كثيرة . وذات نيرين : شديدة ، وقالوا : حرب ذات نيرين ، أي: شديدة . والحرجف : الريح الباردة .

فلم تَدَعِ الأرواحُ والماءُ والبِلى من الدَّار إلا ما يَشُوقُ ويَشْعَفُ [١]

وقفتُ بها والدَّمعُ يُذري حَبابَهُ على الصَّدرِ حتى كادتِ الشمسُ تُكسَفُ [٢]

رُسوماً كآياتِ الكتابِ مُبينةً بها للحزينِ الصبِّ مَبكىً ومَوْقِفُ

كأنَّك لم تَعهدْ بها الحيَّ جيرةً جَميعَ الهوى من جيرةٍ ما تَصرَّفُ

إذ النَّاسُ ناسٌ والبلادُ بغرَّةٍ وأنتَ بها صبٌّ القرينةِ مُولَفُ

وقال آخر :

كفى حَزَناً أني مُقيمٌ ببلدةٍ أَخلايَ عنها نازحٌ وبعيدُ

أقلِّبُ طرْفي في الديارِ فلا أرى وُجوهَ أحبَّائي الذين أُريدُ

وقال ثوب الغطفاني :

أَبَتْ أَنْ لا تُكلِّمَكَ الدِّيارْ وغَيَّرَ رَسْمَها بَعدي القِطارُ [٣]

فلو نَطَقَتْ شَفَتْ مني سَقاماً ولكنَّ السُّكاتَ لها شِعارُ [٤]

---

(١) في «اللسان» الشعف : إحراق الحب القلب مع لذة يجدها ، كما أن البعير إذا هنىء بالقطران يجد له لذة مع حُرقة

(٢) في الأصل تحت كلمة «تكسف» ما نصه : يريد تغرب .

(٣) القطار : جمع قطر ، وهو المطر .

(٤) في «المحيط» السُّكت : السُّكوت كالسكات .

فهل شِعبٌ يُداني بُعْدَ شِعبٍ — وهل لِلّيانِ عِيْشَتِنا انكرارُ [(١)]
عسى هـذا العِسارُ من اللّيالي — يكونُ وراءَهُنَّ لنـا يَسارُ
فكلُّ نعيم عيشٍ يابنَ ثوبٍ — لَهُ لا بُـدَّ جمْعٌ وانتِشارُ

وقال البحتري :

يا رُبوعَ الدِّيار إني على ما — قـد أراهُ منكُنَّ غيرُ جليدِ [(٢)]
أخلَقَ الدَّهرُ عُمْرَكُنَّ ولِلدَّهـ — ـرِ صُرُوفٌ يَبلِيْنَ كلَّ جديدِ [(٣)]
فرَّقتْ شَمْلَنا النَّوى بعدَما كُنْـ — ـنا جميعاً في ظلِّ عيشٍ حميدِ

وقال الشريف المرتضى رضي الله عنه :

إلى كَمْ ذا التَّصامُمُ والتَّعاشي — وكم هذا التَّواكُلُ والتَّواني [(٤)]
ولو أَنَّا فَهِمْنا عن خَرابِ الدِّ — يارِ مَقالَهـا لم يَبِنْ بَانِ
ويجني العيشُ كلَّ أذىً ويُهوى — فيا للعيشِ يُعْشَقُ وهوَ جانِ

---

(١) في «اللسان» واللّيان بالفتح : المصدر من اللين ، وهو في ليانٍ من العيش ، أي : رخاء ونعيم وخفض .

(٢) ديوانه : ٧٦٨/٢ والأول والثاني في «الطرائف» : ٢٤٣ من قصيدة يمدح بها محمد بن حميد الطوسي مطلعها

بعضَ هذا الملام والتفنيد — ليس هجر النَّوى كهجر الصدود

(٣) في «الطرائف» « .... يخلقن كل جديد » .

(٤) ليست في الديوان .

وقال أيضاً :

مَنْ على هذهِ الدِّيارِ أَقاما   أو ضَفا مَلْبَسٌ عليهِ فَداما [(١)]

عُجْ بنا نَنْدُبُ الذين تَوَلَّوْا   باقْتِيادِ المنونِ عاماً فعاما [(٢)]

سَكنوا كلَّ ذِرْوَةٍ من أَشمٍّ   يَحْسِرُ الطَّرْفَ ثمَّ حلُّوا الرَّغاما

يا لَحا اللهُ مُهمِلاً حَسِبَ الدَّهـ   ـرَ نَؤُومَ الجُفُونِ عنهُ فناما

علقا في يـد المُنى كلَّما نا   لَ هوىً يبتغيه رام مراما

أبيات من شعر والدي وأخي رضي الله عنهما وشعري مما يوافق المعنى المقصود . قال مولاي والدي مجد الدين أبو سلامة مرشد بن علي ابن مقلد بن نصر بن منقذ رضي الله عنه :

مـا في وقوفِكَ في الدِّيارِ تَوَرُّعُ   فأنِضْ شُؤونَ العينِ فهيَ الأَرْبُعُ

دَرَسَتْ فليس لناظرٍ لوْلا الهوى   من طولِ ما بَلِيَتْ به مُستَمْتَعُ

يا دارُ لَوْ أَنصفْتِ رَبْعَكِ لم أَقِفْ   فيـه كهاتِفَةٍ تنوحُ وتَسْجَعُ

---

(١) ديوانه : ٣/٢٠٤ والأبيات مطلع قصيدة يرثي بها الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان العكبري .

(٢) في الديوان بعد هذا البيت

فارقونا كهلاً وشيخاً وهمّاً   ووليداً ويافعاً وغلاما

وشحيحاً جَعْدَ اليدينِ بخيلاً   وجواداً مخوّلاً مِطعاما

وَلَمَّا طَلَبتُ لِيَ الأُسَاةَ لأشتفي ... مِن لَوْعَةٍ طُوِيَتْ عَلَيْهَا الأَضْلُعُ

ما قَدْرُ ما أسفي عليك وحَسْرَتي ... قَلَّتْ وَلَوْ أَنَّ الحشا يَتَقَطَّعُ

أنا مُدَّعٍ فيما أقولُ لأنَّني ... باقٍ وعُذْرِي عنه ما لا يُسْمَعُ

فَوَدِدْتُ لو أَنِّي ظَفِرْتُ براحَةٍ ... إمَّا بِمَوتٍ أو بعيشٍ يَنْفَعُ

وقال أخي عز الدولة أبو الحسن علي بن مرشد بن علي رضي الله عنه :

قِفا فاحْبِسا تلك الرِّكابَ وأَطْلِقا ... دُمُوعي فهلْ بَعدَ الدِّيارِ أكاتِمُ

فعهدي بهذا الرَّبع والشَّمْلُ جامِعٌ ... وسِيَّان عندي عاذِرٌ لي ولائِمُ

أَبيتُ كما شاءَ السُّرورُ ولا أرى ... مِنَ الغَمِّ ما تُثْنى عليه الحيازِمُ

وإخوانِ صِدْقٍ كالثُّرَيَّا نُفُوسُهم ... سَمَتْ وَوَهَتْ شَحْناؤُهم والسَّخائمُ

بَقيتُ وقد أوْدَوا عَناءً وشِقوةً ... وإني على عِدٍّ سُقُوا منه حائمُ (١)

إذا ما تذكَّرْتُ الدِّيارَ وأهلَها ... وَوَحْشَتَها منهم أَقُلْ : أنا حالِمُ

وقال أيضاً :

يا ديارَ الأحبابِ ما فيكِ للمحـ ... ـزونِ إلا البُكاءُ والتَّسليمُ

أينَ سُكَّانُكِ الذين بهم كا ... نَ على العيشِ نَضْرَةٌ ونَعيمُ

---

(١) في «اللسان» الماء العد : الدائم الذي له مادة لا انقطاع لها مثل ماء العين وماء البئر .

أَقْفَرَتْ منهمُ الدِيارُ وأَضْحَتْ ... دارِسـاتٍ كأنَّهن رُقُومُ
ليْتَ أني ناهَلْتُهم جُرعَ المو ... تِ فعَيْشي بعد الأحِبَّة لَوْمُ

وقال أيضاً رحمه الله :

يا إخوتي وذويْ ودِّي وخالِصَتي ... حُزْني عليكم مَدَى الأيَّام مُتَّصِلُ
أحبِبْ إليَّ بلَيْلِ التِمِّ أسْهَرُهُ ... تَفكُّراً فيكمُ والدَّمعُ يَنْهَمِلُ
دِيارُكم إن خَلَتْ مِنْكم وفارَقَها ... نُورُ المهابةِ وانحطَّتْ بها الكِلَلُ
فما الزَّمانُ بمأمونٍ على أحَدٍ ... ولا تَدُومُ بهِ الأيَّام والدُّوَلُ
كُنْتُم كأنَّكُمُ شمسُ النَّهارِ بها ... قدأشرَقَتْ وهي من أبراجِها الحَمَلُ

وقال أيضاً رحمه الله :

إخوَتي شُلَّتْ يـدُ البَيْـ ... ـنِ لقـد جارَتْ علينا
واعتـدَى الدَّهرُ بلا ... جُرْمٍ وما كُنا اعتَدَيْنا
فتفرَّقنـا كأنَّا ... لم نكُن قطُّ التقينا
وَيْحَ قلْبي من دِيارٍ ... كنتُمُ فيهـا عَفَيْنـا
أصبحت قَفْراً كأنَّـا ... لَم نَكُنْ فيها ثَوَيْنا
لا أقرَّ اللهُ مَنْ قرَّ ... تْ لَهُ بالبَيْنِ عينا

وهذه أبيات من شعري في هذا المعنى قلت :

هٰذي دِيارُ بني أبي ومعاشِري ... قَفْرٌ عليهـا وَحْشَةٌ وَظَلامُ

دَرَسَتْ محافظة لهم وتوحَّشت   مِنْ بعدِهم وَتعفَّتِ الأعْلامُ

فإذا مَرَرْتَ بها فقُلْ مُتَمَثِّلاً   (يا دارُ ماصنعتْ بكِ الأيَّامُ) (١)

وقلت :

إذا أنا شَارَفْتُ الدِّيارَ تَحدَّثَتْ   بمكنون أسْراري الدُّمُوعُ الذَّوارفُ

وماذا انتفاعِي بالدِّيار وقُرْبهـا   إذا أقفرتْ من كل مَنْ أنا آلفُ

وقلت :

تَقولُ ليَ الأشواقُ هذي دِيارُهم   فقلتُ نَعَمْ لكنَّها منهمُ قَفْر

وَما كُنتُ أهوى الدّار إلّا لأهلِها   وبعدَهُمُ لاجادَ ساكِنهـا القَطْرُ

فما الدَّارُ تِلْكَ الدَّارُ بعد قَطينها   ولا الدَّهرُ فيها بعدَهُم ذلك الدَّهرُ

وقلت :

دِيارٌ خَلَتْ من أهلِها وتَوَحَّشتْ   فليس بها مَرْعىً لعينٍ ولا خِصْبُ

عَلاها البِلى حتى تَعفَّتْ رُسُومُهـا   وأنكرَها طَرْفي فأثبتها القَلْبُ

وقلت :

بنو مُنْقِذٍ ما أنقذُوا من زَمانِهم   وكم أنقذوا مِنْ مُرْهَقٍ وأسيرِ

---

(١) في الأصل تحت هذا البيت ما نصه : نصف المصراع مضمن لأبي نواس. قلت : وهو في ديوانه : ٤٠٧ و«طبقات الشعراء» لابن المعتز : ٢١١ ، وروايته فيها: « مافعلت » بدل « ما صنعت » وتتمة البيت : لم تبق فيك بشاشة تستام . وهو من قصيدة جيدة يمدح بها الأمين .

أَجادُوا على الأيَّام فاضطغنتهمُ ... وَمَا استَمْسَكوا مِنْ جَوْرِها بمُجير

فلم يَبقَ منهم غيرَ حَيٍّ كَمِيّتٍ ... أخي حَسْرَةٍ ما تنقضي وزفير

فقد أقفرتْ منهم دِيارٌ عَهِدتُها ... غِياثاً لملْهوفٍ وذُخْرَ فقير

وما أقفرَتْ من ساكِنٍ بل منَ العُلى ... ومنْ نائِلٍ هامي السَّحابِ غزير

وقلت :

دِيارَ الهوى حَيّا معالِمَك القَطْرُ ... وإن لَمْ يَدَعْ إلا تذكُّرَكِ الدَّهرُ

عَهِدْتُكِ أُفْقاً للسُّعودِ وساكِنو ... ربوعك في أرْجائكِ الأنجُمُ الزُّهر

وعَصْرُهمُ فصلُ الرَّبيع نضارَةً ... فهل يَرْجِعَنْ لي ذلك الزَّمنُ النَّضر

إذا مرَّ في فكري الدِّيارُ وأهلُها ... فيا ليَ من وَجْدٍ يُجَدِّدُه الذِكرُ

إذا أوْحشَتْني وَحدَتي بعد فقدِهم ... وَلِهْتُ كأني قد أصابنيَ السِّحْرُ

فكيف التَّسلِّي والتَّأسّي فيهمُ ... ولا عِوَضٌ منهم ولا عَنهُمُ صَبْرُ

لقد ساءَني الدَّهرُ الذي سَرَّني بهم ... وما ظَلموا ساؤوا قِصاصاً بما سرُّوا

وقلت :

قل للَّذي فقَدَ الأحبَّة وانثنَى ... يَسْقي دِيارَهُمُ دُموعاً تَسْجُمُ [1]

ماذا وُقوفُكَ في الدِّيارِ مُسائلاً ... عن أهلِها ومَتى يُجيبُ الأبكَمُ؟

---

(١) هذه القطعة مكررة وقد ذكرها في الفصل الأول من الكتاب. انظر ص : ٥٤ .

سَلْ عنهمُ صَرْفَ الزَّمانِ فإنَّه بهمُ من الدَّار المُحيلَةِ أعلَمُ
أَفناهُمُ رَيْبُ المنون وهذه آثارُهم عِظـةٌ لِمَنْ يتوسَّمُ
هي شِيمةُ الأيام كَفٌ تبتَني مُذْ كانتِ الدُّنيا وكَفٌّ تَهدِمُ
وإذا رأيتَ مُحسَّدِينَ فقلَّمـا تُرجِيهمُ الأحداثُ حتى يُرْحَموا
ونرى تَقَلُّبَ هـذه الدُّنيا بنا وكأَنَّنا فيهـا سُكارى نُوَّمُ

وقلت :

لاجادَ رَبْعَكِ من ديارٍ أقفرَت من أهلِها صَوْبُ الغَمام الماطِر
لم يُبْقِ منكِ الدَّهرُ إلا حَسْرَةً للذَّاكِرِينَ وعِبرَةً للنَّـاظر
يا حُسْنَ أوَّلِ ذلك الدَّهرِ الذي قد كان فيكِ وقُبْحَ هذا الآخر

وقلت :

إذا بكى لِديارٍ بادَ ساكِنُها ذُو وَحدَةٍ سَاءَهُ في دارِهِ الزَّمنُ
بَكَيْتُ أهلي وأوطاني وآسفني أَنْ ليس لي بَعْدَهُم دارٌ ولاسَكَنُ
أخنى الزَّمانُ على قومي وملَّكَ أوْ طاني سِوايَ فلا أَهْلٌ ولاوَطَنُ
ولمْ تدَعْ لي المنايا مُشتَكى حَزَنٍ أبثُّه كَمَدي إنْ عادَني حَزَنُ

آخر ما أثبته من شعر قومي وشعري .

وقال الشريف المرتضى أبو القاسم علي بن الحسين الموسوي رضي الله عنه :(١)

دِيارٌ كَرَعنَ الضَّيْم فهو مصرَّفٌ ونادى بهنَّ الموْتُ أهلاً فأَسْمَعا

---

(١) ليست هذه الأبيات في ديوانه .

كأنَّ قطينَ الحيِّ بَعْدَ تفرُّقٍ   جَنَتْهُ الليالي سَاعَـةً مـا تجمَّعا
وَلو كان يدري بالَّذين تفرَّقوا   تَوجَّعَ مِنْ فُقْدانِهِم وتَفَجَّعـا

وقال أيضاً :

ولمـا مرَرْنا بالدِّيارِ التي خَلَتْ   فهُنَّ لِفقْدانِ الأنيس نَواحِلُ [١]
فإِشْراقُها بعـدَ الذين تحمَّلوا   ظَلامٌ وضحْواتُ النَّهارِ أصائِلُ
أثارَ الجوى عِرفانُها وتبادرتْ   على أهلِها مِنَّا الدُّموعُ الهوامِلُ

وقال المرتضى أيضاً :

يا ديارَ الأحبابِ لاأَبصرَتكِ الـ   عينُ منْ بعدِ أنْ حُلِلْتِ رُسُوما [٢]
إنَّ عيشاً لنا خَلَسْناهُ مِنْ أيـ   دي الرَّزايا لَدَيْكِ كان نعيما [٣]

---

(١) لم ترد في الديوان أيضاً .

(٢) ديوانه : ٢٠٧/٣ من قصيدة يفتخر بها مطلعها :

خلّيها إنّها تريد الغميما   طالما أنجد الصَّحيح السقيما

(٣) في الديوان بعد هذا البيت :

أين ظبيٌ عهدْتُه في نواحيـ   ـك دخولاً حبَّ القلوب هجوما ؟
أقصدتني عيناه يوم تلاقيـ   ـنا بفسحِ الحمـى وراحَ سليما
والتقطنا من لفظه الدر نثراً   ورأيناه بابتسامٍ نظيما
واعتنقنا فكنتُ سقماً هضيما   ذا نحولٍ وكان حسنا هضيما
كيف أبغي نَصفاً وقلبيَ ولىٌّ   طائعاً للهـوى علىَّ غشوما
وإذا قلت قد سلوْتُ وخلى الـ   ـحبُّ عني لقيتُ منه عظيما —

مَنْ عَذيري مِنَ الزَّمانِ أخي عَوْ ... جاءَ أَعْيا عَليَّ أَنْ يَسْتَقيما [1]

ليس يُعْطي البقاءَ إلّا لِمَنْ يسـ ... لُبُـهُ ذلك البقـاءَ حَميما

كتب إليَّ المَلِكُ الصَّالح ، ناصر الأَبَهَةِ ، كاشِفُ الغُمَّةِ ، أميرُ الجيوش ، سيف الإسلام ، غياث الأنام ، كافل قضاة المسلمين ، وهادي دُعاةِ المؤمنين ، أبو الغارات طلائع بن رُزّيك [2] فتى أميرِ المؤمنين عزيز مصر رَحِمَهُ اللهُ قصيدةً من نَظمِهِ يُعزّيني عَنْ أهلي الذين هَلَكوا في الزلازل رحمهم الله ، منها :

وشكوت الهوى وما صنع الحـ ... ـبُّ بقلبي فما وجدت رحيما

ليس يجدي ودمع عيني نموم ... بالهوى أن ترى اللسان كتوما

ولقد قلت والجوى يخرس النطـ ... ـق ذهولاً وحيرة ووجوما

كيف أمسيت راحلاً بفؤادي ... عن بلادي ولم أرِمها مقيما

لست يا أيها العذول عن الحـ ... ـب كليماً منه وتبّ كليما

لا تلمني فكل من حمل الأشـ ... ـجان يرضى بأن يكون ملوما

أي شيء مني على راقد الطر ... ف خليّ إن بت أرعى النجوما

وإذا كنت بالهوى ذا اعوجاج ... فاهنَ دوني بأن تكون قويما

لا تزدني بذا الزمان اختباراً ... فلقد كنت بالزمان عليما

أين أهل الصفاء كنا جميعاً ... ثم ولوا إلف الرياح هشيما

رمتهم بعد أن توفاهم المـو ... ت فما ان أصبت إلا رميما

(١) في «اللسان» ، يقال : عذيري من فلان ، أي : من يعذرني .

(٢) هو طلائع بن رزّيك الملقب بالملك الصالح ، أبي الغارات ، أصله من —

لهفَ نفسي على ديارٍ منَ السُّ ... كان أَقْوَتْ فليس فيها عَريبُ [1]

ولكم حلَّهـا فأنْسَتْهُ أوطا ... نَ صِباهُ والأهل يوماً غَريبُ

فاحتسِبْ ما أصابَ قومَكَ مجـ ... ـدالدّين واصبر فالحادِثاتُ ضُرُوبُ

هكذا الدَّهرُ حُكمُهُ الجوْرُ والـ ... ـعدْلُ وفيهِ المكروهُ والمحبوبُ

إنْ تخصَّصْكُمُ نوائبُ مازا ... لت لكم دُونَ مَنْ سِواكُم تَنوبُ

فكذاكَ القَناةُ يُكسَرُ يوم الرَّ ... وع منهـا صَدْرٌ وتبقى كُعوبُ

— الشيعة الامامية في العراق ، ثم قدم مصراً ، فترقى في الخدم حتى ولي منية بن خصيب في الصعيد ، فلمـــا قتل عباس الصنهاجي الخليفة الظافر ، لجأ اليه أهـل القصر واستصرخوه ، فأقبل ، وملك مصر ، واستقل بالأمور في عهـد الخليفة الفائز ٥٤٩ — ٥٥٥ هـ ، ولما مات الفائز ، وبويع العاضد ، استمر ابن رزيك وزيره ، وزوجه ابنته ، وكان صغيراً ، فاستبد بالأمر دونه ، وقطع أرزاق الخاصـــة ، فدبرت له مؤامرة لقتله ، فقتل سنة ٥٥٦ هـ ، كان شجاعاً فارساً حازماً جواداً صادق العزيمة ، لا يترك غزو الفرنج في الـبر والبحر ، وقد أجلى الصليبيين عن بلاد كثيرة في فلسطين . انظر ترجمته في « وفيات الأعيان » ٢/٢٠٨ ، و« مرآة الزمان» ٨/٢٣٧ ، و « الخريدة » قسم شعراء مصر : ١/١٧٣ .

(١) الأبيات في « الديوان » : ٦٠ ، و«ديوان أسامة» : ٢٩٦ ، و «الروضتين» ١/٢٦٧ من قصيدة طويلة نثرها أسامة رحمه الله في ديوانه : ٧ و ١٥٣ و ١٦٤ و ٢٩٦ . وأقوت : خلت . وفي « اللســـان » : وما بالدار عريب ومُعْرِب ، أي : أحد ، الذكر والأنثى فيه سواء ، ولا يقال في غير النفي .

فصل آخر
في ذكر الديار

قال كُثيّر بن عبد الرحمن الخزاعي :

أَشَاقَكَ بالعَبوْقَرَةِ الدّيارُ نَعَمْ منّا منازِلُها قِفارُ [1]

أَحَبُّ الأرضِ أرضٌ دَمَّنُوها وكان لهُم بهـا يوماً قَرارُ [2]

فما عندي لِواشٍ في هواكُم رِضىً حتى يموت ولا اعتذارُ

وقـال محمَّدُ بن عبد الملك بن حبيب بن تمـام بن معبد بن فَقْعَس ابن طريف [3] :

وإنَّ مُرُوري بالدِّيارِ التي بهـا سُلَيْمى ولم أُلْمِمْ بهـا لجَفاءُ

---

(١) في « اللسان » العبوقرة : اســم موضع ، قال الهجري : هو جبل في طريق المدينة من السيّالة قبل ملل بميلين ، ثم أنشد البيت .

(٢) في « اللسان » ودمنّ القوم الموضع : سوّدوه وأثروا فيه بالدّمَن ، ويقال: دَمّنَ فلان فناء فلان تدميناً : إذا غشيه ولزمه .

(٣) في « الفهرست » لابن النديم ص : ٧٩ : الفقعسي واسمه محمد بن عبدالملك الأسـدي راوية بني أسد وصاحب مآثرها وأخبارها ، وكان شـــاعراً أدرك المنصور ومن بعده ، وعنه أخذ العلمـاء مآثر بني أسد . وانظر « الورقة » لابن الجراح : ١٢ ، و« السمط » ١/٤٠ ، و « معجم البلدان » مادة صارة ٥/٣٣٠ ، و«حماسة البحتري» .

وما بالهوى يا أُمَّ عَمروٍ ولا الَّذي تَحَمَّلْتُ من وَجْدٍ عَليكِ خَفاء
على أنَّني يا أُمَّ عَمْروٍ تَهيجُني دِيارٌ لكم بالأَبْرَقَيْنِ خَلاء (١)

وقال صالح بن عبد الله بن الحجاج :

كفى حَزَناً يا سُعْدُ إن بِنْتِ أن أرى دِيارَكِ يفليها الحَمامُ المُطوَّقُ
وأنْ يَسْجَعَ القُمْريُّ فيها إذا بدا لركبانها قَرْنٌ من الشَّمس أَوْرَقُ
وأن لا أرى يا سُعدُ أهلَكِ جِيرةً وأهلي إلا رَيْثَما نَتفرَّقُ

وقال أبو نواس :

حيِّ الدِّيارَ إذِ الزَّمانُ زَمانُ وإذِ السِّماكُ حرىً لنا ومَعانُ (٢)

---

(١) في « معجم البلدان » واذا جاؤوا بالأبرقين في شعرهم هكذا مثنى ، فأكثر ما يريدون به ابرقي حجر اليمامة ، وهو منزل على طريق مكة من البصرة بعد رميلة اللوى للقاصد مكة ، ومنها الى فلجة .

(٢) ديوانه : ٤٠٤ من قصيدة يمدح بها هارون الرشيد وفيه « وإذا الشباك ». وفي «معجم ما استعجم» ٧٧٧/٣ : الشباك على لفظ جمع شبكة : موضع بالبصرة ، قال المفجّع : إذا جاوزت النحيت من أرض البصرة ، وصرت بين الأحواض ، وأنقاء الطوي ، فهناك الشباك ، وقال ياقوت : والشباك أيضاً : طريق حاج البصرة على أميال منها عن نصر . وهي قريبة من سفوان ، ولذلك قال أبو نواس: وهو بصري، ثم أنشد البيت الأول والثاني ، وفيه «خوى» مكان «حرى» وهو تحريف. وفي «اللسان» الحراة : الساحة والعقوة والناحية، وكذلك الحرى مقصور . والمعاد : المباءة والمنزل ، ومعان القوم : منزلهم. وقد خلط محقق الديوان في معنى هذا البيت تخليطاً عجيباً فانظره .

يا حبّذا سَفَوانُ من مُتَرَبَّعٍ ولرُبَّما جَمع الهوى سَفَوانُ [1]
فإذا مَرَرتَ على الدِّيار مُسَلِّماً فلغيرِ دارِ أُمَيْمَةَ الهِجرانُ

وقال أيضاً :

قُلْ لديارٍ حَيَّيْتَها خُرُسِ مِنْ صَمَمٍ ماعَييتِ أمْ خَرَسِ ؟ [2]
هاجَرَ عنهنّ سَكْنُهُنَّ فما فيهنَّ مِنْ جِنَّةٍ ولا أَنَس [3]
إلا شبيهٌ بها لِبَعْضِهِم في حَوَرِ المُقلَتَيْنِ واللَّعَس [4]

---

(١) سفوان ، بفتح أوله وثانيه : ماء على قدر مرحلة من باب المربد بالبصرة، وبه ماء كثير . السافي : هو التراب ، والمتربع : اسم المكان الذى ينزله القوم أيام الربيع .

(٢) ديوانه : ٥٠٤ وفي «اللسان» البناء الأحرس : هو القديم العادي ، الذي أتى عليه الحرس ، وهو الدهر ، وبناء أحرس : أصم. ورواية البيت في الديوان :

هل لديارٍ حيّيتها دُرُسِ من صَمَمٍ ما هتفت أو خرس

وهي رواية ساقطة لا وجه لها .

(٣) في الديوان «غيّب عنهن» والسكن : أهل الدار ، اسم الجمع ساكن ، كشارب وشرب . الأنس ، بالتحريك : الحي المقيمون .

(٤) رواية البيت في الديوان :

إلا شبيهاً بهنَّ في وضح الـ جيد وحُسن العيون واللَّعس

والحور : أن يشتد بياض العين وسواد سوادها ، وتستدير حدقتها ، وترق جفونها ، ويبيض ما حواليها . واللعس : سمرة الشفاه .

وقالَ قيسُ بنُ الخطيم [١] :

أَتعرِفُ رسماً كاطِّرادِ المذاهِبِ ... لِعَمْرَةَ وحْشاً غيرَ مَوْقِفِ راكبِ [٢]

---

(١) هو قيس بن الخطيم بن عدي الأوسي الشاعر المشهور من أهـــل يثرب من شعراء الطبقة الثانية ، وسمي أبوه «الخطيم» لضربة كانت خطمت أنفه ، وقتل أبوه وهو صغير ، قتله رجل من الخزرج ، فشبت بسبب ذلك حروب بين قومه وبين الخزرج ، حتى ظفر قيس بقاتل أبيه فقتله ، أدرك الاسلام ، وتريث في قبوله فقتل قبل أن يدخل فيه ، انظر ترجمته في «الأغاني» ٢/١٥٤ ، و «معجم الشعراء» : ١٩٦ ، و «الاصابة» ٣/٢٦٦ ، و «طبقات فحول الشعراء» : ١٩٠ و «معاهد التنصيص» ١/١٩١ ، و «شرح الحماسة» للتبريزي : ١/٩٤ ، و «الخزانة» ٣/١٦٨ ، و «رغبة الآمل» ٦/٧١ .

(٢) ديوانه : ٣٣ . وفي «الجمهرة» و «الخزانة» : «كالطراز المذهب» وفي «الطبقات» «لعمرة قفراً» . قال ابن السكيت: اطراد : افتعال ، من قولك «اطَّرَدَ» إذا تتابع ، يقال: اطرد القول والماء : إذا تتابع . والمذاهب : جلود كانت تذَهَّب ، واحدها : مذهب ، تجعل فيها خطوط مذهبة ، بعضها في إثر بعض ، فكأنها متتابعة، فيقول: يلوح رسمها كما يلوح هـذا المذهب . وحشاً : قفراً ، وقال بعضهم : اطرادها : استقامتها. وفي «الأضداد» ٢٨٦ لابن الانباري، قال ابن السكيت : أراد بقوله «غير موقف راكب» إلا أن راكباً وقف ، يعني نفسه ، وقال غيره : لم يرد الشـاعر هذا ، ولكنه ذهب إلى أن «غير» نعت الرسم ، تأويله : أتعرف رسماً غير موقف راكب ، أي : ليس بموقف الراكب ، لاندراس الآثار منه، وامِّحاء معالمه، فمتى—

دِيارَ التي كادَتْ ونحنُ على مِنىً تَحُلُّ بنا لولا نَجاءُ الرَّكائِبِ (١)

تَبدَّتْ لنا كالشَّمس تحتَ غَمامةٍ بدا حاجِبٌ منها وضَنَّتْ بحاجِبِ (٢)

=بصر به الراكب من بعد ذعر منه فلم يقف به ، وتفسير ابن السكيت يدل على أن الراكب أراد به الشاعر نفسه ، أي : إلا أني أنا وقفت به متذكراً لأهله، ومتعجباً من خرابه وخلائه من سكانه الذين كنت أشاهد وأعاشر . والمذاهب : جلود فيها نقوش مذهبة. والاطراد : التتابع ، من قولهم : قد اطرد القول : إذا تتابع ، وشرحه الاستاذ محمود شاكر بقوله : يستنكر ما أصاب الدار حتى أنكرها، وبقيت رسومها بعد المطر والرياح ، ترى من بعيد كأنما يطرد بعضها في إثر بعض، وأقفرت لولا موقف هذا الراكب الذي عاج عليها ، يعني نفسه .

(١) في «الأشباه والنظائر» : «فتلكَ التي كادت» قال ابن الانباري : معناه : غلبت على قلوبنا ، واتصل ذكرها بيننا حتى كادت تحل بنا ، لقربها من قلوبنا ، لولا أن ركائبنا أسرعت ومضت بنا من هذا الموضع . وقال الخالديان : يريد : أنا نظرنا إليها ونحن سائرون ، فلولا أن الابل — لما شغلنا بالنظر اليها — سارت ونحن لا نعلم لكنا قد نزلنا . وفيه قول آخر ، وهو أنا كنا محرمين ، فكدنا بنظرنا إليها أن نحل فيفسد إحرامنا . وقال الاستاذ محمود شاكر : تحل بنا : تجعلنا نحل ونتنزل ، عاقبت الباء الهمزة . حل به المكان ، وأحله المكان : أنزله ، والنجاء : سرعة السير . يقول : كادت عمرة أن تحملني على الاقامة أبداً في منى من شدة فتنتي بها وحبي لها ، لولا نفرة الناس عن منى بعد قضاء حجهم وتفرقهم إلى بلادهم، لكنت خليقاً أن أقيم .

(٢) في «الطبقات» و«اللسان» و«التاج» : «تراءت لنا» قال ابن السكيت : أراد انها إنما اظهرت له بعض وجهها . وحاجب : جانب . وفي «ديوان المعاني» ٢٢٩/١ :قالوا:—

ولم أرَهـا إلا ثلاثاً على مِنىً   وعهدي بها عَذْراءَ ذاتَ ذوائبِ (١)

وقال ذو الرمة (٢) :

أراجِعـةٌ ياليلُ أيامُنا الأُلى   بذي الرِمْثِ أم لا مالَهنَّ رُجوعُ (٣)

وَخياتُكِ اللاتي بمُنْعَرَج اللِوى   بَلِينَ بِلىً لمْ تَبلَهُنَّ رُبوعُ (٤)

- احسن ما قيل في الوجه من الشعر القديم قول قيس بن الخطيم « تبدت لنا كالشمس . . . » البيت مأخوذ من قول النمر بن تولب

فصدت كأن الشمس تحت قناعها   بدا حاجب منها وضنّت بحاجب

(١) في «الحماسة البصرية» ورقة : ١٧١ «وأحسن بها عذراء»

قال ابن السكيت : عذراء :حديثه ، وانمـــا أراد : عهدي بها ولم تبلغ أن ينالها الرجال ويروى

وعهدي بها أيام نحن على منى   وأحسن بها عذراءَ ذاتَ ذوائب

(٢) ديوانه : ٤٤١ عدا البيت الثاني ، والأبيات من قصيدة كثر الخلاف بين الرواة في نسبتها،فبعضها ينسب لمجنون ليلى ، وبعضها لقيس بن ذريح وبعضها لجميل،وبعضها للضحاك ، وانظر «سمط اللآلي» ١/٣٧٩ ، و«ديوان المجنون» : ١٩٠ ، و «ديوان جميل» ١٢٠ ، و «قيس ولبنى» : ١١٢ .

(٣) في الديوان : «أراجعة ياميُّ .... التي » وفي ديوان جميل : «أعائدة يابثن أيامنا الأُلى .. بذي الطّلم ... » وفي «قيس ولبنى» : «أراجعة يالبن .... بذي الطلح ... » وفي «الأغاني : «بذي الأثل» .

(٤) في ديوان جميل : «لقمريّها بالمشرقين سجيع» والمنعرج : حيث ينعرج الوادي وينعطف ، واللوى : واد لبني سليم . وفي«السمط» قال ابن دريد : قوله: —

ولو لم يُهجْني الظّاعنونَ لهاجني ... حمائمُ وُرْقٌ في الدّيارِ وُقوعُ (١)

تداعين فاستبكين من كان ذا هوى ... نوائحُ لم تُذرِفْ لهنَّ دموعُ (٢)

وقال أبو نباته الكلابي (٣) :

بَدا لي وللتّيْميّ قُلّةُ صامعٍ ... على بُعدِها مِثْلَ الحصانِ المُجلّلِ (٤)

«لم تبلهن ربوع» غلط ، والصواب «لم تبله» وله تأويل بعيد يخرج عليه ، ذكر ابو علي الفارسي في كتاب «التذكرة» انه أراد لم تبل بلاهن ربوع، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ، وقال غيره :إنما قال: «لم تبلهن» لتشبث البلى بالخيمات كما قال الفرزدق (والصواب جرير)

لما أتى خبر الزبير تواضعت ... سُورُ المدينة والجبال الخُشّع

(١) في الديوان «ولو لم يشقني الظاعنون لشاقني حمام تغني . . . » والظاعنون : الراحلون ، والورق : جمع ورقاء ، وهي التي يميل لونها الى الخضرة ، والوقوع: التي هبطت على الأرض أو الشجر .

(٢) في «الديوان» ، و «قيس ولبنى» « تجاوبن . . . . نوائح ماتجري. . . . » والبيت في «الأغاني» وابن الشجري « . . . لم تقطر . . »

(٣) قال الاستاذ أحمد شاكر في هامش «لباب الآداب » : لم أعثر على ترجمة لهذا الشاعر في الكتب التي بين يدي ، ونباتة يحتمل فيه ضم النون وهو الغالب في الأسماء ، ويحتمل الفتح ، فان الزبيدي نقل في « التاج » اسم « نباتة بن حنظلة »بالفتح وأنه من بني بكر بن كلاب ، وهذا الشاعر كلابي ، فلعله يكون بالفتح أقرب ،

(٤) «لباب الآداب» : ٤١٤ ، وفيه : «على بُعده» وصامع : لعله اسم جبل ، ولم يوجد في شيء من كتب البلدان والمعاجم .

فقلتُ أرى تِلك الديارَ التي بها ... أُمَيْمَةُ يا شَوْقَ الأسيرِ المكبَّلِ

وقال أيضاً :

أرَيْتَكَ إنْ نَجْـداً ألظَّ بأهلِهِ ... وَحرَّتِهِ العُلْيا الغُيوثُ الرَّواجِسُ [(١)]

وعادَ نباتُ الأرضِ رطْباً كأنَّهُ ... إذا اطَّرَدَتْ فيهِ الرِّياحُ الطَّيالِسُ

أَمُطَّلِعٌ تلكَ الدِّيارَ فناظِرٌ ... إلى أهلِها أمْ أنتَ من ذاكَ آيِس؟

وقال مهيار :

إنَّ الذين نَسُوا بِرامَةَ عَهدَنا ... سَعِدوا وأشقانا بـه أوفانا [(٢)]

ظَعَنوا وشِبْتُ وما كَبِرْتُ وإنما ... سارَ الشَّبابُ يُودِّعُ الأظعانا

أجِدُ الدِّيارَ كما عَهِدْتُ وإنَّمـا ... شكوايَ أني أفْقِـدُ الجيرانا [(٣)]

---

(١) «لباب الآداب» : ٤١٤ ، وفيه: «بأرضه» وألظ المطر : دام وألح ، وفي عالية نجد ثلاث حرار مشهورات : حرة سليم ، وحرة شوران ، وحرة ليلى ، وهي التي يريدها الشاعر ، فقد نقل ياقوت عن السكري أن «حرة ليلى» معروفة في بلاد بني كلاب . وقد كان البيت في الأصل الذي طبـع عن «لباب الآداب» مصحفاً تصحيفاً كبيراً لا يكاد معه يقرأ ، فصححه الاستاذ محمود شاكر اجتهاداً منه ، فجاء اجتهاده مطابقاً لما ها هنا .

(٢) ديوانه : ٤/٥٥

(٣) في الأصل : «كما عهدتي» والتصويب من الديوان .

وقال آخر :

أمرُّ على الدِّيارِ ديارِ ليلى أُقبِّلُ ذا الجدارَ وذا الجدارا (١)

وما مِنْ حُبِّ الجدرانَ لكنْ مَحبَّة كلِّ منْ سَكَنَ الدِّيارا (٢)

وقال عَبْدَةُ بن الطبيب (٣) :

كأنَّ ابنةَ البَكريِّ يومَ اجتلَيْتُها عُبَيْدةَ مكحولُ المدامعِ مُرْشِقُ (٤)

---

(١) البيتان لمجنون بني عامر في «ديوانه» : ١٧٠ ، و«الخزانة» : ١٦٩/٢ ، قال البغدادي : روي أنه كان إذا اشتد شوقه الى ليلى يمر على آثار المنازل التي كانت تسكنها ، فتارة يقبلها ، وتارة يلصق بطنه بكثبان الرمل ، ويتقلب في حافاتها ، وتارة يبكي وينشد هذين البيتين .

(٢) في «الديوان» و«الخزانة» : «وما حب الديار شغفن قلبي» وقد أنشده شارح «الكافية» شاهداً على ان المضاف وهو «حب» اكتسب التأنيث والجمعية باضافته إلى «الديار» ، وهو جمع دار ، وهو مؤنث سماعي .

(٣) هو عبدة بن يزيد بن عمرو بن وعلة بن أنس بن عبدالله بن عبد نهم : شاعر مجيد مخضرم أدرك الاسلام فأسلم ، وشهد مع المثنى بن حارثة قتال هرمز سنة ١٣ وكان في جيش النعمان بن مقرن الذي حارب الفرس بالمدائن انظر ترجمته في «الأغاني» : ٢٨/٢١ ، و«المفضليات» : ١٣٤ ، و«الشعر والشعراء» : ٧٠٥/٢ و«معاهد التنصيص» ١٠٢/١ و «السمط» : ٦٩/١ ، و« رغبة الآمل » : ٩٠/٥ .

(٤) في «اللسان» : ورشقهم بنظرة : رماهم ، والارشاق : إحداد النظر ، وأرشقت المرأة والمهاة قال القطامي :

ولقد يروق قلوبَهنّ تكلمي ويروعني مُقَلُ الصُّوار المرشِقِ

وذكَّرَنيها بعدَ ما قد نسيتُها دِيارٌ عليها وابلٌ مُتَبَعِّقُ (١)

وقفْتُ بها والشَّمسُ دونَ مَغيبِها قريباً فهاجَ الشَّوقَ من يتشوَّقُ

قليلاً فلمَّا استعْجَمَتْ عن جوابنا تَعزَّيتُ عنها والدُّموعُ تَرَقْرَقُ

فلا الدَّارُ تُدنيها لنا غيرَ فَيْنَةٍ ولا حُبُّها عن شاحِطِ النَّأيِ يَخْلَقُ (٢)

وقال جرير بن عطيَّة :

لِمَنِ الديارُ ببُرْقَةِ الرَّوْحانِ إذْ لا نبيعُ زَمانَنا بزمانِ (٣)

أَصْبَحْتِ بعد نعيم عيشٍ مُونِقٍ قَفْراً وبعد نواعِمٍ أَخْدانِ (٤)

هل رامَ جوُّ سُوَيْقَتَيْن مكانَهُ أم حَلَّ بعدَ مَحلِّنا البَرَدان (٥)

---

(١) في «اللسان» الباعق : المطر يفاجىء بوابل ، ومطرٌ بعاق وبِعاق : مندفع بالماء ، وقد تبعَّق يتبعَّقُ وانبعق ينبعقُ .

(٢) الفينة : الحين والشحط : البعد ، وشحطت الدار تشحَطُ : بعدت . والنأي هنا : الفراق ، يخلق : يبلى .

(٣) ديوانه : ٥٦٩ ، والنقائض : ٨٨٨ . والبرقة : حجارة ورمل ، أو حجارة وطين ، والروحان : أقصى بلاد بني سعد ، ونقل ياقوت عن الحفصي أنه روضة تنبت الرِّمث باليمامة . قلت : والرمث : شجر من الحمض يشبه الغضى ترعاه الابل .

(٤) رواية الديوان : «أصبحن . . . مؤنق »

(٥) رام : زال وبرح . وقوله «جو سويقتين» يريد سويقة فثناه للضرورة ، وجو سويقة : من أجوية الصمان ، وبه ركية واحدة قاله الحفصي . والجو في اللغة : ما اتسع من الأودية . والبردان : موضع من بلاد بني يربوع بالحزن .

هل تُؤْنِسان وَدَيْرُ أَرْوى دونَنا بالأعزلينِ بَواكِرَ الأظعـانِ [١]

راجَعْتُ بعـد سُلُوِّهِنَّ صَبابتي وعرفتُ رَسْمَ مَنازِلٍ أبكاني [٢]

وقال النابغة الجعدي :

هـل بالدِّيارِ الغَداةَ مِنْ صَمَمِ أمْ هل بِعهْدِ الأنيسِ مِنْ قِدَمِ [٣]

أم ما تُحَيِّي مِنْ ماثِلٍ دَرَجَ السَّيْلُ عليهِ كالحوْض مُنْهَدِمِ [٤]

تَسـأَلُهُ العَهْدَ وهو عَهْدُكَ واسْـ تَجْمَعَ مِنْ حَلَّـهُ ولَمْ يَرِمِ [٥]

إنَّكَ أنتَ المحزونُ في أثَرِ الـ قوم فإن تَنْوِ نِيَّهم تُقِـم [٦]

---

(١) قال ياقوت : ١٢٢/٤ دير أروى لم أجده الا في شعر جرير ، وأنشد البيت والذي قبله، ثم قال : وأظنه بالبادية، وقال ايضاً : ٢٩٠/١ والأعزلان : اسم لواديين ، يقال لأحـدهما : الأعزل الريان ، لأن به ماء ، ولـلآخر : الأعزل الظمآن ، لانه لاماء به ، قال ابو عبيدة : الأعزلان : واديان يقطعان أرض المروت في بلاد بني حنظلة بن مالك ثم أنشد البيت .

(٢) في الديوان «صبابة»

(٣) البيت الاول والثاني والرابع في «الاغاني» ٢٦/٥ ، والتاسع في « الاضداد » ٢٦٩ وفي الاغاني «بربع» والأنيس : المؤانس وكل ما يؤنس به .

(٤) في الاغاني : «أم ما تنادي» والماثل : الدارس ودرج عليه : انحدر ، والحوض : مجتمع الماء .

(٥) لم يرم : لم يبرح .

(٦) في «الاضداد» لابن الأنباري : ٢٦٩ : ومما يفسر من الشعر تفسيرين—

كان بها بعضُ مَنْ هَويتُ ومن   يلْقَ سُروراً في العيش لم يَدُمِ

يَسأَلني صَاحِبي بدائي وقد   نامَ عِشاءً وبِتُّ لمْ أَنَمِ

إنَّ شِفائي وأَصلَ دائي لشيءٍ   واحِدٌ وهو أكبَرُ السَّقَمِ

مِنْ عَهْدِ ما أَوْرَثتْ حَبيبه والشَّ   ـرُ يُوافي مَطالِعَ الأكمِ

أَكني بغيرِ اسمِها وقد يَعْلمُ ال   له خَفِيَّاتِ كلِّ مُكتَتَمِ (١)

مَخافةَ الكاشِحِ المُكثِّرِ أنْ   يَطرَحَ فيها عوائرَ الكَلِمِ

وقال الأخطل :

لِأَسماءَ مُحْتَلٌّ بظاهِرَةِ البِشْرِ   قديمٌ ولمَّا يَعْفُهُ سَالِفُ الدَّهرِ (٢)

ـ متضادين قول الجعدي . . البيت . أخبرنا ابو العباس ، قال : حدثنا بعض أصحابنا ان رجلا جاء بكراسة الى كيسان ، فقال له كيسان : مافي كراستك هذه ؟قال: شعر النابغة الجعدي ، قرأته على الأصمعي ، فقال له : فما حفظت من تفسيره ؟قال: حفظت عنه انه قال : «فان تنو نيتهم تقم» معناه : تقم صدور الابل وتلحق بأهلك ،فقال كيسان : كذب الأصمعي ، لم يرد النابغة هذا ، وقد سمع الجواب من أبي عمرو، ولكنه نسيه ، وانما اراد : فان تنو ما نَوَوْا من البعد والقطيعة تُقم ولا تتبعهم حتى يوافق فعلهم فعلك ، وما تنوي ماينوون . قلت: والخبر في ترجمة كيسان في «انباه الرواة» : ٣/٣٨ ، و«معجم الأدباء » : ١٧/٢٣ و «اللسان» مادة :نوى .

(١) في «الكامل» ٦٧٤ : والكناية تقع على ثلاثة أضرب ؛ أحدها : التعمية والتغطية كقول النابغة وأورد البيت . وقال السيوطي في «شرح شواهد المغني» ٢١٠: قال علي بن سليمان الأخفش : أول من سبق إلى الكناية عن اسم من يعني بغيره الجعدي فانه قال : ثم أنشد البيت .

(٢) البيتان في «زهر الآداب» ٢/٧٤٣ ، والأول في « معجم ما استعجم » وفيهما« بناظرة ـ

يكادُ مِنَ العِرْفانِ يضحَكُ رَسْمُها وكم مِنْ ليالٍ للدّيارِ ومن شَهْرِ [١]

وقال زهير بن أبي سُلمى :

قِفْ بالدِّيارِ التي لم يَعفُها القِدَمُ بَلى وغَيّرَها الأرواحُ والدِّيَمُ [٢]

= البشر» وهما عنها في الديوان : ٣٨٤ . قال البكري : ناظرة على وزن فاعلة من النظر : ماء لبني عبس ، وقال عمارة بن عقيل : ناظرة : جبل من أعلى الشقيق على مدرج شرج . . . وقال الأخطل : وأنشد البيت ، ثم قال : فأضافه إلى البشر ، كما ترى ، والبشر : في ديار بني تغلب ، فهو موضع آخر لا محالة ، وقال ابو عمرو الشيباني : ناظرة : لبني أسد .

(١) في زهر الآداب «رسمه»

(٢) ديوانه : ١٤٥ ، و «مختار الشعر الجاهلي» ١/٢٥٨ ، والأبيات مطلع قصيدة يمدح بها هرم بن سِنان المري . قال الأصمعي : العرب تخبر عن الشيء ، ثم ترجع عنه . لم يعفها القدم : لم يدرسها ، ثم رجع فقال : بلى قد عفاها ومثله قول الطهوي :

فلا تبعدن ياخير عمرو بن جندب بلى إنَّ من زار القبور ليبعدا

وقوله : « لم يعفها القـــدم » قال أبو عبيدة : فالدار كلها عافية ، وذلك أنه وقف عليهـــا ، وتوهم ورمى ببصره في جوانبها ، وهي عافية ، فرأى مو قـــداً خفياً ، ونؤياً قـــد اندفن إلا أقله ، فلمـا ظهر له ذلك استجدت عنده ، فلذلك قال : « يَعْفُها القِدم » ثم رجـــع إلى نفسه فقال : بلى وغيرهـــا الأرواح والدِّيم . يريد : وان كنت عرفتها بهـــذا الاثر الخفي الذي ظهر لي ، فانها تخفى على غيري ممن لايعرفها . انظر التعليق على البيت في الديوان . وفي شرح « ديوان المتنبي » للعكبري ١/٢٤٤ : قال اصحاب المعاني : قد يفعل الشاعر مثل —

لا الدّار غيّرَها بُعْدُ الأنيس ولا بالدّارِ لو كلّمَتْ ذا حاجةٍ صَمَمُ (١)

دارٌ لِأسماء بالغَمْرَيْن مـاثِلَةٌ كالوَحْي ليس بها من أهلِها أَرِمُ (٢)

= هذا في التشبيب خاصة ليدل به على ولهه وشغله عن تقويم خطابه ، كقول جران العود :

يومَ ارتحلت برحلي قبل برذعتي والعقل مدّله والقلب مشغول

ثم انصرفت الى نضوي لأبعثه إثر الُحدوج الغوادي وهو معقول

يريد انه لشغل قلبه لم يدر كيف يرحل ، ولم يدر ان بعيره معقول ، وفي كلامه ما يدل على ولهه بما ذكر من حاله ، وعلى هذا يحمل قول زهير، وأنشد البيت . والأرواح : الرياح . والديم : جمع ديمة ، وهو المطر الضعيف الذي يدوم يوماً او يومين مع سكون .

(١) روى الأصمعي «غيرها بعدي الانيس» يقول : لم ينزلهـا بعدي أنيس فيغيروا ما فيها ، وقد تكلمت بقدر ما يُسْمَعُ فلم تجب ولم تكلمني . ومن روى «بُعْدُ الانيس» يقول : لم يغيرها بعد الانيس قط ، ولكن الأرواح والدِّيم .

(٢) في الأصل تحت كلمة « إرم » : أحـد . وضبط المصنف هـذه الكلمة بكسر الهمزة ، وفتح الراء ، وما أثبتناه عن الديوان ومختار الشعر الجـاهلي . وليس في المعاجم « إرم » بكسر الهمزة وفتح الراء وانما فيها « أرم » بفتحتين ، وبفتح وكسر . وفي الديوان بعد هذا البيت :

سالت بهم قرْقرَى بركُ بأيْمُنهم فالعالياتُ وعن أيسارهم ِخيَمُ

َعومَ السفينِ فلما َحالَ ُدونهمُ فَيْدُ القُرَيّاتِ فالعتكانِ فالكَرَمُ

الغمر : موضع ضم اليه موضعاً آخر ، فسماه الغمرين مثل المربدين . والماثل: اللاطيء وهو الذاهب الذي لا يرى له شخص ، والماثل أيضاً : المنتصب ، والوحي : الكتاب ، يعني انه لم يبق من آيات الدار الا رسوم ، كالكتاب المسطور .

كأنَّ عَيني وقد سال التَّليلُ بهم وعبرةٌ ما هُمُ لو أنَّهم أَمَمُ (١)

غَرْبٌ على بَكْرَةٍ أو لُؤلؤٌ قَلِقٌ في السِّلكِ جاربه رَبّاتِهِ النُّظُمُ (٢)

وقال امرؤُ القيس بن حجر (٣) :

عُوجا على الطَّلَلِ المُحيلِ لعلَّنا نبكي الدِّيارَ كما بَكَى ابنُ خِذامِ (٤)

---

(١) في الأصل تحت كلمة «التليل»: واد . وفي «الديوان» و«معجم ما استعجم» ٣/٧٥٢، و«معجم البلدان» : ٥/١١٦، و«مختار الشعر الجاهلي» : ٢٥٩ :السليل.قال السكري: سال السليل بهم،أي ساروا فيه سيراً سريعاً، والسليل : واد. يقول : اذا انحدروا فيه ، فقد سال بهم. و «عبرة ماهم» ما : صلة ، اي هم لي عبرة ، أي : هم سبب بكائي وعبرتي. لو أنهم أمم : أي قصدٌ كنت أزورهم ولكنهم بعدوا . والامم : بين القريب والبعيد. قال الاعلم : ويحتمل ان يكون جواب «لو» في قوله : وعبرة ما هم . والمعنى :أنهم له عبرة وان قربوا ، أي : قد كان يهجر ويشتاق الى من يحب فيبكي.ويروى: «وجيرة ماهم» المعنى : وجيرة هم لو كانوا قصداً في القرب . وقال محقق الديوان: وانما يقصد بهذا الى التعجب على كلتا الروايتين ، يتحسر على فراقهم ، يريد : وأي جيرة هم كانوا ، ولكنهم رحلوا ، او أي عَبْرَةٍ أسكبها لفراقهم اذا فارقوني .

(٢) في «الديوان» : «خان به» بدل «جاربه» الغرب : دلو عظيمة يستقى بها على بكرة . قلق : لم يستقر لما انقطع الخيط ، والنظم ، واحدها نظام : وهوالخيط، شبه دموعه بما يسيل من الغرب ، أو بلؤلؤ قد انقطع من سلكه . والربات : النساء اللواتي ينظمن ، فأراد : خان النظم الربّاتِ لخونها اللؤلؤ .

(٣) البيت الأول والثاني في ديوانه : ١١٤ ، و«مختار الشعر الجاهلي» :١/٩١، والثاني ومعه بيت آخر ذكرهما الطوسي والسكري وابن النحاس .

(٤) في الديوان « لانّنا» قال الاعلم : وهي بمعنى لعلنا . وعوجا ،أي . —

دارٌ لهم إذْ هُمْ لِأهلِكَ جيرةٌ ... إذ تَسْتَبيكَ بواضِحٍ بَسّامِ [(١)]

فَظَلِلْتُ في دِمَنِ الدّيار كأنّني ... نَشوانُ باكَرَهُ صَبُوحُ مُدامِ [(٢)]

وقال النابغة الذبياني [(٣)] :

طالَ الوُقوفُ على رُسُوم دِيارِ ... قفرٍ أُسائِلُها وما استخباري؟ [(٤)]

دارٌ تَعَفَّتْ لا أنيسَ بِجَوّها ... إلا بقايا دِمْنَـةٍ وأواري [(٥)]

ـ اعطفا رواحلكما ، وعوجا على الطلل . والمحيل : الذي أتى عليه حول فتغير . وابن خذام : رجل ذكر الديار قبل امرىء القيس، وبكى عليها ، ويروى : «ابن خدام» و «ابن حمام»

(١) تستبيك : تذهب بعقلك وتفتنك . ويريد بالواضح : الثغر النقي الصافي .

(٢) ظللت : بقيت نهاري ، ودمن الديار : آثارها . ونشوان : سكران . باكره: عجل اليه . والصبوح : الخمر تشرب عند الصباح ، يصف أنه أقام في تلك الديار حيران أسفاً لما رأى من تغيرها ، فشبه نفسه بالنشوان لذلك .

(٣) ديوانه : ٤٠ قال ابن السكيت : قال النابغه في زرعة بن عمرو بن خويلد أخي يزيد بن عمرو بن الصعق الكلابي ، ولقيه بعكاظ ، فأشار عليه أن يشير على قومه بقتل بني أسد وترك حلفهم ، فأبى النابغة الغدر . وبلغ النابغة أن زرعة يتوعده بالهجاء ، فقال : وأولها عند أبي عبيدة : طـال الثواء على رسوم الدار . وأولها عند أبي عمرو الشيباني والاصمعي : نبئت زرعة والسفاهة كاسمها .

(٤) في الديوان : «الثواء» وهو الاقامة ، وروى أبو عبيدة «قفراً»

(٥) في الديوان «داراً» قال ابن السكيت : نصب «الدار» على قوله«وما استخباري داراً تعفت ؟ » والجو : البطن من الارض ، والجوف مثله، وتعفت : درست،ومنه:

جاذَت عليها فاضمَحَلَّ رُسومُها　　هَزَجُ الرِّياح بدِيمَةٍ مِدْرارِ [١]

دارٌ لميَّةَ إذ هُمُ لكَ جِيرةٌ　　هَيهاتَ منْكَ مَنازِلُ الزُّوّارِ [٢]

وقال ذو الرّمة غيلان بن عقبة بن مسعود :

كأنَّ ديارَ الحيِّ بالزُّرْقِ خَلْفَةٌ　　من الأرض أو مكتوبةٌ بمدادِ [٣]

إذا قُلتُ تعفو لاحَ منها مُهَيِّجٌ　　عليَّ الهوى من طارِفٍ وتِلادِ [٤]

وما أنا في دارٍ لميٍّ عَرَفْتُها　　بجلْدٍ ولا دمعي بها بِجمادِ [٥]

إذا قُلْتُ بعدَ النَّأي يامَيُّ نَلْتقي　　عَدَتْني بكُرْهٍ أن أراكِ عوادِ [٦]

عفت الديار . والاواري : جمع آري على وزن فاعول : وهي الآخية التي تشد بها الدابة .

(١) في «الديوان» : «قفَّت عليها . . . طلولها . . هزج الرياح بديمة مدرار» قال ابن السكيت : قفَّت وعفَّت : واحد ، واضمحل : درس ، والهوج : التي تجيء مختلفة من كل جانب ، والديمة : المطر الذي يدوم يومين أو ثلاثة .

(٢) في «الديوان» : «الأحوار»

(٣) ديوانه : ١٩١ وفيه «خلقه ... أم مكتوبة» والزرق : كثيب بالدهناء ، يقول : كأنها خلقة من الارض سوداء .

(٤) تعفو : تدرس ، والطارف : المستحدث ، والتلاد : القديم .

(٥) في الديوان «ولا عيني» والجلد : الشدة والقوة ، وفي اللسان : رجل جامد العين : قليل الدمع .

(٦) الشحط : البعد . عدتني عواد : أي صرفتني صوارف .

وقال أيضاً :

أما والذي حجَّ المُلبُّون بيتَهُ ... شِلالاً ومولى كلِّ باقٍ وهالكِ (١)

وربِّ القلاصِ البُدْنِ تدمى نُحورُها ... بمكَّةَ والسَّاعين حولَ المناسكِ (٢)

لقد كُنتُ آتي الأرضَ ما يَستفِزُّني ... لها الشَّوقُ إلّا أنَّها مِنْ دياركِ (٣)

وقال أيضاً :

ألا تَسألُ اليومَ الرُّسومُ الدَّوارسُ ... بحُزْوى وهل تدري القِفارُ البَسابِسُ (٤)

متى العَهْدُ مِمَّنْ حَلَّها أم كَمِ انقضى ... من الدَّهرِ مُذْ جرَّتْ عليها الرَّوامِسُ (٥)

ديارٌ لميٍّ ظلَّ من دونِ صُحْبَتي ... لنفسي مِمَّا هيَّجتْ لي وَساوِسُ (٦)

---

(١) ديوانه : ٥٠٧ ، وفي الشرح : شلالاً : طرداً ، أي يشلون بالابل شلاً ، أي يطردونها . ويروى : حج المهلون بيته . الاهلال : رفع الصوت بالتلبية والدعاء ، وقوله : مولى كل باق وهالك : أي : ولي كل هالك وباق .

(٢) في « الديوان » : الخوص . وقال الفراء : أصل المنسك في كلام العرب : الموضع المعتاد الذي تعتاده ، ثم سميت أمور الحج مناسك .

(٣) في «الديوان» : «لقد كنت أهوى الارض»

(٤) ديوانه : ٤٠٢ ، وفيه « ألم تسأل » والبسابس : أرض مستوية لا نبت فيها ، ويقال : سباسب وبسابس ، والقفار : الارض الخالية .

(٥) الروامس : الرياح ترمس كل شيء تأتي عليه ، أي تدفنه ، وفي الشرح : أي متى العهد ممن حلَّها ثم ارتحل عنها ؟

(٦) في «الديوان» : « .. بما هاجت علي وساوس» يقول : ظل لنفسي وساوس لما هاجت عليها ، وذلك من دون صحبتي لا أعلمهم .

ولم تُنْسِني مَيًّا نوىً ذاتُ غَرْبَةٍ شَطونٌ ولا المُسْتَطْرَفاتُ الأوانِسُ [(١)]

إذا قُلْتُ أَسْلُو عنكِ يامَيُّ لم يَزَلْ مَحَلٌّ لدائي من دِيارِكِ ناكِسُ [(٢)]

وقال المرقِّشُ الأكبر [(٣)] واسمه عمرو بن سعد بن مالك بن ضبيعة [(٤)]:

هل بالدِّيارِ أنْ تُجيبَ صَمَمْ لو كانَ رَسْمٌ ناطِقاً كَلَّمْ [(٥)]

---

(١) النوى : النية ، والغربة : البعدة ، وشطون : بعيدة فيها اعوجاج عن قصده ، والمستطرفات : نساء يستطرفن .

(٢) يقول : اذا قلت أسلو عنك ، لم يزل محل ينكس دائي الذي بي .

(٣) في الأصل : الاصغر وهو خطأ فان الشعر ليس له .

(٤) المرقش : اسمه عمرو وقيل : عوف بن سعد بن مالك ، وقيل : ربيعة بن سعد بن مالك ، ينتهي نسبه لبكر بن وائل ، وهو أحد من قال شعراً فلقب به ، وهو أحد المتيمين كان يهوى ابنة عم له ، وهي أسماء بنت عوف بن مالك ـ وهو عم المرقش الاصغر ، واسمه ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك وقيل : عمرو بن حرملة بن سعد بن مالك ، والمرقشان كلاهما من متيمي العرب وعشاقهم وفرسانهم ، وكان لهما جميعاً موقع في بكر بن وائل وحروبها مع بني تغلب ، وبأس وشجاعة ونجدة . انظر ترجمته في «الشعر والشعراء» ١/١٦٢ ، و«الاغاني» ٦/١٢٧ ، و«المفضليات» : ٢٢١ ، و «السمط» ٢/٨٣٣ ، و «معاهد التنصيص» ٢/٨٤ ، و «الخزانه» ٣/٥١٤ و «شواهد المغني» ٣٠٠ .

(٥) الأبيات في «المفضليات» : ٢٣٧ من قصيدة يرثي بها ابن عمه ثعلبة بن عوف بن مالك بن ضبيعة ، قتله مهلهل في ناحية «التغلمين» ، وكان معه مرقش فأفلت ، ثم إنه طلب بدم ثعلبة ، فقتل رجلا من تغلب ، يقال له: عمرو بن عوف.

الدَّارُ قَفْرٌ والرُّسومُ كَما   رَقَّش في ظَهْرِ الأديمِ قَلَمْ (١)

دارٌ لأسماءَ التي تَبَلَتْ   قَلْبي فَعيْني ماؤها يَسْجُمْ (٢)

بلْ هلْ شَجاكَ الظُّعنُ باكِرَةً   كأنَّهُنَّ النَّخْلُ من مَلْهَمْ (٣)

النَّشرُ مِسْكٌ والوجُوهُ دنا   نيرٌ وأَطرافُ البنانِ عَنَمْ (٤)

وقال أبو عبادة الوليدُ بن عبيد البحتري :

ما أنت للكلِفِ المشُوقِ بصاحِبِ   فاذهبْ على مَهَلٍ فلسْتُ بذاهِبِ (٥)

---

(١) في الاصل تحت هذا البيت مانصه : بهذا البيت سمي مرقّشاً . ورقش : زيّن وحسّن ، أو كتب . يعني : آثار الرياح في الديار ، والاديم : الجلد .

(٢) في «المفضليات» : «ديار أسماء» وفيها بعد هذا البيت :

أضحت خلاء نبتُها ثئدٌ   نوّر فيها زَهْوُهُ فاعتمّ

وأصل «التبل» التِّرة والذّحل والعداوة ، وتبلت قلبه : أصابته بتبل ، والتبل : غلبة الحب على القلب . يسجم : يقطر .

(٣) في«المفضليات» : « ... شجتك الظُّعُن» الشجى : الحزن ، وشجاه : حزنه . والظُّعْن : النساء بهوادجهن .ملهم : أرض باليمامة كثيرة النخل ، شبه الظعائن بالنخل، ومثله قول أبي دواد :

وتراهُنّ في الهوادجِ كالغز   لان ما إن ينا لهُنّ السهامُ
نخلاتٌ من نخْلِ بيسان أينعـ   ـنَ جميعاً ونبتُهُنَّ تُؤامُ

(٤) النشر : الريح الطيبة قال في «اللسان» أراد النشر مثل ريح المسك لايكون إلا على ذلك ، لأن النشر عرَض ، والمسك جوهر . والعنم : شجر أحمر ، شبه حمرة أطراف الأصابع به .

(٥) ديوانه : ١٥٨/١ والأول والثاني والثالث في «الموازنة» : ٥٣٠ . وهي مطلع قصيدة يمدح بها

عرفَ الدّيارَ وقد سَئِمْنَ من البِلى ... ومَلِلْنَ من سُقْيا السَّحاب الصَّائبِ [(١)]

فأراه جَهْل الشَّوقِ بين مَعالِمٍ ... فيها وَجـدَ الوَجْدِ بين مَلاعِبِ [(٢)]

ما كان أحْسَنَ هـذه من وَقْفَةٍ ... لو كان ذاك السِّرْبُ سِربَ كواعبِ

وقال أيضاً [(٣)] :

كيف أَغْدو مِنَ الصَّبابةِ خِلْواً ... بعد ما أضحَتِ الدِّيارُ خلاء ؟ [(٤)]

ـ الحسن بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين . وفي «الديوان» و«الموازنة» : «فليس بذاهب» قال الآمدي : وقوله « على مهل» لست أراه مفيداً شيئاً ، وما أظنها الا حشواً ، وهذا من مواضع قولهم: فامض لشأنك ، وامض لسبيلك .

(١) في «الديوان» ، و«الموازنة» «ومللن من صوب» .

(٢) في «الديوان» و «الموازنة » : « فأراك . . . منها وجد الدمع بين ملاعب » وفي «الديوان» بعد هذا البيت :

ويزيدُه وَحشاً تقارضُ وحشها ... وصَلين بين أحبَّةٍ وحبائب

ترعى السُّهولة والحُزونُ يقينها ... حدّين بين أظافرٍ ومخالِب

لم يمش واشٍ بينهنَّ ولا دعا ... بيناً لهُنَّ صدى الغراب الناعِب

(٣) ديوانه : ١/١٣ من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري الطائي مطلعها :

يا أخا الأزدِ ما حَفِظْتَ الاخاء ... لمحبٍّ ولا رعيْت الوفاء

(٤) في « الديوان » بعد هذا البيت :

غِبَّ عَيْشٍ بها غريرٍ وكان الـ ... ـعيش في عَهْدِ تُبَّعٍ أفياء

والغرير من العيش : مالا يفزع أهله ، والأفياء : جمع الفيء وهو ما كان مشمساً ـ

قِفْ بِهـا وَقْفَةً تَرُدُّ عَلَيْهـا أَدْمُعاً ردَّهـا الجوى أنْضَاء

وقال أيضاً :

قـد وقفْنا على الدِّيار وفي الرَّكـ ـبِ حَريبٌ من الغَرام ومُثْرِي (١)

ولو أنّي أُطيعُ آمِرَ حِلْمي كان شَتَّى أمرُ الدِّيارِ وأمري

وقال أيضاً :

أقامَ كلُّ مُلِثِّ الوَدْقِ رجَّاسِ على ديارٍ بعَلْوِ الشَّامِ أدْراسِ (٢)

فيها لِعَلْوَةَ مُصْطافٌ ومُرتَبَعٌ مِنْ بانقُوسا وبابيلا وبِطْياسِ (٣)

منازِلٌ أنكرَتْنا بعـد مَعْرِفةٍ وأوْحَشَتْ من هوانا بعد إيناسِ

فنسخه الظل ، وتُبّع : ملك من ملوك اليمن والجمع تبابعة ، ولا يسمى به إلا إذا كانت له حمير وحضرموت ، والشاعر يذكر هـذا حنيناً إلى الموطن الأصلي لقبيلته وقبيلة الممدوح ، وهي طيء .

(١) ديوانه : ٢٣٨/١ من قصيدة يمدح بها محمد بن بدر مطلعها :

شد ما أغرِمتْ ظلومُ بهجري بعد وَجدي بها وغُلّة صدْري

والحريب : مسلوب المال ، وأراد به هنا: الذي خلا قلبه من الحب .

(٢) ديوانه ١١٤٧/٢ ، ومعجم البلدان ١٧/٢ ، ٥٠ . والملث : المطر الذي يدوم أياماً ، والرجاس : السحاب القوي الرعد .

(٣) في «الديوان» «بابلِّى» وفي «معجم البلدان»: بابِلاّ بكسر الباء وتشديد اللام مقصور : قرية كبيرة بظاهر حلب ، وبانقوسا : جبل في ظاهر مدينة حلب من جهة الشمال ، وبطياس : قرية من باب حلب بين النيرب وبابلا .

وقال بَيْهس بنُ صُهَيْب بن عامر بن عبد الله بن نائل [(١)] :

هل بالدِّيارِ وهل بالقاع منْ أحدٍ باقٍ فيسمعَ صوْتَ المُدْلِجِ الساري؟
تلك المنازلُ مِنْ صَفراءَ ليسَ بها نارٌ تُضيءُ ولا أصواتُ سُمَّار [(٢)]
عفَّت معالِمَهَا هُوجٌ مغبِّرةٌ تَسْفي عليها تُرابَ الأَبْطَحِ الهاري [(٣)]
حتَّى تنكَّرتُ منها كلَّ مَعْرِفةٍ إلا الرَّمادَ وإلا دمعيَ الجاري [(٤)]

---

(١) هو بيهس بن صهيب بن عامر بن عبد الله بن نائل بن مالك بن عبيد بن علقمة بن سعيد بن كثير بن غالب بن عدي، شاعر فارس شجاع من شعراء الدولة الأموية، كان يبدو بنواحي الشام مع قبائل جَرْم وكلب وعذرة، يحضر إذا حضروا، فيكون بأجناد الشام، وكان مع المهلب بن أبي صفرة في حروبه للأزارقة، وكانت له مواقف مشهورة، وبلاء حسن. والأبيات في «الأغاني»: ٢٢/١٣١ من قصيدة يرثي بها صفراء. وفيه «هل بالديار التي بالقاع ...».

(٢) في «الأغاني»: «حي يحبيب» صفراء: قيل: إنها زوجته، وولدت ابناً، ثم طلقها فتزوجت رجلاً من بني أسد، وماتت عنده فرثاها، وقيل: كانت ابنة عمه دنية، وكان يهواها فلم يُزَوَّجْها، وخطبها الأسدي، وكان موسراً فزوجها، وقيل غير ذلك. والسمار: القوم يجتمعون للحديث.

(٣) في «الأغاني» «عفت معارفها هوجاء مغبرة». والهاري: المتداعي، وأصله: هائر فقلب، كما قلبوا شائك السلاح إلى شاكي السلاح.

(٤) في الأغاني «إلا الرماد نخيلاً بين أحجار» وقوله: نخيلاً، أي: منخولاً كالدقيق.

إنْ أُصْبِحِ اليومَ لا أهلٌ ذوو لَطَفٍ ... أَلْهو إليهم ولا صفراءُ في الدَّارِ [(١)]

أرْعى بعينِي نُجُومَ اللّيلِ مُرتَفِقاً ... يا طُولَ ذلك مِنْ ليْلٍ وإسهار [(٢)]

فقد يكونُ بها الأهلُ الجميعُ وقد ... أَلْهو بصفراءَ ذاتِ المنظرِ الواري [(٣)]

كذلك الدَّهرُ إنَّ الدَّهرَ ذو غِيَرٍ ... على الأنامِ وذو نَقْضٍ وإمرار

وقال بشر بن أبي خازم أخو بني والبة بن الحارث :

دِيارٌ أقفَرَتْ مِنْ آلِ سَلْمى ... دَعى سلمى بحُسْنِ الوَصْلِ داعِ [(٤)]

ذَكرْتَ بهنَّ مِنْ سلمى وَداعاً ... فشاقَكَ منهمُ قُرْبُ الوَداع [(٥)]

فإنْ تَكُ قد نأتْكَ اليومَ سَلْمى ... فكلُّ قُوى قرينٍ لانقطاع

---

(١) في «الأغاني» «ألهو لديهم» وفي «اللسان» ، اللَّطف واللَّطَف : البر والتكرمة والتحفّي .

(٢) في الأغاني « ... مرتقباً .... من همٍّ ... »

(٣) في الأغاني « فقد .... لي الأهل الكرام .... » وبعد هذا البيت :

من المواجد أعراقاً إذا نُسبت ... لا تحْرِمُ المال عن ضيف وعن جار

لم تلق بؤساً ولم يَضْرر بها عَوَزٌ ... ولم تَرَجَّف مع الصالي إلى النار

(٤) ديوانه : ١١٠ من قصيدة مطلعها :

عفا رسمٌ برامــة فالتِّلاعِ ... فكُثبانِ الحفيرِ إلى لَقاعِ

(٥) في الديوان «بين الوداع» وشاقك : حزنك وهاجك .

وقال جرير بن عطية :

أَلا حيِّ الدِّيارَ بسُعْدَ إني ... أُحِبُّ لحبِّ فاطِمَةَ الدِّيارا (١)

أراد الظَّاعِنونَ ليَحْزُنوني ... فهاجُوا صَدْعَ قلبي فاستَطارا (٢)

وقال زهير بن أبي سُلْمى :

غَشيتُ الدِّيارَ بالبقيع فَثَهْمَدِ ... دَوارِسَ قد أَقْوَيْنَ من أُمِّ مَعْبَدِ (٣)

أَرَبَّتْ بها الأَرواحُ كلُّ عَشِيَّةٍ ... فلم يَبقَ إلا آلُ خَيمٍ مُنَضَّدِ (٤)

وغيرُ ثَلاثٍ كالحَمامِ خَوالِدٍ ... وهابٍ مُحيلٍ هامدٍ متلبِّدِ (٥)

---

(١) ديوانه : ٢٨٠ ، و«النقائض» : ٢٣٦/١ من قصيدة يهجو بها الفرزدق ، قال البكري : وسُعْد ، بضم أوله وإسكان ثانيه : موضع بنجد ، وقال أبوعبيدة: موضع ببلاد بني تميم ، وقيل : ماء بين بني قشير وبني سعد .

(٢) قال أبو عبيدة : استطار ، أي : تصدع صدعاً مستبيناً في طول . وحزَنه الأمر يحزُنه ، وأحزَنه ، حزنه : لغة قريش ، وأحزنه : لغة تميم وقد قرىء بها في قوله تعالى (إني ليحزنني أن تذهبوا به) [يوسف :١٣] .

(٣) ديوانه : ٢١٩ ، و«مختار الشعر الجاهلي» : ٢٨٥ من قصيدة يمدح بها هَرِم بن سنان بن أبي حارثة المرّي . والبقيع : يعني به بقيع الغرقد ، وهو مقبرة أهل المدينة ، وثهمد : جبل في حمى ضريّة . وأقوين : أقفرن وذهب منهن أهلهن .

(٤) في الأصل تحت هذا البيت ما نصه : «والآل : جمع آلة، عود له شعبتان، يعرّض عليه عود آخر ، ويلقى عليه ثُمام يستظل به» والمنضد :المجعول بعضه فوق بعض . وأربت : أقامت ولزمت ، والأرواح : الرياح .

(٥) ثلاث : يعني الأثافي ، وقوله «كالحمام» شبه الأثافي في لونها بالحمام، لانها —

وقال آخر ، ينسب إلى المجنون (١) :

أَهَاجَكَ أمْ لا بالسّتَارَيْنِ مَرْبَعُ ... ورَسْمٌ بأجراع الغَديرَيْنِ بَلْقَعُ (٢)

دِيارٌ لِلَيْلى إذ نَحُلُّ بهـا مَعاً ... وإذ نحنُ منها بالمودَّةِ نَطْمَعُ

فيارَبِّ حبِّبْني إليهـا وأعطني الـ ... ـمَوَدَّة منهـا أنت تُعطي وتَمنَعُ

وإلا فصبِّرني وإن كُنْتُ كارِهاً ... فإني بهـا ياذا المعارِجِ مُولَعُ

وفي الصَّبْرِ عن بعض المطامِع راحَةٌ ... إذا لم يكن في الشَّيء تَرْجُوهُ مَطْمَعُ (٣)

ـ سود تضرب إلى الغبرة، وكذلك القهاري . وخوالد : مقيمات بواق ، وهاب: رماد عليه غُبرة مع طول القدم ، ومحيل : قد أتى عليه الحول ، وهامـد : خامد ، ومتلبد : لصق بعضه ببعض من تردد الامطار عليه .

(١) لم نجد هذه الأبيات في ما جمع من شعر المجنون ، والأربعة الأولى من قصيدة في «ديوان جميل بثينة» : ١١٧ و«الخزانة» للبغدادي ٣/٦٢٥ ، والأول والثالث في «شرح شواهد المغني» : ٢٨٦، وورد البيت الخامس والسادس في «الحماسة البصرية» : ١٨٩ ضمن قصيدة نسبها صاحب الحماسة لكثير عزة .

(٢) في الديوان « أم لا بالمـداخل . . . ودار » وفي «الخزانة» « بالتناضب » والستاران : في ديار بني ربيعة واديان ، يقال لهما : السودة ، يقـال لأحدهما : الستار الأغبر ، وللآخر الستار الجابري ، وفيهما عيون فوارة تسقي نخيلاً كثيرة . والأجراع : جمـع جرع ، وهي الرملة المستوية لاتنبت شيئاً ، والبلقع : الأرض القفر التي لا شيء فيها .

(٣) رواية البيت في الحماسة البصرية :

فما في حياة بعد موتك رغبة ... ولا في وصالٍ بعد هجرك مطمع

وقد قَرَعَ الواشونَ فيها لكَ العصَا قديماً كما كانت لذي الحِلم تُقْرَعُ (١)

وقال آخر :

بكَتْ لِلفراقِ وقد راعَها بكاءُ الحبيبِ لبُعْدِ الدِّيار

كأنَّ الدُّموعَ على خدِّها بقيَّةُ طَلٍّ على جُلَّنارِ (٢)

وقال آخر :

إن جرى بَيننا وبينَكَ عَتْبُ أو تناءَتْ منَّا ومنْكَ الدِّيارُ

فالغَليلُ الذي عَهِدْتَ مُقيمٌ والدُّموعُ التي شَهِدْتَ غِزارُ

وقال آخر :

أمَّا الدِّيارُ فَقَلَّما لَبِثُوا بها بعدَ اشتياقِ العِيس والرُّكبانِ

وَضعوا سِياطَ الشَّوق في أعناقِها حتى طَلَعْنَ بهم على الأوطانِ

وقال قيسُ بنُ الخطيم : وقيل : هي للرَّبيع بن أبي الحُقيق الأوسي :

وما بَعْضُ الإقامَةِ في دِيارٍ يُهانُ بها الفتى إلّا عَناءُ (٣)

---

(١) في الحماسة : « . . . وإن العصا كانت . . . » وقرع الشيء يقرعه قرعاً : ضربه . وقوله «كما كانت لذي الحلم تقرع» هو مثل ، قال الأصمعي : يقال العصا قرعت لذي الحلم ، أي : إذ نُبّه انتبه .

(٢) الجلنار : فارسي معرب : زهر الرمان ، واسمه في العربية الجنبذة .

(٣) ديوانه : ٩٦ و«الحماسة» بشرح المرزوقي ٣/١١٨٧ و«معاهد التنصيص» ١/١٩٢ و ١-٣-٤ في «خزانة البغدادي» ٣/١٦٩ و ٢-٣ في «البيان والتبيين» ٣/١٨٦ و ٣-٤ في «الأشباه والنظائر» : ٧٢ و ١-٢-٣ في «الكامل» لابن الأثير ١/٢٤٦ منسوبة للربيع بن أبي الحُقيق ، وهي من كلمة طويلة يقولها في عراض قول عمرو بن —

وبعضُ خلائقِ الأقوام داءٌ كداء البَطْن ليس له دواءُ (١)

وكلُّ شديدةٍ نزَلتْ بقومٍ سَيأتي بعـدَ شِدَّتِها رَخاءُ (٢)

يُريدُ المرءُ أن يُعطى مُناهُ ويأْبَى الله إلّا مـا يَشاءُ (٣)

وقال سعيد بن حميد (٤) :

تَدنو الدِيارُ وأنتَ تَبعُدُ جاهِداً فالدَّهرُ يُنْصِفُني وأنتَ الظَّالِمُ

فمتى يَنالُ العَدْلَ عِندَكَ طالِبٌ أَنتَ المسيُ بهِ وأنتَ الحاكِمُ

— الاطنابة . وفي الديوان : «يكون بها الفتى» وفي «الحماسة» «إلا بلاء» قال المرزوقي: يقول : إذا أمكن الارتحال عن دار الهوان ، ولا دافع ولا مانع يوجبان الصبر ، فالاقامـــة بها بلاء ، ويجب على الحر طلب الانفكاك منـــه ، وروم الخلاص من أذاه .

(١) في الديوان «كداء الكشح» والكشح ، بالتحريك : داء يصيب الانسان في كشحه فيكوى منه ، وزاد صاحب القاموس : أنه ذات الجنب .

(٢) في الديوان «نزلت بحيّ » وفي «الاغاني» «سيتبعها إذا انتهت الرخاء» .

(٣) في الديوان «يحب . . . أن يلقى . . . » وفي «الأشباه والنظائر» « . . . أن يلقى نعيماً» .

(٤) هو سعيد بن حميد بن سعيد أبو عثمان ، كاتب ، شاعر مترسل ، حسن الكلام ، فصيح ، أصله من النهروان الاوسط ، من أبناء الدهاقين ، ومولده ببغداد، وقلده المستعين العباسي ديوان رسائله . انظر أخباره في «الاغاني» ١٨/٩٠ .

وقال الشريف الرضي رضي الله عنه :

أروحُ بفتيانٍ خِماصٍ من السُّرى لهم أَنَّةٌ في كلِّ دارٍ وأَدمُعُ [١]

فدمعٌ على نأيِ الدّيارِ مُفَرِّقٌ وقلبٌ على أَهْلِ الدّيار مروَّعُ [٢]

هل انتَ مُعينٌ للغليل بعَبْرَةٍ فنبكي على تلكَ الدّيار ونجْزَعُ [٣]

أَلا ليْتَ شِعري كلُّ دارٍ مُشِتَّةٌ أَلا مَنْزِلٌ يدنو بشَمْلٍ فيجمعُ [٤]

أَلاَ سَلْوَةٌ تَنهى الدُّموعَ فتنْتَهي أَلا مَوْرِدٌ يصْفو لِشرْبٍ فيَنْقَعُ [٥]

فصَبْراً على قَرْعِ الزّمانِ وغمزِهِ وهل يُنكِرُ الحِمْلَ الذَّلولُ المُوَقَّعُ [٦]

قرأت على حائط مسجد بفنك [٧] هذا البيت مفرداً :

تجَنَّبْتُ غِشيانَ الدِّيارِ وليس في تجَنُّبِها بعدَ الفِراق مَلامُ

---

(١) ديوانه : ٦٥٣/١ من قصيدة مطلعها :

أقولُ وما حنَّت بذي الأثلِ ناقتي قِري لا ينَلْ منكِ الحنينُ المُرجَّعُ

وفيه «من الجوى» . والسُّرى : سير الليل عامته ،وقيل : السرى : سيرالليل كله ، تذكره العرب وتؤنثه .

(٢) في الديوان « فدمع على بالي الديار . . . . . . موزّع » .

(٣) لم يرد هذا البيت في الديوان .

(٤) المشت : المفرق ، وفي «الاساس» : وفرقهم البيت المشتّ ، فتفرقو شتى وأشتاتاً ، وشتته الله : فرقه ، فهو مشتت .

(٥) في الديوان «ألا مورد يروي الغليل فينقع» .

(٦) الموقع : الذي يظهره آثار الدَّبَر لكثرة ما حمل عليه وركب، فهو ذلول مجرَّب.

(٧) في «معجم البلدان» ٤٠٢/٦ : فنك : قلعة حصينة منيعة للأكراد البشنوية قرب جزيرة ابن عمر ، بينها نحو من فرسخين .

فأحرمته بهذا البيت وكتبته تحته :

وما كُنتُ أَهْوى الدَّارَ إلّا لِأَهلِها   على الدّار بعـدَ الظّاعِنين مَلامُ

ذكر أبو عمرو الشيباني [١] أن عروة بن الورد أصاب امرأة من كِنانة بِكراً ، يقال لها : سلمى وتُكنى أمَّ وهب ، فأعتقها واتخذهـا لنفسه ، فمكثت عنده بضع عشرة سنة ، فولدت له أولاداً ، وهو لا يشكُّ في أنهـا أرغبُ النّاس فيه ، وهي تقول له : لو حججتَ بي ، فأمرَّ على أهلي وأراهم فحج بها ، فأتى مكة ، ثم أتى المدينة ، وكان يخالِطُ من أهل يثرب بني النضير ، فيُقرِضُونه إن احتاج ، ويبايعهم إذا غَنِم ، وكان قومها يخالطون بني النضير ، فأتوهم وهو عندهم ، فقالت لهم سلمى : إنه خارج بي قبل أن يخرج الشهر الحرام ، فتعالَوْا إليـه وأخبروه أنكم تستحيون أن تكون امرأة منكم معروفةُ النسب صحيحتُه سبيَّةً ، وافتدوني منه ، فإنه لا يرى أني أفارِقُه ، ولا أختار عليه أحدا . فأتوه ، فسقوه الخمر ، فلما ثَمِل ، قالوا له : فادنا بصاحبتنا ، فإنها وسيطة النسب فينا معروفة ، وإن علينا سُبَّةً أن تكون سبيَّةً فاذا صارت إلينا ، وأردت معاودتها فاخطُبْها إليها ، فإنهـا تُنْكِحُك ، فقال لهم : ذاك لكم ، ولكن لي شرط فيها أن تخيّروها ، فإن

---

(١) ذكر الخبر بأكمله ابن السكيت في مقدمة «ديوان عروة» : ٨١ ، و«الأغاني» ٣/ ٧٢ ، وذكره مختصراً ابن قتيبة في « الشعر والشعراء » : ٦٥٩ .

اختارتني ، انطلقتْ معي إلى ولدهـا ، وإن اختارتكم ، انطلقتُم بهـا . قالوا : ذاك لك قال : دعوني ألهُ بها الليلةَ وأفاديها (١) فلما كان الغـد جاؤوه ، فامتنع من فدائها ، فقالوا له : قـد فاديتَها (٢) منذ البارحة ، وشهد عليه جماعـة ممن حضر ، فلم يقدر على الامتناع ، وفادَوْها ، فلما فادوها ، خيَّروها ، فاختارت أهلها ثم أقبلت عليه فقالت : ياعروة أما إني أقول فيك ـ وإن فارقتك ـ الحقّ ، والله ما أعلم امرأة من العرب ألقت سِترهـا على بَعْلٍ خيرٍ منك وأغض طرفاً ، وأقل فحشاً ، وأجود يداً ، وأحمى لحقيقة ، وما مرعليّ يوم منذ كنت عندك إلا والموتُ فيه أحبُّ إلي من الحياة بين قومك ، لأني لم أكن أشاء أن أسمعَ امرأة من قومك تقول : قالت أمة عروة كذا وكذا إلا سمعته ، ووالله لا أنظر في وجه غطفانية أبداً ، فارجع راشداً إلى دارك (٣) ، وأحسن إليهم ، فقال عروة في ذلك :

أَرِقْتُ وصُحْبَتي بِمَضِيْقِ عُمْقٍ ... لِبَرْقٍ من تِهامَـةَ مُسْتَطيرِ (٤)

---

(١) في «الأغاني» : وأفادها .

(٢) في «الأغاني» : «قد فاديتنا بها » .

(٣) في «الأغاني» «إلى ولدك» .

(٤) عمق : موضع قرب المدينة من بلاد مزينة ، مستطير : منتشر في الأفق.

سقى سَلْمى وأيْنَ دِيارُ سَلْمى إذا كانت مُجاوِرَةَ السَّرِيرِ (١)

إذا حَلَّتْ بأرْضِ بني عَليٍّ وأهلي بين إمَّرَةٍ وكِيرِ (٢)

ذكرتُ مَنازِلاً من أمِّ وَهْبٍ محلَّ الحيِّ أسفلَ مِنْ نَثِيرِ (٣)

وأَحْدَثُ مَعْهَدٍ من أمِّ وهبٍ مُعَرَّسُنا بدارِ بني النَّضِيرِ (٤)

وقالوا ما تشاءُ فقلت ألهو إلى الإصْباحِ آثِرَ ذي أثيرِ (٥)

بآنِسةِ الحديث رُضابُ فيها بُعَيْدَ النَّوم كالعِنَبِ العَصيرِ (٦)

---

(١) قال البكري : السرير : موضع في بلاد بني كنانة وأنشد البيت .

(٢) في الديوان : و «معجم ما استعجم» «وأهلك بين إمَّرةَ وكير» : وهما من بلاد بني عبس . وقوله : « بني علي » قال ابن السكيت : قوم من كنانة .

(٣) في الديوان و«الأغاني» و«معجم ما استعجم» «ذي نقير» قال ابن السكيت : وذو النقير « هو موضع ماء لبني القين ولكلب ، وقيل : موضع يقر فيه الماء .

(٤) في الديوان «وآخر معهد . . . فويق » وقال ابن السكيت : قوله : فويق بني النضير ، يقول : فويق المدينة ، وبنو النضير : حي من اليهود ينزلون المدينة .

(٥) قال الفراء : ابدأ بهذا آثراً ما ، وآثر ذي أثير ، وأثير ذي أثير ، أي : ابدأ به أول كل شيء . وفي «اللسان» وقيل : الأثير : الصبح ، وذو أثير : وقته ، وأنشد البيت .

(٦) الآنسة : غير النفور ، والرضاب من كل شيء : القطع ، والرضاب : قطع الريق .

سَقوني الخمْرَ ثُمَّ تكنَّفوني عُـداةُ اللهِ من كَذِبٍ وزُورِ (١)

وقالوا لَسْتَ بعدَ فداءِ سَلمى بِمُغْنٍ مـا لَدَيْكَ ولا فقـير

فلا واللهِ لو مُلِّكتُ أمري ومَن لي بالتدبُّرِ في الأُمور (٢)

إذاً لعصيتُهم من حبِّ سَلْمى على ما كان من حَسَكِ الصُّدور (٣)

فيا للنَّاس كيفَ غَلبْتُ أمري على شيءٍ ويكْرَهُهُ ضمِيري (٤)

قلت : ذكرت هذا الخبر لما في الشعر من ذكر الديار .

---

(١) في الديوان «سقوني النسء» قال ابن السكيت : النسء : ما أنسأ العقل ، ويقال لكل مسكر : نسءٌ ، يقول : سقوني نسأ أنساني الحب الذي كنت أجده .

(٢) في الديوان : « ولا وأبيك لو كاليوم أمري .... ومن لك .... » قال ابن السكيت : أي : لو كنت يومئذ مثل اليوم أملك أمري لم أفارقها .

(٣) في الديوان : « إذا لملكت عصمة أم وهبٍ » يقال : عصمة فلانة بيد فلان ، أي : ملك أمرها . يقول : إذا لأمسكتها فكنت مالك أمرها على ما بيني وبين قومها من العداوة . والحسك : الغل والعداوة ، وهو في الأصل الخشونة تكون في الصدر ، الواحدة : حسكة ، يقال : في صدره حسكة .

(٤) قال ابن السكيت : يقول : غلبت النفس على شيء ، فكنت أضمر أن لا أفعله ثم فعلته .

وقال يزيد بن عبد المدان [١] :

عَفا مِنْ سُلَيْمى بطْنُ غَوْلٍ فيذْبُلُ   فَغَمْرَةُ فَيْفِ الرِّيحِ فالمُتَنَخَّلُ [٢]

دِيارُ التي صادَ الفُؤادَ دلالُها   وأَغْرَتْ به يومَ النَّوى حين تَرْحلُ [٣]

فإن هي صَدَّتْ عن هوايَ وراعَها   نوازِلُ أحداثٍ وشَيْبٌ مُجَلِّلُ [٤]

فيارُبَّ خَيْلٍ قد هدَيْتُ بشَطْبَةٍ   يُعارِضُها عَبْلُ الجُزارَةِ هَيْكَلُ [٥]

تُواغِلُ جُرْداً كالقَنا حارِثيَّةً   عليها قَنانٌ والحُماسُ وزَعْبَلُ [٦]

---

(١) هو يزيد بن عبد المدان بن الديان بن قطن من بني الحارث بن كعب من مذحج ، كان من أشراف اليمن وشجعانها في الجاهلية ، وشهد يوم الكلاب الثاني. وكان بنو عبد المدان مضرب المثل في الشرف ، قال :

تلوث عمامة وتجر رمحاً   كأنك من بني عبد المدان

(٢) الأبيات في «الاغاني» ١٢/٢٠ . وغول : موضع : جبل أو واد أو ماء ، فيه أقوال ، ولعله اسم لعدة مواضع . ويذبل : جبل بنجد وغمرة وفيف الريح والمتنخل : مواضع .

(٣) في «الاغاني» «وأغرت بها....» .

(٤) في «الاغاني» «فان تك صدّت» .

(٥) في الأصل «الجرازة». الشطبة ، بكسر الشين وفتحها من الخيل الطويلة السبطة اللحم . وعبل الجزارة : ضخم الأطراف ، وهي اليدان والرأس والرقبة ، فاذا قيل : فرس عبل الجزارة ، فانما يريدون اليدين والرجلين ، وكثرة عصبها ، لأن عظم الرأس في الخيل هجنة . والهيكل : المرتفع .

(٦) في « الاغاني » : « يواغل ... والِحماس وزعبل » وقوله : يواغل

مَعاقِلُهم في كلِّ يَوْمِ كريهةٍ صُدُورُ العَوالي والصَّفيحُ المصقَّلُ [١]

عن الأصمعي [٢] قال : دخلتُ خَضْراءَ رَوْحٍ فإذا أنا برجل مِنْ ولده على فاحشة يؤتى [٣] ، فقلت : قبحك الله ! هذا موضع كان أبوكَ يَضرِبُ فيه الأعناق ، ويعطي فيه اللُّهى ، وأنت تفعلُ فيه ما أرى ! فالتفت إليَّ مِنْ غير أن يَزول عنها وقال :

وَرِثْنا المَجْدَ عن آباءِ صِدْقٍ أَسَأْنا في دِيارِهم الصَّنيعا

إذا الحَسَبُ الرَّفيعُ تَوَاكَلَتْهُ بُناةُ السوْءِ أَوْشَكَ أَنْ يَضيعا

والشِّعر لمَعْن بن أوس المُزني .

وقال عُمَرُ بن أبي ربيعة :

يا خَليلَيَّ قد مَلِلْتُ ثَوائي بالمُصَلَّى وقد شَنِئتُ البَقيعا [٤]

بلِّغاني ديارَ هِنْدٍ وسُعدى وارجعا بي فقد هَوِيتُ الرُّجُوعا

- جرداً ، أي : يداخلها ، والجرد من الخيل : القصار الشعر ، وهو في الخيل مدح . والحماس وقنان وزعبل : قبائل من مذحج .

(١) المعاقل : الحصون ، والعوالي : الرماح ، الصفيح المصقل : السيوف .

(٢) الخبر في « الأغاني » ١٢/٥٩ ، وجاء في «هامش الأغاني» : لعل خضراء روح : بستان كان لروح بن حاتم المهلبي أحد الفرسان والأشراف في أيام المهدي .

(٣) في « الأغاني » : « يوماً » .

(٤) ديوانه : ٤٩٦ ، وهما من الشعر المنسوب إليه ، ولم يوجد في أصول ديوان شعره .

وقال ربيعة بن مقروم (١) :

لِمَنِ الدِّيارُ كأنَّها لَمْ تُحْلَلِ ... بجُنُوبِ أَسْنُمَةٍ فَقُفِّ العُنْصُلِ

دَرَسَتْ مَعالِمُها فباقي رَسْمِها ... خَلَقٌ كعُنْوانِ الكتابِ المُحْوِلِ

دارٌ لِسُعْدى إذ سُعادُ كأنَّها ... رشأٌ غَضيضُ الطَّرْفِ رَخْوُ المَفْصِلِ

وقال عبد الله بن العجلان (٢) :

ولَمْ أرَ هِنْداً بعدَ مَوْقِفِ ساعَةٍ ... بأَنْعَمَ في وَسْطِ الدِّيار تُطَوِّفُ (٣)

أتتْ بينَ أتْرابٍ تَمايَسُ إذ مَشَتْ ... دَبيبَ القَطا أوْ هُنَّ مِنهُنَّ أَقْطَفُ (٤)

---

(١) هو ربيعة بن مقروم بن قيس الضبي ، أحد شعراء مضر المعدودين في الجاهلية والاسلام ، أسلم فحسن اسلامه ، وشهد القادسية وغيرها من الفتوح ، وعاش مائة سنة ، له ترجمة في « الاصابة » و«الشعر والشعراء» ٢٧٩/١ ، و « الأغاني » ٨٧/٢٢ ، و«خزانة البغدادي» ٥٦٦/٣ و«شواهد المغني» : ١٥٩ ، قلت ولعل الأبيات الثلاثة التي ذكرها المصنف مطلع قصيدة لربيعة ذكرها ابو الفرج في « الأغاني » ٩١/٢٢ ، وهي من فاخر الشعر وجيده وحسنه .

(٢) هو عبد الله بن العجلان بن عبد الأجب ابن عامر النهدي القضاعي ، شاعر جاهلي من العشاق المتيمين الذين قتلهم العشق ، وسيد من سادات قومه . أخباره في « الأغاني » ٢٤٥/٢٢ ، و«مصارع العشاق» ٢٧/٢ و«تزيين الاسواق» ٨٥/١ .

(٣) الأبيات في « الاغاني » ٢٥٣/٢٢ ، وفيه « في أهل الديار .. » .

(٤) في « الاغاني » بعد هذا البيت :

يباكرن مرآةً جليـاً وفأرةً ... ذكيّاً وبالأيدي مداك ومسوف

أَشَارَتْ إِلينا في حَياءٍ ودَاعَها سَرَاةَ الضُّحى منّي على الحيِّ مَوْقِفُ
وقالتْ تَباعَدْ يا ابْنَ عَمٍّ فإنَّني مُنِيتُ بذي صَوْلٍ يَغارُ ويَعْنُفُ

وقال آخر :

عَرَفْتُ دِيارَ الحيِّ خالِيَةً قَفْرا كأَنَّ بهـا لمَّا تَوَهَّمْتُها سَطْرا
وَقَفْتُ بها كَيْما تَرُدَّ جوابَها فما بيَّنَتْ لي الدَّارُ عن أهلِها خُبْرا

وقال ابنُ مُفَرِّغ الحِمْيَري (١) :

دِيارٌ للجُمانَـةِ مُقْفِراتٌ بَلِينَ وهِجْنَ للقَلْبِ ادِّكارا
فلَم أَملِكْ دُموعَ العَيْنِ منّي ولا النَّفْسَ التي جاشَت مِرارا
فقُلْتُ لصاحبي عَرِّجْ قليلاً نُذَكِّرْ شَوْقَنا الدُّرُسَ القِفارا
كأَنْ لم أَغْنَ في العَرَصاتِ منها ولم أَذْعَرْ بقاعَتِهـا صُوارا

وقال الحارث بن خالد المخزومي :

عَفَتِ الدِّيارُ فما بها أهلُ حُزَّانُهـا ودِمَاثُهـا السَّهْلُ (٢)

---

(١) هو اسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري ، ويكنى أبا هاشم ، شاعر إمامي متقدم مطبوع . ترجمته في « الأغاني » ٧/٢٢٩ ، و « فوات الوفيات » ١/٣٢ .

(٢) تقدمت الابيات ص : ٨٥ عدا البيت الأول، وخرجناها هناك . وحزانها بضم الحاء وكسرها وتشديد الزاي ، جمع حزيز : وهو موضع من الارض كثرت حجارته، وغلظت كأنها السكاكين ، أو هو : ما غلظ وصلب من جلد الارض مع اشراف قليل . والدماث : السهول من الارض .

إنّي وما نَحَرُوا غَـداةَ مِنى عند الجِمار تَؤُودُهـا العُقْلُ
لو بُدِّلَتْ أَعْلى منازِلِهـا سُفْلاً وأصبَحَ سُفْلُهـا يَعْلُو
فيـكادُ يَعْرِفُهـا الخَبيرُ بهـا فيرُدُّهُ الإقْواءُ والمحْـلُ
لعرفتُ مَغْناها بما احتَمَلَتْ مِني الضُّلوعُ لأَهلِها قَبْلُ

وقال مهيار :

هَل بالدِّيارِ على لَوْمي ومَعْذِرَتي عَدْوى تُقامُ على وَجْدي وتَذْكاري (١)
أَمْ أنتَ تَعْذُلُ فيما لا تريدُ بهِ إلا مُداواةَ حرِّ النّـارِ بالنّـارِ (٢)

★ ★ ★

(١) ديوانه : ٢/٥١ من قصيدة كتبها إلى الوزير شرف الدين أبي سعد يستوحش له ، ويصف اختلال حاله بفراقه . وفي « اللسان » العدوى : النصرة والمعونة .
(٢) في الديوان : « تزيد » .

فصـــل
في ذكر المغـاني

قال كُثَيِّر بن عبد الرحمن الخزاعي :

وَقَفْتُ عليـه ناقتي فتنازَعتْ ... شُعوب الهوى لمَّا عَرَفْتُ المغانيا

فما أَعْرِفُ الآياتِ إلا تَوَهُّماً ... وما أَعرِفُ الأطلالَ إلا تَمارِيا

وما خَلَفٌ منكم بأطلالِ دِمْنَةٍ ... تَنَكَّرْنَ واستَبْدَلْنَ منكَ السَّوافيا

وقال أيضاً :

عَفا رابِغٌ مِنْ أَهلِهِ فالظَّواهِرُ ... فأَكْنافُ هَرْشَى قدعَفَتْ فالأَصافِرُ (١)

مغانٍ يُهَيِّجْنَ الحليمَ إلى الهوى ... وهُنَّ قَدِيمـاتُ العُهُودِ دَواثِرُ

بما قد أرى تِلْكَ الدِّيارَ وأهلَها ... وهُنَّ جميعاتُ الأنيس عَوامِرُ

---

(١) الاول والثاني في الديوان : ٨٦/١ . ورابغ : واد على عشرة أميال من الجحفة . والاكناف : الجهات والنواحي . هرشى : ثنية في طريق مكة قريبة من الجحفة يرى منها البحر . والاصافر : ثنايا سلكها النبي ﷺ في طريقه إلى بدر ، وقيل : الاصافر : جبال قريبة من الجحفة عن يمين الطريق من المدينة إلى مكة ، سميت بذلك ، لأنها هضبات صفر .

وقال البحتري :

أُناشدُ الغَيْثَ أن تَهمي غَوادِيه ... على العَقيقِ وإنْ أقْوَتْ مَغانِيهِ [(١)]

على مَحَلٍّ أرى الأيَّام تَضْحكُ عن ... أيَّامِهِ واللَّيالي عن لياليهِ

عَهْدٌ مِنَ اللَّهْوِ لم تُذْمَمْ مَعاهِدُه ... يَوماً فيُنْسى ولم تَقْدُمْ بَواديه [(٢)]

وقل أبو تمام :

شَهِدْتُ لقد أَقْوَتْ مَغانِيكُمْ بعدي ... وَمَحَّتْ كما مَحَّتْ وشائعُ مِنْ بُرْدِ [(٣)]

فَأَنْجَدْتُمُ مِنْ بَعْدِ إتْهامِ دارِكم ... فيا دَمعُ أَنْجِدْني على ساكني نَجْدِ [(٤)]

لَعَمْري لقد أبْلَيْتُمُ جِدَّةَ البُكا ... بلايَ وجَدَّدْتم عليَّ بِلى الوَجْدِ [(٥)]

وقال أيضاً :

تَجَرَّعْ أَسىً قد أَقْفَرَ الجَرَعُ الفَرْدُ ... وَدَعْ جَفْنَ عينٍ يَجْتابُ ماءَها الوَجْدُ [(٦)]

---

(١) ديوانه : ١٩٩/١ والابيات مطلع قصيدة يمدح بها أحمد بن ثوابة .

(٢) في الديوان : « ... عوائده ... فتنسى ولم تفقد ... » .

(٣) ديوانه ١٠٩/٢ من قصيدة يمدح أبا المغيث الرَّافقي ويعتذر اليه . شهدت: حلفت ، كأنه قال : والله لقد أقوت . والوشائع :الطرائق في البرد .ومح :أخلق.

(٤) قال التبريزي : أي انتقلتم إلى نجد بعد إقامتكم بتهامة ، ولا أجد عليكم مساعدة إلا الدمع ، فبه يخف مابي .

(٥) في «الديوان» « . . . لقد أخلقتم . . . . . بكاء وجددتم بـه خلق الوجد» . وقال الصولي : ويروى : «جدة البلى علي» .

(٦) ديوانه : ٨٠/٢ من قصيدة يمدح بها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شبانة، —

إذا انْصَرَفَ المحزونُ قد فَلَّ صَبْرَهُ سُؤالُ المغاني فالبُكاءُ لهُ رِدُّ (١)
هَوىً كانْقِضاضِ النَّجْمِ كانت نَتيجةً من الهَزْلِ يوماً إنَّ هَزْلَ الهوى جِدُّ

وقال القاضي أبو المجد محمد بنُ عَبد الله بن سُليمان المعرّي (٢) :

يا مَغاني الصِّبا بباب ِ حُناكِ لا بِرَمْلِ الغضى ووادي الأراكِ (٣)
وعَزيزٌ عليَّ أنْ حَكَمَ الدّهـ ـرُ على رَغمِ ناظري بِبلاكِ

ـــ وفيه «ودع حِسْي عين» وفي هامش الأصل : « حسي عين يغترف » والحسي : المـــاء تحت الرمل ينبط بالأيدي . والجرَع والجرعاء : ماسهل من الأرض . والأسى : الحزن ، وأقفر : خلا .

(١) قال التبريزي : رِدٌّ : أي معين ، من قولك : هو رد عليك . أي : إذا لم تجبه المغاني ، فذهب صبره ، فليس له معين إلا البـكاء . وفي « الديوان بعد هذا البيت :

بَدَت للنَّوى أشياءُ قد خِلْتُ أنّها سيبدؤني رَيْبُ الزّمان إذا تبدو

(٢) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سليمان ، ابو المجد التنوخي المعري : قاض من الشعراء ، وهو حفيد أخ لأبي العلاء ، ولي قضاء المعرة إلى أن دخلها الافرنج ، فانتقل إلى شيزر ، وتوفي بها .

(٣) البيتان من قصيدة في «معجم البلدان» ٣٤٩/٣ . وحناك : شرحها في الأصل بقوله : قرية من أعمال المعرة . وقال ياقوت حناك ، بالضم وآخره كاف : حصن كان بمعرة النعمان ، وكان مكيناً خربه عبد الله بن طاهر في سنة ٢٠٩ هـ فيم خرب من حصون الشام وفي « المعجم » بعد هذا البيت :

لا تخطتك غـــاديات الثُّريا إن تَعدتْكِ رائحـــات السماكِ
أسلفتك الأيام فيك سروراً فاسترد السُّرور ماقـــد عراكِ

وقال آخر :

لِلّهِ دَرُّ أُناسٍ قد عَهِدْتُهُمُ — بالشَّام دَهراً سَقى مَغْنَاهم الدِّيَمُ

لَوْ قيلَ لي وهَجِيرُ الصَّيْف مُتَّقِدٌ — وفي الحشا غُلَّةٌ كالنَّارِ تضطَرِمُ

هُمُ أحبُّ إليك اليومَ تُبصِرُهُم — أَوْ شَرْبَةٌ من زُلال الماءِ؟ قلتُ: هُمُ

وقال أبو الشَّعر موسى بن سحيم الضبي [١] :

فياصاحِ أَلِمْ بالمغاني فحَيِّها — مَغانٍ لهند عُطِّلت وملاعِبِ

مَغانٍ خَلَتْ من غِبْطَةٍ ونضارَةٍ — مَغاني الغواني والغِنى والرَّغائِب

وكَمْ زايَلَتْها من فتاةٍ ومن فتى — ومن قُرَّحٍ مَنْسُوبةٍ ونَجائبِ [٢]

وَقَفْتُ فأبكاني وهَيَّجَ عبرَتي — عَليَّ وُقوفي في دِيارِ الحبائبِ

بكى صاحبي لما بَكَيْتُ من الهوى — فما كادَ يقضي عَبْرَةَ الحُزْنِ صاحبي

جَرَتْ عَبْرَةٌ منه فهمَّ بِرَدِّها — فلم يَسْتَطِعْ رَدَّ الدُّموع السَّواكب

---

(١) ترجمه المرزباني في «معجم الشعراء» : ٢٨٦ بقوله : أبو الشَّعر الضبي ، اسمه موسى بن سحيم لما وَلّى مسلمة بن عبد الملك يعلى بن عامر أصبهان والجبال ، وثب عليه بسطام بن الشحاج الأزدي وحصره ، قال ابو الشعر :

أمسلم لم يبلغك أن ابن عامر — حمى الشِّقّ من جيٍّ على من تسطّما

أمسلم قد آساك يعلى بنفسه — أمسلم واشكر واجزِ بالسعي مسلما

وكان يهاجي الطِّرِمَّاح .

(٢) زايله مزايلة وزِيالاً : بارحه ، والمزايلة : المفارقة . وقرح : جمع قارح: وهي الناقة أول ماتحمل .

فلوْ أنَّ فيها أهلَها يوم زُرْتُها　　لَقَضَّيْتُ حاجاتي بهــا ومآرِبي

وقال النَّابغةُ الذُّبياني :

أَهاجكَ مِنْ سُعْداكَ مَغْنى المعاهِدِ　　بِرَوْضَةِ نُعْمِيٍّ فذاتِ الأساوِدِ (١)

تَعاوَرَها الأَرْواحُ يَنْسِفْنَ تُرْبَهــا　　وكلُّ مُلِثٍّ ذي أهاضيبَ راعِدِ (٢)

عَهِدْتُ بها سُعْدَى وسُعْدى غَريرَةٌ　　عَرُوبٌ تَهادَى في جِوارٍ خَرائدِ (٣)

وقال البحتري :

اِبكيا هــذه المغاني التي أَخْـ　　لَقَها بُعدُ عَهْدِهــا بالغواني (٤)

---

(١) ديوانه : ٣٣ ، و«مختار الشعر الجاهلي» : ٢٠٥ من قصيدة يمدح بها النعمان ابن وائل بن الجلاح الكلبي . والمغنى : الموضع الذي أقاموا به ، والمعاهد : حيث عهدوا وكانوا ، وروضة نعمي وذات الأساود : موضعان .

(٢) تعاورها : تعاقب عليها ، والأرواح : الرياح ، الملث : السحاب يكون مطره دائماً ، وأهاضيب : دفعات من مطر ، وراعد : فيه رعد . وفي الديوان بعد هذا البيت :

بها كلُّ ذيَّالٍ وخنساءَ ترعوي　　إلى كلِّ رجافٍ من الرَّمل فاردِ

(٣) غريرة : حدثة لم تجرب الأمور . عروب : مزاحة ضاحكة محبة لزوجها. تهادى : تمشي مشياً لينا ، والخرائد ، جمع خريدة : وهي النساء الحييات .

(٤) ديوانه ١٧٨/١ من قصيدة يمدح بها الحسين بن الحسن بن سهل مطلعها :

أدْمُــعٌ قد غُرِينَ بالهَمَلانِ　　وفؤادٌ قــد لجَّ في الخفقانِ

أَسْعِدا الغَيْثَ إِذْ بكاها وإن كا ن خليـاً من كلّ ما تَجِـدانِ [١]

جادَ فيهـا بنفسهِ فاستَجَدَّتْ حُلَلاً منـه جَمَّـةَ الألوانِ

وقال أبو القاسم بن هانىء المغربي [٢] :

قـد مررنا على مغانيكِ تلكِ ورأينا فيهـا مَشابهَ منكِ [٣]

عارَضَتْنا المَهـا الخَواذِلُ أسرا باً بأجراعِها فلم نَسْلُ عنكِ

لا يُرَعْ للمَهـا هُنالِكَ سِرْبٌ فلقَدْ أشْبَهَتْكِ إنْ لم تَكُنْكِ

وقال أبو تمام :

أيُّ مَرْعى عَـينٍ ووادٍ قَشيبِ لَحَبَتْهُ الأَيّامُ في مَلْحُوبِ [٤]

---

(١) في «الديوان» «أسْعِدِ الغيث» وهو خطأ ، والاسعاد : المعونة .

(٢) هو محمد بن هـانىء بن محمد بن سعدون الازدي الاندلسي ، يتصل نسبه بالمهلّب بن أبي صفرة ، يقال : إنه أشعر المغاربة على الاطلاق ، وهو عندهم كالمتنبي عند أهل المشرق ، وكانا متعاصرين . ترجمته في «وفيات الاعيان» ٤٩/٤ ، و«معجم الادباء» ٩٢/١٩ ، و «شذرات الذهب» ٤١/٣ .

(٣) ديوانه : ٤٦١ ، من قصيدة يمدح بها ابراهيم بن جعفر بن علي .

(٤) ديوانه : ١٢٢/١ من قصيدة يمدح بها سليمان بن وهب ، وفيه « ووادي نسيب » . قال التبريزي : ويروى «من محلوب» وقوله «وادي نسيب» أي : كان هذا الوادي فيه أهل يستحقون أن يقال فيهم النسيب ، وهو مثل الغزل في الشعر . وملحوب : اسم موضع . «ولحبته» من شدد الحاء ، فهو من قولهم : لحبت القتيل : إذا صرعته ، ومن روى «لحبته» بالتخفيف من القشر ، يقال : لحب اللحم : إذا قشرة . ومعنى لَحّب ولَحَب —

نَدَّ عَنْكَ العَزاءُ فيهِ وقادَ الـ دَّمعَ من مُقْلَتَيْكَ قَوْدَ الجَنيبِ [١]

وبما قد أراهُ رَيَّانَ مَكسُوَّ الـ مَغاني من كل حُسْنٍ وَطِيبِ [٢]

لسقيم الجُفونِ من غَيْرِ سُقْمٍ ومُريبِ الألحاظِ غيرِ مُريبِ [٣]

يرجع إلى شيء واحد ، ومن روى « من ملحوب » جعل ملحوباً نفسه مرعى عـين ، ووادي نسيب ، كما يقال : أيُّ رجل نزلنا بـه من فلان ، ومن روى « في ملحوب» جعل المرعى والوادي فيه . وبعد هذا البيت :

ملَّكته الصِّبا الوَلُوع فألـ ـفته قُعُودَ البلى وسوْرَ الخُطوب

(١) قال التبريزي : استعار «ند» للعزاء ، وإنما هو للابل ونحوها ، يقال : ند البعير : إذا ذهب على وجهه في الأرض ، وجاء بـ «الجنيب» في القافية ، لأن الذي يقاد جنيباً ضد الناد . و «العزاء» الصبر ، والفعل في «قاد» للعزاء ، أي : ذهب معه بالدمع من العين . وبعد هذا البيت :

صَحِبَتْ وجدَكَ المدامعُ فيه بنجيعٍ بعبرةٍ مَصْحُوبِ

بمُلِثٍّ على الفِراقِ مُرِبٍّ ولشأو الهوى البعيد طَلُوبِ

أخلبتْ بعده بروق من اللَّهـ ـوِ وجفَّت غُدُرٌ من التشبيب

(٢) قال التبريزي «وبما قد أراه» : هذا الكلام معروف من كلام العرب ، يقول : أقفرت الدار بما قد أراه وهي آنسة ،أي: هذا بذاك ، كأنهم يذهبون إلى أن الدهر يوم ويوم .

(٣) في الديوان «بسقيم الجفون غير سقيم» . وبعد هذا البيت :

في أوانٍ من الرَّبيعِ كريمٍ وزمان من الخريفِ حَسِيْبِ

فعليهِ السَّلامُ لا أُشرِكُ الأط　　لالَ في لَوْعَتي ولا في نَحيبي [١]

فسَواءٌ إجابتي غَيْرَ داعٍ　　وَدُعائي بالقَفْرِ غيرَ مُجيبِ [٢]

وقال أبو محمد القاسم بنُ علي الحريري العالم [٣] :

عَرِّجْ لكَ الخيرُ صُدورَ الرِّكاب　　على رُباً كُنَّ مغاني الرَّبابْ

وقِفْ بها وَقْفةَ مُستَعْبِرٍ　　يَسُحُّ فيها الدَّمعَ سَحَّ الرَّبابْ

فَسُنَّةُ العُشّاقِ أنْ يُعوِلوا　　في مَنْزِلِ الحبِّ إذا الحبُّ غابْ

يا حبَّذا تلكَ الرُّبى من رُبى　　ظِباؤها أفْتَكُ من ليثِ غابْ

(١) قال التبريزي : «فعليه» أي : على السقيم الجفون ، يقول : على السقيم الجفون أبكي ، لا على طلل . وفي هامش الديوان وفي الحاشية : يقول : أخصه بسلامي دون الاطلال ، فلا أشركها في وجدي وبكائي ونحيبي . والصحيح إعادة الهاء في قوله «فعليه السلام» إلى الطلل الذي ذكره ، ويدل عليه قوله «لاأشرك الاطلال في لوعتي» أي : لا أبكيه ولا أبكي غيره .

(٢) قال التبريزي : يقول : لست ممن يقف على الاطلال يخاطبها ويباثها ويشركها – في زعمه – في لوعته ، ويستحملها – على تقديره – بعض جزعه ، فسواء عندي في الاستحالة أن أجيب من غير أن أدعى وأن أدعو مالايجيب .

(٣) هو القاسم بن علي بن محمد بن عثمان البصري الحرامي ، الاديب الكبير ، أحد أئمة عصره ، صاحب «المقامات الحريرية» المشهورة . توفي سنة ٥١٦ هـ ترجمته في «معجم الادباء» ١٦/٢٦١ ، و «وفيات الاعيان» ٣/٢٢٧ ، و « معاهد التنصيص » ٣/٢٧٢ ، «وخزانة البغدادي» ٣/١١٧ .

وقال الشيخ ابو العلاء بن سليمان المعري :

مَغاني اللِّوى من شَخْصِكِ اليومَ أَطْلالُ   وفي النَّوم مَغْنًى من خَيالِكِ مِحْلالُ (١)

مَغانِيكِ شَتَّى والعِبارَةُ واحِـدٌ   فطرْفُكِ مُغْتالٌ وزَنْدُكِ مُغْتالُ (٢)

مَتى سألتْ بَغدادُ عني وأهلُها   فإِنيَ عن أهل العواصِمِ سأآلُ (٣)

---

(١) شروح «سقط الزند» ١٢١١/٣ قال البطليوسي : والمغاني : المنازل ، سميت بذلك ، لانها يغنى بها ، أي يقام بها ، واحدها : مغنى ، والاطـــلال : الآثار الشاخصة ، واحدها طلل ، فان لم تكن شاخصة ، قيل لها : رسوم ، واحدها: رسم ، والمحلال : المحل الذي يحل به كثيراً . يقول : مغانيك التي نشاهدها في اليقظه خالية منك ، وأما في النوم فانها عامرة بك ، لأنا لانزال نرى خيالك فيها على ما كنا نعهده منك . وقال الخوارزمي : ضمن الأطلال معنى الخلو ، فعداها بـ «من». يقول : مذ رميتنا بزيالك ، يكثر بنا حلول خيالك .

(٢) في «الديوان» « فزندك مغتال وطرفك مغتال » شتى : مختلفة ، واحدها شتيت ، والزند : ما انحسر عنه اللحم من الذراع ، والمغتال : السمين الكثير اللحم، يقال : ساعد غَيل ومغتال . وقوله : «وطرفك مغتال» أي : يغتال النفوس ويهلكها، يقال : غالته المنية واغتالته : إذا ذهبت به . قال البطليوسي : وأراد : والعبارة لفظ واحد ، فلذلك ذكر ، وقال الخوارزمي : ووجه تعلق هذا البيت بما قبله: أما مغانيك فلم يبق منها سوى أطلال ، وأما معانيك فهي على أكمل حال .

(٣) هذا البيت يأتي في «الديوان» بعد ثمان وثلاثين بيتاً أسقطها المؤلف رحمه الله . قال البطليوسي : يقول : إذا عني أهل بغداد بالسؤال عني ، والاستعلام لحالي، فانما غايتي وسؤالي عن أهل العواصم انجذاباً إليهم ، وحرصاً للقدوم عليهم . والعواصم:-

إذا جَنَّ ليلي جُنَّ لُبِّي وزائِـدٌ ... خُفوقُ فُؤادي كلّما خَفَقَ الآلُ (١)

وماءُ بلادي كانَ أَنْجعَ مَشرَباً ... ولوأنَّ ماءَ الكَرْخِ صَهْباءُ جِرْيالُ (٢)

وقال المتنبي :

مَغاني الشِّعْبِ طِيبٌ في المغاني ... بمَنزِلَةِ الرَّبيعِ منَ الزَّمـانِ (٣)

— حصون بأرض الشام في شِقّ حلب ، ولم يرد العواصم بعينها ، وإنما أراد أنه يحن إلى الشام .

(١) جن الليل وأجن : إذا دخل ، وخفوق الآل : اضطرابه في الهاجرة ، والآل : السراب . قال البطليوسي : وإنما قال هذا ، لأن المحزون يتسلى عن حزنه بعض التسلي إذا ورد النهار ، وإنما يشتد حزنه ، ويتضاعف همه إذا جـن الليل ، فنفى ذلك عن نفسه ، وذكر أن حاله في نهاره وليله سواء ، فجنون الليل يكسبه جنوناً في لبه ، وخفوق النهار يزيد في خفوق قلبه .

(٢) أنجع : أغذى للجسم وأصلح ، والكرخ : موضع ببغداد ، والصهباء من الخمر : التي فيها حُمرة ، وكذلك الجريال ، وقيل : الجريال : حمـرة الخمرة ، وبذلك سميت .

(٣) ديوانه : ٢٥١/٤ وهي مطلع قصيـدة يمدح بهـا عضد الدولة وولديه أبا الفوارس وأبا دلف ، ويصف شعب بوّان ، وفيه «طيباً» قال ابو الفتح : الشاميون ينصبون «طيباً» باضمار فعل ، أي : تزيد طيباً ، أو تطيب طيباً ، والبغداديون يرفعونه ، ويمنعون من نصبه ، ومن نصبه ، فعلى التمييز ، لأنه ليس ثم فعل ، ولو كان ثم فعل لجاز تقديمه منصوباً ، ووجه الرفع أن «المغاني» مبتدأ و « طيب » خبره . الشعب : المنفرج بين جبلين ، والمراد هنا ، شعب بوان ، وهو موضع عندشيراز ، —

ولكنَّ الفتى العربيَّ فيهـا غَريبُ الوَجهِ واليـدِ واللِّسانِ (١)

إذا غَنَّى الحمامُ الوُرْقُ فيهـا أجابتـهُ أَغـانِيُّ القِيانِ (٢)

ومن بالشِّعبِ أَحوَجُ من حَمامٍ إذا غَنَّى وناحَ إلى البيانِ (٣)

ـ كثير الشجر والمياه ، يعد من جنان الدنيا . يقول : منازل هذا المكان في المنازل كالربيع في الأزمنة .

(١) بعد هذا البيت :

ملاعِبُ جنَّةٍ لو ســار فيها سليمانٌ لســار بتُرجُمان

طبت فرساننا والخيل حتَّى خشيتُ وإن كرمن من الحِران

غدونا تنفض الأغصان فيه على أعرافها مثل الجمان

فسرت وقد حجبنَ الحرَّ عني وجئن من الضياءِ بما كفاني

وألقى الشَّرق منها في ثيابي دنانيراً تفرُّ من البنان

لها ثمر يُشير إليك منه بأشربة وقفن بــلا أواني

وأمواه تصلُّ بهـا حصاها صليل الحَلْيِ في أيدي الغواني

ولو كانت دمشقَ ثنى عناني لبيقُ الثُّرد صينيُّ الجفان

يلنجوجي ما رُفِعَت لضيفٍ بـه النيران نـدّيّ الدخان

يُحَل به على قلبٍ شجاعٍ ويُرحَلُ منه عن قلبٍ جبان

منازِلُ لم يزل منها خيالٌ يشيّعني إلى النُّوبندجان

(٢) يقول : لطيبها قد اجتمع أصوات الحمام والقيان بها يجاوب بعضها بعضا .

(٣) يقول : إن أهل الشعب وقطانه أحوج إلى البيان من حمامه في غنائه وقومه ، لأنهم أعاجم لا بيان لهم ولا فصاحة ، فلا تفهم العرب كلامهم .

وقال أخي عزُّ الدَّولة أبو الحَسَن علي رحمه الله :

مَغناهُمُ أَضحى صموتاً ناطِقاً ... يُهدي الهمومَ إلى القُلوب بيانُهُ

غَشيتْ ديارَهُم المحولُ ورِيُّها ... دُوْنَ السَّحاب على العُيون ضَمانُهُ

قد ألبسَتْهُ يدُ البِلى عَفْرَ الثَّرى ... فعفا ومَحَّ وأُخْمِدَتْ نيرانُهُ

وتنكَّبَ العافُون لاحِبَ سُبْلِهِ ... لما عفا وتهدَّمَتْ أركانُهُ

ولقد أَراهُ وفيه مُجْتَمَعُ الهوى ... يُهدي السُّرور إلى القُلوبِ عيانُهُ

فرجاً لمكروبٍ ونصرةَ ثائرٍ ... ومَلاذَ مَنْ تَنْبو به أوطانُهُ

والدَّهرُ مِثْلُ الطَّيفِ لا تبقى على ... حالٍ إساءَتُهُ ولا إحْسانُهُ

وقال مهيار :

المغاني أحْفى بقلبي من العـذ ... لِ وإنْ هِجْنَ لَوْعَةً وزفيرا (١)

أَفهمَتْني على نُحُولِ رُباهـا ... فكأنّي قرأْتُ منها سُطُورا

يا مُعيري أجفانَـه أنا أَغْنى ... بجُفُوني الغزارِ أن أستَعيرا

وقال آخر :

شَجاني مَغاني الحيِّ وانشقَّتِ العصا ... وصاحَ غُرابُ البين أنْتَ مريضُ

---

(١) ديوانه : ٢/١١١ من قصيدة يمدح بها الوزير أبا الفضل محمد بن علي بن الطيب مطلعها :

سائل الدار إن سألت خبيراً ... واستجر بالدموع تدع مجيرا

ففاضَتْ دُموعي عند ذاكَ صَبابةً وفيهنَّ خَوْدٌ كالمهاة غَضيضُ
وولَّيْتُ محزونَ الفُؤادِ مُرَوَّعاً كئيباً ودمعي في الرِّداء يفيضُ

وقال آخر :

هلْ هَيَّجَتْكَ مغاني الحيِّ والدُّورُ فاشتَقْتَ إنَّ الغريبَ الدَّارِ معذورُ
وقد تحلُّ بها إذ عيشُنا أَنِقٌ بِيضٌ أوانسُ أمثالُ الدُّمى حُورُ

وقال أبو حية النميري :

ألا حيِّ من أجلِ الحبيبِ المغانيا لبِسْنَ البِلى ممّا لَبِسْنَ اللّياليا [١]
إذا ما تقاضى المرءَ يومٌ وليلةٌ تقاضاه شيءٌ لا يَمَلُّ التقاضيا [٢]

وقال الشريف المرتضى رضي الله عنه :

ومن سَفَهٍ وقُوفُكَ في المغاني تُسائِلُ عن فريقٍ فارَقونا [٣]

---

(١) «الأمالي» ٢/١٨٥ ، و«الأغاني» : ١٦/٢٣٥ ، و«الكامل» : ١/١٨٧ ، و«الشعر والشعراء» : ٢/٧٥٠ ، و«المؤتلف والمختلف» : ١٤٥ ، و«زهر الآداب» : ١/٢٢٢ .

(٢) في «السمط» قبل هذا البيت :

فإن أكُ ودَّعْتُ الشباب فلم أكن على عهدي ـ إذْ ذاكَ ـ الأخِلَّاءَ زاريا
حناكَ الليالي بعد ما كنتَ مرةً سويَّ العصا لو كُنَّ يبقين باقيا

قال البكري : أراد : لم أكن زارياً على عهدي الأخلاء .

(٣) ديوانه : ٣/٣٠٤ من قصيدة يفخر بها بآبائه ويذكر مناقبهم .

سُقينَ غَـداةَ بَيْنِهِمُ دُموعاً وكَفْنَ فما وقفْنَ ولا رَوينا [(١)]

وقال مهيار :

أنا يا دارُ أخو وَحْش الفَـلا فيكِ مَن خانَ فعزْمي لمْ يَخُنّي [(٢)]

ولئن غـالَ مَغانيكِ البِلى عادَهُ الدَّهرُ فشَخْصٌ منكِ يُغني

إنْ خَبَتْ نارٌ فها ذي كَبِدي أوْ جَفـا الغَيْثُ فها ذلك جَفْني

وقال أيضاً :

يامغاني الحِمى سُقيتِ وما ينـ فَعُني الغَيْثُ أنْ يَجُودَكِ قطرا [(٣)]

أيُّ عَينٍ أصابَتِ الدَّارَ أَقْذى اللـهُ بَعْدي أجفانَهـا وأَضرّا

لا ثراها يُطيل بَعْدَ النَّوى غصـ نَاً ولا جوُّها يُتَمِّمُ بَدْرا [(٤)]

غيرَ حُمٍّ مِثلِ القَطـا جاثِماتٍ كُنَّ جُوناً فَعُدْنَ بالرَّهجِ كُدْرا [(٥)]

---

(١) في «الديوان» : «سقينـا بعد .... ومـا روينا» .

(٢) ديوانه : ٧٣/٤ من قصيدة كتب بها إلى الوزير أبي سعيد بن الصاحب أبي القاسم بن عبد الرحيم في النيروز ، وبعد البيت :

قائماً أو قائـلاً مفتَرِشاً بين خدّي وثرى أرضك ردني

(٣) ديوانه : ٤٠٧/١ من قصيدة كتب بها إلى صديق له من الكتّاب يشكره على موقف وقفه في حاجةٍ له رضي سعيه فيها ، وفيه «أن يجودك قفرا» .

(٤) في «الديوان» «لاتراها» وهو تصحيف .

(٥) في «الديوان» : «غير حم من القطا» وهو خطأ . وحم : جمع حماء ، وهي السوداء ، وجوناً : بيضاً . والرهج : الغبار ، وكدر : جمـع كدراء وهي التي بهـا غبرة .

وبقايا مواقـدٍ تصِفُ الجُوْ دَ أَبادِيدَ في يَدِ الرِيح تُذْرى [(١)]

قِلّبوا ذلك الرَّمـادَ تُصِيبُوا فيه قلبي إنْ لم تُصيبوا الجمرا

وقال أيضاً :

عابوا وفائي لمن أهوى وقد عَلِموا أنَّ الخِيانَةَ ذَنبٌ لا أُواقِعُهُ [(٢)]

كأنَّني أوَّلُ العُشَّاقِ طـال لَهُ مَغنى الأحِبَّةِ فارفَضَّتْ مَدامِعُهُ

★ ★ ★

(١) في الديوان «وبقايا مواقف» وهو خطأ . وأباديد : متفرقاً ، تذرى : تبدد.

(٢) ديوانه : ٢/٢٥٠ من قصيدة يمدح بها ركن الدين جـلال الدولة أبا طاهر بن بويه .

فصـــل
في ذكر الاطلال

قال جرير بن عطية بن الخطفى :

حيِّ الغَـدَاةَ برامَةَ الأطلالا ... رَسْماً تَحَمَّـلَ أهلُهُ فأحالا [1]

إنَّ السَّوارِيَ والغَوادِي غادَرَتْ ... لِلرِّيحِ مُنْخَرَقاً بـه ومَجالا [2]

لم نَلْقَ مِثْلَكَ بعد عَهْدِكَ مَنْزِلاً ... فَسُقيتَ من سَبَلِ السِّماكِ سِجالا [3]

أَصْبَحْتَ بعدَ جميعِ أهلِكَ دِمْنَةً ... قَفْراً وكُنْتَ مَحَلَّةً مِحْلالا [4]

---

(١) ديوانه : ٤٤٨ ، و « معجم البلدان » : ٢١٢/٤ عدا البيت الخامس . والأبيات مطلع قصيدة يهجو بها الأخطل ، قال ياقوت : رامة : هي منزل بينه وبين الرَّمادة ليلة في طريق البصرة إلى مكة ، ومنه إلى إمرة ، وهي آخر بلاد بني تميم ، وبين رامة وبين البصرة اثنتا عشرة مرحلة . وقيل : رامة : هضبة ، وقيل : جبل لبني دارم . وأحال : أتت عليه أحوال ، أو تحول وتغير .

(٢) في الديوان و « معجم البلدان» : «مخترقاً» والسواري : جمع سارية ، وهي السحابة تسري بالليل ، والغوادي : جمع غادية ، وهي السحابة تنشأ غـدوة أو غطر غدوة . ومنخرق الرياح : مهبها .

(٣) السبل ، بالتحريك : المطر .

(٤) في الديوان : «مَـرَبَّةً محلالا» وفي «اللسان» : المرب : الأرض التي لا يزال —

وَلقدْ عَجِبْتُ مِنَ الدِّيارِ وأهلِها   والدَّهرِ كيفَ يُبدِّلُ الأبدالا

وقال أبو حيَّة النُّميري :

قِفا حَيِّيا الأطلالَ مِنْ مَسْقِطِ اللِّوى   وهلْ في تَحيّاتِ الرُّسُومِ جَداءُ (١)

وماذا نُحيِّي مِنْ عِراصٍ تبدَّلتْ   شُعُوب النَّوى عنها فهُنَّ قَواءُ (٢)

كأنْ لم يَكُنْ فيها الجميعُ ولم تَصِحْ   بهم نِيَّةٌ تُعْري الدِّيارَ خَلاءُ

تذكَّرْتُ عَصْراً قـد مضى وصَحابَةً   ولم يَكُ عمَّا قد ذَكرْتُ عَزاءُ

وقال أبو تمام :

إنْ شِئْتَ أنْ لا تَرى صَبْراً لِمُصْطَبِرٍ   فانْظُرْ على أيِّ حالٍ أصْبَحَ الطَّلَلُ (٣)

- بها ثرى ، وهي المرَبّة والمرباب . وقيل : المرباب من الأرضين : التي كثر نبتها ونأمتها ، وكل ذلك من الجمع . المحلة : منزل القوم ، والمحلال : المحل الذي يُحل به كثيراً .

(١) مسقط اللوى : منقطعه ، واللوى : حيث يسترق الرمل ، فتخرج منه إلى الجدد ، والجداء ،ممدوداً : الغناء ، وفلان قليل الجـداء عنك ، أي : قليل الغناء والنفع .

(٢) في « اللسان » : تبدل الشيء وتبدل به واستبدله واستبدل به ، كله : اتخذ منه بدلا . وقواء : خلاء .

(٣) ديوانه : ٣/٦ من قصيدة يمدح بها المعتصم بالله ، مطلعها :

فحواكَ عَيْنٌ على نَجْواكَ يا مَذِلُ   حتَّام لا يتقضّى قولُكَ الخطِلُ ؟

قال المرزوقي : يقول : إن أردت ألا توجب صـبراً على من ابتلي بفراق -

كأنّما جادَ مَغْناهُ فغيَّرَهُ دُموعُنا يومَ بانوا وهيَ تَنْهَمِلُ

وقال أيضاً :

أَسْقَى طُلُولَهُمُ أَجشُّ هَزِيمُ وغَدَتْ عَلَيْهِم نَضْرَةٌ ونَعيمُ [1]

جادَتْ مَعاهِدَهُم عِهادُ سَحابَةٍ ما عَهْدُها عندَ الدِّيارِ ذَميمُ

سَفِهَ الفراقُ عليكَ يومَ رَحيلِهِم وبِما أَراهُ عَنكَ وهو حَليمُ [2]

وقال بشر بن الهذيل [3] :

ـ أحبته ، فانظر إلى الطلل ، وتأمله كيف اشتمل عليه البلى بفراقهم ، وانتقالهم عنه . واعلم أنه إذا كان الطلل مع أنه لا يعقل ولا يعرف الجزع يصير لبعد العهد عنهم إلى هذه الحال ، فحق العاشق المميز ، المتذكر العهود ، العالم بالنزاع وأسباب النوى ألا يصبر .

(١) ديوانه : ٢٨٩/٣ من قصيدة يمدح بها محمد بن الهيثم بن شبانة . قال التبريزي : يقال : سقى وأسقى ، قال قوم : هما بمعنى واحد ، وقال آخرون : سقاه يسقيه ، وأسقاه : إذا جعل له سقياً دائماً . والأجش : يوصف به الرعد كأن به جُشّة ، والهزيم : يحتمل أن يكون من الصوت ، من ذلك قولهم : تهزّم الأديم : إذا تكسر وتشقق .

(٢) في «الديوان» : «وبما أراه وهو عنك حليم» .

(٣) في «المؤتلف والمختلف» ٧٧ فيمن يقال له : بشر : وبشر بن الهذيل بن زفر الكلابي ، وليس له في بقيه المصادر ترجمة ، والأبيات في «ديوان ابن الدمينة» : ١٦٨ من قصيدة له ، أثبتها محقق الديوان الاستاذ راتب النفاخ نقلاً عن «الأشباه

يقولُ زميلي يومَ سابقَةِ النَّقا   وعَيناي مِنْ فرْطِ الأَسى تكِفَانِ [1]

أَمِنْ أَجلِ دارٍ بَيْنَ لَوْذَانَ فالنَّقَا   غداةَ النَّوى عيناكَ تَبْتَدِرانِ ؟ [2]

فقلتُ لهُ لا بلْ قَذِيتُ وإنَّما   قَذى العَيْنِ مِمَّا هَيَّجَ الطَّلَلانِ

وقال آخر :

ثَوى مَاثِلاً بينَ الطُّلُولِ المَوَاثِلِ   فهل بَلَّ مِنْ دَاءِ الجوى والبَلابِلِ [3]

مُعَنًّى قَضى دَيْنَ الغَرامِ مَدامِعاً   يُقَسِّمُها في دارِسَاتِ المَنازِلِ

تُسائِلُ عَنْ أحبابِهِ كلَّ دِمْنَةٍ   سَوائِلُ مِنْ عَيْنَيْهِ غيرُ سَوائِلِ [4]

وقال محمد بن بشير الخارجي [5] :

ـ والنظائر » للخالديين ، مخطوطة دار الكتب المصرية ص : ٢٠١ ـ ٢٠٢ . والثاني والثالث في « الأمالي » ٢/٣١ و « معجم ما استعجم » : ١١٦٦ غير معزوين .

(١) في « الأشباه والنظائر » وقال : « . . . يوم سالفة النوى . . . . من فرط الهوى . . . » ووكفت العين : سال دمعها .

(٢) في « الأشباه والنظائر » « . . . والنقا » ولوذان : موضع ذكره البكري ولم يحدده .

(٣) المواثل : الباقية المنتصبة ، والكلمة من الأضداد ، وبل من مرضه يَبِلُّ وأبلَّ : برأ وصح .

(٤) قوله : سوائل من عينيه : يريد الدموع ، من : سال يسيل . وقوله : غير سوائل ، أي : أنها لا تستطيع الكلام ، من : سأل يسأل .

(٥) هو أبو سليمان محمد بن بشير بن عبد الله بن عقيل الخارجي ، نسبة إلى ـ

سقى اللهُ أطلالاً بأكثِبَةِ الحِمى   وإنْ كُنَّ قد أبدَيْنَ للنَّاس ما بيا
منازِلُ لو مَرَّتْ بِهِنَّ جَنازَتي   لقالَ الصَّدَى ياحامِلَيَّ ارْبَعا بيا

وقال جميلُ بنُ مَعْمَر :

أَشاقَتْك المعـارِفُ والطُّلولُ   عَفَوْنَ وخَفَّ منهنَّ الحُمولُ
نعمْ وذكرْتَ دُنيا قـد تولَّتْ   وأيُّ نعيمِ دُنيا لا يَزولُ ؟!

وقال حفص الأُموي :

ومِنْ جزَعي والشَّيْبُ إحكامُ ذي النُّهى   بُكاءٌ على الأَطلالِ يومَ الرَّواكِسِ
أُسائلُ أطلالاً عفَتْ بعدَ أهلِهـا   وغيَّرها سَهْكُ الرِّياحِ الرَّوامِسِ (١)
فما أبقَتِ الأيَّامُ مِنْ عَرَصاتِهـا   لمن جاءَها غيرَ الرُّسومِ الدَّوارِسِ

وقال عدي بن الرقاع العاملي :

بني خارجة بن عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر ، شاعر فصيح من شعراء الدولة الأموية ، ترجمته في « الأغـاني » : ٦١/١٦ ، و « معجم الشعراء » للمرزباني : ٣٤٣ ، و « الخزانة » ٣٧/٤ .

(١) في « اللسـان » : سهكت الريح الـتراب : إذا قشرته عن الأرض . والروامس : الرياح الزافيات التي تنقل التراب من بلد إلى آخر ، وبينها الأيام ، وربما غشَّت وجه الأرض كله بتراب أرض أخرى ، والروامس : الرياح التي تثير التراب ، وتدفن الآثار .

هلْ تَعْرِفُ اليومَ أمْ لا تعرفُ الطَّلَلا بلى فهيَّجَ لي الأحزانَ والوَجَلا [(١)]

وقد أراني بهــا في عيشةٍ عَجَبٍ والدَّهرُ بينا له حالٌ إذ انفتلا [(٢)]

وقال طُفيل بن عوف الغنوي [(٣)] :

لمنْ طَلَلٌ بذي خيْمٍ قــديم يلُوحُ كأنَّ باقيهِ وُشُومُ

محــا مَعْروفَه قِدَمُ اللَّيالي ووَكَّافٌ عَزالِيْهِ سَجومُ [(٤)]

وآوِنَةً عَجــاجُ الصَّيف حتى تنـكَّرتِ المعالِمُ والرُّسومُ

---

(١) « الطرائف الأدبية » ٨١ .

(٢) في « الطرائف » : ويروى : « إذا انتقلا » وانفتل : انصرف . قـال الأصمعي : ليس من كلام العرب أن يقولوا « بينا كذا إذا كان كذا » إنما هو بينا كذا كان كذا .

(٣) أكثر من ترجموا له ذكروا أنه طفيل بن عوف إلا صاحبي «الاشتقاق» و«الشعر والشعراء» ، فانهما ذكرا أنه طفيل بن كعب ، وفي « الاقتضاب » لابن السيِّد : طفيل بن عوف ، ثم قال : وقال ابن قتيبـة : هو طفيل بن كعب . وهو شاعر جاهلي من الفحول المعـدودين ، ويكنى أبا قران ، يقال : إنه من أقدم شعراء قيس ، وهو من أوصف الناس للخيل ، عاصر النابغة الجعدي وزهير ابن أبي سلمى ، ومات بعد مقتل هرم بن سنان . ترجمته في « الأغاني » ١٥/٣٤٩ و « الشعر والشعراء » ٤٢٢ ، و « سمط اللآلي » ٢١٠ ، و « خزانة » البغدادي ٣ / ٦٤٣ .

(٤) وكف الدمع والماء : سال ، ويقال للسحابة إذا انهمرت بالمطر الجَوْد : قد حلت عزاليها ، وأرسلت عزاليها .

وقفتُ بهِ أسائلُهُ ودَمعي يَفيضُ كأنـهُ شَنٌّ هَزِيمُ [(١)]

وقال حاتم بن عبد الله الطائي :

أتعرِفُ أطلالاً ونُؤياً تَهدَّمـا كَخَطِّكَ في رَقٍّ كِتاباً مُنَمْنَما [(٢)]

أذاعتْ به الأرواحُ بعد أنيسِها شُهُوراً وأيَّاماً وحوْلاً مُجرَّما [(٣)]

دَوارِجُ قد غَيَّرْنَ ظـاهرَ تُرْبهِ وغيَّرتِ الأيامُ ما كانَ مُعْلَما [(٤)]

وغيَّرَها طُولُ التَّقادُمِ والبِلَى فما أعرِفُ الأطلالَ إلّا تَوَهُّما

---

(١) في الأصل تحت هـذا البيت ما نصه : الشن : القربة الخلق ، والاداوة الخلق . هزيم : منكسر . قلت : وفي « اللسان » وبئر هزيمة : إذا خسفت وكسر جَبَلُها فغاض الماء الرواء ، وجاء في الحديث في زمزم « انهـا هزمة جبريل عليه السلام » أي : ضرب برجله ، فانخفض المكان فنبع المـــاء ، وقيل : معناه أنه هزم الأرض ، أي : كسر وجهها عن عينها حتى فاضت بالماء الرواء .

(٢) ديوانه : ١٠٧ ، و « مختارات ابن الشجري » : ١٢ ، وفيها « مهدَّما » والنؤي : الحاجز حول الخيمة ، لئلا تدخلها مياه الأمطار ، والرَّق : الصحيفة البيضاء ، أو ما يكتب فيه وهو جلد رقيق ، والمنمنم : المحسن .

(٣) قال ابن الشجري : الأرواح : جمع ريح ، رجعت الياء إلى أصلها لمـا سكن ما قبلها . قال : أطلالاً ، ثم قال : أذاعت به ، فرجع إلى الطلل . أذاعت به : فرقته ، والمجرَّم : التام الذي انقطع .

(٤) في مختارات ابن الشجري : « فأصبحن قد . . . . وبدَّلت الأنواء » قال ابن الشجري : ويروى : « وأنكرت الأنواء » أي : عرضته لأن ينكر ، كقولك: أقتلته : عرضته للقتل ، وأبعت الشيء : عرضته للبيع . المعلم : المعروف .

وقال رُقَيْع بن عُبَيْد بن صيفي :

يا صاحبيَّ أَلِمَّا بي على الطَّلَلِ   وحَيِّيا قبلَ طُولِ البَيْنِ والشُّغُلِ

وما تحيَّةُ دارٍ بعد ما دَرَسَتْ   إلا معارفَ رسمٍ هاجَ مِنْ خَبَلي

وقال ذو الرمة غيلان بن عقبة بن مسعود :

خليليَّ عُوجا اليومَ حتى تُسلِّما   على طللٍ بين النَّقا والأَخارِمِ (١)

كأنْ لم يكنْ إلا حديثاً وقد أَتى   لهُ ما أَتى للمُزْمِنِ المُتقادِمِ (٢)

وهل يَرجِعُ التَّسليمَ رَبْعٌ كأنَّه   بسائفةٍ قفراً ظُهورُ الأراقِمِ (٣)

وقال البحتري :

يأبى الخليُّ بُكاءَ المنزِلِ الخالي   والنَّوْحَ في أَرْسُمٍ أَقْوَتْ وأطلالِ (٤)

---

(١) ديوانه : ٦٩٢ من قصيدة يمدح بها الملازم بن حريث الحنفي . والنقا : الرمل ، والأخارم : الطرق في الجبال .

(٢) في « الديوان » بعد هذا البيت :

سلام الذي شَقَّتْ عصا البين بينه   وبين الهوى من إلفه غيرَ صارم

(٣) في « الديوان » : « قفر » وفي الأصل تحت كلمة « بسائفة » ما نصه : منقطع الرمل . وفي الشرح : السائفة : رمل بها طول ، والأراقم : الحيات ، يقول : كأن الآثار به ترقيش الحيَّات .

(٤) البيتان في « الموازنة » : ٥١٤ طبعة دار المعارف ، ولم يردا في المطبوع من ديوانه ، وفيها « والنوح في دمن . . . . » .

وذو الصَّبابَةِ ماينفَكُّ يُنْصِبُهُ   وجداً تأبُّدُ آيِ المنْزِلِ الخالي [(١)]

وقال آخر :

أشاقَتْكَ مِنْ أرْضِ العِراقِ طُلولُ   تَحَمَّلَ منها جِيرَةٌ وحُلولُ

فكيف ألَذُّ العَيْشَ بعد معاشِرٍ   بهم كُنتُ عند النَّائباتِ أَصُولُ

وقال أبو تمام :

طَلَلَ الجميعِ لقد عَفَوْتَ حميدا   وكفى على رُزْئي بذاكَ شَهيدا [(٢)]

دِمَنٌ كأنَّ البينَ أصبحَ طالباً   دِمَناً لدى آرامِها وحُقُودا [(٣)]

---

(١) في « الموازنة » : « وجـــد تأبّد آي الدِّمنة الخالي » برفع « وجد » ونصب « تأبد » ولا معنى له . قال الآمدي : قوله « تأبد » أي : صار فيها أوابد الوحش ، ويقال : تأبد المنزل : إذا طال عليه الأبد .

(٢) ديوانه ٤١٠/١ من قصيدة يمدح بها خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني . قال المرزوقي : درست أيها الطلل وأنت محمود ، لأنك من أجل من فارقك حقيق بالدروس . ثم قال : « وكفى بذاك » أي : بما رؤي من تغير حال الطلل شهيداً على رزئي ، أي : إذا أثر هذا الأمر في الجماد الذي لا يعقل ولا يميز ، فكيف تأثيره فيّ مع علمي وتمييزي ؟! وموضع « بذاك » رفع بفعله ، والباء دخلت للتأكيد .

(٣) قال التبريزي : الدمن الأول : جمع دِمنة ، وهي آثار القوم في الديار ، ثم يسمى المنزل دمنة لكون الدمنة فيه . والدمن الثاني : جمع دمنة ، وهي الحقد وبقيته في القلب . وعنى بالآرام : النســاء ، شبهها بالظباء البيض . يقول : كأن الفراق طلب عند ظباء هذه الدمن آثاراً .

أمواقِفَ الفتيان تطوي لم تَذُبْ شَوقاً ولم تندُبْ لهنَّ صَعيدا [1]

وقال أبو تمام أيضاً :

تُطِلُّ الطُّلُولُ الدَّمعَ في كل موقِفٍ وتَمْثُلُ بالدَّمع الدِّيارُ المواثِلُ [2]

دَوارِسَ لم يَجفُ الرَّبيعُ رُبوعَها ولا مَرَّ في أغفالِها وهو غافِلُ [3]

---

(١) في « الديوان » : « لم تَزُرْ شَـرَفاً » وقال الآمدي في « الموازنة » ٤١٢: ويروى « لم نزر شعفاً » أي : كيف نطوي هذه الرسوم والدمن التي هي مواقف أهل الفتوة ، يريد الكرام ، ولم نزر حزناً لها ولا سهلاً ، لأنه أراد بالشعف : ما ارتفع من الأرض وعـلا ، وأراد بالصعيد : ما اطمأن من الأرض وسفل ، والصعيد انما هو وجه الأرض الذي فيه التراب ، وأكثر ما يكون فيما اطمأن من الأرض لا فيما علا ، فكانوا يرون الوقوف على الديار من الفتوة والمروءة ، وأن طيَّها عند الاجتياز بها من النذالة ، وقبيح الرعاية ، وسوء العهد .

(٢) ديوانه : ٣/١١٣ من قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الملك الزيات مطلعها :

متى أنتَ عن ذُهْليَّةِ الحيّ ذاهل وقلبُك منهـا مدَّةَ الدَّهر آهـلُ !

قال المرزوقي : تمثل بالصبر ، أي : تعاقبه حتى تجعله مُثْلَةً ، والمواثل : جمع ماثلة ، وهو من الأضداد ، يكون الدارس ، ويكون الباقي المنتصب ، فاذا فسرته على الدارس ، فالمعنى أن العاشق إذا وقف بها ، فوجدها دارسة ، اشتد جزعه ، وعيل صبره ، فكأن الديار مثلت به وبصبره ، فاذا حملته على أنه البواقي المنتصبة تصير الديار كأنها دَرَس بعضها ، وبقي البعض ، ويكون المعنى : أنهـا بآثارهـا الباقية ، وعلاماتها المنتصبة، تذكر العهود ، وتجدد الأحزان ، ولو كانت كلها دراسة لكانت خليقة بألاّ تعرف فيستريح العاشق .

(٣) قال التبريزي : أي : لم يمر الربيع بهذه الطلول وهو غافل عن سقياها. والأغفال من الأرض : ما لا علم بها .

فقد سحبتْ فيها السَّحائبُ ذَيْلَها　　وقد أخْمَلَتْ بالنَّوْرِ فيها الخمائلُ (١)

وقال المتنبي :

إثْلِثْ فإنَّا أيُّها الطَّلَلُ　　نبكي وتُرْزِمُ تحتنا الإبلُ (٢)

لو كُنتَ تنطِقُ قلتَ معتذِراً　　بي غيرُ ما بكَ أيُّها الرَّجُلُ (٣)

أبكاكَ أنَّكَ بعضُ مَنْ شَغَفوا　　ولَمَ أبكِ أنّي بعضُ مَنْ قتلُوا (٤)

إنَّ الذين أقمْتَ وارْتحلوا　　أيَّامُهم لِديارِهِمْ دُوَلُ (٥)

---

(١) قال التبريزي : أراد بالخمائل هاهنا : الأرضين السهلة ، ويمكن أن يحمل قوله « قد أخملت » على قولهم : خمل الرجل : إذا أخفي ذكره ، أي : ان النور قد سترها وأخفاها بكثرته .

(٢) ديوانه ٣/٢٩٩ من قصيدة يمدح بها عضد الدولة . وثلثت الرجلين : صرت ثالثهما ، والارزام : حنين الابل ، ومنه الرزمة : صوت السحاب .

(٣) قال العكبري : يقول : لاعتب عليك في ترك البكاء ، فان الطلول ليس من عادتها البكاء ، فهي فاعلة لمثل هذه الفعلة في ترك المساعدة على البكاء . يعذره في ترك البكاء .

(٤) يقول : لقلت الذي بي أكثر من الذي بك ، لأنهم شغفوك حباً ، فأذهبوا قلبك ، فبكيت لفراقهم ، أما أنا فانهم قتلوني بارتحالهم - كناية عن دروسه بعدهم - والقتيل لا يقدر على البكاء .

(٥) يقول للطلل : إن الأحبة الذين ارتحلوا عنك وغادروك ، وأقمت بعدهم ، أيامهم دول لديارهم ، تعمر بنزولهم أيام مقامهم ، وتخرب بارتحالهم .

وقال أبو نواس :

لِمَنْ طَلَلٌ لم أشجِهِ وشجـاني وهاجَ الصِّبى أوْ هاجَهُ لِأَوانِ (١)

بلى فازْدَهَتْني للصِّبي أرْيَحِيَّةٌ يَمـانِيَّةٌ إنَّ السَّماحَ يمـاني (٢)

وقال آخر : هو ذو الرُّمة غيلان

ماهاجَ عَيْنَيْكَ مِنَ الأطلالِ المُزمِنـاتِ بعـدَكَ الخوالي (٣)

كالوَحْي في سواعِـدِ الحَوالي غَيَّرَهـا تناسُخ الأَحوالِ (٤)

وغِـيَرُ الأَيَّامِ واللَّيـالي فاستَبْدَلتْ والدَّهرُ ذو استبدالِ (٥)

مِنْ ساكِنيها فِرَقَ الآجالِ فانظُرْ إلى صَـدْرِكَ ذا بَلْبالِ

صَبـابَةً للأزْمُنِ الخوالي

وقال الصنوبري (٦) :

---

(١) ديوانه : ٤٦٨ . لم أشجه : لم أحزنه . لأوان : لوقت .

(٢) ازدهتني : استخفتني . الأريحية : الميل إلى المعروف ، والارتياح له .

(٣) ديوانه : ٥٦١ ، وفيه : « البوالي » .

(٤) الوحي : الاشارة والكتابة والخط ، وحليت المرأة فهي حال وحالية : استفادت حلياً أو لبسته .

(٥) في « الديوان » : « غيرها تناسج الأحوال » .

(٦) هو أحمد بن محمد بن الحسن بن مراد أبو بكر الضبي الحلبي الأنطاكي المعروف بالصنوبري ، شاعر محسن ، أكثر شعره في وصف الرياض والأزهار . ترجمته في « إعلام النبلاء » ٤/٢٣ ، و « البداية والنهاية » ١١/١١٩ ، و « وفيات الأعيان » ١/١١١ .

مألفٌ موحشٌ من ألَّافِ   هاجَ عافيهِ لي جوىً غيرَ عافِ
أحرامٌ صفوُ الليالي لِصَبٍّ   ذكّرتهُ الطلولُ عهدَ التصافي
عاجَ يمحو بعضَ الصبابةِ ما بيـ   ـنَ مغانٍ ممحوّةٍ وأثافِ
كم يرى شملَ أهلِها في افتراقٍ   وترى شملَ دمعِهِ في ائتلافِ

وقال امرؤ القيس بن حجر :

عُوجا على الطَّلَلِ المُحيلِ لعلّنا   نبكي الدِّيارَ كما بكى ابنُ خِذامِ (١)
فظَلِلْتُ في دِمَنِ الدِّيارِ كأنَّني   نَشْوانُ باكَرَهُ صَبوحُ مُدامِ (٢)

روى ابن حبيب : أنه ابن حمام . وقال ابن الكلبي : هو امرؤ القيس بن حمام ، بن مالك ، بن عُبَيْدة ، بن هُبَل الكلبي . وكذا روى ابن الأعرابي وأبو عمرو والمفضل وخالد .

---

(١) ديوانه : ١١٤ ، و « مختار الشعر الجاهلي » : ٩١ وفيها « لأننا » وقوله : عوجا : أي : اعطفا رواحلكما ، وعوجا على الطلل المحيل ، يعني : الذي أتى عليه حول فتغير . وابن خذام : رجل ذكر الديار قبل امرىء القيس وبكى عليها ، وبعد هذا البيت :

أوما ترى أظعانهنّ بواكراً   كالنَّخل من شوكانَ حين صِرام
حُورٌ تُعلَّلُ بالعبير جلودُها   بيضُ الوجوه نواعِمُ الأجسام

(٢) الصبوح : الخمر تشرب عند الصباح . يقول : إنه أقام في تلك الديار حيران أسفاً، لما رأى من تغيرها ، فشبه نفسه بالنشوان لذلك .

وقلت من قصيدة :

نَعَمْ هـذه الأَطْلالُ قَفْرٌ كما تَرَى فما عُذْرُ أَجفاني إِذا لم تَفِضْ دَما
ولِلْيَوم أَعدَدْتُ الدُّموعَ وصُنْتُها وما يُسْتَجَمُّ الدمعُ إِلا لِيُسْجَما
وفي منزل الأحبابِ عُذْرٌ لذي الهوى فلا لَوْمَ إِلَّا أَنْ تَجورَ وتَظْلِما

وقال سعيدُ بنُ حُمَيْدٍ المنبجي المذحجي، المعروف بالدوقلة [1] :

هـل بالطُّلولِ لسائلٍ رَدُّ أَمْ هل لها بتـكلُّمٍ عَهْدُ ؟ [2]
دَرَسَ الجديدُ جَديدَ مَعْهَدِها وكأنَّمـا هي رَيْطَةٌ جُرْدُ [3]

---

(١) في فهرست ابن خـير ص ٤٠١ طبع سرقسطة : القصيدة اليتيمة : هل بالطلول لسائل رد . حدثني بها القاضي أبو بكر بن العربي ، قال : أخبرنا المبارك ابن عبد الجبار الصيرفي ، قال : أنشـدنا جميع قصيدة الحسين بن محمـد المنبجي ، ولقبه دوقلة القاضي أبو القاسم التنوخي ، قال: أنشدنا أبو الحسن محمـد بن عبيد الله ابن محمد النصيبي الأزدي مؤدبي ، وأخبرني أن أبا عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد صاحب ثعلب أنشده عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب لدوقلة المنبجي .

(٢) الأبيات في « الزهراء » ، المجلد الرابع : ٣٤٥ ، من قصيدة نشرها الاستاذ عبدالعزيز الميمني عن أصل مخطوط في مكاتب الهند . وهذه القصيدة قد تنازعها كثير من الشعراء ولم يعرف قائلها ، إلا أن أكثر الأدباء يميلون إلى أنها لواحد من هؤلاء الشعراء وهم العكوك الكندي ، وأبو الشيص ، ودوقلة المنبجي . انظر مجلة « الزهراء » المجلد الثالث : ٢٢٤ ، ٣٦٢ .

(٣) الريطة : الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ، ونسجاً واحـداً . والجرد : الخلق من الثياب الذي سقط زئبره .

من طول ما تبكي الغيومُ على عَرَصاتِها ويُقَهْقِهُ الرَّعدُ
وتُلِثُّ سارِيَةٌ وغادِيَةٌ ويَكُرُّ نَحسٌ خَلْفَهُ سَعْدُ (١)
تلقى شآمِيَةٌ يَمانِيَةً لهما بمَوْرِ تُرابِها سَرْدُ (٢)
فوقفْتُ أَسأَلُها وليسَ بها إلّا المَها ونَقانِقٌ رُبْدُ (٣)
فتناثَرَتْ دُرَرُ الشُّؤونِ على خَدِّي كما يتناثرُ العِقْدُ

وقال أيضاً :

خَبِّرَنّي أيُّها الطَّلَلُ الأُلى حَلُّوكَ ما فعلوا
قال لي لا عِلْمَ لي بهمُ أيُّها المشتاقُ مُذْ رَحَلُوا
فابْكِهِمْ ثم ابكني معهم بجفونٍ ماؤُها خَضِلُ
تنْسُجُ النكباءُ في دِمَني للبِلى ثوْباً وتَغْتَزِلُ
فإذا ما أَخلَقَتْ حُلَلٌ جُدِّدَتْ لي بعدَها حُلَلُ

---

(١) في الأصل تحت كلمة « نحس » ما نصه : يعني الدبران والعقرب . ألثت السحابة : دامت أياماً فلم تقلع ، والسارية : السحابة تأتي ليلاً ، والغادية : السحابة تأتي بكرة .

(٢) في « الزهراء » « تلقاء شامية يمانيةً » ومار التراب : ثار ، ومارت الريح التراب: أثارته ، والسرد : التتابع .

(٣) المها : بقر الوحش ، والنقانق : جمع نَقْنَق ، وهو الظليم ، وظليم أربد، ونعامة ربداء : لونها كلون الرماد ، والجمع رُبْد .

قلتُ : إنَّ القلبَ بعدَهم مِنْ عزاءٍ عَنْهُمُ عُطُلُ
عصفَتْ فيه رياحُ هوىً فكلانا بعدَهم طَلَلُ

وقال مهيار :

هل عندَ هذا الطَّلَلِ الماحلِ إجابةٌ تُجْدي على سائلِ ؟ (١)
أَصمُّ بل يَسمَعُ لكنَّهُ مِنَ البِلى في شُغُلٍ شاغلِ
وقفتُ فيها شَبَحاً ماثِلاً مُرْتَفِداً من شَبَحٍ ماثِلِ (٢)
ولا ترى أعجبَ من ناحلٍ يشكو ضنى الجسْمِ إلى ناحلِ
لهفَكِ يا دارُ ولهفي على قَطينِكِ المحتملِ الزَّائلِ
قلبيَ للأحزانِ بعدَ النَّوى وأنتِ للسَّافي وللنَّاخلِ
مِثلانِ في السقْمِ ولي فَضْلَةٌ بالعَقْلِ والبلْوى على العاقلِ (٣)

★ ★ ★

(١) ديوانه ٢١٨/٣ ، وفيه : « من جلد يجدي » .
(٢) في الديوان : مرتعداً.
(٣) في الديوان : « مثلك » بين معقفين ، وكتب مصحح الديوان في الهامش هذه الكلمة في الأصل هكذا : « مثادن » .

فصل آخر
في ذكر الأطلال

قال امرؤ القيس بن حُجْر :

أَلا انعمْ صباحاً أَيُّها الطَّلَلُ البالي وهلْ ينْعَمَنْ مَنْ كانَ في العُصُر الخالي [1]

وهل ينعَمَنْ إلّا سعيدٌ مُخَلَّدٌ قليلُ الهموم لا يَبِيتُ بأوْجالِ [2]

ديارٌ لسُعْدى عافياتٌ بذي الخالي ألحَّ عليها كلُّ أَسْحَمَ هطَّالِ [3]

---

(١) ديوانه : ٢٧ ، و « مختار الشعر الجاهلي » : ٣٤ وفيها : « ألا عم . . . وهل يعمن . . . » وانعم وعم : بمعنى واحد . دعا للطلل بالنعيم والأهل ، وأن يسلم من الآفات على عادة العرب ، كأنهم يعنون بالدعاء أهل الطلل ، ثم قال : من طال عليه الزمان وأبلاه كيف يكون ناعماً ؟! أو المعنى : تفرق أهلك وذهبوا ، فكيف تنعم بعدهم !.

(٢) المخلد : الطويل العمر ، الرخي البال ، أي : لا ينعم في هذه الحياة إلا المخلد بسعادة الجد ، الذي يبيت وقلبه فارغ من الهموم .

(٣) في الديوان « . . . لسلمى . . . بذي خال » ألح : دام عليها . والأسحم : السحاب الأسود لكثرة مائه ، والهطال : المطر الدائم وليس بالشديد ، يصف أنَّ هذه الديار قد تعفَّت ودرست لالحاح المطر عليها ، ولزومه إياها .

وقال طرفة بن العبد [(١)] :

لِهِنْدٍ بِحُزَّانِ الشَّرِيفِ طُلُولُ ... تلوحُ وأدْنَى عَهْدِهِنَّ مُحِيلُ [(٢)]

وبالسَّفْحِ آياتٌ كأَنَّ رُسُومَها ... يَمانٌ وَشَتْهُ رَيْدَةٌ وسَحِيلُ [(٣)]

فغيَّرْنَ آياتِ الدِّيارِ مع البِلَى ... وليس على رَيْبِ الزَّمان كفيلُ

بما قد أرى الحيَّ الجميعَ بغبطةٍ ... إِذِ الحيُّ حَيٌّ والحُلولُ حُلُولُ [(٤)]

وقال ربيع بن قَعْنَب [(٥)] :

أَلَمْ تَرَ للأَطلال يومَ سُوَيقةٍ ... عَفَتْ بعدَ عهد الحيِّ فهي قُفُورُ

---

(١) هو طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك البكري ، واسمه : عمرو ، شاعر جاهلي ، كان في حسب من قومه ، جريئاً على هجائهم وهجاء غيرهم ، وكان من أحدث الشعراء سناً ، وأقلهم عمراً . قتل وهو ابن عشرين سنة ، وقيل : ابن ست وعشرين.

(٢) ديوانه : ٧٩ ، و « مختار الشعر الجاهلي » ٣٣٧ ، والحزان ، بضم الحاء وكسرها : جمع حزيز ، والحزيز من الأرض : موضع كثرت حجارته ، وغلظت كأنها السكاكين . والشريف : واد بنجد ، يقال لما ولي المغرب منه : الشرف ، ولما ولي المشرق : الشريف ، ومحيل : أتى عليه الحول .

(٣) في «مختار الشعر الجاهلي»: وسحول. وفي الأصل تحت هذا البيت مانصه : ريدة : قرية باليمن ، وسحيل : ريح تسحل ، أي : تقشر . اهـ وفي الشرح : السفح : أسفل الجبل أو اسم موضع ، وآيات : علامات تعرف بها الديار ، ويمان : أي ثوب يمان ، ووشته : زينته ، وريدة وسحول : قيل: قريتان باليمن ، وقيل: قبيلتان ، وفي الديوان بعد هذا البيت :

أربَّت بها نأآجة تزدهي الحصى ... وأسحمُ وكاف العشيِّ هطولُ

(٤) بما قد أرى : بمدة ما أرى ، والغبطة : حسن الحال والمسرة ، والحلول: القوم النازلون.

(٥) ذكره الآمدي في « المؤتلف والمختلف » ١٨٢ ، فيمن يقال له : ربيع ، —

تحمَّلَ منها بعد طُولِ إقامَـةٍ حِسانٌ نَقيَّاتُ المدامعِ حُورُ

دعاهُنَّ سَيْرٌ بعدَخَفْضٍ ورُفِّـعَتْ لهنَّ على بُزْلِ الجمالِ خُدورُ

فأَصْبَحتُ لا أدري لدُن أنْ رأيْتُهم أتى حَدَبٌ دُون الجميع وَقورُ

وحتى رأيتُ الحيَّ تعفو عِراصَهُم يمانيةٌ تُسـدي البِلى وتُنـيرُ [1]

ونَفْحُ جَنوبٍ أو شِمالٍ مُلِثَّةٍ تُعارِضُهـا بالمعصِفـاتِ دَبُورُ

وقال جرير بن عطيَّة :

بقيتْ طُلُولُكِ يا أُمامَ على البِلى لا مِثْلَ ما بقيتْ عليه طُلُولُ [2]

عفتِ الجنوبُ مع الشَّمال رسومَها وصَباً مُزَمْزِمَةُ الحنين عَجولُ [3]

أَعذَرْتُ في طلبِ النَّوالِ إليْكمُ لو كان مَنْ مَلَكَ النَّوالَ يُنيلُ

ـــ واقتصر على قوله « ومنهم الرَّبيع بن قعنب الفزاري أيضاً » ، وقال البكري في « معجم ما استعجم » مادة : « عريجاء » . وكذلك قول ربيع بن قعنب الفزاري ، وكان أرطاة بن سهية قال له :

لقد رأيتُك عُرياناً ومؤتزِراً فلست أدري أأنثى أنت أم ذكر

فأجابه ربيع ، وأرطاة من بني مرة :

لكن سهية تدري أنني رجل على عريجاء لمـا حلَّت الأزر

(١) تسدي : تحوك سداها ، وتنير : تحوك نيرهـا ، وهو في الأصل لحمة الثوب . قال في « الأساس » ومن المجاز : والريح تسدي المعالم وتنيرها .

(٢) ديوانه : ٤٧٢ من قصيدة يمدح بها عبد الملك ويهجو الأخطل .

(٣) في الديوان « نسج . . . . . الرّباب . . . »

إنْ كانَ دهرُكمُ الدَّلالُ فانهُ ... حَسَنٌ دلالُكِ يا أُمَيمَ جَميلُ [1]

لا يَبْعُدَنْ أُنسٌ تقادَمَ بعدَكم ... طَلَلٌ ببُرْقَةِ رامَتينِ مُحيلُ

ولقد نكونُ إذا يُحَلُّ بغِبطَةٍ ... أيامَ أَهلُكِ للدِّيارِ حُلولُ [2]

ولقد تُساعِفُنا الدِّيارُ وعَيْشُنا ... لو دام ذاكَ كما نُحِبُّ ظليلُ

فسقى دِيارَكِ حيثُ كُنْتِ مُجلْجِلٌ ... هَزِجٌ ومِنْ غُرِّ السَّحاب هَطولُ

وقال عمارة بن بلال بن جرير بن عطية [3] :

ألا فاسْلَما يا أيُّها الطَّلَلان ... وإنْ هِجْتُما عيني على الهمَلانِ

وهلْ دَمْعُ عينيَّ اللَّجوجَين راجعٌ ... ليالي حلَّ الحيُّ هَضْبَ عُرانِ [4]

كأنَّ زَماناً حَلَّه الحيُّ باللِّوى ... لِوَى ثَرْمَدَاء لم يكنْ بزمانِ

---

(١) في الديوان « ... طبكم ... »

(٢) في الديوان « ولقد تكون إذا تحل بغبطة .... بالديار ... »

(٣) هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية الخطفى ، شاعر مقدم فصيح، كان يسكن البادية ويزور خلفاء الدولة العباسيه ، فيجزلون صلته ، وعنه أخذ أبو العباس المبرد ، وأبو العيناء ، ترجمته في «الأغاني» ٢٣/٤٢٤ ، و«طبقات ابن المعتز» : ٣١٦ ، و « معجم الشعراء » : ٧٨ ، و « تاريخ بغداد » ٢/٢٨٢ ، و « رغبة الآمل » ١/١٢٨ .

(٤) « عران » ضبطت في الأصل بضم العين وفي « معجم البلدان » : عران، بكسر أوله : موضع قرب اليمامة عند ذي طلوح من ديار باهلة .

وَلَمْ نَغْنَ في أَيَّامِهِ أَحْسَنَ الغِنى ... وشَعْبا جميعِ الشَّمْلِ متَّفِقان

إذا قُلتُ أَنسى ذِكرَ أَسماءَ هَيَّبَتْ ... بقلبي دواعي حُبِّها فعصاني

رُوي عن مُوَيْلِك عن أبيه[1] قال: قال لي سائب خاثر يوم الحرّة[2]

ألا أُسمعك شيئاً قد صنعته؟ قلت: نعم، فغنّاني:

لِمَنْ طَلَلٌ بين الكُراع إلى القَصْر ... يغيّبُ عنّا آيَه سَبَلُ القَطْرِ[3]

إلى خالداتٍ ما تَرِيمُ وهامِدٍ ... وأَشعَثَ تُرْسِيهِ الوَليدَةُ بالفِهْرِ[4]

---

(١) الخبر في «الأغاني» ٨/٣٢٥.

(٢) هو يوم ليزيد بن معاوية على أهل المدينة، سنة ٦٣ هـ، والحرة: أرض ذات حجارة سود نخرة، كأنها أحرقت بالنار، والحرار كثيرة في بلاد العرب، أكثرها حوالي المدينة إلى الشام، والحرة التي وقعت فيها هذه الوقعة تقع شرقي المدينة، واسمها حرة واقم، قال عبيد الله بن قيس الرقيات:

تُذَكِّرني قَتْلى بحرَّة واقم ... أُصيبَتْ وأرحاماً قُطِعْنَ شوابكا

وانظر خبر هذا اليوم «تاريخ الطبري» ٧/١.

(٣) كراع الأرض: ناحيتها، وهو أيضاً ما سال من أنف الجبل أو الحرة، وكراع الغميم: موضع بناحية الحجاز، بين مكة والمدينة، وهو واد أمام عسفان بثمانية أميال.

(٤) الأشعث: الوتد، وترسيه: تثبته، والفهر: حجر يملأ الكف، وقد ورد هذا البيت في «اللسان» «رسا» منسوباً للأحوص بلفظ «سوى خالداتٍ ما يُرمن وهامدٍ . . . . .».

فسمعت عجبـاً مُعْجِباً ، ثم ذكر أهلَه وولدَه فبكى ، فقلت له : فما يمنعك منهم ؟ قال : أمّا بعد شيء سمعتُه من يزيد بن معاوية فلا . ثم تقدم فقاتل بسيفه حتى قتـل . وسائب خاثر مولى بني ليث ، اشترى عبدُ الله بن جعفر رضي الله عنهما ولاءَه من مواليـه ، وقيل : اشتراه وأعتقه ، فانقطع إلى عبد الله ولزمه ، وهو أول من عمل العود بالمدينة ، وغنّى به [1] .

وقال ذو الرمة غيلان بن عقبة بن مسعود :

لميَّـةَ أطـلالٌ بحُزْوى دواثِرُ　　عَفَتْها السَّوافي بعدَنا والمواطِرُ [2]

كأنَّ فؤادي هاضَ عِرفانُ رَبْعِها　　بها وَهْيَ ساق أَسلَمَتْها الجبائِرُ [3]

---

(١) انظر ترجمته في « الأغاني » ٨/٣٢٤ ، و « تهذيب ابن عساكر » ٦/٦٣ ، و « نهاية الأرب » ٤/٢٤٣ .

(٢) ديوانه : ٣٢٧ من قصيدة يمـدح بها بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري . والدواثر : التي قد امّحت ، وعفتها : درستها ، والسوافي : الرياح تسفي التراب ، والمواطر : السحائب .

(٣) في الديوان : و « الخزانة » ٣/٦٤٥ « به وعي » قال البغدادي ، والهيض: الكسر بعد الجبر ، وضمير « به » للفؤاد ، والوعي : الجبر ، وأسلمتها : خذلتها، والاسلام : التخلية والخذلان ، والجبارة بالكسر : ما شددت به الكسر من الأعواد، وعرفان : فاعل هاض ، ووعي مفعوله .

عَشِيَّةَ مسعودٌ يقول وقد جَرى على لِحيتي مِنْ دَمْع عينيَّ قاطِرُ : [١]

أَفي الدَّار تبكي أنْ تفرَّق أهلُها وأنتَ امرؤٌ قدحَلَّمَتْكَ العشائِرُ ؟! [٢]

فلا ضَيرَ أنْ تَستَعْبرَ العينُ إنني على ذاكَ إلّا جَوْلَةَ الدَّمع صابرُ [٣]

فيامَيُّ هل يُجزى بكائي بمثلهِ إليكِ وأنفاسي عليكِ الزَّوافِرُ [٤]

وأنِّي متى أُشرِفْ إلى الجانبِ الذي به أَنتِ مِنْ بين الجوانب ناظِرُ [٥]

وأن لا ينالَ الرَّكبُ تَهويمَ وقعةٍ مِنَ اللَّيل إلّا اعتادني منكِ زائرُ [٦]

---

(١) في الديوان « من عبرة العين قاطر » وقال البغدادي : مسعود : هو أخو ذي الرمة .

(٢) قال البغـدادي : قوله : أفي الدار ، هو مقول مسعود ، و«أن تفرق» : مجرور باللام المقدرة . وأنت امرؤ : جملة حالية ، وحلمتك : وصفتك بالحلم .

(٣) يقول : أنا صابر على كل حال ، ثم استثنى حال جولة الدمع في العين ، فانه يقصر ، لا يقدر أن يرده .

(٤) في الديوان « . . . مراراً وأنفاسي . . . » والزفرة : صوت يخرج من الصدر . يريد : هل تبكين مثل بكائي مراراً .

(٥) في الديوان « على الجانب . . . » يريد : وأني متى أشرف على الجـانب الذي لك فيه منزل ، فاني إليه ناظر من بين الجوانب من الأرض . وبعد البيت:

وأن لا بني يا ميُّ من دون صحبتي لكِ الدَّهرَ من أحدوثة النفس ذاكر

(٦) التهويم : النوم القليل ، وقعة : نومة عند الصبح ، والزائر : الخيال ، شبهها يؤمه عند نومه .

وقال عُمر بن أبي ربيعة المخزومي :

بوَجرةَ أطلالٌ تعفَّتْ رُسومُها ... وأقفرَ مِنْ بَعدِ الأنيس قديمُها [(١)]

تلوحُ على طُولِ الزَّمانِ عِراصُها ... كما لاحَ في كفِّ الفتاةِ وُشومُها

وقفتُ بها والعينُ شامِلَةُ القَذى ... كعينِ طريفٍ ما يجفُّ سُجُومُها [(٢)]

فذلكَ هاجَ الشَّوقَ مِنْ أُمِّ نَوْفلٍ ... وذِكرى لنفْسٍ جَمَّةً ما تَرِيمُها [(٣)]

فقد أدركَتْ عندي مِنَ الوُدِّ فوقَ ما ... تمنَّت بغيبٍ أو تمنَّى حَميمُها

وقال آخر :

عفا مِنْ آلِ بَلْجاءَ الطُّلولُ ... وجَدَّ البينُ وانقطعَ الوَسيلُ

وصاحَ بصَرْمِها من بَطْنِ قَوٍّ ... غَداةَ البين شَحَّاجٌ حَجولُ [(٤)]

مِنَ الّلائي لَعُنَّ بكلِّ أرضٍ ... فليس لَهنَّ في بلدٍ قَبولُ

يباصِرْنَ النَّوى فاذا اشمَعَلَّتْ ... بأهلِ الدَّارِ واقلَوْلَى الحُمولُ [(٥)]

تبادَرْنَ الدِّيارَ يَمِسْنَ فيها ... وبِئْسَ مِنَ المليحاتِ البديلُ

---

(١) ديوانه : ٢٢٠ ، وجرة : موضع بينه وبين مكة مرحلتان .

(٢) القذى : كل ما يقع في العين من غمص أو غيره ، وقوله « والعين شاملة القذى » يريد أن عينيه دائمة البكاء ، والطريف : الذي طرفت عينه ، وسجومها : انصباب دمعها .

(٣) ما تريمها : ما تفارقها ولا تبرحها .

(٤) الشحاج : الحمار الوحشي صفة غالبة .

(٥) اشمعلت : أسرعت ، واقلولى القوم : رحلوا .

وقال طهمان بن عمرو [١] :

أَلا يا اسْلَما بالنير مِنْ أمِّ واصل ... ومِنْ أمِّ جَبْرٍ أيها الطَّلَلانِ

وهلْ يسلَمُ الرَّبعانِ يجري عليهما ... صَباحَ مساءَ دائمُ الهطَلانِ

كفى حَزَناً أني تطالَلتُ كي أرى ... ذُرى عَلَمي دَمْخٍ فما تُريانِ [٢]

كأنَّهما والآلُ يجري عليهما ... مِنَ البُعْدِ عينا بُرْقُعٍ خَلَقانِ

أَلا حَبَّذا والله لو تَعْلَمانِهِ ... ظِلالُكُما يا أيُّها العَلَمانِ

وماؤُكُما العَذْبُ الذي لوْ شَرِبْتُهُ ... وبي صالِبُ الحُمَّى إذاً لشفاني

وقال أبو الصفي رفاعة بن قيس :

سَقى الله أطْلالاً لبَلْجاءَ بالغَضى ... كساها البِلى والنَّأْيُ لِبْداً على لِبْدِ

وأيامنا اللاتي مَضَيْنَ بعاقِلٍ ... فَغَيْرَ ذَميماتٍ مَضَيْنَ ولا نُكْدِ

لقد كانَ لي ليلٌ بِبَلْجاءَ مَرَّةً ... قَصيرٌ إذا ما اللَّيل طالَ على الرَّمْدِ

وقال زهير بن أبي سلمى :

لِمَن طَلَلٌ بِرامَةَ لا يَريمُ ... عَفا وخَلا لَهُ حِقَبٌ قديمُ [٣]

---

(١) هو طهمان بن عمرو ، شاعر اسلامي ، كان في زمن عبد الملك بن مروان، وهو أحد صعاليك العرب وفتاكهم «سمط اللآلي» ٤٧٣. والأبيات في «معجم البلدان» ٤/٧١.

(٢) تطاللت : مددت عنقي لأنظر . ودمخ : جبل بين أجبال ضخام في ناحية ضرية .

(٣) ديوانه : ٢٠٦ و « مختار الشعر الجاهلي » : ٢٧٤ من قصيدة يمدح بها هرم ابن سنان بن أبي حارثة المرّي وفيه « عهد قديم » . والطلل : ما كان له شخص —

تَحَمَّلَ أَهْلُهُ مِنْهُ فبانُوا وفي عَرَصاتِهِ منهم رُسُومُ (١)
يَلوحُ كأنَّهُ كَفَّا فتاةٍ تُرَجِّعُ في مَعاصِمِها الوُشُومُ (٢)

وقال كثيِّر :

أَمِنْ طَلَلٍ أَقْوى من الحيِّ ماثِلُه تُهيِّجُ أحزانَ الطَّروبِ مَنازِلُه (٣)

— على وجه الأرض ، والرسم : أثر لا شخص له ، لا يريم : لا يبرح هو ثابت على قدم الدهر ، ورامة : منزل بينه وبين الرمادة ليلة في طريق البصرة إلى مكة ، ومنه إلى إمَّرة وهي آخر بلاد بني تميم ، وبين رامة والبصرة اثنتا عشرة مرحلة. عفا : درس ، وخلا : مضى ، « حِقَب » الواحدة : حقبة ، وهي السنة ، وعلى هذا يكون « قديم » وصفاً لطلل . وفي الشرح : وقوله : « لمن طلل » ليس ذلك استفهاماً منه ، لأنه لا يجهل الطلل ، وكيف يجهله وهو يقول : برامة ، ثم قال : لا يريم ، ولكنه من شدة وجده على أهله ، فكأنه قال : كأنك لم تعهد به أهله قط .

(١) تحمل أهله : ارتحلوا ، والعرصة : ما ليس فيه بناء من الدار ، وهي وسط الدار ، سميت بذلك لاعتراص الصبيان فيها ، أي : لعبهم ومرحهم . والرسوم : الآثار .

(٢) في « مختار الشعر الجاهلي » : « يلحن كأنهن يدا فتاة » فمن قال « يلوح » ذهب إلى الطلل ، ومن قال : يلحن ، ذهب إلى الرسوم ، والوشوم : جمع وشم ، وهو نقش في ظاهر الكف أو المعصم يحشى نؤوراً أو كحلاً . قال ثعلب : والمعاصم : مواضع الأسورة ، وترجيعه : يعيد تمليه مرة بعد مرة ، وهو أجدر ألا يتبين .

(٣) ديوانه ٢٥٨/١ عدا البيت الأول والثاني ، مع اختلاف في الترتيب .

بكيتَ وما يُبكيكَ مِنْ رَسْم دِمْنَةٍ أضَرَّ بهِ جَودُ الشَّمال ووابلُه [١]

وحُبُّكِ يُنْسيني مِنَ الشَّيءِ في يدي ويُذهِلُني عن كلِّ شيءٍ أُزاوِلُه [٢]

سيهلِكُ في الدُّنيا شَفيقٌ عليكُمُ إذا غالَهُ مِنْ حادثِ الدَّهرِ غائلُه

كريمٌ يُميتُ السِّرَ حتى كأنَّه إذا استَخْبَروه عَنْ حديثِكِ جاهلُه [٣]

ويَرْتاحُ لِلْمَعْروفِ في طَلَبِ العُلى لِتُحْمَدَ يوْماً عند عَزَّ شمائلُه [٤]

وقال ذو الرمة :

خليليَّ عُوجا عَوْجَةً ناقتَيْكُما على طَلَلٍ بينَ القَرينةِ والحَبْلِ [٥]

بجَرْعائِها مِنْ سامِرِ الحيِّ مَلْعَبٌ وآريٌّ أفْراسٍ كجُرْثُومَةِ النَّمل [٦]

---

(١) جاد المطر جوْداً : وبل فهو جائد ، والجمع جود ، مثل صاحب وصحب ، ومطر جود : بين الجود غزير .

(٢) أزاوله : أحاوله .

(٣) في الديوان « إذا استبحثوه » .

(٤) قوله « ويرتاح » ويروى « ويهتز » وفي « الديوان » : « عند ليلى » .

(٥) ديوانه : ٥٧٠ ، وفي « معجم ما استعجم » : القرينة : على وزن فعيلة : موضع قبل حزوى . قال ذو الرمة :

عفا الزرق من أكناف ميَّة فالدَّحل فأكناف حُزوى فالقرينة فالحبل

قلت : ورواية الشطر الثاني من البيت في الديوان : ٥٤٢ : « فأجماد حوضى حيث زاحمها الحبل » .

(٦) في الأصل تحت هذا البيت ما نصه : شبه ما تهدم من مرابط الخيل بما –

كأنْ لم يكُنْها الحيُّ إذ أنتَ مرّةً ... بها ميّتُ الأهواء مُجتمِعُ الشَّمْلِ (١)

بَكَيْتُ على ميٍّ بها إذْ عرفْتُها ... وهِجْتُ البُكا حتى بكَى القومُ منْ أجلي (٢)

وهلْ هَملانُ العينِ راجعُ ما مضى ... مِنَ العَيْشِ أوْ مُدْنيكِ يامَيُّ مِنْ أهلي

وقال ذو الرمة أيضاً :

قِفِ العيس في أطلالِ مَيَّةَ فاسْألِ ... رُسوماً كأخلاقِ الرِّداءِ المُسَلْسَلِ (٣)

أَظُنُّ الذي يُجدي عليكَ سُؤالُها ... دُموعاً كتبذيرِ الجُمانِ المُفَصَّلِ (٤)

وما يومُ حُزْوى إنْ بكيتَ صبابَةً ... لِعرفانِ رَبْعٍ أوْ لعرفانِ مَنْزِلِ

ـ يخرجه النمل من التراب عند بيوته . السامر : الذين يسهرون ويتحادثون بالليل ، والآري : المرابط ، والجرثومة : قرية النمل .

(١) في « الأساس » وتقول : أقفرت الدار كأن لم يكنها أحـــد ، أي : لم يكن بها .

(٢) في الديوان بعد هذا البيت :

فظلّوا ومنهم دمعُه غالبٌ لــه ... وآخرُ يَثني عَبرَةَ العين بالهمْل

(٣) ديوانه : ٥٨٦ . ويروى « قف العنس » وثوب مسلسل : رق من البلى ولبسته حتى تسلسل . والأخلاق : جمع خلق ، وهو البالي .

(٤) في شرح المقامات للشريشي ١/٢٨٤ ، وشرح « الشواهد الكبرى » للعيني ٤/٤٤٥ « كتبديد الجمان » يقال : ما أجدى عليه ، أي : ما أعطاه ، وأضمرت الهاء في «يجدي» .

بأوّل ما هاجَتْ لكَ الشَّوْقَ دِمنَةٌ بأجراع مِحْلالٍ مَرَبٍّ مُحَلَّلِ (١)
عَفَتْ غيرَ آرِيٍّ وأعضادِ مَسْجِدٍ وسُفْعٍ مُناخاتٍ رواحلَ مِرْجَلِ (٢)
تَجُرُّ بهـا الدَّقْعاءَ هيفٌ كأنَّهـا تَسُحُّ الترابَ مِنْ خَصاصاتِ مُنْخُلِ (٣)
دعتْ مَيَّةَ الأعدادُ واستبدَلَتْ بها خَناطِيلَ آجالٍ مِنَ العِينِ خُذَّلِ (٤)

وقال جميل بن مَعْمَر العُذْري :

أَلَمْ تَرْبَعْ فتُخْبِرْكَ الطُّلُولُ وقد سَاءَلْتَ لو نَفَعَ السُّؤُولُ
وكيفَ سُؤالُ خَيْماتٍ بَوالٍ ونُؤْيٍ عَهْـدُ أحدَثِهِ مُحِيلُ

---

(١) في الديوان « بأجراع مرباع » ويروى « بأجرع مقفار » أراد : وما يوم حزوى بأول ما هاج لك الشوق . ومرب : أي : موضع إقامـة وحلول ، يقال : رب بالمكان وأربّ : إذا أقام به .

(٢) الآري : مربط الدواب ، وأعضاد : جوانب ، وسفع : سود ، يعني الأثافي. مناخات : مقيمات . رواحل : لأن المرجل يعلوها ، والمرجل : القدر الكبير .

(٣) الدقعاء : الـــتراب الرقيق ، والهيف : ريح حارة . تسح : تصب . خصاصات : فروج .

(٤) جاء تفسير البيت في الأصـــل ونصه : يقول : لما نضبت مياه منازلهم ارتحلوا إلى الأعداد ، وهي المياه التي لها مادة في الصيف والشتاء ، فكأنها دعتها . والخناطيل : أقاطيع الظباء والبقر ، الواحـــدة : خنطلة ، وإجل . والعين : البقر الوحشي ، وخذلت : أقامت وتخلفت عن قطعانها ، والواحدة : خاذل اهـ . قلت : والآجال : جمع إجل ، وهو القطيع من الوحش .

لئنْ أمْسى خَلاءً بعـدَ جُملٍ   لقد يَغْنى بـه الأَنسُ الحُلولُ [١]

وقال البحتري :

هـلَّا سَأَلتَ بجوِّ ثهمدْ   طَلَلاً لميَّة قـد تأبَّدْ ؟ [٢]

دَرَستْ عِهادُ الغيثِ مِنْـ   ـهُ فحالَ عمّـا كنتَ تعهَدْ [٣]

ولقـدْ يُساعِفُ ذا الهوى   بأوانِسٍ كالوَحْش خُرَّدْ [٤]

وقال سويد بن كراع العكلي [٥] :

---

(١) في « اللسان » : والأنس ، بالتحريك : الحي المقيمون ، والأنس أيضاً لغة في الانس .

(٢) ديوانه ٦٠٤/١ من قصيدة يمدح بها الحسن بن مخلد . والجو : ما اتسع من الأودية ، وتأبد : أقفر وألفته الوحوش ، وثهمد : قال ياقوت ، قال نصر : ثهمد : جبل أحمر فارد من أخيلة الحمى حوله أبارق كثيرة في ديار غني ، وقال غيره : ثهمد : موضع في ديار بني عامر .

(٣) العهاد : مطر الربيع .

(٤) في « اللسان » : أسعفه على الأمر : أعانه ، وأسعف بالرجل : دنا منه ، والخرد : الأبكار أو الخفرات . وقوله : كالوحش ، أي : عسيرات المنال .

(٥) هو سويد بن كراع العكلي أحد بني الحارث بن عوف بن وائل بن قيس بن عُكل ، شاعر فارس مقدم من شعراء الدولة الأموية ، وكان في آخر أيام جرير والفرزدق . ترجمته في « الأغاني » : ٣٤٠/١٢ ، و « طبقات فحول الشعراء » : ١٤٧ ، و « الشعر والشعراء » : ٦١٦ .

خليليَّ قوما في عُطالةَ فانظرا أناراً ترى مِنْ آل يَبْرِينَ أمْ بَرْقا ؟ (١)

فان تكُ ناراً فهي في مُشْمَخِرَّةٍ مِنَ الرِّيح تَذْروها وتَصْفِقُها صَفْقا (٢)

لِأُمِّ عليٍّ أوقدَتْها طَماعةً لِأَوْبةِ سَفْرٍ أن تكونَ لهم وفْقا (٣)

وحُطَّا على الأطلال رَحْلِي فإنَّها لَأَوَّل أطلالٍ عرفْتُ بهـا العِشْقا

---

(١) الأبيات عدا الأخير في « الأغاني » ١٢/٣٣٩ ، و « طبقات فحول الشعراء» : ١٤٨ ، ورواية «الأغاني» : « أناراً أرى من نحو يبرين » ورواية « الطبقـات » « ترى من ذي أبانين » وفيها بعد هذا البيت :

فان يك برق فهو برق سحابة تغـادر ماء لا قليلاً ولا رنقـا

وعطالة : جبل منيف في بلاد تميم . وأبانان : جبلان شامخان في ديار بني عبد مناف بن دارم ، أحدهما أسود والآخر أبيض .

(٢) رواية « الأغاني » :

وإن تك ناراً فهي نار بملتقى من الريح تسفيهـا وتصفقهـا صفقا

قال أبو الفرج : ويروى : « تزهاها وتعفقها عفقا » وفي « الطبقات » : «تحركها ريح وتعفقها عفقاً » وصفقته الريح : ضربته وحركته ، يريد أن الرياح تحركها في هبوبها وتلطمها ، فيكون ذلك أشد لتسعرها والتهابها .

(٣) في « الطبقات » : « بأوبة سفر » قال الاستاذ محمود شـــاكر : أي : فهي نار لأم علي ، وأم علي صاحبته ، أوقدتها طمعاً أن تجد سفراً يبين ، توافق أوبتهم إيقاد نارها . والسفر : يعني نفسه وأصحابه . يذكر أنها تشتاق إليه كما يشتاق إليها ، فهي توقد النار رجاء أن يهتدي بها إذا كانت أوبته في الليل .

وقال الشريف المرتضى رضي الله عنه :

لَيسَ يُجْدي يا صاحِبيَّ وُقوفٌ   بطُلولٍ ولا يُرَدُّ سُؤالُ[(١)]

إنَّما الرَّبْعُ بالمُقيمينَ فيه   وهو خِلْواً مِنْ ساكنيهِ مِثالُ

وقال ذو الرمة :

أتَعْرِفُ أطلالاً بِوَهبينَ فالحَضْرِ   لِميٍّ كأنيارِ المُفَوَّفَةِ الخُضْرِ[(٢)]

فلَمّا عَرَفْتُ الدّارَ واعْتَزَّني الهوى   تذكَّرْتُ هلْ لي إنْ تصابَيتُ منْ عُذْرِ[(٣)]

فلم أرَ عُذْراً بعد عِشرينَ حِجَّةً   مَضَتْ لي وعشْرٌ قد مَضَيْنَ إلى عَشْرِ

فأخْفَيْتُ شَوْقي مِنْ رفيقي وإنَّهُ   لَذو نَسَبٍ دانٍ إليَّ وذو حِجْرِ[(٤)]

محلَّ الحِوائِنَ الذي لستُ رائياً   محَلَّهُما إلا غُلِبْتُ على الصَّبرِ[(٥)]

---

(١) ديوانه : ١٣ من قصيدة كتب بها إلى الوزير أبي الحسن بن أحمد مطلعها :

بنقا الرِّمْث من شراف غزالٌ   ضلَّ عني وليس منه الضلال

(٢) ديوانه : ٢٤٨ من قصيدة يمدح بها بلال بن أبي بردة . والمفوفة : ضرب من الثياب ، يقال لها : الفوف .

(٣) اعتزني الهوى : غلبني .

(٤) يروى : « ما بي عن رفيقي » والحجر هاهنا : العقل ، وقيل : القرابة.

(٥) المحل : المنزل ، والأحوية : الأبيات يقابل بعضها بعضاً ، ونصب المحل بالبدل من الدار ، وقيل : هو ظرف متعلق بفعل « أخفى » أراد : فأخفى شوقه محل الحوائين ، ومحلها : حيث نزلا .

فهاجَتْ عليكَ الدَّارُ ما لسْتَ ناسِياً　　مِنَ الحاجِ إلَّا أنْ تُناسي على ذُكْرِ [(١)]

إذا قُلْتُ يَسْلُو ذِكرَ مَيَّةَ قلبُهُ　　أبى حُبُّها إلا بقاءً على الدَّهرِ [(٢)]

وقال ذو الرمة أيضاً :

عَلَيكُنَّ يا أطلالَ مَيٍّ بشارعٍ　　على ما مضى مِنْ عَهْدِكُنَّ سَلَامُ [(٣)]

عَلامَ سألناكُنَّ عن أُمِّ سالِمٍ　　ومَيٍّ فلم يَرْجِعْ لكنَّ كلامُ

هوىً لكِ لا يَنْفَكُّ يدعو كما دَعا　　حَماماً بأجْزاع العَقيق حَمامُ [(٤)]

إذا هَمَلَتْ عيني لهُ قال صاحبي　　لمثلكَ هذا فِتْنَةٌ وغَرامُ ؟! [(٥)]

وقال البحتري :

---

(١) من الحاج : يريد : من الحوائج ، أي : من ذكرها . إلا أن تخادع نفسك وأنت ذاكر لها .

(٢) في الديوان « إلا بقاء على الهجر » وقلبه : يعني قلب نفسه .

(٣) ديوانه : ٦٤٦ وفيه بعد هذا البيت :

ولا زال نوءُ الدَّلوِ يبْعَقُ ودقه　　بكنَّ ومن نوء السماك غمام

بكلِّ جديٍّ غير ذات برايةٍ　　عليكن مجرى جانح ومنام

(٤) في الديوان « ما ينفك يدعوك ما دعا حماماً . . . » لك : يعني نفسه ، والأجزاع : منعطف الوادي ، واحده : جزع ، وكل واد : عقيق .

(٥) في الديوان « . . . عيني لها . . . » الغرام : الهلاك ، والبلاء ، والولوع .

وقفنا فلا الأَطلالُ رَدّتْ إجابَةً ... ولا العَذْلُ أجدى في المشوقِ المخاطَبِ [(١)]

وما انفكَ رَسمُ الدَّارِ حتى تهلَّلتْ ... دُموعي وحتى أكثرَ اللّوْمَ صاحبي [(٢)]

تَمادَتْ عَقابيلُ الهوى وتطاولَتْ ... لَجاجَـةُ مَعْتوبٍ عليـهِ وعاتبِ [(٣)]

وقال زهير :

أَمِنْ آلِ سَلْمى عرفتَ الطُّلولا ... بذي حُرُضٍ ماثلاتٍ مُثُولا [(٤)]

بَلِـينَ وتَحْسِبُ آياتِهِنَّ ... عن فَرْطِ حَوْلين رَقًّا مُحيلا [(٥)]

وقال أبو تمـام :

---

(١) ديوانه ١/١٠٨ و « الموازنة » : ٥٢٩ . من قصيدة يمدح بهـا المعتز بالله أبو عبد الله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد مطلعها :

أبعد الشباب المنتضى في الذّوائب ... أحاول لطف الود عند الكواعب

(٢) جاء ترتيب هذا البيت في « الديوان » و « الموازنة » قبل البيت الأول .

(٣) العقابيل : بقايا العلة والعداوة والعشق والشدائد .

(٤) ديوانه : ١٩٣ من قصيدة يمـدح بها سنان بن أبي حارثة . وحرض : قال ياقوت : واد عند النقرة لبني عبد الله بن غطفان ، بينه وبـــين معدن النقرة خمسة أميال . وماثلات : منتصبات ، ومثولاً : انتصابا .

(٥) بلين : درسن ، وآياتهن : علاماتهن . عن فرط حولين : عن مضي حولين ، ومحيل : أتى عليه حول . شبه رسوم الدار برق مكتوب قـد أتى عليه حول بحيث يتغير ويدرس .

أَأَطلالَ هِندٍ ساءَ ما اعْتَضْتِ مِنْ هندِ ... أَقايَضْتِ حُوْرَ العين بالعِينِ والرُّبْدِ (١)

فلا دمعَ ما لم يَجْرِ في إِثْرِهِ دَمٌ ... ولا وَجْدَ ما لم تَعيَ عن صفةِ الوَجْدِ (٢)

وقال أيضاً :

قِفْ بالطُّلولِ الدَّارِساتِ عُلاثا ... أضحى حِبالُ قَطِينِهِنَّ رِثاثا (٣)

قَسَمَ الزَّمانُ رُبُوعَها بينَ الصَّبا ... وقبولِها ودَبُورِها أَثْلاثا (٤)

---

(١) ديوانه ٥٩/٢ من قصيدة يمدح بها أبا العباس نصر بن منصور بن بسام. والعين : جمع عيناء ، وهي الحسنة العينين الواسعتها . وقوله « بالعين » أي : ببقر الوحش ، ورواية الديوان « بالعون » قال التبريزي : يجوز أن يكون جمع عوان من الوحش ، وهي الأتان التي قد حملت بطنين أو ثلاثة ، ويحتمل أن يكون جمع عانة ، وهي جماعة من حمير الوحش . والربد : جمع أربد وربداء ، والرُّبدة غبرة إلى السواد ، يريد النعام . وفي الديوان بعد هذا البيت :

إذا شئن بالألوان كن عصابة ... من الهند والآذان كنَّ من الصُّغد

لعجنا عليك العيسَ بعد معاجها ... على البيض أتراباً على النؤي والود

(٢) أي : لم تقض ما عليك لهذه ، إن لم تبك دماً ، ولا وجد بك ما كنت مطيقاً لأن تصف وجدك .

(٣) ديوانه ٣١٤/١ والأول والثاني في « الموازنة » ٤٦٤ من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق وفيه وفي « الموازنة » : « أمست » ، وقوله : « علاثا » أراد ترخيم « علاثة » قال التبريزي : ويقال : إنه كان مع أبي تمام غلام ، يقال له : علاثة . فيجوز مثل ذلك ، وقد يحتمل أن يفتعل الشاعر أسماء لغير موجودين ، فيستعين بها في القافية وحشو البيت . والقطين : أهل الدار ، والرثاث : جمع رث.

(٤) قال التبريزي : قيل في « القبول» إنها هي الصبا ، وقال النضر بن شميل : —

فتأبّدتْ مِنْ كلِّ مُخطَفَةِ الحشى ... غيداءَ تُكسى يارَقاً ورِعاثا [1]

وقال أبو نواس :

لِمَنْ طَلَلٌ عافي المحلِّ دَفينُ ... عفا آيُهُ إلا خَوالِدُ جُونُ [2]

كما اقترَنَتْ عند المساء حَمائمٌ ... غريباتُ مُمْسَىً ما لَهُنَّ وُكونُ

دِيارُ التي أمَّا جَنى رَشفاتِها ... فيحلو وأمَّا مَسُّها فيلينُ

وقال كثيّر بن عبد الرحمن الخزاعي :

متى أسْلُ عن سُعدى يَهِجْني لذكرها ... حَمائمُ أو أطلالُ دارٍ مَواثِلُ

أَضرَّ بها الأنواءُ والرِّيحُ والنَّدى ... وغَيَّرَ مَغناها الضُّحى والأصائِلُ

وقال أيضاً :

ـ القبول : ريح بين الصبا والجنوب ، وقال ابن الاعرابي: القبول : كل ريح لينة طيبة المس تقبلها النفس .

(١) تأبدت : خلت وأوحشت ، وهو مأخوذ من الأبد ، يريد أن الدهر طال عليها ، واليارق : قال الجواليقي : فارسي معرب ، وأصله : ياره ، وهو السوار ، وقد تكلمت به العرب . والرعاث : جمع رَعْثٍ ورَعثةٍ وهو القرط ، والغيداء : الطويلة العنق .

(٢) ديوانه : ٥٩٨ وفيه « عاري المحل » وقوله « دفين » يريد أنه بعيد عن العيون مستور عن الناس . والخوالد : الأثافي ، وهي الحجارة التي تنصب لتوضع عليها القدر ، وجون : سود .

لِعَزَّةَ أطلالٌ أبَتْ أنْ تَكَلَّما ... يَهيجُ مغانيها الطَّروبَ المُتَيَّما [(١)]

كأنَّ الرِّياحَ الذّارياتِ عَشِيَّةً ... بأطلالِهـا ينسُجْنَ رَيْطاً مُسهَّما [(٢)]

أبَتْ وأبى وَجْدي بعزَّةَ إذْ نأَتْ ... على عُـدَواءِ الدّارِ أنْ يتصرَّما [(٣)]

وقال أيضاً :

أهاجَكَ من سُعدى الغداةَ طلولُ ... بذي الطَّلحِ عافٍ بهـا ومُحيلُ [(٤)]

وما هاجـه منْ منزلٍ لعبتْ بهِ ... لِهوْجاءَ مِرْقالِ العشيِّ ذُيولُ [(٥)]

بما قد ترى سُعدى بهِ وكأنَّهـا ... طَلاً راشِحٌ للسّارحاتِ خَذولُ [(٦)]

---

(١) ديوانه : ١/١٦٧ ، و « منتهى الطلب » ١/٣٢٩ من قصيدة يمدح بها يزيد بن عبد الملك . مغانيها : منازلها . الطروب : الكثير الطرب .

(٢) الذاريات : التي تذري التراب ، أي : تفرقه . ريطاً مسهما : مخططاً ، والريط : واحده ريطة : وهي الملاءة إذا كانت قطعة واحـدة ، وقيل : هي الثوب اللين الدقيق .

(٣) في « اللسان » : العُدَواء : بعـد الدار ، والعداء : البعـد ، وكذلك العـــدواء .

(٤) الطلح : موضع بين المدينة وبدر .

(٥) الارقال : الاسراع ، يقال : ناقة مرقال ، ونوق مراقيل ، وأرقلت في سيرها : أسرعت . استعار الارقال للريح .

(٦) في « اللسان » الطلا : ولد الظبية ساعـة تضعه ، وجمعـه طلوان ، وهو طلا ، ثم خشف ، وقيل : الطلا من أولاد الناس والبهائم والوحش من حـــين يولد إلى أن يتشدد ، وإذا قوي الولد ومشي ، فهو راشح .

وقال أيضاً :

أَلَمْ تُرْبِعْ فتُخبِرْكَ الطُّلولُ ببينةَ رسمُها عافٍ مُحِيلُ (١)

تَحَمَّلَ أهلُها وجرى عليها رِياحُ الصَّيفِ والسَّرَبُ الهطولُ (٢)

تَحِنُّ بها الدَّبورُ إذا أرَبَّتْ كما حَنَّتْ مُوَلَّهَةٌ ثَكولُ (٣)

وقال الحادِرَة واسمه قُطْبَةُ بن أوس (٤) :

لِعَمْرَةَ بين الأخشبين طُلولُ تقادَمَ فيها مُشهِرٌ ومُحيلُ (٥)

وقفتُ بها حتى تعالى ليَ الضُّحى لأُخبَرَ عنها إنَّني لسَؤولُ

---

(١) « منتهى الطلب » : ٣٢٥/١ من قصيدة يمدح بها بشر بن مروان . وفيه « رسمها رسم محيل » .

(٢) السَّرَب ، بالتحريك : الماء السائل ، يريد به هنا المطر.

(٣) الدَّبور : الريح التي تقابل الصبا ، والقبول : وهي ريح تهب من نحو المغرب ، والصبا تقابلها من ناحية المشرق . وأرب بالمكان وألبّ : إذا أقام به ولزمه ، وأربت الدبور : دامت .

(٤) هو قطبة بن أوس بن محصن بن جرول المازني الفزاري الغطفاني : شاعر جاهلي مقل، والبيتان في « الأغاني » ٢٦٧/٣ .

(٥) الأخشبان : جبلان يضافان تارة إلى مكة ، وتارة إلى منى ، وهما واحد، أحدهما : أبو قبيس ، والآخر : قعيقعان . وفي « الأغاني » : « . . . بين الأخرمين » والأخرمان : جبلان في ديار بني باهلة . وقوله : مشهر ومحيل ، أي : مرت عليه شهور وأحوال فغيرته .

وقال أبو نصر الخيشي :

أُطيلُ وقوفي في الطُّلول كأنَّما ... تخلَّفَ خَلْفي صاحبٌ أتأنَّاهُ

ومِنْ شِيَمِ العُشَّاقِ في مذهب الهوى ... وقوفُهُم في الرَّبع أقفرَ مغناهُ

وقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي :

هل تعرفُ الدَّارَ والأطلالَ والدِّمَنا ... زِدْنَ الفؤادَ على عِلَّاتِهِ حَزَنا [1]

داراً لأسماءَ إذْ كنَّا نَحُلُّ بها ... وأنتَ إذ ذاكَ قد كانتْ لكمْ وَطنا [2]

وقال أبو الوليد عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي [3] :

بأطلالِ دارٍ من عُميرةَ عَرِّجِ ... كوَشْيِ اليماني بُرْدُهُ غيرُ مُنْهَجِ [4]

أقامت على الأنواءِ يسحَقْنَ تُرْبَها ... وتنسُجُها الأرواحُ مِنْ كلِّ مَنْسَجِ

أراني على شيبِ القَذالِ متى أقِفْ ... بأطلالِ دارٍ مِنْ عُمَيْرَةَ أنشِجِ

---

(١) ديوانه : ٣٠٦ .

(٢) رواية البيت في الديوان :

دار لأسماء قد كانت تحلُّ بها ... وانت إذ ذاك إذ كانت لنا وطنا

(٣) قال التبريزي في « شرح الحماسة » ٢/١٧٧ : يكنى أبا الوليد ، وهو شامي كلاعي شاعر . وقوله : « كلاعي » وردت في التبريزي « كلامي » بالميم وهو خطأ ، وهي بفتح الكاف نسبة إلى قبيلة ، يقال لها : كلاع نزلت الشام ، واكثرهم نزل حمص .

(٤) في « اللسان » : قال أبو عبيد : المنهج : الثوب الذي أسرع فيه البلى .

وقال كُثَيِّر بن عبد الرحمن :

أَأَطلالَ سُعدى باللِّوى تتعهَّدُ أقامتْ على الإِقواء أمْ تَتجدَّدُ

وبين التَّراقي واللَّهاةِ حرارَةٌ مكانَ الشَّجى ما تستقِرُّ فتبرُدُ

وقلتُ لماء العين أمْعِنْ لعلَّهُ بما لا يُرى مِنْ غائبِ الوَجْدِ تَشهَدُ

ولم أرَ مثلَ العين ضَنَّت بمائِها عَليَّ ولا مثلي على الدَّمع يُحسَدُ

وقال ذو الرمة غيلان :

خليليّ عوجا عوجةً ناقتيكما على طَلَلٍ بين القِلاتِ وشارعِ [1]

وقفنا فقلنا : إيهِ عن أم سالمٍ وما بالُ تكليمِ الدِّيارِ البلاقعِ [2]

---

(١) ديوانه : ٤٤٥ ، وفي « الخزانة » ١٩/٣ . قوله : عوجا عوجة ، يقال: عجت البعير : إذا عطفت رأسه ، والتاء في « عوجة » للمرة . والطلل : ما بقي في الدار من أثر الراحلين كالأثفية ونحوها . والقلات وشارع : موضعان . وفي « الديوان » بعد هذا البيت :

به ملعب من معصفات نسجنه كنسج اليماني برده بالوشائع

(٢) في « الأساس » مادة : ايه « وكيف بتكليم .... » إيه ، أي : حدثنا عن أم سالم . وفي « الخزانة » : وقفنا عليه ، أى الطلل ، والبال : الشأن والحال والديار البلاقع : التي ارتحل سكانها فهي خالية . طلب الحديث من الطلل أولا ليخبره عن محبوبته أم سالم ، وهذا من فرط تحيره وتدلهه في استخباره مما لا يعقل، ثم أفاق وأنكر من نفسه بأنه ليس من شأن الأماكن الاخبار عن السواكن .

فما كلَّمتنا دارُها غيرَ أنَّها ثَنَتْ هاجساتٍ من خَبالٍ مُراجِعِ [1]

خَلتْ غيرَ آجالِ الصَّريم وقد تُرى بها وُضَّحَ اللَّبَّاتِ حورَ المدامِعِ [2]

قيل : دخل بشَّارُ بن بُرْدٍ على عُقْبَة بن سَلْم [3] فأنشده بعض مدائحه فيه ، وعنده عقبة بن رؤبة بن العجَّاج ، فأنشده عقبة بن رؤبة رجزاً يمدحه به ، فشيعه بشار ، وجعل يستحسن ما قال إلى أن فرغ ، ثم أقبل على بشار ، فقال : هذا طِرازٌ لا تُحسِنُه أنت يا أبا مُعاذ. فقال بشار : إليَّ يقال مثل هذا ؟ والله لأنا أرجزُ منك ، ومن أبيك ، ومن جدك . فقال له عقبة : وأنا والله وأبي وجدي فتحنا للناس باب الغريب وباب الرجز ، وإني لخليق أن أسدَّه عليهم ، فقال له بشار : ارحمهم رحمك الله ! فقال عقبة : أتستخفُّ بي يا أبامعاذ وأنا شاعر ابن شاعر ابن شاعر ؟! قال له بشار : فأنت إذاً من الذين أذهب الله عنهم الرجس ، وطهرهم تطهيرا . ثم خرج عقبة مغضباً ، فلما كان من غد ، غدا بشار على عقبة بن سلم ،

(١) الخبال : ما خبل الفؤاد فأفسده ، مراجع : معاود . وبعد هذا البيت :

ظَلِلْتُ كأني واقفاً عند رسمها بحاجة مقصور له القيد نازع

تذكرَ دَهْرٍ كان يطوي نهاره رقاق الثنايا غافلات الطلائع

(٢) الآجال : أقاطيع الوحش ، واحدها : إجل ، والصريم : الرمل ، الواحدة : صريمة .

(٣) الخبر في « الأغاني » ٣/١٦٨ ، و « البيان والتبيين » ١/٤٩ ، و « زهر الآداب » ١/٤٢٥ ، و « العمدة » ١/١٣٦ . وعقبة هذا : هو أبو الملَد عقبة بن سلْم الهنائي نسبة إلى الهنو بن الأزد من قحطان . كان والياً على البصرة من قبل أبي جعفر المنصور ، ولبشار مدائح كثيرة فيه .

وعنده عقبة بن رؤبة ، فأنشده أرجوزته التي مدحه فيها :

يا طَلَلَ الحيّ بذاتِ الصَّمْـدِ ... بالله خـبِّرْ كيفَ كُنتَ بعدي (١)

أَوحَشْتَ من دَعْدٍ وتِرْبِ دعدِ ... سقياً لأسماءَ ابنةِ الأشَـدِّ (٢)

قامت تراءى إذْ رأتني وحدي ... كالشمس بين الزِّبْرِج المُنْقَدِّ (٣)

صدت بخدٍّ وجَلَتْ عن خَـدِّ ... ثم انثنتْ كالنَّفَس المُرْتَـدِّ (٤)

عهداً لهـا سَقْياً له من عهْدِ ... تخلف وعـداً أو تفي بوعـدِ (٥)

فنحنُ منْ جَهدِ الهوى في جهدِ

يقول فيها :

---

(١) ديوانه : ٢١٩/٢ ، وفيـه « . . . خـبر كيف . . . » قال البكري : والصمد : موضع في ديار بني يربوع ، وقال ياقوت : ماء للضباب ، وفي « التاج » الصماد ، بالكسر : روضات بني عقيل والرّباب .

(٢) في « الديوان » : « . . . ونؤي . . . بعـد زمان ناعم ومرد » وترب دعد : المرأة التي ولدت معها .

(٣) الزبرج ، بكسر الزي ، وسكون الباء ، وكسر الراء : وهو هنا : الغمام الرقيق فيه سواد وحمرة ، والمنقد : المتقطع .

(٤) في الديوان : « ضنت » قـال شارحــه : أراد أنهـا أعرضت فاختفى خد ، فكان الخد الخفي كأنه قـد بخلت باظهاره ، إذ لو شاءت لالتفتت إليه بوجهها كله .

(٥) في « الأغاني » : « عهدي بها » .

وافقَ حظّاً مَنْ سعى بجدٍّ ماضرٌ أهلَ النُّوكِ ضَعْفُ الكدِّ (١)

الحُرُّ يُلحى والعصا للعبدِ وليسَ للمُلْحِفِ مثلُ الرّدِّ (٢)

والنّصْفُ يكفيكَ من التّعدّي وصاحبٍ كالدُّمَّلِ المُمِدِّ (٣)

حَملتُهُ في رُقعةٍ مِنْ جِلْدي أرْقُبُ منه مثلَ حُمّى الوِرْدِ (٤)

حتى مضى غيرَ فقيدِ الفَقْدِ وما درى ما رغبتي مِنْ زُهدي (٥)

---

(١) في « الأغاني » : « ما ضر أهل النوك ضعف الجد » والنوك ، بضم النون وتفتح : الحماقة . والجد ، بكسر الجيم : الاجتهاد والكد .

(٢) في الديوان « الحر يوصى » أي : أن الحر تكفيه الوصية لما تحب أن يفعله . ويلحى : يلام ، وألحف السائل : ألح .

(٣) النصف : الانصاف . والممد : الذي تخرج منه المِدّة .

(٤) في الديوان و « الأغاني » : « يوم الورد » والورد : من أسماء الحمى . قال شارح الديوان : قوله « حملته في رقعة من جلدي » هذه الجملة صفة للدمل، أي : كالدمل الذي أحمله في جلدي ، لأن المقصود تمثيل حال الصاحب السيء المعاشرة في تحمل أذاه ، ولزوم مخالطته ، بحال الدمل في الجسد لايجد صاحبه بداً من تحمل أذاه لأنه ملتصق به .

(٥) قال الشارح : ومعنى « غير فقيد الفقد » أن فقده ليس بفقد ، أي : ليس له آثار الفقد من الوحشة والأسف ، فهو من وصف الشيء بما يشتق من اسمه للمبالغة في حصول حقيقته ، كقولهم : شعر شاعر ، وليل أليل ، فكما يدل ذلك في الاثبات على الشدة يدل في النفي على أنه لا شدة له ولا تأثير . وفي ـ

ومدح فقال :

وأَسْـلَم وحُيِّيتَ أبا المَلـدِّ   مفتاحَ باب الحـدَثِ المُنْسَدِّ

مُشتركُ النَيل وَرِيُّ الزَّندِ   أعَزَّ لبَّاسـاً ثيابَ المجـدِ

والأرجوزة طويلة . فطرب عقبة بن سلم ، وأجزل صلته ، وقام عقبة بن رؤبة ، فخرج عن المجلس بخزي ، وهرب من تحت ليلته .

* * *

ـ « البيان والتبيين » بعد أن أورد قول بشار « وما درى ما رغبتي من زهدي » قال: أي : لم أره زهداً فيه ولا رغبة » .

فصـــل
في ذكر الربع

قال الأحوص :

قد لَعَمْري بِتُّ ليلي   كأخي الدَّاء الوَجيعِ
ونَجيُّ الهمِّ مـني   باتَ أدنى مِنْ ضجيعي
كلَّما أبصَرتُ رَبعاً   خاليـاً فاضت دُموعي

وقال أبو تمام :

أقشيبُ ربعهم أراكَ دَرِيسا   وقِرَىْ ضيوفِكَ لوْعةً ورَسيسا [1]
ولئن حُبِسْتَ على البلى لقد اغتدى   دمعي عليكَ إلى المماتِ حبيسا [2]
وأرى رُبوعَكَ موحِشاتٍ بعدما   قد كُنتَ مألوفَ المحلِّ أنيسا

---

(١) ديوانـه : ٢٦٢/٢ من قصيدة يمدح بهـا أبا المغيث موسى بن ابراهيم . قال التبريزي : والقشيب : الجديد ، واللوعة : حرقة القلب ، والرسيس : مايجده الانسان في قلبه من حزن أو هوى ، وقيل : رسَّ الحبُّ قلبه : إذا ثبت .

(٢) في الديوان « لبا اغتدى » قال التبريزي : أي : صرت وقفاً على الأمطار والرياح ، وصار دمعي وقفاً عليك . وبعد هذا البيت :

فكأنَّ طَسْماً قبل كانوا جيرةً   بك والعماليقَ الأُلى وجَديسا

وقال أيضاً :

أجلْ أيُّها الرَّبعُ الذي خَفَّ آهِلُهُ لقد أدركَتْ فيكَ النَّوى ما تُحاوِلُهْ [١]

أُسـائِلُكم ما بالُهُ حَكَمَ البِلى عليه وإلّا فاترُكوني أُسائلُهْ [٢]

وقفنا على جَمْرِ الوداعِ عَشيَّةً ولا قلبَ إلا وهو تغلي مراجِلُهْ

وقال أيضاً :

---

(١) ديوانه ٣/٢١ من قصيدة يمدح بها المعتصم بالله . قال التبريزي : هذا لا يمكن أن يكون إلا على كلام متقدم ، لأن « أجل » في معنى «نعم»، ولا معنى لقولك هذه الكلمة إلا وقد سبقها كلام من غيرك ، فكأنه ادعى أن الربع كلمه وشكا اليه ، فقال له : أجل أيها الربع ! ، وخف آهله : أي : ارتحل من كان فيه ، يقال : خف القوم : إذ ارتحلوا . والآهـل : يعني به القطين والخليط ، فلذلك أخرجه على لفظ الواحد ، يقال : أهل الرجل ، فهو آهل : إذا كان ذا أهل : وبعد هذا البيت :

وقفت وأحشائي منازل للأسى به وهو قفر قد تعفَّت منازلُه

(٢) قال التبريزي : المعنى : أسائلكم عن خبره ، فان كنتم جاهلين بذلك ، فاتركوني أسائله : أي : لاتلوموني على الوقوف والاطـالة . وقوله : « أسائله » موضوع موضع الحال ، ولو أنه في غير النظم لجاز جزمه . وبعد هذا البيت :

لقد أحسن الدمع المحاماة بعد ما أساء الأسى إذ جاورَ القلب داخِله

دعا شوقَه ياناصر الشوق دعوة فلبَّاه طلُّ الدمع يجري ووابله

بيوم تُريك الموت في صورة النوى أواخره من حسـرة وأوائله

سَلِّمْ على الرَّبعِ مِنْ سَلمى بذي سَلَم ... عليه وَسْمٌ مِنَ الأيامِ والقِـدَمِ [١]

مـا دامَ عيشٌ لبَنّاهُ بساكِنِهِ ... كدْناً ولوْ أنَّ عيشاً دامَ لم يَدُمِ

يا منزلاً أعنَقَتْ فيه الجنوبُ على ... رسمٍ مُحيلٍ وشعبٍ غيرِ مُلْتَئِمِ

هَزِمتَ بعديَ والرَّبعُ الذي أفَلَتْ ... منه بُدورُكَ مَعذورٌ على الهرمِ [٢]

وقال أيضاً :

ياموسِمَ اللَّذاتِ غالَتْكَ النَّوى ... بعدي فربعُكَ للصَّبابةِ مَوْسِمُ [٣]

ولقد أراكَ مِنَ الكواعبِ كاسياً ... فاليومَ أنتَ مِنَ الكواعبِ مُعْدِمُ [٤]

---

(١) ديوانه : ٣/١٨٤ من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق التغلبي . قال التبريزي : ذو سلم : موضع بعينه معرفة . . ، ويمكن أن يجعل « ذا سلم » في بيت الطائي نكرة ، أي : بموضع ذي سلم ، أي : فيـه الشجر الذي يقال له : السلم . و « وسم » أي : علامة من الأيام والقدم ، وذلك أنه إذا نظر إليه علم أنه قد أتت عليه السنون والأحقاب .

(٢) قال التبريزي : يقول : تغيرت في قرب مُدَّة حتى كأنك فورقت مـذ دهر طويل ، فهرمت في الخراب ، والربع معذور إذا فارقه من لا يعتاض منه .

(٣) ديوانه : ٣/٢١٢ من قصيدة يمدح بها محمد بن حسان مطلعها :

أزعمتَ أن الرَّبع ليس يُتيِّمُ ... والدمع في دِمَنٍ عفت لا يَسْجُمُ

(٤) قال التبريزي : كاسياً : أي ذا كسوة ، كما يقـال : تامر ، أي : ذو تمر . وجعل « الكواعب » مثل الكسوة للربع ، لأنه كان يتجمل بهن ، فلمـا سرن عنه ألقى الكسوة ، فكأنه محرم لا لباس عليه .

لحظَتْ بشاشَتَك الحوادثُ لحظـةً　　مـا زلتُ أعلَمُ أنَّهـا لاتَسْلَمُ (١)

قيل : خرج يحيى بن خالد بن برمك يوماً من داره يريد دار الرشيد ، فمر ببعض أفنية قصره ، فرأى على بعض حيطانه مكتوباً :

أنعِموا آل بَرْمَـكٍ　　وارقبوهـا متى هِيَـه

وارقبوا الدَّهرَ أن يَدو　　رَ عليكم بداهيـهْ

فوجم وجزع لذلك ، ثم دخـل في ذلك اليوم عليـه أبو نواس فأنشده :

أرَبع البلى إنَّ الخشوعَ لبادِ　　عليكَ وإني لم أُخنْكَ ودادي (٢)

فعـذرةً مني إليـك بأن تُرى　　رهينةَ أرْواحٍ وصَوْب غوادي

ولا أدرأُ الضّراءَ عنك بحيلةٍ　　فمـا أنا فيهـا قائلٌ لسُعـادِ

وإن كنتَ قدبُدِلتَ بؤسى بنعمةٍ　　لقد بدّلت عيني قذىً برُقادِ

إلى أن بلغ إلى قوله :

سلامٌ على الدنيا إذا ما فُقدتُمُ　　بني برمَكٍ من رائحين وغادِ

فتطير ، فنكب في تلك الليلة .

---

(١) قال التبريزي : يقول : أخلقت الحوادث من الرّياح والأمطار مغانيك ، فذهبت بشاشتك .

(٢) ديوانه : ٤٧١ ، وفيه أنها قيلت في الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي ، وهو الصواب ، فانه قد ورد ذكر الفضل صراحة في بعض أبياتها .

كان محمد بن واسع (١) رحمه الله يمرُّ برباع إخوانه بعد موتهم ، فينـاديهم : أيْ فلان ، أيْ فلان ، ثم يرجع إلى نفسه ، فيقول : ماتوا والله ، وإنَّ نعلاً فقدت أُختها لسريعةُ اللَّحاقِ بصاحِبتها .

وقال الفِنْدُ الزِمَّاني ، واسمه شَهْلُ بن شيبان بن ربيعة بن زِمَّان (٢) :

أَشَجاكَ الرَّبعُ أقوى والدِّيارُ وبكاءُ المرءِ للرَّبعِ خَسـارُ
أيُّ لُبٍّ لامرئٍ في قَدْرِهِ عائِـذٌ بالحُزنِ إذْ تَشجيهِ دارُ
إنَّما يبكي الأُلى كانوا بهـا فانتَأَوْهُ بعـدما شَطَّ المزارُ
يُخْرِبُ الدَّهرُ ويَبني جاهـداً وخرابُ الدَّهرِ للدَّارِ عَمـارُ (٣)
أيُّهـا الباكي على مـا فاتَهُ أَقْصِرَنْ عنك فبعضُ القولِ عارُ
ليس يُغني جَزَعُ القوم إذا وقع الأمر بهم إلا الغِيـارُ (٤)
فاجْزَعوا للأمر أو لا تجزعوا قد تداعى السَّقفُ وانهارَ الجِدارُ

---

(١) هو أبو بكر محمد بن واسع بن جابر الأزدي ، ثقة عابد ، كثير المناقب ، مات سنة ثلاث وعشرين ومائة .

(٢) هو شاعر جاهلي قديم ، كان أحد فرسان ربيعة المشهورين ، شهد حرب بكر وتغلب ، وقارب المائة .

(٣) في الأصل تحت هذا البيت ما نصه : هذا قلب ، أراد : عمارتها خرابها .

(٤) في الأصل تحت هذا البيت ما نصه : يقول : ليس يغني عنهم أن يجزعوا ، ولكن أن يغيروا .

وقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي :

سائلا الرَّبع بالبُلَيِّ وقولا هِجتَ شوقاً لنا الغَداةَ طويلا [(١)]

أَيْنَ حيٌّ حلُّوكَ إذْ أنتَ محفو فٌ بهم آهِلاً أراكَ جميلا [(٢)]

قال : ساروا بأَجْمَعٍ فاستقلُّوا وبكُرْهي لو استطعتُ سبيلا

وقال حفص الأموي :

يا رَبعُ أين انْتَجعَ الحاضرُ جادَكَ نَوْءُ الجبهَةِ الماطِرُ [(٣)]

ما لي أرى مَغْناكَ قفراً كأنْ لم يَلُهُ في ساحَتِهِ سامِرُ

أصبح قد رُدِّيَ ثوبَ البلى فالآيُ منه مُخْلِقٌ داثِرُ

وقد أراهُ قبلَ صرفِ النَّوى يعجَبُ من بهجته النّاظِرُ

وقال أبو حيَّةَ النُّميري :

---

(١) ديوانه : ٣٧٤ ، والبلي : تل قصير أسفل « حاذة » بينها وبين ذات عرق. وهجت : أثرت .

(٢) في الديوان « . . . بهم آهل . . . . . » .

(٣) في « اللسان » النوء : سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر ، وطلوع رقيبه ، وهو نجم آخر يقابله من ساعته في المشرق ، في كل ليلة إلى ثلاثة عشر يوماً ، وهكذا كل نجم منها إلى انقضاء السنة ما خلا الجبهة ، فان لها أربعة عشر يوماً ، فتنقضي جميعها مع انقضاء السنة . والجبهة : اسم منزلة من منازل القمر .

قِفـا عند مِما تعرفانِ رُبوعي | وإنْ سبقتْ فرطَ العزاء دموعي
نحيِّي على طول البلى رسمَ دِمنَةٍ | كأنْ لم تكنْ من آلِفين جميع
وماذا نُحيِّي مِنْ رُسومٍ كأنَّها | بأسفل سَلْمانينَ سَحْقُ صَديع [١]
كأن حَمامـاتٍ ثلاثاً برَبعهـا | وقعنَ فمـا يَسأَمنَ طولَ وقوع
وإنّي لصَبٌّ ما عَلمتَ وإنّني | لِبعض هوى نفسي لَغيرُ مُطيع

وقال البحتري :

يا رُبوعَ الديارِ إنّي على مـا | قـد أراهُ مِنكنَّ غيرُ جليدِ [٢]
أَخلَقَ الدهرُ عَهدَكنَّ وللدَّهـ | ـرِ صُروفٌ يُبلين كلَّ جديدِ [٣]
فرّقتْ شملنا النَّوى بعد ما كُنْـ | ـنا جميعاً في ظـلِّ عيشٍ حميدِ

---

(١) سلمانين ، بكسر النون الأولى وفتح الثانية ، بلفظ جمع السلامة لسلمان، بضم السين ، كما ضبطه ياقوت ، وقال : وهو الأكثر . فأما من روى بلفظ التثنية، فقال : هما واديان في جبل لغني ، يقال له : سواج، ومن روى بلفظ جمـع السلامة لسلمان فقال : سلمانين : واد يصب على الدهناء شمالي الحفر ، حفر الرباب بناحية اليمامة بموضع يقال له : الهزار . وجاء ضبط سين سلمانين في الأصل بالفتح .

(٢) ديوانه ٢/٧٦٨ من قصيدة يمدح بها أبا نهشل محمد بن حميد الطوسي،مطلعها:

ليس هجر النوى كهجر الصدود | بعض هـذا الملام والتفنيد

والبيت والذي بعده في « الطرائف » أيضاً ص ٢٤٣ .

(٣) في الديوان، و « الطرائف » : « يخلقن » بدل « يبلين » . أخلقـه : صيره بالياً .

وقال قبيصة بن عمرو المهلبي :

لَأحسَنُ مِنْ بطنِ الرُّصافةِ مَنْظَراً ومَيدانِها فالكَرْخ فالدُّورِ فالجِسْرِ

ربائِعُ لا يَلْبَسْنَ والريحُ رَبْدَةٌ قَتاماً ولا يلثَقْنَ للوابل الهمْرِ [١]

إذا ما كساهُنَّ الرَّبيعُ رياطَهُ تأرَّجنَ مِسْكاً أوتضاحَكنَ عن دُرِّ [٢]

وقال الشريف الرضي رضي الله عنه :

قِفا صاحِبيّ اليومَ أسألُ حاجةً ولا تَزجِعا سمعي بغـير بَيانِ [٣]

هل الرَّبعُ بعدَ الظاعنين كعهدِه وهل راجِعٌ فيه عليَّ زَماني ؟

وقال أبو عبد الله أحمد بن محمد بن علي بن صدقة الخياط الدمشقي [٤] :

---

(١) اللَّثَق : البلل ، والماء والطين يختلطان . الربدة : الريح اللينة .

(٢) الرياط : جمع، مفرد ريطة ـ بكسر الراء ـ وهي ملاءة غير ذات لفقتين

(٣) ديوانه ٥٢٢/٢ من قصيدة مطلعها :

أيا جبَلي نجدٍ أبينـا سقيتما متى زالت الأظعان يا جبلان

ورواية الديوان : « أسأل ساعة » بدل : « حاجة » .

(٤) شاعر من الكتاب ، من أهل دمشق ، مولده ووفاته فيها (٤٥٠-٥١٧هـ) طاف البلاد يمتدح الناس ، ودخل بلاد العجم ، وأقام في حلب مدة . وقد اشتهر ديوانه في عصره حتى قال ابن خلـكان في ترجمته : « ولا حاجة إلى ذكر شيء من شعره لشهرة ديوانه » . والأبيات هذه في ص ٧٢ منه .

أُحبُّ ثرى الوادي الذي بانَ أهلُهُ ... وأصبو إلى الرَّبع الذي مَحَّ مَغْناهُ (١)

وبالجزع حَيٌّ كلّما عَنَّ ذكرُهُم ... أماتَ الهوى مِنّي فؤاداً وأحياهُ (٢)

تَمَنَّيْتُهمْ بالرَّقمتين ودارُهُـمْ ... بوادي الغَضَا يا بُعـدَ ما أتمنَّاهُ (٣)

وما شَغَفي بالرِّيح إلّا لِأنَّهـا ... تَمُرُّ بحيٍّ دونَ رامَـةَ مَثواهُ (٤)

وقال ذو الرمة غَيلان :

ألِلرَّبع ظَلَّتْ عَينُكَ الماءَ تَهمُلُ ... رَشاشاً كما استنَّ الجُمانُ المفصَّلُ (٥)

لعرفانِ أطلالٍ كأنَّ رُسومَها ... بوَهبينَ وشيٌ أو رداءٌ مُسلْسلُ (٦)

نَبَتْ نَبوةً عيني بها ثم بَيَّنتْ ... يَحاميمُ جُونٌ أنَّهـا الدَّارُ مُثَّلُ (٧)

---

(١) في « اللسان » محّ يمح ـ مثلثة الميم ـ محوحاً ومَحَحاً ، وأمحّ يُمِحُّ : إذا أخلق ، وكذلك الدار إذا عفت .

(٢) الجزع : منعطف الوادي .

(٣) الرقمتان : قريتان بين البصرة والنباج . الغضا : واد بنجد .

(٤) رامة : منزل في طريق البصرة إلى مكة ، ورامـــة أيضاً : من قرى بيت المقدس . وقد جاء هذا البيت في الديوان قبل البيت الاول .

(٥) الأبيات مطلع قصيدة في ديوانه ص ٥٤٧ . وجاء في شرحه : الجمان : يعمل من الفضة والذهب كهيئة اللؤلؤ ، الواحدة : جمانة . واستن : تتابع . رشت العين والسماء ترُش ـ بالضم ـ رشّاً ورَشاشاً ، وأرشت ، أي : جاءت بالرش .

(٦) وهبين ، بالفتح ثم السكون وكسر الباء الموحدة : جبل من جبال الدهناء .

(٧) نبت عيني بها ، أي : أنكرتها . يحاميم وجون بمعنى واحد ، وهو من ـ

عَهِدَتْ بها الحيَّ الحلولَ بسلوةٍ جميعاً وآياتُ الهوى ما تُزيّلُ [(١)]

وقال الشريف المرتضى رضي الله عنه :

حُيِّيتَ يا رَبعَ الهوى مِنْ مَربَع وسُقيتَ أنديةَ الغُيوثِ الهُمَّع [(٢)]

فلقد عهدتُكَ والزَّمانُ مسالمٌ فيكَ المُنى وشفاءُ داءِ المُوجَعِ

أيامَ إنْ يدعُ الهوى بي أتَّبعْ وإذا دُعيتُ إلى النُّهى لم أتبعِ [(٣)]

سَقياً له زمناً نَعِمتُ بظلِّهِ لكنَّـه لمـا مضى لم يَرْجعِ

وقال أيضاً :

عوجا نحيي الرَّبعَ فيه لنا الهوى فلربَّمـا نفع المحبَّ سـلامُهُ [(٤)]

واستعبرا عني به إنْ خانَني جَفني ولم يُمْطرْ عَليَّ غَمامُـهُ [(٥)]

ـ السواد ، يعني الأثافي . مُثَّل : منتصبة .

(١) السلوة : الرخاء . آيات الهوى : علاماته . ما تزيل : ما تفرق .

(٢) ديوانه ٢/٢٢١ .

(٣) في الديوان بعد هذا البيت :

إذ قامتي ممتدَّة وذوائبي مسودَّة ومسائحي لم تَصْلَع

وإذا النَّضارة في أديمي جمَّة والشيب في فوديَّ لمَّا يطلُع

(٤) ديوانه ٣/١٥٩ وفيه « يدللنا الهوى . . . » والأبيات من قصيدة يفتخر بها ، ويعرض ببعض أعدائه مطلعها :

أما الشباب فقد مضت أيامه واستل من كفيّ الغداة زمامه

(٥) في الديوان « . . . فلم يمطر عليه غمامه » .

دِمَنٌ رَضعتُ بهنَّ أخلافَ الصِّبا	لو لم يَكنْ بعدَ الرَّضاعِ فِطامُهُ

وقال أيضاً :

وقفنا على رَبْعِ الأَحبَّةِ وقفةً	فلم نَرَ إلا رِمْدِداً وأثافيا [١]

وأشعثَ مُنْقَدَّ السَّراةِ مُهشَّماً	أضرَّ به ضربُ الوليدةِ باليا [٢]

فما زالَ رسمُ الدارِ حتى أعادني	وكنتُ جليدَ القومِ في القومِ باكيا

وقفتُ به صحبي صحيحاً فلم تكُنْ	سوى نظرةٍ حتى رجعتُ بدائيا

وقال القاضي المهذَّب أبو محمد حسن بن علي بن الزبير رحمه الله :

رَبَعَ الفؤادُ خلالَ تلك الأَرْبُعِ	فكأنَّها أَولى بـه من أضلُعي [٣]

وأقامَ فيـهِ فالجوانحُ بَلْقَعٌ	منهُ وما البيدُ القِفارُ بِبَلْقَعِ

وأرى الصَّبا تَمري السحابَ وإنما	تَمري صبابتُهُ سحابَ الأَدْمُعِ [٤]

وقال أبو العلاء ابن سليمان المعري :

---

(١) في « اللسان » رماد أرمد ورِمْدِد ورِمدَد ، ورِمديد : كثير دقيق جداً . وقال الجوهري : رماد رِمْدِد ، أي : هالك ، جعلوه صفة .

(٢) سراة الطريق : متنه ومعظمه .

(٣) البيت مطلع قصيدة مدح فيها ابن رزّيك الصالح ، وقد أنشد الأصفهاني ص ٢١٤ بعض أبياتها عدا الثاني والثالث اللذين أوردهما ابن منقذ .

(٤) مرت الريح السحاب تمريه وتمتريه : تستخرجه وتستدره ، وتنزل منه المطر .

أمرُّ بربعٍ كنتَ فيه كأنّما أمُرُّ منَ الإجلالِ بالحِجْر والرُّكنِ [(١)]

وإجلالُ مَغْناكَ اجتهادُ مُقصِّرٍ إذا النَّصلُ أوْدى فالعَفاءُ على الجَفْنِ [(٢)]

وقال أبو تمام :

على مِثْلِها من أَرْبُعٍ وملاعِبٍ أُذيلتْ مَصوناتُ الدُّموعِ السَّواكِبِ [(٣)]

أقول لقُرْحانٍ منَ البينِ لم يُضِفْ رَسيسَ الهوى بينَ الحَشى والتَّرائبِ [(٤)]

---

(١) «شروح سقط الزند» ٩٢٩/٢ من قصيدة يرثي بها أباه عبد الله بن سليمان التنوخي ، مطلعها :

نقمتُ الرِّضا حتى على ضاحكِ المُزْنِ فلا جادَني إلا عبوس من الدَّجْنِ

والبيت هو الثاني والثلاثون ، وروايته : «أمر من الاكرام» . قال الخوارزمي في شرحه : صليت في حجر الكعبة – بالكسر – . والحجر : ما حواه الحطيم . وكل ما حجرته من حائط فهو حِجرٌ ، وهو فعل بمعنى : مفعول ، من الحَجر وهو المنع . الربع : المنزل حيث كان ، فاذا قلت : مربع ، فانما هو المنزل في الربيع خاصة .

(٢) قال التبريزي : مغناك : منزلك . والمعنى : أنا أجِلُّ منزلك الذي كنت تَحُلُّه ، وذلك اجتهاد مقصر ، لأن السيف إذا فُقد فلا فائدة من إجلال غمده . والعفاء : الهلاك ، والتراب . وقد فسر بيت زهير على الوجهين ، وهو قوله :

تحمّل أهلها منها فبانوا على آثار من ذهب العفاء

(٣) ديوانه : ٢٠٥/١ وهو مطلع قصيدة يمدح بها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلي ، ومعنى أذيلت : أهينت .

(٤) قال التبريزي : ويروى : لم يصف ، يقال : رجل قرحان : إذا لم يصبه مرض مثل الجدري والحصبة ، ومذهب بعضهم أنه –

أعنّي على تفريقِ دمعي فإنني ... أرى الشملَ منهم ليس بالمتقاربِ [(١)]

أميدانَ لهوي مَنْ أتاحَ لكَ البِلى ... فأصبحتَ ميدانَ الصَّبا والجنائبِ [(٢)]

أصابتكَ أبكارُ الخطوبِ فشتَّتتْ ... نواكَ بأبكار الظِّباء الكواعِبِ [(٣)]

وقال آخر :

أَمسحُ الرَّبعَ بخدّي ... أنْ مَشى فيهِ الخليلُ [(٤)]

وعلى مِثلِكَ يُبكى ... أيُّها الرَّبعُ المحيلُ

وقال آخر :

ـ لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث ، ويجري مجرى قولهم : رجل زروٌ وفِطْر . وقال قوم : بل يثنى قرحان ويجمع . ومن روى : « لم يُضِيف » بالضاد معجمةً ؛ فالمعنى: لم يكن له مثل الضيف ، ومن روى : « لم يَصِفْ » بالصاد ، فمعناه أنه لم يدر كيف هو فيصفه . وقوله : « لقرحان من البين » أي : لقوم لم يقاسوا من البين ، أي : الفراق ، ما قاسيت منه .

(١) في الديوان : أعني أفرق شمل دمعي .

(٢) جاء قبل هذا البيت في الديوان بعد البيت السابق قوله :

وماصارفي ذا اليوم عَذْلك كلُّهُ ... عدوِّيَ حتى صار جهلك صاحبي

ومابكَ إركابي من الرشد مركباً ... ألا إنما حاولتَ رشدَ الركائب

فكاني إلى شوقي وسِرْ يَسِرِ الهوى ... إلى حُرُقاتي بالدموع السوارب

(٣) أبكار الخطوب : التي لم يُصب بها أحد قبله ، وقال الصولي : أصابتك خطوب لم يصبك مثلها فهي أبكار .

(٤) ورد هذان البيتان مع آخرين بعدهما في حاشية « الأغاني » ٣٠٥/٧ ط الدار .

يا رَبْعُ ما لكَ لا تُجيبُ مُتيَّما قد عاجَ نحوكَ زائراً ومُسلِّما [١]

جادَتْكَ كلُّ سحابةٍ هَطَّالةٍ حتى تُرى عن زهرة مُتبَسِّما

لو كنتَ تدري مَنْ دَعاكَ أجبتَهُ وبكيتَ مِنْ حُرقٍ عليه إذاً دَما

وقال آخر [٢] :

إنْ يُمسِ حَبْلُكِ بعدَ طُولِ تواصُلٍ خَلَقاً ويصبحُ رَبعُنا مهجورا [٣]

فلقدْ أراني والجديدُ إلى بِلى دَهراً بوَصْلِكِ ناعماً مَسرورا [٤]

كُنتِ الهوى وأعزَّ مَنْ وَطِئَ الحصا عندي وكنتُ بذاكَ منكِ جديرا

وقال جُبَيْهاء الأَشجعي واسمه يزيد بن عبيد [٥] :

أمِنَ الجميع بذي النعاج ربوعُ هاجتْ فُؤادَكَ والرُّبوعُ ربوعُ [٦]

مِنْ بعدِ ما نكِرَتْ وغيَّرَ آيَها قَطْرٌ ومُسبلةُ الذُّيولِ خريعُ [٧]

---

(١) الأبيات في « الأغاني » ١/٥٤ .

(٢) هو الحارث بن خالد المخزومي ، والأبيات في « الأغاني » ١٧/١٣ .

(٣) في « الأغاني » : « بيتكم مهجورا » .

(٤) في « الأغاني » « زمناً . . . راضياً مسرورا » . وبعد البيت :

جَذِلاً بمالي عندكم لا أبتغي للنفس بعدك خُلَّةً وعشيرا

(٥) ويقال : يزيد بن حميمة ، شاعر بدوي من مخاليف الحجاز ، نشأ وتوفي في أيام بني أمية ، والبيتان في « الأغاني » ١٨/٣٩ .

(٦) في الأغاني « بذي النعاع . . . والربوع تروع » .

(٧) في الأغاني « ومسبلة الدموع . . . » .

وقال آخر :

وقفتُ على رَبع لسُعدى وعبرَتي   تَرَقرقُ في العينين ثُمَّ تسيلُ

أُسائلُ رَبعاً قد تعفَّتْ رُسومُه   عليه لأَصنافِ الرِّياح ذُيولُ

* * *

فصل آخر
في ذكر الربع

قال أبو تمام :

قد نابتِ الجزْعَ مِنْ أُرْوِيَّةَ النُّوَبُ   واستَحْقَبَتْ جِدَّةً مِنْ رَبْعِها الحِقَبُ [1]

ألوى بصبْرِكَ إخلاقُ اللِوى وهَفا   بلُبِّكَ الشَّوْقُ لما أقفرَ اللَّبَبُ [2]

---

(١) ديوانه : ٢٤٤/١ من قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الملك الزيات : قال التبريزي : « أرْوِيَّة » اسم امرأة ، سميت بالواحدة من الأراوي ، وهي أنثى الوعول. وقوله « أروية » فيه حذف ، كأنه قال : من منازل أروية ، أو من أجزاعها، أو نحو ذلك ، ليصح دخول «من» إذ كانت للتبعيض . وقوله « استحقبت جدّة » هو مأخوذ من الحقيبة ، وهو ما يكون وراء رحل الركب ، فاذا جعل خلفه شيئاً قيل : استحقبه واحتقبه ، وهذا هاهنا مستعار ، يريد أن الحقب قد أذهبت بجدّة هذا الربع ، فكأنها جعلته في حقائبها ، لأن الانسان إذا جعل الشيء في حقيبته فقد استبدّ بـه .

(٢) يقال : ألوى بالشيء : إذا ذهب به ، وألوى الدهر بالقوم : إذا أهلكهم . واللوى : مسترق الرمل ، واللبب نحو ذلك ، وربما قالوا : اللبب مقدم الكثيب ، وقد يعبرون عن اللوى واللبب بمنقطع الرمل ، وذلك كلـه متقارب في الحقيقة . وهفا : طـار .

خَفَّتْ دُمُوعُكَ في إِثْرِ الخليطِ لَدُنْ ... خَفَّتْ مِنَ الكُثُبِ القُضبانُ والكُثُبُ [1]

وقال أرطاة بن سهيَّة :

ألا حيّ رَبعـاً باللديدِ المقابلِ ... يَهيجُ الهوى مِنْ بين تلكَ المنازلِ

يَهيجُ الذي قد كان مِن سالفِ الصِّبي ... على مُستهـامٍ قلبُه غير ذاهلِ

يَهيمُ بذكرِ الغـانياتِ وهَمُّهُ ... طِلابُ الصِّبى في غيّـه المتمايلِ

فما ظَبيةُ الغُرّ التي هاجتِ الهوى ... ولـكنَّما شَبهتُهـا أمَّ واصِـلِ

من البيض مِكْسالاً كأنَّ حديثَها ... جَنى النَّحْل هَيفاء صَموتَ الخلاخِل

وقال البحتري :

وقفنا على ربع النَّخيلةِ فانبَرتْ ... سَوابق قد كانت بها العَينُ تبخَلُ [2]

---

(١) قال التبريزي : أصل « الخفوف » من قولهم : خف القوم : إذا ارتحلوا ، وهو راجع إلى الخفة التي هي ضد الثقل ، إلا أنهم يفرقون بالمصادر بين الأفعال التي أصلها واحد في الاشتقاق ، فيقولون : خف الشيء خفة : إذا كان خفيف الزنة ، وخف القوم خفوفاً : إذا ارتحلوا ، وخف في حاجته : إذا أسرع. وقوله : « خفت دموعك » إن شئت كان من الاسراع ، وإن شئت كان من الخفوف الذي هو الارتحال ، كأنها تبعتهم ، أي : سالت في إثرهم . وقوله « لدن » أي : عند ، وأضافها إلى الجملة ، لأنه جعلها واقعة على الحين ، وأسماء الزمان تضاف إلى الجمل ، والكثب الأولى : جمع كثيب من الرمل ، والكثب الثانية : أراد بها أرداف النساء ، لأنها تشبه بالكثب ، فحذف التشبيه . والقضبان : أراد بها القدود .

(٢) ديوانه ٢/٢١٣ ، و«الموازنة» : ٤٧٢ من قصيدة يمدح بها محمد بن عبدالله -

فلم يَدْرِ ربع الدّارِ كيفَ يُجيبُنا ولانَحْنُ مِنْ فَرْطِ الأسى كَيفَ نسأل [(١)]

وقال طرفة بن العبد :

أشجاكَ الرَّبعُ أم قِدَمُـهْ أمْ رَمـادٌ دارِسٌ حُمَمُـهْ [(٢)]

حابِسي رَسمٌ وقفتُ بـهِ لو أُطيـعُ النَّفْس لم أرِمُهْ [(٣)]

وقال جميل بن معمر العذري :

أَتصرِمُ هذا الرَّبع أم أنتَ زائرُهْ وكيفَ يُزارُ الرَّبعُ قد بانَ عامِرُهْ ؟ [(٤)]

ـ ابن طاهر مطلعها :

فؤاد بذكر الظاعنين موكَّل ومنزِل حي فيه للشوق مَنْزِلُ

وفي الديوان « على دار البخيلة » وفي «الموازنة» « على ذات النخيلة » وبعد البيت :

على دارس الآيات عاف تعاقبت عليه صَباً ما تستفيق وشمـأل

(١) في الديوان و«الموازنة» : « ... رسم الدار ... من فرط البكا ... »

(٢) ديوانه : ١٤٨ ، و «مختار الشعر الجاهلي» : ٣٣٤ . وجاء في شرح الديوان أن الأصمعي لم يروها ، لكن اثبتها ابو عبيدة والمفضل . وشجاك : أحزنك ، الدارس : الذي امحى وذهب أثره . والحمم : جمع حمة ، وهو الفحم ، وبعد البيت :

كسطور الرَّقّ رقَّشَهُ بالضُّحى مُرَقِّش يَشِمُهُ

لعبتْ بعدي السيول بـه وجرى في رَوْنَقٍ رِهَمه

جعلته حمّ كلكلها لربيـع ديمـة تَشِمه

فالكثيب معشب أنف فتناهيه فمـرتكمه

(٣) لم أرمه : لم أبرحه . نقل حركة الهاء إلى الميم وسكن الهاء للوقف .

(٤) الأول والرابع في الديوان : ١٠٠ وقد نقلها جامعه عن الزهرة : ١١٩ وفيه « أتهجر ... » .

وقد كان مِمنْ يَسكنُ الرَّبعَ مرةً ... جَميلُ المُحيَّا قاصرُ الطرفِ فاترُهْ

سقى اللهُ بيتاً لست أَقربُ أهلَهُ ... ولا أنت إلا أن يُعنَّفَ زائرُهْ

رأيتُك تأتي البيتَ تُبغِضُ أهلَه ... وقلبُك في البيتِ الذي أنت هاجِرُهْ

وقال كثير بن عبد الرحمن الخزاعي :

خليليَّ هذا رَبْعُ عزَّة فاعقِلا ... قلُوصَيْكما ثم ابكيا حيثُ حَلَّتِ [(١)]

وما كنتُ أدري قبل عزَّة ما البُكا ... ولا مُوجِعاتِ القلبِ حتى تَوَلَّتِ [(٢)]

فيا عَجباً للقلبِ كَيفَ اعترافُه ... وللنَّفس لما وُطِّنَت كيفَ ذَلَّتِ [(٣)]

وإني وتَهْيامي بِعَزَّة بعدَما ... تَخَلَّيْت عما بيننا وتَخَلَّتِ [(٤)]

---

(١) « ديوانه » ٣٦/١ و« الأمالي » ١٠٤/٢ ، ١٠٥ ، و«الخزانة» ٣٧٩/٢ و«رغبة الآمل» ٢٠٦/٣ . وقوله: ربع عزة، أي: موضع دارها حيث آبت في الربيع، وقيل: الربع: الدار مطلقاً ، وهو المراد هنا. وفي « الأمالي » « رسم عزة ... » القلوص : الناقة الشابة بمنزلة الجارية من النساء .

(٢) في الديوان : « ما الهوى . . » . وقد استشهد بالبيت ابن هشام في «شرح الألفية» على نصب «موجعات» عطفاً على محل مفعول أدري المعلق بـ «ما» الاستفهامية ، لأن المعلق أبطل عمله لفظاً لا محلاً . تولت : بمعنى أدبرت .

(٣) اعترافه : اصطباره ، يقال : نزلت به مصيبة فوجد عروفاً : أي صبوراً ، والعروف : الصابر .

(٤) في الديوان « والأمالي » « مما بيننا . . » وفي « الخزانة » « فيما بيننا . . » التهيام : بفتح أوله مصدر للمبالغة من الهيام ، كالجنون من العشق . تخلى من الشيء : تركه .

لكالمُرْتَجي ظِلَّ الغَمامة كُلَّما تَبَوَّأَ منها للمقيل اضْمَحَلَّتِ [١]

كأني وإياها سَحابَـةُ مُمْحِلٍ رَجاهـا فلما جاوَزَتْهُ استهلَّتِ [٢]

وقال ذو الرمة :

خليليَّ عُوجا عَوْجَـةً ثمَّ سَلِّما عسى الرَّبعُ بالجرْعاء أن يتـكلَّما [٣]

تعرَّفتُـهُ لمـا وقفتُ بربعـهِ كأنَّ بقاياه تماثيـلُ أعجَمـا

ديارُ لميٍّ قد تعفَّت رسومُهـا تخالُ نواحيها كتاباً مُعجَّما [٤]

وقال أيضاً :

---

(١) الغمامة : السحابة ، أو البيضاء خاصة . تبوأ المكان : نزل فيه . المقيل : النوم نصف النهار . اضمحلت : انقشعت . يشبه تعلّقه بعزّة بعد القطيعة ،باللاجىء إلى ظل السحابة ، ووجه الشبه الطمـع في غير مطمع .

(٢) ممحل : صفة لمحذوف ، كأنه قال : سحابة بلد ممحل . والمحل : الجدب، وهو انقطاع المطر ويبس الأرض في الكلأ – استهلت : أمطرت — وفي «العمدة» لابن رشيق : جعل رجاء الأول ظل الغمامة،ليقيل تحتها من حرارة الشمس،فاضمحلت وتركته ضاحياً ، وجعل الممحل في البيت الآخـــر يرجو سحـابة ماء ، فأمطرت بعدما جاوزته .

(٣) ديوانه : ٦٤٤ .

(٤) في الديوان « أخال . . . . » ، وفي الأصل تحت كلمة « معجما » :أي منقطا ، وتعفت : درست وامّحت آياتها .

وَقَفْتُ على رَبْعٍ لِمَيَّةَ ناقتي فما زِلْتُ أبكي عندَه وأخاطِبُهْ [(١)]

وأسقيه حتى كادَ مِمّا سَقَيْتُه تُكَلِّمُني أحجارُهُ ومَلاعِبُهْ [(٢)]

ألا لا أرى مثلَ الهوى داءَ مُسْلِمٍ كريمٍ ولا مِثْلَ الهوى لِيمَ صاحِبُهْ

متى يَعصِهِ تُبْرِحْ مُعاصاتُهُ به وإنْ يَتَّبِعْ أسبابَهُ فهو عائِبُهْ [(٣)]

وقال البحتري :

عَهدي بِرَبْعِك مأنوساً ملاعِبُهُ مِثالُ آرامِه حُسْناً كواعِبُهُ [(٤)]

يَشُبْنَ للصَّبِّ في صَفْوِ الهوى كَدَراً إنْ وَخْطُ شيبٍ أُعيرَتْهُ ذوائِبُهُ [(٥)]

---

(١) ديوانه : ٥٢ ، والأول والثاني في « الاقتضاب » : ٤٠٩ ، قال ابن السيّد : الربع : الدار حيث كانت ، وأما المربع ، فالمنزل بالربيع خاصة .

(٢) في الديوان : « مما أبثه . . » وفي « أضداد » ابن الأنباري ٦٣ « تجاوبني أحجاره . . » وفي الأصل : تحت كلمه «أسقيه» : أدعو له بالسقيا . وأبثه : أشكو إليه ، يقال : بثثته : إذا أخبرته بما تنطوي عليه وتسره . والملاعب : التي يلعب فيها الولدان .

(٣) في الديوان : « فان يعصه . . » يقول : حتى يعصي الهوى تبرح معاصاته به ؛ أي : تشق عليه ، كما تقول : برح بي فلان .

(٤) ديوانه ١/٢٢٥ من قصيدة يمدح بها أبا العباس محمد بن بدر . وآرام وأرآم : جمع رئم ، وهو الظبي الأبيض . الكواعب : جمع كاعب ، وهي الناهدة الثدي .

(٥) الوخط : مخالطة بياض الشعر لسواده .

وقال أيضاً :

إذا شئتُ أَجْرَتْ أدْمُعي من شؤونها ... رُبُوعٌ لهـا بالأبرقـين وأرْسُمُ (١).

وقَفْتُ بها والرّكبُ شتى سبيلُهُم ... يفيضُونَ منهمْ عـاذِرونَ ولُوَّمُ

هي الدّارُ إلاّ أنهـا لا تُكلِّمُ ... عفـا مَعْلَمٌ منها وأقفرَ مَعْلَمُ

تُقَيِّضُ لي من حيثُ لاأعلمُ النّوى ... ويَسري إليَّ الشّوقُ من حيثُ أعلَمُ

وقال أبو الفتيان بن حيّوس :

هو ذاكَ رَبعُ العامِرِيَّة فارْبَعِ ... واسأَلْ مَصيفاً عافياً عن مَرْبعِ (٢).

واسْتَسْقِ للدِّمَن الخوالي بالحمى ... غُرَّ السحائبِ واعتذِرْ عنْ أدْمُعي

فلقد فنِينَ أمـامَ دَانٍ هاجرٍ ... في قُرْبِهِ ووراءَ ناءٍ مُزْمِـعِ

وقال كثيّر :

خليليَّ عُوجا وَيْكُما ساعَةً معي ... على الرَّبع نقضي حاجَةً ونُوَدِّعِ (٣).

ولا تُعجِلاني أنْ أَلِمَّ بدِمْنَةٍ ... لِعزّةَ لاحتْ لي ببيداءَ بَلْقَعِ (٤).

---

(١) ديوانه ١/١١١ من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان مطلعها :

خيالٌ مُلِمٌ أو حبيبٌ مُسَلِّمُ ... وبرقٌ تجلى أو حريق مُضرَّمُ

(٢) ديوانه ١/٣١٢ من قصيدة يمدح بها الشريف فخر الدولة أبا يعلى حمزة ابن الحسن بن العباس وصفها ابن خلكان بقوله: « هي من غرر قصائده السائرة » .

(٣) ديوانه ١/١٢٣ وفيه « عوجا منكما . . . » .

(٤) أن ألم : أن أنزل ، قال ابن سيده : لمَّ به وألمَّ والتمَّ : نزل . بيداء بلقع : فلاة قفر لاشيء فيها .

وقولا لِقلْبٍ قدسَلا راجِعِ الهوى   وللعين أذري مِنْ دُموعِكِ أوْ دَعي [١]

فلا عَيشَ إلّا مِثلُ عيشٍ مضى لنا   مَصيفاً أقمنا فيهِ مِنْ بَعْدِ مَرْبع

وقال الشريف المرتضى رحمه الله :

كيف أرضى عن الزّمان وما أر   ضى كريماً مثلي الزّمانُ فأرضى [٢]

عَرَصاتٌ أَصبحْنَ وهيَ سماءٌ   ثمّ أمسَيْنَ بالحوادثِ أرضا

ورِباعٌ كانت عَرينَ أُسودٍ   أصبَحَتْ للضّباع مأوى ومَفْضى [٣]

وثرىً يُنْبِتُ النَّعيمَ إذا أنْـ   ـبتَ تُرْبُ البلادِ عُشباً وحَمْضا [٤]

ولقد مَضَّني هجومي على الدّا   ر بلا آذنٍ على الباب مضّا [٥]

وقال أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي :

أيدري الرّبعُ أيَّ دَمٍ أَراقا   وأيَّ قلوبِ هـذا الرَّكب شاقا [٦]

---

(١) راجع الهوى : أي : ارجع إلى الهوى ، أذري : من أذرت العين دمعها : إذ صبته وأسقطته .

(٢) ديوانه ٢/٢٦٠ من قصيدة يصف فيها إيوان كسرى . وترتيب الأبيات مختلف في الديوان عما هنا . وفي الديوان « قبلي الزمان . . » .

(٣) في الديوان « غيوض أســود . . » .

(٤) الحمض من النبات : كل نبت مالح أو حامض يقوم على سوق ولا أصل له .

(٥) في الديوان : على الــدار ، ومضني : أحزنني .

(٦) ديوانه ٢/٢٩٤ من قصيدة يمدح بها سيف الدولة . شاقه يشوقه شوقاً واشتياقاً . وأراق وهراق : بمعنى واحد ، وهو سكب الدمع والماء وغيرهما . =

لنـا ولأهلِهِ أبـداً قُلوبٌ تَلاقَى في جُسُومٍ ما تَلاقَى[١]
فليتَ هوى الأحِبَّة كان عدلاً فحمَّلَ كلَّ قَلْبٍ ما أطاقـا

وقال أيضاً :

فديناكَ مِنْ رَبعٍ وإنْ زِدْتنا كَرْبا فإنَّكَ كُنتَ الشَّرقَ للشَّمسِ والغَرْبا[٢]
وكيفَ عَرَفنا رَسْمَ مَنْ لم يَدَعْ لنا فؤاداً لِعرفانِ الرُّسُوم ولا لُبَّا[٣]
نَزلنا عن الأكوارِ نَمشي كرامةً لِمنْ بانَ عنهُ أنْ نُلِمَّ بهِ رَكْبا[٤]

ـ قال العكبري : والعرب تقول : الخوف إذا أفرط، والبكاء إذا اتصل، امتزج الدمع بالدم ، فتلاة في جريه ، وانحـــدر في أثره .

(١) تلاقِي : تتلاقى ، يقول : لنا وللراحلين قلوب تتلاقى أبداً بما هي عليه من الشوق والتذكار ، وسالف العهد وأيام الوصال ، في أجسام متنافية وأجساد غير متلاقية .

(٢) ديوانه ٥٦/١ من قصيدة يمدح بها سيف الدولة . يقول : فديناك أيها الربع من أحداث الدهر ونوائبه وإن زدتنا وجـداً بما هجت من ذكرى الحبيب الذي كان فيك، كالشمس يخرج منك ويعود إليك ، وكنت له كالمشرق حين يظهر وكالمغرب حين يحتجب .

(٣) قال العكبري : يقول كيف عرفنا رسم دارِ من لم تـدع لنا قلباً ولا عقلاً، وهذا تعجب منه لعرفانه الرسـوم . و « يدع » بالتاء والياء ، فمن روى بالتاء حمله على المعنى لأن المقصود بـ «من» امرأة .

(٤) الأكوار : جمع كور وهو رحل البعير .

نَذُمُّ السَّحابَ الغُرَّ في فعلها بهِ ونُعْرِضُ عنهـا كلّما طلعتْ عَتبا [١]

ذكرتُ به وصلاً كأن لم أفُزْ به وعيشاً كأني كنت أقطعه وثبا

وقال أبو العلاء بن سليمان المعري :

تَحِيَّةُ كسرى في السَّناء وتُبَّعِ لرَبْعِك لا أرْضى تَحيَّةَ أرْبُعِ [٢]

أميرُ المغـاني لم تَزالي أميرَةً به للغواني في مصيفٍ ومَرْبَعِ [٣]

---

(١) الغر : البيض ، السحاب : جمع سحابة ، وقد قال في نعته : «الغر» ، وقد جاء في القرآن « السحاب الثقال » وقيل : كل جمع لم يكن بينه وبين واحـده إلا الهاء ، يجوز أن يحمل على التوحيد . يقال : هذا تمر طيب . وإن قيل : تمرة طيبة فحسن. وفي الديوان بعد هذا البيت :

ومن صَحِب الدنيا طويلاً تقلّبت على عينه حتى يرى صدقها كذبا

وكيف التذاذي بالأصائل والضحى إذا لم يعُدْ ذاك النسيمُ الذي هبا

(٢) شروح « سقط الزند » ١٥٢٧/٤ . من قصيدة يخاطب بها أبا أحمد عبد السلام بن الحسـين البصري وكان يكثر الجلوس عنده أيام إقامته ببغداد . قال البطليوسي : كل ملك للفرس يدعى « كسرى » بكسر الكاف وفتحها ، وكل ملك لليمن يدعى « تُبّعاً » . السناء : الرفعة ممدود ، والسنى بالقصر : ضوء النهار وغيرها . يقول : لست أرضى لربعك بأن أحييه تحية الأربع ، ولكني أحييه بمـا كان يحيى به كسرى وتبّع .

(٣) المغاني : الأماكن التي يغنى فيهـا الناس ، أي : يقيمون ، والغواني : جمع غانية وهي التي غنيت بجمالها عن الزينة ، أي : هذا الربع أمير الغواني . قال التبريزي: والمعنى أن مغناك لم يزل أمير المغاني كما أنك لم تزالي أميرة للغواني فيه .

لقد نَصحَتْني في المقامِ بأرْضِكُم رجالٌ ولَكِنْ رُبَّ نُصْحٍ مُضَيَّعِ (١)

فلا كانَ سيري عنكُمُ رأْيَ مُلْحِدٍ يقولُ بيأسٍ مِنْ مَعادٍ ومَرْجِعِ (٢)

وقال المتنبي :

مُلِثَّ الغيثِ أَعطِشها رُبُوعا وإلّا فاسْقِها السَّمَّ النَّقيعا (٣)

أُسائِلُها عن المُتَدَيِّرِيها فما تَدري ولا تُذري دُمُوعا (٤)

لحاها اللهُ إلّا ماضِيَيْها زَمانَ اللّهْوِ والخَوْدَ الشَّموعا (٥)

وقال أيضاً :

دَمعٌ جرى فقضى في الرَّبع ما وَجَبا لأهلِهِ وشفى أَنَّى ولا كَرَبا (٦)

---

(١) قال الخوارزمي : حذف الفعل المسلط على اسم «رب» ونظيره بيت الأعشى:

رُبَّ رِفْدٍ هرَقتَهُ ذلك اليـ ـوم وأسرى من معشر أقيال

أي : ورب أسرى من معشر أقيال أطلقتهم .

(٢) قال التبريزي : كل مائل عن الحق لاحد وملحد ، ولا يقال: لاحد وملحد حتى يميل عن حق إلى باطل .

(٣) ديوانه ٢٤٩/٢ من قصيدة يمدح بها علي بن ابراهيم التنوخي . والمُلِث: الدائم المقيم ، والنقيع : المنقع .

(٤) أضاف إلى الضمير، والأصل : المتديرين فيها ، أي : متخذيها داراً . وتذري: تلقي دموعاً .

(٥) أصل اللحاء : القشر ، ومنه لحوت العود : إذا قشرته ، ثم صار يستعمل في الدعاء ، والخود : المرأة الناعمة ، والشموع : اللعوب المزّاحة .

(٦) ديوانه ١٠٩/١ من قصيدة يمدح بها المغيث بن علي بن بشر العجلي . =

عُجْنا فأَذْهَبَ ما أَبقى الفِرَاقُ لنا ... مِنَ العُقولِ وما رَدَّ الذي ذهبا

سقيتُهُ عبراتٍ ظَنَّهـا مَطَراً ... سَوائلاً مِنْ جُفونٍ ظَنَّها سُحُبا

وقال أيضاً :

بكَيتُ يارَبْعُ حتى كِدْتُ أَبكيكا ... وجُدْتُ بي وبدَمعي في مغانيكا [١]

فعِمْ صباحاً لقد هَيَّجتَ لي شَجَناً ... وارْدُدْ تحيَّتنا إنَّا مُحَيُّوكا [٢]

بأيِّ حُكمِ زمانٍ صِرْتَ مُتَّخِذاً ... رِيمَ الفَلا بدلاً مِنْ ريمِ أَهليكا

أيَّام فيكَ شموسٌ ما انبعَثْنَ لنا ... إلّا انْبعَثْنَ دماً باللَّحْظِ مَسْفوكا [٣]

وقال أبو فراس بن حمدان :

= كرب أن يفعل كذا ، أي : كاد وقارب . وقوله : أنّى : يريد كيف ، وأنّى بمعنى كيف ، كثير . قال الله تعالى: (أنى يحيي هذه الله بعد موتها) .

(١) ديوانه ٢/٣٧٧ من قصيدة يمدح بها عبيد الله بن يحيى البحتري . قال العكبري : « يقول : يا ربع بكيت في مغانيك حتى فنيت وفني دمعي . وقوله بي : أي بنفسي بكيت حتى أذهبتها .

(٢) عم صباحاً : بمعنى أنعم ، من نعم ينعم بالكسر . كما تقول : كُلْ من أكلَ يأكل ، فحذف منه الألف والنون تخفيفاً .

(٣) الشموس هنا : الجواري . وانبعثن : ذهبن ، وجئن ، وتحركن . وابتعثن : أسلن ، والمبعوث : المسفوك . يقول : إني لأذكر أيام فيك شموس ماذهبن وجئن إلا أجرين بألحاظهن دماء عشاقهن .

عليَّ لربْعِ العامريَّةِ وَقفةٌ تُمِلُّ عليَّ الشَّوق والدَّمعُ كاتبُ [(١)]

فلا وأبي العُشَّاقِ ما أنا عاشقٌ إذا أنا لم تَلْعَبْ بصَبْري الملاعِبُ

ومِنْ مَذْهبي حُبُّ الدِّيار لأهلِها وللنَّـاس فيما يعشقون مذاهِبُ

وقال جميل بن سالم ، وتروى لشهبر :

أتَهجُرُ هذا الرَّبع أمْ أنتَ زائرُه وكيفَ يزارُ الرَّبع قد بانَ عامِرُه

فذا العَرْش قد أجْرَمتُ في أنْ هَجَرْتها وما يَكُ مِنْ ذنبٍ فإنَّكَ غافِرُه

وقـد تقدمت هذه الأبيات بزيادة فيها منسوبة إلى جميل بن معمر العذري .

وقال أبو تمام :

يارَبعُ لو رَبعوا على ابن هُمومِ مُستَسلِمٍ لجوَى الفِراق سَـليمِ [(٢)]

---

(١) ديوانه ٢/٣٠ من قصيدة كتب بهـا إلى أخيه أبي الهيجاء حرب بن سعيد مطلعها :

أبيت كأني للصبابة صاحب وللنوم مذ بان الخليط مجانب

وفي « اللسان » أمل الشيء : قاله فكُتب ، وأملاه كأملَّه على تحويل التضعيف. وفي التنزيل (فليملل وليه بالعدل) وهذا من أملَّ ، وفي التنزيل أيضاً (فهي تملى عليه بكرة وأصيلا) وهذا من أملى . وقال الفراء : أمللت ، لغة الحجـاز وبني أسد . وأمليت ، لغة بني تميم وقيس .

(٢) ديوانه ٣/٢٦١ والثاني والثالث في « الموازنة » : ٥٠٥ ، من قصيدة يمدح بهـا اسحاق بن ابراهيم . وفي الديوان « سقيم » بدل « سـليم » . ربعوا : وقفوا. الجوى : الحزن .

قد كُنتُ مَعْهوداً بأحْسَنِ ساكنٍ ... مِنّـا وأحسنِ دِمنَةٍ ورُسومِ (١)

أيامَ للأَيّام فيـكَ غَضارَةٌ ... والدَّهرُ فيَّ وفيكَ غـيرُ مُليمِ (٢)

وقال نُصَيْب :

ولوْ أنَّ رَبعاً راجَعَ القَوْلَ قبْلَه ... لَرَدَّ السَّلامَ رَبْعُ سُعْدى وسَلَّما

ولكنَّه هاجَ الهوى لِمكلَّفٍ ... بسُعْدى وأمْسى دارِسَ العِلْمِ أعْجَما

وقال الرماح بن ميادة ـ وميادة : أمه ، وهي سندية ، وأبوه الأبرد بن ثوبان بن سراقة بن سلمى بن ظالم ـ من قصيدة يمدح بها يزيد بن عبد الملك ابن مروان :

هـل يَنْطقُ الرَّبعُ بالعَلْياء غيَّرَه ... سـافي الرِّياح ومُسْتَنٌّ له طُنُبُ (٣)

جرَّتْ به ذاتُ أذْيالٍ مُزَعْزِعَةٌ ... لهـا نَفِيٌّ وذَيلٌ عارِمٌ حَصِبُ (٤)

---

(١) في « الموازنة » : « ثاوٍ فأحسن دمنة . . . » الدِّمنة : ما اسود من آثار الديار .

(٢) الغضارة : طيب العيش . ويروى « غير ملوم » .

(٣) البيت الأول والرابع في « الأغاني » ٢/٣٠٤ من قصيدة يمدح بها الوليد ابن يزيد . وفيه « هل تعرف الدار بالعلياء غيرهـــا . . . » سافي الرياح ، في « اللسان » : السوافي من الرياح : اللواتي يسفين التراب . مستن : منصب ، يقال: استن المطر ، أي: انصب .

(٤) المزعزعة : الريح الشديدة المحركة . ونفت الريح التراب نفياً ونفياناً : أطارته ، والنفي : ما نفته ، وذيل الريح : ما تتركه في الرمال على هيئة الرسن ـ

تكسو معارفَهُ حِبراً تُجدِّدُه ... من التُّرابِ وأُخرى بعدُ تَستَلِبْ

دارٌ لبيضاءَ مُسْوَدٍّ مسائحُها ... كأنَّها ظبيةٌ ترعى وتَنتصِبُ [(١)]

جاورتُها رَجباً أيامَ ذي سَلَمٍ ... ثم استمرَّت ولاقى دونَها رَجَبُ

وقال الشريف الرضي رضي الله عنه :

مَثَّلتُ ربعَكِ والمراحِلُ دُونَهُ ... نُصبَ الضَّمير فكنتُ في مغناكِ [(٢)]

ورأيتُ ظبياً واقِفاً بفنائكم ... يَرنُو إليَّ كما رَنتْ عَيناكِ

فبكَيْتُ مِنْ أسفٍ عليكِ وإنَّما ... أجرى مدامِعَ مُقلتي ذِكراكِ

قالتْ أكنتَ نَسيتنا فذكرتنا ... للظَّبي نشكرُ لا لِدَمْعِ الباكي

وقال آخر :

سُقياً لربعِكَ مِنْ رَبعٍ بذي سَلَمٍ ... وللزَّمان بهِ إذ ذاكَ مِنْ زَمَنِ [(٣)]

ـ ونحوه ، كأنما ذلك هو أثر ذيل جرته . حصب : فيه حصى وتراب من شدة هبوبها .

(١) المسائح : الذوائب ، أو ما نزل من الشعر ، فلم يعالج بدهن ولا شيء ، وقيل : ما بين الأذن إلى الحاجب من الشعر . وتنتصب : تقف إذا ارتاعت منتصبة تتوجس ، أي: تسمع وهي خائفة .

(٢) الأبيات ليست في ديوان الشريف . وفي « اللسان »: مثل له الشيء : صوره حتى كأنه ينظر إليه ، ويقال : مثلت بالتثقيل والتخفيف : إذا صورت مثالاً .

(٣) البيتان للاحوص في « الأغاني » ٢٦٢/٤ .

إِذْ أنتِ فينا لمنْ ينْهاكِ عاصِيَةٌ   وإذ أُجرُّ اليكم سادِراً رَسَني

وقال مهيار :

استنجِدِ الرِّيحَ مِنْ سُلَيمى   مَرّاً على ربعِها المُحيلِ (١)

ولم أَخَلْ قبلَها شِفائي   عِنْدَ نسيمِ الصَّبا العليلِ

وأقتضي أذرُعَ المطايا   ما استَصْحَبَتْ من ثَرى الطُّلولِ

وقال آخر :

أَرَبعَ سَلاَّمَةَ بالمُنحنى   بَخَيْفِ سَلْعٍ جادَكَ الهاطِلُ (٢)

إنْ تُمس وحشاً فبما قد تُرى   وأنتَ مَعْمُورٌ بهم آهِلُ (٣)

وقال أخي عز الدولة أبو الحسن علي بن مرشد رحمه الله :

إِرْبَعْ بتلك الأرْبُعِ   بينَ اللِّوى فالأَجرعِ

وقِفْ ولوْ رَجْعَ الصَّدى   وقْفَةَ صَبٍّ مُوجَعِ

---

(١) ديوانه : ٩٨/٣ من قصيدة كتب بها إلى أبي المعالي عبد الرحيم مطلعها :

نوازع الشوق والغليل   عليَّ أحنى من العذول

وفي الديوان « واستروح ... » وقد ذكر محقق الديوان في الهامش أن هذه الكلمة كانت مطموسة في الأصل الفتوغرافي ، ولم يتبينها إلا بمقدار مارجحه.

(٢) البيتان مع بيتين آخرين في « الأغاني » ٣٠٢/٣ بدون نسبة ، وفيه : « يا ربع ... فخيف .. الوابل » .

(٣) في « الأغاني » : « ... وحشاً طالما قد ترى » .

وَسَلْ صَباهـا إنْ سَرَتْ　　عن الغزالِ الأَتْلَعِ

إنْ كان قد أَتْهَم لـ　　مّا أنجدَ الوَجْـدُ معي

كم لي إليه أنّـة　　تُقِيمُ عُوَجَ أضْـلُعي

أوْدَعْتُـهُ قلـبي فلمْ　　يَرْعَ حُقوقَ المُودِعِ

وإنْ يكنْ خانَ ولمْ　　يَرْعَ حُقوقي فَرُعي

فيا زمـاني والصِّبى　　هل فيكما مِنْ مَطْمَعِ ؟

وهـلْ لأيّامِ التّصـا　　بي والحمى من مَرْجِعِ

ويا غُرابَ البيـنِ طِرْ　　بعـدَ الفِراق أوْ قَعِ

فمـا أبالي بعـدَهُم　　كيفَ أتـاني مَصْرَعي

* * *

فصل
في ذكر الدمن

قال رقيع بن عُبيد بن صيفي :

أَلَمْ تُلْمِمْ على الدِمن البوالي دِيارِ الحيِّ في الحِجَجِ الخوالي
عفتْها كلُّ مُعْصِرَةٍ ومرٌّ مِن الأيَّام بعدَك والليالي
فأبقى من معارفها قليلاً عَيِّياً حين يُسألُ بالسُّؤالِ
بها عَمِروا وكلُّ نعيم عَيشٍ مِنَ الدُّنيا يصيرُ إلى زوالِ
هُمُ كانوا الحُماةَ وكانَ فيهم ذوو الإفضال والأيدي الطِوالِ

وقال البحتري :

أَلِفوا الفِراقَ كأنَّهُ وطنٌ لهم لا يقرُبُونَ إليه حتى يَبْعُدُوا [1]
في كلِّ يومٍ دِمنةٌ من حيِّهِمْ تُقوي وربعٌ مِنهمُ يتأبَّدُ [2]

---

(١) ديوانه : ٦٢٧/١ من قصيدة يمدح بها أبا أيوب أحمد بن محمد بن شجاع المعروف بابن أخت أبي الوزير مطلعها :

يا يومُ عرِّج بل وراءك ياغَدُ قد أجمعوا بيناً وأنت الموعد

(٢) تقوي : تقفر ، ويتأبد : يتوحش . وبعد البيت :

أو ما كفانا أن بكينا غرَّبا حتى شجانا بالمنازل ثهمد

أَسنِدْ صُدُورَ اليَعمَلاتِ بوَقْفَةٍ   في الماثِلاتِ كأنهُنَّ المُسنَدُ (١)

دِمَنٌ تقاضاهُنَّ إعلانَ البِلى   هُوجُ الرِّياحِ البادياتِ العُوَّدُ (٢)

حتى فنِينَ وما البقاءُ لِواقِفٍ   والدَّهرُ في أَطرافِهِ يتردَّدُ

وقال أيضاً :

بين الشَّقيقةِ فاللِّوى فالأَجْرَعِ   دِمَنٌ حُبِسْنَ على الرِّياحِ الأَرْبَعِ (٣)

فكأنَّما ضَمِنَتْ معالِمُها الذي   ضَمِنَتْهُ أحشاءُ المحبِّ المُوجَعِ

---

(١) اليعملات : جمع يعملة ، وهي الناقة النجيبة المعتملة المطبوعة ، وفي «الموازنة» ٤٦٩ : والمسند : الدهر ، أراد أن طلول الدار والماثلات ثابتة فيه كثبات الدهر ودوامه . وفي « عبث الوليد » : أشبه ما يحمل المسند هنا أن يكون في معنى خط حمير ، لأن مذهب الشعراء في ذلك معروف ، وإياه قصد أبو عبادة ، كما قال أبو ذؤيب :

عرفت الديار كرقم الدواة   يزبُرها الكاتب الحميري

وكانوا يسمون خطهم المسند . ثم قال : وقد يحتمل أن يعني بالمسند : الحديث المسند ، أي : هذه المنازل قد صارت حديثاً يذكر .

(٢) الهوج : جمع الهوجاء وهي التي لا تستوي في هبوبها .

(٣) ديوانه : ١٢٨٦/٢ من قصيدة يمدح بها يوسف بن أبي سعيد محمد بن يوسف الثغري . والشقيقة : اسم بئر في ناحية أُبْلى من نواحي المدينة ، والشقيقة : كل غلظ بين رملين ، واللوى : واد من أودية بني سليم ، واللوى : منقطع الرمل وما التوى منه . والأجرع : موضع باليمامة ، والأجرع : الرملة المستوية لا تنبت شيئاً .

ولو أُنَّ أنواءَ الربيع تُطيعُني لشفى الرَّبيعُ غليلَ تلكَ الأربُعِ [(١)]

ما أحسنَ الأيَّامَ إلَّا أنَّها تَمضي بنا وإذا مَضَتْ لم تَرْجِعِ [(٢)]

وقال أيضاً :

ما جوٌّ خبْتٍ وإنْ نأَتْ ظُعنُهُ تارِكَنا أو تَشُوقَنا دِمَنُهْ [(٣)]

إذا اسْتجدَّتْ داراً تعلَّقَها بالإِلْفِ حتَّى كأنَّها وَطَنُهْ

تاللهِ ما إنْ يني يُدَلِّهُنا سُرورُ هذا الزَّمانِ أو حَزَنُهْ [(٤)]

وقال أبو تمام :

دِمَنٌ أَلَمَّ بها فقال سلامُ كم حلَّ عُقْدَةَ صبرِهِ الإِلمامُ [(٥)]

نُحِرَتْ رِكابُ الرَّكبِ حتى يَغْبُرُوا رَجْلَى لقد عَنُفُوا عليَّ ولامُوا [(٦)]

---

(١) في الديوان : « لو أن أنواء السحاب . . . »

(٢) في الديوان : « . . . يا صاحبيَّ إذا مضت . . . »

(٣) الأول والثالث في ديوانه : ٣٧٧/١ من قصيدة يمدح بها أبا عيسى بن صاعد ويهجو ابن البريدي .

(٤) في الديوان « سرور هذا الغرام . . . » يني : يفتر ، ويدلهنا : يحيرنا .

(٥) ديوانه : ١٥٠/٣ من قصيدة يمدح بها المأمون .

(٦) قال التبريزي : « يغبروا رَجْلَى » يبقوا رجلى ، جمع راجل ، مثل : هالك وهَلْكى . دعا عليهم بأن تُنحر ركابهم حتى يغبُروا ، وإن شئت جعلت « رجلى » جمع رجلان فلم تنوّن ، وكذلك ينشده الناس ، يقال : رجلان ورجلى ـ

وقفوا عليَّ اللَّوْمَ حتى خَيَّلُوا ... أنَّ الوُقوفَ على الدِّيارِ حرامُ

لا مَرَّ يَوْمٌ واحدٌ إلَّا وفي ... أحْشائِهِ لِمَحَلَّتَيْكِ غَمامُ [١]

ولقد أراكِ فهل أراكِ بعزَّةٍ ... والعيشُ غضٌّ والزَّمانُ غلامُ [٢]

أعوامَ وَصلٍ كان يُنْسِي طُولَها ... ذِكْرُ النَّوى فكأنَّها أيَّامُ [٣]

ـــ كما يقال : سكران وسَكْرى . قال الشاعر :

عليَّ إذا لاقيت ليلى وأهلها ... أن ازدار بيت الله رَجْلان حافيا

ولو نوّنت فجُعِلَت جمع راجــــل ورَجْل ، مثل صاحب وصحب ، كان ذلك حسناً ، وإنما دعا عليهم بنحر ركابهم ليتلبثوا في الديار ، فيقضي وطره من التسليم ، ويكون نحرها جزاءاً لهم على لومهم إياه . وبعد البيت .

عشقوا ولا رُزِقوا أيُعذَلُ عاشقٌ ... رُزِقتْ هواه معالمٌ وخيام !؟

(١) في الديوان « ما مر » قال التبريزي : يريد المشتى والمصيف ، والمبدى والمحضر . دعا للديار ، فقال : لا مر يوم واحد إلا وفي أحشائه . . الهاء راجعة إلى اليوم ، ثم قال البيت التالي :

حتى تُعَمَّمَ صُلْعُ هامات الرُّبا ... من نوْره وتأزّر الأهضـــام

أي : لا زالت الغمام تسقيك حتى يصير النبات كالعمائم على الرُّبى الصُّلع التي لا نبات بها ، وتأزّر ، أي : يكون لها كالازار ، والأهضام : جمع هِضم ، وهو المطمئن من الأرض .

(٢) في الديوان « بغبطة » قال التبريزي : معنـاه : أنه يتصرف على إرادتنا تصرف الغلام ، ويجوز أن يكون أراد أن الزمان مقتبل طري .

(٣) قال التبريزي : أعوام : منصوب بغض وما في « غــــلام » من معنى

ثمَّ انبرتْ أيامُ هجرٍ أردفتْ   بجوى أسىً فكأنها أعوامُ
ثمَّ انقضتْ تلكَ السنونُ وأهلُها   فكأنَّهم وكأنَّها أحلامُ (١)

وقال مهيار :

دِمنٌ كسحبةِ الأزِ   مّةِ مُسْحَلاً إمرارُها (٢)
ماتتْ حقائقُها وخُلِّـ   ـدَ زُوْرُها ومُعارُها
وامتدَّ ليلُ السافيا   تِ بجوِّها ونهارُها
عندي لها إنْ أجدبتْ   وكَّافةٌ تمتارُها
أنستْ بإسبالِ الدمو   عِ كأنَّها أشفارُها

= الفعل ، والأجود أن يكون منصوباً بـ « هل أراك أيتها الديار بغبطة وغفلة من الزمان عنا أعوامَ . . . »

(١) في الديوان « فكأنها وكأنهم أحلام » .

(٢) ديوانه : ١/٣٩٨ من قصيدة كتب بها إلى أبي المعالي مطلعها :

لمن الطلول ترافصت   نجوى حشاك قِفارُها

* * *

فصل آخر
في ذكر الدمن

قال زهير بن أبي سُلمى واسمه ربيعة بن رياح[1] المزني :

أمِنْ أمّ أوْفى دِمْنَةٌ لم تَـكَلَّمِ   بحَوْمـانَةِ الدَّرّاجِ فالمُتَثَلَّمِ [2]

دِيارٌ لهـا بالرَّقْمَتَيْنِ كأنَّها   مَراجِعُ وشيٍ في نواشِرِ مِعْصَمِ [3]

---

(١) في الأصل : رزاح ، وما أثبتناه هو الذي جاء في كتب الأدب والتراجم .

(٢) ديوانه : ٤ ، و « مختـار الشعر الجاهلي » ٢٢٧ ، و « شرح القصائد السبع الطوال » : ٢٣٧ . والدمنة : ما اسود من آثار الديار ، والحومانة : الأرض الغليظة ، جمعها : حوامين ، والدراج والمتثلم : موضعان بالعالية ، والعالية : اسم لكل ما كان من جهة نجد من المدينة من قراها وعمائرها إلا تهامـة ، وما كان دون ذلك من جهة تهامة فهي السافلة . يريد : أدمنة من منازل ، أم أوفى لم تكلم ، وهذا توجع .

(٣) في الأصل تحت كلمة « نواشر » ما نصه : عصب الذراع . وفي الديوان و « مختار الشعر الجاهلي » و « شرح المعلقات » : « مراجع وشم . . . » ويروى : « ودار لها بالرقمتين » قال الأصمعي : الرقمتان : إحـداهما قرب المدينة ، والأخرى قرب البصرة ، وإنما صارت هاهنا حيث انتجعت ، يريد أنها تحـل الموضعين عند الانتجاع ، ولم يرد أنها تسكنهما جميعاً ، وقوله : « مراجع وشم » أي : معاطف ، أي : رُجِّع الوشم وأعيد ، وكلما رجَّعت شيئاً فقد رددته ، والوشم : أن يثقب ظاهر الذراع بابرة أو غيرهـا ، ثم يحشى بالكحل والنؤور ليخضر . والنواشر : عروق ظاهر الذراع خاصة ، وقال يعقوب : النواشر : عصب الذراع من ظاهرها وباطنها ، واحدتها ناشرة .

بِهَا العِينُ والآرَامُ يَمشِينَ خِلْفَةً وأَطْلاؤُها يَنْهَضْنَ من كلِّ مَجْثَمِ (١)

وقفتُ بها مِنْ بعدِ عشرينَ حِجَّةً فلأْياً عَرَفتُ الدّارَ بعدَ تَوَهُّمِ (٢)

فلمَّا عَرَفتُ الدَّارَ قلتُ لِرَبْعِهَا أَلا انْعِمْ صَباحاً أيُّها الرَّبعُ واسْلَمِ (٣)

وقال النَّابغة الذّبياني :

عُوجُوا فحيُّوا لِنُعْمٍ دِمْنَةَ الدَّارِ ماذا تُحَيُّونَ من نُؤيٍ وأحْجارِ (٤)

أَقْوى وأقْفرَ مِن نُعْمٍ وغيَّرَها هُوجُ الرِّياحِ بِهَابي التُّرْبِ مَوّارِ (٥)

---

(١) العين : بقر الوحش ، الواحدة : عيناء ، والذكر أعين ، والآرام : ظباء بيض خوالص البياض ، واحدها : ريم وريمة ، ومساكنها الرمل . خلفة : يخلف بعضها بعضاً ، والأطلاء : جمع الطلا : وهو ولد البقرة وولد الظبية الصغير ، والمجثم للغزال والأرنب والطائر : موضعه الذي يجثم فيه . قال ابن الأنباري : وقوله : « وأطلاؤها ينهضن » معناه : أنهن ينمن أولادهن إذا أرضعنهن ، ثم يرعين ، فاذا ظنن أن أولادهن قد أنفدن ما في أجوافهن من اللبن ، صوتن بأولادهن فنهضن للأصوات ليشربن .

(٢) الحجة ، بكسر الحاء : السنة ، ولأياً : بعد إبطاء وجهد ، قال يعقوب: يقال : التأت عليه الحاجة : إذا أبطأت ، والتوهم : التفرس وطول التأمل .

(٣) قال ابن الأنباري : « ألا انعم صباحاً » معناه : لقيت يا ربع نعيماً في صباحك ، والدعاء في الظاهر للربع ، وفي المعنى لمن كان يسكن الربع ممن يألفه ويحبه .

(٤) ديوانه : ٨٥ بشرح ابن السكيت و « جمهرة أشعار العرب » : ١١٢ ، قال يعقوب : وهي أبيات منحولة . والنؤي : حاجز يرفع حول البيت من تراب من خارج ، لئلا يدخل الماء البيت .

(٥) أقوى : خلا ، وهابي الترب : سافيه ، موار : يجيء ويذهب .

وقفتُ فيها سَراةَ اليوْمِ أسألُها ... عن آلِ نُعْمٍ أَمُوناً عَبْرَ أسْفارِ (١)

فاستَعْجَمتْ دارُ نُعْمٍ ما تُكلِّمُنا ... والدّارُ لو كلَّمَتْنا ذاتُ أخبارِ

وقال كُثيّر بن عبد الرحمن الخزاعي :

أهاجَكَ مَغْنى دِمنةٍ ومَساكِنُ ... خَلتْ وعَفاها المُعْصِراتُ السَّوافِنُ (٢)

ديارُ ابنةِ السَّعديّ إذْ عَقْدُ حَبْلِها ... متينٌ وإذْ مَعْروفُها لكَ عاهِنُ (٣)

وما زِلتُ في لَيْلى لدُنْ طَرّ شارِبي ... إلى اليومِ أُطْفِي إحْنَةً وأُداجِنُ (٤)

وأَحْمِلُ في لَيْلى لِقَوْمٍ ضَغينةً ... وتُحمَلُ في لَيْلى عليّ الضَّغائِنُ (٥)

---

(١) سراة اليوم : وسطه ، وناقة أمون : أمينة ، وثيقة الخلق ، قد أمنت أن تكون ضعيفة ، وهي التي أمنت العثار والاعياء .

(٢) ديوانه : ١/٢٠٢ ، ٢٠٣ عدا البيت الأول . والثالث والرابع في «الاغاني» ٢/٣٧٩ وفي الأصل تحت كلمة «السوافن» مانصه : أراد السوافي . وفي «اللسان» أبو عبيد : السوافن : الرياح التي تسفن وجه الأرض ، كأنها تمسحه ، وقال غيره : تقشره ، الواحدة : سافنة .

(٣) في الأصل تحت كلمة « عاهن » أي : حاضر . ورواية البيت في الديوان : « ديار ابنة الضَّمري إذ حبل وصلها . . . » وفي « التـاج » : العاهن : الحاضر وأيضاً : المقيم . وقول كثير : ديار ابنة . . . البيت . يكون : الحاضر والثابت .

(٤) في الديوان : وما زلت من ليلى . . . إلى اليوم أخفي حبهـا . . . » وقوله : طر شاربي ، أي : طلع . وقوله : أداجن ، قال في « اللسان » : المداجنة : حسن المخالطة .

(٥) في الديوان : « تحمَّلُ في ليلى علي الضغائن » والضغينة : الحقد والمداوة والجمع : ضغائن .

وقال ذو الرُّمّة :

تَحِنُّ إلى مَيٍّ كما حَنَّ نازِعٌ دَعاهُ الهوى فارتدَّ في قَيْدِهِ قَسْرا [(١)]

فقلتُ ارْبَعا يا صاحِبَيَّ بِدِمْنَةٍ بذي الرِّمْثِ قدْ أقْوَتْ منازِلُها عَصْرا [(٢)]

أرَشَّتْ بها عَيناكَ حتَّى كأنَّما يُحِلَّانِ مِنْ سَفحِ الدُّموعِ بها نَذْرا [(٣)]

ولا مَيَّ إلّا أن تَزورَ بِمُشْرِفٍ أو الزَّرْقِ مِنْ أطلالِها دِمَناً قَفْرا [(٤)]

وقال أيضاً :

أَمِنْ دِمْنَةٍ بينَ القِلاتِ وشارِعٍ تَصابَيْتَ حتى ظَلَّتِ العَيْنُ تَدْمَعُ [(٥)]

---

(١) ديوانه : ٢٣٦ ، وفيه « فارتاد من قيده . . . » وفي الشرح : نازع : بعير يحن إلى وطنه ، أراد : ارتاد من قيده قصراً ، أي : طلب السعة فوجده مقصوراً . وقيل : قصراً ، أي : ضيقاً . يقول : تحن إلى ميٍّ كما حن هذا البعير لصاحبته ، يعني : ناقته .

(٢) اربعا : أقيما . أقوت : أقفرت وخلت ، عصراً ، أي : دهراً ، وذو الرمث : موضع ينبت فيه الرمث ، والرمث : مرعى الابل من الحمض ، وشجر يشبه الغضى .

(٣) أرشّت ورشّت ، أي : سالت بالبكاء ، يقول : كلما رأيت منازلها بكيت فكأنما عليك نذر لابد من قضائه .

(٤) يقول : لا تقدر عليها حتى تقطع بلداً قفراً بعيداً ، والأطلال : ما شخص من آثار الديار ، قفراً : خالية .

(٥) ديوانه : ٤٣١ .

أَجَلْ عَبرَةٌ ظَلَّتْ إذا ما وزَعْتُها بحِلمِي أبَتْ منها عَوارِضُ تُسْرِعُ (١)
وما يَرْجِعُ الوَجْدُ الزَّمانَ الذي مَضى وما لِلفتى في دِمْنَةِ الدَّار مَجْزَعُ (٢)
عَشيَّةَ ما لي حِيلَةٌ غيرَ أنَّني بِلَقْطِ الحصى والخطِّ في الدَّارِ مُولَعُ (٣)
أَخُطُّ وأمحُو الخطَّ ثمَّ أُعيدُهُ بكَفَّيَّ والغِرْبانُ في الدَّارِ وُقَّعُ
كأنَّ سِناناً فارِسيّاً أصابني على كَبِدي بل لَوْعَةُ الحبِّ أَوْجَعُ
ألا لَيْتَ أيَّامَ القِلاتِ وشارِعٍ رَجعْنَ لنا ثمَّ انقضى العَيْشُ أَجْمعُ

وقال أيضاً :

أَمِنْ دِمْنَةٍ بالجوِّ جوِّ جُلاجِلٍ زَميلُكَ مُنهَـلُّ الدُّموعِ جَزُوعُ (٤)
عَصَيْتُ الهَـوى يومَ القِلاتِ وإنَّني لِداعي الهوى يَوْمَ النَّقا لَسَمِيعُ

---

(١) رواية البيت في الديوان :

أجل عبرةٌ كادت إذا ما وزعتُها بحلمي أبت منها عواصٍ تسرَّعُ

وفيه بعد هذا البيت

تصابيت واهتاجَتْ بها منك حاجةٌ ولَوعٌ أبت أقرانُها ما تُقطَّعُ
إذا حنَّ منهـا دون ميٍّ تعرُّضٌ لنا حنَّ قلبٌ بالصَّبابة مُوزَعُ

وأجل : نعم ، وزعتها : كففتها .

(٢) في الديوان : « ولا للفتى من دمنة الدار ... » يقول : ليس ثمَّ جزع ، لا ينفعه الجزع .

(٣) في الديوان : « والخط في الترب ... »

(٤) ديوانه : ٤٤١ . والزميل : الرفيق ، يريد : أمن ذاك زميلك منهلُّ الدموع ؟ أي : أبكاه صاحبك من ذلك ؟

أَرَبَّتْ بهِ هوجاءُ تَستدرِجُ الصَّبا ... مُفرِّقةٌ تُذري التُّرابَ جَموعُ [١]

أراجِعَةٌ يا مَيُّ أيامُنا الأُلى ... بذي الرِّمث أم لا ما لَهنَّ رجوعُ [٢]

ولو لم يَهِجْني الظَّاعِنونَ لهاجَني ... حَمائِمُ وُرْقٌ في الدِّيارِ وُقوعُ [٣]

تجاوَبنَ فاستَبْكَينَ مَن كانَ ذا هوى ... نوائِحُ لم تَذْرِفْ لهنَّ دُموعُ

وقال كثيِّر بن عبد الرحمن :

سَقَى دِمنَتَيْنِ لم نَجِدْ لهما مِثْلا ... بحَقْلٍ لكم يا عَزُّ قد زانتا حَقْلا [٤]

نَجاءُ الثُّريَّا كلَّ آخِرِ ليلَةٍ ... تَجودُهُما جَوْداً وتَرْدُفُهما وَبْلا [٥]

---

(١) في الديوان : « تستدرج الحصى » وهي أجود . أربت : أقامت ، هوجاء : ريح شديدة ، كأن بها هوجاً ، مفرقة : تفرق الحصى . جموع : يعني : الريح .

(٢) في الديوان « ... أيامنا التي ... »

(٣) هذا البيت والذي بعده ينسبان مع اختلاف الرواية ، لقيس بن ذريح والمجنون ، وجميل بثينة ، وعمرو بن حكيم التميمي ، والضحاك بن عمارة . ويبدو أنهما مقحمان على قصيدة ذي الرمة .

(٤) الأول والثاني في الديوان : ١٧/٢ ، والأغاني : ١١٧/١٢ ، ومعجم البلدان ٣٠٦/٣ .قال ياقوت : وحقل : مكان دون أيلة بستة عشر ميلاً كان لعزة صاحبة كثير فيه بستان ، وقوله : « قد زانتا » فاعله راجع إلى دمنتين ، ويروى : قد رابنا ، ويروى أيضاً : قد رابني . وفي الأغاني : البيت للأفوه الأودي ، وانتحله كثير لنفسه .

(٥) في الأغاني « ويتبعه وبلا » وفي معجم ياقوت « وتردفه » والنجاء : المطر الشديد .

إذا شَحطَتْ دارٌ لِعزَّةَ لم أَجِدْ ... لها في الأُلى يَلْحَيْنَ في وَصْلِها مِثْلا

فيا لَيْتَ شِعْرِي والحوادِثُ جَمَّةٌ ... متى تجمَعُ الأيامُ يوماً بها شَمْلا

وقال أرطاة بن كعب بن قُعين :

يا دارةَ السَّلَمِ التي شَرْقِيَّهـا ... دِمَنٌ يَظَلُّ حمامُـه يَبْـكِينا [1]

ما كنتُ أوَّلَ من تَفرَّقَ شمْلُهُ ... ورأى الغَداةَ مِنَ الفِراقِ يقينا

وقال ذو الرمة غيلان :

خليليَّ عُوجا حَيِّيَا رَسْمَ دِمنَةٍ ... مَحَتْها الصَّبا بَعْدي وطارَتْ خِيامُها [2]

هل الدَّارُ إن عُجْنالكَ الخيرَ ناطِقٌ ... بحاجتنا أطلالُها وثُمامُهـا [3]

ألا لا ولـكنْ عائِدُ الشَّوْقِ هاجَهُ ... عَلَيْكَ طُلولٌ قد أحالَ مَقامُها [4]

منازِلُ مِنْ حَيٍّ بوَهِبينَ جادَها ... أهاضِيبُ طَلٍّ دَجْنُها وانهِمامُها [5]

---

(١) البيتان مع بيتين آخرين تقدما ص : ٤٣ . وهما « في معجم مااستعجم » : ٥٣٥ ، ومعجم البلدان ٤/١٩ ، والاصابة : ١/١١١ .

(٢) ديوانه : ٧١٩ ، وفيه : « وطار ثمامهـا » وعوجا : اعطفا ، والثمام : شجر يستظلون به ، وله ظل بارد ، وطار ، أي : سفته الريح .

(٣) في الديوان : « أطلالها وخيامها » .

(٤) عائد الشوق : أي : عائد الشوق هاجه طلول . وأحال مقامهـا : أتى عليه حول .

(٥) في الديوان : « أهاضيب دَجْن طَلّها وانهمامها » جادهـا من الجود وهو المطر . والأهاضيب : دفعات المطر ، والطل : الخفيف من المطر ، والانهمام : مثله .

وقال أحمر بن الأَيهم التَّغلبي :

أَلْمِمْ على دِمَنٍ تقادمَ عهْدُها بالجزْعِ واستلَبَ الزَّمانُ جمَالَهـا

رَسْمٌ لقاتلَةِ الغُرانِقِ ما بـهِ إلّا الوُحوشُ خَلَتْ له وخَلا لَها [1]

ظلّتْ تُسائِلُ بالمتيَّمِ أهلَهُ وهيَ التي فعلَتْ بـه أفعالَها

وقال البحتري :

دِمَنٌ لزينَبَ قبْلَ تشْريدِ النّوى منْ ذي الأراكِ بزينبٍ ولَعُوبِ [2]

تأبَى المنازِلُ أن تُجيبَ ومِنْ جوىً يوْمَ الدّيارِ دعوْتُ غـيْرَ مُجيبِ

فسقى الغَضا والساكِنيْهِ وإنْ هُمُ شَبُّوهُ بينَ جوانحٍ وقُلوبِ [3]

قال أبو الفرج الأصبهاني لما قال عليُّ بن أحمد بن أبي أميَّة الكاتب :

يا ريحُ مـا تَصْنَعيْنَ بالدِّمَنِ كم لكِ مِنْ محْوِ منظرٍ حَسَنِ [4]

---

(١) في « اللسان » الغرانق : الشاب الأبيض الناعم الجميل .

(٢) ديوانه ٢٤٦/١ ، والأول والثاني في « الموازنة » ٤٧٦ الدمن : جمع دِمنة ، ماسود من آثار الديار . ذو الأراك : واد قرب مكة ، والأراك : شجر . لعوب : اسم امرأة .

(٣) في الديوان « والنازليه » والغضـا : شجر خشبه من أصلب الخشب ، وجمره يبقى زمناً طويلاً لا ينطفىء ، ويكثر في نجد ، ويسمون لذلك أهل الغضا .

(٤) الخبر مع الأبيات في « الأغاني » ٥٨٥/٢٢ في أخبار علي بن أبي امية ، قال أبو الفرج : وكان أبوه يكتب للمهدي على ديوان بيت المال وديواني الرسائل والخاتم ، وكان منقطعاً إلى ابراهيم بن المهدي وإلى الفضل بن الربيع .

مَحَوْتِ آثارَنا وأحدَثْتِ آثا دًا بِرَبْعِ الحبيبِ لم تَكُنِ

إن تَكُ يا رَبْعُ قد بَلِيْتَ من الرِّ يحِ فإنّي بالٍ من الحَزَنِ

قد كانَ يا رَبْعُ فيكَ لي سَكَنٌ فصِرْتَ مُذ بانَ بعدَهُ سَكَني [١]

شبَّهتُ ما أبلتِ الرِّياحُ من آ ثارِ حبيبي النّائي إلى بَدَني [٢]

حاشاكِ يا رِيحُ أن تكُوني على العاشق عوناً لِحَادِثِ الزَّمنِ

كثّرَ الناسُ فيه وتداولوه، وغنّى فيه عمرو الغزّال، فقال أبو موسى الأعمى:

يارب خُذْني وخُذْ عليّاً وخُذْ «يا رِيحُ ما تصنعينَ بالدِّمَنِ»

عَجِّلْ إلى النّار بالثلاثةِ والرا بِعِ عَمْرِو الغزّالِ في قَرَنِ

وقال عمرو بن شأس:

متى تَعرِفِ العَيْنانُ أطلالَ دِمْنَةٍ لِلَيلى بأعلى ذِي مَعارِكَ تَدْمَعا [٣]

على النَّحرِ والسِّرْبالِ حتى تبُلَّهُ سَجُومٌ ولم تَجْزَعْ إلى الدّار مَجْزَعا

---

(١) في الأغاني: «فصرتَ إذ بانَ بعده سكني».

(٢) في الأغاني: «آثار حبيبي النوى بلا بَدَنِ» وفيه بعد هذا البيت:

يا ريح لا تَطْمِسي الرُّموس ولا تمحي رُسُوم الدّيار والدِّمَنِ

(٣) الأبيات في «الأغاني» ١١/٢٠٠، و «طبقات فحول الشعراء» ١٦٧ و «ذو مَعارِك» على لفظ جمع معركة: موضع في ديار بني تميم.

وفي طبقات فحول الشعراء: «رشاشاً ولم تجزع ...» والرشاش: ما ترشش من الدمع وقطر، والجزع هنا: الحزن الشديد، وقال: لم تجزع إلى الدار، ضمن جزع معنى حن واشتاق.

خليليَّ عُوجا اليومَ نقْضِ لُبانَةً وإلا تَعُوجَا اليومَ لا نَنْطَلِقْ معا [١]

قال أبو عمرو [٢] : كان بيهسُ بن صُهَيْب بن عامِر بن عبد الله بن نائل يهوى امرأةً من قومه ، يقال لها : صفراء ، وكان يتحدَّثُ إليها ، ويجلسُ في بيتها ، ويُكثِر [٣] وجدَه بها ، ولا يُظهِرُه لأحد ، ولا يخطُبُها إلى أبيها ، لأنه كان صُعلوكاً لا مال له ، وكان ينتظِرُ أن يُثرِيَ وكان شاعِراً شُجاعاً ، له مواقفُ مشهورة ، وكان مِنْ أحسَنِ الشَّباب وجْهاً وشارةً وحديثاً وشعراً ، فكان نساءُ الحيِّ يتعرَّضْنَ له ، ويجْلِسْنَ إليه ، ويتحدَّثن معه ، فمرت به صفراء ، فرأَتْهُ جالساً مع فتاةٍ منهن ، فهجرته زماناً لا تُجيبه إذا دعاها ، ولا تخرجُ إليه إذا زارها . وعَرَض له سَفَرٌ ، فخرج فيه ، ثم عاد وقد زوَّجها أبوها رجلاً من بني أسد ، فأخرجها ، وانتقل بها عن ديارهم ، فقال بيهس بن صهيب :

---

(١) عاج بالمكان : عطف عليه ومال ، واللبانة : حاجة النفس التي تهمها ، لا من فاقة . وفي « الطبقات » بعد هذا البيت :

وإن تنظُراني اليومَ أتبعكُما غداً أذلَّ قياداً من جنيبٍ وأطوَعا
وقد زَعمـا أنْ قد أمَلَّ عليهما ثوائي وقوْلي كلما ارتحـلا اربعا
وما لَبَثٌ في الحيِّ يوماً وليلةً بزائد ما قد فات صيفاً ومَرْبعا
فجودا لهندٍ في الكرامة منكما وإن شئتما أن تمنعا بَعْدُ فامنعا

(٢) الخبر مع الأبيات في « الأغاني » : ٢٢/١٣٠ .

(٣) في « الأغاني » : ويكتم .

سَقَى دِمْنةً صفراءُ كانتْ تَحلُّها ... نَجاءُ الثُّريّا طَلُّها وذِهابُها [١]

وجادَ عليها كُلُّ أَسْحَمَ هاطِلٍ ... ولا زالَ مُخضَرّاً مَرِيعاً جَنابُها [٢]

أَحَبُّ ثرى أرضٍ إليَّ وإنْ نأتْ ... مَحلُّكِ منها نَبْتُها وتُرابُها

على أنَّها غضبى عَليَّ وحبَّذا ... رِضاها إذا ما أُرْضِيَتْ وعِتابُها

نظرْتُ وقد زالَ الحُمولُ ووازَنوا ... برَكوةَ والوادي وحَنَّتْ رِكابُها

فقلتُ لأصحابي أَبالقُرْبِ منهم ... جَرَى الطَّيرُ أمْ نادى ببَيْنٍ غُرابُها

وتُوفيت صفراء قبلَ أن يدخُل بها زوجُها الأسدِي .

وَلبيهس بن صهيب فيها أشعار يرثيها ، وقد أوردتُ أخباره وأشعارَه في صفراء في كتابي المترجم بـ « كتاب أخبار النساء » فاقتصرتُ على ما ذكرتُهاهنا من شعره لِما اقتضاه التأليفُ من ذِكرِ الدِّمن .

وقال المتنبي :

قِفْ على الدِّمْنتَيْن بالدَّوِّ من ريّا كَخَالٍ في وَجْنَةٍ جَنْبَ خَالِ [٣]

---

(١) النجاء : المطر الشديد ، والطل : المطر الصغار القطرِ الدائم ، وهو أرسخ المطر ندى . والذهاب ، واحده ذهبة : المطرة ، وقيل : المطرة الضعيفة ، وقيل : الجود .

(٢) الأسحم : السحاب الأسود ، والمريع : الخصيب .

(٣) ديوانه : ١٩٢/٣ من قصيدة يمدح بها عبد الرحمن بن المبارك الأنطاكي مطلعها :

صِلةُ الهَجْرِ لي وهجْرُ الوِصالِ ... نَكَساني في السُّقم نُكسَ الهلالِ —

بطُلُولٍ كأنَّهنَّ نُجومٌ في عِراصٍ كأنهنَّ لَيالي (١)

وقال أبو تمام :

أراكَ أكبرْتَ إدْماني على الدِّمنِ وحَمْليَ الشَّوقَ مِنْ بادٍ ومُكتَمِنِ (٢)

لا تُكثِرَنَّ ملامي أنْ عَكفْتُ على رَبْعِ الحبيبِ فلم أعْكِفْ على وَثَنِ (٣)

فما وَجدتُ على الأحشاءِ أوْقدَ مِنْ دمعٍ على وَطَنٍ لي في سِوى وطني

صَيَّرْتُ لي من تباري عَبْرَتي سَكَناً مُذ صِرْتُ فرداً بلا إلْفٍ ولا سَكَنِ

-والدوّ : الأرض الواسعة المستوية القفرة . وريا : اسم امرأة ، أراد : من دِمَن ريا ، والخال : شامة تخالف لون الوجه . شبه آثار سواد الدِّيار في سعة الأرض بخالين في خد .

(١) قال العكبري : يريد أن الطلول الشاخصة الباقية تلوح في العراص ، كالنجوم في الليالي المظلمة . والعراص لا تدرس ، بل هي وسط . والمعنى : طلول الأحباب لائحات في عراص خاليات ، فهي تلوح فيهن ، كما تلوح النجوم في الليالي المظلمات .

(٢) ديوانه : ٣٣٧/٣ من قصيدة قالها في أبي الحسن علي بن مر .

(٣) في الديوان بعد هذا البيت

سلَوْت إن كنت أدري ما تقول إذن مجَّت مقالتَها في وجهها أذني

الحُبُّ أولى بقلبي في تَصَرُّفه مِنْ أن يغادرَني يوماً بلا شَجَنِ

حلبتُ صرفَ النوى صرف الأسى وحداً بالبث في دوْلَةِ الاغرام والدَّدَنِ

وقال المتنبي :

ذِكَرُ الصِّبى ومَرابِعُ الآرامِ   جَلَبتْ حِمامي قَبْلَ وَقْتِ حِمامي[1]

دِمَنٌ تكاثرَتِ الهُمومُ عليَّ في   عَرَصاتِهـا كَتكاثُرِ اللُّوّامِ

فكأنَّ كُلَّ سَحابَةٍ وقفتْ بها   تَبكي بعَيْنَيْ عُروةَ بنِ حِزامِ[2]

ليس القِبابُ على الرِكابِ وإنَّما   هُنَّ الحياةُ تَرَحَّلَتْ بسَلامِ[3]

ليتَ الذي خَلَقَ النَّوى جَعلَ الحصا   لِخفافِهِنَّ مَفاصِلي وعِظامي[4]

---

(١) ديوانه : ٤/٦ وذِكَر : جمع ذِكْرى ، وروي « ذِكْر » جمع ذِكْرَة . والآرام : جمع ريم ، وهن الظباء ، وأراد بهن النساء ، والمرابع : جمع مربع ، وهو المكان الذي يربعون فيه . ومن روى بالتاء المثناة فوقها ، أراد جمع مرتع ، وهو المرعى . يقول : ذكر الصبى ، ومراتع النساء اللاتي أهيم بهن ، جلبا موتي قبل وقته .

(٢) في الديوان : « وكفت » ، أي : قطرت . وعروة بن حزام : هو صاحب عفراء ، أحد العشاق المتيمين .

(٣) القباب : الهوادج ، والركاب : الابل . قال العكبري : يقول : هذا الذي تراه فوق الابل من هوادجهن ليس هو الهوادج ، وانما هي الحياة ترحلت عنا ، فلا نبقى بعدها .

(٤) النوى : البعد ، والضمير في « خفافهن » للابل ، يقول متمنياً : ليت الذي خلق الفراق جعل أعضائي لأخفاف الابل التي تحملوا عليها حصى حتى تطأني بأخفافها .

وقال أبو نواس الحسن بن هانئ :

لِمَنْ دِمَنٌ تَزْدادُ طِيبَ نسيمِ ... على طُولِ ما أقْوَتْ وحُسْنَ رُسومِ (١)

تَجافى البِلَى عنهُنَّ حتَّى كأنَّما ... لَبِسْنَ على الإقْواءِ ثوبَ نعيمِ

وما زال مَدْلولاً على الرَّبعِ عاشِقٌ ... أسيرُ لُبـاناتٍ طَليحُ هُمُومِ (٢)

يرى النَّاسَ أعباءً على جَفْنِ عينِهِ ... وإن حلَّ في وادي أخٍ وحَميمِ

وقال أيضاً :

يا كَثيرَ النَّوْحِ في الدِّمَنِ ... لا عليها بلْ عـلى السَّكَنِ (٣)

سُنَّةُ العُشّاقِ واحِـدَةٌ ... فـإذا أحبَبْتَ فاستَنِنِ (٤)

ظَنَّ بي مَنْ قد كَلِفْتُ بهِ ... فهوَ يجفوني عـلى الظِّنَنِ (٥)

باتَ لا يَعْنيهِ مـا لَقِيَتْ ... عَينُ مَمْنوعٍ منَ الوَسَنِ

رَشـأٌ لَوْلا مَلاحَتُـهُ ... خلَتِ الدُّنيـا منَ الفِـتَنِ

ما بَـدا إلا استرقَّ له ... حُسْنُه عبداً بِـلا ثَمَنِ

---

(١) ديوانه : ٥٧٧ ، وفيه : « ... تزداد حسن رسوم ... ما أقوت وطيب نسيم »

(٢) في الديوان : « حسير لبانات » واللبانات : الحاجات والمـآرب ، والطليح : المتعب .

(٣) ديوانه : ٦٤٥ . والسكن : أهل الدار ، والحبيب الذي تسكن إليه النفس .

(٤) في الديوان « فاستكن » وهو تحريف .

(٥) يجفوني : يبتعد عني ، والظنة : التهمة ، وجمعها : ظنن .

وقال البحتري :

أفي كُلِّ يومٍ منكَ عينٌ ترقرقُ ... وَقلبٌ على طُولِ التّذكُّرِ يخفِقُ [(١)]

على دِمْنَةٍ فيها لأُدْمانةِ النَّقـا ... محـاسِنُ أيّامٍ تَخُبُّ وتُعْنِقُ [(٢)]

وَقفتُ فأوقفتُ الجوى موضعَ الهوى ... ليالي عُودُ الدّهرِ ريّانُ مُشرِقُ [(٣)]

فحرّكَ بَثّي رَبعُهـا وهي سَاكِنٌ ... وجدَّدَ وجْدي رَسْمُها وهو مُخلِقُ [(٤)]

وقال ابنُ المولى[(٥)] وهو محمد بن عبد الله بن المولى مولى الأنصار رضي الله عنهم :

(١) ديوانه : ٢/١٣٣ و « الموازنة » : ٤٢٧ ، ٤٩٣ من قصيدة يمدح بها علي القمي ، وفيه : « أفي كل دار منك ... »

(٢) في « الديوان » : « ... أيام تَحَبُّ وتَمْشق » وفي « اللسان » ابن سيـــده : الأدم من الظباء : ظباء بيض يعلوها جُدَد فيها غُبْرَة ، زاد غيره : وتسكن الجبال ، قال : وهي على ألوان الجبال ، يقال : ظبية أدماء ، قال : وقد جاء في شعر ذي الرمة أدمانة قال :

أقول للركب لما أعرضت أُصُلا ... أدمانـة لم تُربّيهـــا الأجاليـد

والنقا : منقطع الرمل ، والخبب والعنق : نوعان من السير . وفي الديوان بعد هذا البيت

نعم قد تباكينا على الشعب مرة ... ومن خلفه شعب لليـــلى مفرّق

(٣) في الديوان : « فينان مورق »

(٤) في الديوان : « وهو ساكن » .

(٥) هو محمد بن عبد الله بن مسلم بن المولى مولى الانصار ، ثم من بني عمرو بن عوف شاعر متقدم مجيد من مخضرمي الدولتين ومداحي أهلها ، قدم على المهدي ،-

وقال خليلي والبُكا لي غالبٌ أَقاضٍ على هذا البُكا والتَّشوُّقُ (١)
وقد طالَ توْقاً في أُكفكفُ عبْرَةً على دِمْنةٍ كادَتْ بها النَّفْس تزْهقُ
وإنسانُ عيني في دوائرِ لُجَّةٍ منَ الماء يَبْدو تارةً ثمَّ يغْرقُ

وقال الشيخ الأَمين أبو البركات بن أبي جرادة الحلبي (٢) :

النَّاسُ لاهُونَ في أَماكنِهمْ ونحنُ في رِحْلَةٍ وفي ظَعَنِ
كأَنَّنا من مُتيَّمي العَربِ الـ ـعَرْباءِ تَهْوى المَعاجَ بالدِّمَنِ

هذان البيتان للشيخ الأمين أبي البركات بن أبي جرادة وكان أميناً على خزانة الملك العادل نور الدين، فكان لا يزال معه في سفر، ولم يكن معتاداً لذلك، فتبرَّم بما هو فيه من الحركة والسَّفر المستمر في الأَخطار والحروب، فكتب الى أخيهِ ثِقة الملك أبي عبدالله رحمهما الله أبياتاً، منها البيتان المتقدمان، وأنا ذاكر القطعة بكمالها :

يا ثِقتي أَنتَ مُشتكَى حَزَني قَد فاتَني كُلُّ مَطلَبٍ حَسَنِ

—وامتدحه بعدة قصائد، فوصله بصلات سنية، والبيت الأول والثاني في «الأغاني» ٣/٢٨١ من قصيدة يمدح بها المهدي مطلعها :

سلا دار ليلى هل تَبينِ فتنطِقُ وأنَّى تردُّ القول بيداء سَمْلقُ

(١) في «الأغاني» أقاض عليك ذا الأسى والتشوق .

(٢) ترجمه ياقوت في «معجم الأدباء» ١٦/١٦، فقال: هو أبو البركات عبد القاهر ابن علي بن عبدالله ابن أبي جرادة، كان ظريفاً لطيفاً أديباً شاعراً كاتباً، سمع بحلب أباه أبا الحسن وغيره، وكتب عنه جماعة من العلماء .

ما قصَّرَتْ هِمَّتي فأَجعلَها | مَظِنَّةَ الإتِّهامِ والظِّنَنِ
أَمَّلْتُ أن أَقْتَني من المجدِ والـ | ـسؤدُدِ ما لا يُبَاعُ بالثَّمنِ
وأَقْتفي سُنَّةَ الأُلى دَرَجوا | قبلي على واضِحٍ مِنَ السَّنَنِ
راغِبَ نفسٍ فيما يُزَهِّدُني | ناعِمَ بالٍ بعَيْشي الخَشِنِ
بحَيْثُ لا أَبتغي مُزاحَمَةَ الـ | ـخَلْقِ ولا أَشْرَئِبُّ لِلْمِنَنِ
ولا يراني امرُؤٌ أَلُوذُ بِهِ | إلا خليلِيَ في الله أَو سكَني
هذا الَّذي رُمْتُهُ فعارَضَني | في كَوْنه عارِضٌ من الزَّمَنِ
أَصبَحَ شملي إلى الشَّتاتِ وأَصـ | ـبَحْتُ غريباً وما نبا وطَني
ولا جفاني أَهلُ الصَّفاء ولا | شَرِبْتُ درَّ الصَّفاءِ بالصَّفَنِ [1]
النـاسُ لاهُونَ في أماكنِهِم | ونَحْنُ في رِحْلَةٍ وفي ظَعَنِ
كأَنَّنا مِنْ مُتَيَّمي العَرَبِ الـ | ـعَرْباءِ تَهْوَى المعاجَ بالدِّمَنِ
لا صبرَ لي قد خرجْتُ من جَلَدي | وقد سُلِبْتُ الحصينَ من جُنني
وأَسْخَنَ اليأسُ ناظِرَيَّ فما | يقَرُّ للمُطمِعاتِ في الوَسَنِ
ومَجَّ سَمْعي لَغْوَ الحديثِ فما | يطُورُ شيءٌ منهُ على أُذُني [2]

---

(١) الصَّفْنُ، بضم الصاد وفتحها وسكون الفاء وفتحها: شيء مثل الدلو أو الركوة يتوضأ فيه.

(٢) في «اللسان»: طار حول الشيء طوراً وطوراناً: حام، والطوار: مصدر طار يطور.

وعُدْتُ من كُلِّ ما أُؤَمِّلُهُ   أقولُ حسبي بصِحَّةِ البدَنِ

أيُّ عُرى حالةٍ عَلِقتُ بِها   وأيُّ شَتَّى قُرِنْتُ في قَرَنِ

جَمعتُ والهَفتاهُ قلبَ فتى   يفِرُّ عنْ همِّ شارخٍ يَفَنِ (١)

ورُتبةً في العَلاءِ تتبعُها   صورةُ مُستَبْذَلٍ ومُمتَهَنِ

مُتُّ ونفسي علَيَّ باقيةٌ   وضِعتُ والحافظاتُ تَحفظُني

واخَيْبَةَ الحاسدينَ كم مِنَحٍ   مَغبوطةٍ وهيَ أعظمُ المِحَنِ

ياليتَ أنّي قبْلَ المنيَّةِ قد   غُيِّبتُ في حُفرَتي وفي كَفَني

بَلْ لَيْتَ ماكان منحياتي إذِ الأمْرُ على ما أراهُ لَمْ يكُنِ

وقال عُروة بن حزام (٢) :

ألا يا غُرابَيْ دِمنَةِ الدَّارِ بيِّنا   أبالهَجْرِ منْ عَفراءَ تنتَحِبانِ (٣)

---

(١) في « اللسان » : الشارخ : الشاب ، واليفن : الشيخ الكبير .

(٢) هو عروة بن حزام العذري ، أحد عشاق العرب الذين قتلهم العشق ، وصاحبته عفراء بنت مالك العذرية ، مات في أيام معاوية ، وتولى دفنه النعمان بن بشير ، ترجمته وأخباره في « الأغاني » ١٥٢/٢٠ ، و « النوادر : ١٥٧ ، « والشعر والشعراء » ٦٠٤ ، و « الخزانة » ٥٣٣/١ .

(٣) الأبيات في « النوادر » ١٥٨ من قصيدة تبلغ ثمانين بيتاً ، خلط فيها أبو علي رحمه الله بين الروايات حتى تتام له هذا القدر الهائل، وفيه «تنتحبان» وهو تصحيف . وفي « اللسان » : وفي الحديث« لا يتناجى اثنان دون الثالث »وفي رواية : «لا ينتجي اثنان دون صاحبهما » أي : لا يتسارران منفردين .

فَإن كانَ حقّاً ما تقُولانِ فانْهضَا بلحْمي إلى وَكْرَيْكُما فكُلاني

فعفْراءُ أَصفى النَّاسِ عِنْدي مَودَّةً وَعفْراءُ عَنّي المُعْرِضُ المُتَواني [1]

فواللهِ ما حدَّثتُ سِرَّكِ صاحِباً نَصِيحاً وَلا فاهَتْ به الشَّفتانِ

سِوى أَنَّني قدقُلْتُ يوماً لصاحِبي ضُحىً وقَلُوصانا بِنا تَخدانِ

أَلا حَبَّذا مِنْ حُبِّ عَفْراءَ مُلْتَقى نَعامٍ وَبَرْكٍ حَيثُ يَلتقيانِ [2]

وقال أبو وجْزَةَ السعدي [3] :

لِمَنْ دِمْنةٌ بالنَّعْفِ عافٍ صَعيدُها تَغَيَّر باقِيها ومَحَّ جَديدُها [4]

---

(١) في « النوادر » قال بعض البصريين : ذكّرَ المعْرِض ، لأنه أراد : وعفراء عني الشخص المعرض ، وقال الكوفيون : ذكّره بناءً على التشبيه ، أراد : وعفراء عني مثل المعرض ، كما تقول العرب : عبد الله الشمسُ منيرة ، يريدون مثل الشمس في حالة إنارتها .

(٢) نعام وبرك : موضعان ، ورواية الشطر الثاني في « النوادر » : « نعم وألا لا حيث يلتقيان » قال الطوسي : أراد بقوله : « نعم وألا لا » شفتيها ، لأن الكلمتين في الشفتين تلتقيان .

(٣) هو يزيد بن عُبيد ، من بني سعد بن بكر بن هوازن ، أظآر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، شاعر مجيد ، راوية للحديث ثقة ، ترجمته في « الأغاني » ٢٣٩/١٢ ، و « الشعر والشعراء » ٦٨٤ ، « والتهذيب » ٣٤٩/١٢ و « الخزانة » ١٥٠/٢ والأبيات في « الأغاني » من قصيدة يمدح بها عمرو بن زياد بن سهيل المزني .

(٤) النعف : موضع ، وأصله : ما انحدر من السفح وغلظ ، وكان فيه صعود وهبوط . عافٍ : دارس ممحو . مح : بلي .

لِسَعْدَةَ في عام الهوَيْمَةِ إذ بِنا تصافٍ وإذ لَمّا يَرُعنا صُدُودُهَا [١]

وإذْ هِيَ أمّا نفْسُها فأَرِيْبَةٌ لِلَهوٍ وأمّا عن صِباً فتذودُها

تَصَيَّدُ أَلْبَابَ الرِّجال بدَلِّها وشيمَتُها وحْشِيَّةٌ لا نَصيدُها

كَباسِقَةِ الوَسْمِيِّ ساعَةَ أَسبَلَتْ تلألأ فيها البَرْقُ وابيَضَّ جيدُها [٢]

وقال الشريف المرتضى رضي الله عنه :

فإمّا شِئْتُمـا أنْ تُسعِداني فَمُرّا بي على الدِّمَنِ البَوالي [٣]

خَرِسْنَ فلو مَلَكْنَ النُّطْقَ يَوْماً شَكَوْنَ إليكَ مِنْ جَنَفِ اللّيالي

وقال أيضاً :

فَيا دِمْنَةَ الحيِّ الّذينَ تَحَمَّلوا بوادي الغضا ماذا أَلَمَّ بنا مِنكِ؟ [٤]

خَشَعْتِ فَلا عَيْنٌ تَراكِ لناظِرٍ دُثوراً ولا نُطقٌ يُخَبِّرُنا عنكِ

وأذكُرُها والشَّيْبُ يَضحَكُ ثَغْرُهُ بلمّاتنا عَهْدَ الشَّبيبَةِ والفَتْكِ

---

(١) في « الأغاني » : « ... من عام الهزيمة ... »

(٢) الباسقة : التي فضلت غيرها من الغمام ، وطالت عليه ، والوسمي : مطر الربيع الأول ، وأسبلت : أمطرت .

(٣) ديوانه ٣/١٠٦ من قصيدة يمدح بها فخر الملك مطلعها :

ألا عوجا لمجتمع السِّيال فَثَمَّ شفاءُ ما بي من خَبال

(٤) ديوانه ٢/٣٧٥ . والغضـا : شجر يشبه الأثل ، إلا أنه لا يعظم عظمة الأثل ، وهو من أجوده وقوداً ، وأبقاه ناراً ، والغضا : واد بنجد .

لَيالِيَ لا حِلْمٌ لذي الحِلْمِ والنُّهى ... هُناكَ ولا نُسْكٌ يُصابُ لِذي نُسْكِ

وقال لقيط بن زُرارة (١) :

لِمَنْ دِمنَةٌ أقفَرتْ بالجَناب ... إلى السَّفح بَيْنَ المَلا فالهِضَاب (٢)

بَكَيْتَ لِعِرْفَانِ آياتِها ... وهاجَ لكَ الشَّوقَ نَعبُ الغُراب

وقال أشجع بن عمرو السُّلَمي (٣) :

دِمَنٌ إذا استَثْبتَّ عَيْنكَ عهدَها ... رَجَعتْ إليْكَ بنَظْرةِ المُتوسِّمِ (٤)

---

(١) هو لقيط بن زرارة بن عُدَس بن زيد بن دارم ، فارس شاعر جاهلي ، من أشراف بني زرارة ، قتل يوم جبلة ، ترجمته في « الأغاني » ١٠/٣٤ ، و « المؤتلف والمختلف » ٢٦٦ ، و « الشعر والشعراء » ٦٩٠ .

(٢) البيتان في « الأغاني » ٢٢/١٩٣ من قصيدة يعير بها بني مالك بن حنظلة .

(٣) هو أبو الوليد أشجع بن عمرو السلمي من بني سليم ، من قيس عيلان ، شاعر فحل . كان معاصراً لبشار ، مدح البرامكة ، وانقطع إلى جعفر بن يحيى ، فقربه من الرشيد ، فأعجب الرشيد به . فأثرى وحسنت حاله . ترجمته في « الأغاني » ١٨/١٤٣ و « الشعر والشعراء » ٨٥٧ ، و « تاريخ بغداد » ٧/٤٥ ، و « معاهد التنصيص » ٤/٦٢ و « الخزانة » ١/١٤٣ .

(٤) البيتان في « الاغاني » ١٨/١٥٧ من قصيدة يمدح بها ابراهيم بن عثمان بن نهيك مطلعها :

لمن المنازل مثل ظهر الأرقم ... قَدُمت وعهدُ أنيسها لم يقدُم

وفيه : « ... بناظر المتوهم » .

فَتَكَتْ بِها سَنَتانِ يَعْتَوِرانِها ... بالعاصِفاتِ وكُلِّ أسْحَمَ مِرْزَمِ [1]

وقال مهيار :

رَحَلُوا بأيّامي الرِّقاقِ على ... آثارِهِمْ وبِعَيْشِيَ السَّهْلِ [2]

وعَكَفتُ بَعْدَهُمُ على ضَمِنٍ ... عَرَفَ البِلَى فَبَلِي كَما يُبْلِي [3]

جَسَدي ودِمْنَتُه بِما نَحَلا ... يَتَشاكَيانِ تَصَدُّعَ الشَّمْلِ

مغنىً وضَعنا أمسِ مِنْ شَعَفٍ ... سافي ثَراهُ مَواضِعَ الكُحْلِ [4]

---

(١) في الاغاني : « تعتورانها بالمعصفات » وقد جاء ترتيب هـــذا البيت في « الاغاني » قبل الأول . واعتور وتعاور : بمعنى ، وتعاورت الرياح رسم الدار : تداولته، فمرة تهب جنوباًوشمالاً ، ومرة قبولاً ، ومرةدبورا . والأسحم : السحاب الأسود ،والمرزم من الغيث والسحاب : الذي لا ينقطع رعده .

(٢) ديوانه ٣/٢٠٧ من قصيدة يهنىء بها الوزير أبا القاسم هبة الله بن علي بن ماكولا بالنيروز مطلعها :

ما لي تَشرقتُ بماء ذي الأثل ... هل كدَّه الوُرّادُ من قبلي ؟

(٣) في الديوان : « . . . عرف الهوى . . . » والضمن : المبتلى في جسده ، والمراد به هنا : الربع .

(٤) سافي ثراه : التراب المتطاير .

فصل
في ذكر الرسم

قال بشر بن أبي خازم :

عَفا رَسْمٌ بِرامَةَ فالتِّلاعِ ... فكُثْبانِ الحَضيرِ إلى لُقَاعِ (١)

عَفاها كُلُّ هطَّالٍ سَكُوبٍ ... يُشَبَّهُ صَوْتُهُ صَوْتَ اليَراعِ (٢)

وقَفْتُ بهـا أُسائِلُها طَويلا ... وما فيها مُجاوَبَةٌ لِداعِ

تحمَّلَ أهلُها منها فبانوا ... فأبكَتْني المَنازِلُ للرُّواعِ (٣)

وقال مزاحم بن الحارث العُقَيلي (٤) :

أشاقَتْكَ بالنَّقْعِ الغَداةَ رُسُومُ ... دَوارِسُ أَدْنى عَهْدِهِنَّ قَديمُ

---

(١) ديوانه ١٠٩ ، والأول في «معجم ما استعجم» ١١٦٠ ، والبلدان : لقاع . وقد مضى بعض أبيات من القصيدة ص : ١٧٩ .

(٢) في الأصل تحت هذا البيت : اليراع : القصب التي يصفر بها ، ويروى : صوت الرِّياع ، يقال : رُبَعٌ ورِياع : وهو ولد الناقة إذا كان له عشرة أيام .

(٣) جاء في الشرح : والرواع : صفة امرأة من الروع ، وهو مسحة الجمال الذي يعجب رُوع من يراه فيسره ، وجعله في « اللسان » روع : اسم امرأة ، وليس كذلك ، والدليل في البيت التالي ، إذ صرح باسم هذه المرأة .

(٤) هو مزاحم بن عمرو بن مرة بن الحارث العقيلي شاعر اسلامي ، فارس غزل ، عاصر جريراً والفرزدق ، قال ابن سلام : كان شديد أسْرِ الشِّعْر حُلْوَه ، وكان مع رِقَّة شعره هجَّاءً وصَّافاً . ترجمته وأخباره في « الأغاني » ١٩/٢٧ و « طبقات فحول الشعراء » : ٥٨٣ ، و « الخزانة » ٣/٤٥ .

دَوارِسُ أَمَّا أَهلُها فتحمَّلُوا ... فبانُوا وأَما خيمُها فَمُقيمُ

وَما ذاكَ إلا مِنْ جَميعٍ تفرَّقتْ ... بِهِم نِيَّةٌ بَعدَ الجِوارِ قَسيمُ

فعادوا كَبُرْدِ العَصْبِ شُقَّ فأَصْبحوا ... فَمُحتَمِلٌ غادٍ وظَلَّ مُقيمُ (١)

وذلكَ دَأْبٌ للنَّوى لَيْسَ مُخلِفي ... إذا كانَ لي جارٌ عليَّ كَرِيمُ

وقال أبو تمام :

أما الرُّسُومُ فقد أذكَرْنَ ما سلَفا ... فلا تَكُفَّنَّ عن شأنيْكَ أَن يَكِفا (٢)

لا عُذْرَ للصَّبِّ أَن يَقنَى السُّلُوَّ ولا ... لِلدَّمعِ بَعدَ مُضيِّ الحيِّ أَنْ يقِفا (٣)

حتَّى يَظَلَّ بماءٍ سافِحٍ وَدَمٍ ... في الرَّبعِ يُحسَبُ مِن عَينَيْهِ قد رَعَفا (٤)

وقال أبو نواس :

أَلا لا أَرى مِثْلي امْترَى اليَوْمَ في رَسْمِ ... تَغَصُّ بِهِ عَيْني ويَلفِظُهُ وَهْمي (٥)

---

(١) في « اللسان » : العصب : برود يمنية ، يعصب غزلها ، أي : يجمع ويشد ، ثم يصبغ وينسج ، فيأتي موشياً لبقاء ما عصب منه أبيض ، لم يأخذه صبغ .

(٢) ديوانه ٣٥٩/٢ من قصيدة يمدح بها أبا دُلف القاسم بن عيسى العجلي . وفيه « أو يكفا » وشأنيك : تثنية شأن ، وهي مجاري الدمع ، ويروى عن شانيك .

(٣) في الديوان : « أن يقنى الحياء . . . » يقنى : يدخره ويمسكه ، والقَنية من ذلك .

(٤) قال التبريزي : تقديره : حتى يظلّ هذا الصبّ يُحسَبُ قد رعف من عينيه بماء سافح ودم ، لاختلاط الدّمع بالدم .

(٥) ديوانه : ٥٤٢ . امترى : شك ، يلفظه : يرميه .

أتتْ صُوَرُ الأشياءِ بيني وبينَهُ ... فجَهْلي كَلاجهلٍ وعِلْمي كَلا عِلمِ

وقال أبو عبد الله بن الخياط الدِّمشقي :

هُوَ الرَّسمُ لوْ أغنى الوقوفُ على الرَّسمِ ... هو الحَزْمُ لولا بُعْدُ عهدِكَ بالحزمِ (١)

عَشِيَّةَ جُنَّ القلبُ فيها جُنونَهِ ... ونازَعني شوْقي مُنازَعَةَ الخَصْمِ

فلمَّا أبى إلّا البُكاءَ على الأسَى ... بكَيتُ فما أبقَيْتُ للرسمِ من رَسْمِ

لقَدْ وَجدَتْ وَجْدي الدِّيارُ بأهلِها ... ولوْ لَمْ تجِدْ وجدي لما سقُمَتْ سُقْمي

منازِلُ أدْراسٌ شَجاني نُحُولُها ... فهلَّا شَجاها ناحِلُ القلْبِ والجِسْمِ

سقاها الحيا قبْلي فلمَّا سَقيْتُها ... دُموعي رَأَت فضْلَ الوَلِيِّ على الوَسْمي (٢)

وقال العَرْجي (٣) :

أفي رَسمِ دارٍ دمعُكَ المُتحدِّرُ ... سفاهاً ؟ وما اسْتِنطاقُ ماليس يُخْبِرُ (٤)

تَغَيَّرَ ذاكَ الرَّسمُ من بعدِ جِدَّةٍ ... وكلُّ جديدٍ مرَّةً يتغيَّرُ (٥)

---

(١) ديوانه : ٢٢٥ من قصيدة يمدح بها تاج الملوك أبا سعيد بوري ابن ظهير الدين أتابك .

(٢) الولي : المطر يأتي بعد الوسمي ، والوسمي : مطر الربيع الأول ، لأنه يسم الأرض بالنبات ، نسب إلى الوسم .

(٣) هو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان الأموي القرشي ، كان من شعراء قريش ، وممن شُهِرَ بالغزل منها ، ونحا نحو عمر بن أبي ربيعة في ذلك وتشبه به فأجاد . وكان من الفرسان المعدودين مع مسلمة بن عبد الملك بأرض الروم ، وكان له معه بلاء حسن ، ونفقة كثيرة ، توفي سنة ١٢٠ هـ .

(٤) ديوانه : ٨٩ ، وبعد هذا البيت :

بمُجتمَعِ الرَّضمَيْنِ غيَّره البِلى ... ونكباءُ تُزجي خارج المور صرصر

وأسحمُ رجَّافٌ من الدلوِ مُرزِمٌ ... جَرورٌ إذا ما رجَّه الرَّعدُ مُمطِرُ

(٥) في الديوان : « ... ذاك الربع ... ... متغير »

وقال البحتري :

أَرُسومُ دارٍ أَمْ سُطورُ كِتابِ   دَرَسَتْ بَشاشَتُها معَ الأَحْقابِ (١)

يَجتازُ زائِرُها بِغيرِ لُبانَةٍ   ويُرَدُّ سائِلُها بِغَيرِ جَوابِ (٢)

ولَرُبَّما كانَ الزَّمانُ مُحَبَّباً   فينا بِمَنْ فيها مِنَ الأَحبابِ

وقال زهير بن أبي سُلمى المزني :

هاجَ الفُؤادَ معارِفُ الرَّسْمِ   قَفراً بِذي الهَضَباتِ كالوَشْمِ (٣)

---

(١) ديوانه : ١/٢٩٤ من قصيدة يمدح بها أبا الخطاب الطائي ، وفي « الموازنة » : على الأحقاب . قال الآمدي : أي : على مرّ السنين .

(٢) قال الآمدي : قوله : « يجتاز زائرها بغير لبانة » أي : إذا عرّج عليها زائرها في اجتيازه بها فانه يجتاز ، أي : يجوزها ، ويمضي بغير حاجة قضيت له . وأراد : ينصرف عنها زائرها بغير لبانة ، فجعل في موضع « ينصرف » ، « يجتاز » .

(٣) ديوانه : ٣٨٢ . معارفه : علاماته ، والرسم : الأثر ، والهضبات : جبال في هذه المواضع ، شبه آثار الرسم بالوشم ، وهو ما تشمه الجواري على معاصمهن . وفي الديوان بعد البيت

تعتادُه عينٌ مُلمَّعةٌ   تُزجي جآذِرَها مع الأدم

القفرُ يعطفها أقبُّ ترى   نسفاً بليتَيْه من الكدْم

في عانة بذل العِهادُ لها   وسميَّ غيثٍ صادق النَّجم

فاعتمَّ وافتخرت زواخره   بتهاول كتهاول الرَّقم

ولقدْ أراهَا والحُلولُ بهـا ... مِن بَعْدِ صِرْمٍ أيّما صِرْمِ (١)

فَاستَأثَرَ الدَّهرُ الغَداةَ بهِم ... والدَّهـرُ يرْميني ولا أرْمي

لَوْ كان لي قِرْناً أُناضِلُهُ ... ماطاشَ عِنْدَ حَفيظَةٍ سَهمي

أَوْ كانَ يُعْطي النَّصْفَ قُلْتُ لَهُ ... أَحرَزْتَ قِسْمَكَ فالْهُ عنْ قِسْمي (٢)

وقال الصِّمَّة القشيري (٣) :

خَليلَيَّ عُوجا مِنْكُما اليَومَ أوْدِعا ... نُحَيِّي رُسُوماً بالقبيبة بلْقَعا

أَربَّتْ بها الأرْواحُ حتّى تَنَسَّفَتْ ... معارِفُها إلّا الصَّفيحَ الموَضَّعا

وغيرَ ثلاثٍ في الدِّيارِ كأنّها ... ثلاثُ حَماماتٍ تَقابلْن وُقَّعا

بَكَتْ عَيْنِيَ اليُسْرى فلمّا زَجَرْتَها ... عَنِ الجهلِ بعدَ الحِلْمِ أَسْبَلَتا مَعا

كان الصِّمة أعور ، فيقول : إنه بكى بعينه الصحيحة ، فلما زجرها « أي : كفكفها ، فاضت العين التالفة .

---

(١) الحلول : جمع حال ، يقـال : رجل حال من قوم حلول . والصرم ، بالكسر : الأبيـات المجتمعة المتقطعة من الناس ، أو الجماعة من ذلك ، أو الفرقة من الناس ليسوا بالكثير ؛ والجمع أصرام وأصاريم . وبعد البيت

عكَراً إذا ما راح سِربُهُم ... وتَنَوْا عُروج قَنابل دُهْم

(٢) النصف كالنصفة بمعنى الانصاف ، أي : لو كان ينصفني .

(٣) هو الصِّمة بن عبد الله بن الطفيل بن قرة من بني قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، شاعر إسلامي بدوي مقل من شعراء الدولة الأموية . والأبيات في « الطرائف » ٧٧ عدا البيت الأول .

وقال جرير بن عطية :

أَقولُ لِصُحْبتي لمَّا ارْتحلْنا ... ودَمْعُ العَيْنِ مُنْهمِرٌ سِجَامُ [١]

أَتمضُونَ الرُّسومَ ولا تُحيَّا ... كلامُكُمُ عليَّ إذاً حرامُ [٢]

مَقامُ الحيِّ مرَّ له ثمانٍ ... إلى عشرينَ قدْ بلي المُقامُ

تعالى فوقَ أجرعِكَ الخزامى ... بنَوْرٍ واستهلَّ بكِ الغمامُ

وقال البحتري :

ما على الرَّكْبِ من وُقوفِ الرِّكابِ ... في مَغاني الصِّبى ورَسْمِ التَّصابي [٣]

أَيْنَ أهلُ القِبابِ بالأَجرَعِ الفَرْ ... دِ تولَّوْا ؟ لا أين أهلُ القِبابِ [٤]

عرِّجُوا، فالدُّموعُ إنْ أبكِ في الرَّسـ ... ـمِ دُموعي والاكتئابُ اكتئابي

وكَمِثْلِ الأحبابِ ـ لو يعلَمُ العا ... ذلُ ـ عندي منازلُ الأحبابِ

---

(١) ديوانه : ٥١٢ ، والأول والثاني في « شواهد المغني » ١٠٧ .

(٢) في شرح شواهد المغني : « تمرون الدِّيارَ ولم تعوجوا » وقال : قال المصنف في شواهده : هكذا أنشده الكوفيون ، وأنشده بعضهم : « أتمضون الرسوم ولا تحيَّا » وفيه أيضاً حذف الجار ، والتقدير : أتمضون عن الرسوم . وروى النحاس عن بلال بن جرير قال : انما قال جدي : « مررتم بالديار » .

(٣) ديوانه : ١/٨٣ من قصيدة يمدح بها أبا القاسم اسماعيل بن شهاب كاتب قاضي أحمد بن أبي دواد . والتصابي : التفاعل من صبا يصبو: إذا اشتاق ، وإذا فعل فعل الصبي .

(٤) الأجرع الفرد : ذكره ياقوت بالتثنية ، وقال : إنه موضع باليمامة ، وبعد البيت .

سَقَمٌ دون أعينٍ ذاتِ سُقْمٍ ... وعذابٌ دون الثنايا العِذابِ

وقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي :

أَمِنْ رَسْمِ دارٍ دَمعُكَ المترَقْرِقُ ... سَفاهاً؟وما استنطاقُ ماليس يَنْطِقُ (١)

بحَيْثُ التقى جَمْعٌ ومَفْضَى مُحَسِّرٍ ... معالمُهُ كادَتْ على العَهْد تَخْلَقُ (٢)

ذَكَرتُ بها ما قدمَضى وتذكُّرُ الـ ... حَبِيبِ ورَسْمُ الدَّارِ مِمَّا يُشَوِّقُ

ليـالِيَ من دهْرٍ إذِ الحيُّ جيرةٌ ... وإذْ هُوَ مأهولُ الخَمِيْلَةِ مُونِقُ (٣)

وقال كثيِّر بن عبدالرحمن الخزاعي :

أَمِنْ آلِ سَلْمَى الرَّسمِ أنتَ مُسائِلُ ... نَعَمْ والمَغاني قَدْ دَرَسْنَ مَواثِلُ

فظلْتَ بِها تُغضِي على حرِّ عَبْرَةٍ ... كأنَّكَ مِنْ تَجْرِيبِكَ الدَّهرَ جاهِلُ

وقَدْ كانَ ما فيهِ لِذي اللُّبِّ عِبرَةٌ ... ورأيٌ لِذي رأْيٍ فهَلْ أنتَ عاقِلُ

تذكُّر إخواناً مَضَوْا فتتابعُوْا ... وشَيْبٌ علا مِنْكَ المَفارِقَ شامِلُ

وقال ذو الرُّمَّة :

أَهاجَتْكَ أَطْلالُ الرُّسومِ الدَّواثِرِ ... بأَدْعاصِ حوضَى المُعتقاتِ النَّوادِرِ (٤)

---

(١) ديوانه : ٤٥٤ .

(٢) في الديوان : « وأقصى محسر » وجمع ، بفتح الجيم وسكون الميم : هو المزدلفة ، سمي جمعاً لاجتماع الناس فيه أيام الحج ، ومحسر : موضع بين منى والمزدلفة ، وهو واد برأسه.

(٣) مأهول : عامر بالأهل ، والخميلة : الموضع الكثير الشجر ، ومونق : معجب .

(٤) ديوانه : ٣٧٢ ، وفيه : « أشاقتك أخلاق . . . » والأدعاص : جمع دعص ، وهو كثيب الرمل ، وحوضى : موضع في ديار بني قشير ، والمعنقات : التي لها أعناق متقدمة يعني الأدعاص ، والنوادر : النادرة .

نعمْ هاجَتِ الأَطلالُ شَوْقاً كفى به ... مِنَ الشَّوْقِ إلا أنَّه غَيرُ ظاهر
فما زِلْتُ أطوي النَّفْسَ حتّى كأنّها ... بذي الرِّمثِ لم تَخْطُرْ على بال خاطر [1]
حياءً وإشفاقاً من الرَّكبِ أن يَروْا ... دليلاً على مُسْتَوْدَعاتِ الضَّمائرِ

وقال مهيار :

ورُبَّ رسمٍ ماثلٍ ... أعجمَ ثُمَّ بيَّنا [2]
وَقَالَ مِن هُنا طَلَعْ ... نَ وغَرَبْنَ مِنْ هُنا
يا بأبي المَسْكُونُ لَوْ ... أنِّي وَجَدْتُ السَّكَنا
قَالُوا النَّوى تَسْمِيَةً ... والموْتَ يَعني مَنْ عَنى
مَنِ اشتكى أشْجَانَهُ ... فما أجَنَّ الشَّجَنا
لَمْ يَتْرُكِ الغَادُونَ لي ... قَلْباً يُجِنُّ الحزَنا
كَانَ فُؤادِي وَهُمُ ... فظَعَنُوا وظَعَنا

وقال المرتضى رضي الله عنه :

ما بَالُ رَسْمٍ بِكَثيْبِ الحِمَى ... عُطْلاً بلا شاءٍ وَلا جامِلِ ؟ [3]

---

(١) أطوي النفس : أضمرها على شيء من حبّ ميّة ، وقوله : بذي الرمث : أي : المكان الذي جمعهم فيه المرتبع .

(٢) ديوانه : ٤/١٤٢ من قصيدة كتب بها إلى كمال الملك أبي المعالي يهنئه بالنيروز مطلعها :

أين ظباءُ المنحنى ... سوالفاً وأعينا

(٣) ديوانه : ٣/١٠٤ من قصيدة يمدح بها فخر الدولة ، وفيه : « ما بال حقف . . . اللوى . . . » والحقف : ما اعوج واستدق من الرمل .

حالَتْ مَغَانِيْهِ وَوَجْدِي بِهِ   غَضٌّ جَدِيْدٌ لَيْسَ بِالحَائِلِ

لَوْ أَبْصَرَتْنِي نَاحِلاً عَيْنُهُ   لاسْتَأْنَسَ النَّاحِلُ بِالنَّاحِلِ

وقال القاضي الجليس أبو المعالي عبد العزيز بن الحسين المعروف بابن الحبَّاب (١) :

أَجِدَّكَ لا تَرَاكَ العَيْنُ تُذْرِيْ   عَقِيْقاً كُلَّمَا لاحَ العَقِيْقُ (٢)

سَقَى رَمْلَ الحِمَى وَرُسُومَ مَغْنَى الـ   لِوَى هَزِجٌ يَرُوْقُ بِمَا يُرِيْقُ (٣)

فَيَكْسُو عَاطِلَ الهَضَبَاتِ رَوْضاً   لَهُ مِنْ زَهْرِهِ حَلْيٌ أَنِيْقُ

أَرَاقَ الطَّلُّ مَدْمَعَهُ عَلَيْهِ   وَشَقَّ جُيُوْبَهُ فِيْهِ الشَّقِيْقُ

وقلت :

وقفتُ على رسمٍ ببيْدَاءَ بَلْقَعِ   خَلِيٍّ مِنَ النَّادِي صَمُوتٍ إذا دُعِي (٤)

---

(١) هو شاعر أديب من أهل مصر ، وتوفي بالقاهرة ، قال العماد في « الخريدة » كان أوحد عصره في مصره نظماً ونثراً وترسلاً وشعراً . ولي ديوان الانشاء في أيام الفائز ، وعرف بالجليس لمجالسته الخلفاء من بنى عبيد . ترجمته في « خريدة العصر » ١/١٨٩ ، و « فوات الوفيات » ١/٥٧٧ ، و « الروضتين » ١/١٤١ .

(٢) أجدك : معناه : أبجد هذا منك ؟ وهو نصب على المصدر .

(٣) في « الأساس » ومن المجاز : سحاب هزج بالرعد ، وسمعت هزج الرعد والعود .

(٤) ديوانه : ٣٠١ ، والبلقع : الأرض القفر .

نَبتْ عَنْهُ عَيني ثُمَّ قال لَها البِلَى ... هي الدَّارُ فاذْرِي مِنْ دُمُوعِكِ أوْدَعِي [1]

ولا تُنْكِرَنْ للدَّهرِ إخْلاقَ جِدَّةٍ ... وتَشتيتَ أُلاّفٍ ، وإيحاشَ مَجْمَعِ [2]

فَلِلْمَوْتِ سُكَّانُ الدِّيارِ ، ولِلْبِلَى ... مَنازِلُهُم ، وشَمْلُهُمْ لِلتَّصَدُّعِ

فصبراً فإن رَدَّ التَّفجعِ والأَسى ... عليكَ الَّذي وَلَّى مِنَ الأَمرِ فاجْزَعِ [3]

وقال الشَّمَّاخُ بنُ ضِرارٍ [4] :

طَالَ الثَّوَاءُ عَلَى رَسْمٍ بِيَمْؤُودِ ... أَوْدَى وَكُلُّ جَدِيدٍ مَرَّةً مُودِي [5]

---

(١) في الديوان : « ... ثم قال لها الهوى ... فاسْتَمْرِي شؤونك وادمعي » ومرى الشيء : استخرجه . والشؤون : الدموع .

(٢) في الديوان : « ولا تنكري ... »

(٣) رواية البيت في الديوان :

فصبراً فان عزت نوائب دهرنا ... وأحداثه حُسْنَ التصبُّر فاجزع

(٤) هو الشماخ بن ضرار بن حرملة بن سنان المازني الذبياني الغطفاني ، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والاسلام ، جعله ابن سلام في الطبقة الثالثة ، وقرنه بالنابغة ولبيد وأبي ذؤيب ووصفه بقوله : كان شديد متون الشعر ، أشد أسر كلام من لبيد ، وفيه كزازة ، ولبيد أسهل منه منطقاً . شهد القادسية . ترجمته في « الاصابة » ٢/١٥١ ، و « الأغاني » ٩/١٥٨ ، و « طبقات فحول الشعراء » ١١٠ ، و « الخزانة » ١/٥٢٦ .

(٥) ديوانه : ٢١ ، و « معجم البلدان » ٨/٥٢٥ من قصيدة يهجو بها الربيع بن علباء السلمي وفيها « يمؤود » بالياء . قال ياقوت : هو واد لغطفان ، وقال البكري : هي حساء بأعلى الرمة لبني مرة وأشجع ، وأنشد البيت . ومود : اسم فاعل من أودى ، أي : هلك .

دارَ الفتاةِ التي كُنّا نقولُ لها ... يا ظَبيةً عُطُلاً حُسّانةَ الجِيدِ [١]

وقال البحتري :

ولقد نهيتُ الدمعَ يومَ سُويقةٍ ... فأبتْ غوالبُ عَبرةٍ ما تُغلَبُ [٢]

عفتِ الرُّسومُ وما عفتْ أحشاؤهُ ... من عهدِ شوقٍ ما يزولُ فيذهبُ [٣]

ولوَ انّني أنصفتُ في حُكمِ الهوى ... ما شِمتُ بارقةً ورأسي أشيبُ

وقال أبو العتاهية :

سَلِ الأيّامَ عن أُممٍ تقضّتْ ... ستُخبِرُكَ المعالمُ والرُّسومُ [٤]

تنامُ ولم تنمْ عنكَ المنايا ... تنبّهْ للمنيّةِ يا نَؤومُ

تَرومُ الخُلدَ في دارِ المنايا ... وكمْ قدْ رامَ قبلَكَ ما تَرومُ

ألا يا أيّها الملِكُ المُرجّى ... عليكَ نواهضُ الدنيا تحومُ

لأمرٍ ما تصرّفتِ الليالي ... وأمرٍ ما تقلّبتِ النُّجومُ [٥]

---

(١) العطل : التي لا حلي عليها ، فان كان ذلك عادة لها ، فهي معطال .

(٢) ديوانه : ١/٧٢ من قصيدة يمدح بها اسحاق بن ابراهيم المصعبي مطلعها :

عارضْنَنا أُصُلاً فقلنا الرَّبرَبُ ... حتى أضاءَ الأقحوانُ الأشنبُ

(٣) في الديوان : « . . . ما يحول فيذهب » .

(٤) ديوانه : ٣٥٥ عدا البيت الرابع مع اختلاف في الترتيب .

(٥) في الديوان : « تُوُليت النجوم » بالبناء للمجهول ، أي : تولاها الله فتطلع ثم تغيب بتأثير قدرته .

فصل آخر
في ذكر الرسم

قال مالكُ بن مُعَاوِيَةَ بن سَلَمَةَ القُشَيْرِي :

تَذَكَّرْتَ مِنْ سَلْمى وَذُو الشَّوْقِ ذَاكِرُ   وَحَاجَةُ مَنْ لَمْ تُقْضَ دَاءٌ مُخَامِرُ

تَذَكُّرُ ذِي شَوْقٍ وَهَاجَ صَبَابَةً   حِبَالُ سُلَيْمَى وَالرُّسُومُ الدَّوَاثِرُ

بِجَوٍّ كَأَنْ لَمْ تَحْتَلِلْهُ وَلَمْ يَكُنْ   لِأَهْلِكَ مَبْدىً حَوْلَهُ وَمَحَاضِرُ

وقال كعب بن مشهور المخبلي (1) :

فَقُوْلا لِبَاقِي رَسْمِ مَيْلاءَ بِاللِّوَى   لِوَى الهَضْبِ بَيْنَ المَغْرِ والمتخرَّمِ

عَلَيْكَ سَلامٌ أَيُّهَا الرَّسْمُ بِاللِّوَى   وَحُيِّيْتَ مَسْؤُولاً وَإِنْ لم تَكَلَّمِ

بِمَا كُنْتَ إِذْ مَيْلاءُ مَيْلاءُ وَالهَوى   جَمِيْعٌ وَشَعْبُ الدَّارِ لَمْ يَتَقَسَّمِ

كَمَا يَتَمَنَّى مَنْ تَمَنَّى وَلا أَرَى   دَوَاماً مِنَ الدُّنْيَا لِحَيٍّ بِأَنْعُمِ

---

(1) في هامش « معجم الشعراء » للمرزباني ٢٣٧ نقلاً عن الأصل المخطوط ما نصه : قال الهجري في « نوادره » : أنشدني جماعة من خثعم لكعب بن مشهور المخبلي من جليحة خثعم صاحب ميلاء ، ثم أنشد بيتاً لعله مطلع الأبيات التي أنشدها المؤلف وهو :

خليليّ والراقي عن العرض قابل   لذي البثّ من أشياعه المتلوّم

وفي «تزيين الأسواق» هو أبو خثعم كعب بن مالك أو عبد الله أو خثعم ابن أبي رباح ابن ضمرة الطائي من شعراء العصر الأموي ، من أهل الحجاز ، كان ممن اشتهروا بالعشق ، وصاحبته ميلاء .

فإنْ يَخلُ مِنْ مَيلاءَ رَبْعٌ فما خَلا بناتُ الهوى مِنْ حُبِّها المُتَقَدِّمِ
صَحا مَنْ تَصابى مِنْ لِداتي وحُبُّها شَرِيكُ المَنايا خيضَ في اللَّحمِ والدَّمِ

وقال البحتري :

عَجَباً لهجرِكِ قبلَ تَشَتُّتِ النَّوى منّا ووَصْلُكِ في التَّنائي أعْجَبُ [1]
أنّى اهتدَيْتِ وما اهْتَدَيْتِ لمَعْمَدٍ مِنْ لَيلِ عانَةَ والثُّرَيّا تُجْنَبُ [2]
عَفَتِ الرُّسُومُ وما عَفَتْ أحْشاؤه مِنْ عهدِ شوقٍ ما يحُولُ فيَذهَبُ

وقال أبو دُواد الإيادي[3] :

أمِنْ رَسْمٍ تَعَفّى أوْ رَمادِ وسُحْمٍ كالحَماماتِ الفِرادِ [4]

---

(١) ديوانه : ١/٧٣ ، و « طيف الخيال » : ٧١ وقد تقدم ص ٢٢ البيت الثالث وبيتان آخران من القصيدة .

(٢) في الديوان : « كيف اهتديت ... لمغمدٍ في ليل ... » تجنب : تدخل في الجنوب ، وعانة : قال ياقوت إنها بلد مشهور بين الرقة وهيت تعد من أعمال الجزيرة وهي مشرفة على الفرات .

(٣) هو جارية بن الحجاج الايادي ، شاعر قديم من شعراء الجاهلية ، كان من وصاف الخيل المجيدين ، وأكثر شعره في وصفها ، وله في غير وصفها تصرف بين مدح وفخر وغير ذلك . ترجمته وأخباره في « الأغاني » ١٦/٢٩٤ ، و « الشعر والشعراء » ١٨٩ ، و « المؤتلف والمختلف » ١٦٦، و« سمط اللآلي » ٨٧٩ ، و« الخزانة »٤/١٩٠ .

(٤) الأبيات عدا الأول لم تذكر في « شعر أبي دواد » الذي جمعه غوستاف فون غرنبادم ، فتستدرك من هنا .

أطاعتكَ الشُّؤونُ فظَلْتَ صبّاً كَأنَّ وَكِيفَها وَهيَ المَزادِ
وَهلْ يَشتَاقُ مِثْلُكَ في دِيارٍ عَفَتها الرِّيحُ والدِّيَمُ الغَوادي
ذَكَرْتَ بِها سُعادَ فعُجْتَ جهلاً على رَسْمٍ تُسَائِلُ عَنْ سُعادِ

وقال ربيعة بن مقروم الضبي :

أَمِنْ آلِ هِنْدٍ بالشُّرَيْفِ رُسُومُ دَوَارِسُ مِنْها حادِثٌ وَقَدِيمُ (١)
مَحَتْها رياحُ الصَّيْفِ بَعْدَكَ والبِلَى وَأَسْحَمُ رَجَّافُ العَشِيِّ سَجُومُ
عهِدْتَ بهَا هِنْداً وهِنْدٌ غَرِيرَةٌ عَنِ الفُحْشِ بَلْهاء العشيِّ نَؤُومُ
فشَطَّتْ نَوىً عنكَ الدِّيارُ وأَصْبَحَتْ مَناصِبُ رَضْوَى دُونَها وَيَسُومُ (٢)

وقال الأخطل :

تَغيَّرَ الرَّسْمُ مِنْ سلمَى بأجْفَارِ وَأَقْفَرَتْ مِنْ سُلَيْمَى دِمْنَةُ الدَّارِ (٣)
وَقَدْ تَكُونُ بِهَا سَلْمَى تُحَدِّثُنِي تَسَاقُطَ الحَلْيِ حاجاتي وَأَوْطاري (٤)
ثُمَّ اسْتَمَرَّ بِسَلْمَى نِيَّةٌ قَذَفٌ وَسَيْرُ مُنْقَضِبِ الأَقْرانِ مِغْيَارِ (٥)

---

(١) الشريف : ماء لبني نمير ، وموضع بنجد ، قاله البكري .

(٢) يسوم : على وزن المضارع اسم جبل .

(٣) ديوانه : ١١٢ من قصيدة يمدح بها يزيد بن معاوية . والأول والثاني في الأغاني ٨/٢٩٣ وتأبد الربع ، أي : توحش وفيها : « بأحفار » بالحاء . والأحفار : موضع في بلاد بني تغلب .

(٤) في « الأغاني » : « وقد تحل بها سلمى تجاذبني » وقوله « تساقط الحلي » أي : يتساقط تساقط الجوهر ، وتساقطه : تتابعه .

(٥) في الديوان : « استبد » واستبد الأمر بفلان : إذا غلبه فلم يقدر ضبطه . والنية —

كَأنَّ قلْبي غدَاةَ الـبَيْنِ مُنقَسِمٌ طارَتْ بهِ عُصَبٌ شتَّى لِأَمْصَار [1]

وَلوْ تلُفُّ النَّوى مَنْ قدْ تشَوَّقهُ إذاً قَضَيْتُ لُبَـاناتي وَأَسْرَاري [2]

وقال النابغة الذبياني :

أرَسْماً جديداً منْ سُعَادٍ تَجَنَّبُ عفَتْ رَوْضَةُ الأَجْدادِ منْهَا فيَثْقَبُ [3]

عَفا آيَهُ ريحُ الجنوبِ مَعَ الصَّبا وأَسْحَمُ دانٍ مزْنُه مُتصوِّبُ [4]

ـ والطِّيَة واحـد ، والقذف : البعد ، ونية قذف : أي : تتقاذف بمن يسلكها . والمنقضب : المنقطع ، وفي الشرح « المغيار » من الغيرة ، ويروى « المغوار » من الغور ، وفيه : أي : سير بعير انقطع عن أصحابه فهمٌّ في اللحاق ، وذلك أدعى لسيره .

(١) في الديوان : « مُقْتَسَم » .

(٢) في الديوان « لباناتي وأوطاري » وبعد البيت :

ظلَّت ظباء بني البكَّاء ترصده حتى اقتَنَصْن على بُعْدٍ وإضرار

وفي الشرح : ضمير الفاعل في تشوقه وضمير المفعول في ترصده يرجعان إلى القلب ، والمعنى : لو كانت النوى تجمع بيني وبين من يشتاقه قلبي ، لفزت بقضاء مُنيتي وحاجتي .

(٣) ديوانه : ٣١ بشرح ابن السكيت ، من قصيدة يعتذر بها إلى النعمان بن المنذر . قال يعقوب : الأجداد : خلائق تكون فيهـــا المياه ، أو آبار من ماء حفرت زمن عاد ، والخليقة والجد والقليب : واحـــد . ويثقب : أرض . جديد : دارس مجدود ، مثل قتيل ومقتول .

(٤) قال ابن السكيت : آيه : علامته ، وأسحم : سحاب أسود ، دان : قريب ، مزنه : مطره ، والمتصوب : المتدلي القريب من الأرض ، ويروى « عفا آيه نسج الجنوب » .

عَهِدْتُ بِها سُعْدَى وفي العَيْشِ غِرَّةٌ   فَأَصبح باقي وُدِّهـا يَتَقَضَّبُ [(١)]

وَقَدْ غَنِيَتْ سُعْدَى تُثِيبُ بِوُدِّها   لَيَالِيَ لا يُسْطَاعُ مِنْها التَّجَنُّبُ [(٢)]

وقال نافذ بن عطارد [(٣)] :

أَلا أَيُّها الرَّسْمُ المُحِيلُ أَلَمْ تَـكُنْ   بكَ الأَنسُ الرَّاضُونَ والخَيْلُ رُوَّدَا [(٤)]

وبِيضُ العَذَارَى في جَمِيعٍ كَأَنَّها   نِعاجُ المَلا يَلْبَسْنَ رَيْطاً ومجْسَدَا

فإِنِّي وَتَهْيامي بِهِنَّ لَكالَّذي   إذا نَالَ مِنْ صَدَّاءَ شرْباً تَرَدَّدا

فَإِنْ كُنْتَ ذَا عَقْلٍ فأَقْصِرْ عَنِ الصِّبَى   وَلا تُتْبِعَنْ عَيْنَيكَ شَعْباً تَبَدَّدَا

وقال جميل بن معمر :

أَهاجَكَ أَمْ لا بِالتَّنَاصُفِ مَرْبَعُ   وَرَسْمٌ بأَجْزَاعِ الغَدِيرَيْنِ بَلْقَعُ [(٥)]

---

(١) غرة العيش : أيام الشباب ، إذ هو غِرٌّ لم تحنكه التجارب ، يتقضب : يتقطع .

(٢) رواية البيت في الديوان .

دِيارُهُم إذْ هُمْ لِأَهلكَ جيرَةٌ   وإذ هي لا يسطاع منها التجنُّب

قال ابن السكيت : ديارهم : يعني ديار حي سعاد ، يقول : لا يقدر على مفارقتها ومباينتها ، والتجنب : التباعد .

(٣) ذكره القالي في « ذيل الأمالي » ١٠٣ ، وأنشد له خمسة أبيات ، ولم يرد له ذكر في كتب التراجم التي بين أيدينا .

(٤) الأنس : سكان الدار .

(٥) ديوانه : ١١٧ ، و « الخزانة » ٣/٦٢٥ . والتناصف : موضع بالبادية قاله ياقوت ، وفي الديوان « بالمداخل » وفي « الخزانة » : بالتناضب ، والأجزاع : جمع

دِيَارٌ لِلَيلى إذْ نَحُلُّ بِهَا مَعاً ... وَإذْ نَحنُ منها في المودَّةِ نَطْمَعُ

فإن تَكُ قد شطَّتْ نَوَاهَا وإن نَأَتْ ... فإنَّ النَّوى مِمَّا تُشِتُّ وَتَجْمَعُ (١)

وقال كثير :

لِعَزَّةَ مِنْ أيَّامِ ذِيْ الغُصْنِ هَاجَنِيْ ... بِضَاحِيْ قَرَارِ الرَّوْضَتَيْنِ رُسُوْمُ (٢)

هِيَ الدَّارُ وَحْشاً غَيرَ أَنْ قَدْ يَحُلُّهَا ... وَيَغْنَى بِهَا شَخْصٌ عَلَيَّ كَرِيْمُ (٣)

سَأَلتُ حَكِيماً أَيْنَ شَطَّتْ بِهَا النَّوَى ... فَخَبَّرَنِي مَا لَا أُحِبُّ حَكِيْمُ (٤)

تَمُرُّ السِّنُوْنَ المَاضِيَاتُ وَلَا أَرَى ... بِصَحْنِ الشَّبَا أَطْلَالَهُنَّ تَرِيْمُ (٥)

— جزع ، وهو من الوادي حيث تقطعه أو منعطفه ، أو منحناه أو جانبه ، أو ما اتسع من مضايقه أنبت أو لم ينبت . وفي الديوان : « ودار بأجراع الغديرين » والأجراع : جمع جرع وهي الرملة المستوية لا تنبت شيئاً .

(١) في الديوان : « وإن تك قد شطت نواها ودارها » .

(٢) ديوانه : ١/١٨٥ ، و « الأغاني » ١٢/١٨٨ عدا البيت الأخير وهو في معجم البلدان : ٥/٢٢٥ ويريد بقوله « الروضتين » روضة آجام وروضة الدبوب ، قال ابن حبيب : روضة آجام وروضة الدبوب متقاربتان ، قال ذلك في قول كثير وأنشد البيت . . . وقال أيضاً : روضة آجام : هي من جانب ثافل ، وثافل جبلان بتهامة لبني ضمرة . . .

(٣) قوله : « يغنى بها شخص » يعني : صاحبته عزة .

(٤) حكيم هذا : هو أبو السائب بن حكيم راوية كثير .

(٥) في معجم البلدان « السنون الخاليات . . . » والشبا ، بوزن العصا : واد بالأثيل من أعراض المدينة فيه عين يقال لها : خيف الشبا .

وقال ذو الرمة :

أَحادِرَةٌ دُموعَكَ دارُ مَيٍّ ... وَهائِجَةٌ صَبابَتَكَ الرُّسومُ ؟ (١)

عفتْ وعُهودُها مُتقادِماتٌ ... وقدْ يَبقى لكَ العَهْدُ القَديمُ (٢)

وَقدْ يُمْسِي الجَميعُ أولو المَحاوي ... بها المُتَجاوِرُ الحِلَلِ المُقيمُ (٣)

وقال آخر :

لَمْ يَبْقَ بَعْدَكُمْ رَسْمٌ وَلا طَلَلُ ... إلّا وَلِلْبَيْنِ في تَغْييرِهِ عَمَلُ

غِبْتُمْ فأَوْحَشْتُمُ الدُّنيا لِغَيبَتِكُمْ ... فاليَوْمَ لا عِوَضٌ مِنْكُمْ وَلا بَدَلُ

حَمَّلْتُموني على ضَعْفِي بفُرْقَتِكُمْ ... ما لَيسَ يَحْمِلُهُ سَهْلٌ وَلا جَبَلُ

إذا شَمِمْتُ نَسيماً مِنْ دِيارِكُمُ ... عَدِمْتُ عَقْلي كأنّي شارِبٌ ثَمِلُ

---

(١) ديوانه : ٦٧٠ وفيه بعد هذا البيت :

نَعَمْ سَرَباً كما نَضَحَتْ فريٌّ ... أو الخَلَقُ المبينُ بها الهَزُومُ

بها عُفْرُ الظباءِ لها نَزيبٌ ... وآجالٌ ملاطِمُهُنّ شِيمُ

كأن بلادَهُنّ سماءُ ليلٍ ... تكَشَّفَ عن كواكبِها الغُيومُ

(٢) روى أبو عمرو : وقد يسفى بك العهد القديم . وقال : إذا أساء إليه فقد أسفى به .

(٣) الجميع : المجتمعون ، والمحاوي : الأبيات ، الواحد : محوى ، والحلل : جمع حلّة وهو الموضع الذي يحلّونه ، أراد : وقد يمسي المتجاور الحلل فأضاف ، ويجوز نصب الحلل ، كما يقال : الحسن الوجه ، فنصب على التشبيه بالمفعول .

وقال البحتري :

أَصبا الأَصائل إنَّ بُرْقَة ثهمدِ ... تشكو اختلافك بالهُبوب السَّرمدِ [(١)]

لا تُتعِبي عرصاتِها إنَّ الهوى ... مُلقىً على تلك الرُّسوم الهُمَّدِ [(٢)]

دِمَنٌ مواثِلُ كالنُّجوم فإنْ عفت ... فبأيِّ نجمٍ في الصَّبابة نهتدي!

وقال أيضاً :

ولقد وقفتُ على الرُّسوم فلم أجدْ ... عتباً على سكبِ الدُّموع الذُّرَّفِ [(٣)]

وسألتُها حين انجذبتُ، فلم تُصِخْ ... فيهِ لدعوةِ عاشقٍ مُستوقِفِ

دِمَنٌ جنيتُ بها الهوى من غُصْنِه ... وسحبتُ فيها اللَّهو سحبَ المطْرَفِ

فلأجرينَّ الدمعَ إذْ لم تُجْرِه ... ولأعرفنَّ الوجدَ إنْ لم تعرفِ

وقال ذو الرمة :

أَلا حيِّ بالزُّرْقِ الرُّسومَ الخواليا ... وإنْ لم تكنْ إلا رَميماً بَواليا [(٤)]

---

(١) ديوانه : ١/٥٤٤ و « الموازنة » ١/٤٧٠ من قصيدة يمدح بها يوسف بن محمد، وفي الديوان: «برقة منشد» قال الآمدي : ما زلت أسمع الشيوخ من أهل العلم بالشعر يقولون: إنهم ما سمعوا المتقدم ولا متأخر في هـذا المعنى أحسن من هذا البيت، ولا أبرع لفظاً، ولا أكثر ماء ولا رونقاً، ولا ألطف معنى.

(٢) العرصات : الساحات، الهمد : البالية المتغيرة.

(٣) ديوانه : ٢/٣١١ من قصيدة يمدح بها يوسف بن محمد مطلعها :

أتراك تسمعُ للحمَام الهُتَّفِ ... شجْواً يفيءُ بشجوك المستطرف

(٤) ديوانه : ٧٢٨ من قصيدة يمدح بها بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري رضي الله عنهم.

عَفَتْ بُرْهَةً أَطْلالُ مَيٍّ وَأَدْرَجَتْ بِهَا الرِّيحُ تَحتَ الغَيمِ قَطراً وَسَافِيَا [(١)]

تَحَمَّلَ مِنْهَا أَهْلُ مَيٍّ فَوَدَّعُوا بِهَا أَهْلَهَا لا يَنْظُرُونَ التَّوَالِيَا [(٢)]

وَقَدْ كُنْتُ مِنْ مَيٍّ إِذِ الحَيُّ جِيرَةٌ عَلَى البُخْلِ مِنهَا مَيِّتَ القَلْبِ سَاهِيَا

وقال آخر :

بَكَيتُ وَمَا أَبْكَانِي الرَّسْمُ إِذْ عَفَا وَلا الرَّبعُ أَضْحَى نُؤْيُهُ وَهُوَ دَاثِرُ

وَلَكِنَّنِي لا أَستَفِيقُ تَذَكُّراً وَلَيْسَ بِمُنْفَكٍ مِنَ الدَّمعِ ذَاكِرُ

---

(١) عفت : درست ، برهة : زمناً ، والسافي : ما سفته الريح من التراب ، والقطر : المطر . وبعد البيت :

رجعتُ الى عِرْفانها بعْدَ نبوةٍ فما زِلتُ حتى ظنني القوم باكيا

هي الدار إذ مي لأهلكَ جيرةٌ ليالي لا امثالهنَّ لياليا

(٢) في الشرح : أي لا ينظرون من تأخر ، أي : لا ينتظرون الأواخر . وبعد البيت

عشيَّة جاؤوا بالجمال وبينهم مخالجة لم يُبرموها كما هيا

فقالوا أقيموا واظعنوا وتنازعوا وكلٌّ على عيني وسمعي وباليا

وأبصرتهم حتى رأيت قيامَهم هتكنَ السُّتور وانتزعن الأواخيا

فأيقنت أن البين قد جدَّ جدُّه وأن التي أرجو من الحيِّ لاهيا

على أمرِ من لم يُشوني ضرُّ أمره ولو أنني استأويتُه ما أوى ليا

فصــل
في ذكر الآثار

قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾ [يس: ١٢].

قيل: نُحييهم بالإيمانِ بَعْدَ الكُفر. وقيل: بالبعث. ونكتُبُ ما قدَّموا: مَا عَمِلُوا من خيرٍ أوْ شرٍّ. وآثارَهُم: ما أثَرُوا مِنْ سُنَّةٍ حَسَنَةٍ وسِيرَةٍ يُعْمَلُ بها بَعْدَهُم. وقيل: آثارهم: خطاهم إلى المساجد.

وروى سفيان (عن أبي سفيان) عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري رحمهم الله قال: كانَتْ بنو سَلِمَةَ في نَاحِيَةٍ من المدينة، فَأَرَادُوا أن يَنْتَقِلُوا إلى قَرِيْبٍ مِنَ المَسْجِدِ، فَنَزَلَتْ: ﴿إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم﴾، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ آثارَكُم تُكْتَبُ»، فلم يَنْتَقِلُوا[1].

---

(١) الترمذي: ١٥٥/٢ وقال: حسن غريب، والحاكم في «المستدرك» ١٠٧/٢، وصححه، ووافقه الذهبي، وابن جرير ١٥٤/٢٢، وزاد السيوطي نسبته في «الدر المنثور» إلى عبد الرزاق، والبزار، وابن المنذر، وابن ابي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الايمان» قلت: وأبو سفيان هو طريف بن شهاب السعدي ضعفه الحافظ في «التقريب» وقوله «فلم ينتقلوا» هكذا جاءت الرواية في تفسير ابن كثير، وفي «الترمذي»: «فلا تنتقلوا».

وقد روي عن أبي سعيد الخدري رحمه الله : أنَّ بني سَلِمةَ شَكَوْا إلى النبي صَلَّى الله عليه وسلم بُعْدَ مَنازِلِهِم من المسجد، فأنزل الله سبحانه (إنَّا نَحْنُ نُحيي المَوتى ونَكْتُبُ ما قدَّمُوا وآثارَهم) فقالوا : عليكم مَنازِلَكُم فإنَّما تُكْتَبُ آثارُكم (١).

وَقال عُمرُ بنُ عَبْدِ العزيز رِضْوانُ الله عليه : لَوْ كان الله مُغْفِلاً شيئاً لأغفل هذه الآثارَ الَّتي تَعْفُوْها الرِّياحُ، يعني قوله عز وجل (إنَّا نَحْنُ نُحْيي المَوْتى ونَكْتُبُ مَا قدَّمُوا وآثارَهم).

قال الأحوص :

ضَوْءُ نارٍ بَدَا لِعَينِكَ أَمْ شَبَّـ ... ـتْ بذي الأَثْلِ مِنْ سَلامَـةَ نَارُ (٢)

تِلْكَ بَيْنَ الرِّياضِ وَالأَثْلِ والبا ... نَاتِ مِنَّا وَمِنْ سَلامَـةَ دَارُ

وَكَذاكَ الزَّمانُ يَذْهبُ بالنَّا ... سِ وَتَبْقَى الرُّسُوْمُ وَالآثارُ

---

(١) ذكره ابن كثير في « تفسيره » ٣/٥٦٦ عن البزار من طريق شعبة عن سعيد الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري، ثم قال : وفيه غرابة من حيث ذكر نزول هذه الآية، والسورة بكمالها مكية، قلت : وفي « صحيح مسلم » ١/٤٦٢ عن جابر بن عبدالله قال : خلت البقاع حول المسجد، فأراد بنو سَلِمَة أن ينتقلوا إلى قرب المسجد، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال لهم : « إنه بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد » قالوا : نعم يا رسول الله قد أردنا ذلك، فقال : « يا بني سلمة ديارَكم تُكْتَبْ آثارُكم، ديارَكم تُكْتَبْ آثارُكم ».

(٢) الأبيات في « الاغاني » ٩/١٣٢، ١٣٣.

وقال المتنبي :

تَصْفُو الحَياةُ لِجاهِلٍ أَوْ غافِلٍ   عَمَّا مضَى فيها وَما يُتوَقَّعُ (١)

وَلِمَنْ يُغَالِطُ في الحَقَائِقِ نَفْسَهُ   وَيسُومُها طَلَبَ المُحَالِ فَيَقْنَعُ (٢)

أَينَ الَّذي الهَرَمانِ مِنْ بُنْيانِهِ   ما قَوْمُهُ ما يَوْمُهُ ما المَصْرَعُ

تَتَخَلَّفُ الآثارُ عَنْ أَرْبابِهَا   حِيناً وَيُدْرِكُها الفَناءُ فَتَتْبَعُ

وَلِلبيدِ بنِ ربيعة السَّبْقُ إلى هذا المعنى الَّذي قصَدَه الأحوصُ بقوله :

فَعَفَا آخِرُ الزَّمانِ عليهِم   فعلَى آخِرِ الزَّمانِ الدَّمارُ (٣)

وَكذاكَ الزَّمانُ يذهبُ بالنَّا   سِ وَتَبْقَى الرُّسُومُ والآثارُ

وقال سَلْمُ بنُ عمرو الخاسر (٤) :

سَلامٌ علي الأطلالِ وَالمَنْزِلِ القَفْرِ   وإنْ كانَ لا يَعْنيهِ وَصْلِي وَلا هَجْرِي

---

(١) ديوانه : ٢/٢٦٨ من قصيدة يرثي بها أبا شجاع فاتكاً مطلعها :

الحزنُ يُقلِقُ والتَّجمُّلُ يردَعُ   والدَّمعُ بينهما عصيٌّ طيِّعُ

(٢) في الديوان : « فتطمع » قال العكبري : يقول : انما تصفو لمن يغالط فيها عقله ، وتحسن عند من يكابر فيها نفسه ، ويسومها المحال ، فتركن اليه ، أو يمنيها فتعتمد بآمالها عليه .

(٣) في ديوان لبيد : ٤١ قصيدة قالها حين ارتحلت بنو جعفر فنزلت بلاد بني الحارث ابن كعب مطلعها :

إنما يحفظ التُّقى الأبرار   وإلى الله يستقرُّ القرار

وليس فيها البيتان اللذان أنشدهما المصنف ، ويرجح أنهما منها .

(٤) هو سلم بن عمرو مولى بني تيم بن مرَّة البصري ، شاعر مطبوع ، متصرف في فنون الشعر ، من شعراء الدولة العباسية ، وهو راوية بشار بن برد ، وتلميذه ، وعنه أخذ ، ومن بحره اغترف .

وَلـكِنَّ آثَارَ الأَحِبَّةِ بَيْنَهَـا بَلِيْنَ وما تَبْلَى البَلابِلُ من صَدْرِي

و قال البحتري :

لا تَأْمُرَنِّي بالعَزَاءِ وقَـدْ تَرى أَثَرَ الخَلِيْطِ وَلاتَ حِيْنَ عَزَاءِ (١)

زِدْنِي اشْتِياقاً بالُمدامِ وغَنِّنِي أَعزِزْ عَليَّ بفُرْقَـةِ القُرَنَاءِ

فَلَعَلَّنِي أَلْقَى الرَّدَى فَيُرِيحُنِي عَمَّا قَلِيْلٍ من جَوَى البُرَحَاءِ (٢)

وقال أبو الفرج الوأواء :

لِمَنْ أُسائِلُ لا رَسْمٌ وَلا أَثَرُ رَحلْتُمُ وَأَقامَ الدَّمْعِ والسَّهَرُ (٣)

كُنْتُم لِعَيْنِي صَباحاً لا مَساءَ لَهُ فَعاضَهـا البَيْنُ لَيْلاً مَا لَهُ سَحَرُ

وَما أُعابُ بشيءٍ بَعْدَ فُرْقَتِـكُم غيرَ البَقَـاءِ فإنِّي مِنْهُ أَعتَذِرُ

و قال عليّ بنُ أحمد بن أبي أميَّة الـكاتب :

يَا رِيْحُ ما تَصْنَعِيْنَ بالدِّمَنِ كَمْ لكِ مِنْ صَحْوِ مَنْظَرٍ حَسَنِ

مَحَوْتِ آثارَنا وَأَحدَثْتِ آثا راً بِرَبْـعِ الحَبِيْبِ لَمْ تَـكُنِ

إنْ تَكُ يارَبْعُ قَدْ بَلِيْتَ مِنَ الرِّيْـ حِ فإنِّي بَالٍ مِنَ الحَزَنِ

---

(١) ديوانه : ٥/١ من قصيدة يمدح بهـا أبا سعيد محمد بن يوسف الثّغري الطائي . والخليط : الشريك .

(٢) في « عبث الوليد » ١٩ للمعري : الأكثر في كلامهم « لعلّي » وبها جاء القرآن ، وربما جاء « لعلني » .

(٣) لم ترد الأبيات في الديوان .

قد أوردتُ هذه الأبيات بتمامها وخبرها في فصل المغاني [١] .

وقلت :

أعاضني الدهرُ من رؤياكمُ نظري آثارَكمْ وبرغمي ذلك العوضُ
ثمّ استقالَ فقد أضحتْ موانعُهُ دونَ التداني من الآثارِ تعترضُ
فقلْ لمنْ يمنعُ الحلَّ المباحَ غداً توفي وحقّكَ ما أصبحْتَ تقترضُ

وقال مهيار :

عِمي صباحاً بعدَنا وانعمي يادارَ صفراءَ على الأنعمِ [٢]
دُعاءَ منْ أقنعَهُ البينُ بعـ ـدَ العينِ بالآثارِ والمَعْلَمِ [٣]
بكى النوى أمسِ فلمْ يدّخرْ دمْعاً يفيضُ اليومَ في الأرْسُمِ
خانَ بُكاءُ العينِ أجفانَهُ فناحَ والنوْحُ بُكاءُ الفمِ

رُوي أنَّ الأخطلَ سألَ بكرَ بنَ وائلٍ فلمّا انتهى إلى بني غُبُرٍ ، فنزل بهم أبطؤوا عليه فقال :

تنزُوا الدجاجُ عليها وهي باركةٌ ترجو عطاءَ سُويدٍ من بني غُبُرا [٤]

---

(١) انظر ص : ٢٩٧

(٢) ديوانه : ٣/٣١٣ من قصيدة يمدح بها عميد الرؤساء أبا طالب بن أيوب ، وفيه « بعدنا واسلمي » والأنعم ، بضم العين : موضع بالعالية ، وبفتحها : جبل ببطن عاقل بين اليمامة والمدينة .

(٣) المعلم : ما يستدل به على الطريق من أثر ونحوه .

(٤) لم يرد البيتان في الديوان ، وفي الأصل تحت قوله : « تنزو الدجاج » ما نصه : يعني : ناقته :

قَبِيلَةٌ كَشِرَاكِ النَّعْلِ دارِجَةٌ إنْ يَهْبِطُوا عَفْوَ أَرْضٍ لا ترى أثرا [(١)]

وقال آخر :

أرَى آثارَكُمْ فأَذُوبُ شَوْقاً وأَسْفَحُ في مَنازِلِكُم دُمُوعِي

وأَسأَلُ مَنْ بِفُرْقَتِكُم بَلاني يَمُنُّ عَلَيَّ منكم بالرُّجُوعِ

وقال القاضي أبو المجد بن سليمان رحمه الله :

مَرَرْتُ بالدَّارِ وَقَدْ غُيِّرَتْ مَعَالِمٌ مِنهَا وآثارُ [(٢)]

فقُلْتُ وَالقَلْبُ بِهِ لَوْعَةٌ تحرِقُهُ والدَّمعُ مِدْرَارُ

أَيْنَ زَمانٌ فِيكِ خَلَّفْتُهُ وأَيْنَ سُكَّانُكِ يا دَارُ [(٣)]

أَجابَتِ الدَّارُ على عِيِّهَا إنَّ سُكُوتي عنكَ إقرارُ

أَما تَراني اليَوْمَ مِنْ بَعْدِهِمْ مُقْفِرَةً ما فِيَّ دَيَّارُ

وقال آخر :

أَعادَ الدُّجَى في الصُّبحِ مِنْ بعدِ فَقْدِهم أَمِ الحُزْنُ غَطَّى ناظِرَ العَيْنِ بالدَّمعِ؟

وقفْتُ على آثارِهِمْ فَقَرَيْتُهَا دُمُوعَ اشْتِيَاقٍ مِثْلَ مُنْهَمِرِ الرَّجعِ

دُمُوعاً جرَتْ جرْياً تَحَلَّلَ عِقْدُهُ غداةَ رَبَعْنَا بالهُمُومِ على الرَّبعِ

سلامٌ على قلْبِي فقَدْ بانَ إثْرَهُم وقدْ صُمَّ إلَّا عنْ حديثِهِمُ سَمْعِي

---

(١) في الأصل تحت قوله : « لا ترى أثراً » : يذمهم بالقلة والضعف .

(٢) أورد الأبيات الثلاثة الأولى العماد الاصفهاني في « خريدة القصر » ٢/١٠ قسم شعراء الشام . وفيها : « وقفت » .

(٣) في الخريدة : « قضّيته » .

كَتَبَ أَرسْطَاطَاليس إلى الاسكندر كتاباً يُوصيهِ فيه بمصالح ملكه، ثم قال له فيه : إعلم أن الأيّام تأتي علي كلِ شيء ، فتُخْلِقُ الأفعالَ وتمحو الآثارَ ، وتُميتُ الذكر إلّا ما رسخ في القلوب بمحبَّةٍ تتوارثُها الأعقابُ ، فاجْهَدْ أنْ تظفرَ بالذِّكْرِ الذي لا يموت ، بأن تُودِعَ النَّاسَ محبَّة يبقى بها ذكر مناقبك .

وقال أبو العلاء بن سليمان :

إتبَعْ طريقاً للهُدى لاحِباً ... وَخَلِّ آثاراً بِمَلْحُوبِ [1]

أُفٍّ لِدُنيايَ فإنّي بها ... لَمْ أَخْلُ مِنْ هَمٍّ وتَعْذيبِ [2]

قُلتُ لها امضي غيرَ مصحُوبةٍ ... فقالت اذهبْ غيرَ مصحُوبِ

(١) اللزوميات : ١٤٥/١ . واللاحب : الواضح ، وملحوب : وادي متالع ، أوماء لبني أسد على رأس تل سمي بملحوب بن لويم بن طسم ، قاله البكري .

(٢) في « اللزوميات » : لم أخل من إثم ومن حوب .

فصل

في ذكر المساكن والمحل والمعاهد والأعلام والمعالم والعرصات

المساكن

قال أبو العتاهية :

جَمَعُوا فَما أَكلُوا الَّذي جَمَعُوا   وَبَنَوْا مَساكِنَهُم فَما سَكَنُوا [1]

وَكَأَنَّهُم كانوا بِها ظُعُناً   لَمَّا استراحوا ساعةً ظَعَنُوا [2]

رُوِيَ عن أبي الدرداء [3] رضي الله عنه : أنه أشرف على أهل حمص ، فقال : ألا تستحيون تَبْنُونَ ما لا تسكُنُون ، وتأْمُلُون ما لا تُدْرِكُونَ ، وتَجْمَعُون ما لا تأكُلُون ، أينَ الَّذين بنَوْا قبلَكُم تشييدا ، وجمعوا كثيرا ، وأمَّلُوا بعيدا ، أَصبَحَتْ مساكِنُهم قُبُورا ، وآمالُهُم غُرُورا ، وجمعُهُم بُورا [4] .

---

(١) ديوانه : ٣٨٩

(٢) في الديوان : « فكأنهم ظُعُنٌ بها نزلوا » .

(٣) هو الصحابي الجليل عويمر بن مالك بن قيس بن أمية الأنصاري الخزرجي ، كان من العلماء الحكماء ، وهو أحد الذين جمعوا القرآن حفظاً على عهد النبي ﷺ بلا خلاف ، مات بالشام سنة ٣٢ هـ .

(٤) الخبر باختلاف يسير في « حلية الأولياء » لأبي نعيم ٢١٧/١ ، وفيه «ما لا تبلغون» مكان قوله « ما لا تدركون » .

وقال أبو العَلاء بن سُلَيْمان المعري :

سكَنْتُكِ يا دُنيا برَغمِي مُكرهاً ... وَما كانَ لي في ذاكَ صُنعٌ ولا أمرُ [(١)]

وجرَّبتُ حتَّى قَدْ قتَلْتُكِ خِبرَةً ... فأنتِ وِعاءٌ حَشْوُهُ الهَمُّ والوِزْرُ

فإنْ أرتَحِلْ يوْماً أَدَعْكِ ذَمِيمَةً ... وَمافِيكِ مِن عُودي غِراسٌ ولا بَذْرُ

عن حاتم الأَصمِّ [(٢)] رحمه الله أنَّه قال : ما مِن صباحٍ إلا والشَّيْطانُ يقول لي : ما تأكُلُ ، وما تلْبَسُ ، وأينَ تسكُن ؟ فأقول : آكُلُ الموتَ ، وألبَسُ الكَفَن ، وأسكُنُ القَبْر .

وقال النابغة الذبياني :

لِلَيْلَى بِشَرقِيّ النّجادِ مساكِنُ ... قِفارٌ تعفّتْها شَمالٌ وَداجِنُ

توَهّمتُ منها مَعْهداً فعرَفْتُه ... لِسَبْعَةِ أعوامٍ وَذا العامُ ثامِنُ

أقامتْ على رَيبِ الزّمانِ وأزْعجَتْ ... بِلَيْلَى نوىً عن دارِ أهلِكَ شاطِنُ

وقال كثيّر بنُ عبد الرحمن :

غَشِيْتُ لِلَيْلَى بالبرُود مساكِناً ... تقادَمْنَ واستَنَّتْ علَيْها الأعاصِرُ [(٣)]

---

(١) لم يرد هذا الشعر في « اللزوميات » ولا في « السقط » .

(٢) هو ابو عبد الرحمن حاتم بن عنوان المعروف بالأصم من أهل بلخ ، زار بغداد ، واجتمع بالامام أحمد بن حنبل ، وشهد بعض معارك الفتوح ، اشتهر بالزهد والورع ، ومات بواشجرد (من قرى ما وراء النهر) عند رباط يقال له : رأس سروند سنة سبع وثلاثين ومائتين .

(٣) غشيه : إذا جاءه وأتاه ، والبرود : قرب رابغ ، وأعاصر : جمع أعصار ، وهو جمع عصر ، وهو الدهر .

وأَوحَشْن بعْدَ الحَيّ إلّا مسَاكِناً   يُرَيْنَ حَديثـاتٍ وهُنّ دوَاثِرُ [(١)]

وكَانَتْ إذَا أخلَتْ وَأَمْرعَ رَبْعُهَا   يَـكُونُ عليْهَا مِنْ صَديقِكَ حاضِرُ [(٢)]

فَقَدْ خفَّ مِنْها الحيُّ بَعْدَ إقامَةٍ   فَمَا إنْ بهـا إلّا الرِّياحُ العَوائِرُ [(٣)]

محـلٌّ

قال العربي :

لَعَمْرِي لَئِـنْ أبـكَتْكَ كُلُّ مَحلَّةٍ   لِأسماءَأوطَيْفٌ مَتى تُمْـسِ يَطْرُقِ

لَتَلْتَمِسَنْ عيناً سِوَى عَيْنِكَ الّتي   ذَهَبْتَ بِجاري دَمعِهَا المُتَرَقْرِقِ

وقال البحتري :

أَسْقَى مَحلّتَكَ الغَمـامُ ولا يَزَلْ   نَوْرٌ بهَـا خَضِلٌ وَنَوْرٌ جاسِدُ [(٤)]

فَلَقَدْ عَهِدْتُ العَيْشَ في أحيائِهَـا   فَيْنَـانَ يَحْمدُ مُجْتَنَاهُ الرَّائِدُ

وقال أيضا :

قُلْ لِلسَّحَابِ إذا حَدَاهُ الشَّمْأَلُ   وَسَرى بِلَيْـلٍ رَكْبُه المُتَحَمِّلُ [(٥)]

---

(١) أوحشن : صرن قفرا ، والضمير للمنازل ، والمعـالم : جمع معلم ، وهو الأثر الذي يستدل به على الدار ، وحديثات: جديدات .

(٢) يقال : أخلت الأرض : إذا كثر خلاها ، والخلى مقصوراً : الرطب من الحشيش . وأمرعت الأرض: أخصبت .

(٣) قوله « الرياح العوائر » أي : الرياح المتعاقبة .

(٤) ديوانه : ٦٠١/١ ، وفيه « . . . ولا يزل روض بها خضر . . » والنور : الزهر أو الأبيض منه . والجاسد : اللاصق .

(٥) ديوانه : ٣٠/١ من قصيدة يمدح بها المتوكل .

عَرِّجْ على حَلَبٍ فَسَقِّ مَحَلَّةً مأنُوسَةً فيها لِعَلْوَةَ مَنْزِلُ (١)
لِغُرَيْرَةٍ أَدْنُو وَتبعدُ في الهَوَى وَأجُودُ بالوُدِّ المَصُونِ وَتَبْخَلُ
أَحْنُو عَلَيْكِ وفي فُؤَادي لَوْعَةٌ وَأَصُدُّ عَنْكِ وَوَجْهُ وِدِّي مُقْبِلُ (٢)
وَأَعِزُّ ثُمَّ أَذِلُّ ذِلَّةَ عَاشِقٍ وَالحُبُّ فيهِ تَعَزُّزٌ وَتَذَلُّلُ
وإذا هَمَمْتُ بِوَصْلِ غيرِكِ رَدَّني وَلَهٌ عَلَيْكِ وَشَافِعٌ لَكِ أَوَّلُ (٣)

وقال البحتري أيضا :

أَمَحَلَّتَيْ سَلْمَى بِكَاظِمَةَ اسْلَمَا وَتَعَلَّمَا أَنَّ الهَوَى ما هِجْتُمَا (٤)
هَلْ تَرْوِيانِ مِنَ الأَحِبَّةِ حائِماً أَوْ تُسْعِدانِ على الصَّبَابَةِ مُغْرَما
أَبْكِيكُمَا دَمعاً وَلَوْ أَنِّي عَلَى قَدْرِ الهَوى أَبْكي بَكَيْتُكُما دَما
طَلَلاً أُكَفْكِفُ فيه دَمْعاً مُعْرِباً بِجَوىً وَأقْرأُ فيهِ خَطّاً أَعْجَما
تَأبى رُبَاهُ أَنْ تُجِيبَ وَلَمْ يَكُنْ مُسْتَخْبِرٌ لِيُجِيبَ حَتَّى تَفْهَمَا

وقال أبو العلاء بن سليمان :

مَحَلٌّ بأَرْضِ الشَّام يطْرُدُ أَهلَهُ وَلَكِنَّهم عَمَّا يَقُولُ نِيَامُ (٥)

---

(١) في الديوان : « فحيّ محلّة » .
(٢) في الديوان : « أحنو إليك » والود ، بكسر الواو : الحبيب .
(٣) في الديوان : « ولهٌ إليك » .
(٤) ديوانه : ١/٢٦٠ من قصيدة يمدح بها أحمد وإبراهيم ابني المدبر ، والبيت الأول في « الموازنة » ١/٤١٨ .
(٥) شروح سقط الزند : ٢/٦٠٧ ، قال البطليوسي : يقول : هذا المحل فيه دلائل-

وَقد تَنْطِقُ الأَشياءُ وَهي صَوامِتٌ وَما كُلُّ نُطْقِ المُخْبِرِينَ كَلامُ [(١)]

وقال الشريف المرتضى رضي الله عنه :

يا مَحَلّاً أَبْلَتْهُ هُوجُ اللَّيالي وَغَرامِي بساكِنيهِ قَشيبُ [(٢)]
ما اطْمأَنَّت بِكَ المَحاسِنُ حتّى شَرَّدَتْها عَنّي وَعَنْكَ الخُطوبُ
ساءَ عَهْدي لِقاطِنيكَ متى آ وَيتُ دَمْعاً في مُقْلَةٍ لا يَصُوبُ
لَسْتَ فَرْداً فيما دَهَتْهُ اللَّيالي كلُّ شَيءٍ بِكَرِّهِنَّ سَليبُ

وقال مهيار :

سُقيتَ مَحَلّاً وَأَحْيَتْ رُباكَ مَدامِعُ كُلِّ فَتىً تَهْمِلُ [(٣)]
وَلا بَرِحَتْ تَضَعُ المُثْقَلاتُ مِنَ المُزْنِ فَوْقَكَ ما تَحْمِلُ

وقال البحتري [(٤)]

ـ تدل من اعتبر بها على أن أهله سيُخْرَجونَ عنه ، ولكن أهله نيام عن الاعتبار بتلك الدلائل .

(١) وقوله : « وقد تنطق الأشياء وهي صوامت » يريد أن ما في الشيء من دلائل الاعتبار يجري مجرى الكلام والنطق ، وإن لم يكن له صوت يسمع .

(٢) لم ترد هذه الأبيات في الديوان .

(٣) ديوانه : ١٢٥/٣ من قصيدة يمدح بها الوزير أبا القاسم الحسين بن علي المغربي مطلعها : عسى معرضٌ وجهه مقبل فيوهَب للآخِرِ الأوّلُ

(٤) ديوانه : ١٠٤٥/٢ من قصيدة يرثي بها المتوكل ، وقد ذكر الحصري في « زهر الآداب » ٢١٦/١ أن أبا العباس ثعلب كان يقول في هذه القصيدة : « ما قيلت هاشمية أحسن منها » وقد صرح فيها تصريح من أذهلته المصائب عن تخوف العواقب » .

مَحَلٌّ مِنَ القَاطُولِ أَخْلَقَ عامِرُهْ   وعادَتْ صُروفُ الدَّهرِ جَيْشاً يُغاوِرُهْ (١)

كَأَنَّ الصَّبا تُوفِي نُذُوراً إذا سَرَتْ   تُراوِحُهُ أَذْيالُهُ وَتُباكِرُهْ (٢)

وَرُبَّ زَمانٍ ناعِمٍ - ثَمَّ - عَهْدُهُ   تَرِقُّ حَواشِيهِ وَيُورِقُ ناضِرُهْ (٣)

تَغَيَّرَ حُسْنُ الجَعْفَرِيِّ وَأُنْسُهُ   وَقُوِّضَ بادِي الجَعْفَرِيِّ وَحاضِرُهْ (٤)

تَحَمَّلَ عَنْهُ ساكِنُوهُ فُجاءَةً   فَعادَتْ سَواءً دُورُهُ وَمَقابِرُهْ

إذا نَحْنُ زُرْناهُ أَجَدَّ لَنا الأَسَى   وَقَدْ كانَ قَبْلَ اليَوْمِ يَبْهَجُ زائِرُهْ

وَلَمْ أَنْسَ وَحْشَ القَصْرِ إذْ رِيعَ سِرْبُهُ   وَإِذْ ذُعِرَتْ أَطْلاؤُهُ وَجَآذِرُهْ (٥)

وَإِذْ صِيحَ فِيهِ بِالرَّحِيلِ وَهُتِّكَتْ   عَلى عَجَلٍ أَسْتارُهُ وَسَتائِرُهْ

وَوَحْشَتَهُ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ   أَنِيسٌ وَلَمْ تَحْسُنْ لِعَيْنٍ مَناظِرُهْ

المعاهد

قال أبو تمام :

قِفُوا جَدِّدُوا مِنْ عَهْدِكُم بِالمَعاهِدِ   وَإِنْ هِيَ لَمْ تَسْمَعْ لِنِشْدانِ ناشِدِ (٦)

---

(١) في الديوان : « محل على . . . أخلق . . . تغـاوره » وأخلق : بلي ، ويغاوره : يحاربه ، والقاطول : نهر كأنه مقطوع من دجلة ، كان في موضع « سر من رأى » قبل أن تعمر .

(٢) تراوحه : تهب عليه في العشي ، وتباكره : تهب عليه في الصباح .

(٣) في الديوان : « ويونق ناضره » .

(٤) الجعفري : قصر المتوكل . قوّض : تهدم ، باديه : ظاهره ، حاضره : داخله .

(٥) السرب : القطيع ، والاطلال : جمع الطلا ، وهو الظبي ، والجآذر : جمع الجؤذر ، وهو ولد البقر الوحشي ، تشبه به المرأة في جمال العينين .

(٦) ديوانه ٦٨/٢ من قصيدة يمدح بهـا أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شُبانة . قال -

لَقَدْ أَطْرَقَ الرَّبْعُ المُحيلُ لِفَقْدِهِم ... وَبَيْنِهِم إِطْرَاقَ ثَكْلانَ فَاقِدِ [١]

سَقَتْهُ ذُعافاً عادَةُ الدَّهرِ فِيهِمُ ... وَسَمُّ اللَّيالِي فَوْقَ سَمِّ الأَساوِدِ [٢]

بِهِ عِلَّةٌ لِلْبَيْنِ صَمَّاءُ لَمْ تُصِخْ ... لِبُرءٍ ولَم تُوجِبْ عِيادَةَ عائِدِ

وقال البحتري :

سُقِيتْ مَعاهِدُكِ اللَّواتي شُقْنَنِي ... وَمَحَلُّ مَنزِلِكِ الَّذي أَبكاني [٣]

إِمَّا أَقَمْتِ فَإِنَّ لُبِّي ظاعِنٌ ... أَوْ سِرْتُ مُنْطَلِقاً فَقَلْبِي عانِ

وقال الشَّريف الرضي رضي الله عنه :

أَمَعاهِدَ الأَحبابِ هَلْ عَوْدٌ إِلى ... مَغْدىً نَبُلُّ به الجَوَى ومَراحِ [٤]

يَكْفِيكِ مِن أَنْفاسِنا وَدُمُوعِنا ... أَنْ تُمْطَري مِنْ بَعْدِنا وَتُراحِي

فَسَقَى اللِّوَى صَوْبُ الغَمامِ وَدَرُّهُ ... وَسَقَى النَوازِلَ فيه صَوْبُ الرَّاحِ

فَلَرُبَّ عَيْشٍ رَقَّ فِيهِ نَسِيمُهُ ... كَالْماءِ رَقَّ عَلى جُنُوبِ بِطاحِ

ـ الآمدي : أراد لنشدان الناشد الذي يقول : أين أهلك يا دار ، كما ينشد الناشد الضالة إذا طلبها .

(١) قال التبريزي : أطرق : إذا أدام النظر إلى الأرض ، واستعاره للربع ، وإنما أراد أنه استوحش لفقدهم ، وعلته كآبة لذاك ، لأن من شأن المهموم أن ينظر إلى الأرض .

(٢) الهاء في « سقته » للربع ، و « عادة الدهر » فاعل .

(٣) ديوانه : ٢/٢٨٦ من قصيدة يمدح بها عبيد الله بن يحيى بن خاقان .

(٤) ديوانه : ١/٢٥٠ من قصيدة مطلعها :

بعضَ الملامِ فقد غضضْتُ طماحي ... وكفيْتُ من نفسي العذول اللاحي

المعالم والأعلام

قال أبو الطيب المتنبي :

أَنَا لائِمي إنْ كُنْتُ وَقْتَ اللَّوائِمِ   عَلِمْتُ بِمَا بِي بَيْنَ تِلْكَ المَعَالِمِ [(١)]

وَلٰكِنَّني مِمَّا ذَهِلْتُ مُتَيَّمٌ   كَسَالٍ وَقَلْبي بائِحٌ مِثْلُ كاتِمِ [(٢)]

وَقَفْنَا كَأَنَّا كُلُّ وَجْدِ قُلُوبِنَا   تَمَكَّنَ مِنْ أَذْوادِنا في القَوائِمِ [(٣)]

وَدُسْنا بأَخْفافِ المَطِيِّ تُرابَها   فَلا زِلْتُ أَسْتَشْفِي بِلَثْمِ المَناسِمِ

وقال الرئيس أبو علي أبزون العُماني[(٤)] :

تَحُلُّ عُقُودَ الصَّبْرِ مِنِّي المَعالِمُ   وَتُبْدي دُمُوعُ العَيْنِ ما أنا كاتِمُ

وَتَطْمِسُ آثارَ العَزاءِ إذا بَدَتْ   رُسُومُ دِيارِ الحَيِّ وَهْيَ طَوامِسُ

خَلَتْ من ظِباءِ الأُنسِ ثُمَّ تَبَدَّلَتْ   ظِباءً وَقَلْبي بالمُبَدَّلِ هائِمُ

---

(١) ديوانه : ٤/١١٠ من قصيدة يمدح بها أبا محمد الحسن بن عبيد الله ، وقوله « أنا لائمي » أي : أنا لائم نفسي ، وقوله « وقت اللوائم » أي : وقت لوم اللوائم .

(٢) في الديوان : « شدهت » قال العكبري : يروى : شدهت وذهلت . والشده : التحير .

(٣) الأذواد : جمع ذود ، وهو ما بين الثلاثة إلى العشرة ، والمعنى : يقول : أطلنا الوقوف من الحيرة والوجد بأهل المعالم ، فكأن هوى قلوبنا تمكن في قوائم إبلنا فتحيرت ، فلم تبرح ، فوقفت بنا .

(٤) هو أبزون بن مهبرد المجوسي العماني الكافي مات سنة ٤٣٠ ه ، ترجمه الصفدي في « الوافي » ٥/١٠٣ ، ١٠٤ .

«يُديرُونني عَنْ سَالِمٍ وَأُديرُهم ... وَجِلْدَةُ بَيْنَ العَيْنِ والأَنْفِ سَالِمُ» [١]

وقال جميل بن معمر العذري :

أَهاجَتْكَ المَعالِمُ والطُّلولُ ... عَفَوْنَ وَخَفَّ مِنْهُنَّ الحُلولُ

نَعَمْ وَذَكَرْتَ دُنيا قد تَوَلَّتْ ... وَأَيُّ نَعيمِ دُنيا لا يَزُولُ ؟!

أُسَائِلُ دارَ بَثْنَةَ أَيْنَ حَلَّتْ ... كَأَنَّ الدَّارَ تَفْهَمُ ما أَقولُ

وقال جميل أيضا :

أَلا تِلْكُما أَعلامُ بَثْنَةَ قد بَدَتْ ... كَأَنَّ ذُرَاهـا عُمِّمَتْ بِسَبِيبِ [٢]

طَوامِسُ فيما دُونَهُنَّ عَـداوَةٌ ... لَنـا وَوَرَاءَ الطَّامِسَاتِ حَبِيبُ [٣]

بَعِيدٌ على مَنْ لَيْسَ يَطْلُبُ حاجَةً ... وَأَمَّا على ذي حاجَـةٍ فَقَرِيبُ

و قال آخر :

خَلِيلَيَّ لا واللهِ ما أَمْلِكُ البُـكَا ... إِذَا عَلَمٌ مِنْ أَرْضِ لَيْلَى بَدَا لِيَا [٤]

---

(١) في الأصل عند انتهاء هذا البيت ما نصه : « مضمن » قلت : وهو في « السمط » : ٦٦ ، قال الميمني : وأظهر الأقوال أنه لزهير بن أبي سُلمى في ولد له يدعى سالماً . انظر « الخزانة » ٢/٤٠٣ .

(٢) ديوانه ٢٩ ، وديوان المعاني ٢/١٢٩، وسمط اللآلي: ٧١٩ . ورواية البيت في الديوان :

ألا تلك أعلام لبثنة قد بدت ... كأن ذراها قد عممته سبيب

وليس فيه إقواء على هذه الرواية ! والسبيب : الشقة البيضاء .

(٣) رواية البيت في المصادر المتقدمة .

طوامسُ لي من دونهن عداوة ... ولي من وراء الطامسات حبيب

(٤) الأول والثاني منسوبان للمجنون في ديوانه : ٢٩٣ من قصيدته المؤنسة وهي أشهر قصائده .

خليليَّ إن لا تبكيا ليَ أستعنْ ... خليلاً إذا أذريتُ دمعاً بكى ليا [(١)]

كأنْ لمْ يكنْ بينٌ إذا كان بعدهُ ... تلاقٍ ولكنْ لا إخالُ تلاقيا

وقال مُزاحِم العُقَيلي :

أفي كلِّ يومٍ أنتَ منْ غُبَّرِ الهوى ... إلى الشُّمِّ منْ أعلامِ ميلاءَ ناظرُ [(٢)]

بعمشاءَ منْ طولِ البكاءِ كأنَّما ... بها خزرٌ أوْ طرفُها متخازرُ

تمنَّى المُنى حتَّى إذا نالتِ المُنى ... بدا واكفٌ منْ دمعها متبادرُ

كما ارفضَّ سِلكٌ بعدما ضمَّ ضمَّةً ... بجبلِ الفتيلِ اللُّؤلُؤُ المُتناثرُ

وقال أبو عبد الله محمَّدُ بنُ عثمان المعروف بابنِ الحدَّاد [(٣)] :

ألا أيُّها الأعلامُ منْ هضباتِها ... فكيفَ تكفُّ العينُ عنْ عبراتِها

ذراني وإذراءَ الدُّموعِ لعلَّها ... تُسكِّنُ ما قدْ هاجَ منْ ذِكَراتِها

عهدتُ بها أصنامَ حُسْنٍ عهدتُني ... هوىً عبدَ عُزَّاها وعبدَ مَناتِها

أُهِلُّ بأشواقي إليها وأتَّقي ... شرائعَها في الحُبِّ حقَّ تُقاتِها

---

(١) في الديوان : « . . . إن لا تبكياني ألتمس . . . إذا أزفت دمعي . . . »

(٢) في « اللسان » : غبَّر كل شيء : بقيته .

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان القيسي ، شاعر أندلسي ، أصله من وادي آش ، سكن المرية ، واختص بالمعتصم محمد بن معن بن صمادح ، فأكثر من مدحه ، ثم سار إلى سرقسطة سنة ٤٦١ ، فأكرمه المقتدر بن هود وابنه المؤتمن من بعده ، وعاد إلى المعتصم ، وتوفي في أيامه بالمرية . انظر « الذخيرة » لابن بسام ٢/٢٠١ ، و « التكملة » لابن الأبار : ١٣٣ ، و « فوات الوفيات » ٢/٣٤١ ، و « المغرب » ٢/١٤٣ .

وقال محمد بن هانئ المغربي :

مَا للمَعالِمِ والطُّلولِ أمَا كَفَى ... بالْعَاشِقِين مَعالِماً وَطُلولا [(١)]

فكأنَّنا شَمْلُ الدُّموعِ تفرُّقاً ... وكأنَّنا سِرُّ الوَداعِ نُحُولا

سأرُوعُ مَنْ ضمَّتْ حِجالُكُمُ ولو ... غدَتِ الأسنَّةُ دُونَ ذلكَ غِيلا

أعصِي رِمَاحَ الخطِّ دُونكَ شُرَّعاً ... وأُطِيعُ فِيكَ صَبابَةً وغَلِيلا

وقال أعرابي :

سَقَى العَلَمَ الفَرْدَ الَّذي في ظِلالِهِ ... غزالانِ مَكْحُولانِ مؤتَلِفَانِ [(٢)]

أرَغْتُهُمَا صَيْداً فَلَمْ أستَطِعْهُمَا ... ورَمياً فَفَاتاني وَقد قَتلاني [(٣)]

وقال ابن هانئ المَغربي :

لا مَزارٌ مِنْكُمُ يُدْنِي سِوَى ... أنْ أرَى أعلامَ هَضْبٍ ونِجادِ [(٤)]

---

(١) ديوانه : ١١٨ من قصيدة يمدح بها المعز لدين الله مطلعها

أتظنُّ راحاً في الشمال شمولا ... أتظنُّها سكرى تجرُّ ذُيولا

وترتيب الأبيات في الديوان يختلف عما هنا .

(٢) البيتان غير منسوبين في « الأغاني » ٩/٢٧٨ ، وهما في ديوان المجنون : ٢٧٣ ، ورواية الشطر الأول من البيت الأول فيه : أيا جبل الثلج الذي في ظلاله .

(٣) رواية البيت في ديوان المجنون :

أرغتهما ختلاً فلم أستطعهما ... ففرًّا وشيكاً بعد ما قتلاني

وأرغتهما : أردتهما وطلبتهما على وجه المكر ، وختلاً : خداعاً ، ووشيكاً : سريعاً .

(٤) ديوانه : ٣١٥ من قصيدة يمدح بها الأميرين طاهراً وأبا عبد الله الحسين ابني المنصور بالله وهما أخوا المعز لدين الله .

قَدْ عَقَلْنا العِيس في أَوْطانِها ... وَهْيَ ما بَيْن ذَميلٍ ووِخادِ [(١)]

أَسُلوّاً عَنْكُمُ أَهْجُرُكُمْ ... قَلَّما تَسْلو عنِ الماء الصَّوادي

فَعَلَى الأَيّامِ منْ بَعْدِكُمُ ... ما على الظَّلْماء منْ ثَوْبِ الحِدادِ

عرصات

قال الرماح بن ميادة :

ما هاجَ شَوْقَكَ من معارفِ عَرْصَةٍ ... بالبُرقِ بَيْنَ أصالفٍ و فَدافِدِ [(٢)]

ولَقَدْ رَدَدْتُ بها السُّؤالَ صَبابةً ... وَالدّارُ قَبْلي ما تَبينُ لِناشِدِ

ولَقَدْ نَظَرْتُ فما رَأيتُ لِناظِرٍ ... غَيْرَ الصَّفيحِ وَغَيْرَ آسٍ بائِدِ

و قال الشريف المرتضى رضي الله عنه :

عَرَصاتٌ أَصْبَحْنَ وَهْيَ سَماءٌ ... ثُمَّ أَمسَيْنَ بالحَوادِثِ أَرْضا [(٣)]

وَثَرَىً يُنْبِتُ النَّعيمَ إذا أَنْـ ... ـبَتَ تُرْبُ البِلادِ عُشْباً وحَمْضا

وقال أبو محمد بن سنان[(٤)] :

---

(١) الذميل : السير اللين ، والوخاد : السير السريع .

(٢) الأصلف : ما اشتد من الأرض وصلب ، والفدفد : الفلاة التي لا شيء بها ، وقيل : هي الأرض الغليظة ذات الحصى .

(٣) ديوانه : ٢/١٦٠ من قصيدة يصف بها ايوان كسرى مطلعها :

هل مجير من غصّة ما تقضّى ... أو شفيعٌ في حاجةٍ ليس تقضى ؟

(٤) هو عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي ، أخذ الأدب عن أبي العلاء المعري وغيره ، وكان له ولاية بقلعة اعزاز ، من أعمال حلب ، وعصى بها ، فاحتيل عليه —

عَرَصاتٌ كأنَّهنَّ لَيالٍ فارَقَتْها عِنْدَ الكَمالِ البُدُورُ
تُخْبِرُ الغافِلِينَ كَيْفَ يَحُولُ الدَّ هْرُ عَنْ حالِهِ وكَيْفَ يَجُورُ

وقال الفرزدق :

أَلَسْتُمْ عائِجِينَ لَنا لَعَنَّا نَرَى العَرَصاتِ أَوْ أَثَرَ الخِيامِ [1]
فقالُوا إنْ عَرَضْتَ فَأَغْنِ عَنَّا دُمُوعاً غَيْرَ راقِيَةِ السِّجامِ [2]

-باطعامه طعاماً مسموماً فمات سنة ٤٦٦ هـ ، وحمل إلى حلب «فوات الوفيات» : ١/٤٨٩ ، و « إعلام النبلاء » ٤/٢٠١ .

(١) ديوانه : ٢/٢٩٠ مطلع قصيدة يمدح بها هشام بن عبد الملك ، ولعنا : لغة في لعلنا.

(٢) في الديوان : إن فعلت .

فصـــل
في ذكر الأرض

قالت وَجيهَة بنت أوْس الضبية[1] :

وَعـاذِلَةٍ تَغْدُو عليَّ تَلومني ... عَلى الشَّوْقِ لمْ تَمْحُ الصَّبابَةَ منْ قلْبي[2]

فَما لِي إنْ أَحْبَبْتُ أرْضَ عشِيرَتي ... وأبْغَضْتُ طَرْفاءَ القُصَيْبَةِ من ذَنْبِ[3]

وَلَوْ أنَّ ريحاً بَلَّغَتْ وَحْيَ مُرْسِلٍ ... حَفيٍّ لناجَيْتُ الجَنُوبَ على النَّقْبِ[4]

وَقُلْتُ لَهـا أدِّي إلَيْهِم رِسالتي ... وَلا تَخْلِطِيها طَالَ سَعْدُكِ بالتُّرْبِ[5]

و قالت عُلَيَّة بنت المهدي[6] :

---

(١) لم نجد لها ترجمة في المصادر ، وقد استشهد البكري ببيت من شعرها على صحة اسم « النميرة » في ديار بني تميم ، مما يدل على أنها جاهلية أو في أوائل العصر الاسلامي .

(٢) الأبيات في « ديوان الحماسة » ٣/١٨٧ ، ومعجم البلدان : ٧/١١٥ وفيه : «وعاذلة هبت بليل . . . » وقولها : « لم تمح الصبابة من قلبي » أي : لم يؤد عتبها إلى طائل .

(٣) القصيبة : موضع قريب من خيبر ، وقوله : «من ذنب» موضعه رفع ، لأنه اسم «ما» .

(٤) الوحي : مصـدر : وحيت لك بخير ، أي : أخبرت ، والحفي : يكون المُلِحّ ، ويكون اللطيف ، ومصدرها : الحفاية ، والنقب : الطريق في الجبل .

(٥) في « الحماسة » بعد هذا البيت :

فاني إذا هبَّت شمالاً سألتُها ... هل ازداد صدَّاح النُّمَيْرَةِ مِنْ قرب

(٦) هي علية بنت المهدي بن المنصور ، من بني العباس ، أخت هارون الرشيد ، شاعرة أديبة ، تحسن صناعة الغنـاء ، من أجمل النساء وأظرفهن ، وأكملهن ديناً وفضلاً وعقلاً وصيانة ، والبيتان في « الأغاني » ١٠/١٩٣ ، ومعجم البلدان : ٨/١٦ .

وَمُغْتَرِبٍ بالمَرْجِ يَبْكِي لِشَجْوِهِ ... وَقَدْ بانَ عَنْهُ المُسْعِدُونَ على الحُبِّ [١]

إذا ما أتاهُ الرَّكْبُ من نحوِ أرْضِهِ ... تَنَفَّسَ يستَشْفِي برائحةِ القُرْبِ [٢]

وقال قيس بن ذريح :

وَما أَحْبَبْتُ أرْضَكُمُ وَلَكِنْ ... أُقَبِّلُ إثْرَ مَنْ وَطِئَ التُّرابا [٣]

لقد لاقيتُ من كَلَفي بِلُبْنَى ... بَلاءً لا أُسيغُ لهُ شَرابا [٤]

إذا نادَى المُنادي باسْمِ لُبْنَى ... عَيِيتُ فَما أرُدُّ لهُ جَوابا [٥]

وقال آخر :

سَقَى اللهُ أرْضاً لوْ ظَفِرْتُ بتُرْبِها ... كَحَلْتُ بها مِنْ شِدَّةِ الشَّوْقِ أجْفاني

فهَلْ بَعْدَ هذا لِلمُحِبِّينَ غايَةٌ ... وَهَلْ أحَدٌ أشْجانُه مثْلُ أشْجاني

وقال الشريف المرتضى رضي الله عنه :

ألا يا نَسيمَ الرِّيحِ منْ أرْضِ بابلٍ ... تَحَمَّلْ إلى أهلِ الخِيامِ سَلامِي [٦]

---

(١) في الأغاني : «وقد عاب عنه . . .» ، المرج : تريد به مرج القلعة ، قال ياقوت : بينه وبين حلوان منزل ، وهو من حلوان ، إلى جهة همذان .

(٢) في الأغاني : « تنشق يستشفي برائحة الركب » .

(٣) ديوانه : ٦٨ ، ورواية البيت في «الأمالي» ٧٦/٢ :

فما حبي لطيب تراب أرضٍ ... ولكن حب من وطىء الترابا

(٤) في الديوان : « بلاءً ما أسيغ به الشرابا » .

(٥) في الديوان : «عييت فما أطيق له جوابا » .

(٦) ديوانه : ٢٢٨/٣ .

وَقُلْ لِحَبيبٍ فيكَ بعضُ نَسيمِه ... أَمَا آنَ أنْ تسْطِيعَ رَجْعَ كلامي
وإِنِّي لأَهوى أنْ أكُونَ بأَرْضِكُم ... على أنَّني منْهَا اسْتَفَدْتُ سَقَامي

وقال آخر :

أرَى كُلَّ أرْضٍ دَمَّنَتْهَا وإن مضَتْ ... لَهَا حِجَجٌ يَزْدَادُ طِيباً تُرَابُهَا [1]
أَلَمْ تَعلَمَنْ يا رَبِّ أنْ رُبَّ دَعْوَةٍ ... دَعَوْتُكَ فيها مُخْلِصاً لوْ أَجابُهَا
فَأُقْسِمُ لوْ أني أرى نَسَباً لَهَا ... ذِئابَ الفَلا حنَّتْ إليَّ ذِئابُهَا [2]
لَعَمْرُ أبي لَيْلى لَئِنْ هِيَ أصبَحَتْ ... بِوَادي القُرى ما ضَرَّ غيْري اغْتِرَابُهَا

وقال قَعْنَبُ بنُ أُمِّ صاحِبٍ [3] :

قَدْ كُنْتُ أَقْصَرْتُ عَنْ نَجْدٍ فَهَيَّجَنِي ... عليَّ تَذَكُّرُهَا الخَفَّانُ والحَضَنُ [4]
لَمَّا وَرَدْتُ بلاداً لَسْتُ أعرِفُهَا ... وَشَاقَنِي ذِكْرُ أُخْرَى هاجَ لي حَزَنُ
فَقُلْتُ قَدْ حانَ مِنْ أرْضٍ وُلِدْتُ بها ... أَوْبٌ وَقَدْ حانَ مِنْ صَرْفِ النَّوى قَرَنُ
عَلَّ النَّوى بِكَ يَوْماً أنْ تَرِيعَ فَقَدْ ... تدنو الغريبَةُ حتَّى يَدْنُوَ الوَطَنُ

---

(١) الأبيات منسوبة للمجنون في ديوانه : ٦٦ ، وفي الزهرة ٢٧١ ما عدا الثالث بدون نسبة . ودمنتها : لزمتها من : دمن بابه : إذا لزمه ، وفي الديوان : « دست فيها . . . »

(٢) في الديوان « ذباب الفلا حنَّت إليَّ ذبابها » وهو تصحيف .

(٣) هو قعنب بن ضمرة الغطفاني من شعراء العصر الأموي ، وكان في أيام الوليد بن عبد الملك، وسماه ابن حبيب في كتابه «من نسب إلى أمه» ٩٢ : قعنب بن أم صاحب الفزاري، وفزارة من غطفان .

(٤) الخفان : موضع قِبَل اليمامة ، والحضن : جبل في ديار بني عامر ، يقال في المثل : «أنجد من رأى حضناً» .

وقال أبو نصر بن النَّحاس الحَلَبي [١] :

سقَى الله أرْضاً لبِسْنَا الشَّبَابَ بأرْجائهـا وَخلَعْنَـا الوَقارَا
دِياراً شَـكَتْ فُرقـة الظَّاعِنِين بألوانهـا فتحَلَّتْ بَهـارَا
زَمـانٌ صَحِبْنَـاهُ مُسْتَعْـذِباً فبَانَ وَلَمْ يُبْق إلّا ادِّكارَا

وقال آخر :

تعوَّضت من دَوْدانَ حملاً وأرضهَا فما طابَ لي شُربي ولا راقَ مَشْرَبي
فإن يَلْتَبِسْ حلِّي بدَوْدَان لا أرِمْ أئن كُنْتُ ذا ذنبٍ وإن غيرَ مُذْنب
ألا إنَّ قومَ المرءِ خيْر بقيَّة من الأبعد الأقْصَى وإن لم يُقرَّب

وقال مروان بنُ أبي حَفْصَة من قصيدة في معْن بن زائدة الشّيباني :

إنّي إلى كُلِّ أرضٍ أنتَ ساكِنُها صَبٌّ وَإن كُنتُ عنهَا نازِحَ الوَطَنِ
قلّدْتني منْكَ حبْلاً فاعتَصَمْتُ بهِ أسبَابُه غيرُ رَثَّاتٍ ولا وُهنِ
تضِيقُ أعطانُ قومٍ إنْ هُمُ سُئلوا وأنتَ بالخَيْرِ سهْلٌ واسعُ العطَنِ
لوْ لم تـكُنْ للنَّدى جاراً فتطلِقَه مَا انْفَكَّ والبُخلُ مجمُوعَيْنِ في قرَنِ

وقال أبو الفِتيان محمَّدُ بنُ حيُّوس الغَنوي من قصيدة يرثي بها محمود بن نصر بن صالح ، ويعزِّي ولده نصر بن محمود ويمدحه :

فلِلَّهِ مَلْكٌ زَيّنَ الأَرضَ مُلْكُهُ وَجادَ الحَيا مَلْكاً تضَمَّنَهُ القَبْرُ [٢]

---

(١) هو أبو نصر محمد بن الحسن بن النحاس الكاتب الحلبي ، كان وزيراً لمحمود بن نصر بن صالح بن مرداس الكلابي أحد الأمراء المرداسيين أصحاب حلب .

(٢) ديوانه : ٢٤٣/١ ، وفيه : « زين الدست » .

وكُنّا نظُنُّ الأرضَ تُظلِمُ بعدَهُ　　　فقُمتَ مقامَ البدرِ إذْ أفَلَ البدرُ (١)
وكادَ شِعارُ الخوفِ يَنْبُثُّ في الوَرَى　　　فنادَى شِعارُ الأمنِ يا نصرُ يا نصرُ

وقال أعرابي :

سقَى اللهُ أرضاً يَعلَمُ الضبُّ أنها　　　بَعيدٌ من الأدْواءِ طَيِّبَةُ البَقْلِ (٢)
بَنى بَيتَهُ في رَأْسِ نشْزٍ وكُدْيَةٍ　　　وكُلُّ امرِىءٍ في حرفةِ العَيْشِ ذُو عَقْلِ (٣)

---

(١) في الديوان : « فقمت مقام الشمس إذ غُيِّب البدر » .

(٢) البيتان غير منسوبين في الحيوان ٣/٨٣ والوحشيات : ١٩١ ، والسمط ٢/٦٩١ . وفي الوحشيات : « بعيد من الأهواء » . وفي السمط : « رعى الله . . . »

(٣) في « الوحشيات » : « بنى بيته فيها بعلياء مهلة وكان امرءاً . . . » وفي السمط :

بنى بيته منها على رأس كديةٍ　　　وكلُّ امرىءٍ في عيشه ثاقب العقل

والنشز : المكان المرتفع ، والكدية : الأرض الغليظة .

فصل آخر
في ذكر الأرض

قال أبو العلاء بن سليمان :

تَحَمَّلْ عن الأَرْضِ المريضَةِ غادياً ... وَلا ترضَ للدَّاءِ العَياءِ سوى الحَسْمِ (١)

وَما فتِئَتْ رُوحُ الفتى في نوائبٍ ... تُمارِسُها حتّى استقَلَّتْ عَنِ الجِسْمِ

إذا مَا تفرَّقْنا خلَصْنا من الأذى ... وَلَم يَحْتَجِ الرَّاعي المُسِيمُ إلى الوَسْمِ (٢)

وقال الشَّنْفَرَى (٣) :

وَفي الأَرض مَنْأًى للكَرِيمِ عَن الأَذى ... وَفيها لِمَن رَامَ القِلَى مُتَحَوَّلُ

---

(١) اللزوميات : ٢/٢٩٣ ، وفيها : « تحمل على الأرض . . . » والحسم : القطع .

(٢) في اللزوميات : « ولم يحوج . . . »

(٣) هو عمرو بن مالك الأزدي ، شاعر جاهلي من بني الحارث بن ربيعة ، والشنفرى : لقب له ، ومعناه: عظيم الشفة ، وهو ابن أخت تأبط شراً ، وكان من فتاك العرب وعدائيهم ، وبه يضرب المثل ، فيقال : أعدى من الشنفرى .

(٤) الأبيات في «أعجب العجب» للزمخشري و «مختار الشعر الجاهلي » ٢/٥٩٧ من لاميته المشهورة ومطلعها :

أقيموا بني أمي صدور مطيكم ... فاني إلى قوم سواكم لأميل

وفي « أعجب العجب»: « وفيها لمن خاف القلى متعزل » والمنأى والمنتأى: الموضع البعيد، والقلى : البغض ، والمتعزل : الموضع الذي يعتزل فيه .

لَعَمْرُكَ ما بالأَرضِ ضِيقٌ على امرئٍ ... سَرى رَاغِباً أو رَاهِباً وَهُوَ يَعْقِلُ (١)

أُديمُ مِطَالَ الْجوعِ حتّى أُمِلَّهُ ... وأَضربُ عَنْهُ الذِّكْرَ صَفْحاً فأَذْهَلُ (٢)

وَأَسْتَفُّ تُرْبَ الأَرْضِ كَيْلا يَرى لَهُ ... عَليَّ مِنَ الطَّوْلِ امْرُؤٌ مُتَطَوِّلُ (٣)

وَلَوْلا اجْتِنابُ الذَّامِ لَمْ يُلْفَ مَشْرَبٌ ... يُعاشُ بِهِ إِلّا لَدَيَّ وَمَأْكَلُ (٤)

وَلكِنَّ نَفْساً مُرَّةً لا تُقِيمُ بِيْ ... عَلى الضَّيْمِ إِلّا رَيْثَما أَتَحَوَّلُ (٥)

عَنْ عبدِ الرَّحمنِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ بنِ حَفْصِ بنِ عاصمِ بنِ عُمَرَ بنِ الخطَّاب رضي الله عنه (٦) : أنَّ رَجُلاً من بني كِلابٍ ، يُكْنى : أبا حِبال نَزَلَ على عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ بنِ حفص ، ومعه ابنه حِبال ، فمرض ابنه ، ثم مات . قال عبد الله : فأمر أبي بِكَفْنِهِ ، فكَفَّنَّاه ، فلما فَرَغنا منه ، استأذن أبوه أبي أَنْ يَدْخُلَ عليه فيُسَلِّم عليه ويودِّعه ، فأذن له فدخل ، فأكبَّ عليه فسمعناه يقول :

---

(١) في « أعجب العجب » : « لعمرك ما في الأرض . . . » والعمر : الحياة والبقاء ، والرغبة : إرادة الشيء ، يقال : رغب في الشيء : إذا أراده ، ورغبت عن الشيء : زهدت فيه .

(٢) في « أعجب العجب » « . . . حتى أميته . . . » المطال : مأخوذ من المماطلة ، وهي امتداد المدة . والصفح : الاعراض ، وذهل عن الشيء : نسيه وغفل عنه .

(٣) الطول : المن ، يقال : طال عليه وتطول : إذا امتن .

(٤) الذام : العيب يهمز ولا يهمز ، يقال : ذأمه يذأمه : إذا عابه وحقره .

(٥) في «أعجب العجب» : « على الذأم إلا ريثما أتحول » وريثما : بمعنى : قدر ما ، ومعنى الريث : الابطاء .

(٦) الخبر مع اختلاف يسير في « مجالس ثعلب » ٩٥ .

وَلَوْلا حِبَالٌ لَمْ تُنِخْ بي مَطِيَّتي ... بأَرْضٍ بها الُحمَّى بِوِرْدٍ وصَالِبِ [1]

وَقَائِلَةٍ أَرْدَاكَ واللهِ حُبُّهُ ... بِنَفْسِي حِبَالٌ مِنْ خَلِيلٍ وصاحِبِ

فجعلَ يكررُ ذلك، ثم فقدنا صوته، فقال لنا أبي: أظنه والله قد مات، فدخلنا، فوجدناه ميتاً، فجهزناهما، وحملناهما، فقبرناهما.

وقال آخر، وتروى لحاتم:

إنْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّ الأَرضَ واسِعَةٌ ... فِيهَا لِغَيْرِكَ مُرْتَادٌ وَمُرتَحَلُ

فَارحَلْ فإنَّ بِلادَ اللهِ ما خُلِقَتْ ... إلّا لِيُسْكَنَ منها السَّهْلُ والجَبَلُ

وَابْغِ المَكَاسِبَ مِنْ أَرضٍ مطالبها ... مِنْ حَيْثُ يَجْمُلُ حتّى يَنْفَدَ الأَجَلُ

وقال آخر:

كَيْفَ المُقامُ بأَرضٍ لا أَشُدُّ بها ... نِضْوِي إذا ما اعْتَرَتْنِي سَوْرَةُ الغَضَبِ

وقال آخر:

وَا سَوْأَتَا لِامْرِئٍ شَبِيْبَتُه ... في عُنْفُوانٍ وَمَاؤهُ خَضِلُ

وَهُوَ مُقِيمٌ بأَرضٍ مَضْيَعَةٍ ... يَمْنَعُهُ من طِلَابِهِ الكَسَلُ

إلى مَتى تَخْدُمُ الرِّجالَ وَلا ... تُخْدَمُ يَوْماً لِأُمِّكَ الهَبَلُ [2]

وقال آخر:

---

(١) في مجالس ثعلب: «ببرد وصالب» والصالب من الحمى: الحارة غير النافض، تذكر وتؤنث، يقال: أخذته الحمى بصالب، وأخذته حمى صالب، والأول أفصح، ولا يكادون يضيفون.

(٢) قوله: لأمك الهبل، أي: الثكل:

مَا أَشغَلَ الحَيَّ في الدُّنيا بِحاجَتِهِ   وَالَميتُ بِالَموْتِ مَشغُولٌ عَنِ الحَيِّ
هَوِّنْ عَلَيكَ فَأَرضُ اللهِ واسِعَةٌ   والشَّيءُ يُغنِيكَ في الدُّنياعَنِ الشَّيِّ

وقال البحتري :

الأَرض أَوسَعُ من دارٍ أُلِظُّ بِها   والنَّاسُ أَكثَرُ من خِلٍّ أُجاذِبُهُ (١)
أُعاتِبُ الخِلَّ فيما ساءَ واحِدَةً   ثُمَّ السَّلامُ علَيهِ لا أُعاتِبُهُ (٢)

وقال أيضا :

إِنَّني ما حَلَلْتُ بالأَرضِ إِلَّا   كُنْتُ في أَهلِها المُجَلَّ المُفَدَّى (٣)
وإِذا القَوْمُ لَم يُراحُوا لِقُرْبِي   كانَ لي عنهُمُ مَراحٌ ومَغْدَى

وقال أيضاً :

فَلا تَسْأَلَن عن مَضْجَعي وَنُبُوِّهِ   بِأَرضي وَعَن نَوْمي بها وامتِناعِه (٤)

---

(١) ديوانه : ٢٢٦/١ من قصيدة يمدح بها محمد بن بدر مطلعها :

عهدي بربعك مأنوساً ملاعبه   أشباهُ آرامه حسناً كواعبه

وفيه « ألط » بالطاء ، وألط وألظ بمعنى: ألازم .

(٢) في الديوان : « أعاتب المرء فيما جاء واحدة » .

(٣) ديوانه : ٥٧٠/١ من قصيدة يمدح بها أبا العباس أحمد بن محمد بن موسى بن الفرات مطلعها :

بت أبدي وجْداً وأكتم وجداً   لخيالٍ من البخيلة يُهدى

(٤) ديوانه : ١٣١٨/٢ من قصيدة يمدح بها عبدالله بن يحيى مطلعها :

تبيت له من شوقه ونزاعه   أحاديث نفس أو شكت من زَمَاعِه

أَرانِيَ مُشْتاقاً وأَهْـلِيَ حُضَّرٌ عَلَى رأْيِ عَيْنَي ناظِرٍ واستِمَاعِه [(١)]

ومُغْترِبَ المَثْوَى وَسَرْحِيَ سارِبٌ بأَودِيَـةِ السَّاجُور أَو بِتلاعِهِ [(٢)]

لِفُرقَةِ مَن خلَّيْتُ دُنْياي غضَّةً لَدَيهِ وعِزّي مُعْصماً في يَفاعِهِ [(٣)]

وَما غلَبَتْني نِيَّةُ الدَّارِ عِنْدَهُ على رِفْدِهِ في ساحَتي وَاصْطِناعِه

وقال آخر :

في سَعَةِ الأَرْضِ وَفي أَهْلِهَا مُسْتَبْدَلٌ بالخِلِّ والجَـارِ

فَمَنْ دَنا مِنْك فأَهْـلاً بِهِ وَمَنْ تَنـاءَى فإلى النَّـارِ

وقال آخر :

إذا المَرْءُ لَمْ يُحْبِبْكَ إلَّا تَكَرُّهاً فَدَعْهُ وَلا يُعْجِزْكَ عَنْهُ التَّحَوُّلُ

وَفي الأَرْضِ أَكْفاءٌ وَفيها مُراغَمٌ عَريضٌ لِمَنْ خافَ الهَوانَ وَمَرْحَلُ

وقال آخر :

طَلَبْتُ المُسْتَقَرَّ بِكُلِّ أَرْضٍ فَلَمْ أَرَ لي بأرضٍ مُسْتَقَرّا

أَطَعْتُ مَطَـامِعي فاسْتَعْبَدَتْني وَلَوْ أَنّي قَنِعْتُ لَعِشْتُ حُرّا

---

(١) في الديوان : « على لحظ عيني . . . »

(٢) السرح : المال السائم كالماشية ، والتلاع : جمع تلعة وهي ما علا من الأرض ، والسارب : الذاهب على وجهه في الأرض ، والساجور : نهر بمنبج .

(٣) في الديوان : « لفرقة من خلفت » واليفاع : المشرف من الأرض والجبل ، المعصم : الممتنع .

وقال إياس بن قبيصة الطائي [١] :

فَما وَلَدَتْني حاصِنٌ رَبَعِيَّةٌ ... لَئِنْ أنا مالأْتُ الهوى لاتِّباعها [٢]

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الأرضَ رَحْبٌ فَسيحَةٌ ... فَهَلْ تُعجِزَنّي بُقْعَةٌ مِنْ بِقاعِها

وقال أبو العلاء بن سليمان :

أَقُولُ لِصاحِبي إذ هامَ وَجْداً ... بِبَرْقٍ لَيْسَ يُثْبِتُـهُ نُزوحا [٣]

---

(١) هو إياس بن قبيصة الطائي ، من أشراف طيىء وفصحائها وشجعانها في الجاهلية، كان عاملاً لكسرى على عين التمر وما والاها إلى الحيرة ، وقد جعله كسرى على رأس العرب يوم ذي قار ،وهو اليوم الذي كان بين بكر بن وائل ، وبين الفرس وأحلافهم من تغلب وطيىء وضبة وتميم وبهراء وتنوخ ، وقد هزمت الفرس وأحلافها .

(٢) البيتان في «الحماسة»: ١/٢٠٨ . يقال : امرأة حاصن وحصان ، أي: ممتنعة عن الرفث عفيفة . وربعية : منسوبة إلى ربيعة . يقول : لست ابن امرأة من بني ربيعة كريمة عفيفة إن كنت شايعت الهوى ، وتابعته في طلب امرأة .

(٣) «شروح سقط الزند» ١/٢٤١ من قصيدة يجيب بها الشريف أبا ابراهيم العلوي مطلعها : ألاح وقد رأى برقاً مليحا ... سرى فأتى الحمى نضواً طليحا

قال البطليوسي : يقال : هام يهيم : إذا اعتراه شبه الجنون من شدة الشوق ، ومعنى « يثبته » يتحققه ، والنزوح : البعد . وفي « السقط » بعد هذا البيت :

وهاجته الجنوب لوصل حيٍّ ... أقام ويمموا داراً طروحا

سقاهُ لوعةً النجديّ لمـــا ... تنسّم من حِيال الشام ريحا

وغيٌّ لمحُ عينك شطرَ نجدٍ ... إذا ما آنستْ بَرقـاً لموحا

وأمراضُ المواعـد أعلمتني ... بأنّ وراءها سقماً صحيحا

مَتى نُصْبِحْ وَقَد فُتْنـا الرَّزايا نُقِمْ حتّى تَقولَ الشَّمْسُ رُوحَا [1]

بِأَرْضٍ لِلْحَمامَةِ أَنْ تَغَنّى بِهـا وَلِمَنْ تَأَسَّفَ أَنْ يَنُوحَا [2]

وقال أحمدُ بنُ محمد بن الفضل الخازن[3] :

سُقِيتِ لِمَغْنىً حَلَّ فيكِ أَوَدُّهُ وَلَوْلاهُ لَمْ أَسْمَحْ لِتُرْبِكِ بِالْقَطْرِ

فَإِنَّكِ أَرْضٌ ما وَجَدْتُ بِها رِضىً وَحِرَّةُ سُوءٍ ما تُضِيعُ سِوى الْحُرّ

قَدِ اعْتَلَّ فيها كُلُّ شيءٍ سِوى الصَّبا وَرَقَّ سِوى الأَخلاقِ والماءِ والخَمْرِ

وقلت وأنا بمصر :

وَدِّعْ أَخا العَزْمِ مِصْراً لا لَميسَ وَخُضْ بِالسّابِحاتِ غِمارَ المَهْمَهِ البِيدِ

وَسِرْ عَنِ الأَرْضِ تَنْبُو بِالكِرامِ فَقَدْ طالَ انْتِظارُ الجَنى مِنْ يابِسِ العُودِ

وقلت :

تَطَامَنْ إِذا أَنْكَرْتَ دَهْرَكَ إِنَّما يَفُوزُ بِخَفْضِ العَيْشِ مَنْ عاشَ في خَفْضِ

---

(١) في « السقط » . . . وقد فتنا الأعادي . قال البطليوسي : يقول : مخافتنا الأعداء تحملنا على مواصلة السرى والسهر ، وترك الاستراحة من ألم السفر ، فاذا أصبحنا وقد قطعنا أرض المخافة ، وصرنا في بلاد الأمن والسلامة ، أقمنا حتى تذهب وقدة الهجير ، وتأمرنا الشمس بالرواح والمسير ، والشمس لا تقول ، ولكنه جعل ذهاب حدتها ، وسكون وقدتها قولاً لها ، لأنها لو كانت ممن يتكلم لقالت ذلك .

(٢) قوله : « بأرض للحمامة » يريد أنها أرض آمنة يتغنى بها الحمام ، وينوح أهل التأسف والغرام ، لأن الأرض المخوفة لا يرفع بها أحد صوته .

(٣) هو أبو الفضل أحمد بن محمد بن الفضل بن عبد الخالق المعروف بابن الخازن الكاتب الشاعر الدينوري الأصل ، البغدادي الأصل والوفاة توفي سنة ٥١٨ هـ .

وَكُنْ كالذُّبابِ إنْ رَأَى الرِّيحَ عاصِفاً ... تلاصقَ مِنْ خوْفِ الأَذِيَّةِ بالأرضِ

وقال البُستي [(١)] :

إن تَزمكَ الغُربَـةُ في مَعشَرٍ ... تَوافقُوا فيكَ عـلى بُغضِهِمْ

فَدارِهِمْ ما دُمتَ في دارِهِـمْ ... وأرْضِهِم ما دُمتَ في أرضِهِـمْ

★ ★ ★

تم بعون الله تعالى الجزء الأول من المنازل والديار

ويليه الجزء الثاني ، وأوله : فصل

في « ذكر الأوطان »

---

(١) هو علي بن محمد بن الحسين بن يوسف بن محمد بن عبد العزيز البستي، شاعر عصره وكاتبه ، كان من كتاب الدولة السامانية في خراسان .

كتاب
المنازل والديار

تأليف

مجد الدولة الأمير أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني

٤٨٨ — ٥٨٤ هـ

الجزء الثاني

المكتب الإسلامي للطباعة والنشر

المكتب الاسلامي للطباعة والنشر
لصاحبه
محمد زهير الشاويش
دمشق : الحلبوني ص . ب ٨٠٠ هاتف ١١٦٣٧ برقياً : اسلامي
بيروت : ص . ب ٣٧٧١ هاتف ٢٥٠٠٦٨

الطبعة الأولى

١٣٨٥ هـ — ١٩٦٥ م

فصـــل
في ذكر الأوطان

قال إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه : ما قاسَيْتُ فيما تَرَكتُ مِنَ الدُّنيا أشدَّ عليَّ مِنْ مُفارَقةِ الأَوْطانِ .

قال الرِّياشي : أنشدني أعرابي :

سَلامَ مَنْ كانَ يَهْوى مَرَّةً قَطَنَا ... سَلِّمْ عَلى قَطَنٍ إنْ كُنْتَ تَأْلَفُهُ [1]

حُبّاً إذا ظَهرَتْ آيَاتُهُ بَطَنَا ... أُحِبُّهُ وَالَّذي أرْسَى قَواعِدَهُ [2]

وَلَيْتَهُ حَيْثُ سِرْنَا غُرْبَةً مَعَنَا ... يالَيْتَهُ لايَرِيمُ الدَّهرَ سَاحَتَهُ [3]

إلَّا سَيذْكُرُ بَعْدَ الغُرْبَةِ الوَطَنَا ... مَامِنْ غَرِيبٍ وَإنْ أبْدَى تَجلُّدَهُ [4]

---

(١) الأبيات غير منسوبة في « معجم البلدان » لياقوت : قطن ، وفيه : إن كنت نازله ، ونقل عن أبي عبيد الله السكوني أن « قطن » : جبل مستدبر مُلَملَم يجري من رأسه عيون لبني عبس بين الحاجر والمعدن ، وبه ماء يقال له : السليع .

(٢) في « معجم البلدان » : إذا علنَت .

(٣) في « معجم البلدان » : يا ليتنا .

(٤) في « معجم البلدان » : إلا تذكر ... وفيه بعد هذا البيت :

من رأس حَوران من آتٍ لنا قطنا ... انظر وأنت بصيرٌ هل تَرَى قَطَناً

خيراً ولكنها من غيره قَمِنا ... يا وَيْحَها نظرة ليست براجعةٍ

وقال القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر :

أَهِيمُ بِذِكْرِ الشَّرْقِ وَالغَرْبِ دَائِماً ... وَمَا بِي لَا شَرْقُ البِلَادِ وَلَا الغَرْبُ

وَلٰكِنَّ أَوْطَاناً نَأَتْ وَأَحِبَّةً ... فَقَدْتُ مَتَى أَذْكُرْ عُهُودَهُمُ أَصْبُو

وَمَا أَنْسَ مَنْ وَدَّعْتُ بِالشَّطِّ سُحْرَةً ... وَقَدْ غَرَّدَ الحَادُونَ وَاسْتَعْجَلَ الرَّكْبُ

أَلِيفَانِ هٰذَا سَائِرٌ نَحْوَ غُرْبَةٍ ... وَهٰذَا مُقِيمٌ سَارَ عَنْ جِسْمِهِ القَلْبُ

وقال آخر :

لَا تَنْهَرَنَّ غَرِيباً طَالَ غُرْبَتُه ... فَالدَّهْرُ يَضْرِبُه بِالذُّلِ وَالمِحَنِ

حَسْبُ الغَرِيْبِ مِنَ الدُّنْيَا نَدَامَتُه ... عَضُّ الأَنَامِلِ مِنْ شَوْقٍ إِلَى الوَطَنِ

وقال التهامي :

أَسْتَوْدِعُ اللهَ فِي أَرْضِ الحِجَازِ رَشاً ... فِي رَوْضَةِ القَلْبِ مَأْوَاهُ وَمَرْتَعُه (١)

بِاللهِ يَا شَوْقُ رِفْقاً بِالفُؤَادِ فَمَا ... أُطِيقُ أَكْثَرَ مِمَّا أَنْتَ تَصْنَعُه

وَأَنْتَ يَا وَصْلُ عُجْ فِي رَبْعِ فُرْقَتِنَا ... عَسَاكَ تَجْمَعُ شَمْلاً عَزَّ مَجْمَعُهُ

وَسَقِّهِ مِنْ حَيَا التَّقْرِيْبِ سَارِيَةً ... فَإِنَّهُ دَاثِرٌ قَدْ مَحَّ مَوْضِعُه

عَسَى اللَّيَالِي بِأَوْطَانِي الَّتِي سَلَفَتْ ... يَرْجِعْنَ فِيهِ رُجُوعاً لَا نُوَدِّعُه

عن ابن الكلبي ، قال : كان رجل من طيئ ، يقال له : زامل بن

---

(١) لم ترد في الديوان المطبوع .

عُفَير نازلاً في أخواله مِنْ كلب في الدَّهر الأول ، وذلك قبل حرب الفِجار [١] فأغار عليهم مَنْسر من بني القين ، فاستخفُّوا إبله ، فاستنصر أخواله ، فأبطؤوا عليه ، فعَمَدَ إلى جَمَلٍ سائب ، فاكْتَفَلَهُ [٢] ، وتوجّه نحو الشام ، فقيل له : أتَرْكَبُ الحرامَ ؟ قال : « يَرْكَبُ الحرامَ مَنْ لاَحلالَ له » فلما قَرُبَ مِنَ الشام مرَّ برَوْضَةٍ غناء ، وغُدْران ، فقيَّدَ بعيرَه ، وأكل مِنْ نَباتِ تِلكَ الرَّوضة ، واضطجع . فبينا هو كذلك ، إذ أقبل فارسٌ إلى الرَّوضة ، فنزل عَنْ فَرَسِهِ ، وحط سَرجه ، وقيَّد فرَسه ، وَقَعَدَ قريباً من مضطجع الطائي ، فاستيقظ الطائي بجرسه فاسْتوى قاعداً ، فقال له الفارسُ : مَنِ الرَّجُل ؟ فانتسَبَ له ، وسأله عن شأْنِهِ ، فقصَّ عليهِ قِصَّتَهُ . فقال له الفارسُ : ياهذا هل عِنْدَكَ طعام ، فإني طاوٍ منذ أمْس ، فقال له : أَتَطْلُبُ الطَّعامَ وهذا اللَّحْمُ مُعرَّض ؟! ثم وَثَبَ إلى سَيفه ، فعقر بعيره ، ثم اجْتَبَّ سَنامَه ، وبَقَرَ عن كَبِدِهِ ، وذلك بِعَيْنِ الفارس ، ثم أوْقَدَ ناراً عظيمة ، ثم اشتوى ، وأقبل يلقي إلى الفارس حتى انتهى ، فما لَبِثَ أنْ

---

(١) هي حرب جاهلية كانت بين كنانة وقيس ، سميت الفجار ، لأنها كانت في الأشهر الحرم،وهي الشهور التي يحرمونها ففجروا فيها .

(٢) في « اللسان » : واكتفل البعير : جعل عليه كفلاً ، والكفل : ما اكتفل به الراكب ، وهو أن يدار الكساء حول سنام البعير ثم يركب .

ثارَ العَجاجَ ، فإِذا الخيلُ مُقْبِلَةٌ تتوقص [١] بفُرسانِها ، حتى انتهوا إلى الفارس ، فحيَّوه بتحيَّةِ المُلْك ، فركبَ وقال : دُونَكُم الرَّجُل ، فأردَفَهُ بَعْضُهم حتى أتى دارَ مُلكه ، فإذا هو الحارث الأكبر الغسَّاني [٢] فأمر بعضَ غِلمانه بإنزال الطائي ، وخاف زاملٌ أن يكونَ قد نسيَهُ الملك ، فقال للغلام : هلْ لكَ أن تُوليني عارفة ، وتُبلِّغ الملك ما أقولُ ؟ قال : أفعل ، فأنشده :

أَبلِغِ الحارثَ المُرَدَّدَ في المجـ ... ـدِ وفي المكْرُماتِ جَدّاً فجَدّا

وابنُ أرْبابِ واطىءِ السَّبْسَبِ الأَرْ ... حَبِ والمالِكِين غَوْراً ونَجْدا

إنَّني ناظِرٌ إليكَ ودُوني ... عائِقاتٌ غادَرْنَ قُرْبِيَ بُعْدا

إنْ أكُنْ نازِلاً بمَثْوى كريمٍ ... ناعِمَ البالِ في مَراحٍ ومَغْدى

غيرَ أنَّ الأَوْطانَ تَجْتَذِبُ المرْ ... ءَ إليها الهوى وإنْ عاشَ كدَّا

---

(١) في « اللسان » : قال الأصمعي : إذا نزا الفرس في عدوه نزواً ، ووثب وهو يقارب الخطو ، فذلك التوقص .

(٢) هو الحارث بن جبلة بن الحارث الرابع بن حجر الغساني ، أشهر أمراء بني جفنة في بادية الشام ، وأعظمهم شأناً ، وهو الذي حارب المنذر أمير الحيرة، وانتصر عليه في شهر نيسان ٥٢٨م ، واشترك في قمع ثورة السامريين بفلسطين سنة ٥٢٩ م ، وكان عاملاً للرومان ، ورقاه امبراطور الروم إلى رتبة ملك ، وبسط سلطته على قبائل عربية كثيرة للوقوف بها أمام غارات اللخميين عمال الفرس في الحيرة وبادية العراق .

وَتأَنِّيَ بالشَّـآمِ مُفيدي حَسَراتٍ يَقْـدَحْنَ قلبيَ قَـدْا
لَيْسَ يَسْتَعْذِبُ الغَريبُ مُقاماً في سِوى أَرْضِهِ وإِنْ نالَ جَدّا

فتسَبَّبَ الغلامُ إلى أنْ أنشَدَ الملك الأبياتَ . فقال الملك : واسَوْءَتاه كَرَمِنا وَلُؤْمِنا ، ائذن له ياغلام ، فلما دخل قال : والله لايرحضُ[1] عارَها عني إلا عَطاؤُكَ حتى ترضى ، ثم أَمرَ له بجائزةٍ سنيَّة ، وقال له : يا زامِـلَ إنَّ الأَوطانَ جواذِبُ كما ذكرت ، فهـل لكَ في المُقام في جُمْلَتِنا ، يفيءُ عليكَ ظِلُّنا ، وتَسيلُ عليكَ صِلَتُنا ؟ فقال : أيُّها المَلِكُ ما كُنْتُ لِأُوثِرَ وطني عليك ، ثم أَقام بالشّام في جواره .

وقال ابن الرومي :

وَلي وَطَنٌ آلَيْتُ أَنْ لا أَبيعَهُ وأَنْ لا أرىٰ غيري لهُ الدَّهْرَ مالِكا[2]
فقَدْ أَلِفَتْهُ النَّفْسُ حتى كأنَّهُ لها جَسَدٌ إن بانَ غُودِرْتُ هالِكا[3]
وحَبَّبَ أوْطانَ الرِّجالِ إِليهمُ مآرِبُ قَضّاها الشبابُ هُنالِكا
إذا ذَكَروا أوْطانَهم ذَكَّرَتْهُمُ عُهودَ الصِّبا فيها فحَنُّوا لذلِكا

وقال الشريف الرضي رضي الله عنه :

---

(١) رحضه ، كمنعه : غسله .

(٢) الأبيات في « زهر الآداب » ٢/٦٨٢ ، و « ديوان المعـاني » ٢/١٨٩ ، والثالث والرابع في الديوان ١/١٣ .

(٣) في « زهر الآداب » : غودر هالـكا ، وفي ديوان المعاني : « لها جسد لولاه . . . »

لا يُذكَرُ الرَّمْلُ إلاّ حنَّ مُغْتَرِبٌ ... له بذي الرَّملِ أوْطارٌ وأوْطانُ[1]

تهفُو إلى البانِ مِنْ قلبي نوازِعُهُ ... وما بيَ البانُ بل منْ دارُهُ البانُ

أُسدُّ سَمْعي إذا غنّى الحمامُ بها ... كَيْ لا يُبيِّنَ سِرَّ الوَجْدِ إعلانُ

ورُبَّ دارٍ أُولّيها مُجانَبَةً ... ولي إلى الدّارِ أطرابٌ وأشجانُ

إذا تَلَفَّتُّ في أطلالِها ابتدَرَتْ ... لِلقَلْبِ والعَينِ أمواهٌ ونيرانُ

قِيلَ لِبَعْضِ الحكماء : ما اللّذةُ ؟ قال : الكِفايَةُ مَعَ لُزُومِ الأَوطان ومُحادَثَة الإخوان . قيل : فما الذِلّة ؟ قال : النُّزوحُ عن الأَوطان ، والتنقُّلُ في البلدان .

وقال أبو العرب مُصعَبُ بن محمد بن [أبي] الفُرات[2] :

أَهُمُّ وَلي عَزمانِ عَزْمٌ مُشرِّقٌ ... وآخَرُ يُغْري هِمّتي بالمَغارِبِ

ولا بُدَّ لي أنْ أَسْألَ العيشَ حاجةً ... تَشُقُّ على أخفافِها والغَوارِبِ

عليَّ لِآمالي اضطِرابُ مُؤَمِّلٍ ... ولكِنْ على الأَقدارِ نُجْحُ المَطالِبِ

فيا نفسُ لا تَستَصحِبي الهُوْنَ إنّه ... وإنْ خدَعَتْ أسْبابُهُ شَرُّ صاحِبِ

---

(١) الأبيات في « ديوانه » ط بيروت ٢/٤٤٩ .

(٢) هو مصعب بن محمد بن أبي الفرات القرشي العبدري الصقلي ، شاعر عالم بالأدب ، من أهل صقلية ، سكن اشبيلية . وكان المعتمد بن عباد يعرف قدره ، ويبالغ في إكرامه ، قال ابن الأبار : قدم على المعتمد سنة ٤٦٥ ، فحظي عنده وعند ملوك الأندلس في تردده عليهم ، وديوان شعره بأيدي الناس ، وصار أخيراً إلى ناصر الدولة صاحب ميورقة ، فتوفي بها . انظر « التكملة لكتاب الصلة » : ٧٠٣ .

ويا وطني إنْ بِنْتَ عني فإنني ... سَأُوطنُ أكوارَ العِتاقِ النجائِبِ
إذا كان أَصْلي مِنْ تُرابٍ فكلُّها ... بِلادي وكُلُّ العالمينَ أقاربي

وقال آخر : « هو العبَّاسُ بن الأَحنف ، ولهؤلاء الأَبيات حكاية لطيفة نقلها الأَصمعي عنه »[1] :

يا بَعيدَ الدَّارِ مِنْ وَطَنِهْ ... مُفْرَداً يبكي على سَكَنِهْ[2]
كُلَّما جَدَّ النَّجاءُ بِهِ ... جَدَّتِ الأَسْقامُ في بَدَنِهْ[3]
ولقدْ زادَ الفُؤادَ شَجىً ... صَوْتُ قُمْرِيٍّ على فَنَنِهْ[4]
شَفَّهُ ما شَفَّني فَبَكَى ... كُلُّنا يَبْكي على شَجَنِهْ[5]

---

(١) هذه الجملة مما أضيف على الأصل ممن قرأه ، وليست من المصنف ، والعباس ابن الأحنف: هو أبو الفضل العباس بن الأحنف بن الأسود الحنفي اليمامي ، شاعر غزل ظريف مطبوع ، خالف الشعراء في طريقتهم فلم يمدح ولم يهج ، بل كان كل شعره غزلاً وتشبيباً ، توفي سنة ١٩٢ هـ . وانظر خبر الأبيات في « وفيات الأعيان » ٢/٢٣٢ .

(٢) ديوانه : ٢٧٨ باختلاف في الترتيب ؛ و«تاريخ بغداد» ١٢/١٣٣ ، و «النجوم الزاهرة» ٢/١٢٩ ، و«وفيات الأعيان» ٢/٢٣٢ ، و«معاهد التنصيص» ١/٥٤ .
وفي الديوان « يا غريب الدار عن وطنه » .

(٣) في «تاريخ بغداد» كلما شد النجاء به ، وفي«معاهد التنصيص»: « كلما جد الرحيل به » وفي «العقد الفريد» و«معاهد التنصيص» : « زادت الأسقام » .

(٤) في الديوان « طائر يبكي على فننه » وفي « تاريخ بغداد» : « هاتف يبكي » .

(٥) في تاريخ بغداد « شاقه ما شاقني » .

وقال آخر :

لا بُدَّ للمُشْتاقِ مِنْ ذِكْرِ الوَطَنْ   واليَأْسِ والسَّلْوَةِ مِنْ بَعْدِ الحَزَنْ

وقال عبد السلام بن رغبان المعروف بديك الجن [١] :

أما آنَ للطَّيْفِ أَنْ يأتِيـا   وأَنْ يَطْرُقَ الوَطن الدَّانِيا

وإنّي لأَحسِبُ رَيْبَ الزَّما   نِ يترُكُني جَسَداً بالِيـا

سَأَنْشُرُ ذِكْرَكِ لا ناسِياً   جَميـلَ الصَّفاء ولا قالِيا [٢]

وقدْ كُنْتُ أَنشُرُهُ ضاحِكاً   فقـدْ صِرْتُ أَنْشُرُهُ باكِيا

وقال الشريف المرتضى رضي الله عنه :

هَـلْ لَياليَّ بالمُنَقَّى رُجوْعُ   مِثْلَما كُنَّ لي ونحنُ جَميعُ [٣]

زَمَنٌ رَاعَني تذكُّرُهُ الشَّـا   وي وإنْ كان ماضِيا لا يَريعُ

وَطنٌ طـابَ جَوُّهُ وثَراهُ   فكأَنَّ المَصِيفَ فيهِ رَبيعُ

---

(١) هو عبد السلام بن رغبان بن عبد السـلام بن حبيب الكلبي المعروف بـ : ديك الجن ، شاعر مجيد ، فيه مجون ، من شعراء العصر العباسي ، سمي بـ : ديك الجن ، لأن عينيه كانتا خضراوين ، أصله من سلمية قرب حماة ، ومولده ووفاته بحمص ، والأبيات في «الأغاني» ١٤/٦٠ .

(٢) في « الأغاني » : سأشكر ذلك لاناسياً ، ورواية أسامـة أجود . والقالي : المبغض الكاره .

(٣) ديوانه : ٢/٢٠٠ من قصيدة يفتخر بها .

حَيثُ لا تهتَدي الخُطوبُ ولا يخْـ ـفِقُ مِنْ خَشْيَةِ الحوادِثِ رُوْعُ (١)

وقال أبو العلاء بن سليمان المعري :

ومَاءُ بِلادِيْ كانَ أَنجعَ مَشْرَباً ولو أنَّ ماءَ الكَرْخِ صَهْباءُ جِرْيالُ (٢)

فيا وطني إنْ فاتني بكَ سابِقٌ مِنَ الدَّهرِ فلْيَنْعَمْ لساكِنِكَ البالُ (٣)

وإنْ أَستَطِعْ في الحشْرِ آتِكَ زائِراً وهَيهاتَ لي يومَ القِيامَةِ أشغالُ

وقال المتنبي :

بِمَ التَّعلُّلُ لا أَهلٌ ولا وَطَنُ ولا نَديمٌ ولا كأسٌ ولا سَكَنُ (٤)

أُريدُ مِنْ زَمَني ذا أنْ يُبلِّغَني ما لَيسَ يَبْلُغُهُ في نَفْسِهِ الزَّمَنُ (٥)

لا تَلْقَ دَهرَكَ إلّا غيرَ مُكْتَرِثٍ ما دَامَ يَصْحَبُ فيهِ رُوحَكَ البَدَنُ

---

(١) الروع : القلب ، وفي الديوان : « من ريبة الحوادث . . . »

(٢) « شروح سقط الزند » ٣/١٢٥٤ من قصيدة مطلعها :

مغاني اللّوى من شخصك اليوم أطلالُ وفي النَّوم مَغْنى من خيالك مِحْلال

وأنجع : أغذى للجسم وأصلح ، والصهباء من الخمر : التي فيها حمرة ، وكذلك الجريال.

(٣) البال : الفكر ، والبال أيضاً : الحال .

(٤) ديوانه : ٤/٢٣٣ .

(٥) قال الواحدي في تفسير البيت : : أطلب من الزمان استقـامة الأحوال ، والزمان لا يبلغ هذ من نفسه ، لأنه أربعة فصول ، كل فصل ضد الآخر . قال : ويجوز أن يكون أراد أن همته أعلى من أن يكون في وسع الزمان البلوغ اليهـا ، وهو يتمنى على الزمان أن يبلغه همته .

فما يَدُومُ سُرُورٌ ما سُرِرْتَ بِهِ ... وَلا يَرُدُّ عليكَ الفائِتَ الحَزَنُ

عن رَجُلٍ مِنْ أهلِ خُراسان قال : رأيت عليَّ بن الجهم بعد أن أُطْلِقَ من مَحبِسِهِ جالساً في المقابر ، فقلت : ما يجلسك ها هنا ؟ فقال :

يَشْتاقُ كلُّ غريبٍ عِنْدَ غُرْبَتِهِ ... وَيَذْكُرُ الأَهلَ والجيرانَ والسَّكَنا [١]

وَلَيسَ لي وَطنٌ أَمسَيْتُ أَذْكُرُهُ ... إلّا المقابِرَ إِذْ كانتْ لهم وَطنا

قلت : لي أبيات تنظر إلى هذا المعنى ، وهي :

أَشْتاقُ أهلي وَأَوْطاني وقدْ مُلِكَتْ ... دوني وأَفْنى الرَّدى أهلي وأحبابي

فأَسْتَريحُ إلى رُؤْيا القُبُورِ ففي ... أمثالِها حَلَّ إخواني وَأَترابي

وَلَسْتُ أَحيا حَياةً أَسْتَلِذُّ بها ... مِنْ بَعْدِهِمْ ولِحاقُ القومِ أَوْلى بي

وقال أبو بكرٍ المعروف بـ : ابن اللَّبَّانة [٢] في نَكْبَةِ آلَ عَبَّاد أرْبابِ الأَندلس ، وكان تغلَّب عليهم يوسف بن تاشفين ، ومَلَكَ بلادهم ، وكانوا محسنين إلى أهل العلم ، وإلى هـذا الشاعر ، وله فيهم أشعار كثيرة ، يبكيهم ، ويتأسف على أيامهم :

بَكى آلَ عَبَّادٍ وَلا كَمُحَمَّدٍ ... بأبياتِهِ صَوْبُ السَّحاب إذا همى [٣]

---

(١) ديوانه : ١٨٤ .

(٢) هو محمد بن عيسى بن محمد اللخمي أديب أندلسي شاعر ، من أهل دانية ، كان من كبراء دولة ابن صمادح (محمد بن معن) ، وتوفي بميورقة سنة ٥٠٧ هـ .

(٣) الأبيات من قصيدة أوردها ابن خلكان في « الوفيات » ٤/١٢٣ وقال في مناسبتها:-

حَبيبٌ إلى قلبي حَبيبٌ لقَوْلِهِ عَسَى وَطنٌ يَدْنو بهِم وَلعَلَّما (١)

يقول في هذا الشعر :

قُصُورٌ خلَتْ مِنْ ساكِنيها فما بِها سِوى الأُدْمِ تَمْشي حَولَ وَاقِفَةِ الدُّمى

يُجيبُ بها البُومُ الصَّدى ولطالما أَجابَ القِيانُ الطَّائرَ المُتَرَنِّما

كأَنْ لَمْ يَكُنْ فيها أَنيسٌ ولا ٱلْتقى بها الوَفْدُ جَمْعاً وَالخَميسُ عَرَمْرَما

مُصابٌ هَوى بالنَّيِّراتِ مِنَ العُلى وَلَمْ يُبْقِ في أرْضِ المكارِمِ مَعْلَما

حَكَيْتَ وقدْفارقتَ مُلْكَكَ ما لِكاً ومِنْ وَلهي أَحْكي عَلَيْكَ مُتَمِّما

بَكَيْتُكَ حتى لَمْ يُخَلِّ لِيَ الأَسى دُموعاً بهـا أَبْكي عَليكَ وَلا دَما

وإِنّي على رَسمي مُقيمٌ فإن أَمُتْ سأَتْرُكُ للباكِينَ رَسمِي مَوْسِما

وقال رجلٌ من تميم :

حَنَّتْ قَلُوصِي مِنْ عِدانَ إلى نَجْدِ وَلَمْ يُنْسِها أَوْطانَها قِدَمُ العَهْدِ (٢)

ـ وله أيضاً في حبسه ـ أي : المعتمد ـ قصيدة عملها بأغمات سنة ست وثمانين وأربعمئة .

وقد أثبتها أيضاً الدكتور صلاح خالص في كتابه « المعتمد بن عباد الاشبيلي » ص٢٤٦ نقلاً عن «القلائد » مخطوط الاسكوريال (رقم ٤٨٨) وذكر أن أبا بكر قالهـا بعد خلع المعتمد ونفيه ، ومطلع القصيدة في كلا المصدرين :

تنشق رياحين السلام فانما أفضّ بها مسكاً عليك مختما

ورواية الشطر الثاني للبيت : وأبناءه صوب السحابة إذ همى .

(١) في الأصل تحت كلمة « حبيب » ما نصه : يعني أبا تمام .

(٢) في « معجم ياقوت » قال نصر : عدان : موضع في ديار بني تميم بـ:سيف كاظمة.

إذا شئتُ لاقيتُ القَلوصَ ولا أرى ... لِقَوْمي أَشْباهاً فيأْلفُهُمْ وُدّي

وقال آخر :

حَنَّ إلى أَوْطانِهم مَعْشَرٌ ... لَهُمْ غرامٌ وَلِيَ اثْنانِ

إذا تَشَكَّوا شَجَناً واحِداً ... تَكاثَرَتْ عِدَّةُ أشجاني

وقال آخر - البستي - :

لَئِنْ سَلَّمَني اللهُ ... وَبالحِفْظِ تَوَلاّني

وَأَعطانيَ أعطاني ... وَأَوْطانيَ أَوْطاني

وَأَخلى ذَرْعيَ الآن ... وَحَلاّني وَخُلاّني

فلا عُدْتُ إلى الغَرْبَةِ ما كَرَّ الجَديدانِ

فإن عُدْتُ لَها يَوْماً ... فَسَجّاني سَجّاني

قال الجهم بن المنيرة[١] : كنا عند حيُّوس[٢] بن ثمال القرمطي[٣] بضريَّة ، فمرت بنا جارية صفراء مولَّدة ، فقال لي حيُّوس : استفتح كلامها ، فإنها ظريفة ، فقلت : يا جارية أينَ نَشَأتِ ؟ فقالت : بِقَرْقَرى . قلت : فأين شَعْبَعَب ؟ فضَحِكَتْ ، ثم قالت : بَينَ الحَوْضِ والعطَنِ . قالت : فمن الذي يقول :

---

(١) الخبر في « الأغاني » ٢٩١/٢٣ .

(٢) في « الأغاني » : حترش .

(٣) في « الأغاني » : القريغلي .

يا صاحِبيَّ فَدَتْ نَفْسي نُفُوسَكُما ... عُوجا عليَّ صُدُورَ الأَبْغُلِ السُّنُنِ

ثُمَّ ارفعا الصوتَ نَنْظُرْ صُبْحَ خامسةٍ ... بِقَرْقَرى ما عَناءُ النَّفْسِ بالوَطَنِ [١]

يا ليتَ شِعْريَ والانسانُ ذو أَمَلٍ ... وَالعينُ تَذرِفُ أحياناً مِنَ الحَزَنِ

هَـلْ أجعلَنَّ يدي لِلْخَدِّ مِرفَقَةً ... على شَعَبْعَبَ بينَ الحَوْضِ والعَطَنِ ؟

فالتفتت إلى حيُّوس ، فقالت : خبِّره بقائلهـا ، فقال : ما أعرِفُه . فقالت : بلى هذا يقُولُه شاعِرُنا وظَريفُ بلادِنا وغَزِلُها . قال : وَيْحَكِ وَمَن ذاكِ ؟ فقالت : أشهدُ إن كُنْتَ لاتعرفُه وأنتَ مِنْ أهلِ هذا الوادي إنَّها لَسَوْءَة . ذاكَ يحيى بن طالب الحنفي ، وأُقسم بالله ما منعك مِن معرفته إلا غِلَظُ الطَّبْع ، وَجفاءُ الخُلق . فجعل حيُّوس يضحك مِنْ قولِها .

ويحيى بن طالب الحنفي مِنْ أهل اليمامة ، وكان أديباً كريماً ، فابتاع مِنْ عامل السُّلْطان غَلَّةَ ضَيْعةٍ مِمّا تحت يده ، يُريدُ بهـا الرِبْحَ ، فأصابَ النَّاسَ باليمامة قحطٌ وَمَسْغَبَةٌ ، ففرَّق يحيى تلك الغَلَّة وأطعمهم إيَّاهـا . وآن مَحلُّ الوَفاء ، وَلَمْ يَكُنْ لهُ شيء ، فهَرب إلى الرِّيِّ ، وبها تُوفي .

وقد رُوي عن إسحاق بن ابراهيم الموصلي قال : غنيت بين يـدي الرَّشـيد :

---

(١) في « الأغاني » : « ثم ارفعا الطرف ... يا عناء ... »

أَلاَ هل إلى شَمِّ الْخزامى وَنظْرَةٍ ... إلى قَرْقَرى قبلَ المَماتِ سَبيلُ؟ (١)

فأشرَبَ مِنْ ماء الْحجْيلاء شَرْبَةً ... يُداوَى بهـا قبلَ المماتِ غَليلُ (٢)

فيا أَثَلاتِ القَاعِ مِنْ بَطْنِ تُوضحٍ ... حَنيني إلى أَطْلالِكُنَّ طويلُ (٣)

وَيا أَثَلاتِ القاعِ قلبي مُوَكَّلٌ ... بِكُنَّ وَجَدْوَى نيلِكنَّ قليلُ

وَيا أَثَلاتِ القاعِ قد مَلَّ صُحْبَتي ... مَقامِي فهلْ في ظِلِّكُنَّ مَقيلُ ؟ (٤)

أحدِّثُ عَنْكِ النَّفسَ أَنْ لَسْتُ راجعاً ... إليكِ فَهمّي في الفؤادِ دَخيلُ (٥)

أُريدُ رُجوعاً نحوكمْ فيَصُدُّني ... إذا رُمْتُهُ دَيْنٌ عليَّ ثقيلُ (٦)

---

(١) الأبيات للمجنون في ديوانه : ٢٢١ ، وفي « الأمالي » ١٢٢/١ ، و« مصارع العشاق » ٢٩٤/١ ، و« معجم البلدان » : ٥٨/٧ ليحيى بن طالب ، وفي «الزهرة» ٢٦٦ لبعض الأعراب. وقرقرى : أرض باليمامة إذا خرج الخارج من وشم اليمامة إلى جهة الجنوب ، ويجعل العارض شمالاً ، فانه يعلو قرقرى ،أرض فيهـا قرى وزروع ونخيل كثيرة ، وعليها يمر قاصد اليمامة من البصرة .

(٢) الحجيلاء : ماء لخثعم . قاله البكري . وفي ديوان المجنون : عليل .

(٣) في ديوان المجنون : إلى أفيائكن . والأثلات : الواحـدة أثلة : شجر صلب الخشب تصنع منه القصاع .

(٤) في ديوان المجنون : مسيري فهل ...

(٥) في ديوان المجنون : إذ لست راجعاً ... فحزني في ...

(٦) رواية البيت في ديوان المجنون :

أروم انحداراً نحوها فيردّني ... ويمنعني دين عليّ ثقيـــل

فطَرِب الرَّشيد ، وسأل عن قائل هـذا الشِّعر مَنْ هُوَ ؟ فقلت : هو يحيى بن طالب الحنفي ، شاعرٌ مِنْ أهل اليمامة ، وإنَّه لحيٌّ ، وَهرَبَ إلى الرّي من دَيْنٍ عليه ، فقد ذَكرَ ذلك في شِعرِهِ هذا فقال :

أُريدُ رُجوعاً نَحْوَكمْ فيَصُدُّني إذا رُمْتُهُ دَيْنٌ عليَّ ثقيـلُ

فأَمرَ الرَّشيدُ أن يَكْتُبَ إلى عامِل الرّيِّ بقضـاءِ دَيْنِهِ ، وإعطائِهِ نَفَقَةً ، وإنفاذِهِ على البريد . فوصل الكتاب إلى الرّيِّ يومَ ماتَ يحيى بن طالب. وقيل : مات قبلَ وُصولِهِ بشَهْر .

وقلت :

أَيْنَ السُّلُوُّ مِنَ الْمُرَوَّعِ بالنَّوى أَبداً ، فلا وَطَنٌ ولا خُلَّانُ [1]

عِيدُ البَرِيَّةِ مَوْسِمٌ لِعَوِيلِهِ وسُرورُهـم فيهِ لهُ أَحْزانُ

وإذا رأى الشَّمْلَ الجميع تَزاحَمَتْ في قَلْبِهِ الأَمواهُ والنِّـيرانُ

وقال أبو الفرج الوأْواء :

ها قدْ تَبَدَّلتُ أَوْطاناً بأَوْطانِ عَمْداً وفارَقْتُ إخواناً لإِخوانِ [2]

فلْيَبْلُغِ الشَّوْقُ بي أَقصى مَراتِبِهِ إلى بُدُورٍ على قُضْبانِ كُثْبانِ [3]

---

(١) ديوانه : ١٠٤ ، وفيه : أين السرور من ...

(٢) ديوانه : ٢٣١ ، وفيه : وفارقتُ خلاّنا بخلان .

(٣) في الديوان : فكم بدور على قضبان كثبان .

كتب إليَّ القاضي المهذَّبُ أبو محمد حسنُ بن علي بن الزبير[(١)] قصيدة نفذها من أسوان وأنا بمصر . منها :

أأحبابَنا ما ليْ إذا ما ذكرتُكُمْ … وما أنا ناسٍ غالَ صبري غُولُ ؟

وإنْ شامَ برْقُ الشَّامِ طرْفي وشمَّرتْ … على البُعْدِ عنْهُ للظَّلام ذُيولُ

تدارَكَ قلبي أنْ يطيرَ صبابَةً … بنانٌ كأُنبوبِ اليَراعِ نَحيلُ

وخُيِّلَ لي أنَّ السُّيُوفَ لِجَوِّهِ … سُلِلْنَ وأنِّي بَيْنَهُنَّ قَتِيلُ

لَئِنْ أَقْفَرَتْ مِنَّا الدِّيارُ ومِنْكُمُ … وأمستْ مغانيهِنَّ وَهْيَ طُلُولُ

فإنّ لنا في آلِ مُنْقِذَ أُسْوَةً … يهُونَ لدَيْها الخَطْبُ وَهوَ جَليلُ

نَبَتْ بِهِمُ أوْطانُهُمْ فترَحَّلُوا … وللمَجْدِ في ذاكَ الرَّحيلِ رَحيلُ

بلادٌ بها مِنْ عِزِّهم وعَطائِهمْ … وُعورٌ لِمَنْ يَنْتابُها وسُهولُ

ولِلدَّهرِ مِنْ أيمانِهِم ووُجوهِهِم … بها غُرَرٌ ما تنقضي وحُجُولُ

خلَتْ فالرَّبيعُ الغضُّ مَحْلٌ لِفقْدِهِمْ … بها والصَّباحُ المُستنيرُ أصيلُ

وساروا على رَغْمِ العِدى ودليلُهُمْ … ثَناءٌ لَهم في الخافقَينِ جميلُ

وما كُنْتُ أدري قبلَ أنْ يترَحَّلوا … بأنَّ الجبالَ الرَّاسياتِ تزُولُ

أذَلُّوا خُطوبَ الدَّهرِ قَهْراً فبينَهُمْ … قديماً وبينَ الحادثاتِ ذُحولُ

القصيدة طويلة ، والمقصود : ذكر الأوطان منها .

---

(١) سبقت ترجمته ١/١٣٠ .

وقال أبو بكر بن اللبّانة :

قدْ طالَ بي أقْطَعُ البَيْداءَ مُنْفَرِداً وَليسَ يُسْفِرُ عنْ وَجْهِ المُنى سَفَرُ
كأنّما الأرْضُ عني غَيرُ راضِيَةٍ فليسَ لي وَطنٌ فيها وَلا وَطَرُ

قلت : لي أبيات تشابه هذا المعنى ، وهي :

وقـد أفْرَدَتْني الحادِثاتُ فلَيسَ لي أنيسٌ وَلا في طَارِقِ الخَطْبِ أعْوانُ[(١)]
كأنّيَ مِنْ غيرِ التُّرابِ نَبَتْ بي الـ ـبِلادُ فما لي في البَسيطَةِ أوطانُ
أجولُ كما جالتْ قَذاةٌ بمُقْلَةٍ وَأسري وَساري النَّجْمِ في الأُفْقِ حَيْرانُ
إذا قُلْتُ هذا حينَ أُلقِي عَصا السُّرى دَعاني إلى التَّرْحالِ ظُلْمٌ وَعُدْوانُ

وقال أبو الفتيان بن حيُّوس :

وَللحَميَّةِ لا عنْ زَلَّةٍ حَكَمتْ بالبُعْدِ فارَقْتُ إخوَاناً وَأوطَانا[(٢)]
تُخيفُني بَلْدَةٌ حَتّى أميـلَ إلى أُخرى كأنّيَ عِمْرانُ بنُ حِطّانا[(٣)]

قلت : ربّمـا وقف على هـذين البيتين من يتطَلّعُ إلى مَعْنى قول أبي

(١) ديوانه : ١٠٥ عدا البيت الأخير .

(٢) ديوانه : ٦٥٧/٢ من قصيدة يمدح بها نصر بن محمود بن صالح الكلابي أمير حلب مطلعها :

ظنّ الأراكَ لدى واديه أظعانا فلم يُطِقْ لرسيس الشوق كتمانا

ورواية الشطر الثاني فيه : « بالبعد فارقت أخداناً وخلاّنا » ،

(٣) في الديوان : « تخيفني بلد حتى أعود إلى » .

الفتيان : « كأنيَ عِمرانُ بنُ حِطّانا » ، فرأيتُ أنْ أذْكُرَ شيئاً مِنْ أخباره وإنْ لم يَقْتَضِ التأليف ذلك .

عنِ الهيْثَمِ بنِ عَديّ [١] قال : طَلَبَ الحجّاجُ عِمرانَ بنَ حِطّانَ السَّدوسي [٢] وكان من [قعدة] الخوارج ، وكتب فيه إلى عمّالـه ، وإلى عبد الملك بن مروان ، فهرب ، فلم يزل يتنقل في أحياء العرب .

وقال في ذلك :

حَلَلْنا في بَني كَعْبِ بْنِ عَمْروٍ　　وَفي عَـكٍّ وَعامِرِ عُوثُبانِ [٣]

---

(١) الخبر بطوله في « الأغاني » ١٨/٥١ ، و« الكامل » : ٨٩٦ .

(٢) هو عمران بن حطان بن ظبيان السدوسي الشيباني الوائلي ، رأس القعدة من الصفرية ، وخطيبهم وشاعرهم وفقيههم ، وكان قبل ذلك من رجال العلم والحديث من أهل البصرة ، وأدرك جماعـــة من الصحابة فروى عنهم ، وروى أصحاب الحديث عنه ، ثم صار في آخر أمره أن رأى رأي الخوارج .

(٣) رواية البيت في « الكامل » :

نزلنا في بني سعد بن زيد　　وفي عكٍّ وعامرِ عوْبثانِ

وعلى هامش « الكامل » زيادة من إحـــدى النسخ المخطوطة نصها : « عامر عوثبان » : قبيلة من الأزد ، والعدان من بني مداج ، من ولد زاهر بن مراد . وقـــد قيل : هو عوثبان بن زاهر بن مراد بن نحاير ، وهو مراد ، ويقال : عوبثان بتقديم الباء ، فوعلان من عبث .

وَفي جَرْمٍ وَفي عَمْروِ بن مُرٍّ ... وَفي زَيْدٍ وحيّ بني العَـدانِ (١)

ثم لحق بالشَّـام فنزل برَوْحِ بن زِنباع الجُذامي ، فقال له روح : من أنت؟ فقال : من الأَزْد أزدِ الشُّراة ، وكان رَوْح يسْمُرُ عند عبد الملك بن مروان ، فقال لعبد الملك : إن في أضيافنا رَجُلاً ما سَمِعْتُ مِنْكَ حديثاً [قط] إلاّ حدثني به ، وزادني مالمْ يَكُنْ عندي ، فقال : مِمّن هو ؟ قال : مِنَ الأَزْد ، قال : إني لأَسْمَعُكَ تَصِفُ عِمْران بن حِطّان ، أسمعُكَ تَصِفُ وتذكر لغـةً نِزارِيَّة . قال روح : وما أنا وعِمْران بن حطان ، ثم أنشد عبد الملك :

يا ضَرْبَةً مِنْ تَقِيٍّ ما أرادَ بها ... إلاّ لِيَبْلُغَ مِنْ ذي العَرْشِ رِضْوانا

إنّي لأذْكُرُه حيناً فأَحسِبُهُ ... أَوْفى البَرِيَّـةِ عند الله ميزانا

ثم قال عبد الملك : مَنْ يَعْلَمُ مِنْـكُم قائلهـا ؟ فسَـكَتَ القَوْمُ جميعاً ، وراح رَوحُ بن زنباع إلى أضيافه ، فقال لهم : قد سألـنا عبدالملك عن قول الشاعر ، ومن هو ؟ :

يا ضَرْبَةً مِنْ تَقِيٍّ ما أرادَ بهـا ... إلّا ليَبْلُغَ مِنْ ذي العَرْشِ رِضوانا

فلم يَكُنْ عند أحدٍ منا علم ، فقال له [عمران] : هـذا قول عمران

---

(١) رواية البيت في « الكامل » :

وفي لَخْمٍ وفي أدَدِ بنِ عَمْروٍ ... وفي بكر وحيّ بني العَدانِ

ابن حطان في عبد الرحمن بن مُلْجَم قاتل علي بن أبي طالب رضوانُ الله عليه، فراح رَوْحُ فأخبر عبد الملك فقال : من أخبرك ؟ قال : ضيفي، قال : أظنّه والله عِمران بنَ حطان، فأعلِمه أني قد أمرتُكَ أن تأتيَني به ، فقال : أفعل. فراح رَوْحُ إلى أضيافه ، فأقبل على عِمْرانَ ، فقال لهُ : إنّي ذكرْتُك لعَبْدِ الملك فأمرَني أن آتِيَه بكَ ، فقال : قد كُنْتُ أُحِبُّ ذاكَ ، وما منعني مِنْ ذِكْرِه إلاّ الحياءُ ، وأنا متّبِعُكَ ، فدَخَل رَوْح على عبد الملك ، فقال لهُ : أينَ صاحِبُك ؟ قال : قال لي : أنا متَّبِعُك فانطلِق . فقال عبد الملك : أظنُّك والله سترجِعُ فلا تجدُه . فلما رجع رَوْح إلى منزلِه ، فإذا عِمْرانُ قد مَضى، وإذا هو قد خلَّفَ رُقعةً في كُوَّةٍ عند رأسه[1] وإذا فيها :

يارَوْحُ كم مِنْ أخي مَثْوىً نَزلتُ بهِ	قد ظَنَّ ظَنَّكَ مِنْ لَخْمٍ وَغَسّانِ[2]
حتى إذا خِفْتُهُ زَايَلْتُ مَنْزِلَهُ	مِنْ بَعْدِ ماقيلَ عِمْرانُ بن حِطّانِ[3]
قد كُنْتُ ضَيفَكَ حوْلاً لا تُرَوِّعُني	فيهِ طَوارِقُ مِنْ إنسٍ وَمِنْ جانِ[4]

---

(١) في « الأغاني » : عند فراشه .

(٢) يقال : هذا أبو مثواي ، وللأنثى : هـذه أم مثواي ، ومنزل الضيافة وما أشبهها : المثوى .

(٣) في « الأغاني » و « الكامل » : فارقت منزله .

(٤) رواية البيت في « الكامل » :

قد كنت جارك حولاً ما تروِّعُني	فيهِ روائعُ من إنسٍ ومن جانِ —

حتى أرَدْتَ بيَ العُظْمى فأوْحَشَني ... ماأوْحَشَ النَّاسَ من خوْفِ ابن مرْوانِ [١]

فاعْذُرْ أخاكَ ابنَ زِنْباعٍ فإنَّ له ... في الحادِثاتِ هَناتٍ ذاتَ ألوانِ [٢]

يوماً يَمانٍ إذا لاقَيْتُ ذا يَمَنٍ ... وَإنْ لَقيتُ مَعَدِّيّاً فعَدْناني

لَوْ كُنْتُ مُسْتَغْفِراً يوماً لطاغِيَةٍ ... كُنْتَ المُقَدَّمَ في سِرّي وإعلاني [٣]

لكنْ أبَتْ ليَ آياتٌ مُطَهَّرَةٌ ... عِنْدَ التّلاوَةِ مِنْ طـه وَعِمْرانِ

قال : ثم أتى عمرانُ بنُ حطان الجزيرة ، فنزل بزُفَرَ بنِ الحارثِ الكلابي بِقَرقيسِيا [٤] فجعل شبابُ بني عامر يتعجَّبونَ من طُولِ صَلاتِهِ ، وانتسبَ لِزُفر أوْزَاعِياً ، فقدم على زُفر رَجُلٌ من أهل الشَّام ، وكان قد رأى عمران ابن حطان عند رَوْح بن زنباع ، فصافحه وسلَّمَ عليه ، فقال زفر للرجل الشَّامي : أتعرفه ؟ قال : نعم ، هذا الشيخ من الأَزد ، فقال زُفر : أزدي

— قال المبرد : وقوله : فيه روائع . الواحدة : رائعة ، يقال : راعني يروعني روعاً ، أي : أفزعني . وفي « الأغاني » : « من إنس ولا جان » .

(١) في « الكامل » : فأدركني ما أدرك الناس . . .

(٢) في « الكامل » : في النائبات خطوباً ذات . . .

(٣) قوله : لو كنت مستغفراً يوماً لطاغية . قال المبرد : يكون على وجهين : لنفس طاغية ، والآخر للمذكر ، وزاد الهاء للتوكيد والمبالغة ، كما يقال : رجل راوية ، وعلاّمة ، ونسّابة ، وكلاهما وجه .

(٤) قرقيسيا : بلد على الخابور عند مصبّه ، وهي على الفرات ، جانب منها على الخابور ، وجانب على الفرات ، فوق رحبة مالك بن طوق .

مرة ، وأوزاعيّ مرة ؟ إن كُنْتَ خائفاً أمَّنَّاكَ ، وإن كُنْتَ عائلاً أغْنَيْنَاكَ ، فقال : إنَّ الله هو المُغْني ، وخرج من عنده وهو يقول :

إنَّ التي أَصْبَحَتْ يَعْيا بِهـا زُفَرٌ ... أَعْيا عَياها على رَوْحِ بن زِنباعِ (١)

أمسى يُسـائلني حَوْلاً لأُخْبِرَهُ ... والنَّاسُ من بَين مَخدوعٍ وَخَدَّاعِ (٢)

حتى إذا انْجَذَمَتْ مِنّي حَبائِلُهُ ... كَفَّ السُّؤالَ ولم يُولَع بإهْلاعي (٣)

فاكْفُفْ كما كَفَّ رَوْحٌ إنَّني رَجُلٌ ... إمَّا صَريحٌ وإمَّا فَقْعَـةُ القاعِ (٤)

أمّا الصَّـلاةُ فإني غيرُ تارِكِها ... كلُّ امرئٍ بالذي يُعْنى له سَاعِ (٥)

فاكْفُفْ شَبابَكَ عن هَزْلي وَمَسْأَلَتي ... ماذا تُريـدُ إلى شيخٍ لِأَوْزاعِ (٦)

---

(١) في « الكامل » و « الأغاني » : « أعيت عياءً » .

(٢) في « الكامل » : مازال يسألني .

(٣) في « الكامل » : حتى إذا انقطعت عني وسائله . قال المبرد : الوسائل، واحدها : وسيلة ، وهي الذريعة والسبب ، وقوله « ولم يولع باهلاعي » ، أي : بافزاعي وترويعي ، والهلع من الجبن عند ملاقاة الأقران .

(٤) في « الكامل » : « كما كف عني ... إما صميم » والصميم : الخالص من كل شيء . وقوله : « وإما فقعة القاع » . قال المبرد : يقال لمن لا أصل له : هو فقعة بقاع ، وذلك لأن الفقعة لا عروق لهـا ولا أغصان ، والفقعة : الكمأة البيضاء .

(٥) في « الكامل » و « الأغاني » : الذي يعنى به .

(٦) في « الكامل » : واكفف لسانك عن لومي .

أَكْرِمْ بِرَوْحِ بنِ زِنْباعٍ وَأُسْرَتِهِ ... قوماً دعا أَوَّلِيهِمْ لِلْعُلى داعِ

جاوَزْتُهُمْ سَنَةً فيما دَعَوْتُ بِهِ ... عِرْضِي صَحيحٌ وَنَوْمي غيرُ تَهْجاعِ (١)

فاعمَلْ فإِنَّكَ مَنْعِيٌّ بِحادِثَةٍ ... حَسْبُ اللَّبيبِ بهذا الشَّيْبِ مِن ناعِ (٢)

ثم خرج ، فنزل بعُمانَ بقَوْمٍ يُكثرون (٣) ذكر أبي بلال ، ويبكون عليه ، ويذكرون مقتله ، فأظهَرَ أمرَهُ عندَهُمْ ، فبلغ الحجَّاج مكانه ، فطلبه فهرب ، فنزل فيروذستان (٤) ، طَسُّوجاً مِنْ طَساسيجِ السَّوادِ إلى جانب الكوفة ، فلم يزل به حتى مات . وفي ذلك يقول :

نَزَلْتُ بِحَمْدِ اللهِ في خَيرِ أُسْرَةٍ ... أُسَرُّ بِما فيهم مِنَ الخيرِ والخَفَرْ (٥)

نَزَلْتُ بقومٍ يَجْمَعُ اللهُ شَمْلَهُم ... وَليسَ لَهم عُودٌ سوى المَجْدِ يُعْتَصَرْ

مِنَ الأَزْدِ إِنَّ الأَزْدَ أَكرمُ أُسرَةٍ ... يَمانِيَةٍ قَرُبوا إذا انتَسَبَ البَشَرْ (٦)

---

(١) في « الكامل » : فيما أسرُّ به .

(٢) في « الكامل » : بواحدة .

(٣) في « الكامل » : يعظمون .

(٤) في « الأغاني » : روذميسان . والطسوج : الناحية .

(٥) في « الأغاني » : من الانس والخفر . قال اليزيدي : الانس بالكسر : الاستئناس . وأصل الخفر : شدة الحياء ، يقال : امرأه خفرة : إذا كانت مستترة لاستحيائها .

(٦) في « الكامل » : يمانية طابوا . قال المبرد : وقوله : إن الأزد أكرم أسرة ، يقول : عصابة وقبيلة ، وقربوا : أراد : قَرُبوا . وفي « الأصل » : تربوا .

فأَصبَحتُ فيهم آمِناً لا كَمعشَرٍ أَتوني فقالوا مِنْ رَبيعةَ أو مُضَرْ ؟

أو الحيّ قَحطانٍ ؟ وَتِلكُمْ سَفاهَةٌ كما قال لي رَوْحٌ وَصاحِبُه زُفَرْ

وَما فيهِمْ إلاّ يُسَرُّ بِنِسْبَةٍ تُقَرِّبُني منه وإنْ كانَ ذا نَفَرْ [1]

فنَحنُ بَنُو الإِسلامِ واللهُ واحِدٌ وَأولى عِبادِ اللهِ باللهِ مَنْ شَكَرْ

هذا الذي أشار إليه أبو الفتيان بن حيوس .

قلت : وقد نزلت بصُور في دار ابن أبي عقيل ، وكتبتها على بعض الرخام :

دارٌ سَكَنْتُ بها كُرْهاً وما سَكَنَتْ نفسي إلى سَكَنٍ فيها ولا شَجَنِ

والقَبْرُ أَرْفَقُ لي منها وأَجْمَلُ بي إنْ صَدَّني الدَّهرُ عن عَوْدٍ الى وَطَني

★ ★ ★

(١) في « الكامل » : وما منها إلا يسر بنسبة . قال المبرد : معناه : وما منها واحد ، فحذف لعلم المخاطب . قال الله جل اسمه : (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) أي : وإن أحد .

فصل آخر
في ذكر الأوطان

قال البحتري :

إذا نِلْتَ في أرْضٍ مَعَاشاً وانْ نَأَتْ فلا تُكْثِرَنْ فيها نِزاعاً الى الوَطَنْ [1]

فما هِيَ إلاَّ بَلْدَةٌ مِثْلُ بَلْدَةٍ وَخَيرُهُما ما كانَ عَوْناً على الزَّمنْ

وقال أيضاً :

كمْ مَشْرِقٍ لي قد نَقَلْتُ نَوَالَهُ فجَعَلْتُهُ لي عُـدَّةً لِلْمَغْرِبِ [2]

وَأَحَبُّ أوْطانِ البِلادِ إلى الفتى أرْضٌ ينالُ بها كريمَ المكْسَبِ [3]

وقال آخر :

---

(١) لم نجدهما في الديوان . وفي « اللسان » : يقـال للانسان إذا هوي شيئاً ونازعته نفسه اليه : هو ينزع إليه نزاعاً .

(٢) ديوانه : ٢٨٣/١ من قصيدة يمدح بها أبا صالح عبد الله بن محمد بن يزاد المروزي ، مطلعها :

إما ألمَّ فبعدَ فرطِ تجنُّب أو آبَه همٌّ فمينْ متأوِّب

وفيه : « كم مشرقي . . . »

(٣) في الديوان : « وأحب آفاق . . . كريم المطلب » .

لا يَصْرِفَنَّكَ عن عَزْمٍ تَهُمُّ بهِ ... نُزُوعُ نَفْسٍ الى أهلٍ وأَوْطانِ [1]

تلْقى بكُلِّ بلادٍ أنتَ ساكِنُها ... أرضاً بأرضٍ وإخواناً بإخوانِ

وقال آخر : « هـذا الشاعر اسمه صَرَّدُرْ ، وهو مشهور ، وله ديوان عندي » [2]

قَلْقِلْ رِكابَكَ في الفَلا ... وَدَعِ الغواني في القُصُورِ [3]

فَمُخالِفي أوطـانِهِم ... كشَبيـهِ سُكَّانِ القُبُورِ

لَوْلا التَّغَرُّبُ ما ارْتقى ... دُرُّ البُحُورِ الى النُّحُورِ

وقال آخر :

---

(١) البيتان في « ديوان المعاني » ١٨٦/٢ وفيه قال أبو دلف : هذا ألأم بيت قالته العرب . قال أبو هلال : النزوع هاهنا رديء ، والجيد النزاع . وإنما جعل أبو دلف هذا البيت ألأم بيت ، لأنه يدل على قلة رعاية ، وشـدة قساوة . وحنين الرجل إلى أوطانه منقبة من علامات الرشد ، لما فيه من الدلالة على كرم الطينة ، وتمام العقل .

(٢) هذه الجملة كتبت بخط مغاير للأصل ، ولعلها ممـا أضيف إلى الأصل ممن قرأ الكتاب وليست منه . وصردر : هو أبو منصور علي بن الحسن بن علي بن الفضل البغدادي الشاعر الـكاتب ، أحـد نجباء عصره ، جمع بين جودة السبك ، وحسن المعنى . كان يقال لأبيه : صربعر ، لبخله ، وانتقل إليه اللقب حتى قال له نظام الملك : أنت صردر ، لا صربعر ، فلزمته . توفي سنة ٤٦٥ هـ .

(٣) ديوانه : ٢١٠ .

لَأَرحلَنَّ المطايا رِحْلَةً عَجَباً يكونُ أدنى مَداها الصِّينُ أو عَدَنُ

فكُلُّ خِلٍّ اذا صافيْتَهُ سَكَنٌ وكُلُّ أرضٍ اذا أحمدْتَها وَطَنُ

وقال الشريف المرتضى رحمه الله :

ومُلَوَّحِ الخدَّيْنِ تحمِلُهُ أبداً على أعناقِها السُّبُلُ (١)

نابٍ عن الأوطانِ فهو متى ظَفِرَتْ به الأوْطانُ يرتحِلُ

تَرَكَ البِلادَ لِمَنْ أقامَ بها وتقطَّعتْ عنْ عِيسِهِ العُقُلُ

يَسْعى الى العلْياءِ يحرِزُها سَعْياً تحامَى وَقْعَهُ الزَّلَلُ

واذا الفتى كُتِبَ النَّجاءُ لهُ فالكَلْمُ يَعْفُو والأذى جَلَلُ

وقال الشيخ أبو العلاء بن سليمان المعري :

يا لَهفَ نَفْسي على أنّي رَجعْتُ الى أرْضِ الشَّآم ولَمْ أهلِكْ ببَغْداذا (٢)

اذا رَأيتُ أُموراً لا تُوافِقُني قُلتُ الإيابُ إلى الأوطانِ أدّى ذا

وقال جدّي الأمير سديد الملك ، ذو المناقب ، أبو الحسن ، علي بن مقلّد بن نصر بن منقذ رحمه الله :

ولَستُ بِحَيارِ العزيمةِ إنْ جرتْ عَلَيْهِ رِياحُ الخَطْبِ وَهيَ زَعازِعُ

---

(١) ديوانه : ٣/٥ من قصيدة يهنىء بها أباه بعيد النحر، مطلعها :

علَّ الهوى يهفو به العَذَلُ ويغضُّ من جمحاتِه المَلَلُ

(٢) اللزوميات : ١/٣٠٣ .

يَكُرُّ إلى الأَوْطانِ طَرْفاً مُوزَّعاً ... يَلِينُ لهـا طَوْراً وَطَوْراً يُمانِعُ

إذا سَافَ مِنْ تِلْقائِها الرِّيحَ لم يَزَلْ ... لهُ نَفَسٌ في إِثْرِهـا مُتَتابِعُ (١)

أبى ذَاكَ نفسٌ لا يُداني عقالَهـا ... ثَوَاءٌ ولا تَقْضي عليهـا المطامِعُ

وقال أيضاً :

لله ما طَيْفٌ أَلَمَّ بِفِتْيَـةٍ ... تَحْنُو رُؤُوسُهُمْ على الأَكوارِ

يَطْوي بِهِم عَرْضَ الفَلاةِ مُسَرْبَلٌ ... حُلَلَ الثَّنَاءِ مُمَزَّقُ الأَطْمارِ

لا تَلْفِتُ الأَوْطانُ عَزْمَتَهُ ولا ... يَهْدي الحَنينَ إلى رُسُومِ الدَّارِ

وقال آخر :

وَقارَعَتْني صُرُوفُ الدَّهرِ فانْكَشَفَتْ ... طَخْياؤُها عن كَرِيمِ الأَصْلِ والغُصُنِ (٢)

عَنِ ابْنِ لَيْلٍ كَنَجْمِ اللَّيْلِ هِمَّتُهُ ... مُشَيَّعِ القَلْبِ لا يَلْوي على وَطَنِ

وَأَيُّ حُرٍّ إلى الأَوْطانِ مُلْتَفِتٌ ... إذا أَلَحَّ عليهِ الدَّهرُ بالمِحَنِ

أَيَنْفَعُ الظَّامِئَ المَلْهُوفَ مَوْقِفُهُ ... وَقَدْ فَنِيَ الماءُ بَيْنَ الحَوْضِ والعَطَنِ

مُسَدَّدَ العَزْمِ إِنْ نَابَتْهُ نائِبَةٌ ... فما يُقِيمُ على رَبْعٍ ولا سَكَنِ

وقال آخر :

---

(١) يقال : ساف يسوف سوفاً : إذا شم .

(٢) الطخياء : ظلمة الليل ، وليلة طخياء : شديدة الظلمة قد وارى السحاب قمرها .

قَوِّضْ خِيامَكَ عن أرضٍ تُهانُ بها وَجانِبِ الذُلَّ إنَّ الذُلَّ يُجتَنَبُ
وَارْحلْ إذا كانتِ الأَوْطانُ نابيَةً فالمَنْدَلُ الرَّطبُ في أوطانِهِ حَطَبُ

وقلت وأنا بمصر :

يا مِصْرُ ما دُرْتِ في وَهْمي وَلاخَلَدي ولا أَجالَتْكِ خَلْواتي بأَفكاري [1]
ما أنتِ أَوَّلَ أَرْضٍ مسَّ تُرْبَتَها جِلْدي ولا فيكِ أَوْطاني وأَوْطاري [2]
لكنْ إذا حُمَّتِ الأَقدارُ كانَ لها قُوىً تُؤَلِّفُ بينَ الماءِ والنَّارِ

وقال آخر :

تَرَى الذي اتَّخَذَ الدُّنيا لهُ وَطَنا لم يَدْرِ أَنَّ المَنايا عَنْهُ تُزْعِجُهُ
مَنْ كانَ يَعْلَمُ أَنَّ المَوْتَ مُدْرِجُهُ وَالقَبْرَ مَنْزِلُهُ والبَعْثَ مَخْرَجُهُ
وأَنَّهُ بَيْنَ جَنَّاتٍ سَتُبْهِجُهُ يَوْمَ القِيامَةِ أَوْ نارٍ سَتُنْضِجُهُ
فكُلُّ شيءٍ سِوى التَّقْوى بِهِ سَمِجٌ وما أَقامَ عليهِ فهوَ أَسْمَجُهُ

وقال آخر :

مِنَ الخَرابِ مِنَ الأَوْطانِ أَوْطاني وَقَدْ مَضى لي في العُمْرانِ عُمْرانِ
قد لُمْتُ أَوَّلَ مَنْ يَثْني عِناني عَنْ سُبْلِ الهوى وَزَجَرْتُ الثَّانيَ الثَّاني
في مَجْلِسٍ تُبْهِجُ الرَّائِينَ رُؤْيَتُهُ وَلِي قَرِينانِ مِنْ حُلْوانِ حُلْوانِ

---

(١) ديوانه : ٧٥ .

(٢) في الديوان : « ... مس تربتها جسمي ... » .

لا يُحْضِران امرءاً عِنْدي بِمَنْقَصَةٍ ... ولا إذا جادَتِ الكَفَّانِ كَفَّاني

لكنْ يُكَدِّرُ عَيْشي بُعْدُ ذي هَيَفٍ ... إدْمانُـه الخَطْرَ بالأَرْدانِ أرْداني

تَقولُ ألحاظُهُ أُنظُرْ فقَـدْ ضَمِنَتْ ... أشْباهَ ما ضَمَّتِ الأَجْفانُ أجْفاني

جَفَا وَما كانَ يَجْفُوني وَغادَرَني ... مَيْتاً وَلوْ شاءَ في الأَحْيانِ أحْياني

والحَينُ أبْعَدَ عَن مأوايَ مَسْـكَنَهُ ... وَلو تَقارَبَتِ الدّارانِ داراني

وَحاسِدٍ غَرَّهُ بُعْـدي فأسْخَطَني ... ولو تَجاوَرَتِ الأَرْضانِ أرْضاني

كَمْ قد وَرَى مِنْ حَسُودٍ ما يُعاينُ مِنْ ... فَضْلي وكَمْ قدْ شَجى مِنْ شانِىءٍ شاني

★ ★ ★

فصـــل
في ذكر المدن

عن سَهْلِ بنِ عَبْد الله [1] رَحِمَه الله أَنَّهُ كان يُنْفِقُ مالَهُ في طاعة الله تعالى ، فجاءَتْ أُمُّـه وإخوتُه إلى عبد الله بن المبارَك [2] رضي الله عنه يشكُونَه ، فقالوا : هـذا لا يُمسِكُ شيئاً ، ونخشى عليهِ الفَقْرَ ، فأرادَ عبد الله أن يُعينهم عليه ، فقال له سَهْل : يا عبد الله ! أرَأيتَ لو أنَّ رَجُلاً من أهل المدينة اشترى ضيعةً برُستاقٍ [3] وهو يُريدُ أن يتحوّل من المدينة إليها ، أكان يُخَلِّفُ بالمدينة شيئاً ، وهو يسكُنُ الرّستاق ؟ فقال عبدُ الله

---

(١) هو سهل بن عبد الله بن يونس التستري ، من العلماء الزهاد ، له كلام حسن في الاخلاص ، ورياضة النفس ، وعيوب الأفعال ، توفي سنة ٢٨٣ هـ .

(٢) هو أبو عبد الرحمن عبد الله المبارك بن واضح الحنظلي بالولاء التميمي المروزي الحافظ شيخ الاسلام ، المجاهد التاجر ، صاحب التصانيف والرحلات ، أفنى عمره في الأسفار حاجاً ومجاهداً وتاجراً ، وجمع الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء . كان من سكان خراسان ، ومات بـ « هيت » على الفرات منصرفاً من غزو الروم سنة ١٨١ هـ .

(٣) الرستاق ، بضم الراء وسكون السين : أرض السواد والقرى ، ويقال فيها أيضاً : « رزتاق » و « رزداق » .

رحمه الله : خَصمَكُم . يعني : أنه إذا أرادَ أن يتحوَّل إلى الرُّستاق لايتركُ بالمدينة شيئاً ، فالذي يُريدُ أن يتحوَّل إلى الآخرة كَيْفَ يَـترُكُ في الدُّنيا شـيئاً ؟!.

قال أبو نواس :

أيْنَ مَنْ كانَ قَبْلَنَا ... مِنْ ذوي البَأْسِ والخَطَرْ (١)

سَائِلُوا عَنْهُمُ المَـدَا ... ئن واسْتَخْبِروا الخَمَرْ (٢)

سَبَقُونا إلى الرَّحيـ ... لِ وإنَّا لبالأَثَرْ (٣)

مَنْ مَضى عِبْرَةٌ لَنـا ... وَغَـداً نحنُ مُعتَبَرْ

وقال أبو تمام :

قد قُلتُ للزَّبَّاء لمـا أصْبَحَتْ ... في حَـدِّ نابٍ للزَّمانِ ومِخْلَبِ (٤)

---

(١) ديوانه : ٣٤٧ .

(٢) في الديوان « ... واستبحثوا الخبر » . والخمر في « اللسان » : الخـبر ، كما شرحه ابن سيدة في بيت استشهد به لطرفة .

(٣) في الديوان : « .... على الأثر » .

(٤) ديوانه : ١٠٢/١ من قصيدة يمدح بها عمر بن طوْق بن مالك بن طوق التغلبي مطلعها :

أحْسِن بأيامِ العقيق وأطْيِب ... والعيْشِ في أظْلالِهِنَّ المُعْجِبِ

قال التبريزي : والزباء هاهنا : مدينة خربة على شط الفرات ، والناس يحدّثون أنها كانت للزَّبَّاء صاحبة جذيمة .

لِمدينَةٍ عَجْماءَ قد أمْسى البِلى فيها خَطيباً باللِّسانِ المُعْرِبِ[1]

فكأنَّما سَكَنَ الفَناءُ فِناءَها أوْ صالَ فيها الدَّهرُ صَوْلَةَ مُغْضَبِ[2]

وقلت :

سَلِ المَدائِنَ عَمَّنْ كانَ يَمْلِكُها هل آنَسَتْ مِنْهُمُ مِن بَعْدِهِمْ خَبَرا

فلوْ أجابَتْكَ قالتْ وهيَ عَالِمَةٌ بسِيرَةِ الذَّاهِبِ الماضي ومَنْ غَبَرا

أَرَتْهُمُ العِبَرَ الدُّنيا فما اعْتَبَروا فَصَيَّرَتْهُم لِقَومٍ بَعْدَهُم عِبَرا

عن سُلَيمانَ بن عيَّاش[3] قال : قالت أنيسَةُ زوجة جَبْهاء الأَشْجعي لجبهاء : لو هاجَرْتَ إلى المدينة ، وبعتَ إبلَكَ ، وافْتَرَضْتَ في العَطاء ، كان خَيراً لك ، قال : أفْعَلُ . فأقبل غادياً بإبِلِهِ ، حتى إذا كان بحرَّةِ وَاقِمٍ مِن شَرْقي المدينة ، شرّعها بحوْض وَاقِم يسْقيها ، فحنَّت ناقةٌ منها ، ثم نَزَعت ، وتبعتها الإبل ففاتته ، فقال جبهاء لزوجته : هذه الإبل لاتعقل ،

(١) قال التبريزي : عجماء : لا ينطق فيها ناطق ، لكن البلى والتغير بيِّنٌ فيها ، معرب عن ذهابها .

(٢) في الديوان : « سكن الفناء عراصها » .

(٣) الخبر مع الشعر في « الأغاني » ١٨/٤٠ و « معجم البلدان » : ٧/٩٢ ، وجبهاء لقب غلب عليه ، ويقال : جبيهاء ، واسمه يزيد بن حُمَيْمة بن عبيد بن عقيلة الأشجعي ، شاعر بدوي ، من مخاليف الحجاز ، نشأ وتوفي في أيام بني أمية ، وليس ممن انتجع الخلفاء بشعره ، وهو من المقلّين المشهورين .

تَحِنُّ إلى أوطانِها ، ونحنُ أولى بالحنين منها ـ أنتِ طالِقٌ إنْ لم تَرْجِعي ، فعل الله بك وفعل . فردَّها وقال :

قالت أُنَيْسَةُ دَعْ بلادَكَ وَالتَمِسْ دَاراً بطِيْبَةَ رَبَّـةِ الآطامِ [(١)]

تَكْتُبْ عِيالَكَ في العطَاءِ وَتَفْتَرِضْ وَكذاكَ يَفْعَلُ حازِمُ الأَقوامِ

فَهَمَمْتُ ثُمَّ ذَكَرْتُ لَيْلَ لِقاحِنا بِلوَى عُنَيْزَةَ أَوْ بِقُفِّ بَشامِ [(٢)]

إذْ هُنَّ عَنْ حَسَبي مَذَاوِدُ كُلَّما نَزَلَ الظَّلامُ بِعُصْبَةِ أَغْتامِ [(٣)]

إنَّ المدينَـةَ لا مَدينَةَ فالْزَمي حِقْفَ السِّنادِ وَقُنَّةَ الآجامِ [(٤)]

وَتَجَـاوِري النَّفَرَ الذين بِنَبْلِهِم أَرْمي العَدُوَّ إذا تَهَضَّمَ رَامِ [(٥)]

الباذِلِينَ إذا طَلَبْتُ تِلادَهُمْ وَالمانِعي ظَهْري مِنَ الغُرَّامِ [(٦)]

---

(١) في « معجم البلدان » : بع تلادك . . . بيثرب .

(٢) عنيزة : قارة سوداء في بطن وادي فلج من ديار بني تميم . وبشام : موضع ، سمي بذلك لكثرة شجر المساويك فيه . والقف : ما ارتفع من الأرض وغلظ .

(٣) الأغتام : جمع أغتم ، وهو من لا يفصح شيئاً .

(٤) في « الأغـــاني » : « حقف الستار وقبـــة الأرجام » وفي ياقوت : « حقف الستار وقنة الأرجام » وفيـه : الأرجام : جبل ، وأنشد البيت . وفي « الأغاني » بعد هذا البيت :

يحلبْ لك اللبن الغريض وينتزع بالعيس من يَمَن اليـك وشام

(٥) في « الأغاني » و « معجم البلدان » : إذا نهضت أرامي ، وهي أجود .

(٦) في « معجم البلدان » : من الجرّام .

قَدِمَ ابن المولى [١] في بعض سنِيه العِراقَ ، فأخفق وطال مقامه ، فاشتاق المدينة وقال :

ذَهبَ الرِّجالُ فلا أُحِسُّ رِجالا وَأرى الإقامَةَ بالعِراقِ ضَلالا

وَأرَى المُرَجّي لِلعِراقِ وَأهْلِه ظَمْآنَ هاجِرَةٍ يُؤمِّلُ آلا

وَطِرِبْتُ أنْ ذَكرَ المدينَةَ ذاكِرٌ يَوْمَ الخَميس فهاجَ لي بَلْبالا [٢]

وَجَعلْتُ أنظُرُ في السَّماءِ كأنَّني أبغي بناحِيَةِ السَّماءِ هِلالا

طَرَباً إلى أهلِ الحِجازِ وَتارَةً أبكي بدَمْعٍ مُسْبَلٍ إسْبالا

* * *

---

(١) هو محمد بن عبد الله بن مسلم بن المولى ، مولى الأنصار ، شاعر متقدم مجيد ، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، ومداحي أهلها . ولد ونشأ بالمدينة ، والخبر مع الأبيات في « الأغاني » ٣/٢٩١ ، وتجريد « الأغاني » : ١/٤١٩ .

(٢) البلبال : شدة الهم .

فصل
في ذكر البلاد

عن عبد الله بن مَسْعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما مِنْ بَلْدَةٍ تاب فيها تائِبٌ إلاّ رَحِمَ اللهُ تعالى أهلَ تِلْكَ البَلْدَةِ ، وَرَفعَ عَنْهُم العَذابَ » .

وقال ابنُ مسعود رضي الله عنه : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم : « أيُّما رَجُلٍ جَلَبَ طعاماً إلى بَلَدٍ مِنْ بلادِ المسلمين ، فباعه بسِعْرِ يومِهِ محتسباً ، كان عند الله بمنزلة الشهيد » ، ثم تلا (وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله) [المزمل : ٢٠][1] .

قال أميرُ المؤمنين عليُّ بنُ أبي طالب رضوان الله عليه : مِنْ سَعادَةِ الرَّجلِ خَمْسٌ : أنْ تكونَ زوجتُه موافِقة ، وأولادُه أبراراً ، وإخوانُه أتقياء ، وجيرانُه صالحين ، ورِزْقُه في بلده .

---

(١) ذكره الزمخشري في « الكشاف » ١٥٥/٤ . قال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث «الكشاف» : رواه الثعلبي من رواية فرقد السبخي عن ابراهيم عن ابن مسعود موقوفاً ، وفرقد ضعيف . ووصله ابن مردويه بذكر علقمة بن ابراهيم وعبد الله ، ورفعه أيضاً . وخرجه السيوطي في « الدر المنثور » ٢٨٠/٦ ، ونسبه إلى ابن مردويه .

عن الأصمعي قال : سمعت أعرابياً يقول : شرُّ المال ما لا يُنْفَقُ ، وَشرُّ الإخوان الخَاذِلُ في الشَّدائد ، وشرُّ السلاطين مَن يخَافُـه البريء ، وشرُّ البلاد ما ليس فيه خِصب ولا أَمْن .

وقال أبو زياد الطائي :

أَحقًّا عِبادَ اللهِ أَنْ لسْتُ ناسِياً بلادي وَلا قَوْمي وَلا ساكِناً نَجْدا

وَلا ناظِراً نَحوَ الحِمى اليومَ نَظْرَةً أُسَلِّي بها قَلْبي وَلا مُحدِثاً عَهْدا

بلادٌ بهـا نِيطَتْ عليَّ تمائِمي وَكان بها عصرُ الصِّبا نَضِراً رَغْدا

بلادٌ بها قومي وأرْضٌ أُحِبُّهـا وإنْ لَمْ أَجِدْ مِنْ طُولِ هجْرَتِها بُدّا

وقال صدقة بن نافع الغنوي :

أَلاَ لَيْتَ شِعْري هل أَسِيرُ ناقَتي بِبَيْضاء نَجْدٍ حَيْثُ كانَ مَسيرُها (١)

بلادٌ بهـا أَنْضَيْتُ رَاحِلَةَ الصِّبا وَلاَنَتْ لنا أَيَّامُها وَشُهُورُها

فَقَدْنا بها الهمَّ المُضِلَّ وشُرْبَه وَدارَ عَلَيْنـا بالنَّعيم سُرُورُها (٢)

حُكِيَ عن كاتِبٍ لِأَميرِ الحاجِ أنه قال : نَزلنا مَرَّةً بظاهِر الكوفة ، ونحن متوجهونَ إلى الحاج ، فكنت كلَّ يَوْمٍ أغدو إلى الكوفة لِحوائجي ، ويقابلني رجلٌ زَمِنٌ يَزْحفُ ، فكنت أظنُّه يَقْصِدُ الحاج للسؤال ، فاتفق

(١) الأبيات مع آخر بعد الأول في « أمالي المرتضى » ٢/١٥١ ، وهي من إنشاد الأصمعي ، وفيه : هل تحِنَّنَّ ناقتي . . . ، وبيضاء نجد : موضع .

(٢) في « الأمالي » : الهمّ المكدِّر شُرْبُه ، وهي أجود .

أن تَبِعْتُه يوماً حتى كان بموضع يشرف منه على أخبية الحاج ، فسمعته يقول :

أَعلِمْتَ كَيفَ تَصبُّري ... عَنْ رُؤْيَةِ البَلَدِ الحرامْ

وَالمَشْعَرَيْنِ وَمَسْجِدٍ ... بالخَيْفِ يُشْهَدُ كلَّ عامْ

وَعنِ التِزَامِ المشْعَرَيْـ ... ـنِ وَعنْ صَلاةٍ بالمقـامْ

وَعنِ الزِّيارَةِ للنَّبيْـ ... ـيِ المصطفى خَيرِ الأَنامْ

كَتَصَبُّرِ المَدْفوعِ بالْـ ... أَسْقامِ عَنْ طِيْبِ المَنامْ

قال : ثم ظَعنَّا عن الكوفة ليالِيَ [1] وأياماً ، ثم إني سمرت عند الأمير ليلةً فحدَّثْتُه الحديث ، فأحضر نجاباً وثلاثة نُجب ، وقال لي : اذهب مع هذا النجاب فأْتِني به . فقلت : إن ذاك يَشُقُّ عليَّ ، وأنا أَدُلُّ الرَّسولَ عليه. قال : قد عَلِمْتُ أنَّك تدلُّ الرَّسول ، ولكنِّي أَرَدْتُ عقوبتَك لتأخيرك إخباري عنه ، فمضيتُ فأتيتُ به .

وقال أشجع السُّلَمي :

وَمُغْتَرِبٍ يَنْقَضي لَيْلُهُ ... فُنُوناً وَمُقْلَتُه تَدْمَعُ [2]

يُؤَرِّقُهُ نأْيُهُ في البِلادْ ... فما يَسْتَقِرُّ به مَضْجَعُ

إذا اللَّيْلُ أَلبَسَه ثَوْبَهُ ... تَقَلَّبَ فيه فتىً مُوجَعُ

---

(١) في الأصل : ليالياً .

(٢) الأبيات فى « تهذيب ابن عساكر » : ٣/٦٢ في ترجمة أشجع من قصيدة مطلعها :

أتصبر يا قلب أم تجزع ... فان الديار غداً بلقع

وقال آخر :

ألا هَلْ إلى نصِّ النَّواعِجِ بالضُّحى ... وَشَمِّ الخزامى بالغُوَيْرِ سبيلُ [١]

بلادٌ بها أهـلُ الهوى غيرَ أنني ... أميلُ مع الأقدارِ حيثُ تَميلُ

وقال أبو عبد الله محمد بن عثمان المعروف بابن الحدّاد الأندلسي [٢] يرثي صديقاً له :

تيقَّنَ أنَّ الله أكرمُ جيرةً ... فأزمعَ عَنْ دارِ الفناء رحيلا [٣]

فإنْ أقفرتْ منهُ العيونُ فإنَّه ... تعوَّضَ منهـا بالقُلوبِ بديلا

ولَم أرَ أُنساً بعدَهُ صارَ وحشةً ... وبَرْداً على الأكبادِ صارَ غليلا

ومَنْ كُنَّ أيامُ السُّرُورِ قصيرةً ... به كانَ ليلُ الحزنِ فيهِ طويلا

وقال عُيينة بن الحُباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري :

أراكُم بقلْبي مِنْ بلادٍ بعيدةٍ ... تُراكُم تَرَوْني بالقُلوبِ على بُعْدي

فُؤادي وطرْفي يأْسفانِ عَليكُمُ ... وعِنْدَكُمُ رُوحي وذِكْرُكُمُ عِندي

ولستُ ألَـذُّ العيْشَ حتى أراكُمُ ... ولو كُنْتُ في الفِردوسِ أوْجَنَّةِ الخُلْد

---

(١) يقال : نص الدابة ينصها نصاً : رفعها في السير . والنواعج من الابل : السراع البيض الكريمة . والخزامى : عشبة طويلة العيدان ، صغيرة الورق ، حمراء الزهرة ، طيبة الريح ، لها نَوْر كنور البنفسج .

(٢) تقدمت ترجمته ١/٣٤٨ .

(٣) كتب في الأصل إلى جانب هذه الأبيات : سهو كتب في غير موضعه .

وقالت امرأة من العرب زوّجها عمُّها رَجُلاً شامياً ، فنقلها إلى الشَّام ، فاشتاقت بلادها :

ألا يا خَليليَّ اللَّذَيْن أَرَاهُما ذَويْ ثِقَتي مِنْ دُونِ مَنْ كانَ جافِيا

سَقى اللهُ ـ والسُّقيا إليه ـ بلادَنا تخوم قناوين الذِّهابَ الغَوادِيا

بِلادَ جَميعٍ والعَظيمِ أُحِبُّهُم وَإنْ كُنْتُ قدأيقَنْتُ أنْ لا تَلاقِيا

أَلا لَيْتَ لي عَمّاً بعَمّي وَليتَ لي مَكانَ بَنيهِ مِنْ مَعدٍّ مَوالِيا

أُناساً إذا خافوا عليَّ ظُلامَةً وَضَيْماً أَحاطوا بالقَنا مِن وَرائيا

فلا بارَكَ الرَّحْمٰنُ في وَجهِ حُرَّةٍ يَمانيةٍ بَعْدي تُحِبُّ شآمِيا

وقال مُوسى بن جابر الحنفي [١] :

وَجدْنا أبانا كانَ حلَّ ببَلْدَةٍ سِوىً بينَ قَيْسٍ قَيْسِ عَيْلَانَ والفِزرِ

الفِزر : لقبٌ لسعد بن زيد مناة بن تميم ، وكان أنهب معزاه بعكاظ

---

(١) هو موسى بن جابر بن أرقم بن سلمة بن عبيد الحنفي اليامي ، شاعر مكثر مخضرم نصراني . والأبيات في « شرح الحماسة » ١/٣٢٦ ، نسبها أبو تمام ليحيى بن منصور ، قال التبريزي : قال أبو رياش : هذا غلط من أبي تمام ، يحيى ابن منصور ، هو ذُهلي ، وهذه الأبيات لموسى بن جابر الحنفي . قلت : والبيت الأول والثاني ، في « معجم الشعراء » للمرزباني : ٢٨٥ في ترجمة موسى ابن جابر .

ويقال لجماعة المعزى : الفِزر ، فسمي بذلك (١) .

فلمَّا نأَتْ عنَّا العَشيرَةُ كلُّها ... أَنَخْنا فحالَفْنا السُّيوفَ على الدَّهرِ

فما أَسْلَمَتْنا عِندَ يَوْمِ كَريهَةٍ ... ولا نَحْنُ أَغْضَيْنا الجُفُونَ على وِتْرِ

وقال هلال بن الأشعر المازني (٢) :

أقولُ وقدْ جاوَزْتُ نُقْمَى وناقتي ... تَحِنُّ إلى جَنْبَي فُلَيْجٍ مع الفَجْرِ (٣)

سَقَى اللهُ يا ناقَ البِلادَ التي بها ... هَواكِ وإنْ عنَّا نأَتْ سَبَلُ القَطْرِ (٤)

فما عَنْ قِلًى منَّا لها خَفَّتِ النَّوى ... بنا عَنْ مَراعيها وكُثْبانِها العُفْرِ

ولكنَّ صَرْفَ الدَّهرِ فرَّقَ بيننا ... وبينَ الأداني والفتى غَرَضُ الدَّهرِ

فَسُقْياً لِصَحْراءِ الإهالَةِ مَرْبَعاً ... ولِلْوَقْبا مِنْ مَنْزِلٍ دَمِثٍ مُثْري (٥)

---

(١) في « مجمع الأمثال » : ٢١٢ للميداني : « لا آتيك معزى الفِزر » قالوا : الفزر، لقب سعد بن زيد مناة بن تميم ، وإنما لقب بذلك ، لأنه وافى الموسم بمعزى ، فأنهبها هناك ، وقال : من أخذ منها واحـــدة فهي له ، ولا يؤخذ منها فزر ، وهو الاثنان فأكثر ، والمعنى : لا آتيك حتى تجتمع تلك ، وهي لا تجتمع أبداً .

(٢) هو هلال بن الأسعر (كذا جاء بالسين في « الأغاني ») بن خالد المازني، شاعر إسلامي من شعراء العصر الأموي ، كان فارساً شجاعاً ، عظيم الخلق ، شديد البأس والبطش، أكولاً ، وعمر طويلاً ، أقام في اليمن مدة، ومات في العراق.

(٣) البيت والذي يليه في « معجم البلدان » ٣٩٨/٦ . ونقمى : قال ياقوت : بالضم ثم السكون والقصر أيضاً : واد ، وفليج : واد أيضاً .

(٤) السبل : المطر النازل من السحاب قبل أن يصل إلى الأرض .

(٥) صحراء الاهالة : موضع ذكره ياقوت ، ولم يبينه ، واستشهد بهذا البيت. —

وَسَقْياً وَرَعْياً حيثُ حَلّتْ لِمازنٍ   وأيّامِها الغُرِّ المُحجّلَةِ الزُّهْرِ

وقال آخر : (١)

وَارْحَمتا لِلغريبِ في البَلَدِ النّا   زِحِ مـاذا بنَفْسِهِ صَنَعا (٢)

فارَقَ أحبابَهُ فما انْتَفعوا   بالعَيْشِ مِنْ بَعْـدِهِ وَلا انْتَفعا

وقال آخر : قيل : قائلهـا : بشر بن مروان . وقيل : عبد العزيز ابن مروان :

كأنّي وعَمْراً لم نَسِرْ في مَجاهِلٍ   وَلَمْ نَزْجُرِ الوَجْناءَ في البَلَدِ القَفْرِ

لَحى اللهُ دُنياً تُدْخِلُ النّارَ أهلَها   وَتَهْتِكُ ما بَيْنَ الأقارِبِ مِنْ سِتْرِ

هذان البيتان في عمرو بن سعيد بن العاص (٣) المعروف بالأشدق حين قتله عبد الملك بن مروان .

ـ ودمث : سهل لين ، ومثر : كثير الثرى خصب .

(١) في هامش الأصل ما نصه : هذان البيتان لعلي بن الجهم .

(٢) ديوان علي بن الجهم : ١٥٤ ، وانظر تخريجها هناك .

(٣) هو أبو أمية عمرو بن سعيد بن العـاص بن أمية بن عبد شمس الأموي القرشي ، من خطباء العرب وبلغائهم ، وولي المدينة لمعاوية ، وابنه يزيد ، قتله عبدالملك سنة سبع أو تسع وستين ، وكان قد غلبه على دمشق بعد أن خرج منها لقتـال مصعب بن الزبير ، ثم عاد عبد الملك إلى دمشق ، فامتنع عمرو فيها ، فحاصره ، وتلطف إلى أن فتح أبوابها ، ودخلها عبد الملك ، فاعتزل عمرو بخمسمئة مقاتل ، ولم يزل عبد الملك يتربص به الفرصة حتى تمكن منه فقتله .

عن يحيى بن سعيد الأموي قال : كسا عبد الله بن الزبير رحمه الله قومَه بني أَسَد جِباباً . فقال أبو العباس الأَعمى :

كَسَتْ أَسَدٌ إِخْوَانَها وَلَوْ انَّني ... بِبَلْدَةِ إِخْوَاني إِذاً لَـكُسيْتُ [1]

فَلَمْ أَرَ مِثْلَ الحيِّ حَيّاً تَحَمَّلُوا ... إلى الشَّامِ مَظْلُومِينَ مُنْذُ بُرِيتُ [2]

أَعفَّ وَأَحْمى عِنْدَ مُخْتَلَفِ القَنَا ... وَأَعْلَمَ بِالمِسْكِينِ أَيْنَ يَبِيتُ

فلما قَدِمَ عبد الملك بن مروان حاجاً سنة خَمْسٍ وسبعين ، دخل عليه أبو العباس الأَعمى الشاعر . فلما رآه عبد الملك قال له : يا أبا العباس :

كَسَتْ أَسَدٌ إِخْوانَها وَلَوْ انَّني ... بِبَلْدَةِ إِخْوَاني إِذاً لَكُسيتُ

فقـال : نعم يا أميرَ المؤمنين ، أنا الذي أقولُ ذلك ، فالتفتَ عبدُ الملك إلى مَنْ عندهُ مِنْ بني أمية فقال : عَزَمْتُ على كلِّ رجلٍ إلّا كسا أبا العباس ، فكَسَوْهُ ثلاثين جُبَّةً سوى غيرها من الثِّياب .

وقال وجيه الدَّولة بنُ حمدان وهو بالأَهواز :

نَأَيتُ بشَخْصٍ في البلادِ مُشَرِّقٍ ... وقلبٍ إليكُم بالحنين مُغَرِّبِ

لحى الله رأياً زَيَّنَ البُعْدَ عنكُمُ ... وَهِمَّةَ قلبٍ رَخَّصَتْ في التَّقَلُّبِ

يطيبُ خبيثَ الأَرض بالقُرْبِ منكُمُ ... وَيَخْبُثُ عندي بعدكم كلُّ طيِّبِ

---

(١) الأول والثاني في « الأغاني » ١٦/٢٣٢ .

(٢) في « الأغاني » : فلم تر عيني مثل حي تحملوا .

وقال آخر :

خَلِيلَيَّ لا تَسْتَسْلِما وَادْعُوا الذي ... لهُ كلُّ أمرٍ أنْ يصُوبَ رَبيعُ

حَياً لبلادٍ شَتَّتَ المَحْلُ أهلَهَا ... وَجَرّاً لعظمٍ في شَظَاهُ صُدُوعُ

عَسى أنْ يَحُلَّ الحيُّ جَرْعاءَ وَاصلٍ ... وَعَلَّ النَّوى بالظَّاعِنينَ تَرِيعُ

أفي كلِّ يَوْمٍ زَفْرَةٌ مُسْتَجِدَّةٌ ... تَضَمَّنَهَا مِني حَشىً وَضُلُوعُ

وقال آخر :

ألامُ على لَيْلى وَأحْسِبُ أنَّني ... كريمٌ على ليلى وَغيري كريمُها [1]

لئنْ آثَرَتْ بالوُدِّ أهلَ بلادِها ... عَلى نازحٍ عَنْ أرْضِها لا ألُومُها

وَما يستَوي مَنْ لا يُرى غيرَ لَمَّةٍ ... وآخَرُ ثاوٍ عِنْدَها لا يَرِيمُها [2]

وقال آخر :

الحَيْنُ سَاقَ إلى دِمَشْقَ وَما ... كانتْ دِمَشْقُ لأهلِنا بَلَدَا

قادَتْكَ نَفْسُكَ فاسْتَقَدْتَ لها ... وَأرَتْكَ أمرَ غِوايَةٍ رَشَدَا

وقلتُ وأنا بمصر سنةَ إحْدى وأربعين وخمس مائة :

---

(١) الأبيات في ديوان المجنون : ٢٥٣ ، وانظر تخريجها هنالك ، وفيه : « أحن إلى ليلى » .

(٢) في الديوان : « ومن هو ثاوٍ عندها ... » ولمة : اسم مرة من : ألمّ بفلان : أتاه فنزل به . ثاو : مقيم ، لا يريمها : لا يفارقها .

هَبْ أنَّ مِصْرَ جِنانُ الخُلْدِ ما اشْتَهَتِ النُّـفُوسُ فيها مِنَ اللَّذَّاتِ مَوْجُودُ (١)
ما فيكِ لي سَلْوَةٌ يا مِصْرُ عَنْ بَلَدٍ في أهلِهِ الفَضْلُ والإِقْـدامُ والجُودُ
ماذا انتِفاعي إذا كانتْ زَخارِفُها مَوْجودَةً وَحَبيبُ النَّفْسِ مَفْقُودُ
وَما الحَياةُ لِمَنْ بانَتْ أحِبَّتُهُ رِضىً وَلا هُوَ في الأَحْياءِ مَعْدودُ

★ ★ ★

(١) ديوانه : ٦٥ عدا البيت الثاني .

فصل آخر

في ذكر البلاد

عن الزُّبيرِ بنِ العوَّام رضي الله عنه قال : سَمِعْتُ رسولَ الله صلى الله عليهِ وسلم يقول : « العِبادُ عِبادُ الله ، والبلادُ بلادُ الله ، فحيث وَجَدْتَ خيراً فأَقِمْ واتَّقِ الله تعالى »[1] .

وقال بزرجُمهر : إنَّما يَستطيعُ الرَّحيلَ عن بلَدٍ مَنْ استطاعَ المُقامَ به .

وقال عيسى بنُ عليٍّ الموصلي :

مَاذَمَمْتُ المُقامَ في بَلَدٍ قطُّ ✻ فعاتَبْتُهُ بغيرِ الرَّحيلِ

إنْ تَلَقَّاني الزَّمانُ بمكرو ✻ هٍ تَلَقَّيْتُهُ بصبرٍ جميلِ

وقال المتلمس : واسْمُهُ جَريرُ بنُ عَبْدِ المسيح[2]

---

(١) المسند ٣/١٤ ، ١٥ بلفظ « البلاد بلاد الله، والعباد عباد الله، فحيثما أصبت خيراً فأقم » وإسناده ضعيف، فيه مجاهيل ، والحديث في «الجامع الصغير» ٣٢٢١، وقال شارحه المناوي : قال الحافظ العراقي : وسنده ضعيف ، وقال تلميذه الهيثمي: وفيه جماعة لم أعرفهم ، وتبعه السخاوي وغيره .

(٢) هو جرير بن عبد المسيح من بني ضبيعة من ربيعة ، شاعر جاهلي ، من أهل البحرين ، وهو خال طرفة بن العبد ، كان ينادم عمرو بن هند ملك -

إنَّ الهوانَ حِمارُ البيتِ يَعرِفُهُ ... وَالحُرُّ يُنكِرُهُ والرَّسْلَةُ الأُجُدُ [١]

وَفي البلادِ إذا ما خِفتَ نائرةً ... مَشهُورةٌ عنْ وُلاةِ السُّوءِ مُنتَفَدُ [٢]

إنَّ الدَّنيَّةَ لا يَرْضى بها أحَدٌ ... إلاَّ الأذلاّنِ عيرُ السُّوءِ وَالوَتِدُ [٣]

هذا على الخَسْفِ مَحبُوساً برُمَّتِهِ ... وَذا يُشَجُّ وما يبكي له أحَدُ [٤]

وقال أيضاً :

إنَّ العِراقَ وأَهْلَهُ كانوا الهوى ... فإذا نَبا بكَ وُدُّهُمْ فَلْيَبْعِدِ [٥]

العراق ، ثم هجاه ، فأراد عمرو قتله ، ففر إلى الشـــام ، ولحق بآل جفنة ، ومات ببصرى .

(١) الأبيات في «شعراء النصرانية » : ٣٤٣ ، وفي الأصل تحت كلمة«الرسلة» : الناقـــة السهلة ، والأجد : الناقة الموثقة الخلق .

(٢) في الأصل تحت كلمة«نائرة» ما نصه : «ماتنفر منه ، والنَّوار : النُّفور».اهـ والمنتفد : المتنحّي ، وفي شعراء النصرانية « عن ولاة السوء مبتعد » .

(٣) رواية البيت في « شعراء النصرانية » :

ولن يقيم على خَسْفٍ يُسامُ به ... إلا الأذلان عَيْرُ الحي والوتد

والعير : الحمار ، وغلب على الوحشي ، والمناسب هنا : الأهلي .

(٤) في « شعراء النصرانيـة » : « ... على الخسف مربوط ... فما يرثي له أحد » . والخسف : النقيصة ، والرمة ، بضم الراء وتكسر : قطعة من حبل ، والشج : الكسر والدق .

(٥) الأبيـات في « الأغاني » ٢٣/٥٥٥ ، و « شعراء النصرانية » : ٣٤٠ من قصيدة يهجو بها عمرو بن هند .

فلَتَترُكَنهمُ بلَيلٍ ناقتي   تَذَرُ السِّماكَ وَتهتَدي بالفَرْقَدِ [١]

لِبلادِ قومٍ لا يُرامُ هَديُّهمْ   وَهَديُّ قومٍ آخرينَ هُوَ الرَّدي [٢]

الهدي : الجار . يعرِّض بعمرو بن هند ، وطرفة بن العبد .

وقال الحارث : [٣]

قالتْ سُلَيْمى قد غَنيتَ فتىً   فاليَوْمَ لا تُصْمي وَلا تُنْمي [٤]

المَوْتَ تَخْشى أنْ تُوافِقَهُ   وَالموْتُ يُدْرِكُ آبدَ العُصْمِ [٥]

قوِّضْ خِيامَكَ والتَمِسْ بَلَداً   يَنْأى عَنِ الغاشيْكَ بالظُّلْمِ [٦]

وقال آخر :

وكلُّ البلادِ بلادُ الفَتى   وَما بَيْنَهُ وبلادٍ نَسَبْ

---

(١) في « الأغاني » : السماك يمان ، والفرقد شامي .

(٢) في « الأغاني » : الهدي : الجار هنا ، والهدي أيضاً : الأسير ، يقول : إن جار غسان لا يضام ، ولا يرام بسوء .

(٣) هو الحارث بن وعلة بن عبد الله من بني جرم بن ربّان ، شاعر جاهلي ترجمته في « السمط » ٥٨٥ و « الأغاني » ٢٢/٢٢١ ، والأبيات وردت في « الاختيارين » ١١٧ ضمن قصيدة مطلعها :

لِمَنِ الديارُ بشطِّ ذي الرَّخم   فمدافِعِ التِّربَاعِ فالرُّخم

(٤) في « اللسان » : الاصماء : أن تقتل الصيد مكانه ، ومعناه : سرعة إزهاق الروح ، من قولهم للمسرع : َصمَيان ، والانماء : أن تصيب إصابة غير قاتلة في الحال .

(٥) العصم جمع : أعصم ، وهو من الظباء والوعول ، مافي ذراعيه أو في أحدهما بياض ، وسائره أسود أو أحمر .

(٦) في « الاختيارين » : قوض خباءك فالتمس . . تنأى . .

إذا بَلَدٌ بكَ يَوْماً نَبا فلا تَخْلُدَنَّ به واغْتَرِبْ

وقال زياد بن منقذ بن عمرو بن عبد الله [1] :

لاحبَّذا أنتِ يا صَنْعاءُ مِنْ بلَدٍ ولا شَعُوبُ هوىً مِنَّا ولا نُقُمُ [2]

ولا أُحِبُّ بلاداً قد رَأَيْتُ بها عَنْساً وَلا بلَداً حَلَّتْ بهِ قُدُمُ

شَعُوب ونُقُم ، وعَنْسٌ وقُدُم : قبائـل من اليمن ، ومن عنس عَمّارُ بن ياسر رضي الله عنه ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يَشْهَدْ أحدٌ من المسلمين بدراً أبواه مؤمنان غيرُه . ومنهم [3] ، الأسود العنسي الكذّاب الذي ادَّعى النُّبُوَّة .

إذا سَقى اللهُ أرْضاً صَوْبَ غادِيةٍ فلا سَقَاهُنَّ إلاَّ النَّارَ تَضْطَرِمُ [4]

---

(١) في « المؤتلف والمختلف » : المرّار بن منقذ بن عمرو بن عبد الله بن عامر بن يثربيّ بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، قال البغدادي في « خزانة الأدب » ٢/٣٩٥ : واسم المرارهذا : زياد بن منقذ ، قاله الحصري في « زهر الآداب » . وقد اضطرب الرواة فيمن تنسب اليه هـــذه الأبيات ، انظر « السمط » : ٧٠ .

(٢) الأبيات في «الحماسة» بشرح المرزوقي : ١٣٨٩ ، وشرح الشواهد «للعيني»: ٢٥٧/١ ، وشرح شواهـد « المغني » للسيوطي : ٤٩ ، وفي « معجم البلدان » : صنعاء . وكان زياد بن منقذ العدوي نزل صنعاء فاستوبأها ، وكان منزله بنجد في وادي أُشي، فقال يتشوق ، ثم ذكر بعض الأبيات . قال المرزوقي : شعوب ونقُم : موضعان باليمن.

(٣) أي : من قبيلة عنس .

(٤) الغادية : السحابة التي تغدو نهاراً . و « تضطرم » في موضع الحال للنار .

وَحَبَّذا حِينَ تُمْسي الرِّيحُ بارِدَةً وَادي أُشَيٍّ وفِتْيانٌ بهِ هُضُمُ (١)

وادي أُشَيٍّ : بالمدينة .

المُوسِعُونَ إذا ما جَرَّ غَيْرُهُمُ على العَشيرَةِ وَالكافُونَ ماجَرَمُوا (٢)

والمُطْعِمُونَ إذا هَبَّتْ شَآمِيَةً وَباكَرَ الحَيَّ مِنْ صُرَّادِها صِرَمُ (٣)

هُمُ البُحُورُ عَطاءً حِينَ تَسْأَلُهُم وَفي اللِّقاءِ إذا تَلْقَى بِهِمْ بُهَمُ (٤)

وَهُمْ إذا الخَيْلُ حالُوا في كَواثِبِها فَوارِسُ الخَيْلِ لا مِيلٌ ولا قَزَمُ (٥)

---

(١) أشي ، بضم الهمزة ، وفتح الشين المعجمة ، وتشديد الياء : موضع بناحية اليمامة . والهضم : جمع هضوم ، وهو المنفق لماله .

(٢) في « الحماسة » و« معجم البلدان» : الواسعون . قال المرزوقي : الواسعون: مأخوذ من الوسع ، وهو الطاقـة ، ويقال : لا يسعك كذا ، أي : لست منه في سعة .

(٣) قال المرزوقي : وقوله : « والمطعمون » حذف مفعوله ، وانما يصفهم بأنهم يقيمون القرى للأضياف إذا هبَّت الريح شمالاً وغادى الحيَّ السحائب الباردة طوائف وفرقاً .

(٤) البهم : جمع بهمة ، وهو الشجاع الذي لايدرى كيف يؤتى له ، لاستبهام شأنه وتناهي شجاعته .

(٥) الكاثبة : قدام المنسج من الدابة ، وهي أعلى الظهر منها ، والميل : جمع أميل ، وهو الذي يذود عن وجه الكتيبة عند الطعان ، ويقال : حال في ظهر دابته : إذا ركبها .

لم أَلْقَ بَعْدَهُمُ حَيّاً فأَخْبِرَهُمْ ... إِلّا يَزِيدُهُمُ حُبّاً إِليَّ هُمُ

وقال المتنبي :

شَرُّ البلادِ بلادٌ لا صَديقَ بهـا ... وَشَرُّ ما يَكْسِبُ الإِنسانُ ما يَصِمُ [١]

وَشَــرُّ ما قَنَصَتْهُ رَاحتي قَنَصٌ ... شُهْبُ البُزاةِ سَواءٌ فيه والرَّخَمُ [٢]

وقال أيضاً :

بلادٌ إذا زارَ الحِسانَ بغَيْرِها ... حَصا أَرْضِهـا ثَقَّبْنَهُ لِلْمَخانِقِ [٣]

وَما بَلَدُ الإِنسانِ غَيْرُ المُوافِقِ ... وَلا أَهْلُهُ الأَدْنَوْنَ غيرُ الأَصادِقِ [٤]

وقال أبو العلاء بن سليمان المعري :

تَذَكَّرْتُ مِنْ ماءِ العَواصِمِ شَرْبَةً ... وَزُرْقُ العَوالي دُونَ زُرْقِ جِمامِهِ [٥]

---

(١) ديوانه : ٣/٣٧٣ من قصيدته التي يعاتب بها سيف الدولة . ويصم : يعيب .

(٢) الرخم : جمع رخمة ، وهو طائر أبقع يشبه النسر في الخلقة .

(٣) ديوانه : ٢/٣١٨ ، وفيه : « ثقبنه بالمخانق » والمخانق : العقود ، واحدها : مخنق ، يقول : إذا حمل حصى هذه الأرض إلى النساء الحسان بأرض غيرهـا ، ثقبنه لمخانقهن ، لحسنه ونفاسته .

(٤) الأصادق : جمع صديق ، وهم الذين يصدقون الود ، والأدنون : الأقربون.

(٥) «شروح سقط الزند» ٢/٤٩٥ ، وفيه : « تذكرن » وهو من قصيدة مطلعها :

يرومك والجوزاء دون مرامه ... عدو يعيب البدر عند تمامه

قال البطليوسي : العواصم : موضع بناحية حلب ، والعوالي : صدور الرماح ـ

وَكمْ بينَ رِيفِ الشَّامِ والكَرْخِ مَنْهَلٌ … مَوَارِدُهُ مَمْزوجَـةٌ بِسِمامِهِ [١]

يَمُرُّ به رَأْدُ الضُّحى مُتَنَـكِّراً … مَخافةَ أَنْ يَغْتالَـهُ بقَتَامِـهِ [٢]

بِلادٌ يَضِلُّ النَّجْمُ فيها سَبيلَهُ … وَيَثْني دُجاها طَيْفَها عن لِمامِهِ [٣]

وقال المتنبي :

إِذا صَديقٌ نَـكِرْتُ جانِبَهُ … لَمْ تُعيِني في فِراقِـهِ الحِيَلُ [٤]

ـــ وأعاليها ، والزرق من الأسنة : الصقيلة ، والزرق من المياه : الصافية ، يقال : نطفة زرقاء ، والجمام : مااجتمع من الماء ، واحدتها : جمَّة .

(١) الريف : ساحل البحر ، والمنهل : مورد الماء . قال البطليوسي : وجعله ممزوجاً بالسم ، لأنه في فلاة مخوفة ، فمن حاول وروده فقد تعرض للهلاك ، والناس يتحامونه لذلك . وبعد البيت :

كأنَّ الصَّبا فيه تراقِبُ كامناً … يسودُ إليها من خلال إكامه

(٢) رأد الضحى : أوله ، والقتام : الغبار ، ويغتاله : يذهب به ويهلكه . قال البطليوسي : أراد أنه مكان مخوف يهابه كل من يمر به ، وأن الغبار يكثر فيه حتى تظلم أقطاره ، فاذا اجتازت عليه الشمس خافت أن يطمس سناها ، وإذا مرَّت به الصَّبا خشيت أن يصدها عن مجراها .

(٣) يقول : لشدة ظلمتها لايهتدي فيها النجم ، والطيف لا يقدر على الزيارة فيها . واللمام : الزيارة الخفيفة .

(٤) ديوانه : ٢١١/٣ من قصيدة يمدح بها بدر بن عمار ، ونكرت وأنكرت : لغتان . وعييت بأمري : إذا لم أهتد إليه ، وأعياني هو .

فِي سَعَةِ الخَافِقَيْنِ مُضْطَرَبٌ وَفِي بِلادٍ مِنْ أُخْتِهَا بَدَلُ [(١)]

وقال مهيار :

فما ليَ أقْمَحُ مِلْحَ المِيَاهِ إذا كُنْتُ أَشْرَبُ مِنْ أَدْمُعِي [(٢)]

وَيَرْتَاحُ وَجْهِي لِبَرْدِ النَّسِيمِ وَنَارُ الخَصَاصَةِ فِي أَضْلُعِي

وَهَلْ قَابِلِي بَلَدٌ أَنْ أُقِيمَ وَقَدْ خُطَّ فِي غَيْرِهِ مَضْجَعِي [(٣)]

وقال أيضاً :

لِلّهِ مُرٌّ الإِبَاءِ أَعْوَزَهُ مِنْ جَانِبِ الذُّلِّ عِزَّةٌ فَنَبَا [(٤)]

وَمَا مُقَامُ الكَرِيمِ فِي بَلَدٍ يُنْفِقُ فِيهِ الحَيَاءَ وَالأَدَبَا ؟!

وقلت :

سِرْ عَنْ بِلادِهِمُ فَقَدْ سَئِمَتْ بِهَا عِيْسِي مُحُولَ مُعَرَّسِي وَمُنَاخِي [(٥)]

---

(١) الخافقين : الشرق والغرب ، لأن الريح تخفق فيهما . والمضطرب : موضع الاضطراب ، والذهاب والمجيء .

(٢) ديوانه : ٢/٢٤٤ من قصيدة مطلعها :

نشدتُكِ يابانةَ الأجــرع متى رفــع الحيُّ من لعلع

وأقمح : أرفع رأسي استكراها للشرب .

(٣) في الديوان : « . . . . إذا خُطَّ في غيره مصرعي » .

(٤) لم يردا في الديوان .

(٥) ديوانه : ٢٣٣ . المحول : المكان الجدب ، ومعرسي : من عرّس القوم : إذا نزلوا في آخر الليل للاستراحة .

وَدَعِ الأَمانِيَ ، إِنَّها غَرّارَةٌ   وَوُعُودُها لِلرّاغِبِينَ أَواخِ [(١)]

ما عِنْدَها لِلْواثِقِينَ بِنَيْلِها   إِلّا المِطالَ بِمَوْعِدٍ مُتَراخِ [(٢)]

وقال البُسْتي :

ذَرْني أَسِرْ في البِلادِ مُبْتَغِياً   فَضْلَ ثَراءٍ إِنْ لم يَفِرْ زانا

فَبَيْذَقُ النَّطْعِ وهْوَ أَحْقَرُ ما   فيه إذا سارَ صارَ فِرْزانا [(٣)]

وقال أعرابي :

رَمى الفَقْرُ بالفِتْيانِ حتى كأَنَّهُم   بأَطْرافِ آفاقِ البِلادِ نُجُومُ [(٤)]

وإِنَّ امْرَءاً لَمْ يُقْفِرِ العامَ بَيْتُهُ   وَلَمْ يَتَخَدَّدْ لَحْمُهُ لَلَئِيمُ [(٥)]

وقلت من قصيدة :

أَظَنَّ العِدى أَنَّ ارْتِحالِيَ ضائِري؟!   ضَلالاً لِما ظَنُّوا ، وَهلْ يَكْسُدُ التِّبْرُ؟

---

(١) في الديوان : « . . . ووعودها للطامعين أواخي » .

(٢) رواية البيت في الديوان :

« ما عِنْدَها للوارِدِين سَرابَها   غَيْرُ المِطالِ بِمَوْعِدٍ متراخي »

(٣) البيذق ، بفتح الباء وسكون الياء وفتح الذال ، ويجمع أيضاً بياذقة ، وهم الرجالة في الحرب ، ومنه بيذق الشطرنج ، والفرزان : هو الملك في اصطلاح الشطرنج .

(٤) البيتان في « الوحشيات » ٤٠ وفيه « بأقطار آفاق » .

(٥) في « الوحشيات » : « وإن امرءاً لم يفقرِ العامَ نبتَه » . قال الأستاذ محمود شاكر : وأفقر نبته : أعاره لمن ينتفع به أو أمكنه منه .

وما زَادَني بُعْدي سِوى بُعْدِ هِمَّةٍ كما زادَ نُوراً في تَباعُدِهِ البَدْرُ
وَهلْ في ارْتحالي عن بلادٍ تَنكَّرتْ لِمثْلي أوْ للسَّاكِنِينَ بها فَخْرُ
وإنَّ بلاداً ضاقَ عَني فَضاؤُها لأَرْحَبُ مِنْ أَكْنافِها للعُلى فِتْرُ
وأرضاً نَبَتْ لي وَهي آهِلَةُ الرُّبى هي القَفْرُ لا بل دُونَ وَحْشَتِها القَفْرُ
وهل يُنْكِرُ الأعداءُ فَضْلي وإنَّهُ لأَسْيَرُ ذِكْراً أن يُوارِيَه الكُفْرُ
أَلستُ الذي ما زالَ كَهْلاً ويافِعاً لهُ المَكرُماتُ الغُرُّ والنَّائِلُ الغَمْرُ
وخائضَ وَقْعاتٍ بَوارِقُها الظُّبى ووابِلُ هاتيكَ البُرُوقِ دمٌ هَمْرُ
يَهُولُ الرَّدى مِني تَقَحُّمِيَ الرَّدى ويَعْتادُه من جاشيَ الرابطِ الذُّعْرُ

وقال آخر :

بلادٌ جفاني النَّاصِحونَ وَملَّني صَديقي ولَمْ يَحْفِلْ بذلك عُوَّدي
ولكنْ بلادٌ لو مَرِضْتُ لعادَني أَوانِسُ يَكْحُلْنَ العُيُونَ بإِثْمِدِ
أوانِسُ يَشْفِينَ السَّقيمَ مَلاحَةً وحُسْنَ حديثٍ كالجُمانِ المُنَضَّدِ
ولله قومٌ لم أُفارِقْهُمُ قِلًى كِرامٌ أُولُو عِزٍّ وفخرٍ وسُؤْدَدِ

قال أبو عبد الله إبراهيم نِفْطَويه : أنشدَنا أحمد بن يحيى النَّحوي لِرَجُلٍ من العرب كانَ أبوه يمنعُهُ الاضطِرابَ في المعيشة شفقةً عليه :

أَلا خَلِّني أَذْهَبْ لشأْني ولا أَكنْ على النَّاس كَلاًّ إنَّ ذاكَ شديدُ [1]

---

(١) الأبيات مع الخبر في « الأمالي » ٢/١٣٦ ، بزيادة بيت في آخرها .

أرى الضَّرْبَ في البُلْدان يُغْني مَعاشِراً ولم أرَ مَنْ أجدى عليه قُعُودُ
أَتَمْنَعني خَوْفَ المنايا ولم أكُنْ لِأَهْرُبَ مِمَّا ليس منه مَحِيدُ
فدعني أُجوِلْ في البلادِ لعلَّني أُسَرُّ صَديقاً أو يُساءُ حَسُودُ
فلو كُنْتُ ذا مالٍ لَقُرِّبَ مَجْلِسي وقيلَ إذا أخطأْتُ أنتَ سديدُ

وقال آخر :

سُقِيَتْ أيافِثُ مِنْ بلادِ صَوْبَ الرَّوائِحِ والغوادي
كم قد تَرَوَّتْ هامتي فيها وعُوِّلَ من وِسادي
دَعني لِسُبْلِ غِوايتي وَالْزَمْ سَبيلَكَ للرَّشادِ

مرَّت بي هذه الأبيات في خبر أنا مُورِدُه ، لاستغرابي إياه ، وإن لم يَكُنْ مما يقْتَضيه التأليف ، والعُهْدَةُ فيه على من رواه .

وَهو عن ابنِ الكلبي ، عن أبيه ، عن أشياخٍ مِنْ أهلِ ذِمار ، مِنْ أهل اليمن : أنَّه سَمِعَهُم يُخبرون عن رجل من حِمْير ، مِن ذي الكُلاع ، وكان رَجُلا جَلْداً شُجاعاً ، يركَبُ الأهوالَ ، ويتَفَرَّدُ في الأسْفار ، يقال له : تحياوة بن عميْر . قال : خرجتُ أريد حضرَمَوت ، فبت في بعض المفاوز بقُراب روضةٍ غنَّاء ، في ليلةٍ مقمرة ، نِمتُ أوَّل اللَّيل ، ثم أيقظني حِسٌّ ، فانتبهتُ فاذا فِتيانٌ قريب مني ، قد جَلَسوا على شراب لهم ، فأنكرتُ ذلك في نفسي ، وقلتُ : والله ما يَقْرُبُ من هذا الموضع ، قرية ،

ولا ماءٌ ، ولا حِلّة[١] ، فما هؤلاء ؟! ثم نمت ، فأقبل واحدٌ منهم ، فحرَّكني برجلِهِ فأَنبَهَني ، فقلتُ : ما تشاء ؟ فقال : إنَّكَ قد نزلتَ بنا ، ووجب علينا ذِمامُك ، فقُمْ بنا تُصِبْ مِنْ طعامِنا وشرابنا . فقلت : أمَّا الطعام ، فلا حاجة لي به . قال : فقُمْ إلى الشَّرابِ إذاً ، فقمتُ ، فاستوثقتُ من عِقال جملي ، وأَخذتُ سيفي ، ومضَيْتُ معهُ ، فإذا فتيانٌ تِسْعَةٌ كأَنَّهم الأَقمار ، فحيُّوا فرحَّبوا ، فإذا بينَ أيديهم جَفْنَةٌ فيها شرابٌ كدم الخِشْفِ ، تسْطَعُ منه رائحة المِسْك ، فتناول فتىً منهم قَعْباً ، فاغترَفَ من الجفنة ، فعَبَّ فيه حتى أتى على آخره ، ثم قام فأدارَ على القوم حتى صار إليَّ ، فناولني القَعْبَ فعببتُ فيه ، ثم رددْتُ إليه بَعْضَه ، فقال : اشرَبْ ، فشَربتُ حتى أتيتُ على آخره ، ثم قالوا للَّذي سَقاهم : تغنَّ يا تحيّ ، فرفع عقيرَته وهو يقول :

ألا يا وادِيَ العَلَجانِ أَبْشِرْ ... ببارِقَةٍ على وادي الغُمَيْمِ
لعَلَّ مَصابَها يُدْني نَوانا ... على عُدَوائِهِ لِنَوى رُمَيْمِ

فشدا واللهِ شَدْواً ما سمعتُ مثلَهُ حسناً ، ولا صواباً ، فقلت له : يا أخي مَنْ يقولُ هذا الشِّعر ؟ فقال : أنا واللهِ قلتُه على لسان جذيمة المصطَلِق الذي منهم جُوَيْرِية بنتُ الحارث زَوْجُ النبي صلى الله عليه وسلَّم ، فاستَوحَشْتُ من قولِهِ ، ثم قالوا لآخر : قم يا مِسْعَر . فقامَ ، ففعل كفِعْلِ

---

(١) الحِلّة : القوم النزول ، اسم جمع ، أو جماعة بيوت الناس لأنها تحل .

الأوَّل حتى سَقى القومَ ، ثم قالوا له : تغنَّ ، فقال :

تألَّقَ والدُّجى مُلقي الجرانِ ... بُرَيْقٌ بينَ صاحَـة فالعرانِ

كأنَّ وَميضَهُ لمعانُ كَفٍّ ... مخاطبةٍ على هَوْلِ الجنـانِ

فكان غناؤه كغناء صاحبِه وأحسَن . فقلتُ : من يقول هذا يا أخي؟

فقال : أنا والله قلته على لسان عَلَس ذي جَـدَن ، ثم قالوا لآخر : قم

يا مَقْروم ، فقام ففعل كفعل أصحابه ، ثم قالوا له : غنِّنا ، فقال :

أبْرَزَتْ مِنْ خلل البُرْ ... دِ بَناناً كاللُّجَيْنِ

وَرَنتْ والعَـينُ تذْري ... كالئاً ترْنُو بعَـينِ

ثمَّ قالتْ لِفُتَيَّـا ... تٍ كآرام الرُّهَينِ

إنَّمـا يُستَمْطَرُ الجو ... دُ بكَفَّيْ ذي رُعَـينِ

فقلتُ لهُ : مَنْ يقولُ هذا يا أخي ؟ قال : أنا والله قلْتُـه على لسانِ

رَوْضة قَيْنَةِ ذي رُعين ، فقالوا له : زِدْنا ، وما استزادوا غيره فقال :

سَفَرَتْ عن مِثْلِ قَرْنِ الشْ ... شَمْس في الليل البَهيمِ

في جَوارٍ قد سَلَبْنَ الْ ... لحْظَ أطـلاءَ الصَّريمِ

ثم قالوا لآخر : قُمْ يا دلهم ، ففعل كفعل أصحابه ، ثم تغنى :

طَيْفٌ تأوَّبَ مِنْ سُعادِ ... حـتى اجتنَى ثَمَرَ الفُؤادِ

ولبئسما متبـدَّلٌ ... طَيفُ السُّهادِ منَ الرُّقادِ

فقلتُ : مَنْ يقولُ هـذا ياأخي ؟ قال : أنا والله قلتُـه على لسانِ نظام قينة ياسرِ المُنْعِم . ثم قالوا : قُم يا مَلْدَم ، فقامَ ففعلَ كَفِعل أصحابه ثم تغنّى :

نَذَرَتْ حُماتُكَ يا إمـا ... مُ دَمي وَدُونَ مرامِـهِ

دُهْمٌ تُفضُّ جَماجِمُ الـ ... أقوامِ تحتَ قتامِـهِ

إنْ يَحْجُبُوكِ تُرِزهُ طَيْفَـكِ طارِقاتُ مَنامِـهِ

فاستخفَّهم الطَّرَب ، فقاموا يُصارِعُ بعضهم بعضاً ، ثم عـادوا إلى مجلسِهم ، ثم قالوا : قم ياعرقال . قال : فقام ففعل كفعل أصحابـهِ ، ثم تغنّى :

ضَنَّتْ بِرَجْع سَلامِها هِنْـدُ ... أهوَ الدَّلالُ بهـا أم الصَّدُّ

إنْ لم يَـكُنْ نَيْلٌ أعيشُ به ... فالوَعْدُ ليسَ يؤودكِ الوَعدُ

قال : فقام القومُ ، فجعل الرَّجُل منهم يَثِبُ ، فيجعل قدَمَيه على مَنكِبَي صاحبه ، ويثبُ الثـاني على الآخر هكذا حتى يصيروا كالنَّخْلَةِ السَّحوق ، ثم يسْقُطُ بعضهُم على بعض ، وهُمْ يتضاحكون ، ثم قالوا : قم ياعُفير ، فقام ففعل كفعل أصحابهِ ، ثم تغنّى :

سُقيتْ أيافِثُ مِنْ بلادِ ... صَوْبَ الرَّوائح والغَوادي

كَمْ قـد تَروَّتْ هامَتي ... فيهـا وعُوِّل مِنْ وِسادي

دَعني لسُبْلِ غِوايتي   والزَمْ سَبيلَكَ للرَّشادِ

ثم قالوا : قم يامعترّ ، فقام ففعل كفعل أصحابه ، ثم تغنّى :

إنَّ المُدامَـةَ غادَرَتْ   ثوبيَّ قـد ثَقُلا عليَّا

فأصِبْ بمائِكَ قلْبَها   وابعَثْ بمُهْجَتِها إليَّا

واحْيِ اللّذاذَةَ بالمُـدا   مِ وشُرْبِها ما دُمتُ حيَّا

ثم قالوا : عِمْ ظلاماً ، فما رأينا إنسيّاً أصلَبَ قلباً مِنْكَ ، وغابُوا فنِمْتُ ، فما أيقَظَني إلا حرُّ الشمس ، فقلتُ : والله لقد تلاعَبَتْ بي الجِنّان في ليلتي هذه ، وآليتُ على نفسي : لا سِرْتُ بعدها مَسيراً إلا في رِفْقةٍ .

★ ★ ★

فصل آخر
في ذكر البلاد

عن الأَصمعي [1] قال : مَرَرْت بحمى الرَّبَذَة [2] وإذا صبيان يتَقامَسونَ [3] في الماء ، وشابٌّ مَليحُ الوَجهِ ، مُلَوَّحُ الجسم [4] ، قاعِد ، فسلَّمْتُ عليه ، فردَّ السّلامَ ، وقال : مِنْ أينَ وَضَحَ [5] الراكبُ ؟ قلتُ : مِنَ الحِمى . قال : متى عَهْدُكَ بها ؟ قلتُ : رائحاً . قال : فأين كان مَبيتُكَ منها ، فقلت [6] : بأدنى هـذه المشاقر [7] ، فألقى نفسه على

---

(١) الخبر مع الأبيات في « الأغاني » : ٢/٢٣٢ ، و « الأمالي » : ١/٣٧ مع اختلاف يسير .

(٢) الربذة : قرية على ثلاثة أميال من المدينـة ، وبهـا قبر أبي ذر الغفاري رضي الله عنه .

(٣) يتقامسون : يتغاطون ، يقـال : قمسته في الماء ، ومقلته ، وغمسته ، وغططته .

(٤) يقال : لاحه الحزن والسقم ، ولوحه : إذا غيره ، من هذا قوله سبحانه : (لواحة للبشر) ، أي : مغيرة محرقة .

(٥) أي : من أين بدا وطلع .

(٦) في « الأغاني » فقلت : ببني فلان .

(٧) قال ابن دريد : المشاقر : منابت العرفج وكذلك كتب في الأصل تحت الكلمة بخط دقيق ، وقال غيره : المشاقر : الرمال واحدها مَشْقَر .

ظهره، وتنفَّس الصُّعداء. فقلت: تَفَسَّأ[1] حِجابُ قلبِهِ، ثم أنشأ يقول:

سَقى بَلَداً أمْسَتْ سُلَيْمى تَحُلُّهُ ... مِن المُزْنِ ما يَرْوى بـه ويَسِيمُ[2]

وإنْ لم أكُنْ مِنْ ساكِنيه فإنَّه ... يَحُلُّ بـه شخصٌ عَليَّ كريمُ[3]

ألا حَبَّذا مَنْ ليسَ يَعْدِلُ قُرْبَهُ ... لَدَيَّ وإنْ شَطَّ المزارُ نعيمُ

ومَنْ لامني فيه حَميمٌ وصاحِبٌ ... فرُدَّ بيأسٍ صاحِبٌ وحَميمُ[4]

ثم سكتَ سَكْتَةً كالمُغمى عليه، فصحت بالأصبية، فأتوا بماء، فصببته على وجهه، فأفاق وأنشأ يقول:

إذا الصبُّ الغَريبُ رأى خُضوعي ... وأنْفاسي تَزَيَّن بالخُشوعِ[5]

---

(١) في «الأغاني»: إنه قد خرق حجاب..، وتفسأ الثوب: تقطع وبلي.

(٢) في «الأمالي»: ما تُروي به وتسيم. قال البكري: يقال: سامت الماشيه: إذا دخل بعضها في بعض عند الرعي، وإنما يكون ذلك في الخصب وكثرة الشب، والسائمة: هي الراعية، وسام الرجل ماشيته: إذا رعاها، فهو مسيم، ولم يقولوا: سائم، خرج هذا من القياس، ويقال: أسأم: إذا كثرت سائمته، وهو الذي أراد في البيت، قلت: والأبيات الأربعة في «الحماسة البصرية»: ٢١٤.

(٣) في «الأمالي» و «الاغاني»: من قاطنيه.

(٤) في «الأغاني» و «الأمالي»: فرد بغيظ.

(٥) في «الامالي» و «الاغاني»: خشوعي.

وَلي عينٌ أَضَرَّ بهـا التفاتي   إلى الأَجْراعِ مُطْلَقَةُ الدُّموعِ [(١)]

إلى الخَلواتِ تأْنسُ فيك نفسي   كما أَنِسَ الوَحيدُ إلى الجميعِ [(٢)]

فقلتُ له : ألا أنزلُ فأساعِدَك ، أو أكُرَّ عوْدي على بدئي [إلى الحمى] في حاجةٍ إن كانت لكَ [حاجَةٌ] أو رسالة ؟ قال : جُزيتَ خيراً ، وصَحِبَتْكَ السَّلامَة ، إمضِ لِطِيَّتِك فلو عَلِمْتُ أنَّك تُغْني عنّي شيئاً ، لكنتَ مَوْضعَ الرَّغْبة ، وحقيقاً بإسعافِ المسألةِ ، ولكنَّكَ أَدْرَكْتني في صُبـابَةٍ مِن الحياة . قال : فانصرفتُ ولا أَراهُ أمسى إلا ميّتاً .

وقال نبهان بن عَكِّيٍّ العَبْشَمي :

يُقِرُّ بعَيْني أنْ أرى مِنْ بلادِها   ذُرى عَقِدَاتِ الأَبْرَقِ المُتقاوِدِ [(٣)]

---

(١) في « الأغاني » و « الأمالي » : إلى الأجزاع مطلقة الدموع .

(٢) في « الاغاني » : يأنس فيك قلبي .

(٣) الأبيات في « الكامل » : ٤٨/١ ، و « الأمالي » : ٦٣/١ ، و « زهر الآداب » : ٩٤٠/٢ ، وفيه : وأنشد الزبير بن بكار لحليمة الخفرية ، وقد أنشدها المبرد لنبهان العبشمي ، وهو أشبه . وقوله : يقر بعيني ، قال المبرد : يريد يُقر عيني ، ثم أتى بالباء توكيداً . ويقال : أقر الله عينه يقرها ، وقرت عينه تقرُّ . والذرى : جمع ذروة ، وهي من كل شيء أعلاه ، والعقدات : ما انعقد وصلب من الرمل ، الواحدة : عَقِدَة ، والجمع عَقِدٌ وأعقاد وعقدات . والأبرق : حجارة يخلطها رمل وطين ، والمتقاود : يريد المنقاد المستقيم .

وأنْ أرِدَ الماءَ الذي وَرَدَتْ بهِ سُلَيْمى وَقدمَلَّ السُّرى كلُّ واحِدِ [١]
وأُلْصِقُ أحشائي ببَرْدِ تُرابهِ وَلو كانَ مَخْلوطاً بِسُمِّ الأَساوِدِ [٢]

وقال آخر :

يُقِرُّ بعَيْني أنْ أرى مِنْ بلادِها دِماجاً وأنْ تَبدُو لعَيْني الأَجارِعُ
بلاداً حَماها الخوْفُ عنّيَ والعِدى وَحَرْبُ ذوي القُرْبى فما أنا صانِعُ

وقال عبد الله بن الدُّمَيْنَة الخثعمي :

أفي كلِّ يَوْمٍ أنتَ رامٍ بلادَها بعَيْنَيْنِ إنْسانا هُما غَرِقانِ [٣]
إذا اغْرَوْرَقتْ عَيناي قالَ صحابَتي لقَد أُولِعتْ عَيناكَ بالهَمَلانِ

عن حفص بن الأروع ، قال : رأيتُ صَبِيَّةً في بلادِ طَيىء ، فقلتُ لها : أيُّ البلادِ أَحبُّ إليْكِ ؟ فقالت :

---

(١) قال المبرد : الذي رويت : وقد مل السُّرى كل واحد ، وهو المنفرد في السير المتوحّد به ، وروى غيره : كل واجد ، أي: عاشق ، ورُوي أيضاً : كل واخد ، وهو من الوخد والوخدان : وهو السير الشديد .

(٢) قال البكري : قوله : وألصق أحشائي ببرد ترابه . هذا مذهب لكثير من الشعراء الاستشفاء بالملامسة وإلصاق الأحشاء بمواطن الأحبة .

(٣) ديوانه : ٣١ من قصيدة مطلعها :

خليلي إني قد أرقتُ وغمتما فهل أنتما بالعيس مدّلجان

أَحَبُّ بلادِ اللهِ ما بَينَ مَنْعِجٍ إليَّ وَسَلْمَى أنْ يَصُوبَ سَحابُها [١]

بلادٌ بهـا نِيطَتْ عليَّ تَمائِمي وَأوَّلُ أرضٍ مَسَّ جِلْدي تُرابُها [٢]

وقال التهامي :

إذا اشْتَدَّ شَوقي قُلتُ قَولَ مُتَيَّمٍ لِيَومِ النَّوى في القَلبِ منه كُلُومُ [٣]

فإنْ تَـكُنِ الأيامُ فرَّقْنَ بَيْنَنَـا فَمن ذا الذي مِنْ رَيْبِهِنَّ سَليمُ

وَأنشَدتُ شِعراً قالَهُ ذو صَبابَةٍ كَئيبٍ شَجَتْهُ أرْبُعٌ وَرُسُومُ

(سَقى بَلَداً أَمسَتْ سُلَيمى تَحُلُّهُ مِنَ المُزْنِ ما يُرْوَى به ويُسِيمُ [٤]

---

(١) البيتان في « الأمالي » : ١/٨٣ ، و « الـكامل » : ٢/٦٦١ ، و « زهر الآداب » : ٢/٦٨٢ . وفي الـكامل : « ما بين مشرف » . قال البكري : وتقدير الكلام في هـذين البيتين : أحبُّ صوب سحاب بلاد الله إليَّ سحاب بلاد بهـا عق الشباب تمـائمي ما بين سلمى ومنعج ، يريد : وسط سلمى ومنعج ، «فأحب» : ابتداء و « أن يصوب » بدل منه ، و « ما بين » ظرف ، و « بلاد » خـبر الابتداء . ومنعج في الأصل بفتح العين ، وفي « معجم ما استعجم » بكسرها ، وهو واد .

(٢) في « الأمالي » : « بلاد بها حل الشباب » ، وفي « الـكامل »: « بلاد بها عقَّ الشباب » ونيطت ، أي : علقت ، والتمائم : واحدتها تميمة ، وهي خرزات كان الأعراب في الجاهلية يعلقونها على أولادهم ينفون بها النفس والعين بزعمهم ، فأبطله الاسلام .

(٣) الأبيات ليست في ديوانه المطبوع .

(٤) البيتان مضمنان ، وقد تقدما ص ٢٤٤ في جملة أبيات .

وَإِنْ لم أَكُنْ مِنْ سَاكِنيهِ فإِنَّهُ يَحُلُّ بهِ شَخْصٌ عَليَّ كَرِيمُ)

وقال قيس بن ذريح :

وما مِنْ حَبيبٍ آمِنٍ لحبيبِهِ وَلا ذي هَوىً إِلّا لهُ الدَّهرُ فاجِعُ [١]

كأَنَّ بلادَ الله ما لم تَكُنْ بِهــا ـ وإِنْ كانَ فيها الخَلْقُ ـ قَفْرٌ بلاقِعُ [٢]

وما كلُّ ما مَنَّتْكَ نَفْسُكَ خالِياً تُلاقي، ولا كلُّ الهوى لستَ تابِعُ [٣]

وَلولا رَجاءُ القَلْبِ أَن تُسْعِفَ النَّوى لمــا حَمَلَتْهُ بَيْنَهُنَّ الأَضالِعُ [٤]

أُقَضِّي نَهــاري بالحديثِ وَبالمُنى وَيَجْمَعُني وَالهَمَّ واللَّيلَ جامِعُ [٥]

وقال القاضي أبو الفرج سلامة بن بحر ، وتُروى للقــاضي النعمان المصري :

---

(١) الأبيات في ديوانه : ١٠٣ ، وانظر تخريجهـا هناك . وفيه : « وما من حبيب وامق » وفي « الأغاني » : فليس محب دائماً لحبيبه ولا ثقة إلا . . . وروايته عند ثعلب :

فمـــا من حبيب دائم لحبيبه ولا صاحب إلا به الدهر فاجع

(٢) في التجريد : « الناس وحش بلاقع » وفي « الحماسة البصرية » : « وإن حل فيها الخلق وحشاً بلاقع » . وبلاقع : جمع بلقع ، وهي الأرض القفر .

(٣) في الديوان : « . . . ولا كل الهوى أنت تابع » .

(٤) في الديوان : « ولولا رجاء القلب أن تعطف النوى » وفي « التجريد » : « لما حبسته بينهن » .

(٥) في الديوان : « ويجمعني بالليل والهمّ جامع » .

نَوْحُ حَمَـامٍ بِيَثْرِبٍ غَرِدٍ   هَيَّجَ شَوْقِي وَزادَ في كَمَدي

واكَبدي مِنْ فِراقِهِم وكذا   مَنْ ذاقَ ما ذُقْتُ صاحَ واكَبدي

فارَقْتُ إلْفِي فصارَ في بلَدٍ   بالرَّغمِ مِني وصِرْتُ في بَلَدِ

وقال آخر :

وأنتِ التي حَبَّبْتِ شَغْبَى إلى بَداً   إليَّ وَأوطانِي بلادٌ سِواهُما [1]

حَلَلْتُ بهـذا مَرَّةً ثُمَّ مَرَّةً   بهذا فطابَ الوادِيانِ كِلاهُما [2]

* * *

(١) البيتان في « معجم البلدان » : (بدا ، وشغبى) لكثير عزة . وبدا : واد قرب أيلة من ساحل البحر ، وقيل : بوادي القرى ، وقيل : بوادي عذرة قرب الشام ، قاله ياقوت . وقال البكري : بدا : موضع بـين طريق مصر والشـام ، ثم أنشد البيت . وشغبى : موضع في بلاد بني عذرة .

(٢) رواية البيت في « معجم البلدان » (شغبى) :

حللت بهذا حَلَّةً ثم حلّةً   بهـذا فطاب الواديان كلاهما

فصـــل
في ذكر الـدار

رُوي عن يزيد بن الأَصمِّ أنَّ الأنصار رضي الله عنهم قالوا : يا رسول الله اِقسِم بيننا وبينَ إخوانِنا مِن المُهاجرين رضي الله عنهم الأَرض نصفين . قال صلى الله عليه وسلم : « لا ، ولكنكم تكفُونَهم المؤونة ، وتقاسِمونهم الثَّمَرَة ، والأَرض أرضكم » قالوا : رضينـا ، فأنزل الله عز وجل (والذين تَبوَّءُوا الدَّارَ والإيمـانَ مِنْ قَبلِهِم يُحِبُّونَ مَنْ هاجَرَ إليْهِمْ وَلا يَجِدُونَ في صُدُورِهِمْ حاجَةً مِمَّا أُوتوا وَيُؤْثِرُونَ على أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ) [1] . [الحشر : ٩]

وقوله تبارك وتعالى : (لَهمْ دَارُ السَّلامِ عِنْدَ رَبِّهِم) [الأنعام : ١٢٧] .

---

(١) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » ٦/١٩٥ ، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر . ويزيد بن الأصم : هو عمرو بن عبيد بن معاوية البكائي ، كوفي تابعي ثقة ، وهو ابن أخت ميمونة أم المؤمنين ، مات سنة ثلاث ومائة .

وروى البخـاري في « صحيحه » ٥/٦ ، ٧/٨٧ بشرح « الفتح » عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قالت الأنصار للنبي صلى الله عليه وسـلم : اقسم بيننا وبين اخوانـا النخيل ، قال : « لا » فقالوا : تكفونا المؤنة ، ونشركم في الثمرة ، قالوا : سمعنا وأطعنا .

هي الجنة . وفي تسميتها دار السلام ، وجهان ، أحدُها : لأنَّها دَارُ السَّلاَمَة الدَّائمة مِنْ كلِّ آفة .

والثاني : السلام : هو الله سبحانه ، والجنة دَارُه . وفي قوله تعالى : (عند ربهم) ، وجهـان ، أحَدُهما : يعني أنَّ دارَ السَّلام عندَ رَبِّهِم في الآخِرَةِ ، لأنَّها أخصُّ به .

والثاني : معناه : أن لهم عِنْدَ رِبِّهِم أَنْ يُنْزِلَهُم دارَ السَّلامِ . وكذلك جاء في قوله تعالى : (والله يدعوا إلى دَارِ السَّلام) . [يونس : ٢٥]

وقوله عز وجـل : (وَلَدارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دارُ المتَّقِين) . [النحل : ٣٠] . قيل فيه : إنَّ الآخرة خيرٌ مِنَ الدُّنيا ، لِفَنَاء الدُّنيا وبَقاء الآخرة . (ولنعم دار المتقين) قال الحسن رضي الله عنه : نِعْمَ دَارُ المتَّقين الدُّنيا ، لأنَّهم نالوا بالعمل فيها ثوابَ الآخرة ودُخولَ الجَنَّة [1] .

وقوله تبارك وتعالى إخْباراً عَنْ قارُون : (فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ) [القصص : ٨١] . قال ابنُ عباس رضي الله عنه : شَكَا مُوسىٰ عليه السلام إلى الله عزَّ وَجلَّ قارُونَ ، فأَمَرَ اللهُ تعالى الأَرْضَ أَنْ تُطيعَ مُوسى ، فلمَّا

---

(١) في القرطبي ١٠١/١٠ (ولنعم دار المتقين) فيه وجهان ، قال الحسن : المعنى : ولنعم دار المتقين الدنيا ، لأنهم نالوا بالعمل فيها ثواب الآخرة ، ودخول الجنة ، وقيل : المعنى : ولنعم دار المتقين الآخرة ، وهذا قول الجمهور .

أَقْبَلَ قارُونُ وَشِيعَتُهُ ، قال موسى : يا أَرْضُ خُذِيهم ، فأَخَذَتْهم إلى أعقابهم ، ثم قال : خذيهم ، فأخذتهم إلى أَوْساطِهِم ، ثم قال : خُذِيهم ، فأَخَذَتْهم إلى أعناقِهِم ، ثم قال : خذيهم ، فَخُسِفَ بهم وَبِدارِ قارُون وَكُنُوزِهِ .[1]

وروى يزيدُ الرَّقاشي رحمه الله : إنَّ قارُونَ لَمَّا أَخَذَتْهُ الأَرْضُ إلى عُنُقِهِ أخذَ موسى عليه السَّلام نَعْلَيْه فَخَفَقَ بهما وَجْهَهُ ، فقال قارُونُ : يا مُوسى ارحمني . فقال الله تعالى : « يا مُوسى ما أشدَّ قَلْبَكَ ! دَعاكَ عَبْدي واسترْحَمَكَ فلم تَرْحَمْهُ ! وَعِزَّتي لَوْ دَعاني لأَجَبْتُه » .

وروى سَمُرَةَ بن جندب أَنَّهُ يُخْسَفُ بقارُونَ وقومه في كلِّ يَوْمٍ قَدْرَ قامَةٍ ، لا يَبْلُغ الأَرض السُّفلى إلى يوم القيامة .

وقـال مقاتل : لما أمر موسى عليه السلام الأَرض فابتلعت قارون ، قـال بنو إسرائيل : إنَّما أَهلَكَه لِيَرِثَ مالهُ ، لأَنَّهُ كان ابنَ عمِّ موسى أخي أبيه ، فَخَسَفَ الله تعالى بداره وجميع أمواله بعدَ ثلاثة أيام .

وقوله عز وجل : (الَّذي أحلَّنا دَارَ المُقامَةِ مِنْ فَضْلِهِ) [فاطر : ٣٥] أي : دار الإِقامة، وهي الجنة .

وفي الفَرْقِ بينَ المُقامَة بالضم والفتح وجهان .

---

(١) الطبري : ١١٧/٢٠ بألفاظ مقاربة ، قال : حدثنا ابن وكيع، حدثنا أبي عن الأعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس .

أحدهما : أنها بالضم : دارُ الإقامة ، وبالفتح : موضع الإقامـة .

الثاني : أنَّها بالضم : المجْلِس الذي يُجتمَع فيـه للطعام ، وبالفتح : المجلس الذي يجتمع فيه للحديث .

وقوله تعالى : (والذين تبوءُوا الدار والإيمان من قبلهم).[الحشر : ٩] هم الأَنصار ، رضي الله عنهم ، الذين اسْتَوْطَنوا المدينةَ قَبْلَ المهاجرين إليها . قيل : إنَّهم تبوَّؤوا الدَّار مِنْ قَبْلِهم ، والإيمان مِنْ بعدِهم . وقيل : تبوؤوا الدَّار والإيمان من قبل الهجرة إليهم . (يُحِبُّونَ مَنْ هاجَرَ إليهم) بمواساتهم بأموالهم ومساكنهم (ولا يجِدُونَ في صُدُورِهم حاجة ممّا أُوتوا) أي : حَسَداً مما خُصُّوا به من مـال الفيء . (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) . [الحشر : ٩] يعني : أنَّهم يُفضِّلونَهُم ويُقَدِّمونَهُم على أنفُسِهِم ولو كانت بهم فاقة وحاجة .

وفي إيثارِهم قولان . أحدُهما : أنَّهم آثَروهم على أنفُسِهم بما حَصَلَ مِنْ فيءٍ وَغَنيمةٍ حتى قُسِمَت في المُهاجرين دُونهم . ورُوي : أن النبي صلى الله عليه وسلم : قسم للمهاجرين ما أفاء الله تعـالى من النَّضير ، وقيل : من قُرَيْظة مِنْ أموالِهم ، فقالت الأَنصار رضي الله عنهم : بل نقسم لهم مِنْ أموالنا وَنُؤثِرُهم بالفيء ، فأنزل الله عز وجل هذه الآيَة .

القول الثاني : أنَّهم آثروا المهـاجرين رضي الله عنهم بأَمْوالهم

وَواسَوْهم بها . روى ابن زيد : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للأنصار : « إنَّ إخوانَكُم قد تَركوا الأموالَ والأولادَ ، وَخرجوا إليْكُم » فقالوا : أموالُنا بَيْنَهم قَطائعُ . فقال صلى الله عليه وسلم : « أوَ غيرَ ذلك؟ » فقالوا: وما ذاكَ يا رَسولَ الله ؟ قال : « هُم قومٌ لا يَعرِفُونَ العَمَل فتَكْفُونَهم وَتُقاسِمُونَهم الثَّمرَ » - يعني : ممّا صارَ لهم مِنْ نخْلِ بني النَّضير - فقالوا : نعم يا رسولَ الله .(١)

(وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِه فأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُون) . [الحشر : ٩]

قيل : الشُّح بما في أيدي النَّاس يُحِبُّ أن يكونَ له . وقيل : مَنْعُ الزَّكاة . وقيل : هَوى النَّفس . وقيل : اكْتِسابُ الحَرام .

روى الأسود عن ابن مسعود رضي الله عنه : أنَّ رَجُلاً أتاه ، فقال : إنّي أخافُ أنْ أكونَ قد هَلَكْتُ . قال : وَما ذاكَ ؟ قال : سَمِعْتُ الله عزَّ وجل يقول : (وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نفسه فأُولئكَ هُمُ المُفْلِحُون) . وأنا رَجُلٌ شَحيحٌ لا أكادُ أُخرِجُ مِنْ يدي شيئاً . فقال ابنُ مسعود رحمه الله : ليسَ ذلك بالشُّح الذي ذكر الله تعالى في القرآن ، إنَّما الشُّحُّ الذي ذَكَرَه الله تعالى في القرآن ، أنْ تأكُلَ مال أخيكَ ظُلْماً ، ولكنَّ ذلكَ البُخْلُ ،

---

(١) الطبري : ٢٨/٤٢ .

وبئسَ الشَّيء البُخْلُ .[١] وعَنِ النَّبي ﷺ : « يا عَجباً كلَّ العَجَب مِنَ المُصدِّق بدارِ الخُلودِ وَهوَ يَعْمَلُ لدارِ الغُرور » .

عن أبي الدَّرْداء رضي الله عنه قال : « خَطَبَنا رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَ جُمعَةٍ ، فقال : أيُّها النَّاسُ تُوبُوا قبلَ أنْ تَموتوا ، وَبادِروا الأَعْمالَ[٢] الصَّالِحة قبلَ أنْ تُشْغَلُوا ، وَصِلُوا الذي بَيْنَكم وبينَ رَبِّكُم تَسْعَدوا ، وَأَكْثِروا الصَّدَقَة تُرْزَقوا ، وأْمُروا بالمعروف تُخْصِبوا ، وأنْهَوا عن المُنكر تُنْصَروا .

أيُّها النَّاسُ إنَّ أكْيَسَكُم أكثَرُكم لِلمَوْتِ ذِكرا ، وَأحْزَمَكُم أكثَرُكم[٣] لهُ استعداداً . ألا وَإنَّ مِنْ عَلاماتِ العقل ، التَّجافيَ عَنْ

---

(١) قال الهيثمي في « المجمع » ٧/١٢٣ : رواه الطبراني عن شيخه عبد الله ابن محمد بن سعيد بن أبي مريم ، وهو ضعيف . وخرجه السيوطي في « الدر المنثور » ٦/١٩٦ ، دون قوله : « ولكن ذلك البخل وبئس الشيء البخل » وزاد نسبته إلى الفريابي ، وسعيد بن منصور ، وابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه ، والبيهقي في « شعب الايمان » .

(٢) في « الأربعين الودعانية » : بالأعمال .

(٣) في « الأربعين » : أحسنكم .

دارِ الغُرور ، والإنابَةَ إلى دارِ الخُلود ، والتَّزَوُّدَ لِسُكْنى القُبور ، والتَّأهُّبَ لِيَوْمِ النُّشُور .[1]

أنشدَ عليٌّ بن محمد بن ثابت الكاتب :

الدَّارُ دَارُ مَرازِىءَ وَمَصائِبِ وَفجيعَةٍ بأَحِبَّةٍ وَحَبائِبِ

ما يَنْقَضي نَهَلٌ بفُرْقَةِ صاحِبٍ حتى أُعَلَّ بفُرْقَةٍ مِنْ صاحِبِ[2]

---

(١) هذه الخطبة في « الأربعين الودعانية » ورقة : ٩ من المخطوط الموجود في المكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم ٥٣٢ ، تأليف أبي نصر محمد بن علي بن عبيد الله بن أحمد بن صالح بن سليمان بن ودعان الموصلي قاضي الموصل ، قال الحافظ ابن حجر في « لسان الميزان » ٣٠٥/٥ : ذمه أبو طاهر السِّلفي ، وأدركه وسمع منه ، وقال : هالك متهم بالكذب ، قلت (القائل ابن حجر) : مات سنة ٤٩٤ هـ في المحرم بالموصل عقيب رجوعه من بغداد عن اثنتين وتسعين سنة . قال السلفي : تبين لي ـ حين تصفحت «الأربعين» له ـ تخليط عظيم ، يدل على كذبه وتركيبه الأسانيد ، وقال ابن ناصر : رأيته ولم أسمع منه ، لأنه كان متهماً بالكذب وكتابه في « الأربعين » سرقه من عمه أبي الفتح ، وقيل : سرقه من زيد بن رفاعة ، وحذف منه الخطبة ، وركب على كل حديث منه رجلا أو رجلين إلى شيخ ابن رفاعة ، وابن رفاعة وضعها أيضاً ، ولفق كلمات من دقائق الحكماء ، ومن قول لقمان ، وطول الأحاديث ، ثم قال الحافظ : والحاصل أنها فضيحة مفتعلة ، وكذبة مؤتفكة ، وان كان الكلام يقع فيها حسناً ، ومواعظ بليغة ، وليس لأحد أن ينسب كل مستحسن إلى الرسول عليه الصلاة والسلام ، لأن كل ماقاله الرسول حسن ، وليس كل حسن قاله الرسول .

(٢) النهل : أول الشرب ، والعلل : ثانيه .

وَإذا مَضى الأُلّافُ عنكَ لِطِيَّةٍ ۞ وَالمُؤْنِسُونَ فأَنتَ أوّلُ ذاهِبِ

خَطَبَ أميرُ المؤمنين عليُّ بنُ أبي طالب رِضوانُ الله عليه بالكوفةِ، فقال في كلام له :

سُبحانَكَ خالِقاً معبوداً بِحُسْنِ بلائِكَ في خَلْقِكَ ، خَلَقْتَ داراً ، وَجعَلْتَ ما أْدُبَةً ومَطْعَماً وَمَشْرَباً ، وأَزْواجاً وقُصوراً ، وَخَدَماً وَعُيوناً وأنهاراً ، ثم أَرْسَلْتَ داعياً إلينا ، فلا الدّاعيَ أجبنا ، ولا فيما رَغَّبْتَنا رَغِبنا ، أَقبلْنا على جيفَةٍ نأكلُ منها ، قد زادَ بعضُنا على بعضٍ حِرْصاً عليها ، وافْتَضَحْنا لما اْصطَلَحْنا على حُبِّها ، عَمِيَتْ أبصارُ صالحينا وفقهائنا فيها ، ولها مَنْ في قلْبِهِ مَرَض ، فهو ينظُر بعين غيرِ صحيحة ، ويسمَعُ بأُذْنٍ غيرِ سَميعَةٍ ، وقد مَلَكَتِ الشَّهَواتُ عَقْلَه ، وأَماتَتِ الدُّنيا قَلْبَه ، وَذَهِلَت عليها نفسُه ، فهو عبدُها وعَبدُ مَنْ في يديهِ منها شيء ، حَيْثُما زالت زالَ معها ، وحيثُما أقبَلَتْ أقبلَ إليها ، لا يَعْتَمِلُ ولا يَسْمَعُ ، ولا يَزْدَجِرُ مِنَ الله بزاجر ، ولا يَتَّعِظُ مِنَ الله بواعِظ . قد رأى المأْخُوذينَ على الغِرَّة حيثُ لا إقالة ولا رَجعَةَ كيفَ فاجَأَتْهم تلك الأُمور ، ونَزَلَ بهم ما كانُوا يُوعَدونَ ، وَفارَقوا الدُّور ، وَصاروا إلى القُبور ، وَلَقُوا دَواهيَ تلكَ الأُمور ، فإذا نَزَلت بقُلوبهم حَسَراتُ أنفُسِهم ، اجتَمَعَتْ عليهم خَصْلَتان ، حَسْرَةُ الفَوْت ،

وَسَكْرَةُ الموت ، تفطَّرَتْ لها قلوبُهم ، وتَغَيَّرَتْ ألوانُهم ، وتَرَدَّدَ فُواقهم [١] وحرَّكوا لِمَخْرَجِ أرواحِهِم أيديَهم وأرجُلَهم ، فعَرِقت لذلك جِباهُهُم ، ثم ازدادَ الموتُ فيهم ، فحِيلَ بينَ أحَدِهم ومنطِقه ، وإنّه لَبَيْنَ ظهرانَي قومه [٢] ففكَّرَ بعقلٍ بقِيَ له : فيمَ فنِيَ عُمرُه ، وفيمَ ذهبَتْ أيامُه !!

عن الأصمعي رحمه الله قال : حَجَجْتُ فنزَلتُ ضريّة في يوم جُمعة ، فإذا أعرابي قد كوَّرَ عِمامَته ، وتنكَّبَ قوْسَهُ ، فصعِدَ المِنبر ، فحَمِدَ الله ، وأثنى عليه ، وصلّى على نبيّه ﷺ ، ثم قال : أيُّها النَّاسُ ، إنَّ الدُّنيا دار مَمَرّ ، والآخرةُ دارُ مَقَرّ ، فخذوا مِنْ دارِ مَمَرّكم لِدارِ مَقَرّكم ، ولا تهتِكوا أستارَكم عند مَنْ لا تَخْفى عليه أسرارُكم ، فإنّه لَنْ يستَقبِلَ أحدٌ يوماً مِنْ عُمرِهِ إلا بفراق آخر مِنْ أجَله ، وإنَّ أمْسِ موْعِظَةٌ ، واليومَ غنيمة ، وغداً لا يُدْرى مَنْ أهلُهُ . فاستصلِحوا ما تُقدمون عليه ، واقْنُوا ما لا تَرْجِعونَ إليه ، واخرُجوا من الدُّنيا بقُلوبكم قبلَ أن تَخْرُجَ منها أبدانُكم ، ففيها خُلِقْتُم ، وإلى غيرها نُدِبْتُم . وإنّه لا قويَّ أقوى مِنَ الخالق ، ولا ضعيفَ أضعفُ مِنْ مَخلوق ، ولا هَرَبَ مِنَ الله إلّا إليه ، وكيفَ يَهْرُبُ مَنْ يتقَلَّبُ في يدي طالبِه ، و (كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الموتِ

---

(١) الفواق : ترديد الشهقة العالية ، والذي يأخذ الانسان عند النزع .

(٢) في الأصل فوق كلمة قومه : أهله .

وإنَّما تُوَفَّوْنَ أُجورَكُمْ يَوْمَ القِيامَـةِ . فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وأُدْخِلَ الجَنَّةَ فقَدْ فازَ وَما الحَياةُ الدُّنيا إلاّ مَتاعُ الغُرُور) . [آل عمران : ١٨٥]

عن عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم أنَّه قال : مَنْ ذا الذي يَبْني على مَوْجِ البِحر داراً ، تِلْكُمْ الدُّنيا فلا تَتَّخِذوها قَراراً .

وعن وهب بن منبِّه رَحمه الله قال : قال عيسى بنُ مريم صلى الله عليه وسلم : يا دارُ تَخَرَبينَ وَيَفْنَى ساكِنُكِ ، وَيا نَفْسُ اعمَلي تُرْزَقي ، وَياجَسَدُ أَنْصَبْ تَسْتَرِحْ .

قال رَجُلٌ للحَسَن البصري رضي الله عنه : يا أبا سـعيد إذا جُعْتُ ضَعُفْتُ ، وإذا شَبِعْتُ وَقَعَ عليَّ البُهْرُ ؛ فقال : يابنَ أخي هذه الدّار ليست تُوافِقُك ، فاطْلُبْ داراً غيرَها .

عن صالح المُرّي [١] رَحمه الله قال : لما غضب المنصور على الموريانيّ [٢]

---

(١) هو أبو بشر صالح بن بشير بن وادع المرّيّ القاضي الزاهد ، قال ابن حبان : كان من عبّاد أهل البصرة وقرائهم ، ومن أحزن أهـل البصرة صوتاً ، وأرقّهم قراءة ، غلب عليه الخير والصلاح حتى غفل عن الاتقان في الحفظ .

(٢) هو أبو أيوب سليمان بن مخلد الموريانيّ الخوزي ، ولي وزارة المنصور بعد خالد بن برمك ، وأحسن القيام بالأعمال ، ثم فسدت عليـه نية المنصور ، فأوقع به وعذبه ، وأخذ أمواله ، ومات سنة ١٥٤ هـ . والموريانيّ : نسبة إلى موريان ، وهي قرية من قرى الأهواز . « وفيات الأعيان »

وخَرِبَ داره ، دَخلتُ إليها يَوْماً أُطوفُ فيها وأعتبر ، فإذا أسودُ قد خَرَجَ عليَّ مِنْ بعض الْحجر ، فقال لي : هـذا سُخْطُ المَخْلُوق ، فكيف بسُخْطِ الخالِق على المخلوق ؟!

وعن الحسن البصري رضي الله عنه أنه قال : الدُّنيا دار عَمَل ، فمن صَحِبَها بالبُغْض لهـا ، والزَّهادَةِ فيها ، والهضْم لهـا ، سَعِدَ بها ، ونفعَتْهُ صُحْبَتُها ، ومَنْ صَحِبها بالرَّغبة فيها ، والمحبَّةِ لها ، شَقِيَ بها ، وأجحفَتْ بحظِّه مِنَ الله تعالى ، ثم أَسْلَمَتْهُ إلى ما لا صَبْرَ له عليه من عذابِ الله وسَخطِه ، فأمرُها صغير ، ومتاعُها قليل ، والفَناءُ عليها مكتوب ، والله وَليُّ ميراثِها ، وأهلُها يتحوَّلونَ إلى منازل لا تبلى ، ولا يُغيِّرُها طولُ الزَّمن ، ولا العُمُر فيها يفنى فيموتون ، ولا إن طال الثَّواءُ فيها يُخرَجُون ، فاحذروا - ولا قوَّة إلا بالله - ذلك الموطن ؛ وأكثِروا ذِكرَ ذلك المُنقلَب .

نظر ابنُ مُطيع إلى داره فأعجبَه حُسنها ثم بكى ، ثم قال : والله لولا الموت لكنتُ بكِ مسروراً ، ولولا ما نصيرُ إليه مِنْ ضِيق القبور ، لقَرَّت بالدُّنيا أعيُننا ، ثم بكى حتى ارتفع صوته .

روى الخطيب أبو بكر رحمه الله في « تاريخـه » باسناده قال : قال يعقوبُ بن شيبة[1] : رأيت على باب دارٍ خَراب

---

(١) هو ابو يوسف يعقوب بن شيبة بن الصلت بن عصفور السدوسي بالولاء .

رُبَّتَ دارٍ بعـدَ عُمْرانِها أَضْـحَتْ خراباً ما بهـا آهِلُ
لم تَدْخُلِ البَهْجَةُ دارَ امرئ إلاَّ وما يَهْدِفُهـا داخِلُ
ما يَأْمَنُ الدُّنيا وأَيَّامهـا بَعـدي إلاَّ أَنْوكُ جاهِـلُ
أَمَا ترى العَيْشَ بهـا زائلاً تَبَّاً لدُنيا عَيشُهـا زائِلُ

والشعر لسعيد بن حميد الكاتب.[1]

قال أبو زيد الرقي: قال أبو محمد الفضيل بن عياض رضي الله عنه: يا أبا يزيد اشْتَرَيتَ داراً؟ قلت: نعم. قال: وأَشْهَدْتَ شهوداً؟ قلت: نعم. قـال: فإنَّه والله يأتيكَ مَنْ لاينظُرُ في كتابِكَ، ولا يسألُ عن بيِّنَتِك، فيُخْرِجُكَ منها عُرياناً مُجَرَّداً، فانظرْ أنْ لاتكونَ اشتريتَ هـذه الدَّار مِنْ غيرِ مالِك، وَوَزَنتَ فيها مالاً مِنْ غيرِ حِلِّه، فإذا أنتَ قـدْ خَسِرْتَ الدنيا والآخِرَة.

ـ البصري نزيل بغداد، من كبار علماء الحديث، كان يتفقه على مذهب الامام مالك، له «المسند الكبير» معللاً، يقال: إنه لم يصنف مسند أحسن منه إلا أنه لم يتمه «تذكرة الحفاظ» ١٤١/٢.

(١) هو سعيد بن حميد بن سعيد بن بحر من أولاد الدهاقين، وأصله من النهروان، ومولده ببغداد، وهو كاتب مترسل وشاعر فصيح، قلده المستعين العباسي ديوان رسائله.

عن معاوية بن أبي سفيان ، رضي الله عنه ، أنه قال : سَمِعْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في خُطبة أحد العيدين : « الدُّنيا دارُ بلاء ومنزل قلقٍ وعناءٍ ، وقد نَزَعَتْ عنها نفوسُ السُّعداء ، وانتُزعت بالكُرْهِ مِنْ أيدي الأشقياء ، فأسعدُ النَّاس بها أرْغَبُهم عنها ، وأشقاهُم بها أرغَبُهم فيها ، هي الغاشَّةُ لمن انْتَصَحَها ، والمُغْوية لِمن أطاعَها ، والخاترَة [١] لمن انقادَ لها . فالفائز مَنْ أعرَضَ عنها ، والهالكُ مَنْ هو راغِبٌ فيها [٢] .
طُوبى لِعَبْدٍ اتقى فيها رَبَّه ، وناصحَ نفسَه ، وقدَّم توبَته ، وأخَّرَ شَهْوته مِنْ قَبل أنْ تَلْفِظَه الدُّنيا إلى الآخرة ، فيُصْبِحَ في بطنِ مُوحِشَةٍ غبراء ، مُدْلَهِمَّةٍ ظلماء ، لايستطيعُ أن يَزيدَ في حَسَنَة ، ولا يَنْقُصَ مِنْ سَيِّئَة ، ثم يُنْشَرُ فيُحْشَرُ إمَّا إلى جَنَّةٍ يدُومُ نعيمها ، وإمَّا إلى نارٍ لا يَنْفَدُ عذابُها [٣] .

وعن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال : سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول في خطبته : « يا أيُّها النَّاس إنَّ هذه الدَّارَ دارُ التواء ، لا دارُ استواء ، ومنزل تَرَح ، لامنزل فَرَح . مَنْ عَرَفَها لم يَفْرَحْ لرَخاء ، ولم يَحزَن لشقاء . ألا وإنَّ الله عزَّ وجلَّ خَلَقَ الدُّنيا دارَ بلْوى ، والآخرة دارَ عُقْبى ،

---

(١) الخاترة : الغادرة .

(٢) في « الأربعين » : من هوى فيها .

(٣) « الأربعين الودعانيه » : ٢٢ ، وقد تقدم الكلام عليها .

فجعلَ بلوى الدُّنيا لثوابِ الآخرة سبباً ، وثوابَ الآخرة مِنْ بلوى الدُّنيا عِوضاً ، فيأخذ لِيُعطي ، ويبتلي لِيَجْزي . إنَّها لسريعةُ الذَّهابِ، وشيكَةُ الانقلاب ، فاحذروا حلاوةَ رضاعِها لمرارةِ فطامِها ، واهجُروا لذيذَ عاجِلها ، لِكَريهِ آجلها ، ولا تَسْعَوا في عُمرانِ دارٍ قد قضى الله خرابَها ، ولا تُواصِلوها ، وقد أرادَ اللهُ منكم اجتنابَها ، فتكونوا لِسُخْطِهِ مُتعرِّضين ، ولِعُقوبَته مُستَحِقّين [1].

وقال الشاعر :

أَلا إنَّما الدُّنيا غَضارَةُ أيْكَةٍ ... إذا اخْضَرَّ منها جانِبٌ جَفَّ جانِبُ [2]

فكم سَخُنَتْ بالأمسِ عينٌ قريرةٌ ... وقَرَّتْ عيونٌ دَمْعُها أمسِ ساكِبُ [3]

هي الدَّارُ ما الآمالُ إلّا فجائعٌ ... عليها وما اللَّذاتُ إلَّا مَصائِبُ [4]

وقال ابن المعتز :

يا دارُ يا دَارَ أطرابي وَأشجاني ... أبلَى جديدَ مَغانيكِ الجَديدانِ [5]

---

(١) « الأربعين الودعانية » : ٢٣ .

(٢) الأبيات لأحمد بن محمد بن عبد ربه في « العقد الفريد » ٣/١٧٥ .

(٣) جاء ترتيب هذا البيت في « العقد » بعد البيت الثالث .

(٤) في « العقد » بعد هذا البيت :

فلا تَكتَحِلْ عيناكَ فيها بِعبرةٍ ... على ذاهبٍ منها فإنكَ ذاهبُ

(٥) ديوانه : ٤١٨ .

لئِنْ تعطَّلْتَ مِنْ لهوي ومِنْ سَكَني لقد تأَهَّلْتَ مِنْ بثّي وَأَشجاني [1]
جادَتْك رائحةٌ في إثْرِ غادِيَةٍ تروي ثرًى مِنْكِ أمسى غيرَ ريَّانِ [2]
حتّى أرى النَّورَ في مَغْناكِ مُبْتَسِماً كأنّه حَدَقٌ في غيرِ أجفانِ

وقال محمود الوراق [3] :

فما أهلُ الحياةِ لنا بأهلٍ وَلا دارُ الحياةِ لنا بدارِ
وَما أوْلادُنا والأَهلُ فيها وَلا أموالُنا إلّا عَواري
وَأَنفُسُنا إلى أَجَلٍ قَريبٍ سَيأْخُذُها المُعيرُ مِنَ المُعارِ

عن محمد بن الحسن بن عُبَيد الله الكوفي رحمه الله ، قال : كتبَ إليَّ داود الفارسي رحمه الله ، وكان عالماً ناسكاً ، بهذه الألفاظ :

يا حيْ ، الدُّنيا دارُ زَللٍ وزوالٍ ، وتغيُّر حالٍ بعدَ حالٍ ، ثم كتب آخرَ كِتابه هذه الأبيات :

أفرَطْتُ في العيشِ وَتأْمِيله وَللمَنايا شِيَمٌ نُكُدُ
وإنَّما عَيْشُ الفتى ساعةٌ لا قَبْلَها منها ولا بَعْدُ
ما أوْسَعَ الدُّنيا على أهلِها لو لم يكُنْ آخِرُها اللَّحْدُ

---

(١) في الديوان : « لئن تخلَّيت . . . من همي وأحزاني » .

(٢) في الديوان : « . . . في إثر باكرة » .

(٣) هو محمود بن حسن الوراق ، أكثر شعره في المواعظ والحكم ، توفي في حدود ٢٢٥ هـ .

وقال سابق البَرْبَري [١] :

وَلِلْمَوتِ تَغْذو الوالداتُ سِخالَها ... كما لِخرابِ الدُّور تُبْنى المساكِنُ [٢]

عَجِبْتُ مِنَ الدُّنيا وَذَمّي نَعيمَها ... وَحُبي لها في مُضْمَرِ القلبِ باطِنُ

وَقَوْلي أَعِذْني رَبِّ مِنْ كل فِتْنَةٍ ... وَأَكْلَفُ منها بالذي هو فاتِنُ

وقال البحتري :

أَرُسومُ دارٍ أمْ سُطورُ كِتابِ ... دَرَستْ بشاشَتُها مع الأَحْقابِ [٣]

يجتازُ زائِرُها بغيرِ لُبانَةٍ ... ويُرَدُّ سائِلُها بغيرِ جوابِ [٤]

وَلَرُبَّما كان الزَّمانُ مُحَبَّبا ... فينا بِمَنْ فيها مِنَ الأَحْبابِ

---

(١) هو أبو سعيد سابق بن عبد الله البربري ، شاعر من الزهاد ، له كلام في الحكمة والرقائق ، وهو من موالي بني أمية ، سكن الرقة ، وكان يفد على عمر بن عبد العزيز ، فيستنشده عمر ، فينشده من مواعظه . والبيت الأول في « العقد الفريد » : ٢/٦٩ ، و « الخزانة » : ٤/٢٦٣ .

(٢) سخالها : أولادها ، الواحد سخلة ، للذكر والأنثى ، وهو في الأصل ولد الغنم .

(٣) ديوانه : ١/٢٩٤ ، من قصيدة يمدح بها أبا الخطاب الطائي . قال الآمدي : قوله « على الأحقاب » ، أي : على مر السنين .

(٤) قال الآمدي : قوله « يجتاز زائرها بغير لبانة » أي : إذا عرّج عليها زائرها في اجتيازه بها فانه يجتاز ، أي : يجوزها ويمضي بغير حاجة قضيت له ، وأراد : ينصرف عنها زائرها بغير لبانة ، فجعل في موضع « ينصرف » « يجتاز » .

وقال الكميت :

مالِيَ في الدَّارِ بعدَ ساكِنِها   وإنْ تذَكَّرْتُ أهلَها أَرَبُ [١]

لا الدَّارُ رَدَّتْ جوابَ سائِلِها   ولا بكَتْ أهلَها إذِ اغترَبوا

وقال عديُّ بنُ الرِّقاع العاملي :

لِمَنِ الدَّارُ كأنضاءِ الكتابِ   هاجتِ الشَّوْقَ وعَيَّتْ بالجوابِ

لم تَزِدْكَ الدَّارُ إلّا طَرَباً   والصِّبى غيرُ شبيهٍ بالتَّصابي

ربما قد كانَ فيها ساكِنٌ   أهلُ أنْعامٍ وخَيْلٍ وقِبابِ

وقال أبو دُوَاد الإيادي ، واسمه جارية بنُ الحجَّاج :

قدْ عرَفْتُ الدَّارَ قَفْراً لم تُحَلْ   بينَ أجيادِ خِفافٍ فالرِّحَلْ [٢]

ظَعَنَ الحيُّ الأُلى كانوا بها   وعفا رَسْمٌ وأضحى كالخِلَلْ [٣]

---

(١) شرح « الهاشميات » : ٥٧ من قصيدة مطلعها :

أنّى ومن أين آبَكَ الطَّرَبُ   من حيثُ لا صبوةٌ ولا رِيَبُ

(٢) أنشد البكري في « معجم ما استعجم » ٥٠٥ : البيت الأول ونسبه لأبي دواد ، وروايته فيه :

هل عرفتَ الدار قفراً لم تُحِلْ   بين أجماد خُفافٍ فالرِّجَلْ

وضبط « خفاف » بضم أوله ، وذكر أنه موضع بظهر الكوفة بين بلاد بني يربوع وبني أسد بن خزيمة .

(٣) لم يرد هذان البيتان في ما جمعه فون غرنباوم من شعر أبي دؤاد . والخِلَل ، جمع خِلّة ، وهي بطانة يغشى بها جفن السيف تنقش بالذهب وغيره .

هَيَّجَ الشَّوقَ الذي كان صَحا ‌ ‌ ‌ حَبْسُكَ اليومَ على ذاكَ الطَّلَلْ

وقال جرير بن عطيَّة :

أدارَ الجميعِ الصَّالحينَ بذي السِّدْرِ ‌ ‌ ‌ أَبيني لنــا إنَّ التَّحيَّةَ عن عُفْرِ (١)

لقدْ طَرَفَتْ عَيْنَيَّ في الدَّارِ دِمْنَةٌ ‌ ‌ ‌ تَعاوَرَها الأَزْمانُ بالرِّيحِ والقَطْرِ (٢)

فقلتُ لأَدْنىٰ صاحِبَيَّ وإنَّني ‌ ‌ ‌ لأَكْتُمُ وَجْداً في الجوانِحِ كالجَمْرْ :

لَعَمْرُكُما لا تُعْجِلانِيَ موْقِفاً ‌ ‌ ‌ على الدَّارِ فيهِ القَتْلُ أو راحَةُ الدَّهرِ (٣)

وقال أيضاً :

أَلا حَيِّ رَهْبىٰ ثُمّ حَيِّ المَطالِيَا ‌ ‌ ‌ فقد كانَ مأْنوساً فأَصبحَ خالِيا (٤)

فلا عَهْدَ إلَّا أنْ تَذَكَّرَ أوْ تَرى ‌ ‌ ‌ ثُماماً حَوالَي مَنْصَبِ الخَيْمِ بالِيا (٥)

---

(١) ديوانه : ٢٧٦ ، والعفر : البعد وطول العهد .

(٢) في الديوان : لقد طرقت ، وهو تصحيف .

(٣) في الديوان : « لا تعجلا إن موقفاً » وقوله : أو راحــة الدهر : أراد السلو .

(٤) ديوانه : ٦٠١ ، و « النقائض » : ١٥٩/١ ، قال أبو عبيدة : رهبى والمطالي : موضعان ، ومأنوس : حيث الأهل ، وخالٍ : قفر . وقال ابن حبيب: المطالي : جمع مَطلاة : وهي ما انخفض واتسع من الأرض .

(٥) الثمام : نبت ضعيف له خوص أو شبيه بالخوص ، وربما حشي به ، وسُدّ به خصاص البيوت .

فياليْتَ أنَّ الحيَّ لمْ يتفرَّقوا ... وَأمسَوْا جميعاً جيرَةً مُتدانيا
فقد خفْتُ ألّا يَجمعَ الدّارُ بيننا ... وَلا الدّهرُ إلا أنْ نُجِدَّ الأمانيا

وقال أبو حَيَّة النميري :

يا دارُ غيَّرَها التقادُمُ والبِلى ... بينَ السَّليلِ وَمأزِمَيْ أكبادِ [1]
لازِلْتِ في خَفْضٍ عليكِ تهافتَتْ ... دِيَمٌ عليكِ طويلةُ الإرْعادِ
وأنارَ واديكِ الرَّبيعُ فرُبَّما ... نَغْنى بهِ ونراهُ أبهجَ وادِ
وأرَى به الأنسَ الذينَ تُحِبُّهم ... عيني وَيألَفُ مَنْ تُحِبُّ فؤادي

وقال حفص الأُموي :

يا دارُ أقوَتْ مِنْ بعدِ حاضِرِها ... لمْ يَبْقَ فيها سوى أواصِرِها
ألقَتْ عليها الرّياحُ أرْدِيَةً ... تَنْشُرُها مِنْ كُسَى أعاصِرِها
حُيِّيتِ مِنْ دِمْنَةٍ بما خَلَفَتْ ... عَيْنٌ عَطوفٌ على جآذِرِها
يا رُبَّما رَاقني بساحَتِها ... طيبُ هواها وَلَهوُ سامِرِها
أيّامَ لا خَوْفَ مِنْ شَتاتِ نَوَى ... تُخْشى ولا رَوْعَ مِنْ تطايُرِها
كُنّا بها حِقْبَةً فأزْعَجَنا ... خَطْبٌ نفى الخَفْضَ عن مُجاوِرِها
شَتَّتَ بينَ الخَليطِ فارتَحلُوا ... عنها وأبْدى خَرابَ عامِرِها

---

(١) السليل والسلان : الأودية . والمأزم : كل طريق ضيق بين جبلين ، وأكباد : جبل .

فالدّارُ لو زُرْتَهـا رأَيتَ بها آياً تَهيجُ الأَسى لِزائِرِهـا
تلكَ المغـاني فإنْ مَرَرْتَ بهـا يوْمـاً فسَلِّمْ على دَواثِرِهـا
وانظُرْ إليهـا أَلَمْ تَصِرْ دِمَناً تَهْفُو السَّوافي على دَعاثِرِهـا [1]

قال ابنُ المعتز :

وَسُكَّانِ دارٍ لا تَواصُلَ بينَهُم على قُرْبِ بعْضٍ في التَّجاوُرِ من بعضِ [2]
كأَنَّ خَواتيماً مِنَ الطِّينِ فوقَهُم فليسَ لهـا حتى القِيامَةِ مِنْ فَضِّ [3]

وقال أبو العتاهية :

أَلا يا نفْسُ ما أَرجو بدارٍ أرى مَنْ حَلَّهـا قَلِقَ القَرارِ [4]
بدارٍ إنَّمـا الشَهَواتُ فيها مُعَلَّقَـةٌ بأيامٍ قِصارِ [5]
نَرى الأَموالَ أَرْباباً علينـا وَما هي بيننا إلّا عَوارِ
وَنذْكُرُ أنْ نَدِبَّ لها وَنَنْسى دَبيبَ اللَّيل فينـا والنَّهارِ

---

(١) الدعثور : الحوض لم يتنوق في صنعته ولم يوسع ، أو هو المتهدم المتثلم ، جمعه دعاثير ودعاثر .

(٢) ديوانه : ٣٣٨ .

(٣) في الديوان : من الطين بينهم .

(٤) ديوانه : ١٥٦ ، عدا البيت الأخير .

(٥) في الديوان : انما اللذات .

وقال آخر : هذه الأبيات مِنْ قصيدة تُنْسَبُ إلى أكثم بن صيفي [١] :

أيسألُ رسمَ الدّارِ والدّارُ قلبُهُ ... وأنّى لها ما قد حواهُ مِنَ الوجْدِ

ويسْخطُ أفعالَ السَّحابِ بتُربِها ... إذا مَعْهَدٌ منها تغيّرَ عن عَهْدِ

وما مُتْعَةُ الأحبابِ إلّا تعِلَّةٌ ... تُلِمُّ لتشتيتٍ وتقْرُبُ عن بُعْدِ

رُوي أنَّ قوماً تشاجرُوا بينَ يديْ أميرِ المؤمنين عمر بن الخطاب ، رضوانُ الله عليه ، في أشعرِ النَّاس . فقال عمر : سأُرْسِل إلى سيِّدِ النَّاس فأسأله ، فقال النَّاس : قد تشاجرنا في سيِّد الشُّعراء ، فتريد الآن تنظر إلى سيِّد النَّاس ! فأرسل إلى عبد الله بن العباس ، رضوان الله عليهما ، فجاءه ، فقال له : يا أبا العبَّاس أنشدنا ما تستَحْسِنُ مِنَ الشِّعر ، فقال : سأُنشِدكم لسيِّد الشُّعراء ، فأنشدُهم لزهير بن أبي سُلْمى :

هل في تذكُّرِ أيّامِ الصِّبى فَنَدُ ... أمْ هلْ لِما فاتَ مِنْ أيّامِهِ رَدَدُ [٢]

أمْ هل يُلامَنَّ باكٍ هاجَ عَبْرَتَهُ ... بالحِجْرِ إذ شَفَّهُ الوَجْدُ الذي يجِدُ [٣]

---

(١) هو أكثم بن صيفي بن رياح بن الحارث بن مخاشن بن معاوية التميمي، حكيم العرب في الجاهلية ، وأحد المعمرين ، عاش زمناً طويلاً وأدرك الاسلام ، وقصد المدينة في مئة من قومه يريدون الاسلام ، فمات في الطريق ، ولم ير النبي صلى الله عليه وسلم ، وأسلم من بلغ المدينة من أصحابه .

(٢) ديوانه : ٣٧٩ . والفند : الخطأ في القول والرأي .

(٣) شفه الوجد : براه الحب الشديد وهزله وأسقمه وأوهنه .

أَوْفى على شَرَفٍ نَشْزٍ فأزْعَجَهُ ... قلبٌ إلى آل سَلْمى تائقٌ كَمِدُ [(١)]

متى أرى دارَ حيٍّ عَهْدُنا بِهِمُ ... حَيثُ التقى الغَوْرُ مِنْ نَعْمانَ وَالنَّجَدُ [(٢)]

لهم هَوىً مِنْ هَوانا ما يُقَرِّبُنا ... ماتَتْ على قُرْبِهِ الأَحشاءُ والكَبِدُ

إنّي لِما اسْتَوْدَعتْني يومَ ذي غُدُمٍ ... رَاعٍ إذا طالَ بالمُستودَعِ الأَمَدُ [(٣)]

إنْ تُمْسِ دارُهُمُ منّا مُباعَدَةً ... فما الأَحِبَّةُ إلّا هُمْ وإنْ بَعُدُوا

وقال جميلُ بن مَعْمَر :

على الدَّارِ التي لَبِسَتْ بِلاها ... قِفا يا صاحِبَيَّ فسائِلاها [(٤)]

وما يُبكيكَ مِنْ عَرَصاتِ دارٍ ... تقادَمَ عَهْدُها وَبدا بِلاها

عن محمد بن يزداد [(٥)] قال : دَخلتُ على المأمون يوماً فرأيته وبيده رُقعةٌ ، فقال لي : يا محمد أقرأتَ ما فيها ؟ قلتُ : هي في يد أمير المؤمنين ، فرمى بها إليَّ ، فإذا فيها مكتوب :

---

(١) الشرف : المكان العالي ، والنشز : المرتفع .

(٢) الغور : ما انهبط من الأرض ، ضد النجد ، وهو ما أشرف من الأرض وارتفع ، وجمعه : أنجد وأنجاد ونجاد ونجود ونُجُد .

(٣) ذو غدم ، بضمتين : موضع من نواحي المدينة .

(٤) لم يرد البيتان في الديوان .

(٥) هو محمد بن يزداد بن سويد المروزي أحد كتاب المأمون ووزرائه ، توفي في « سر من رأى » سنة ٢٣٠ هـ .

إِنَّكَ في دارٍ لها مُدَّةٌ يُقْبَلُ فيها عَمَلُ العامِلِ
أما تَرى الموتَ مُحيطاً بنا يقطعُ فيها أَمَلَ الآمِلِ
تَعَجَّلُ الذَّنبَ لِما تشتهي وَتأملُ التَّوْبَةَ مِنْ قابلِ
والموتُ يأتي بعدَذا بَغْتَةً ماذا بِفِعْلِ الحازِمِ العاقِلِ ؟

فلمَّا قرأْتُها ، قال لي المأمون : هذا مِنْ أحكَم شِعْرٍ قرأْتُه .

وقال المُساوِر بن هند بن قيس بن زهير العبسي (١) :

وَدارِ حِفاظٍ قد حَلَلْتُم ، مُهانَةٌ بها نِيبُكُم ، والضَّيْفُ غيرُ مُهانِ (٢)
إذا سُئِلُوا ما ليسَ بالحقِّ فيهمُ أبى كلُّ مَجْنِيٍّ عليهِ وَجانِ (٣)

وقالت رَيْطَةُ بنتُ عاصم :

وَقفتُ فأبكَتْني بدارِ عشيرَتي على رُزْئِهِنَّ الباكياتُ الحواسِرُ (٤)

---

(١) هو المساور بن هند بن قيس بن زهير بن جذيمة العبسي ، شاعر فارس إسلامي شريف ، مخضرم ، أدرك النبي ﷺ ، ولم يجتمع به ، وعاش إلى أيام الحجاج . والبيتان في « الحماسة » ٤/٩٨ بشرح التبريزي .

(٢) دار الحفاظ : التي لا يقيم فيها إلا من حافظ على حسبه وصبر على ما لا يصبر عليه ، وذلك أنه لا يحافظ على حسبه إلا الشريف .

(٣) قوله : « إذا سئلوا ما ليس بالحق فيهم » أي : إذا طلب الضيم منهم أبوا سواء كان الطلب فيما جني عليهم ، أو جنوا هم على غيرهم ، وفي الكلام حذف ، أي : كل مجني عليه وجان منهم .

(٤) الأبيات في « الحماسة » ٣/٦٩ ، قال التبريزي : والباليات الحواسر : النساء يبكين عن أوجههن ، ويروى : الباليات ، تعني بها مواضع الخيام .

غدَوْا كسُيوفِ الهندِ وُرّادَ حَوْمَةٍ مِنَ الموتِ أعيا وِرْدُهنَّ المصادِرُ (١)

فوارسُ حامَوا عن حَريمي وحافظوا بدارِ المنايا والقَنا مَتَشاجِرُ (٢)

ولو أنَّ سلمى نالها مِثلُ رُزْئِنا لهُدَّتْ ولكن تَحْمِلُ الرُّزْءَ عامِرُ (٣)

وقال البحتري :

يا دارُ لا زالتْ رُباكِ مُجودَةً مِنْ كلِّ ساريَةٍ تُعَلُّ وتُنهَلُ (٤)

أذْكرْتِنا دُوَلَ الزّمانِ وَصَرْفَهُ وأَرَيْتِنا كَيفَ الخُطوبُ النُّزَّلُ (٥)

أَصبابَةً برُسوم دَامِـةَ بعدَما عَرَفتْ مَقارِفَها الصَّبا والشَّمْأَلُ (٦)

وَسألتُ مَنْ لا يستجيبُ فكنتُ في استِخْبارِهِ كمُجيبِ مَنْ لا يسألُ

وقال البحتري أيضاً :

---

(١) وراد : جمع وارد ، والحومة : موضع القتال ، لأن الأقران يحومون حولها . تقول : وردوا حومة من الموت أعجزهم الصدر عنها .

(٢) الحريم : الموضع الذي تلزمهم حمايته ، ومتشاجر : متداخل .

(٣) سلمى : أحد جبلي طيىء ، وهدت : كسرت ، وعامر : قبيلتها .

(٤) ديوانه : ٣٢/١ من قصيدة يمدح بهـــا المتوكل . والأول والثاني في « الموازنة » : ٤٧٢ وفيها : «من كلّ غادية» قال الآمدي : أراد: تعل الربى وتنهل من كل غادية .

(٥) في الديوان : « فهمتنا دول الزمان . . . »

(٦) في الديوان : « عرفت معالمها »

هَبِ الدَّارَ رَدَّتْ رَجْعَ ما أنا قائِلُه ‏ ‏ ‏ ‏ وَأبدى الجوابَ الرَّبعُ عَمّا تُسائِلُهْ [1]

أَفي ذاكَ بُرْءٌ مِنْ جوىً أَلهبَ الحشا ‏ ‏ ‏ ‏ تَوَقُّدُهُ ، وَاستَغْزَرَ الدَّمعَ جائِلُهْ

هوَ الدَّمعُ مَوْقوفاً على كلِّ دِمْنَةٍ ‏ ‏ ‏ ‏ تُعَرِّجُ فيها ، أو خليطٍ تُزايلُهْ

تَرادَفَهُمْ خَفْضُ الزَّمانِ وَلينُهُ ، ‏ ‏ ‏ ‏ وَجادَهُمُ طَلُّ الرَّبيعِ وَوابِلُهْ [2]

وقال آخر :

يا دارُ أَضْحَتْ خَلاءً لا أنيسَ بها ‏ ‏ ‏ ‏ إلّا الظِّباءُ وإلّا النّاشِطُ الفَرِدُ [3]

أينَ الذينَ إذا ما زُرْتُهم جَذِلوا ‏ ‏ ‏ ‏ فطارَ عن قلبيَ التَّشْواقُ والكَمَدُ

وقال حسّان بن ثابت الأنصاري رحمه الله :

لِمَنِ الدّارُ أَقْفَرَتْ بِمَعانِ ‏ ‏ ‏ ‏ بينَ شَطِّ اليَرْموكِ فالصَّمّانِ [4]

---

(١) ديوانه : ١/٦٢ من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان .

(٢) في الديوان : « ترادفهم خفض النعيم . . . » .

(٣) البيتان غير منسوبين في « الأغاني » ٦/٣١٤ ، والناشط : الثور الوحشي، وكذلك الحمار الوحشي ، والفرد : المنفرد .

(٤) ديوانه : ٤١٤ و « الأغاني » : ١٥/١٦٦ من قصيدة يمدح بها جبلة بن الأيهم ، ورواية البيت في الديوان :

لمن الدار أوحشت بمعان ‏ ‏ ‏ ‏ بين أعلا اليرموك فالخمّان

ومعان ، بالفتح ، والمحدّثون يقولونه بالضم : مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء ، والصمان : قال ياقوت : فيما أحسب من نواحي الشام ، —

فالقُرَيَّاتِ مِنْ بلاسَ فدارَيّـا فسَـكَّاءَ إلى الرُّسُوم الدَّواني [(١)]

فقَفا جَاسِمٍ فأَوْدِيَةِ الصُّفَّـ ـرِ مَغْنى قبائلٍ وَهجـانِ [(٢)]

ذاكَ مَغْنى لآل جَفْنَةَ في الدَّهـ ـرِ وَحَقاً تَصَرُّفُ الأَزمـانِ [(٣)]

ثَـكِلَتْ أُمُّهم وقد ثَـكِلَتْهُم يَوْمَ حَلُّوا بحارِثِ الجَولانِ [(٤)]

وقال آخر :

عَجَباً لي ولاغتراري بدارٍ لَسْتُ أَبقى لها وَلا تَبقى لي

ما تَصافى قَوْمٌ على غَيرِ ذاتِ اللّـ ـهِ إلَّا تَفرَّقُوا عنْ تَقـالِي

وقال آخر :

- وفي هامش « الأغاني » : قلت : وصواب الرواية « الحمان» كما في ديوان حسان ، وهي من نواحي البثنية من أرض الشام .

(١) في الديوان و « الأغاني » : فسكاء فالقصور الدواني .

(٢) رواية البيت في « الأغاني » :

فحمى جاسم فابنية الصُّفر مغنى قنابـل وهجان

وجاء في هامشه : القنابل : جمع قنبل وقنبلة بالفتح ، وهي الطائفة من الناس ومن الخيل ، والهجان من الناس : الخالص الكريم ، ومن الابل : البيض الكرام.

(٣) في الديوان و « الأغاني » : وحق تعاقب الأزمان .

(٤) قال ياقوت : الجولان ، بالفتح ثم السكون : قرية ، وقيل : جبل من نواحي دمشق ، ثم من عمل حوران . قال ابن دريد : يقال للجبل : حارث الجولان ، وقيل : حارث : قلة فيه .

يا مُشيدَ الحِصْنِ يبغي نَفْعَهُ   قلَّما تُغْني مِنَ الموتِ الحُصونُ
تطلب التَّخْليدَ في دارِ الفنا   خابَ مَنْ يطْلُبُ شيئاً لايكونُ
سائلِ الأيَّامَ عنْ أمْلاكِها   أيَّ درٍّ قطَعَتْ عنْها اللَّبونُ
كم بهـا مِنْ راكِضٍ أيَّامَهُ   وَله مِنْ رَكْضِها يومٌ حَرونُ

وقال آخر :

نَعْمُرُ الدُّنيا وَما الدُّنـ   ـيا لنا دارُ إقامَـهْ
إنَّمـا الغِبْطَةُ والحَسْـ   ـرَةُ في يوم القيامَـهْ

رُوي أنَّ فاطِمَةَ بنت الحسن رضوان الله عليه نظَرت إلى دارِ زَوْجِها الحسن بن الحُسين رضي الله عنهما ، فغَطَّتْ وَجْهَها وقالت :

وكانُوا رَجاءً ثُمَّ صاروا رَزِيَّةً   لقد عَظُمَتْ تِلْكَ الرَّزايا وَجَلَّتِ

ثم ضَرَبتْ على قـبره فُسطاطاً أقامت فيه سنة ، فلما أستكملتها أمرَتْ بالفُسطاط فقُلِع ، ودخلتِ المدينة ، فسَمِعَتْ قائلاً يقول من جانب البقيـع : هَلْ وَجَـدوا ما فقَدوا ، وقائلاً من الجانب الآخر يقول : بل يئسوا فانقلَبوا .

قال وهب بنُ منبِّه رحمه الله : نحنُ بنو آدم مِنْ نسل الجَنَّة ، سبانا إبليسُ إلى الدُّنيا بخطيئة أبينا ، فليس لنا إلَّا البكاءُ حتى نعودَ إلى الدَّار التي سبانا منها .

رُوِي أنَّ عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود [١] رحمه الله باع داراً بثمانين ألفَ دِرْهم . فقيل له : لو اتخذت لِولدك مِنْ هذا المال ذُخراً ، فقال : أنا أَجعلُ هذا المالَ ذُخراً لي عند الله تعالى ، وأجعلُ الله سبحانه ذُخراً لولدي ، ثم تصدق بالمال .

كتب رجل إلى صالح بن عبد القدوس رحمه الله :

المَوْتُ بابٌ وكلُّ النَّاسِ داخِلُهُ فليتَ شِعريَ بعدَ البابِ ما الدَّارُ

فكتب إليه صالح :

الدّارُ جَنّةُ عَدْنٍ إنْ عَمِلْتَ بما يُرْضي الإلٰهَ وإنْ فرَّطتَ فالنَّارُ
هُما مَحلَّانِ ما للنَّاس غيرُهُما فانظرْ لنفسكَ ماذا أنتَ مُختارُ

وقال آخر :

دَرَجَ اللّيلُ والنَّهارُ على فَهْـ ـمِ بنِ عَمْروٍ فأصبحوا كالصَّريمِ [٢]
وَخَلَتْ دارُهُم فأضحَتْ يَباباً بعدَ عِزٍّ وَثَرْوَةٍ ونعيمِ

---

(١) أحد الفقهاء السبعة بالمدينة الذين انتهى إليهم العلم ، وكان شاعراً غزلاً ، توفي نحو ٩٩ هـ ، ترجمته في « السمط » ٧٨١ و « الأغاني » ٩/١٣٩ و «الوفيات» ٢/٣٠٠ .

(٢) فهم بن عمرو : هو فهم بن عمرو بن قيس عيلان من عدنان ، جد جاهلي ، من نسله : الليث بن سعد الفهمي ، الامام الكبير .

وَكذلكَ الزَّمانُ يذْهبُ بالنَّا س وتبقى دِيارُهم كالرُّسوم

وقال أبو العتاهية :

ما رأيتُ العيشَ يصْفو لأحَدْ دُونَ كَدٍّ وعناءٍ ونكَدْ (١)
نحنُ مِنْ دَارِ فناءٍ وبِلًى تنقُلُ النّاسَ إلى دارِ الأبَدْ
كُنْ لِما قدَّمتَهُ مُغتَنِماً لا تُؤخِّرْ عملَ اليوم لِغَدْ

وقال أبو تمام :

ما إنَّ هذا مَوْقِفُ الجازِعِ أقْوَى وسُؤرُ الزَّمن الفاجِعِ (٢)
دَارٌ سقاها بعدَ سُكَّانِها صَرْفُ النَّوى مِنْ سَمِّهِ النَّاقِعِ
فلا تَلومَنَّ ذا الهوى إنَّها ليسَتْ ببِدْعٍ حَنَّةُ النَّازِعِ (٣)

وقال أيضاً :

قِرَى دَارِهِمْ مني الدُّموعُ السَّوافِكُ وإنْ عادَ صُبحي بعدَهُمْ وهو حالِكُ (٤)

(١) الأول والثاني في ديوانه : ١٠٨ .

(٢) ديوانه : ٣٥١/٢ من قصيدة يمدح بها نوح بن عمرو ، وفيه : « ها إنَّ هذا » قال التبريزي : ويروى : « لفجع الزمن الفاجع » . وسؤر الشيء : بقيته يريد : أن هذا الربع سؤر الزمن ، أي : قد أهلك معظمه ، وبقيت منه بقية .

(٣) في الديوان : « ولا تلوما ذا الهوى ... » والحَنَّة : مصدر حن يَحِنُّ . والنازع : الذي ينزع إلى وطنه .

(٤) ديوانه : ٤٥٦/٢ من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري. —

سَقَتْ رَبْعَهُمْ لا بلْ سَقَتْ مُنْتَواهُمُ ... مِنَ الأَرْضِ أخْلافُ السَّحابِ الحواشِكُ[١]

وَألبَسَهُمْ عَصْبَ الرَّبيعِ ووَشْيَهُ ... ويُمْنَتَهُ نَبْتُ النَّدى المُتلاحِكُ[٢]

وقال أبو نواس :

يا دارُ ما فعلتْ بكِ الأيامُ ... لمْ تُبْقِ فيكِ بشاشةً تُستامُ[٣]

عَرِمَ الزمانُ على الذين عَهِدتُهُم ... بكِ قاطِنينَ ولِلزمانِ عُرامُ[٤]

أيامَ لا أغشى لِأهلِكِ مَنزِلاً ... إلّا مُراقَبةً عليَّ ظَلامُ

— وفي الديوان بعد هذا البيت :

وإن بكرَتْ في ظُعْنِهِم وحُدوجِهِم ... زيانب من أحبابنا وعواتك

(١) قال التبريزي : المنتوى : الموضع الذي ينتوون إليه ، أي : ينوونه ويرحلون إليه ، واستعار الأخلاف للسحاب ، والحواشك : الكثيرة الماء في هـذا الموضع .

(٢) قال التبريزي : في النسخ « ألبسهم » والأشبه : « ألبسه » على معنى الربع ، لأن العادة أن يدعى للديار بسقيا الغمام ليكثر فيها النبات والزهر ، فأما سكانها فيبعد أن يدعى لهم بمثل ذلك ، لأن الشعراء تصف ما على الهوادج من الزينة ، فوجب أن يكون من في الهودج أحسن ملبساً ، فهو غني عن التزين بالربيع وطيبه ، والأشبه أن يكون الدعاء بالالباس للربع دون أهـله . والمتلاحك : الذي يتصل بعضه ببعض .

(٣) ديوانه : ٥٧٥ ، و « طبقات الشعراء » لابن المعتز : ٢١١ من قصيدة يمدح بها الأمين . ورواية الشطر الثاني في الديوان : « ضامتك والأيام ليس تضام » .

(٤) عرم الزمان ، بتثليث الراء : اشتدت شراسته وأذاه .

وَلَقَدْ نَهَزْتُ مع الغُواةِ بِدَلْوِهِم وَأَسَمْتُ سَرْحَ اللَّهْوِ حيثُ أَسامُوا

وَبَلَغْتُ ما بلغ امرُؤٌ بشبابِهِ فإذا عَضارَةُ كلِّ ذاكَ أَثامُ (١)

وقال الشيخ أبو العلاء بن سليمان المعري :

هل تسمعُ القولَ دارٌ غيرُ ناطقةٍ وفقدُها السَّمْعَ مقرونٌ إلى الخَرَسِ (٢)

لأُنْسِيَنَّكِ إنْ طالَ الزَّمانُ بنا كم مِنْ حبيبٍ تمادى عَهْدُهُ فنُسي (٣)

وقال النَّابغة الجعدي ، وهو قيسُ بنُ عبد الله :

وَهاجَتْ لكَ الأَحزانَ دارٌ كأنَّها بذي بَقَرٍ أوْ بالعَنايَةِ مُذْهَبُ (٤)

---

(١) في الديوان و « الطبقات » : فاذا عصارة .

(٢) شروح « سقط الزند » : ٦٨٩/٢ من قصيدة يهنىء بها بعض الأمراء بعرس ، مطلعها :

لولا تحيَّة بعض الأربُعِ الدُّرُسِ ما هاب حدٌّ لساني حادثَ الخُبُسِ

(٣) في « شروح السقط » : لا أنسينك . قال الخوارزمي : لا أنسينك : نهي في معني الدعاء ، ويروى : لأنسينك، على الايجاب ، والوجه بغير شبهة هو الأول.

(٤) الأول والثالث في شعره : ١٠ من قصيدة مطلعها :

ومولىً جفَتْ عنه الموالي كأنما يُرى وهو مَطْليٌّ به القار أجرب

وفيه : «العنانة » ، وذو بقر : قرية في ديار بني أسد ، وقال أبو حاتم عن الاصمعي : هو قاع يقري الماء ، أي : يجمعه . وفي « معجم البلدان » : وعنان : واد في ديار بني عامر معترض في بلادهم ، أعلاه لبني جعدة ، وأسفله لبني قشير.

أَوارِيَّ خَيْلٍ قد عَفَتْ وَمنازِلٌ أَراحَ بها حَيٌّ كِرامٌ وأعزَبُوا (١)
تَحَمَّلَ منها أهلُها فتفرَّقوا فريقين منهم مُصْعِدٌ وَمُصَوِّبُ (٢)

وقال الرَّبيعُ بنُ أبي الحُقَيْق :

دُورٌ عَفَتْ بقُرى الخابورِ غَيَّرَها بَعْدَ الأَنيس سَوافي الرِّيح والمطرُ
إنْ تُمسِ دارُكَ مِمَّن كان يسكُنُها وَحْشاً فذلك صَرفُ الدَّهرِ والقَدَرُ
وقد تَحُلُّ بها بيضٌ ترائبُها كأنَّها بينَ كُثْبانِ النَّقا البَقَرُ

وقال ابنُ المَوْلى ، وهو محمد بنُ عبد الله بن مسلم بن المولى ، مولى الأنصار رضي الله عنهم من بني عمرو بن عوف :

سَلا دارَ ليلى هل تُبين فتنطِقُ وَكيفَ تَرُدُّ القولَ بَيْداءُ سَمْلَقُ (٣)
وأنّى يَرُدُّ القولَ دارٌ كأنَّها لِطولِ بلاها والتَّقادمِ مُهْرَقُ (٤)

---

(١) الأواري : واحدها آري : وهو محبس الدابة ومعلفها .

(٢) في الشعر : « تحمل من أمسى بها » والمصوب : خلاف المصعد ، أي : المنحدر ، يقول : قد رحل من كانوا ينزلون بالديار ، وتفرقوا إلى فريقين ، فريق أنجد ، وفريق غور .

(٣) الأبيات في « الأغاني »٣/٢٨٦ ، ٢٨٨ . وفيه : « وأنى ترد » والسملق : القاع المستوي الأملس الذي لا شجر فيه .

(٤) المهرق : الصحيفة ، ومن عادة العرب تشبيه المنازل والديار إذا عفت وأقوت بالصحف والكتابة .

فلا تَجْزَعنْ للبينِ كلُّ جماعَـةٍ وَجَدِّكَ مكتوبٌ عليها التفرّقُ

وَخُذْ بالتعزّي كلُّ ما أنتَ لابسٌ جَديداً على الأيّام يَبلى ويَخلقُ (١)

فصبرُ الفتى عمّـا تولّى ففاتَهُ مِنَ الأمرِ أَوْلى بالسَّدادِ وأوفقُ (٢)

وَإنّكَ بالإشفاقِ لا تدفعُ الرّدى وَلا الخيرُ مجلوبٌ فما لكَ تُشفِقُ (٣)

كأنْ لم يَرُعْكَ الدّهرُ أوْ أنتَ آمنٌ لأحداثِهِ فيما يُغادي وَيطْرُقُ

وقال خليلي والبُكا ليَ غالبٌ أقاض على هذا الأسى والتَشَوّقُ (٤)

وقد طالَ تَوْقافي أُكَفْكِفُ عبرَةً على دِمْنَةٍ كادت بها النَّفسُ تَزْهَقُ (٥)

وإنسانُ عَيني في دوائرِ لُجَّةٍ مِنَ الماءِ يبدو تارَةً ثمَّ يَغْرَقُ

وقال أبو العلاء بن سليمان المعري :

اِلْزَمْ ذَراكَ إذا لقيتَ خَصاصَةً فاللّيثُ يسْتُرُ حالَهُ الإخدارُ (٦)

---

(١) في « الأغاني » : .... بالٍ وُمخلِقُ .

(٢) في « الاغاني » : ... عمّـا تولى ففاتَه . وقال أبو الفرج : ويروى : أدنى للذي هو أوفق .

(٣) في « الأغاني » : .... ولا الحَيْنُ مجلوب .

(٤) في « الأغاني » : .... أقاض عليك ذا الأسى .

(٥) في « الأغاني » : توقاني ، وهو تحريف .

(٦) « اللزوميات » : ١/٣٣١ ، وفيه : « وإن لقيت » والذرا : فنـاء الدار ونواحيها ، وكل ما استتر به فهو ذرا ، يقال : أنا في ظل فلان وذراه ، أي : -

هذي الجُسُومُ مِنَ التُّرابِ كَوائنٌ والمرءُ لولا أنْ يُحِسَّ جِدارُ [(١)]
ويقولُ داري مَنْ يقولُ وأعبُدي مَهْ فالعبيدُ لِرَبِّنا والدَّارُ
أتَرُومُ مِنْ زَمَنٍ وفاءً مُرْضِياً إنَّ الزَّمانَ كأهلِهِ غَدَّارُ
يقِفُونَ والفُلْكُ المُسَخَّرُ دائرٌ ويُقَدِّرونَ فيضحكُ المِقْدارُ [(٢)]

مرَّ رجلٌ من مُراد بأُويس القَرَني [(٣)] رحمه الله ، فقال : كيفَ أصبحتَ يا أُويس ؟ قال : أصبحتُ أحمَدُ الله . قال : كيف الزَّمانُ عليك؟ قال : يا أخا مُراد إنَّ الموتَ وذِكْرَه لم يدَعْ في الأرض لِمؤمنٍ فرحاً ، وإنَّ عِلْمَهُ بكتاب الله لن يدَعَ في مالِهِ فضَّةً ولا ذهباً ، وإنَّ قيامَهُ بالحق

- في كنفه وستره . والاخدار : مصدر أخدر الأسد : إذا دخل خدره ، وهي أجمته .

(١) في « اللزوميات » : هذي الشخوص .

(٢) في « اللزوميات » : تقفون . . وتقدِّرون فتضحك الأقدار .

(٣) هو أويس بن عامر ، ويقال: ابن عمرو القرني ، نسبة إلى قرن ، بفتح القاف والراء بطن من مراد ، اليمني العابد ، أدرك حياة النبي ﷺ ولم يره ، فوفد على عمر بن الخطاب ، ثم سكن الكوفة ، وشهد وقعة صفين مع علي رضي الله عنه ، ويرجح الكثيرون أنه قتل فيها . والخبر إلى قوله « صديقاً » في « الحلية » ٢/٨٣ . قلت : وفي « صحيح مسلم » ٤/١٩٦٨ عن عمر بن الخطاب قال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن خير التابعين رجل يقال له : أويس ، وله والدة وكان به بياض ، فمروه فليستغفر لكم » .

لم يَدَعْ لهُ صديقاً . قال : حدثني بحديثٍ سمعتَهُ من رسول الله ﷺ .
قال : يا أخا مُراد ما شهدتُ رسول الله ﷺ ، فأحدِّثك عنه ، ولكن افعلوا كما قال لكم رسولُ الله ﷺ : « حاسِبُوا نفوسَكم قبلَ أنْ تُحاسَبوا فهو أيْسَرُ لحسابِكُم غداً ، وزِنُوا أعمالكم قبلَ أن تُوزَنَ ، فهو أثقَلُ لوزنكم ، ولا تَخْرُبوا دُورَكم مِنَ الآخرة بعُمرانِ دُورِكُم في الدُّنيا ، فإنَّ الله تباركَ وتعالى جَعَل الدُّنيا قنطرة للآخرة فاعبُروها » .

وقال مهيار :

يا دارُ ليس اليومَ عَهْدُكِ أَمْسِ لي ... ظَهَرَتْ مُفارَقَةٌ وبانَ خِلافُ (١)

وتَغَيَّرَتْ فيكِ الصَّبا عن خُلْقِها ... ولِيانِها فنَسِيمُها إعْصافُ (٢)

وقال آخر :

لنْ يُقْنِعَ النَّفسَ إنْ كانتْ مُصَرَّفَةً ... إلَّا التنقُّلُ مِنْ حالٍ إلى حالِ

لأَظْعَنَنَّ إلى دارٍ خُلِقْتُ لها ... وخيرُ زادي فيها خيرُ أعمالي

وقال آخر :

إنصَرَفَ النَّاسُ إلى دُورِهِمْ ... وغُودِرَ الميِّتُ في رَمْسِهِ

مُرْتَهَنَ النَّفس بأعمالِهِ ... لا يَرْتَجي الإطلاقَ من حَبْسِهِ

---

(١) ديوانه : ٢٧٧/٢ ، وفيه « يا دار لستِ اليوم مثلكِ » .

(٢) في الديوان : « وتغيرت ريح الصبا » .

لنفسِهِ صالِحُ أعمالِهِ وما سِواهُ فعلى نَفْسِهِ

وقال أبو نواس :

طوى الموْتُ ما بيني وبينَ محمدٍ وليسَ لِما تَطْوي المنيَّةُ ناشِرُ (١)
وكُنْتُ عليه أحذرُ الموْتَ وَحْدهُ فلم يَبقَ لي شيءٌ عليه أُحاذِرُ
لئنْ عَمرتْ دُورٌ بمنْ لا أُحِبُّهُ لقد عَمَرَتْ مِمَّنْ أُحبُّ المقابِرُ

وقال المرتضى رضي الله عنه :

قالوا نَراكَ بلا سُقْمٍ فقلتُ لهم السُّقْمُ في القلبِ ليسَ السُّقْمُ في البدنِ (٢)
ياعاذِلي خَلِّ عن قلْبٍ تَمَلَّكَه مِنْ قبلِ عَذْلِكَ طولُ الهمِّ والحزنِ
لا يَعْرِفُ الدّارَ إلّا قامَ يَنْدُبُها ولا يُسائِلُها إلّا عن السَّكَنِ

عن الأصمعي قال : دخلْتُ على الرَّشيدِ يوْماً وهو يقرأ كِتاباً ، ودموعه تَتَحدَّرُ ، فلمَّا أبصرني قال : أرأيتَ ما كانَ مِنّي ؟ قلتُ : نعم يا أميرَ المؤمنين فقال : أما إنَّهُ لو كانَ لِأَمْرِ الدُّنيا ما رأيتَ هذا ، ورمى بالقِرْطاس ، فإذا فيه شِعْرٌ لأبي العتاهية :

هلْ أنتَ مُعتَبِرٌ بمنْ خَرِبَتْ مِنْهُ غَداةَ مَضى دَساكِرُهُ (٣)

---

(١) ديوانه : ٣٤٢ في رثاء محمد الأمين .

(٢) الأول والثاني في ديوانه ٣٢٦/٣ من قصيدة يمدح بها فخرالملك . وفيه : « السقم في الجسم » وهو خطأ ظاهر .

(٣) الخبر مع الأبيات في « مروج الذهب » ٣٧٦/٣ للمسعودي ، والأبيات في ديوانه : ١٨٠ . وفيه : « قضى . . . » .

وَبِمَنْ أذَلَّ الدَّهرُ مَصْرَعَهُ وَتبرَّأَتْ مِنْهُ عساكِرُهُ [1]
وبِمَنْ خَلَتْ منهُ أَسِرَّتُه وبِمَنْ خلَتْ منهِ منابِرُهُ
أينَ المُلوكُ وأينَ عِزُّهُمُ صاروا مَصيراً أنتَ صائِرُهُ [2]
يا مُؤْثِرَ الدُّنيا لِلَذَّتِهِ والمُستَعِدّ لِمَنْ يُفاخِرُهُ [3]
نَلْ ما بدا لكَ أنْ تنالَ مِنَ الدُّنيا فإنَّ الموْتَ آخِرُهُ

فقال الرَّشيد : « واللهِ لكأني أُخاطَبُ بهذا دُونَ سائِرِ النَّاس ، فلم يلبث بعد ذلك إلَّا قليلاً حتى مات .

وقال الشاعر :

إلى مَتى أنا في حِلٍّ وَتَرْحالِ وَهَمِّ عَيْشٍ بإدْبارٍ وإقْبالِ
ونازِحُ الدَّار لا أنْفَكُّ مُغْتَرِباً ناءٍ عن الأَهل لا يَدْرون ما حالي
بمَشْرِقِ الأرْضِ طَوراً ثمَّ مَغْرِبِها لا يَخْطُرُ الموْتُ مِنْ هَمِّي على بالِ
ولو قَعَدْتُ أتاني الرِّزْقُ في دَعَةٍ إنَّ القُنُوعَ الغِنى لا كَثْرَةُ المالِ [4]

---

(١) في الديوان : « فتبرأت منه عشائره » .

(٢) في الديوان : « وأين عزتهم » .

(٣) في الديوان : « يا مؤثر الدنيا وطالبها » .

(٤) القنوع : الرضى باليسير من العطاء ، وفي «أضداد ابن الأنباري» : ٦٧ : وربما تكلموا بالقنوع في معنى القناعة ، والاختيار ما قدمنا ذكره (أي: أن القنوع هو السؤال) فمنه قول بعضهم :

عن الأَصمعي رحمه الله قال : جاءني رسولُ الرَّشيد رضي الله عنه ليلةً وقد ذهبَ من الليل شَطْرٌ ، فقال : أجِبْ أميرَ المؤمنين ، ففزِعْتُ مِنْ ذلك وقلتُ : حَدَثَ أمرٌ يُكْرَهُ . فمضيت معه ، فإذا هو قاعِدٌ في أقصى مجلسه ، وبينَ يديهِ دواةٌ وقرطاسٌ وهو يبكي ، فقلت : السَّلامُ عليكَ يا أميرَ المؤمنين ، فقال : وعليكَ السَّلام يابنَ قُرَيْب : اجْلِسْ ، فجلست ، فقال : أبكاني هذا البيت ، وأسْهَرَ ليلَتي . فقلت : لا أبكى الله عَيْنَكَ يا أميرَ المُؤمنين ، وأي بيت هو ؟ قال بيتُ ابن ذي سَلَم عند موته :

لم يَحْتَقِبْ غيرَ أثْوابٍ يمزِّقُها ... رَيْبُ الزَّمانِ وطُولُ العَهْدِ والقِدَم

فقلتُ : والله يا أميرَ المؤمنين لقد صَدَق ، وهذه سبيلُ النَّاس جميعاً ، فطوبى للمتقين ، فقال : وَيْحَكَ يا أصمعي ، ذهبَ جُلساء الخير ، ومجالِسُ الفضل . أينَ مَنْ كان إذا جالَسَهُم المُسْرِفون على أنفسهم وَعَظَتْهم صورتُه ، وذكَّرتْهم هيأَته ، وبلغَتْ بهم كُلَّ المبالغ مقالتُه . فقلت : يا أمير المؤمنين لقد أسعدَ الله دَوْلتك بجماعةٍ مِنْ أهل الفضل ، ثم قلتُ : إنْ أمرْتَ أن أحدّثك بحديث وشعر قُرِئ على بعض القبور ، فقال : هاتِه ، فقلتُ : حدَّثني مَنْ أثِقُ به قال : غَزَوْنا في البحر ، فمالت بنا السفينة إلى جزيرة ،

فسربلت أخلاقي قنوعاً وعِفَّة ... فعندي بأخلاقي كنوز من الذهب
فلم أر عِزّاً كالقنوع لأهله ... وأن يُجْمِلَ الانسان ما عاش في الطلب

فإذا نحنُ بقصرٍ شاهق ، وإلى جانبه قبرٌ وعلى القَصْر بابان ، وبينَ القصر والقبر فسيلُ نخل لم أرَ شيئاً أحْسَنَ منه ، فإذا على القصر مكتوب :

يُؤَمِّلُ دُنيـا لتَبْقى لهُ   فماتَ المُؤمِّلُ قبلَ الأَمَلْ
وباتَ يُرَوِّي أُصولَ الفَسيل   فعاشَ الفَسيلُ وماتَ الرَّجُلْ

وعلى وجهِ القصر مكتوب :

وفتىً كأنَّ جَبينَهُ بدرُ الدُّجى   قامَتْ عليهِ نوائِحٌ وروَامِسُ
غَرَسَ الفَسيلَ مُؤَمِّلاً لبقائِهِ   فحيَ الفَسيلُ وماتَ عنه الغارسُ

وعلى أحد بابي القصر مكتوب :

تلكَ المدائنُ في الآفاقِ خاويةٌ   أمْسَتْ خلاءً وذاقَ الموتَ بانيها

وعلى الباب الآخر مكتوب :

أيْنَ القُرونَ التي عن حَظِّها غَفَلَتْ   حتى سَقاها بكأْس الموتِ سَاقيها

قال الرَّجل : فبقيتُ متعجباً أنظر إلى الشّعْر والقَصْر والفَسيل والقبر ثم تمثلت :

نادِ رَبَّ الدّارِ والحِصْنِ الذي   جَمَعَ الدُّنيا بحِرْصٍ ما فَعَل
كانَ في دارٍ سِواهـا دارُهُ   عَلَّلَتْهُ بالمُـنى ثم انْتَقَـل

قال : فلم يَزَل الرَّشيد يبكي ويصْرَخُ حتى أصبح ، فلما أصبح أمر

أنْ يُخْرَجَ مالٌ جليلٌ فيُتَصَدَّقَ به على الفقراء والمساكين ، وأن يُدفع إليَّ منه عشرة آلاف دِرْهم .

وقال أبو العتاهية :

هيَ الدَّارُ دارُ الأَذى والقَذى ودارُ الفَناء ودارُ الغِيَرْ (١)

فلو نِلْتَها بحَذافيرِها لَمُتَّ ولم تَقْضِ منها وَطَرْ (٢)

وقال الرَّاضي يزيدُ بنُ محمد بن عبَّاد مِنْ مُلوكِ الأَندلس (٣) :

هيَ الدَّارُ غادِرَةٌ بالرِّجالِ وقاطِعَةٌ لِحبالِ الوصالِ

تُفَجِّعُ فيها بغيرِ اللَّذيذِ وتَشْرَقُ منها بغيرِ الزُّلالِ

ونَزْدادُ مع ذاكَ عِشقاً لها ألا إنَّما سَعْيُنا في ضَلالِ

كمَعْشُوقةٍ وُدُّها لا يَدومُ وعاشِقُها أبداً غيرُ سالِ

وقال الأحوص :

هَل هَيَّجَتْكَ مغاني الحيِّ والدُّورُ فاشْتَقْتَ إنَّ البعيدَ الدَّارِ معذورُ

---

(١) ديوانه : ١٦١ ، وفيه : « ودار الغرر » .

(٢) في الديوان : « ولم تقض منها الوطر » .

(٣) هو أبو خالد يزيد بن المعتمد على الله صاحب إشبيلية وقرطبة ، كان والي الجزيرة الخضراء من قبل أبيه قبل اجتياز يوسف بن تاشفين للاندلس ، ثم ولي رنده ، وقتل فيها بعد أن اعتصم فيها مدة طويلة عند دخول المرابطين إلى الأندلس عام ٤٨٤ هـ .

وقـد يَحُلُّ بها إذْ عيشُنا أَنِقٌ بيضٌ أوانسُ أمثالِ الدُّمى حُورُ

وقال مهيار :

سائِلِ الدَّارَ إنْ سألتَ خبيرا وَاستَجِرْ بالدُّموع تَدعُ مُجيرا [1]

أفْهَمَتني على نُحولِ رُباهـا فكأنّي قرأتُ منها سُطورا

يقـال [2] : شَحطَتِ الدَّار : إذا بَعُدَتْ وَنَزَحتْ وَشَسَعتْ . ودارٌ شَطُون ، وبئر شطون ، وإلية شطون : فيه عِوج .

ودارٌ غَرْبَةٌ قَذَفٌ ، أي : بعيدة ، ويقال : أَسقَبَتِ الدَّار : إذا قَرُبَتْ وأسعفت ، والوَلْيُ بتخفيف اللّام : القُرْبُ .

قال ساعِدَةُ بنُ جُؤَيَّة [3] :

---

(١) ديوانه : ٢/١١١ ، من قصيدة يمدح بها الوزير أبا الفضل محمد بن علي ابن الطيب ، وفيه بعد هذا البيت :

وتعوَّذْ بالذكر من سُبَّةِ الغَدْ ر فلا حُبَّ أن تكون ذكورا

المغاني أحفى بقلبي من العذ ل وإن هِجْنَ لوعةً وزفيرا

(٢) كذا الأصل ، ولم يتقدم هذا التفسير اللغوي نص يتضمن الكلمات المفسرة.

(٣) هو ساعدة بن جؤيَّة الهذلي من بني كعب بن كاهل بن الحارث بن تميم ابن سعد بن هذيل ، شاعر من مخضرمي الجاهلية والاسلام ، أسـلم وليست له صحبـة . والبيت مطلع قصيدة في « ديوان الهذليين » ١/١٦٧ ، و « الأمالي » : ٢/٢٢٧ ، و « شواهد العيني » : ٢/٥٤٥ ، و « اللسان » : شعب .

هَجَرَتْ جَنُوبُ وَحُبٌّ من يَتَجَنَّبُ وَعَدَتْ عَوادٍ دُونَ وَلْيِكَ تَشْعَبُ [١]

والكثب : القُرب ، يقال : رماه مِنْ كَثَب ، أي : من قرب .

قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه : الدُّنيا دارُ خَراب ، وأخربُ منها قلبُ مَنْ يشتهي عَمارَتها ، والآخِرَةُ دارُ عُمران ، وأعمرُ منها قلب مَنْ يطلُبُها .

وقال مهيار :

ما أنتِ بَعْدَ البينِ مِنْ أوْطاني دارَ الهوى والدَّارُ بالجيرانِ [٢]

كُنْتِ المُنى مِنْ قبل طارِقةِ النَّوى وَالشَّمْلُ شَمْلي والزَّمانُ زماني

ولئِنْ خَلَوْتِ فليسَ أوَّلُ حادِثٍ خَلَتِ الكُناسُ له مِنَ الغِزْلانِ [٣]

طَرِبَ الحَمامُ بطَبْعِهِنَّ وإنَّما اسـ تَملينَ فيكِ النَّوْحَ مِنْ أحزاني [٤]

---

(١) في ديوان الهذليين: « هجرت غضوب وحُب من يتجنب » قال أبو سعيد: غضوب : اسم امرأة . وحب من يتحبب ، أي : حُبّ بها متحببة إليّ ، يقال : لحب إليّ بذاك ، ولحبّ بفلان إليه : إذا قال : ما أحبه إليه . وقوله : وعدت عواد ، أي : صرفت صوارف ، وقوله : دون وليك . الولي : المداناة، وهو من ولي يلي ولياً ، وليك : قربك . وتشعب : تخالف قصدك ، ويروى : « تشعب » و « تشعب » ، فمن قال : تشعب ، قال : تجور لا تجيء على القصد ، ومن قال: تشعب ، قال : تفرُقُ .

(٢) ديوانه : ٤/٥٠ .

(٣) الكناس : بيت الظبي ، وقد أجراه مجرى المؤنث فأنث الفعل .

(٤) في الديوان : طَرَبُ الحمامِ .

أبيات في هذا المعنى من شِعْر جدِّي ووالدي وعمي وأخي رضي الله عنهم وشعري .

قال جدِّي سديدُ المُلك ذو المناقِب أبو الحسن علي بنُ مقلّد بنُ نصر ابن منقذ رحمه الله :

لله ما طَيْفٌ أَلَمَّ بفتيةٍ تَحْنُو رؤُوسُهم على الأَكْوار [1]

كيفَ اهتَدَيتَ لراحلين تزوَّدوا ما شاءَ قومُكَ مِنْ دُجىً ونهارِ

لفظَتْهمُ دارُ الإقامَةِ فيكُمُ فنضَوْا عِقالَ مَطِيَّةِ الأَسفارِ

ورَنَوْا إلى الحيِّ المُقيم بأعيُنٍ يَنْهَلْنَ من ماء الدُّموع الجاري

وقال عمي عزُّ الدَّوْلة أبو المرهف نصْرُ بن علي رحمه الله :

لهفي لِدارٍ عَفاها كلُّ مُنْهَمِرٍ جَوْنٍ مُلِثٍّ عليها رائِحٌ سَاري

ومَا عَفا ذِكْرُ أحبابي الذّينَ لهم حُزْني مُقيمٌ ودَمْعي إثْرَهُم جاري

وقال والدي مجدُ الدين أبو سَلامة مُرْشِد بنُ علي بنُ مُقلّد رحمه الله :

أيا دارَ التَّصابي والتَّصافي وخِصْبِ العيش في السَّنة الجَمادِ

لقد جارَتْ عليكِ صُروفُ دَهْرٍ رَمَتْكِ بكُلِّ داهيةٍ نآدِ [2]

---

(١) سبق ذكر البيت في هذا الجزء ص ٣٠ .

(٢) في «أساس البلاغة» : داهية نآد بوزن عُقام وصناع ، ونآدى بوزن نصارى ونأدته الداهية تنأده : قدحته وبلغت منه .

فكم لي فيك من إخوان صدق · تملّك صفوُ ودّهم قيادي
قضت بفراقهم نوبُ الليالي · فميعادُ التلاقي في المعادِ

وقال أخي عزّ الدّولة أبو الحسن علي بن مرشد بن علي رحمه الله :

أصبحت دورُ آل مُرشد قفراً · بعد عزٍّ وهيبةٍ وجلالِ
عظةً للعيونِ فيها اعتبارٌ · ونذيرٌ من حادثاتِ الليالي
تُخبرُ الغافلينَ أنّ اقتناء ال · خلقِ فانٍ مُعرّضٌ للزّوالِ
فعليها السّلامُ بعدَ بلاها · من حزينٍ ما حُزنُهُ الدّهرَ بالِ

وقال أيضاً :

يا حيرةَ النّفس أنّى وجهة سلكوا · ومَنْ همُ في سوادِ القلبِ حُلّالُ
لا أوحشَ الله داراً كنتُ أعهدُها · مغنىً بكم وهي بعدَ البينِ أطلالُ

وقال أيضاً :

كفى حسرةً في النّفس بُعْدُ أحبّةٍ · وقُرْبُ أعادٍ يشتهونَ حِمامي
لَعَمْرُكَ ما دارُ الفتى حينَ لا يرى · أحبّتَهُ فيها بدار مُقامِ

وقلت :

يا دارُ غيّركِ البلى وتحكّمتْ · فيكِ الخطوبُ ومحّت الآثارُ
أصبحتِ تعرفكِ القلوبُ توهّماً · ويصدُّ عنكِ الأعينَ الإنكارُ

لم يُبقِ منك الدهرُ رسماً ماثلاً يُنبي بأنَّ هناكَ كانتْ دارُ
لهفي على الزمنِ القصيرِ قطعْتُه بكِ إنَّ أيامَ السرورِ قِصارُ
لم يَبقَ منه سِوى جوىً متسعرٍ في القلبِ يُذكي نارَه التذكارُ

وقلت :

سَقى دارَهم هامي الغمامِ وهامِلُهْ ونوَّرَ ذاوي الروضِ فيها وذابِلُهْ
وعادَ بها طيبُ الليالي التي خلتْ وغبطةُ عيشٍ قد تقضَّتْ غياطِلُهْ (١)
مُنىً يتمنَّاها على بُعدِ نيلِها كذوبُ الأماني ذاهبُ القلبِ ذاهِلُهْ
وبعضُ الأماني ضلَّةٌ وإذا انقضتْ أواخرُ دهرٍ كيفَ تُثنى أوائلُهْ
ديارٌ بها صاحبْتُ شرخَ شبيبَتي أُجادِدُهُ طوراً وطوراً أُهازِلُهْ
أروحُ إلى لهوِ الصِّبى ونعيمِهِ وأغدو على ليثٍ كميٍّ أنازِلُهْ
عهدتُ بها عينَ المها دونَ حُجْبِها أُسودَ الشَّرى يلقى الردى مَنْ تُصاوِلُهْ
وسِرْبَ ظِباءٍ تُحجَبُ الشمسُ دونَهُ وتُحجَبُ عنْ طيفِ الخيالِ عقائِلُهْ
وكلَّ أخي بأسٍ كريمٍ تخالُهُ إذا ما انتضى سيفاً جلتْهُ صياقِلُهْ (٢)
فلمْ يبقَ ممّا كانَ إلّا ادِّكارُه وحسرةَ قلبٍ لا تقرُّ بلابِلُهْ
وكُنتُ أرى ما سرَّني غيرَ زائلٍ ويُخطِئُ نهجَ الحزمِ مَنْ هو جاهِلُهْ
فما كانَ إلّا الطيفَ يُحسَبُ في الكرى يقيناً فإنْ بانَ الكرى بانَ باطِلُهْ

---

(١) الغياطل : واحده الغيطلة ، وهي الأكل والشرب والفرح بالأمن .
(٢) انتضى كانت في الأصل : انتدى .

وقلت :

يقولُ صِحابي قـد أَطَلْتَ وُقوفَنا ... عَلى الدَّارِ مَسلوبَ الأَسى والتَّماسُكِ

أَفي كلِّ دارٍ قد عَفَتْ أَنتَ واقِفٌ ... تُرَوّي ثَراهـا بالدُّموعِ السَّوافِكِ

كأَنَّكَ في رَسْمِ الدِّيارِ مُتَمِّمٌ ... وفيما عفَا من ربعِهـا قبرُ مالِكِ[1]

فقلتُ نعمْ هذي دِيارٌ عَهِدْتُها ... بها مَعْشَري مِثلَ النُّجومِ الشَّوابِكِ

أَصابَهُمُ رَيْبُ الزَّمانِ فأَصبَحتْ ... قِفـاراً وَهُمْ ما بَينَ ناءٍ وَهالِكِ

وقلت :

يقُولونَ قدْ أَعْوَلْتَ في الدَّارِ ما كَفا ... وَليسَ على رَبْعٍ عَفـا بمُعَوَّلِ

وكمْ قَدْرُ ما تَبْقى الدُّموعُ إذا جَرَتْ ... على كلِّ رَبْعٍ أوْ على كلِّ مَنْزِلِ

---

(١) مالك : هو مالك بن نويرة بن جمرة بن شداد اليربوعي التميمي ، فارس شاعر ، من أرداف الملوك في الجاهلية ، يقال له : فارس ذي الخمار ، وذو الخمار فرسه ، وفي أمثالهم : « فتى ولا كمالك » . قدم على النبي ﷺ فأسلم ، فولاه صدقة قومه ، ثم كان ممن منع الزكاة بعد موت النبي ، وخرج خالد لقتال أهل الردة ، فبث السرايا وأمرهم بداعية الاسلام ، وأن يأتوه بكل من لم يجب وإن امتنع أن يقتلوه ، فجاءته الخيل بمالك بن نويرة ، ثم كان بينهما ما فهم منـه خالد أن مالـكا مصر على الردة ، فأمر ضرار بن الأزور بقتله ، فقتله فيمن قتل من مانعي الزكاة والمرتدين . ومتمم هو أخو مالك ، شاعر فحل صحـابي ، وله في أخيه المراثي المشهورة الرائعـــة . قال عمر بن الخطاب للحطيئة : هل رأيت أو سمعت بأبكي من هذا ؟ فقال : لا والله ما بكى بكاءه عربي قط ولا يبكيه .

فقلتُ نعم هذي ديارٌ عَهِدْتُها ... عَرِينَ أُسُودي في الخُطوبِ ومَعْقِلي

فقد أصبحتْ قفراً وفرّقَ شملَهم ... حوادثُ دَهْرٍ بالفراقِ مُوَكَّلِ

سأبكيهمُ أو يمزجَ الدمُ أدمُعي ... فينهلّ سِمطاً كالجمانِ المفصَّلِ

وقلت :

يا دارُ أنتِ التي كانَ الجميعُ بها ... وكانَ في رَبْعِكِ الولْدانُ والحشَمُ

وكُنْتِ للضَيْفِ والعافينَ مُرْتَبَعاً ... يَقْتادُهُم نَحوكِ الإكرامُ والكرَمُ

أصبحتِ قفراً وأضحى أهْلُكِ افترقوا ... أيْدي سَبا وانْثنَتْ عن قصدِكِ الهِمَمُ

ما أعجبَ الدهرَ عيشُ النَّاسِ أجمعِهِم ... - إنْ سرَّهُم صَرْفُهُ أو ساءَهم - حُلُمُ

وقلت :

دارٌ على قُلَلِ الجبالِ تفجّرتْ ... فيها بحارُ فضائلٍ ومكارمِ

فيها النَّدى والجُودُ حقّاً لا الذي ... كُنّا نُحدَّثُ عن سماحةِ حاتمِ

وفوارسٌ جمعوا المكارمَ والعُلى ... لينَ التواضُعِ في قلوبِ ضراغِمِ

أفناهُمُ رَيْبُ المنونِ فلم يَدَعْ ... منهم سِوى ذِكْرٍ كَحُلْمِ النائمِ

وقلت :

يا دارُ لو رَوَّتْ نحولكِ أدْمُعي ... لسَفَحْتُها بكِ أو يُمازِجُها الدَّمُ

لكنَّ دمعَ الحزنِ يُحسَبُ قطرُهُ ... ماءً بَرُوداً وهو جمرٌ مُضرَمُ

وإذا رأَيْتُك قَفْرَةً مِنْ مَعْشَري ... وَبَني أبي وَهُمُ لَعَمْرُكِ ما هُمُ
فكأَنني عايَنْتُ حُفْرَةَ مالِكٍ ... وكأنني وَجْداً عليهِ مُتَمِّمُ

وقلت :

وَاوَحْشَتي في الدَّارِ لما أَصْبَحَتْ ... مُوحِشَةً مِنَ الظِّباءِ العِينِ
كانت عَريناً وكِناساً فاغْتَدَتْ ... مُقْفِرَةَ الكِناسِ والعَرينِ
تُقارِنُ الأُسْدُ بها عِينَ المَها ... والدَّهرُ قَطّاعٌ قُوى القَرينِ
فأصبحَتْ كما تَرَى ليسَ بها ... إلَّا دَواعيْ الوَجْدِ والحَنينِ

وقلت :

نظَرْتُ إلى دارِ الأَحِبَّةِ قَفْرَةً ... وقد كانَ فيها العِزُّ والكَرَمُ المَحْضُ
فلَمَّا رأى صَحْبي عليها تَلَدُّدي ... ودَمْعي بكى بعضٌ وعَنَّفَني بَعْضُ (١)
وقالوا أَفِقْ للأَرْضِ تبكي فقلتُ لا ... ولكنَّني أبكي لِمَنْ وارَتِ الأَرضُ

وقلت :

يا دارُ إن بَخِلَت على ... مَغْناكِ سارِيَةُ العِهادِ
فلأُمْطِرَنَّكِ مِنْ دُمو ... عي ما يَنُوبُ عنِ الغَوادي
حتى تعودَ رُباكِ حا ... لِيَةً مُفَوَّفَةَ الوِهادِ
كمْ حَلَّ رَبْعَكِ مِنْ غَضيْـ ... ـضِ الطَّرْفِ مَمْنُوعِ الوِدادِ

(١) التلدد : التلفت يميناً وشمالاً تحيراً .

يَسْتَوقِفُ الأَبصارَ فهـ ـيَ عليه حائِمَـةٌ صَـوادي
فرمتْ جُمُوعَهم اللَّيـا ـلي بالتَّشَتُّتِ والبِعـادِ
وَصُرُوفُ هذا الدَّهر تَطْـ ـرقُ بالحوادثِ أو تُغادي
عاداتُهـا رَدُّ الأُمو رِ مِنَ الصَّلاحِ إلى الفَسادِ
يُحسِنَّ لا عَمـداً وَيأْ تِينَ الإِسـاءَةَ باعْتِمادِ

وقلت :

ما أنتَ أوَّلَ مَنْ تنـآءَتْ دارُهُ فعَلَامَ قلبُكَ ليسَ تَخْبو نارُهُ [(١)]
إمَّا السُلُوُّ أو الحِمامُ وما سِوى هَـذين قِسْمٌ ثالثٌ تختارُهُ
ما بعدَ يَوْمِكَ مِنْ لقاءٍ يُرْتَجى أو يَلْتَقي جُنْحُ الدُّجى ونهارُهُ
هـذا وُقُوفُكَ للوداعِ وهذهِ أَظْعانُ مَنْ تهوى وتلكَ ديارُهُ
فاسْتَبْقِ دَمعَكَ فهو أوَّلُ خاذلٍ بعدَ الفراقِ وإنْ طَمى تَيَّارُهُ
مَدَدُ الدُّموعِ يَقِلُّ عن أمَدِ النَّوى إنْ لم تَكُنْ مِنْ لُجَّةٍ تَمتارُهُ [(٢)]

وقلت : وكَتَبْتُ بها إلى أخي عزِّ الدولة أبي الحَسن عليِّ بن مُرْشِد ابن عليِّ بن مقلد رحمه الله ، وأنا بالعسكر الأتابكي بإربل :

وإنَّ امرءاً أَضْحَتْ بإِرْبلَ دارُهُ وَفي شَيْزَرٍ إِخوانُـهُ وشُجُونُهُ [(٣)]

---

(١) ديوانه : ٧٠ .

(٢) تمتاره : تجتلبه .

(٣) ديوانه : ١٥١ ، وفيه : « وفي شيزر أحبابه . . . » وإربل : مدينة كبيرة من أعمال الموصل .

لَغَيْرُ مَلُومٍ في الحَنينِ إليهمُ ... ومَعْذُورَةٌ أنْ تَستَهِلَّ جُفُونُهُ (١)

وقال أخي عِزُّ الدَّوْلة أبو الحسن علي رحمه الله :

فيا أيُّها الدَّارُ التي شَطَّ أَهْلُها ... وبالرَّغْمِ مِني أنَّ سُكَّانَها شَطُّوا

رَضيتُ بِحُكْمِ الدَّهرِ فيكِ وإنَّما ... رِضَى مَنْ نأَتْ أحبابُه بالنَّوى سُخْطُ

بهم كانت الدُّنيا التي غَدَرَتْ بهم ... كأنَّهُمُ فيها الحَيا والوَرَى قَحْطُ

تَريدُ بهم هذي البسيطةُ بَسْطَةً ... ومِنْ مِثلِهم يُستَحْسَنُ القَبْضُ والبَسْطُ

أعارتهم الأَيام وارتجعتْهم ... وكلُّ بخيل في مواهِبِهِ ضَبْطُ

★ ★ ★

(١) جاء في هامش الديوان عن نسخة « شؤونه » ، والشؤون : جمع شأن ، وهو مجرى الدمع إلى العين ، واستهل المطر : اشتد انصبابه .

فصل آخر
في ذكر الدار

قالت مَحبوبَة الهُذليَّة :

بانَ الخَليطُ وَخفَّ حاضِرُهُ	لَمّا دَعا بالبَينِ طائِرُهُ
يا أُنسَنا مِنْ قُرْبِ دارِهِمُ	قبلَ الذي كُنّا نُحاذِرُهُ
وَتَخَلَّفَتْ مِنْ بعدِ فُرْقَتِهِمْ	أَوْصالُ صبٍّ سارَ سائِرُهُ
يا لِلرِّجالِ لِأَسْرِ مُرْتَهِنٍ	جَلَبَ البلاءَ عليهِ ناظِرُهُ
لَمْ يُغْنِ عنه عِزُّ أُسْرَتِهِ	شيئاً وَلَم تَنْفَعْ مَعاشِرُهُ
هذي مَوارِدُ ما بُليتُ بِهِ	واللهُ أَعلَمُ ما مَصادِرُهُ

وقال آخر :

يقولُ خليلي يَوْمَ أَكْثِبَةِ النَّقا	وَعيناي مِنْ فَرْطِ الهوى تَكِفانِ [1]
أَمِنْ أَجْلِ دارٍ بينَ لُوذانَ والنَّقا	غَداةَ اللّوى عَيناكَ تَبتَدِرانِ
فقلتُ لهُ لا بَلْ قَذِيتُ وَإِنَّما	قَذى العَينِ مِمّا هَيَّجَ الطَّلَلانِ
فؤادٌ إذا ما قُلتُ تَصحو جَلَبْتُما	عَليهِ الهوى والشَّوْقَ كلَّ أَوانِ

(١) مرت الأبيات عدا الرابع : ٢١١ ، ٢١٢ ، ونسبها المؤلف لبشر ابن الهذيل ، فانظر تخريجها هناك .

وقال الراجز [١] :

هَلْ تَعْرفُ الدَّارَ بأَعْلى ذي القُوْرْ قد دَرَسَتْ غيرَ رَمادٍ مَكْفُورْ

مُكْتَئِبِ اللَّونِ مُراحٍ مَمْطورْ أَزمانَ عَيْناءُ سُرُورُ المَسْرورْ [٢]

عَيناءُ حَوراءُ مِنَ العِينِ الحُور

وقال آخر :

يا دَارُ ما لِلرَّكْبِ حينَ وَقَفْتَهُمْ ما إنْ سَقاكِ مِنَ الدُّمُوعِ لَماظُ [٣]

تَرَكَ الغَرامُ عُقُولَهمْ مَشْدوهَةً فَتَخالُهُمْ رَقَدوا وَهُمْ أَيْقاظُ

عَهْدي بظِلِّكِ وَالشَّبابُ تُزِيلُهُ أَيَّامَ رَبْعُكِ للحِسانِ عُكاظُ

وقال الشَّريف الرَّضي رضي الله عنه :

---

(١) الرجز في « اللسان » : مادة قور ، منسوب لمنظور بن مَرثَد الأسدي .

(٢) في «اللسان»: مَروحٍ .. ، قوله: بأعلى ذي القور، أي : بأعلى المكان الذي بالقور ، وقوله : قد درست غير رماد مكفور ، أي : درست معالم الدار إلا رماداً مكفوراً، وهو الذي سفت عليه الريح التراب فغطاه وكفره . وقوله : مكتئب اللون ، يريد أنه يضرب إلى السواد كما يكون وجه الكئيب ، ومروح : أصابته الريح ، وممطور : أصابه المطر ، وعيناء : مبتدأ ، وسرور المسرور خبره ، والجملة في موضع خفض باضافة « أزمان » إليها . والمعنى : هل تعرف الدار في الزمان الذي كانت فيه عيناء سرور من رآها وأحبها .

(٣) يقال : ماعندنا لَماظ ، أي : طعام يتلمظ ، أي : يذاق . والمراد به هنا الشيء القليل .

أَمِنْ أجلِ دارٍ بالُمصَلّى إلى مِنى تُعادُ كما عِيدَ السَّليمُ المؤرَّقُ [١]

حَنيناً إليها والْتِواءً مِنَ الجوى كأنَّكَ في الحيِّ الوَلُودُ المطَرِّقُ [٢]

أُجِلُّ تُرابَ الأَرْض كانوا حُلُولَها وَأجْزَعُ مِنْ مَرّي عليها وأَشْفِقُ [٣]

وَلَم يَبْقَ عندي للهوى غيرَ أنَّني إذا الرَّكْبُ مَرُّوا بي على الدَّارِأشْهَقُ

وقال أبو جُوْثة بن زياد :

خليليَّ مِنْ عَمْروٍ عَفا اللهُ عَنْكُما وَلقَّاكُما مِنْ كلِّ أمْرِكُما يُسْرا

أَلِمَّا على دارٍ لِعَبْلَةَ قـد عَفَتْ كأنَّ لِمطْلُولِ الُخزامى بها نَشْرا

نَظَرْتُ بأرْمـامٍ وَأَيَّةَ ساعَـةٍ نظرْتُ إلى أعْلامِها نَظَراً شَزْرا [٤]

---

(١) ديوانه : ٧٦ ، وفيه : « أمن ذكر . . . » .

(٢) المطرّق ، من طرّقت المرأة والناقة : نشب ولدها في بطنها ، ولم يسهل خروجه . وفي الديوان بعد هذا البيت :

أَأللهُ إني إن مررتُ بأرضِهـا فؤاديَ مأسورٌ ودمعيَ مطلَقُ

أكرُّ اليها الطرفَ ثم أردُّه بانسان عين في صَرى الدَّمع يغرقُ

هوايَ يمانٍ كيف لا كيف نلتقي وركبي منقادُ القرينة مُعْرِقُ

فواهاً من الربع الذي غيَّر البلى وآهـاً على القوم الذين تفرّقوا

(٣) رواية البيت في الديوان :

أصون تراب الأرض كانوا حُلولها وأحذر من مرّي عليها وأشفِقُ

(٤) أرمام : اســم جبل في ديار باهلة بن أعصر ، وقيل : أرمام : واد يصب في الثَّلَبوت من ديار بني أسد ، وقيل : أرمام : واد بين الحاجر وفيد ، ويوم أرمام من أيام العرب .

وَأَغيدَ مِنْ طولِ الكَلالِ يُميلُه   كلالُ السُّرى حتى كأنَّ بهِ سُكْرا
سَرَيْنا به مِنْ أجْلِ عَبْلَةَ بعدَما   تجَلَّلَتِ الآفاقُ أرْدِيَةً خُضْرا

وقال أبو تمام:

أَهِدِ الدُّموعَ إلى دارٍ وماصِحِها   فلِلْمَنازِلِ سَهْمٌ مِنْ سَوافِحِها (١)
دارٌ أُجِلُّ الهوى عَنْ أَنْ أُلِمَّ بهـا   في الرَّكْبِ إلّا وعيني مِنْ مَنائِحِها

وقال أيضاً:

يا دارُ دَرَّ عليكِ إرْهامُ النَّدى   واهْتَزَّ رَوْضُكِ في الثَّرى فترَأَّدا (٢)

---

(١) ديوانه: ١/٣٤٦، مطلع قصيدة يمدح بها الفضل بن صالح بن عبد الملك ابن صالح. قال أبو العلاء: وقوله: ماصحها، من قولهم: مصح الشيء: إذا غاب في الأرض، وقال ابن المستوفي في الرد على أبي العلاء: الأجود أن يكون «ماصحها» من مصح الثوب: أخلق ودرس، أو مصح الشيء مصوحاً: ذهب وانقطع، قال:

قـــد كاد من طول البلى أن يمصحـا

ولم أرهم ذكروا «مصح» إذا غاب في الأرض. وسوافحها: جمع سافح، يقال: سفح الدمع فهو سافح، وسفحه الباكي فهو مسفوح، وكل شيء صُبَّ فهو مسفوح كالدَّم والماء. وفي الديوان بعد هذا البيت:

أشلى الزمان عليها كلَّ حادثةٍ   وفرقةٍ تُظلِمُ الدُّنيا لنازحهـا
حلفتُ حقّاً لقد قلَّت ملاحتُها   بمن تُخرِّم عنها من ملائحهـا
إنْ تبرحا وتباريحي على كبد   ما تستقِرُّ فدمعي غيرُ بارحهـا

(٢) ديوانه: ٢/١٠١، مطلع قصيدة يمدح بها أحمد بن عبدالكريم الطائي ـ

سَقْياً لِمَعْهَدِكَ الذي لو لم يَكُنْ ... ما كانَ قلبي لِلصَّبابَةِ مَعْهَدا

وقال المتنبي :

أَهْلاً بدارٍ سَباكَ أَغْيَدُها ... أَبْعَدُ ما بانَ عنكَ خُرَّدُها (١)

ظَلْتَ بها تَنْطَوي على كَبِدٍ ... نَضيجَةٍ فوقَ خِلْبِها يَدُها (٢)

قِفا قليلاً بها عليَّ فلا ... أَقَلَّ مِنْ نَظْرَةٍ أُزَوَّدُها

ففي فؤادِ المُحِبِّ نارُ هَوَىً ... أَحَرُّ نارِ الجَحيمِ أَبْرَدُها

ـ الحمصي، وفيه وفي «الموازنة» : ٤٣٧/١ : «يادار دار عليك . . .» وإرهام : من الرِّهمة ، وهو المطر الليِّن ، وترأد : تثنى لكثرة مائـه وغضاضته . وفي الديوان بعد هذا البيت :

وكسيتِ من خِلَع الحيا مستأسداً ... أنفاً يُغادر وحشه مستأسدا

طللٌ عكفت عليـــه أسأله إلى ... أن كاد يصبحُ ربعُه لي مسجدا

وظللت أنشِدُه وأنشدُ أهـــله ... والحزن خِدني ناشداً أو منشدا

(١) ديوانه : ٢٩٤/١ ، من قصيدة يمدح بها محمـــد بن عبد الله العلوي . وسباه : أسره بحبه ، والأغيد : الناعم المتثني ليناً ، والمراد الحبيبة ، وذكر على معنى الشخص . والخرد : جمع خريدة ، وهي البكر التي لم تمسس ، أو الحييّة. لما دعا للدار — التي سباه من كان بها — بأن تكون مأهولة ، قال : أبعد شيء فارقك جواري هذه الدار الناعمات الأبكار .

(٢) الخلب : غشاء الكبد ، وجعل اليد نضيجة ، وأضافها إلى الكبد ، لأنه دام وضعها على الكبد ، فأنضجتها بمـــا فيها من الحرارة ، فلهذا جاز إضافتهـا إلى الكبد .

وقال البحتري :

يا خليليَّ ساعةً لا تَرِيما وعلى ذي صَبابةٍ فأقيما

ما مَرَرْنا بدارِ زَينَبَ إلّا فَضَحَ الدَّمْعُ سِرَّكَ المكْتُوما

ذَكَّرَتني الهوى وَهُنَّ رَميمٌ كيفَ لو لم يَكُنَّ كُنَّ رَميما

وقال أبو تمام :

أَدارَ البُؤْسِ حَسَّنَكِ التَّصابي إليَّ فصِرْتِ جَنَّاتِ النَّعيمِ [1]

لئِنْ أصبحتِ ميدانَ السَّوافي لقد أصبحتِ ميدانَ الهُمومِ

ومِمّا ضَرَّمَ الأَحشاءَ أنّي شَكَوْتُ فما شَكَوْتُ إلى رَحيمِ

أَظُنُّ الدَّمعَ في خَدّي سَيُبقي رُسوماً مِنْ بُكائي في الرُّسُومِ

وقال النَّابغة الذبياني وهو زياد بن معاوية :

عُوجُوا فحَيُّوا لِنُعمٍ دِمْنَةَ الدَّارِ ماذا تُحَيُّونَ مِنْ نُؤْيٍ وأَحْجارِ [2]

فاستَعجَمَتْ دارُ نُعْمٍ ما تُكَلِّمُنا والدَّارُ لوْ كَلَّمَتْنا ذاتُ أَخْبارِ

---

(١) ديوانه : ٣/١٦٠ من قصيدة يمدح بها بني عبد الكريم الطائيين .

(٢) ديوانه : ٨٥ بشرح ابن السكيت ، وفيه : وهي أبيات منحولة ، وفيه بعد هذا البيت :

أقوى وأقفر من نعم وغيره هُوجُ الرِّياح بهابي التُّرب موّار

وقفتُ فيها سراةَ اليوم أسألها عن آل نعم أموناً عيرَ أسفار

فما عَرَفْتُ بها شيئاً أُعيجُ بهِ ... إلّا الثُّمامَ وإلّا مَوْقِدَ النَّارِ (١)

وقد أراني ونُعماً لاهِيَيْنِ بها ... في الدَّهْرِ والعيشُ لم يَهْمُمْ بإمْرادِ

أيّامَ تُعجِبُني نُعْمٌ وأُخبِرُها ... ما أكْتُمُ النَّاسَ مِنْ حاجي وأسْراري

وقال الحُطيئة :

يا دارَ هِنْدٍ عفَتْ إلّا أثافيها ... بينَ الطَّويِّ فَصاراتٍ فوادِيها (٢)

قد غَيَّرَ الدَّهْرُ بعدي مِنْ مَعارِفِها ... والرِّيحُ فما دَفَّنَتْ فيها مَغانيها

جَرَّتْ عليها بأذيالٍ لها عُصُفٌ ... فأصبحتْ مِثْلَ سَحْقِ البُرْدِ عافيها (٣)

كأنّني ساوَرَتْني يَوْمَ أسألُها ... عَوْدٌ مِنَ الرُّقْشِ لا تُصْغي لراقيها (٤)

وقال أيضاً :

أدارَ سُلَيْمى بالرَّوانِكِ والعُرْفِ ... أقامتْ على الأرْواحِ والدِّيَمِ الوُطْفِ (٥)

---

(١) في شرح ابن السكيت : « أعوج بـه » ، وفي « اللسان » : العيج : شبه الاكتراث وأورد البيت .

(٢) ديوانه : ٢٠١ من قصيدة يمدح بها بغيضاً .

(٣) عصف : رياح عاصفة ، وسحق الثوب : أبلاه ، شبه بقايا الأطـــلال وما تعفى منها ببرد قد سحق .

(٤) ساوره : أخذه برأسه ، والرقش : جمع رقشاء ، وهي الحية ، أراد : أفعى قديمة لا تصغي للرّقاة .

(٥) ديوانه : ٣٢٠ ، وفيه : « بالدوانك فالعرف» والدوانك والعرف : موضعان —

وَقَفْتُ بها فاستوْقَفَتْ ماءَ عَبْرَتي — بها العَينُ إلاَّ ما كَفَفْتُ به طَرْفي[١]

فِراق حِبابٍ وانتهاءٌ مِنَ الهوى — فلا تَعْذِلِيني قد بدا لكِ ما أُخفي[٢]

يقولونَ نَسْتَغْني وواللهِ ما الغِنى — مِنَ المالِ إلا ما يُعِفُّ وما يكفي

وقال النابغة الذبياني :

يا دارَ مَيَّةَ بالعَلْيـاءِ فالسَّنَدِ — أَقْوَتْ وطالَ عليها سالِفُ الأَبَدِ[٣]

ـ والديم : جمع ديمة ، وهي المطرة تدوم اليومين والثلاثة بسكون ، والوطفاء : الديمة السح الحثيثة طال مطرها أو قصر ، إذا تدلت ذيولها .

(١) في الديوان : فاستنزفت ماء . . . إلا ما كفكفت بهـا طرفي . وفي « معجم البلدان » : من العين ، وفي الشرح : وقوله : استنزفت ، أي : استنزفت عيناي ماء عبرتي ، أي : إلا أن أغمض ، يقول : جعلت أرد بكاي ، وقـد اغرورقت عيناي بماء .

(٢) الحباب : المحابة والموادة والحب . وفي الديوان : « فراق حبيب وانتهاء عن الهوى » .

(٣) ديوانه : بشرح ابن السكيت ، و « مختار الشعر الجاهلي » : ١٤٩/١ ، والعلياء : مكان مرتفع من الأرض ، والسند : سند الجبل وهو ارتفاعه حيث يسند فيه ، أي : يصعد ، وقال ياقوت الحموي : وحكى الحازمي عن الأزهري أن « سند » في قول النابغة : بلد معروف في البادية ، وقال الأديبي : سند ، بفتحتين : ماء معروف لبني أسد . وأقوت : خلت من أهلها ، والسالف : الماضي ، والأبد : الدهر .

وَقَفْتُ فيهـا أُصَيْلاناً أُسائِلُها ... أعيتْ جواباً وما بالرَّبع مِنْ أحدِ [(١)]

أضحَتْ قِفاراً وأضحى أهْلُها ٱحتَمَلُوا ... أخنى عليها الذي أخْنى على لُبَدِ [(٢)]

وقال قيس بن ذَريح :

بَكتْ دارُهم مِنْ نأيِهِمْ فتهَلَّلَتْ ... دُمُوعي فأيَّ الجازِعينَ أَلُومُ [(٣)]

أَمُسْتَعْبراً يبكي مِنَ الشَّوْقِ والجوى ... أَمَ آخر يبكي شَجْوَهُ ويَهيمُ [(٤)]

---

(١) قال البطليوسي : يروى : وقفت فيها طويلاً ، فمن رواه على هذا فهو نعت لمصدر محذوف أو لوقت محذوف ، ويروى : وقفت فيها أصيلاً كي أسائلها . والأصيل: العشي ، وجمعه أصلان ، ومن توهم أنه صغر أصيلاناً جمع أصيل ، فقد أخطأ ، لأنه أكثر العدد ، وأكثر العـدد لا يصغر ، لأن تصغير العدد تقليل له ، فلو صغر المكثر منه ، لـكان مكثراً مقللاً في حال واحدة ، وذلك محال ، والصحيح أنه بنى من أصيل اسماً على ُفعلان مثل التكلان والغفران ، ثم صغره .

(٢) أخنى عليها : غيرها وأفسد آياتهـا ، ولبد : زعموا أنه نسر كان للقمان ابن عاد عمر طويلاً ، قال الزمخشري : وهو نسر لقمان العادي ـ نسبة إلى عاد ـ سماه لبداً معتقداً فيه أنه أبد فلا يموت ، ولا يذهب ، ويزعمون أنه حين كبر قال له : انهض لبد فأنت نسر الأبـد ، ولقمان عاد غير لقمان الحكيم المذكور في القرآن .

(٣) ديوانه : ١٤٤ وانظر تخريجهـا هناك . وفي ديوان « المجنون » : بكت دارهم من فقدهم فتهللت .

(٤) جاء في هامش الأصل ما نصه : كذا كان في أصل الشعر والصحيح : أمستعبراً يبكي من الهون والبلى . قلت : وهذه الرواية هي في ديوان المجنون -

تَهَيَّضَني مِنْ حُبِّ لُبنى عَلائِقٌ ... وأصنافُ حُبٍّ هَولُهُنَّ عظيمُ

وَمَنْ يَتعلَّقْ حُبَّ لبنى فُؤادُهُ ... يَمُتْ أوْ يَعِشْ ماعاشَ وهوَ سَقيمُ

وإنَّ زماناً شَتَّتَ الشَّمْلَ بيننا ... وبينكُمُ فيهِ العِدى لَذَميمُ (١)

وقال جميل بن معمر :

أَلَمْ تَسأَلِ الدَّارَ القديمةَ هل لها ... بأُمِّ حُسينٍ بعدَ عهدِكَ مِنْ عَهْدِ (٢)

سَلِ الرَّكبَ هل عُجْنا بمَغْناكِ مَرَّةً ... صُدورَ المطايا وهيَ مُوقَرَةٌ تَخْدي (٣)

وهلْ فاضَتِ العَيْنُ الشَّروقُ بمائِها ... مِنْ أَجْلِكِ حتى اخْضَلَّ مِنْ دَمعِها بُرْدي (٤)

أَبى القلبُ إلَّا حُبَّ بَثْنَةَ لم يُرِدْ ... سِواها وحُبُّ القلبِ بثنةَ لا يُجْدي (٥)

- دون قوله : أمستعبراً ، فقد جاء فيه : أهذا الذي . . . » ، والمستعبر : الباكي ، والشجو : الهم والحزن .

(١) في الديوان : « فيه العدى لمشوم » .

(٢) ديوانه : ٧٦ ، و « الأغاني » : ١١١/٨ ، وفيها : « بأم جسير » وأم جسير : أخت بثينة .

(٣) في الديوان ، و « الأغاني » : سلي . وعجنا صدور المطي : عطفناها ، وموقرة : محمَّلة ، وتخدي : تسرع .

(٤) العين الشروق : التي احمرت وامتلأت بالدموع فضاقت ، حتى كأنها غاصة . واخضل : ابتل .

(٥) لم يرد هـذا البيت في « الأغاني » ، وجاء في الديوان : ٧٥ ضمن قصيدة أخرى .

وكلُّ مُحبٍّ لم يَزِدْ فوقَ جُهْدِهِ ... وَقد زِدْتُها في الْحُبِّ مِنّي على الْجُهدِ

وقال ذو الرُّمة غيلان بن عُقبة بن مسعود :

لكَ الخَيْرُ هَلَّا عُجْتَ إِذْ أنا واقفٌ ... أُغيضُ البكا في دارِ ميٍّ وأزْفِرُ [1]

فتنظُرُ إنْ مالتْ بصبري صَبابَتي ... إلى جزعي أمْ كيفَ إنْ كنتُ أصْبرُ [2]

إذا شئتُ أبكاني بجَرْعاء مالكٍ ... إلى الدَّحْلِ مُسْتَبْدًى لِميٍّ ومَحْضَرُ [3]

وبالزُّرْقِ أطلالٌ لِمَيَّةَ أقفرَتْ ... ثلاثةَ أعوامٍ تُراحُ وتُمطِرُ [4]

إذا اعترَضتْ حُزْوى وأعرضَ حارِكٌ ... مِنَ الرَّمْلِ تمشي حَوْلَهُ العَينُ أعْفَرُ [5]

---

(١) ديوانه : ٣٠٨ ، عجت : عطفت ولم تستعجلني ، أغيض البكا : أسفح الدمع من عيني .

(٢) فتنظر : جواب « هلا عجت » في البيت السابق .

(٣) في « اللسان » : الدحل : نقب ضيق فمه ثم يتسع أسفله حتى يمشى فيه ، وربما أنبت السدر . فأما ما يعتاده الشعراء من ذكرهم الدحل مع أسماء المواضع كقول ذي الرمة : إلى الدحل . . . فقد يكون سمى الموضع باسم الجنس ، ويجوز أن يكون غلب عليه الجنس، كما قالوا : « الزرق » في برك معروفة ، وإنما سميت بذلك لبياض مائها وصفائها . ومستبدى : موضع يبدون فيه بالربيع ، ومحضر : مكان مياههم التي يحضرونها في الصيف .

(٤) الزرق : أكثبة بالدهناء .

(٥) في الديوان : « إذا ما بدت حزوى » وحزوى : من رمال الدهناء ، وحارك : سنام من الرمل مرتفع ، وفي الأصل تحت قوله: حارك من الرمل : المشرف من الرمل . والعين : البقر ، وأعفر : لونه يميل إلى الحمرة .

وَجدْتُ فؤادي كادَ أنْ يَستَخِفَّهُ ... رَسيسُ الهوى مِنْ بعضِ ما يتذَكَّرُ (١)

عَدَتْني العَوادي عنكِ يامَيُّ بُرْهةً ... وقد يُلْتَوى دُونَ الحبيبِ فيَهجرُ (٢)

على أنّني في كلِّ سَيْرٍ أسيرُهُ ... وفي نَظري مِنْ نَحْوِ أرْضِكِ أصوَرُ (٣)

فإنْ تُحْدِثِ الأيّامُ يا مَيُّ بيننا ... فلا ناسياً عَهْداً ولا مُتَغَيِّرُ (٤)

وقال غيلان أيضاً :

أداراً بِحزْوى هِجْتِ للعينِ عَبرَةً ... فماءُ الهوى يَرْفَضُّ أو يترَقْرَقُ (٥)

وقفنا فسَلَّمْنا فكادَتْ بِمُشْرِفٍ ... لِعرْفانِ صوتي دِمنةُ الدّارِ تنطِقُ

تَجيشُ إليَّ النَّفسُ في كلِّ مَنزلٍ ... لِميٍّ ويرتاحُ الفؤادُ المُشَوَّقُ (٦)

---

(١) رسيس الهوى : أثبته ، والرسيس : الشيء الثابت الذي قد لزم مكانه. وفي الديوان : « كاد أن يستفزه . . . رجيع الهوى » ورجيع الهوى : ما كان ذهب ثم رجع .

(٢) عدتني العوادي : صرفتني الصوارف ، برهة : زماناً ، والالتواء : المطل، وقوله : « وقد يلتوي دون الحبيب » يقال : التوى دوني في الحاجة : إذا لم يستقم.

(٣) أصور : مائل ، يريد: عدتني العوادي على أنني في كل سير ألتفت وأميل.

(٤) في الديوان : « فلا ناشر سراً » .

(٥) ديوانه : ٤٧٧ مع اختلاف في الترتيب ، والألف في قوله : « أداراً » للنداء ، وحزوى : موضع في ديار بني تميم ، ويرفض : يسيل ، ويترقرق : يبقى في العين متحيراً يجيء ويذهب .

(٦) تجيش ، أي : تفور وتثور وترتفع وتغثى من الفزع . وفي الديوان ـ

أَلا ظَعنَتْ مَيٌّ فهاتيكَ دارُها ... بها السُّحْمُ تَرْدي والحَمامُ المُطوَّقُ (١)

لها جِيدُ أُمِّ الخِشفِ رِيعَتْ فأَتْلَعَتْ ... وَوَجْهٌ كقَرْنِ الشمس رَيّانُ مُشْرِقُ (٢)

وعينٌ كعَيْنِ الرِّيمِ فيها مَلاحَةٌ ... هِيَ السِّحْرُ أو أدهى ٱلْتِباساً وأَعْلَقُ (٣)

لَعَمْرُكَ إني يَوْمَ جَرْعاءِ مالِكٍ ... لَذو عَبرَةٍ كلٌّ تَفيضُ وتَخْنُقُ (٤)

وإنسانُ عيني يَحْسِرُ الماءَ تارةً ... فيبدو وتاراتٍ يَجُمُّ فيَغْرَقُ (٥)

— بعد البيت :

أراني إذا هوَّمتُ يا ميُّ زرتني ... فيا نعمتا لو أن رؤياي تصدُقُ

فما حبُّ ميٍّ بالذي يكذب الفتى ... ولا بالذي يُزهي ولا يتملَّقُ

(١) في الشرح : السحم : السود ، يعني الغربان ، الواحد أسحم ، تردي : تذهب ، والغراب لا يستطيع المشي ، ويروى : بها السحم فوضى ، أي : متفرقة .

(٢) أم الخشف : الظبية ، والخشف : ولدها ، ريعت : فزعت ، أتلعت : مدت عنقها تنظر ، وقيل : أتلعت : علت تلعةً ، وقرن الشمس : جانبها .

(٣) الريم : الظبي الأبيض ، أدهى : أنكر ، أعلق : أثبت .

(٤) هذا البيت والذي بعده جاء ترتيبهما في الديوان بعد البيت «ألا ظعنت..» وفي الشرح : تخنق : تأخذ الحلق ، وروى الأصمعي «كل» بالرفع على الابتداء ، ومن روى «كلا» بالنصب، فهو منصوب بـ «تفيض» ، والجرعاء : الرمل في الأرض المستوية ، ومالك : اسم رمل .

(٥) حسر الماء ـ من باب ضرب ـ نضب عن موضعه وغار ، ويجم : مضارع جم ، أي : كثر وارتفع ، وإفراد «تارة» أولاً وجمعها ثانياً ، إشارة إلى أن غلبة البكاء عليه هي غالب أحواله .

وقال عبد الله بن الدمينة :

سَلي البانَةَ الغَنَّاءَ بالأَجْرَعِ الذي ... بهِ البانُ هل حَيَّيْتُ أطلالَ دارِكِ [(١)]

وهل قُمتُ في أطلالِهِنَّ عَشِيَّةً ... مَقامَ أخي الضَّراءِ واُختَرْتُ ذَلكِ [(٢)]

(١) ديوانه : ١٣ ، وانظر تخريجها هناك . وفيه : بالأبطح الذي . . به الماء ، والغناء : الملتفة الكثيرة الورق والأغصان ، فاذا أخربتها الريح غنت ، وغنت - هنا - من الغنة ، أي : أن الريح تمر بها غير صافية الصوت . وفي « الحماسة البصرية» : الغيناء بالأجرع الذي ، والغيناء : الخضراء الكثيرة الورق الملتفة الأغصان الناعمة .

(٢) رواية البيت في الديوان :

وهل قمت بعد الرائحين عشيَّةً ... مقام أخي البغضاء واخترت ذلك

وفي الزجاجي : « مقام أخي البؤس وآثرت » ، وفي « أمالي المرتضى » : مقام سقيم القلب . وفي الديوان بعد هذا البيت :

وهل كفكفت عيناي في الدّار عبرةً ... فُرادى كنظم اللؤلؤ المتهالكِ

فيا بانةَ الوادي أليست مصيبةً ... من الله أن تُحمى علينا ظلالُكِ

ويا بانـة الوادي أثيبي متيَّماً ... أخا سقَمٍ لبّسته في حبالكِ

وكلّفتِني من لا أطيقُ كلامَـه ... نهاراً ولا ليلاً ولا بـين ذلكِ

هويتُ ولم تهوي وكنتِ ضعيفةً ... فهذا بلاءٌ قـد بليت بذلكِ

وأذهب غضباناً وأرجع راضياً ... وأقسم ما أرضيتني بـينَ ذلكِ

يقولون ذرهـا واعتزلها وإنما ... يساوي ذهابَ النفس عندي اعتزالُكِ

عدمتُكِ من نفسٍ فأنتِ سقيتني ... كؤوس الرّدى في حبٍّ من لم يبالكِ

ومنّيتني لقيانَ من لستُ لاقياً ... نهاري ولا ليلي ولا بـينَ ذلكِ

فما بكِ من صبرٍ ولا من جلادةٍ ... ولا من عزاءٍ فاهلكي في الهوالكِ

لِيَهْنِكِ إمساكي بكفِّي على الحَشا ورَقراقُ دَمْعي خِيفةً مِنْ زِيالِكِ [١]

فلو قُلْتِ طَأْ في النَّارِ أعلمُ أنَّهُ رِضىً لكِ أو مُدْنٍ لنا مِنْ وِصالِكِ [٢]

لقدَّمْتُ رجلي نحوها فوطِئْتُها هُدىً مِنكِ لي أو ضَلَّةً مِنْ ضَلالِكِ [٣]

وقال آخر :

وَقَفْتُ كأنّي مِنْ وراءِ زُجاجةٍ إلى الدّارِ من فَرْطِ الصَّبابَةِ أنظُرُ [٤]

فعيناي طَوْراً يَغْرَقانِ مِنَ البُكا فأعْشى وَطَوْراً يَحْسِرانِ فأُبصِرُ

وقال البحتري :

بِنا أنتِ مِنْ مَجْفُوَّةٍ لم تَعَتَّبِ ومَعْذورَةٍ في هَجْرِها لم تُؤَنَّبِ [٥]

ونازِحةٍ والدّارُ منها قريبةٌ وما قُرْبُ ثاوٍ في التُّرابِ مُغَيَّبِ

---

(١) في الديوان : « وإذراء عيني دمعها في زيالك » ، ويروى : « ورقراق دمعي رهبة » ، ويروى : « ورقراق عيني من حذار » .

(٢) في الديوان : ولو قلت . . . هدى منك . . .

(٣) في الديوان : أو غية من ضلالك .

(٤) البيتان مع ثالث في « ديوان المجنون » ١٣٥ ، وفيه تخريجها . والبيت الثالث هو :

وليس الذي يهمي من العين دمعها ولكنه نفس تذوب فتقطر

(٥) ديوانه : ١/١٩٠ من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان .

قضتْ عُقَبُ الأيام فينا بهجْرَةٍ　　متى ما تُغالبْ بالتَّجلُّدِ تَغلبِ (١)

ألا لا تُذَكِّرْهُ الحمى إنَّ ذِكْرَهُ　　جوىً باطنٌ للمُسْتَهامِ المُعَذَّبِ (٢)

ولما تَزايلْنا مِنَ الجزْعِ وانتأى　　مُشَرِّقُ رَكبٍ مُصعِدٍ عن مُغَرِّبِ (٣)

تَبَيَّنْتُ أَنْ لادارَ مِنْ بعدِ عالِجٍ　　تَسُرُّ وأنْ لاخلَّةً بعـد زَينبِ (٤)

وقال أيضاً :

أَبُكاءً في الدَّارِ بعدَ الدَّارِ ؟!　　وَسُلُوّاً بِزَيْنَبٍ عن نَوارِ ؟! (٥)

لا هَناكَ الشُّغْلُ الجديدُ بحُزْوَى　　عَنْ رُسُومٍ برامَتَيْنِ قِفـارِ (٦)

---

(١) في الديوان : « فينا بفرقة . . . » وفي الديوان بعد البيت :

فان أبكِ لا أشفِ الغليل وإن أدَعْ　　أدعْ حرقـةً في الصدر ذات تلهُّبِ

(٢) في الديوان : ألا لا تذكرني الحمى إن عهده جوى للمشوق . . . وفي الديوان بعد البيت :

أتت دون ذاك العهد أيام جرهم　　وطارت بذاك العيش عنقاءُ مغْرِبِ

ويالائمي في عبرةٍ قد سفحتها　　لبين وأخرى قبلها لتجنُّبِ

تحاول مني شيمة غـــير شيمتي　　وتطلب عندي مذهباً غير مذهبي

وما كبدي بالمستطيعة للأسى　　فأسلو ولا قلبي كثيرُ التقلُّبِ

(٣) في الديوان : « مشرق ركب مصعداً عن مغرِّب » .

(٤) عالج : رمل بين فيد والقريات ، ينزلهـــا بنو بحتر من طيىء وهي متصلة بالثعلبية على طريق مكة . الخلة : الخليلة ، وكذلك المحبة والصداقة .

(٥) ديوانه : ٢/٩٨٦ من قصيدة يمدح بها أبا جعفر بن حميد .

(٦) لا هناك : لا هنأك خفف همزها : وحزوى : من رمال الدهناء ، وهي ـ

ما ظَنَنْتُ الأَهواءَ قبلكَ تُمحى   في صُـدورِ العُشَّاقِ مَحْوَ الدِّيارِ [١]

وقال الأَحوص [٢] :

خليليَّ مِنْ غَيْظِ بنِ مُرَّةَ بَلِّغـا   رسائِلَ مني لاأَزيدُكُما وِقْرا [٣]

أَلا ليتَ شِعْري هل إلى أُمِّ جَحْدَرٍ   سَبيلٌ فأما الصَّبْر عنها فلا صَبْرا [٤]

وإني لأَسْتَنْشي الحديثَ لِأَجْلِها   لِأَسمعَ منها وهي نازِحَةٌ ذِكْرا [٥]

وأَعْجَبُ دارٍ دارُها غيرَ أَنَّني   إذا ما أَتَيتُ الدَّارَ تَرْجِعُني صِفْرا [٦]

- باليمامة بحذاء قرية بني سدوس . ورامتين ، تثنية رامة ، وهو واحد : موضع في طريق البصرة ومكة .

(١) في الديوان : « من صدور العشاق » .

(٢) الأبيـــات في « الأغاني » : ٢٧٥/٢ ، ٢٧٦ منسوبة للرماح بن ميادة ، وأورد صاحب « اللسان » بيتاً من القصيدة في«بهر» ونسبه لابن ميادة ، قلت : وهو الصواب ، لأنه هو الذي كان ينسب بأم جحدر ، وانظر أخباره معها في « الأغاني » .

(٣) الوقر ، بالكسر : الثقل يحمل على الظهر .

(٤) في « الأغاني » بعد هذا البيت :

فان يك نذر راجعاً أمَّ جحدرٍ   عليَّ لقد أوذمتُ في عنقي نَذْرا

(٥) أستنشي الحديث : أتعرفه وأبحث عنه ، ومنه المستنشية للكاهنة ، لأنها كانت تستنشي الأخبار ، أي : تبحث عنها .

(٦) الصفر ، مثلث الصاد : الشيء الخالي ، يقال : بيت صفر من المتاع ، أي : خال ، ورجل صفر اليدين ، أي : ليس فيهما شيء .

عَشِيَّةَ أَلْوِي بالرِّداءِ على الحشا كأَنَّ الحَشا مِنْ دونِهِ مُشْعَرٌ جَمْرا [١]

وقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي :

أَأَلْحَقَّ إنْ دارُ الرَّبابِ تباعَدَتْ أو انْبَتَّ حَبْلٌ أنَّ لُبَّكَ طائِرُ ؟ [٢]

أَفِقْ قدأفاقَ العاشِقونَ وجانَبوا الـ هَوى واسْتَمَرَّتْ بالرِّجالِ المرائِرُ [٣]

زَعِ النَّفسَ واسْتَقْنِ الحَياءَ فإنَّما يُباعِدُ أو يُدْني الرَّبابَ المَقادِرُ [٤]

أَمِتْ حُبَّها واجعلْ مكانَ وِصالها ورُؤْيتِها أمثالَ مَنْ لا تُجاوِرُ [٥]

فكالنَّاسِ عُلِّقْتَ الرَّبابَ فلا تكُنْ أَحاديثَ مَنْ يَبدو ومَنْ هو حاضِرُ [٦]

---

(١) رواية الشطر الثاني في « الأغاني » : كأن ردائي مشعل دونه جمرا ، ورواه أيضاً « كأن الحشى من دونه أسعرت جمرا » .

(٢) ديوانه : ١٠٩ ، وفيه « أحقاً لئن دار . . . أن قلبك . . . » وانبت الحبل : انقطع ، وأراد حبل المودة .

(٣) المرائر : جمع مريرة وهي العزيمة ، واستمرت المرائر ، أي : قويت العزائم واشتدت .

(٤) زع : أمر من : وزعه يزعه ، أي : كفه يكفه ، واستقن الحياء ، أي : الزمه ، من قولهم : قنيت حيائي ، أي : لزمته . وفي الديوان : « زع القلب واستبق الحياء » .

(٥) في الديوان : « واجعل قديم وصالها وعشرتها أمثال من لا تعاشر » .

(٦) في الديوان : « فان كنت . . . » وجاء ترتيب هذا البيت فيه متقدماً على ما قبله .

وَهبْهَا كشيءٍ لم يَكُنْ أو كَنازِحٍ به الدَّارُ أو مَنْ غَيَّبَتْهُ المقابِرُ (١)

فنَفْسَكَ لِمْ جِئْتَ الذي جِئْتَ طائِعاً وَحالَفْتَ أَمْرَ الغيّ إذْ أنتَ سادِرُ (٢)

كان المنصور قد أَنْزَلَ أبا دُلامَةَ في دارٍ بالقُرْبِ مِنْ قصره ثم دَعَتْهُ الحاجَةَ إليها ، فأمَرَ بإضافتها إلى قصره ، فدخل عليه أبو دُلامَـة (٣) فأنشده :

يا بْنَ عَمِّ الرَّسُولِ دَعْوَةَ شيخٍ قد دَنا هَدْمُ دارِهِ ودَمارُهْ (٤)

فهو كالماخِضِ التي اعتادَها الطَّـلْقُ فَقَرَّتْ وما يَقِرُّ قرارُهْ

إنْ يَحُزْ عُسْرُهُ بِـكَفَّيْكَ يوماً فبِكَفَّيْكَ عُسْرُهُ وَيسارُهْ

---

(١) نازح به الدار ، أي : بعدت داره عن دارك ، يريد : ظن هذه المرأة واحداً من ثلاثه أشياء : إما شيئاً لم يكن ، فأنت لا تعرف عنه شيئاً ، وإما صديقاً بعدت داره فأنت لا ترتقب رؤيته ، وإما حبيباً مات فأنت يائس من لقائه . وفي الديوان بعد البيت :

فإن أنت لم تفعل ولست بفاعل ولا قابل نصحاً لمن هو زاجر

(٢) في الديوان : « فلا تفتضح عيناً أتيت الذي أرى وطاوعت هـذا القلب . . . » وسادر : تائه في الغي ، غير مبالٍ ولا مكترث .

(٣) هو زند بن الجون الأسدي بالولاء ، شاعر مطبوع ، من أهل الظرف والدعابة ، نشأ في الكوفـة واتصل بالخلفاء من بني العباس ، فكانوا يستلطفونه ويغدقون عليه صلاتهم ، وله في بعضهم مدائح ، وكان يتهم بالزندقة لتهتكه .

(٤) الأبيات مع الخبر في « الأغاني » : ١٠/٢٧٢ .

أَوْ تَدْعـهُ إلى البوارِ فأنّى ... ولِماذا - وأنتَ حيٌّ - بَوارُهْ

هلْ يخافُ الهلاكَ شاعِرُ قومٍ ... قَدُمَتْ في مديحِهِمْ أشعـارُهْ

لـكُمُ الأَرْضُ كلُّها فأعيروا ... شَيْخَـكُم ما حَوى عليه جِدارُهْ

فـكأَنْ قد مَضى وخَلَّفَ فيكُم ... ما أَعَرْتُمْ وأَقْفَرَتْ منـهُ دارُهْ

فاستعبرَ المنصور وأمرَ بتعويضه خيراً منها ووَصَلَه .

عن عبد الله بن موسى الكاتب [1] قال : دخلت على عبد الله بن المعتز وهو يبني داره ويُبَيِّضُها ، فقلت له : ما هذه الغرامة ؟ فقال : إنَّ السَّيْلَ الذي جاء منذ ليالٍ أحدثَ في داري ما أَحوَجَ إلى الغرامـة والـكُلْفة ، فقلتُ [2] :

أَلا مَنْ لنفسٍ وأحزانِهـا ... ودارٍ تداعَتْ بحيطانِهـا

أَظَلُّ نهاري في شَمْسِهـا ... شَقِيّاً مُعَنّىً ببُنْيانِهـا [3]

أُسَوِّدُ وَجْهي بتَبْييضِها ... وأَهْدِمُ كيسي بعُمْرانِهـا [4]

---

(١) الخـبر مع الأبيات في « الأغاني » : ١٠/٢٩٣ ، والأبيات في ديوان « ابن المعتز » : ٤٤٣ .

(٢) في « الأغاني » : وقال .

(٣) في الديوان بعد البيت :

ولا أحد من ذوي قربتي ... يساعدني عند إتيانهـا

(٤) في الديوان : أسود وجهي لتبييضها .

وقال آخر :

وَمَنْ يَنْأَ عَنْ دارِ الهوى يُكثِرِ البُكا ... وَقولَ لعَلَّ أوْ عسى سيكونُ [١]

وما اخْتَرْتُ نأْيَ الدَّارِ عنْكُمْ لِسَلْوَةٍ ... وَلكنْ مَقاديرٌ لهنَّ شُجُونُ

وقال أبو عبد الله بن حجاج [٢] :

أخلَّايَ ما اسْتَوْحَشتُمُ عند غيبتي ... لِبَيْني ولا اسْتأْنَسْتُم بالأَسى بعدي

أَلَمْ تَعلموا أني أحِنُّ إليكمُ ... كما حَنَّت الهِيمُ العِطاشُ إلى الوِرْدِ

فلا مَرْحَباً بالدَّارِ لا تَسكُنُونَها ... ولو أنَّها الفِرْدوسُ أوْ جَنَّةُ الخُلدِ

وقال آخر :

وما زِلتُ مُذْ شطَّتْ بيَ الدَّارُ باكيا ... أُؤَمِلُ عطفاً مِنْكَ حِينَ أَؤُوبُ [٣]

---

(١) البيتان غير منسوبين في « زهر الآداب » : ٢/٨٧٦ .

(٢) هو أبو عبد الله حسين بن أحمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن الحجاج النيلي البغدادي ، شاعر فحل ، من كتاب العصر البويهي ، غلب عليه الهزل ، في شعره عذوبة وسلامة من التكلف . قال الذهبي : شاعر العصر ، وسفيه الأدب ، وأمير الفحش ، كان أمة وحده في نظم القبائح وخفة الروح . توفي سنة ٣٩١ هـ . ترجمته وأخباره في « وفيات الأعيان » : ١/٤٢٦ ، و « تاريخ بغداد » : ٨/١٤ ، و « يتيمة الدهر » : ٣/٢٥ ، و « معاهد التنصيص » : ٣/١٨٨ ، و « البداية والنهاية » : ١١/٣٢٩ .

(٣) البيتان غير منسوبين في « زهر الآداب » : ٨٧٦ ، وفيه : « مذ شطت بك . . . أؤمل منك العطف حين تؤوب » .

فأضعفْتَ ما بي حينَ أبْتُ وزِدْتني عَذاباً وإعْراضاً وأنتَ قريبُ

وقال آخر :

أَحَبُّ بلادِ اللهِ أرضٌ تَحُلُّها إليَّ ودارٌ تَحتويكَ رُبُوعُها

لَحى اللهُ قلباً لا يهيمُ صَبابَةً إليْكَ وعيناً لا تفيضُ دموعُها

وقال الحسين بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهما :

لَعَمْرُكَ إنّني لأُحِبُّ داراً تَحلُّ بها سُكَيْنَةُ والرَّبابُ [١]

أُحِبُّهُما وأبذُلُ بعدُ مالي وليسَ لِلائمي فيها عتابُ [٢]

ولستُ لهمْ وإنْ عَتِبوا مُطيعاً حَياتي أوْ يُغَيِّبَني التُّرابُ [٣]

سكينة بنته ، والرباب أمها ، وهي بنت امرىء القيس بن عدي ابن أوس بن جابر بن كعب بن عُلَيم .

أورد أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، رحمه الله ، في كتاب « نَسب الصحابة » رضي الله عنهم ، أنَّ أبا أحمد بن جحش بن رياب ، واسمُه

(١) « الأغاني » : ١٦/٨٩ : وكان الحسن عاتب أخاه الحسين رضي الله عنهما في محبته زوجته الرباب ، فأنشد الأبيات .

(٢) في « الأغاني » : وأبذل جلّ . . . وليس لعاتب عندي عتاب .

(٣) في « الأغاني » : وإن غابوا مضيعاً . وفي « التجريد » : وإن عابوا مطيعاً .

عبد ، وأُمّه أُمَيْمَة بنْت عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف ، أسْلَم هو وأخواه عبد الله وعُبَيْد الله رحمهما الله [١] قبلَ مدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم يدعو فيها ، وهاجَرَ أبو أحمد مع أخيهِ عبد الله وقومه إلى المدينة ، فنزلوا على مُبَشّر بن عبيد ، فعمَدَ أبو سفيان بن حرب إلى دار أبي أحمد ، فباعها من ابن عَلْقَمَة العامري بأربع مائة دينار . فلما قدِمَ رسول الله ﷺ مكّة عام الفتح ، وفرَغَ من خطبته ، قام أبو أحمد على باب المسجد على جمل له ، فجعل يصيح : أنشُدُ الله يا بني عبد مناف حِلْفي ، أنشُدُ الله يا بني عبد مناف داري ، فدعا رسولُ الله ﷺ عثمانَ بن عفان رضوان الله عليه ، فسارّه بشيء ، فذهب عثمان إلى أبي أحمد ، فسارَّه ، فنزل أبو أحمد عن بعيره ، وجلسَ مع القوم ، فما سُمِعَ ذاكِرَها حتى لقيَ اللهَ عز وجل . فقال آلُ أبي أحمد : إنَّ رسولَ الله ﷺ قال له : « لك بها دار في الجنة » .

وقد كان أبو أحمد ، رحمه الله ، قال في بَيْعِ دارِه لأبي سفيان رحمه الله :

أَقطَعْتَ عَهْدَكَ بيننا ... والخازياتُ إلى ندامهْ

أَلّا ذكرْتَ ليالِيَ الـ ... عَيشِ التي فيها القَسامَهْ

عَقْدي وعقدُكَ قائِمٌ ... أنْ لا عُقوقَ ولا أثامَهْ

دارُ ابنِ عَمِّكَ بِعتَهـا ... تَشْري بها عنكَ النَّدامَهْ

---

(١) قال في « الاصابة » : أما عبيد الله ، فمات نصرانياً بأرض الحبشة .

إذْهبْ بها إذْهبْ بهـا ... طُوِّقتها طَوْقَ الحمامـهْ

وجريت فيهِ إلى العقو ... قِ وأسوأُ الخلق الرّغامهْ

قد كنتُ آوي في ذرى ... فيه المقامـة والسَّلامَهْ

ما كان عَقْدُكَ مثلما ... عقد ابن عمروٍ لابن مامَهْ

وكان أبو أحمد هذا رحمه الله ضريراً ، وله أشعار كثيرة .

عن أبي عبد الله العَبْدي قال : كان الفرزدُق مستخفياً في بني شيبان من عبد الله بن زياد ، ثم تحوَّل عنهم وقال :

تَصَرَّمَ عني وُدُّ بكْر بن وائلٍ ... وما خِلْتُ عني وُدَّهم يَتَصَرَّمُ (١)

قوارِصُ تأتيني ويحتقِرونهـا ... وقد يَملأُ القطرُ الإناءَ فيُفْعَمُ (٢)

فقال رجلٌ مِنْ بكر بن وائل (٣) يجيبه :

---

(١) ديوانـه : ٢/٧٥٦ ، و « الـكامل » : ١/٢٨ ، و « طبقـات فحول الشعراء » : ٣٠٢ ، و « أمالي الشـريف المرتضى » : ١/٣٠٤ ، و « حماسة ابن الشجري » : ٧١ . ورواية الشطر الثـاني من البيت الأول في « الطبقات » و«الـكامل» والديوان : وما كان مني ودُّهم يتصرَّمُ . وتصرم الشيء : تقطع .

(٢) قوارص ، جمع قارصة : وهي الكلمة المؤذية ، وفعم الاناء يفعمه فعماً : ملأه وبالغ في ملئه .

(٣) في « أمالي المرتضى » و « حماسة ابن الشجري » ، و « المؤتلف والمختلف » : ٩٥ ، جرير بن خرقاء العجلي ، وذكره ابن سلام في ص ٢٥٩ بنسبة البكري .

لَعَمْري لئِنْ كانَ الفَرَزْدَقُ قد نأى وَأحدَثَ صَرْماً للفرَزْدَقُ أَظْلَمُ [1]

لقد وَسطَتْكَ الدَّارَ بكْرُ بنُ وائلٍ وَضَمَّتْكَ للأَحشاءِ إذْ أنت مُجرِمُ [2]

فإنْ تنأَ عنها لا تَضِرْها وإنْ تَعُدْ تَجِدْها على العَهْدِ الذي كنتَ تعلَمُ [3]

أنشد ابن خالويه لبعض العرب :

أَلَمْ تعلمي يا دارَ بَلْجاءَ أنني إذا أَخْصَبَتْ أوْ كانَ جَدْباً جَنابُها [4]

أَحبُّ بلادِ اللهِ ما بينَ مَنْعِجٍ إليَّ وسَلْمى أنْ يَصوبَ سَحابُها [5]

بلادٌ بها نِيطتْ عليَّ تَمائِمي وأوَّلُ أرضٍ مَسَّ جِلْدي تُرابُها [6]

---

(١) في « الطبقات » : كان الفرزدق عاتباً . والصرم : القطيعة .

(٢) وسطه الدار : أنزله في وسطها ، أي : أكرمها ، يعني : أنهم حاطوه واحتفوا به وأكرموه . وضمتك الأحشاء : عطفت عليك ، كما تضم الأم ولدها إلى أحشائها . وفي « أمالي المرتضى » : لقد بوَّأتك الدار . . . . وردت لك الأحشاء . . .

(٣) في « الطبقات » : فان تنأ عنا لا تَضِرْنا . . . تجدنا . . . ، ونأى ينأى : بعد ، وضاره يضره : ساءه وضره .

(٤) الأبيات في « الكامل » : ٦٦١ ، و « السمط » : ٢٧٢/١ ، ٢٧٣ ، وانظر تخريجها فيه . وبلجاء ، من البلج ، بفتح اللام ، وهو تباعد ما بين الحاجبين ، وجنابها : ما حولها .

(٥) منعج : واد ، وفي « الكامل » : ما بين مُشْرِفٍ ، وهو موضع بالدهناء .

(٦) في « الكامل » : بلادٌ بها عق الشباب تميمتي . وقال البكري : وتقدير-

أوردَ الشيخ الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي رضي الله عنه في فضائل مالك بن أنس رضوان الله عليه : أنَّ الرشيد سألَ مالكاً : هل لكَ مِنْ دار ؟ قال : لا ، فأعطاه ثلاثة آلاف دينار ، وقال : اشترِ بها داراً ، فأخذهـا مالكٌ ولم يُنفِقْها ، فلما أراد الرشيد الشُّخوصَ منَ المدينة قال لمالك : ينبغي أن تخرُج معنا ، فإني عزَمْتُ أنْ أحْمِلَ النَّاسَ على « الموطأ » ، كما حَمَلَ عُثمانُ رضوانُ الله عليه النَّاسَ على القرآن . فقال له مـالك : أمَّا حَمْلُكَ الناسَ على « الموطأ » ، فليسَ إلى ذلك سبيلٌ ، لأَنَّ أصحاب رسول الله ﷺ افترقوا بعدَه في الأمصار ، فحدَّثوا رضي الله عنهم ، فعندَ كلِّ أهلِ مِصْرٍ عِلْمٌ ، وقد قال رسول الله ﷺ : « اختلاف أمتي رَحْمَـةٌ [1] » ، وأما خُرُوجي معك ، فليس إليه سبيل ، قال ﷺ : « المدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون [2] » ، وقال ﷺ : « المدينة تَنْفي

ـ الكلام في هذين البيتين : أحبُّ صوب سحاب بلاد الله إلي ، سحاب بلاد بها عق الشباب تمائمي ما بين سلمى ومنعج ، يريد : وسط سلمى ومنعج فـ «أحب» : ابتداء ، و«أن يصوب» : بدل منه ، و «ما بين» : ظرف ، و «بلاد» : خبر الابتداء .

(١) أورده السيوطي في « الجـامع الصغير » ، ونقل شارحه المناوي عن السبكي قوله فيـه : وليس بمعروف عند المحدثين ، ولم أقف له على سند صحيح ولا ضعيف ولا موضوع ، وانظر « المقاصد الحسنة » : ٢٦ للسخاوي .

(٢) « الموطأ » : ٢/٨٨٨ ، و «البخاري» : ٤/٧٩ ، و« مسلم » : ٢/١٠٠٨ .

خَبَثَها ، كما ينفي الكيرُ خَبَثَ الحديد[1] » وهذه دنانيركم كما هي ، إنْ شئتم خذوها ، وإنْ شئتم دعوها . أراد: إنك تكلفني مفارقة المدينة لِما اصطنعت إليَّ ، ولا أوثر الدنيا على مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال المَهْدي يوماً لمالك : هل لكَ في دار؟ قال : لا ، ولكني أُحَدِّثُك : سمعت ربيعة بن [أبي] عبد الرحمن[2] يقول : نَسَبُ المرْء دارُه .

وقال ربيعة بن مَقْروم الضّبي :

يا دارَ أَسْماءَ بالأَمثالِ فالرِّجلِ حُيِّيتِ مِنْ دِمْنَةٍ قَفْرٍ ومِنْ طَلَلِ[3]

---

(١) « الموطأ » : ٨٨٧/٢ ، و «البخاري» : ٧٥/٤ ، و «مسلم» : ١٠٠٦/٢ .

(٢) هو أبو عثمان ربيعة بن أبي عبد الرحمن فروخ التيمي بالولاء المدني ، الامام الحافظ المجتهد ، لقب «ربيعة الرأي» لبصره بالقياس ، وتوسعه فيه . وكان من الأجواد، أنفق على إخوانه أربعين ألف دينار ، ولما قدم السفّاح المدينة أمر له بمال فلم يقبله ، وكان صاحب الفتوى بالمدينة ، وكان يجلس إليه وجوه الناس فيها ، وعنه أخذ الامام مالك بن أنس ، توفي بالهاشمية من أرض الأنبار سنة ١٣٦ هـ . ترجمته في « تذكرة الحفاظ » ١٥٧/١ ، و « وفيات الأعيان » ٥٠/٢ ، و « تهذيب التهذيب » ٢٥٨/٣ ، و « تاريخ بغداد » ٤٢٠/٨ .

(٣) في « معجم البلدان » : الأمثال : أرضون ذات جبال من البصرة على ليلتين ، سميت بذلك ، لأنه يشبه بعضها بعضاً . الرجل : بكسر أوله وفتح ثانيه موضع بشق اليمامة .

كأنها بعدَ عَهْدِ العاهدينَ بها مَهارِقُ العجْم أو مَوْشِيَّةُ الحُلَلِ [(١)]

دارٌ غَنينا بها حِيناً وأيُّ غِنىً عَنْ أهلِهِ يابنةَ الضَّبِيِّ لم يَحُلِ

وقال نصيب :

ألا تسألُ الدَّارَ التي لعِبَ البِلى بِجِدَّتِها فلمْ تَكَدْ تَسْتَبينُها

متى بانَ منها أهلُها أمْ هلِ البُكا إنِ العينُ بالدَّمعِ اسْتَهلَّ شُؤونُها

يُريحُ هوى نفسٍ عَصَتْكَ وأصبحَتْ تُنازِعُ شتَّى لا جَميعاً شُجونُها

إذا غشيَتْ رَبْعاً لِزَيْنبَ راجَعَتْ بهِ الشَّوْقَ حتى يُسْتَبانَ دَفينُها

فلا حَدَثُ الأيَّامِ أنساكَ ذِكْرَها ولا غُرْبَةُ الدَّارِ الشَّديدِ شُطونُها

وقال آخر : يُنسب إلى المجنون قيس بن الملوّح .

يا دارَ ليلى بسقْطِ الخلِّ قددَرَسَتْ إلَّا الثَّمامَ وإلَّا مَوْقِدَ النَّارِ [(٢)]

أبلى عِظامي بعدَ الحُبِّ دارِسُها كما تَتَبَّعَ عُوْدَ الشَّوْحَطِ الباري [(٣)]

ما تَبْرَحُ الدَّهرَ مِنْ ليلى تَموتُ حَفاً في موقفٍ وَقَفْتُهُ أَوْ على دارِ

---

(١) المهارق : جمع مُهْرَق ، وهي الصحيفة البيضاء يكتب فيها ، فارسي معرب.

(٢) الأبيات في ديوان المجنون : ١٤٩ ، وانظر تخريجها فيه . والسقط : حيث انقطع معظم الرمـل ورق ، والخل : طريق في الرمل يذكر ويؤنث ، وفي الديوان : « بسقط الحي » .

(٣) الشوحط : ضرب من النبع تتخذ منه القسي ، وهي من شجر الجبال جبال السّراة .

وقال المرّار الفقْعَسي (١) :

خليليَّ إنَّ الدَّارَ غَفْرٌ لذي الهوى ... كما يُنْكَسُ المحمومُ أوْصاحِبُ الكَلْم (٢)

أبى مَنزلٌ بالبُرْقِ ألا يَهيجَني ... ودارٌ لها بينَ الأَجارِعِ والرَّضْمِ

الغَفْر : النَّكْسُ والتَّغْطِية ، وَشَعْرُ السَّاق : غَفْر .

وقال الغطَمَّش الضبي (٣) :

أقولُ لِجوّابٍ وَقَيسِ بن عازِبٍ ... وقد باتَ جَفْنُ العين ماءً مَسيلُها

---

(١) هو أبو حسان المرار بن سعيد بن حبيب الفقعسي ، شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية ، قال البكري : والمرارون من الشعراء سبعة : المرار الفقعسي هذا ، والمرار العَدَوي ، والمرار العجلي ، والمرار الطائي ، والمرار الشيباني ، والمرار الكلبي ، والمرار الحَرَشي .

(٢) البيت في « إصلاح المنطق » ١٢٨ ، و « أمالي القالي » ٩٧/١ ، و « أضداد ابن الأنباري » ١٥٥ . قال ابن السكيت : أي : إذا وقف في الديار عاوده هواه فنُكِسَ ، لتذكّره من كان يحلّ بها .

(٣) جاء في « تاج العروس » ٣٣٠/٤ : هو الغطمّش بن عمرو بن عطية ، وهو من بني شقرة بن كعب بن ضبة . وقال ابن الكلبي : هو من بني معاوية ابن عمرو بن عامر بن ربيعة بن كعب بن ضبة ، وفي « المبهج » لابن جني : « الغطمشة » : أخذ الشيء قهراً ، قالوا : ومنه اشتق الغطمّش في اسم رجل ، فهو على هذا اسم مرتجل ، وقالوا : الغطمش : الرجل الكليل البصر ، فهو على هذا منقول من الصفة . وفي « حماسة ابن الشجري » ٢٠٥ أنه كان مقيماً بالري ومفترضه بها .

قِفا حَيِّيا الدَّارَ التي لو وَجدْتُما ... بها أَهْلَها ما كانَ نَحْساً مَقيلُها

وقال طلحة بن رفاعة :

سَقى اللهُ داراً بينَ أمْواهِ بارِقٍ ... وذي نخبٍ لم يَبقَ إلّا صَعيدُها

بها كانَ عَهدُ المالِكيَّةِ فانقضى ... كذاكَ الغواني لا تدومُ عُهودُها

وكانت تُمَنِّينـا وتَزْعُمُ أنَّهُ ... يَجيءُ على بعض الأمانيِّ جُودُها

فما زادَها أنْ أيْسَرَتْ لِدُيونِنا ... قَضاءً ولكنْ كانَ بُخْلاً يَزيدُها

رُوِيَ أنَّ إبراهيم بن حُذَيْفة رحمه الله باعَ دارَه ، فلما أرادَ المُشتري أنْ يُشهِدَ عليه قال : لستُ أُشهِدُ عَليَّ ولا أُسَلِّمُها حتى يشتروا مِنّي جوارَ سعيد بن العاصي [1] ، وتَزيدوا في الثمن . قالوا : وَهَلْ رَأَيتَ أحَـداً اشترى جِواراً ، أو باعه ؟ قال : أَلا تَشْتَرونَ جِوارَ مَنْ إن أَسأتُ إليه أَحْسنَ ، وإنْ جَهِلْتُ عليه حَلُم ، وإنْ أَعْسَرْتُ وَهَب ؟! لا حاجَـةَ لي في

(١) هو سعيد بن العاص بن سعيد بن العاصي بن أميـة الأموي القرشـي ، من الأمراء الولاة الفاتحين الأجواد ، كان له يوم توفي النبي ﷺ تسع سنين ، وربي في حجر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهو فاتح طبرستان ، وأحد الذين دافعوا عن عثمان يوم الدار وكتب المصحف له ، وممن اعتزل فتنة الجمل وصفين ، توفي سنة ٥٣ هـ ، وقيل : سنة ٥٩ . ترجمته وأخباره في « طبقات ابن سعد » : ١٩/٥ ، و « تهذيب ابن عساكر » : ١٣١/٦ ، و « الاصابه » ٤٥/٢ .

بَيْعِكُم ، رُدُّوا عليَّ داري . فبلغَ ذلك سعيدَ بنَ العاصي ، فبعث إليه بمائة ألف دِرْهم .

وروى المدائني قال : باعَ جارٌ لفَيروز دارَه بأرْبعة آلاف درهم ، فجيء بها ، فقال البائع : هذا ثمنُ داري ، فأيْنَ ثمنُ جاري ؟ قال : وَلِجارِكَ ثمن ؟ قال : لا أَنْقُصُه واللهِ مِنْ أربعةِ آلاف . فبلغ ذلك فيروز ، فأرسلَ إليه بثمانية آلاف دِرهم وقال : هـذا ثمنُ دارِكَ وَجارِكَ ، وٱلزَمْ دارَكَ لا تَبِعْها .

وقال أبو تمام :

إنَّ بُكاءً في الدَّارِ مِنْ أَرَبِهْ ... فشايعا مُغْرَماً على طَرَبِهْ (١)

جِيْدَتْ بداني الأَكنافِ ساحتُها ... نائي المَدَى داني الحَيا سَرِبِهْ (٢)

---

(١) ديوانه : ١/٢٦٩ مطلع قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمي ، وبعد البيت :

ماسَجْسَج الشَّوْق مثل جاحِمِه ... ولا صريحُ الهوى كمُؤتشِبِه

(٢) رواية الشطر الثاني في الديوان :

نائي المدى واكِفِ الجدَى سَرِبِه

قال التبريزي : هذا دعاء منه لها ، ويروى :

جيدت بداني الأكناف داني الذُّرى ... واهي الكُلى واكِفِ الجدى سَرِبه

والأكناف : النواحي . و « واهي الكلي » : كناية عن انبعاثـه بالمطر ، -

مُزْنٌ إذا ما استطارَ بارِقُهُ أعطى البلادَ الأمانَ مِنْ كَذِبِهْ [١]

وقال أيضاً :

قد مَرَرْنا بالدّارِ وَهي خلاءٌ وَبكَيْنا طُلُولَها وَالرُّسوما [٢]

وَسأَلنا رُبوعَها وأنصرَفنا بِسَقامٍ وَما سأَلنا حَكيما

وقال أبو العلاء بن سليمان :

أنا مَنْ أَقامَ الحَرْفَ وَهي كأنَّها نُونٌ بدارِكَ والمَعالِمُ أَسْطُرُ [٣]

بالسَّعْدِ جادَتْكِ السَّماءُ لِتَسْعدي وَالغَفْرِ علَّ ذُنوبَ أَهْلِكِ تُغْفَرُ [٤]

يقال : وهت المزادة : إذا انخرقت ، والكلى : جمع كلية ، وهي رقعة في المزادة. والسرب : السائل .

(١) قال التبريزي : أي : إذا برق بارقه ، فبرقه صادق غير كاذب كالخلَّب.

(٢) ديوانه : ٣/٢٢٢ من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف .

(٣) شروح « سقط الزند » : ٣/١١١٧ من قصيدة مطلعها :

النـــارُ في طرفي تبالة أنوَرُ رَقَدَت فأيقظها لخولة مَعْشَرُ

قال البطليوسي : وصف أنه وقف بدار خولة المذكورة في أول هذا الشعر . وشبه معالم الدار — وهي آثارها — بسطور في كتاب ، وناقته منها كالنون لتقوّسها . وإنما ذكر النون دون غيرها من حروف المعجم ، لأن بعض أهـــل اللغة قال : إن الحرف . الناقة الهزيلة ، وإنمـــا سميت بذلك تشبيهاً لها بحرف من حروف المعجم ، وهو النون . وقال آخرون : شبهت بحرف الجبل في عظم خلقتها ، فاختار المعري قول من شبهها بالنون ، لأنه أشكل بما ذكره من الأسطر .

(٤) قال التبريزي : أي : مطرت بنوء السعد ونوء الغفر ، والسعد : من نجوم السعود ، والغفر من منازل القمر ، وله نوء .

وقال أيضاً :

إذا ذَنَّ أنفُ البَرْدِ سِرْتُم فَلَيْتَهُ ... عَقيبَ التنائي كانَ عُوقِبَ بالجَدْعِ (١)

وَما أَوْرَقَتْ أَوْتادُ دارِكِ باللِوى ... وَدارَةَ حتى أُسقِيتْ سَبَلَ الدَّمْعِ (٢)

وقال البحتري :

وَلقد مَنَعْتُ الدَّارَ إعلانَ الهوَى ... وَطَوِيتُ عَنها سِرَّكِ المكتوما (٣)

أَتَغيضُ مِنْ حَذَرِ الوُشاةِ مَدامِعي ... فإذا خَلَوْتُ تُفيضُهُنَّ سُجوما

وقال آخر :

وَلوْ كُنتَ في الدَّارِ التي مَسقط الصَّفا ... مَرِضْتُ وَلكن غابَ عني مُعَلِّلي

---

(١) « شروح سقط الزند » ٣/١٣٤٠ ، قال التبريزي : وأنف البرد : أوله، وذنينه : مطره ، ويقال : ذن أنفه : إذا سال . والمعنى : متى جاء المطر في أول البرد سرتم عنا ، فليت أنف البرد عوقب بالجدع . والجدع : القطع ، والتنائي: التباعـــد .

(٢) في « أساس البلاغة » : نزلنـا في دارة من دارات العرب ، وهي أرض سهلة يحيط بها جبال . وكل موضع يدار به شيء يحجزه فهو دارة . وسبل الدمع: مطره . والمراد : أن أوتاد دارك لم تورق حتى أسقيت الدمع .

(٣) ديوانه : ١/٣٢٤ وبعد البيت :

فكأنمـــا الواشون كانوا أربعاً ... محوَّة لعراصهـــا ورسوما

وسلي مُحيل الربع هل أبثثته ... إلا الوقوف عليـه والتسليما

لم أشك حبَّك بالنحول ولم أرِدْ ... بسقام جسمي أن أكون سقيما

هُنالِكَ لوْ أنّي مَرِضْتُ لَعادَني   عَوائِدُ مَنْ لم يأتِ مِنهُنَّ يُرْسِلِ

وقال آخر :

لا تَطلُبَنَّ دُنُوَّ دا   رٍ مِنْ خليلٍ أوْ مُعاشِرْ

أبْقى لِأسبابِ المودَّ   ةِ أنْ تَزورَ وَلا تُجاوِرْ

قال أحمد بنُ إسماعيل بن الخصيب [1] : شكا إليَّ ميمونُ بنُ هارون بُعْدَ دارِه إذا أرادَ زيارَتي ، فقلت : مِنْ هذا المنزل أقصِدُك إذا زرتك، ثم كتبت إليْه :

لا تَجْعَلَنْ بُعْدَ داري   مُخَسِّساً لِنصيبي

فرُبَّ شَخْصٍ بعيدٍ   إلى الفؤادِ قريبِ

ورُبَّ شخصٍ قريبٍ   إليهِ غيرُ حَبيبِ

ما البُعْدُ والقُرْبُ إلّا   ما كانَ بينَ القُلوبِ

---

(١) هو أبو علي أحمد بن اسماعيل بن الخصيب الأنباري ، أديب من الكتاب المترسلين ، كان كاتب عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، قتله محمد بن طاهر سنة ٢٩٠ هـ .

(٢) هو أبو الفضل ميمون بن هارون بن مخلد بن أبان الكاتب ، صاحب أخبار وآداب وأشعار من أهل بغداد ، أخذ عن الجاحظ ومعاصريه ، وأخذ عنه جعفر بن قدامة وآخرون . مات سنة سبع وتسعين ومائتين . « تاريخ بغداد » : ٢١١/١٣ .

كتبَ عبد الله بنُ طـاهر إلى المأمون مِنْ خُراسان : بَعُدَتْ داري عن ظلِّ أميرِ المؤمنينَ، وإنْ كنتُ حيثُ تصرّفتُ لا أتفيَّأُ إلاَّ به، وقـد اشتَّدَ إلى أمير المؤمنينَ شوْقي لِأَرى مَجلسَه، وأتشرّف بخطابه، وأتجمّل بخدمته، وأنقح عقلي مِنْ حُسْنِ أدبه، فلا شيء آثرُ عندي مِنْ قُرْبه، وإنْ كنتُ في سَعَةٍ مِنْ عيشٍ وهبها اللهُ به. فإنْ رأى أميرُ المؤمنينَ أنْ يأذَنَ لي في المَصيرِ إليهِ لِأُحدِثَ عهداً بالمُنْعِم عليَّ، وأتهنَّأَ بالنِّعمَةِ التي أثرها لديَّ، فعلَ مُحسِناً إنْ شاء الله تعـالى. فوقَّعَ المأمون في كتابه : قُرْبُكَ يا أبا العبَّاس إليَّ حبيب، وأنتَ مِني حَيثُ كنتَ قريبُ، وإنّما بَعدت دارُكَ نظَراً لكَ، ورَغبةً فيك، وسُموّاً، واتبعْ قولَ الشاعر :

رَأيتُ دُنُوَّ الدّارِ ليس بنافِعٍ إذا لم يكنْ بينَ القلوبِ قريبُ [١]

وقال الشاعر :

وأنزلني طُولُ النَّوى دارَ غُرْبَةٍ إذا شِئتُ لاقَيتُ امرءاً لا أشاكِلُهْ [٢]

أُحامِقُهُ حتى يقـالَ سَجِيَّةٌ وَلوْ كانَ ذا عَقْلٍ لكُنتُ أُعاقِلُهْ

وقال أبو الحسن علي بنُ ثَروان الكِنْدي [٣] :

---

(١) في هامش الأصل : ويروى : « إذا كان ما بين القلوب بعيد ».

(٢) البيتان غـير منسوبين في « البيان والتبيين » : ١/٢٤٥، و « عيون الأخبار » : ٣/٢٤.

(٣) هو علي بن ثروان بن زيد بن الحسن الكندي ولد سنة ٥٠٠ هـ أو قبلها -

دَرَّتْ عليكِ غوادي المُزْنِ يا دارُ ... وَلا عفَتْ مِنكِ آياتٌ وَآثارُ

دُعاءُ مَنْ لعِبَتْ أيدي الغَرامِ بهِ ... وَساعَدَتْهـا صَباباتٌ وأذْكارُ

وقال ذو الرمة :

أَسْتَحْدَثَ الرَّكْبُ عنْ أشياعِهِمْ خَبرا ... أَمْ راجَعَ القلبَ مِنْ أطْرابِهِ طَرَبُ ؟[1]

أَمْ دِمْنَة نَسَفَتْ عنها الصَّبا سُفَعاً ... كما تُنَشَّرُ بعـدَ الطِّيَّةِ الـكُتُبُ[2]

لا بلْ هُوَ الشَّوْقُ مِنْ دارٍ تَخَوَّنَها ... مَرٌّ سَحابٌ وَمَرٌّ بارِحٌ تَرِبُ[3]

ـ وأصله من الخابور ، وقدم بغداد ، وسمع الحديث ، وقرأ الأدب على أبي منصور الجواليقي وغيره حتى برع ، وكتب بخطه كثيراً من كتب الأدب ودواوين الجاهلية ، وكان يكتب خطاً مليحاً يشبه خط الجواليقي جودة وصحة . انتقل إلى دمشق ، ولقي القبول عند نور الدين الشهيد ، وصار من خاصته ، وتوفي سنة ٥٦٥ هـ أو قريباً منهـا . « معجم الأدباء » : ١٢/٢٧٥ ، و « إنباه الرواة » ٢/٢٣٥ ، وروى البيتين له صاحبا « الوافي » و « الشذرات » .

(١) ديوانه : ٤ . وفي « أساس البلاغة » : أم عاود . والأشياع : الأصحاب قال البغدادي : يقول : أبكاؤك وحزنك بخبر حدث ، أم راجع قلبك طرب .

(٢) في الديوان : « من دمنة . . . » والدمنة : آثار الدار والناس وما سوّدوا ، والسفعة : ما في دمنة الدار من زبل أو رمل أو رماد ، أو قمام متلبد تراه مخالفاً للون الأرض .

(٣) في الديوان : « مرأ سحاب ومرأ بارح ترب » وفي الشرح : قوله : لا بل ، أي : ليس بكائي من أجل استحداث خبر جديد من الركب ، ولا من طرب ـ

يبدو لعَيْنَيكَ منها وهي مُزمِنَةٌ ... نُؤيٌ ومُستَوقَدٌ بالٍ ومُحتَطَبُ (١)

دِيارُ مَيَّةَ إذْ مَيٌّ تُساعِفُنا ... ولا يَرى مثلَها عُجْمٌ ولا عَرَبُ

غرَّاءُ تَزدادُ إبهاجاً إذا سَفَرَتْ ... وتَحرَجُ العَينُ فيها حينَ تَنتَقِبُ (٢)

بَرّاقَةُ الجِيدِ واللَّبّاتِ واضِحَةٌ ... كأنَّها ظَبيَةٌ أفضى بها لَبَبُ (٣)

نَجلاءُ في بَرَجٍ صَفراءُ في نَعَجٍ ... كأنَّها فِضَّةٌ قد مَسَّها ذَهَبُ (٤)

ـ لحقني ، ولا من الدمنة ، بل من أجل شوق إلى دار فيها ميَّة . تخونها ، أي : نقض عهدها ، بارح ترب ، أي : فيه تراب كثير . والبارح : الريح الحارة في الصيف .

(١) قوله : وهي مزمنة ، أي : أتى عليها زمان ، والنؤي : الحاجز حول الخيمة عن المطر ، ومستوقد : موضع الوقود .

(٢) في الديوان : « تزداد للعين . . . » وحرجت العين : حارت ، وقيل : معناه : أنها لا تنصرف ولا تطرف من شدة النظر ، والنقاب : القناع على مارن الأنف ، وقد تنقبت المرأة وانتقبت .

(٣) الجيد : العنق ، واللبات : موضع القلادة ، وأفضى بها : صار بها الى فضاء ، واللبب : ما استرق من الرمل ، وقيل : هو اسم مكان معروف في أول الدهناء .

(٤) في الديوان : « كحلاء . . . » والبرج : سعة في بياض العين ، والنعج : البياض الخالص .

لَمياءُ في شَفَتَيْهـا حُوَّةٌ لَعَسٌ   وَفي اللِّثاتِ وفي أَنْيابِها شَنَبُ [١]

وقال البحتري :

وَما في سُؤالِ الدّارِ إدراكُ حاجَةٍ   إذا اسْتَعْجَمَتْ آياتُها أَنْ تَكَلَّما [٢]

وَتَيَّمَني أَنَّ الجَوَى غيرُ مُقْصِرٍ   وَأَنَّ الحِمى وَصْفٌ لِمَنْ حَلَّ بالحِمى

قيل : كان يونُس بنُ المختار في أَعْلى مرتبة في دار المأمون ، وكان يجلِسُ دُونها ، فقال له الحاجب : يا أبا العبَّاس ! مرْتَبَتَك . فقال : قد رفعني إليها أميرُ المؤمنين وليسَ لي عَمَلٌ يفي بها ، فأنا أُكْرِمُها عن القُعودِ فيها إلى أنْ يتهيَّأَ الشُّكْرعليهـا ، فبلغَ ذلكَ المأمون ، فقال : هذا والله هو الشكر ، وبهِ تدومُ النِّعم .

وقال قيس بن ذريح :

سَقى طللَ الدّارِ التي أَنْتُمُ بهـا   حَناتِمُ وَبْلٍ صَيِّفٌ وَرَبيعُ [٣]

(١) اللمى : السمرة في الشفة تضرب الى الخضرة ، والحوّة : حمرة في الشفة تضرب الى السواد ، والشنب : برودة وعذوبة في الفم ورقّة في الأسنان ، واللثات : مغرز الأسنان .

(٢) ديوانه : ٤٠١/١ من قصيدة يمدح بها سليمان بن عبد الله بن طاهر ، مطلعها :

هَوَيْناكَ من لَوْمٍ بحبٍّ تكتّما   وقَصْرَكَ نستخبر ربوعاً وأرسما

(٣) ديوانه : ١٠٣ . وفي « اللسان » : الحناتم : سحائب سود ، لأن السواد عندهم خضرة ، قال أبو ذؤيب :

وَخَيْماتُكِ اللَّاتي بمُنْعَرَجِ اللِّوى   بَلينَ بِلىً لم تَبْلُهنَّ رُبُوعُ (١)

مَضى زَمَنٌ والنَّاسُ يستشفِعونَ لي   فهلْ لي إلى لُبْنى الغَداةَ شفيعُ (٢)

إذا أمرَتْني العاذِلاتُ بهَجْرِها   هَفَتْ كَبِدٌ عمّا يَقُلْنَ صَديعُ (٣)

وَكيفَ أُطيعُ العاذِلاتِ وَحُبُّها   يُؤرِّقُني والعاذِلاتُ هُجوعُ

وقال جميل بن معمر :

هاجَتْ فؤادَكَ للحبيبةِ دارُ   أقوتْ وَغيَّرَ آيَها الأمْطارُ

وَعفا الرَّبيعُ رُسومَها فكأنَّها   لَمْ يَغْنَ قبلُ بِرَبْعِها دَيَّارُ

- سقى أمُّ عمرٍو كلَّ آخرِ ليلةٍ   حناتم سُحْمٌ ماؤهن نجيحُ

قلت : وفي الديوان : « حياً ثم وبل صيف وربيع » وذكر محقق الديوان رواية الأصل عن شرح شواهد « المغني » للسيوطي ، ونسبها للتحريف ، مع أنها هي الرواية الجيدة الصحيحة .

(١) في « السمط » : ٣٧٩ : قال ابن دريد : قوله : « لم تبلهن ربوع » والصواب : « لم تبله » ، وله تأويل بعيد يخرّج عليه ، ذكر أبو علي الفارسي في كتاب « التذكرة » أنه أراد : لم تبل بلاهن ربوع ، فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه ، وقال غيره : انما قال : لم تبلهن ، لتشبث البلى بالخيمات كما قال الفرزدق : [صوابه جرير]

لما أتى خبر الزبير تواضعت   سورُ المدينة والجبال الخشّع

(٢) في الديوان : « يستشفعون بي » .

(٣) في الديوان : « اذا ما لحاني . . . » وأجن : أكتم ، وصديع : مشقوقة .

لما وَقفتُ بها القَلوصَ تبادَرَتْ مِني الدُّموعُ وهاجَني اسْتِعْبارُ
ولقد عَلِمْتُ على التَّكالُفِ أنَّهُ تَشقى القُلوبُ وتَغْلِبُ الأَقدارُ
وإذا حَلَلْتُ بذي الأَراكِ ودُونَنا عَلَمُ المُريرِ وَجُونَةٌ وَتَعارُ (١)
فهُناكَ حينَ تَرِيثُ عنكِ رسائلي وَهُناكَ تُقْطَعُ عنكُمُ الأَخبارُ
فسقى دِيارَكِ حيثُ كنتِ منَ النَّوى غَيْثٌ أَجَشُّ وَدِيمَةٌ مِدْرارُ

وقال ذو الرُّمة :

خليليَّ عُوجا اليَوْمَ حتى تُسَلِّما على دارِ مَيٍّ مِنْ صُدُورِ الرَّكائبِ (٢)
تَكُنْ عَوْجَةً يَجْزِيكُما اللهُ عندَهُ بها الأَجْرَ أوْ تُقْضى ذِمامَةُ صاحِبِ (٣)
وَقفنا فسَلَّمْنا فرَدَّتْ تَحِيَّةً علينا ولَمْ تَرْجِعْ جوابَ المُخاطَبِ
عَصَتْني بها نفسٌ تَرِيعُ إلى الهوى إذا ما دَعاها دَعوَةً لم تُغالَبِ

وقال أيضاً :

---

(١) « تعار » ضبط في الأصل بفتح التاء ، وفي «معجم البكري» و «معجم ياقوت» بكسرها . وقال البكري : المرير ، بضم أوله وفتح ثانيه على لفظ التصغير : جبل قريب من تِعار ، وتعار : تلقاء المدينة ، قال جميل :

واذا حللت بذي الشّبّاك ودوننا عَلَمُ المُرير وحزنه وتِعار

(٢) ديوانه : ٧٥ ، وفيه : « خليلي عوجا بارك الله فيكما » .

(٣) الذمام : الحق والحرمة .

يا دارَ مَيَّةَ بالخَلْصاءِ فالجَرَدِ ... سُقيا وإنْ هِجْتِ أدْنى الشَّوْقِ للكَمَدِ [(١)]
مِنْ كلِّ ذي لَجَبٍ باتَتْ بوارِقُهُ ... تَجْلو أغرَّ الأعالي حالِكَ النَّضَدِ [(٢)]
مُجَلْجِلِ الرَّعْدِ عَرَّاصاً إذا ارْتَجَسَتْ ... نَوْءُ الثُّرَيا بِهِ أو نَثْرَةُ الأَسَدِ [(٣)]
أسْقى الإلهُ به جُزْوى فجادَ بِهِ ... ما قابَلَ الزُّرْقَ مِنْ سَهْلٍ وَمِنْ جَلَدِ [(٤)]
أرْضاً معاناً مِنَ الحيِّ الذينَ هُمُ ... أهْلُ الجِيادِ وأهْلُ المجدِ والعَدَدِ [(٥)]
كانتْ تَحُلُّ بها مَيٌّ فقد قَذَفَتْ ... عنّا بها نِيَّةٌ مِنْ طِيَّةٍ قِدَدِ [(٦)]

---

(١) ديوانه : ١٩٨ . وأدنى الشوق للكمد ، أي : أقربه ، والخلصاء والجرد : موضعان .

(٢) في الديوان : « تجلو أغر المعالي » ، وفي الأصل تحت قوله : « حالك النضد » ما نصه : متراكب السحاب . وفي الشرح : قوله : لجب ، أي : الصوت المختلط ، يعني صوت الرعد : أراد سحابا . أغر : أبيض ، وحالك : أسود .

(٣) مجلجل : عظيم الصوت ، عراص : كثير البرق لا يفتر لمعه ، والارتجاس: دوي الرعد . والنثرة : كوكب في السماء كأنه لطخ سحاب حيال كوكبين تسميه العرب نثرة الأسد ، وهي من منازل القمر .

(٤) في الشرح : قوله : جاد به ، أي : بالمطر ، يقال : جدنا فنحن مجودون. والجلد : الأرض الصلبة .

(٥) في الديوان : « أهل الجياد وأهل العدو » والعدو : الشد . والمعان : المباءة والمنزل .

(٦) في الديوان : « عنا به شعبة » وفي الشرح : وقوله : شعبة ، أي : فرقة ، والطيّة : النية والوجه الذي يتوجهون اليه بقصد . وقدد : مختلفة ومتفرقة .

وقال مُرَقِّش [١] :

هلْ تَعْرِفُ الدَّارَ عَفا رَسمُهـا إلَّا الأَثافيَّ ومَبْنى الخِيَمْ [٢]

أَعْرِفُهـا دارٌ لِأَسْماءَ فالدْ دَمْعُ على السِّرْبالِ فَيْضٌ سَجَمْ [٣]

أَمْسَتْ خَـلاءً بعد سُكَّانِها مُقْفِرَةً ما إنْ بها مِنْ إرَمْ [٤]

بَعْدَ جميعٍ قد أراهُمْ بهـا لَهم قِبـابٌ وعليهمْ نِعَمْ [٥]

وقال آخر :

---

(١) هو عوف بن سعيد بن مالك بن ضبيعة من بني بكر بن وائل شاعر جاهـلي من المتيمين الشجعان ، عشق ابنة عم له اسمهـا « أسماء » وقال فيهـا شعراً كثيراً .

(٢) الأبيات في «المفضليات» : ٢٢٩ ، وفيه : أعرفها داراً ، والأثافي : جمع إثفية بضم الهمزة وكسرها وتشديد الياء ، وهي الحجر توضع عليها القدر ، والخيم : جمع خيمة ، وهي بيت يبنى من عيدان الشجر .

(٣) في « المفضليات » : على الخـدين سَحّ سَجَمْ . والسح : الصب ، والسجم ، بفتح الجيم : السائل .

(٤) من إرم : من أحد ، وضبطت في الأصل بكسر الهمزة وفتح الراء ، وهي كذلك في « المفضليات » ، وهذا لم يذكر في « المعاجم » وإنما فيها « أرم » بفتحتين وبفتح فكسر .

(٥) في « المفضليات » : عليهم نعم بفتحتين ، أي : تروح عليهم النعم وهي الابل.

هلِ الرِّيحُ أوْ بَرْقُ الغمامَةِ مُخْبِرٌ ضَمائِرَ حاجٍ لا أُطيقُ لها ذِكْرا
سُلَيْمى سقاها اللهُ حيثُ تَصَرَّفتْ بها غُربَاتُ الدَّارِ عنْ دارِنا قطْرا
إذا دَرَجَتْ ريحُ الصَّبا أوْ تَنَسَّمَتْ تعرَّفْتُ مِنْ نَجْدٍ وَساكِنِهِ نَشْرا
فَقَرَّفَ قَرْحَ القلبِ بعدَ انْدِمالِهِ وَهَيَّجَ دَمْعاً لا جُموداً ولا نَزْرا

وقال البحتري :

أَأَطْلالَ دارِ العامِرِيَّةِ باللِّوى سَقَتْ رَبْعَكِ الأَنْواءُ ما فَعَلَتْ هِنْدُ (١)
أَدارَ الهوى بينَ الصَّريمَةِ واللِّوى أَما للهوى إلّا رَسيسَ الجوى قَصْدُ ؟ (٢)

وقال أيضاً :

قِفِ العِيْسَ قدْ أَدْنى خُطاها كَلالُها وَسَلْ دارَ سُعْدى إنْ شَفاكَ سُؤالُها (٣)

---

(١) ديوانه : ٢/٧٤٠ من قصيدة يصف فيها الذئب مطلعها :

سلامٌ عليكم لا وفاءٌ ولا عهدُ أما لكم من هجر أحبابكم بُدُّ

والعامرية : نسبة إلى قبيلة بني عامر وفيهم ليلى العامرية ، والأنواء ، جمع نوء : المطر ، والنوء : سقوط نجـم من المنازل في المغرب وظهور رقيبه ، وهو نجم يقابله في ساعته في المشرق في كل ليلة إلى ثلاثة عشر يوماً ، وكانت العرب في الجاهلية إذا سقط نجم منها وطلع آخر ، قالوا : لا بد من أن يكون عند ذلك مطر أو رياح .

(٢) في الديوان : « أدار اللوى بين الصريمة والحمى » والصريمة : القطعة من معظم الرمل ، والرسيس : الحرقة وثباتها .

(٣) ديوانه : ١/٣٠٠ من قصيدة يمدح بها المتوكل على الله .

وما أعرِفُ الأطلالَ مِنْ بطنِ تُوْضِحٍ   لِطولِ تعفّيها ولكنْ أخالُها (١)
إذا قلتُ أنسى وَصْلَ سُعْدى على النّوى   تصوّرَ في أقصى الضميرِ خيالُها
وَقد كُنْتُ أرجو وَصلَها عند هَجْرِها   فقد بانَ مِنّي هجرُها ووِصالُها

وقال أيضاً :

مِيلوا إلى الدّارِ مِنْ ليلى نُحَيّيها   نَعَمْ وَنسألُها عَنْ بعضِ أهليها (٢)
يا دِمْنَةً جاذَبَتْها الرّيحُ بَهْجَتَها   تَبيتُ تَنْشُرُها طَوْراً وَتطويها
لا زلتِ في حُلَلٍ للغَيْثِ ضافِيةٍ   يُنيرُها البَرْقُ أحياناً وَيُسْديها
تَروحُ بالوابِلِ الدّاني رَوائِحُها   على رُبُوعِكِ أوْ تَغْدو غَواديها (٣)

وقال ذو الرمة :

ألا يا اسْلَمي يا دارَ مَيٍّ على البلى   وَلا زالَ مُنْهَلّاً بجَرْعائِكِ القَطْرُ (٤)
وإنْ لم تكوني غيرَ شامٍ بقَفْرَةٍ   تَجُرُّ بها الأذيالَ صَيْفِيَّةٌ كُدْرُ (٥)

---

(١) أخال بفتح الألف ، لغة بني أسد ، وهو القياس ، والكسر أفصح وأكثر استعمالاً . انظر « اللسان » مادة خيل .

(٢) ديوانه : ٣٤/١ ، و « الموازنة » : ٤٩٩/١ عدا البيت الأول من قصيدة يمدح بها المتوكل على الله ، ويصف البركة .

(٣) قال الآمدي : روائحها : يعني السحاب .

(٤) ديوانه : ٢٩٠ . وقوله : على البلى ، أي : اسلمي وإن كنت قد بليت ، والمنهل : الجاري ، يقال : انهل المطر انهلالاً : إذا سال ، والجرعاء والأجرع من الرمل : الكثير الممتد .

(٥) الشام : جمع شامة ، وهي بقعة تخالف لون الأرض ، والأذيال : ماجرته الريح كجر المرأة ذيلها ، صيفية : رياح الصيف ، الكدر : التي فيها غبرة .

أقامتْ به حتى ذَوَى العُودُ في الثّرى … وَلَفَّ الثُّرَيَّا في مُلاءَتِهِ الفَجْرُ (١)

فوالله ما أدري أَجَوْلانُ عَبْرَةٍ … تجودُ بها العَينانِ أَحجى أَمِ الصَّبْرُ (٢)

وفي هَمَلانِ العينِ مِنْ غُصَّةِ الشَّجا … شِفاءٌ وفي الصَّبرِ الجَلادَةُ والأَجْرُ (٣)

وقال أيضاً :

يا دارَ مَيَّةَ لم يَتْرُكْ لها عَلَما … تقادُمُ العهدِ والهُوجُ المراويدُ (٤)

سُقياً لِأَهلِكِ مِنْ حَيٍّ تَقَسَّمَهُمْ … رَيبُ المنونِ وَطِيَّاتٌ عباديدُ (٥)

وقال أيضاً :

دنا البَيْنُ مِنْ مَيٍّ وَرُدَّتْ جِمالُها … وَهاجَ الهوى تَقْويضُها وَاْحتِمالُها (٦)

عَرَفتُ لها داراً فأَبْصَرَ صاحِبي … صَحيفَةَ وجهي قد تَغَيَّرَ حالُها

---

(١) في الديوان : « أقامت به . . . وســـاق الثريا » وذوى العود : جف ويبس ، والملاءة : بياض الصبح ، شبهه بالملاءة وهي الثوب الأبيض .

(٢) أحجى : أخلق ، يقال : ما أحجى فلاناً بذلك ، أي : ما أخلقه .

(٣) في الديوان : « . . . من غصة الهوى . . » .

(٤) ديوانه : ١٨٢ ، والهوج : الرياح تهب بشدة كأنها هوجاء ، والمراويد : التي تجيء وتذهب .

(٥) تقسمهم : فرقهم ، والطيات : واحدها طية ، وهي النية والوجه الذي يقصدونه . عباديد : متفرقات .

(٦) ديوانه : ٦٠٨ ، والتقويض : قلع البناء .

وقلتُ لنفسي في حَياء رَدَدْتُهُ إليها وقد بَلَّ الجُفونَ بِلالُها [١]

أَمِنْ أَجْلِ دارٍ طَيَّرَ البينُ أهلَها أَيادِيْ سَبا بعدي وطالَ احتيالُها [٢]

فُؤادُكَ مَبْثوثٌ عليكَ شُجونُهُ وَعينُكَ يَعْصي عاذِليكَ انهِمالُها [٣]

لقد عَلِقَتْ مَيٌّ بنفسي عَلاقَةً بطيئاً على مَرِّ اللّيالي انحلالُها [٤]

وقال ذو الرمة أيضاً :

أَلا ظَعَنَتْ مَيٌّ فهاتِيكَ دارُها بها السُّحْمُ تَرْدي والحَمامُ المُوَشَّمُ [٥]

كأنَّ أُنوفَ الطَّيرِ في عَرَصاتِها خَراطِيمُ أَقْلامٍ تَخُطُّ وتَعْجُمُ [٦]

---

(١) البلال : الماء ، ويعني به الدموع .

(٢) في الديوان : « أمن أجل دار صير . . . » واحتال المنزل : مرت عليه أحوال، وبعد البيت :

بوهبين تسنوها السواري وتلتقي بهـا الهُوج شرقيّاتها وشمالهـا
إذا صوَّح الهيفُ السَّفا لعبت به صبا الحافة اليمنى جنوبُ شِمالها

(٣) في الديوان : « يعصي عاذليك انهلالها » مبثوث : منتشر ، وشجونه : أحزانه ، وانهلالها : جريها بالدموع كما ينهل المطر . وبعد البيت :

تداويت من ميٍّ بهجران أهلها فلم يَشْفِ من ذكرى طويل خيالها
تُراجعُ منها أسود القلب خطرة بلاء ويجري في العظام امذلالها

(٤) في الديوان : « على مر الشهور » .

(٥) ديوانه : ٦٤٧ ، والسحم : الغربان ، وتردي : تحجل ، والموشم : به وشوم ونقط تخالف لونه .

(٦) قال ابن قتيبة : شبه مناقير الطير بأطراف الأقلام .

أَلا لاأرى مِثلي يَحِنُّ مِنَ الهوى ... وَلا مِثلَ هذا الشَّوقِ لا يَتَصرَّمُ

ولا مثلَ ما أَلقى إذِ الحيُّ جيرةٌ ... على أَثَرِ الأَظعانِ يَلْقاهُ مُسلِمُ (١)

كفى حَزَّةً في النَّفس يا مَيُّ أَنَّني ... وإيَّاكِ في الأَحْياء لا نتكلَّمُ (٢)

أَدُورُ حواليكِ البُيُوتَ كأنَّني ... إذا جِئتُ عن إتيانِ بيتِكِ مُحْرِمُ

وقال توبة بن الحميّر (٣) :

نأَتْكَ بلَيلى دارُها لاتَزورُها ... وَشَطَّتْ نواها واستَمرَّ مَريرُها (٤)

يقولُ أناسٌ لا يضيرُكَ نأْيُها ... بلى كلُّ ما شَفَّ النُّفوسَ يضيرُها

أَليسَ يَضيرُ العَيْنَ أَنْ تُدمِنَ البُكا ... وَيُمنَعَ مِنها نَوْمُها وَسرورُها

---

(١) في الديوان : « ... إذا الحي فارقوا ولا أثر ... » .

(٢) في الديوان : كفى حزناً .

(٣) هو أبو حرب توبة بن الحمير بن حزم بن كعب بن خفاجة العقيلي ، شاعر من عشاق العرب المشهورين كان يهوى ليلى الأخيلية وخطبها ، فرده أبوها وزوجها غيره ، فانطلق يقول الشعر مشبباً بها . مات في غزوة أغار بها ، قتله بنو عوف بن عقيل سنة ٨٥ هـ .

(٤) الأبيات في « منتهى الطلب » ، و « تزيين الاسواق » : ١١٥ ، و « مصارع العشاق » : ٢٨٦/١ ، و « الشعر والشعراء » : ٤١٣ . نأتك : نأت عنك ، وشطت : بعدت ، والنوى هنا : الوجه الذي ينويه المسافر من قرب أو بعد . واستمر : استحكم ، والمرير هنا : العزيمة .

وقال مهيار :

بَكَرَ العارِضُ تَحْدوهُ النُّعامَى   وَسَقاكِ الرِّيَّ يا دارَ أماما [1]
وَتَمَشَّتْ فيكِ أرْواحُ الصَّبا   يَتَأَرَّجْنَ بأَنفاسِ الخُزامَى
وإذا مَغْنىً خَلى مِنْ زائِرٍ   بعدَما فُورِقَ أوْ زِيْرَ لِماما [2]
فقَضَى حُكْمُ الهوى أنْ تُصْبِحي   لِلمُحِبِّينَ مُناخاً ومُقامَا

أوْرَدَ أبو جَعْفَر محمد بن جرير الطَّبري رحمه الله في كتاب « نسب الصحابة » رضوان الله عليهم عن عثمان بن الأَرْقم أنه كان يقولُ : أنا ابنُ سَبْعِ الاسلام أسْلم أبي سابعَ سَبعة ، وكانت دارُه بمكَّة على الصَّفا وهي الدَّارُ التي كانَ النبيُّ صلى الله عليه وسلَّم يكونُ فيها في أوَّلِ الإسلام ، وفيها دعا النَّاسَ إلى الإسلام ، فأسلَمَ فيها قومٌ كثيرٌ . وقال ليلة الإثنين فيها : « اللَّهُمَّ أعِزَّ الإسلامَ بأَحبِّ الرَّجُلَيْن إليك : عمر بن الخَطَّاب ، أو عمرو ابن هشام ، فجاء عُمَر رضوان الله عليه مِنَ الغد بُكْرَةً ، فأسْلَمَ في دار الأَرْقم وخرجوا منها ، فكَبَّروا وطافوا بالبيت ظاهِرين ودُعِيَتْ دارُ الأَرْقم

(١) ديوانه : ٣/٣٢٧ . والعارض : السحاب المعترض ، والنعامى : ريح الجنوب ، وهي أبل الرياح وأرطبها .
(٢) المغنى : الربع ، واللمام : الزيارة القصيرة .

دارَ الإسلام وَتصدَّقَ بها الأَرْقم على وَلدِهِ . فقرأتُ نُسْخَةَ صَدقةِ الأَرقم بداره :

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما قضى الأَرْقَمُ في رَبْعِهِ ما حازَ الصَّفا أنَّها صدقة بمكانها مِنَ الحَرَم لا تُباعُ ولا تُورَّث . شَهِدَ هِشامُ بنُ العاص وفلان مولى هِشام بن العاص ، قال : فلم تَزَلْ هذه الدّارُ صدقةً قائمةً ، فيها وَلَدُه يسكنونَها ويُؤاجِرونَ [ويأخذون] عليها حتى كانَ زَمَنُ أبي جعفر المنصور . قال يحيى بن عمرانَ بن عُثمان بن الأَرقم : إنِّي لَأَعْلمُ اليومَ الذي وَقعتْ في نفس أبي جعفر ، وذاكَ أنّه كانَ يسعى بينَ الصَّفا والمروة في حجة حجَّها ، ونحنُ على ظهر الدّار في فسْطاط فيَمُرُّ تحتنا ولو أشاءُ أن آخذَ قلنسوةً [1] عليه لَأَخذْتُها ، وإنَّهُ ليَنْظُرُ إلينا مِنْ حينَ يَهْبِط بطنَ الوادي حتى يَصعَدَ إلى الصّفا ، فلما خرجَ محمدُ بن عبد الله بن حسن رضي الله عنه بالمدينة كان عبد الله بن عثمان بن الأَرْقم ممن بايعه ، ولم يخرج معه ، فتعلَّق عليه أبو جعفر بذلك ، فكَتبَ إلى عامِلِه بالمدينة أنْ يحبسه ويطرَحَهُ في حديد ، ثم بعث رَجلاً مِنْ أهل الكوفة يُقال له : شِهابُ بنُ عبدِ رَب ، وكتبَ معه إلى عامله بالمدينة أنْ يفعلَ ما يأمُره به . فدخلَ شِهابٌ على عبد الله بن عثمان بن الأَرقم الحبْسَ وهو شيخٌ كبير ابنُ بضعٍ وثمانين

(١) في « المستدرك » : لو أشاء أن آخذ قلنسوته لأخذتها .

سنة وقد ضَجِرَ بالحديدِ والحبس ، فقال له : هل لكَ أن أُخلِّصَكَ مِمّا أنتَ فيه ؟ تَبيعُني دارَ الأرقم ، فإنَّ أميرَ المؤمنين يُريدُها ، وعسى إنْ بعته إيَّاها أنْ أُكلِّمه فيك ، فيعفو عنك . قال : فإنَّهـا صَدَقةٌ ولكن حَقِّي منها له ، ومعي فيها شركاءُ إخوَتي وغيرُهم . فقال : إنَّما عليكَ بنفسِكَ ، فأعطِنا حَقَّك وبَرِئت . فأشهَدَ لهُ ، وكتبَ عليه كتابَ شِراء على سبعة عشر ألفِ دينار ، ثم تتبَّع إخْوَتهِ ، ففَتَنَهُم بكثرَةِ المال ، فباعوه ، فصارت لأبي جعفر ، ولِمَنْ أقطعَها ، ثمَّ صَيَّرَهـا المهديُّ للخيزران أُمِّ مُوسى وهارون ، فعُرِفَتْ بها . ثم [صارت] لجعفر بن موسى الهادي . ثم اشترى عامَّتَها أو أكثرها غسانُ بنُ عُبادَةَ مِنْ وَلَدِ جعفر بن موسى [١] .

وقال أبو العلاء بن سليمان :

فيا بَرْقُ ليسَ الكَرْخُ داري وإنَّما رَماني إليهِ الدَّهرُ منذُ ليالِ [٢]

---

(١) الخبر بطوله رواه الحاكم في « المستدرك » ٣/٥٠٢ ، ٥٠٣ وفي سنده الحسين بن الفرج والواقدي، وهما ضعيفان ، وانظر ترجمة الأرقم بن أبي الأرقم في « الاصابة » ١/٤٢ .

(٢) « شروح سقط الزند » ١١٩٥ من قصيدة قالها ببغداد يذكر حنينه إلى وطنه مطلعها :

طربن لضوء البارق المتعالي ببغداد وهناً ما لهُنّ ومالي

قال البطليوسي : أراد أن البرق لما لمع من شق الشام كان كأنه قد استدعاه ـ

فهلْ فيكَ مِنْ ماءِ المعرّةِ قطْرَةٌ   تُرَوّي بها ظَمآنَ ليس بسالِ
فليتَ سَنيراً بانَ مِنْهُ لِصُحْبتي   بِرَوْقَيْ غزالٍ مثلُ قَرْنِ غزالِ [١]

وقال أيضاً :

متى يَنزِلِ الحيُّ الكِلابيُّ بالِساً   يُحيّيكَ عنّا ظاعِنونَ وقُفّالُ [٢]
تحيّةَ وُدٍّ ما الفُراتُ وماؤُهُ   بأعْذَبَ منها وهو أزرقُ سَلْسالُ [٣]

- إليه بلمعانه ، وعنفه على تركه الرجوع إلى أوطانه ، فقال : لا تحسب أيها البرق أني اتخذت الكرخ داراً ، ورضيته لنفسي قراراً ، وإنما أنا مزمع للرحيل منه ، متوجع لفراق الشام غير سال عنه .

(١) في « شروح سقط الزند » : مثل روق غزال . وسنير : جبل بالشام في طريق العراق ، وقرنا غزال : موضع في طريق العراق على شط الفرات . قال الخوارزمي : تمنى أن يظهر لأصحابه وهم بقرني غزال من هذا الجبل الكائن بقرب الشام مثل قرن الظبي شيء يسير ، فتقر بقرب الوطن عيونهم ، وتهدأ بتولي السفر نفوسهم .

(٢) « شروح سقط الزند » ١٢٢٣ . وفي الخوارزمي : « يحيّك » بالجزم وهو أفصح . بالس : مدينة على شط الفرات ، والظاعنون : المسافرون ، والقفال: الراجعون من السفر ، قال البطليوسي : يقول : إذا نزل حيك ببالس ، فقربت من ديارنا ، أهدينا إليك التحية مع من ظعن من عندنا نحوك ، ومع من ورد علينا من قبلك ثم قفل إليك .

(٣) في « السقط » بعد البيت :

فان زعموا أن الهجير استشفّهم   إليها فمنها في المزايد أسمال
أتعلم ذات القُرطِ والشّنفِ أنني   يُشنّفني بالزأر أغلبُ رئبالُ

فيا دارَها بالحَزْنِ إنَّ مَزارَها قريبٌ ولكنْ دونَ ذلك أهْوالُ

وقال أحمد بن أبي خَيْثَمة [١] :

وليسَ تنائي الدَّارِ للصَّبِ ضائراً إذا لم يَكُنْ بينَ القُلوبِ بعيدُ [٢]

ولكِنَّ قُرْبَ الدَّارِ مِمَّنْ تُحِبُّهُ على البُعْدِ مِنْ قلبِ الحبيبِ شديدُ

وقال أبو حكيمة راشد بن اسحاق [٣] :

ومُستَوْحِشٍ لَمْ يُمْسِ في دارِ غُرْبَةٍ ولكنَّه مِمَّنْ يُحِبُّ غريبُ

طواهُ الهوى واسْتَشْعَرَ الهجْرَ إلْفُهُ وشَطَّتْ نواهُ والمزارُ قريبُ

وقال آخر :

هذا هو الصَّبْرُ لا الصَّبرُ الذي سَلَفا لَمَّا دَنتْ دارُ مَنْ يَهوى وَمَنْ ألِفا

قدْ كانَ في البُعْدِ إذْهالٌ لِذي كَلَفٍ لكنَّ في القُرْبِ ما أغْرى به الكَلَفا

---

(١) هو أبو بكر أحمد بن أبي خيثمة بن زهير بن حرب بن شداد النسائي ثم البغدادي ، مؤرخ من حفاظ الحديث ، كان ثقة ، راوية للأدب ، بصيراً بأيام الناس ، من تصانيفه « التاريخ الكبير » . قال الدارقطني : لا أعرف أغزر فوائد من تاريخه . « تاريخ بغداد » ٤/١٦٢ .

(٢) ضائراً في الأصل : ضائر .

(٣) أورده ابن المعتز في « طبقات الشعراء » ٣٨٩ ، وقال : كان بينه وبين ابن الزيات مودة عجيبة ، وأنس كثير ، ثم ذكر المختار من شعره . والبيتان في « زهر الآداب » ٢/٦٥٥ .

وقال سعيد بن حُمَيْد [1] :

إذا نائِلٌ شَطَّتْ بها الدّارُ مَرّةً ... فلستُ على شيءٍ مِنَ الدّهرِ أُشْفِقُ

ولم يُبْقِ مِنّي حبُّها غيرَ مُهجَةٍ ... تذوبُ وقلبٍ خَشْيَةَ الهجْرِ يَخْفِقُ

وقال أبو الفتح الحسنُ بنُ عبدِ الله بن عبد الجبّار بن أبي حُصَيْنَةَ السُّلَمي :

لو أنَّ داراً أخبَرَتْ عن ناسِها ... لسألْتُ رامَةَ عنْ ظِباءِ كِناسِها [2]

بلْ كيفَ تسألُ دِمْنَةً ما عِندَها ... عِلْمٌ بوَحْشَتِها ولا إيناسِها [3]

مَمْحُوَّةُ العَرَصاتِ يشغَلُها البِلى ... عَنْ ساحِباتِ الرَّيْطِ فوقَ دِهاسِها [4]

بيضٌ إذا انصاعَ النَّسيمُ مِنَ الصَّبا ... خِلْناهُ ما ينْصاعُ مِنْ أنفاسِها

يا صاحِبَيَّ سقى منازِلَ جِلّقٍ ... غَيْثٌ يُرَوّي مُمْحِلاتِ طِساسِها

فرِواقَ جامِعِها فَبابَ بَريدِها ... فَمَشارِبَ القَنَواتِ مِنْ باناسِها [5]

---

(١) سبقت ترجمته ١/١٨٣ في التعليق رقم ٤ .

(٢) ديوانه : ٣٥٤ ، والأبيات العشره الأول في « تهذيب تاريخ ابن عساكر» ٤/١٨٧ ، وما عدا الرابع والخامس والسادس والسابع والثامن في « معجم الأدباء» ١٠/١١٤ ، ١١٥ .

(٣) في « معجم الأدباء » : بل كيف تخبر دمنة . . .

(٤) في « معجم الأدباء » : ممحوة العرصات يشملها ... عن ساحبات المرط ...

(٥) باب البريد : من أبواب مسجد دمشق ، والقنوات : أحد أنهار دمشق أو أقنيتها الكبرى ، وباناس : من أنهار دمشق .

فلقد قَطَعْتُ بها زماناً لِلصِّبى والَّلهْوُ مُخضَرٌّ كخُضْرَةِ آسِها
مَنْ لي بِرَدِّ شَبيبةٍ قَضَّيْتُها فيها وفي حِمْصٍ وفي مِيماسِها [١]
وزمانِ لَهوٍ بالمعَرَّةِ مُونِقٍ بسياثِها وبِجانِبي هِرْماسِها [٢]
أيامَ قُلْتُ لِذي المودَّةِ سَقِّني مِنْ خَنْدَريسِ حُناكِها أوْ حاسِها [٣]
حَمراءَ تُفْنينا بساطِعِ نُورِها في اللَّيْلَةِ الظَّلْماءِ عَنْ نِبْراسِها
رَقَّتْ فما أدْري أكاسُ زُجاجِها في جِسمِها أمْ جِسمُها في كاسِها

كان هذا الشاعِرُ ابن أبي حُصَيْنَة مدَّاحاً للأمير تاج الأمراء معزِّ الدولة أبي العلوان ثُمال بن أسدِ الدّولة صالح بن مرداس [٤] ، فامتدحه بقصيدةٍ شكا فيها كَثْرَةَ أولادِه ، وكان له أربعةَ عشر ولداً أوّلُها :

---

(١) في « معجم ياقوت » : الميماس : نهر الرستن وهو العاصي بعينه .

(٢) سياث : بليدة بظاهر المعرة وهي القديمة ، والمعرة اليوم محدثة ، والهرماس: سيل يجتمع من المطر الذي يصب فوق الجبال والهضاب ، ثم ينحدر إلى أودية يضاف بعضها إلى بعض . انظر « تاريخ المعرة » : ٤٢٤ للجندي .

(٣) قال ياقوت : حناك : حصن كان بالمعرة وكان مكيناً ، خربه عبد الله ابن طاهر سنة ٢٠٩ فيما خرب من حصون الشام لما عصى نصر بن شبث ، وحاس: في أرض المعرة .

(٤) انظر ترجمته وأخباره في « زبدة الحلب » ١/٢٥٥ ، ٢٨٨ لابن العديم وابن الأثير : ٩/٧٩ ، وابن خلدون : ٤/٢٧٣ .

سَرى طَيفُ هِنْدٍ والمطِيُّ بنا يَسْري فأخفى دُجى ليلٍ وأبْدى سَنا فَجْرِ [١]

يقول فيها :

جَنَيْتُ على نفسي بنفسي جِنايَةً فأثقَلْتُ ظهري بالذي شَبَّ مِنْ ظَهري [٢]

عِدادُ الثُّريا مثلُ نِصفِ عِدادِهِمْ ومَنْ نَسْلُهُ ضِعْفُ الثُّرَيَّا مَتى يُثْري ؟ [٣]

وأخشى اللَّيالي الغادِراتِ عليهم لِأَنَّ اللَّيالي غيرُ مأمونَةِ الغَدْرِ

ولِي منكَ إِقْطاعٌ قديمٌ وحادِثٌ تَقَلَّبتُ فيه تحتَ ظِلِّكَ مِنْ عُمْري

وما أنا بالمَمْنوعِ منهُ ولا الذي أخافُ عليه منكَ حادِثَةً تجري

ولكنَّني أبْغيهِ مُلْكاً مُخَلَّداً خُلُودَ القوافي الباقياتِ على الدَّهرِ

والقصيدةُ طويلة ما اقتضى التأليفُ ذِكرَها بأسْرها . فلما سَمِعها معزُّ الدَّولة أمرَ بإحضارِ شُهودٍ أَشْهَدَهُم بتمليكه أبا الفتح الحسن بن عبد الله بن أحمد بن عبد الجبّار بن أبي حُصينة ضيعتين مِنْ أعمال حلب .

---

(١) ديوانه : ٣٥٠ ، وهي في « معجم الادباء » ١٠/٩٥ و « فوات الوفيات » ١/٢٤٠ ، وذكر أنها قيلت في أسد الدولة عطية بن صالح بن مرداس .

(٢) ذكر ابن العديم في « زبدة الحلب » ١/٢٧١ هذه الأبيات الستة ، وقال: إن الشاعر قالها في ثمال بن صالح ، لا في أخيه عطية كما يذكر ياقوت والكتبي .

(٣) نجوم الثريا : سبعة ، وعداد أولاده أربعة عشر ، فعداد نجوم الثريا مثل نصف عداد أولاده .

ومَنْبِج ، فأثرى وحَسُنتْ حاله ، وعَمَّر بحلب داراً عند حَمّام الواساني [١] ، وكتبَ على إزارِ رَوْشَنِها :

دارٌ عَمَرْناها وعِشنا بِهَا   في نِعْمَةٍ مِنْ آل مِرْداسِ [٢]
قومٌ محَوْا بُؤْسي ولم يترُكُوا   عَليَّ للأَيامِ مِنْ باسِ
قُلْ لبني الدُّنيا أَلا هكذا   فليَفْعَلِ النَّاسُ مع النَّاسِ

وقال ابن نباتة [٣] :

---

(١) حمام الواساني : منسوب إلى بني الواساني أو بني واسانة، وهم أسرة قديمة في حلب منهم الشاعر أبو القاسم الحسين بن الحسن بن واسانة بن محمد الوساني (٠٠ - ٣٩٤ هـ) الشاعر الذي ترجمه الثعالبي في « يتيمة الدهر » : ١/٢٩٥ ، وياقوت في « معجم الادباء » : ٩/٢٣٣ ، ٢٦٥ . وذكر الغزي أن هذا الحمام جار في أوقاف الحاج موسى قرب خان الوزير وقد درست اليوم . راجع « نهر الذهب » ٢/١٩١ للغزي ، و « زبدة الحلب » لابن العديم ١/٧٦ ، ٢٧٢ .

(٢) الابيات في « زبدة الحلب » ١/٣٧٢ ، و « فوات الوفيات » ١/٢٤١ ، و « أعلام النبلاء » ١/٣٢٧ .

(٣) هو عبد العزيز بن عمر بن محمد بن نباته التميمي السعدي من شعراء سيف الدولة بن حمدان واتصل كذلك بابن العميد ومدحه ، ولد سنة ٣٢٧ ، ومات ببغداد سنة ٤٠٥ هـ . قال التوحيدي في « الامتاع والمؤانسة » ١/١٣٦ : شاعر الوقت ، حسن الحذو على مثال سكان البادية ، لطيف الائتمام بهم ، خفي المغاص في واديهم ، ظاهر الاطلال على ناديهم ...

يا دارُ بينَ الرَّقتينِ وبابلٍ ... شُقَّتْ عليكِ منَ السَّحابِ جيوبُ
وأطاعَ تُرْبَكِ وابلٌ مُتَعَمِّدٌ ... مِنْ أنْ تُزعْزِعَهُ صَباً وجَنوبُ
يا حَبَّذا ماءُ الفُراتِ لوَ انَّهُ ... يَشفي غليلَ الشَّاربِ المشروبُ

وقال آخر :

سقى اللهُ داراً لي وأرْضاً تَركْتُها ... إلى جَنْبِ داري مَعْقِلٍ وَيسارِ
أبو مالكٍ جارٌ لها وابْنُ بُرْثُنٍ ... فيالكَ جارَيْ ذِلَّةٍ وَصَغارِ

وقال آخر :

إنَّ جارَ السَّوْءِ حِمْلٌ فادِحٌ ... فاسْتَعِذْ باللهِ مِنْ سُوءِ الجِوارِ
ما لجارِ السَّوْءِ عِنْدي حِيلةٌ ... في جميعِ الأرْضِ إلّا بَيْعُ داري

وقال عيسى بنُ القانسي في دارِ اسماعيل بن بلبل :

أيا داراً تَفيضُ بكُلِّ خَيْرٍ ... وفيها كلُّ شَهْواتِ المريضِ
تَرَقَّيْ في السَّماءِ وَلا تَمَلِّي ... فكَمْ أبصَرْتُ مِثْلَكِ في الحَضيضِ
وكوني كيفَ شِئْتِ فأنتِ عندي ... وعندَ النَّاس مِنْ دورِ القبوضِ

وقال آخر :

إنّا رأيْنا حِجاباً مِنْكَ أغْرَضَنا ... فلا يكُنْ ذُلُّنا فيه لكَ الغَرَضا [1]
إسْمَعْ مقالي ولا تَغْضَبْ عليَّ فما ... أبْغي بنُصْحِكَ لا مالاً ولا عَرَضا

---

(١) في « اللسان » : غرض : ضجر وقلق ، وقد غرض بالمقام يغرض غَرَضاً وأغرضه غيره .

فِي هذه الدَّارِ في هذا المكانِ على   هذا السَّريرِ رأيتُ العِزَّ فانْقرضا

وقال عليُّ بنُ بسَّام [1] في أبيه وقد عَمَّر له داراً :

شِـدْتَ داراً خِلْتَها مَكْرُمَةً   سَـلَّطَ اللهُ عليهـا الغَرَقا

وأرانيكَ صَريعاً وَسْطَهـا   وَأرانيهـا صَعيداً زَلَقـا [2]

وقال أبو الهندي [3] :

---

(١) هو أبو الحسن علي بن بسام الأديب الكاتب المؤرخ صاحب « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » ، ترجم له ياقوت في « المغرب » ٤١٧/١ ، وفي « معجم الأدباء » ٢٧٥/١٢ ، والمقري في « النفح » ٣٠٩/٢ توفي سنة ٥٤٢ هـ .

(٢) الصعيد : وجه الأرض ، وزلقا : ملساء ليس بها شيء .

(٣) قد اختلف في اسمه ففي « الكامل » و « الشعر والشعراء » و « السمط »: عبد المؤمن ، وفي « الأغاني » و « الفوات » : غالب ، وفي « طبقات الشعراء » : عبد الله بن ربعي . وهو كما في « الأغاني » غالب بن عبد القدوس بن شبث بن ربعي الرياحي اليربوعي : شاعر مطبوع ، جزل الشعر ، حسن الألفاظ ، لطيف المعاني ، وانما أخمل ذكره بعده عن بلاد العرب ومقامه بسجستان وبخراسان، وهو أول من تفنن في وصف الخمر من شعراء الاسلام ، واستفرغ شعره في وصفها ، أدرك الدولتين الأموية والعباسية ، ترجمته وأخباره في « الأغاني » ٢٩٣/٢٠ ، و « الشعر والشعراء » ٦٦٢/٢ ، و « طبقات الشعراء » ١٣٦ ، و « فوات الوفيات » ٢٤٠/٢ .

وَلو أنَّ لي داراً يَحِلُّ دُخولُها ... لَمَتَّعْتُكُم بالعَزْفِ فيها وبالخَمْرِ

ولكنَّني في دارِ سَوْءٍ كأنَّها ... بقيَّةُ ناووس على ساحِلِ البحرِ [1]

أؤدي إلى مَنْ عَجَّلَ اللهُ موتَهُ ... لِأَدْفِنَهُ فيها ثلاثينَ في الشَّهْرِ

وقال آخر :

جمالُ الدَّارِ بالإطعا ... مِ لا بالفَرْشِ والنَّقْشِ

وما للدَّارِ مِنْ فَضْلٍ ... وَلو شُيِّدَتْ إلى العَرْشِ

وقال معاوية بن قرة المِنقَري :

إذا خِفْتَ من أمْرٍ فواتاً فوَلِّهِ ... سِواكَ وعنْ دار الأذى فتَحَوَّلِ [2]

فما المرءُ إلَّا حيثُ يجعلُ نفسَهُ ... ففي صالح الأعمالِ نفسَكَ فاجْعَلِ

وقال ابنُ سارة المغربي :

مُقامُ حُرٍّ بدارِ هُوْنٍ ... عَجْزٌ لعَمْري مِنَ المُقيمِ

إرْحَلْ فإنْ لم تَجِدْ كريماً ... فَمِنْ لئيمٍ إلى لئيمِ

---

(١) الناووس في الأصل : الناورس ، ولعل الصواب ما أثبتناه ، قال صاحب « شفاء الغليل » : الناووس : بمعنى القبر ، قاله ياقوت ، وفي « اللسان » : مادة نوس : مقابر النصارى ، ان كان عربياً ، فهو فاعول منه .

(٢) البيتان في « الحماسة البصرية » ورقـة ١٤٠ منسوبان لأبي المِيَّاح العبدي وفيها بعد البيت :

ولا تكُ ممن يُغلِقُ الهمُّ بابَهُ ... عليه بمِغْلاقٍ من العجز مُقْفَلِ

قال بعضهم : اجتزتُ ببابِ دارٍ وإذا لها حشٌّ مفتوح وفيه كسَّاح وهو يترنَّم :

وإيَّاكَ والسُّكنى بدارِ مَذَلَّةٍ تُعَدُّ مُسيئاً فيه إنْ كُنْتَ مُحسِنا
ونفسكَ اكْرِمْها فإنْ ضاقَ مَسكَنٌ عليكَ بها فاطْلُبْ لنفسكَ مَسكَنا

قال : فاطَّلَعْتُ إليهِ ، وقلتُ : وهلْ فوقَ ما أنتَ عليه مَنْزلَةٌ للهوان ؟ فقال : نعم مَسأَلَةُ سِفْلَة النَّاس أَهونُ مِمّا أنا فيه ، وأنا أغنى النَّاس . قال : فأفحَمني وأعجبني .

وقال آخر :

إذا قَلَّ إنْصافُ الفتى لصديقهِ على غيرِ معروفٍ فلا لَوْمَ في الهَجْرِ
وما النَّاسُ إلّا مُنصِفٌ في مودَّةٍ وإلّا مُعينٌ للصَّديق على الدَّهرِ
وإنَّ مُقامَ الحُرّ في دارِ ذِلَّةٍ ليَصْرِفَ عنه الفقرَ شرٌّ مِنَ الفَقْرِ

وقال ابن المعتز :

إنّي غريبٌ بدارٍ لا كِرامَ بها كَغُرْبَةِ الشَّعْرَةِ السَّوْداءِ في الشَّمَطِ [1]
ما أُطلِقُ العينَ في شيءٍ تُسَرُّ به ولستُ أُبدي الرِضى إلّا على سَخَطِ

وقال بعض العرب في امرأته :

---

(١) ديوانه : ١٩٤ . والشمط : الشيب .

سقى اللهُ داراً فرَّقَ اللهُ بيننا ... وَبينكِ فيها وابلاً سَبَلَ القَطْرِ
ولا ذَكرَ الرَّحمٰنُ يَوْماً وليلَةً ... مَلَكْناكِ فيها لم تكنْ ليلة القَدْرِ

وقال آخر :

صَبْرُ الأَديبِ على الهوانِ مذَلَّةٌ ... ما للأَديبِ يُرى بدارِ هَوانِ
أرضُ الإلٰهِ لخلقهِ مَبسوطَةٌ ... والرِّزْقُ مَقْسومٌ بكُلِّ مَكانِ

وقال آخر :

وَمِثْلي إذا ما الدَّارُ يَوْماً نبَتْ به ... تحوَّلَ عنها واسْتَمَرَّتْ مرائِرُهْ
إذا أنتَ لم تغْبَطْ بدارٍ سَكَنْتَها ... فبِعْها بأُخرى أو بجارٍ تُجاوِرُهْ

وقال آخر :

لا أُوطنُ الدَّارَ إيطانَ البعيرِ إذا ... كانتْ حوادِثُ فيها لا تُواتِيني
أَكُلَّما أَخطأَتْ يوماً بذي قدَمي ... هَوَيْتُ عندَكَ في زَوْراءَ تُرْديني

وقال آخر :

وليسَ اقْتِنائي سَمرْقَنْدَ محَلَّةً ... ودارَ مُقامٍ لِاخْتِيارٍ ولا رِضى (١)
ولكنَّ قلبي حلَّ فيها فعاقَني ... وأقْعَدَني بالصغْرِ عن فسحَةِ الفَضا
وإني مِمَّنْ يرْقُبُ الدَّهرَ راضِياً ... بيومِ سُرُورٍ غيرَ مُغْرًى بما مَضى

---

(١) « لاختيار » : كذا الأصل ، ولعلها باختيار .

وقال آخر :

أُحِبُّ الدّارَ تسكُنُها سُليمى وإنْ كانتْ تُواديها الجُدُوبُ
وما دَهري بحُبِّ تُرابِ أرْضٍ ولكنْ مَنْ يَحُلُّ بها حَبيبُ

وقال عنترةُ بنُ شدّاد العبسي :

هلْ غادَرَ الشُّعراءُ مِنْ مُتَرَدَّمِ أمْ هلْ عَرَفْتَ الدّارَ بعد توَهُّمِ (١)

ردمت الشيء : إذا أصلحته ، يقول : ما ترك الشعراء من معنى إلّا وقد سُبقوا اليه .

يا دارَ عَبلَةَ بالجِواءِ تَكَلَّمي وعِمي صَباحاً دارَ عبلةَ وأسْلَمي (٢)
ولقد حَبسْتُ بها طويلاً ناقتي أَشكو إلى سُفْعٍ رواكِدَ جُثَّمِ (٣)

---

(١) الأبيات في « شرح القصائد العشر » ١٧٢ للتبريزي ، و «شرح القصائد السبع» ٢٩٤ لابن الأنباري من معلقته المشهورة . ومتردم : موضع يسترقع ويستصلح لوهنه ووهيه ، ويروى: « مترنم » من الترنم ، وهو ترجيع الصوت مع تحزين . يقول : هل تركوا مقالاً لقائل ، أي : فناً من الشعر لم يسلكوه .

(٢) قال ابن الأنباري : الجواء : بلد يسميه أهل نجـــد : جواء عدنة ، والجواء أيضاً : جمع جو ، وهو البطن من الارض الواسع في انخفاض .

(٣) سفع : جمع سفعاء ، أي : سوداء تضرب إلى الحمرة ، ورواكد : جمع راكدة ، وهي المقيمة الساكنة ، وجثم : جمع جاثمة وهي اللاطئة بالارض الثابتة فيها ، يريد بها : الاثافي .

حُيِّيتَ مِنْ طَلَلٍ تَقادَمَ عَهدُهُ ... أقوى وأقفرَ بعدَ أُمِّ الهيثمِ (١)

وقال جرير بن عطية :

لِمَنْ رَسْمُ دارٍ هَمَّ أَنْ يَتَغَيَّرا ... تَراوَحَهُ الأَرواحُ والقَطْرُ أَعصُرا (٢)

وكُنَّا عَهِدْنا الدَّارَ والدَّارُ مَرَّةً ... هي الدَّارُ إِذْ حَلَّتْ بها أُمُّ يَعْمُرا

ذَكَرْتُ بها عَهداً على الهَجْرِ والقِلى ... ولا بُدَّ للمَحزونِ أَنْ يَتَذَكَّرا

وقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي :

أَفي رَسْمِ دارٍ دارِسٍ أنتَ واقِفُ ... بقاعٍ تُعَفِّيهِ الرياحُ العواصِفُ ؟ (٣)

وَقفتُ بها لا مَنْ أُسائِلُ ناطِقٌ ... وَلا أنا إِذْ لم تَنْطِقِ الدَّارُ صادِفُ (٤)

ولا أنا عَمَّنْ يألفُ الدَّارَ ذاهِلٌ ... ولا التَّبْلُ مردودٌ ولا القلبُ عازِفُ (٥)

وقال حارثة بن بدر الغُداني (٦) :

---

(١) أقوى وأقفر : خلا ممن كان يسكنه ، وأم الهيثم : كنية عبلة .

(٢) ديوانه : ٢٤٠ ، وفي « النقائض » : ربع دار . والاعصر : الدهور ، يريد : أن القطر يتراوحه مرة ، والرياح تتراوحه أخرى .

(٣) ديوانه : ٤٦٤ .

(٤) في الديوان : « ولا أنا إن لم ينطُقِ الرسمُ صارف » .

(٥) في الديوان : « يألف الربع » وتبله : أفسد عقله ، وقوله : ولا القلب عازف ، أي : منصرف عنها .

(٦) هو حارثة بن بدر بن حصين التميمي الغداني ، قال أبو الفرج : كان ـ

سَلِّمْ على الدَّارِ أقْوَتْ بعدَ آبادِ قَفْراً بطارِف أعْلى ذاتِ إمْهادِ
الدَّار لم يَبْقَ منها رَيْثما لقيَتْ إلَّا مَضارِبَ أطْيابٍ وأوْتادِ
كأنَّها بالفيافي يَوْمَ مَطلَعِها مِنْ بَطنِ ذاتِ السَّنا أخْلاقُ أبْرادِ
فما تَبَيَّنْتُها حتى وَقَفْتُ بها وطالَ بالطَّرفِ إفراعي وإصْعادي
فانْهَلَّتِ العينُ مِنْ عِرْفانِها سَكَباً نَضْحَ السُّقاةِ لِجَمٍّ ماءِ أعْدادِ
فظَلْتُ كالشَّاربِ النَّشوانِ مُحْتَبِساً يَوْماً طويلاً عَلى عَنْسٍ وأقْتادِ
أُراسِلُ الطَّرْفَ وَهْناً ثمَّ أعْطِفُهُ في مُتَشتًى وَمُصْطافٍ ومُرْتادِ
إذْ لا النَّوى بينَ أهْلينا مُفَرِّقَةٌ ولا المُكتَّمُ مِنْ أسْرارِنا بادِ

وقال آخر :

دارٌ عَلا دُورَ المُلوكِ بهاؤُها كَعُلوِّ صاحِبِها على الأمْلاكِ
فكأنَّها مِنْ حُسْنِها وَعُلوِّها بُنِيَتْ قواعِدُها على الأفْلاكِ

وقال رجلٌ مِنْ عَبس مِنْ أهل الكوفةِ تَحوَّلَ إلى أخوالِه جُعف :

- من لدات الأحنف بن قيس ، قال ابن حجر : فان يكن كذلك فقد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ، له أخبار في الفتوح ، وذكر المبرد في « الكامل » أنه غرق في ولاية عبد الله بن الحارث على العراق وذلك سنة ٦٤ هـ . ترجمته وأخباره في « الاغاني » ٢٣/٤٤٤ ، و « زهر الآداب » ٩١٤ ، و « تهذيب ابن عساكر » ٣/٤٣٠ ، و « الاصابة » ١/٣٧٠ .

لَمَّا نَبتْ داري نَبوْتُ بها فتركتُها وَنَزَلتُ في جُعْفِ
فَحَلَلْتُ في عِزٍّ وَتكرُمَةٍ بمَحلّ بينَ العينِ والأَنفِ

هـذا مِنْ قول النبي صلى الله عليه وسلم : « عمّارُ : جِلْدَة ما بينَ عيني وأنفي[1] » .

* * *

(١) في الاصل تحت كلمة « عمار » ما نصه : يعني عمار بن ياسر رحمه الله.

فصل

في ذكر المساكن والمحل والمعاهد والأعلام والمعالم والعرصات

المساكن

قال أبو العتاهية :

جَمَعوا فما أكَلوا الذي جَمَعُوا ... وبَنَوْا مساكِنَهم فما سَكَنوا [1]

وكأنَّهم كانوا بها ظُعُناً ... لما اسْتراحُوا ساعَةً ظعنوا

رويَ عن أبي الدَّرْداء رضي الله عنه : أنّه أشرَفَ على أهل حِمْصَ فقال : ألا تَستَحْيونَ تبنونَ ما لا تسكُنونَ ، وتأمُلونَ ما لا تُدرِكونَ ، وتَجْمعونَ ما لا تأكُلونَ ، أيْنَ الذينَ بنوا قبلكُم تشييداً ، وجَمَعوا كثيراً ، وأمَّلوا بعيداً ؟ أصبحتْ مساكِنُهُم قُبوراً ، وآمالُهم غُروراً ، وجَمْعهم بوراً .

وقال أبو العلاء بن سُليمان المعري :

سَكَنْتُكِ يا دُنيا برَغْمي مُكرَهاً ... وما كانَ لي في ذاكَ صُنْعٌ ولا أمْرُ

وَجرَّبتُ حتى قد قَتَلْتُكِ خِبْرَةً ... فأنتِ وِعاءٌ حَشوُه الهَمُّ والوِزْرُ

وقال الله تباركَ وتعالى : (وإذْ يَرْفَعُ إبْراهيمُ القَواعِدَ مِنَ البَيْتِ

---

(1) تقدم ذكر الفصل ، وشعر أبي العتاهية ، وخبر أبي الدرداء ، وبيتا أبي العلاء ص : ٣٣٩ .

وإسماعيل) [البقرة : ١٢٧] . أوَّلُ مَنْ دَلَّهُ اللهُ عز وجل على مكان البيت بعد آدم إبراهيم عليهما السلام ، وهو أولُ مَنْ بناهُ مع إسماعيل عليه السلام ، وأوَّلُ مَنْ حَجَّهُ وإنَّما كانوا قبلَه يُصلُّونَ نحوه ولا يعرفونَ مكانه .

واختلفوا في سبب بنائِهِ عند ابتداء الخَلْق على قولين . أحدُهما : ما رواه محمد بن علي عن أبيه رضوان الله عليهما ، أنَّ الله تعالى وضع تحت العَرْش بيتاً على أربع أساطين ، وسَمَّاه الضُّراحَ ، وهو البيتُ المعمورُ ، وقال تعالى لِلملائِكةِ عليهم السلام : « طُوفُوا به » ، ثمَّ بعثَ ملائِكتَه عليهم السلام فقال : « ابنوا لي بيتاً في الأَرض بمثالِهِ وقَدْرِهِ » وأمرَ مَنْ في الأَرض مِنْ خلقه أن يطوفوا به .

والثاني ، ما رُوي عن ابن عباس رضوان الله عليهما قال : لَمَّا أُهْبط آدمُ عليه السلام مِنَ الجَنَّة إلى الأَرض قال له تعالى : « يا آدَمُ اذْهب فابْنِ لي بيتاً فَطُفْ به واذْكُرْني حَولَهُ كما رأيتَ الملائكة يصنعونَ حول عَرْشي » فأقبلَ آدم عليه السلام يَتَخطَّى ، فطُويت لهُ الأَرض ، وقُبِضَتْ له المَفاوِز ، فلم يَقَعْ قدمُه على شيء إلّا صار عُمراناً ، حتى انتهى إلى موضع البيتِ الحرام ، وانَّ جبريلَ عليهِ السلام ضَرَبَ بجناحِه الأَرضَ فأبْرزَ عن أُسٍّ ثابتٍ على الأَرض السابعةِ السُّفْلى ، وقَذَفَتْ إليه الملائِكة بالصَّخْر ،

فما يَطيقُ الصخرةَ ثلاثونَ رجلاً وانَّه بناهُ مِنْ خَمْسةِ أجْبُلٍ مِنْ لبنان وطور سَيناء وطُور زَيْتا [١] والجُودي [٢] وحِراء ، فكانَ آدمُ عليه السلام أوَّلَ مَنْ أسَّسَ البيتَ وصلَّى فيه ، وطافَ به ، ولمْ يَزَلْ كذلك حتى بعثَ الله تعالى الطُّوفانَ فدَرَسَ موضعُ البيت ، فبعث الله عزَّ وجل إبراهيم وإسماعيل عليهما السلامُ ، فوضَعا قواعِدَ البيتِ وأعْلامَهُ ، ثم بَنَتْهُ قريش بعدَ ذلك ، وهوعلى حَدِّ البيتِ المَعْمُورلو سَقَطَ ما سَقَطَ إلَّا عليه [٣].

ثم روى علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ، أنَّ الله تعالى لما أمر ابراهيم عليه السلام بعمارَةِ البيتِ ، خَرَجَ مِنَ الشَّام ومعه ابنه إسماعيل وأمُّهُ هاجَر ، وبَعثَ معَه السَّكِينَةَ لها لسانٌ تتكلَّمُ به يَغْدو إبراهيمُ معها

---

(١) طور زيتا : جبل في القدس مشرف على المسجد الاقصى .

(٢) الجودي : جبل يطل على دجلة وعلى جزيرة ابن عمر ، وهي قرية من أعمال الموصل .

(٣) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » ١٢٩/١ ، ونسبه للأزرقي وأبي الشيخ في « العظمة » وابن عساكر . قال ابن كثير في « البداية والنهاية » ٢٩٨/٢ بعد أن نقل عن البيهقي ما ورد من الاسرائيليات في بناء البيت في زمن آدم : ولا يصح ذلك . فان ظاهر القرآن يقتضي أن إبراهيم أول من بناه مبتدئاً ، وأول من أسسه ، وكانت بقعته معظمة قبل ذلك معتنى بها مشرَّفة في سائر الأعصار والاوقات .

إذا غدَتْ ، ويَروحُ معها إذا راحَتْ حتى انتهتْ به إلى مَكَّة ، فقالتْ لإبراهيم : ابنِ على موضعي الأَساس ، فرفَعَ البيْتَ هو وإسماعيل عليهما السلام حتى انتهى إلى موضع الرُّكن ، فقال لابنه : يابني ابغِني حَجَراً أجعَلْهُ عَلَماً للناس فجاءَه بحجرٍ فلمْ يرْضَهُ فقال : ابغِني غيرَهُ ، فذهبَ يَلتَمِسُ فجاءَهُ وقد أتى بالرُّكْنِ فوَضَعَهُ موْضِعَه وقال : يا أبتِ مَنْ جاءَكَ بهذا الحجر ؟ قال : مَنْ لَمْ يَكِلْني إليكَ يا بُنيَّ ، فلما رفعَ إبراهيمُ وإسماعيل عليهما السلام القواعِدَ مِنَ البيتِ جاءَتْ سَحابَةٌ مُرَبَّعةٌ فيها رأسٌ فنادَتْ أنِ ارْفَعا على تَرْبيعي [١] . قال القاضي الماوَرْدي رحمه الله : فهذا ماجاءَتْ به الآثارُ في البيت قبلَ الطوفان وبعدَهُ .

وقال ابنُ إسحاق رَحِمه الله : لما بَلَغَ رسولُ الله ﷺ خَمساً وَعِشرين سنة [٢] اجتمعتْ قُرَيْشٌ لبُنْيان الكعبة ، وكانوا يهمُّونَ بذلكَ ليَسْقُفُوها

---

(١) خرجه السيوطي بمعناه في « الدر المنثور » ١٢٦/١ ، دون قوله : «وجاءت سحابة ... » ونسبه إلى ابن أبي شيبة واسحاق بن راهويه في « مسنده » وعبد بن حميد ، والحارث بن أبي أسامة وابن جرير ، وابن أبي حاتم ، والازرقي ، والحاكم وصححه ، والبيهقي في « الدلائل » وأورد القطعة الاخيرة ونسبها للديلمي وانظر « تفسير الطبري » ٥٧/٣ ، ٦٤ .

(٢) في « السيرة » ، و « البداية والنهاية » ، و « المواهب اللدنية » : خمساً وثلاثين سنة . قال الزرقاني : فيما جزم به ابن اسحاق وغير واحد ، وقيل :-

وَيَهابونَ هَدْمَها ، وإِنَّما كانت رَضْماً (١) فوقَ القامَةِ فأرادوا رَفْعَها وَتسقيفَها (٢) وذلك أنَّ نفراً سَرَقوا كَنْزَ الكعبة ، وكان يكونُ في بئر في جوف الكعبة ، وكان الذي وُجِدَ عنده الكنز دويك مولى ابني مُلَيْح ابن عمرو مِن خُزاعَة ، فقطعتْ قريشٌ يدَه . وقيل : إنَّ الذين سَرَقوهُ وَضعوهُ عند دُويك ، وكان البحرُ رَمى سفينة (٣) إلى جُدَّةَ لِتاجرٍ مِن الرُّوم ، فتحطَّمَتْ ، فأخذوا خَشبَها فأَعَدُّوهُ لتسقيفِها وكان بمكَّة نجّارٌ قبطي ، فتهيأَ لهم بعضُ ما يُصلِحُها ، وكانت حَيَّةٌ تَخْرُجُ مِنْ بئر الكعبة ، فتشرَّقُ (٤) على جِدار الكعبة ، فكانوا يهابونها [وذلك أنه كان

ـ خمساً وعشرين سنة . رواه ابن عبد البر عن محمـد بن جبير ، وعبد الرزاق عن ابن جريج عن مجاهد ، وجزم به موسى بن عقبة في مغازيه ، ويعقوب بن سفيان في تاريخه ، قال الحافظ : والأول أشهر .

(١) الرضم : أن تنضد الحجارة بعضها على بعض من غير ملاط .

(٢) وقيل : ان الذي حمل قريشاً على بنائها أن السيل أتى من فوق الردم الذي بأعلى مكة فأخربه ، فخافوا أن يدخلها الماء ، وقيل : بل كان الذي حملهم على هذا احتراقها ، وذلك أن امرأة أجمرت الكعبة ، فطارت شرارة في ثيابها فأحرقتها . رواه عبد الرزاق عن معمر عن الزهري .

(٣) في « سيرة ابن هشام » : قد رمى بسفينة .

(٤) تشرق ، أي : تتشرق : تبرز للشمس .

لا يدنو منها أحدٌ إلّا احزأَلت وكشَّتْ ، وفتحتْ فاها] [(١)] ، فبعثَ الله تعالى إليها طائراً فاختطَفها ، فذهبَ بها ، فقالت قريشٌ : إنّا نرْجوا أنْ يكونَ الله تعالى قد رَضي ما أرَدْنا ، فلمّا أجْمعوا أمرَهُمْ في هدْمِها وَبنائِها ، قامَ أبووَهْب بن عَمرو بن عائِذ بن عبد بن عمران بن مخزوم ، فتناول مِنَ الكعبة حَجَراً ، فوَثَبَ مِنْ يدِهِ حتى رَجع إلى موضعِهِ ، فقال : يا مَعْشَرَ قريش لا تُدْخِلوا في بنائِهـا مِنْ كَسْبِكُم إلّا طَيِّباً ، لا يدخل فيـه مَهْرُ بَغيٍّ ، ولا بَيْعُ رِبا ، ولا مَظْلَمَةُ أحدٍ مِن النّاس . وقـد نُحِلَ هذا الكلامُ إلى الوَليد بن المُغيرة ، والأَوّل أثبتُ .
وأبو وهب خال [أبي] رسول الله ﷺ ، وكان شريفاً ، ولهُ يقولُ شاعِرٌ مِنَ العرب :

لو بأبي وَهبٍ أنَخْتُ مَطيّتي ... غدَتْ مِنْ نداهُ رَحْلُها غيرُ خائِبِ
بأبيضَ مِنْ فرْعيْ لُؤيِّ بنِ غالِبٍ ... إذا حُصِّلَتْ أنسابُها في الذّوائِبِ [(٢)]
أبيٍّ لِأَخْذِ الضَّيم يرتاحُ للنَّدى ... تَوَسَّطَ جدّاهُ فروعَ الأطايبِ

ثم إنَّ قريشاً تجزّأَتِ الكعبة ، فكانَ شقُّ الباب لبني عبدِ مناف

---

(١) ما بين المعقفين من السـيرة . واحزألت : رفعت رأسها ، وكشت : صوتت باحتكاك جلدها ببعض .

(٢) الذوائب : الأعالي ، وأراد بها الأنساب الكريمة .

ابن زهرة [١] ، وكان ما بين الرُّكن الأسود والرُّكن اليماني لبني مَخْزوم ، وقبائِل مِنْ قريش انضمُّوا إليهم ، وكان ظَهرُ الكعبة لبني جُمَح وسَهْم ابني عَمْرو بن هُصَيْص بن كَعْب بن لؤيّ . وكان شقّ الحِجْر لبني عبد الدّار ابن قُصَي ، ولبني أَسَد بن عبد العُزّى بن قُصَيّ ، ولبني عديّ بن كعب بن لُؤيّ ، وهو الحَطيم مَوْضع الصَّنم ، ثم إنَّ الناس هابوا هدمَها وفَرِقُوا منه ، فقال الوليد بنُ المُغيرة : أنا أَبْدَأُكم في هدمِها ، فأخَذَ المِعْوَل ، ثم قامَ عليها وهو يقول : اللّهمّ لا تُرَع فإنّا لا نُريدُ إلّا الخير ، ثم هدَمَ مِنْ ناحيةِ الرُّكنين ، فترَبَّصَ النَّاسُ تلكَ اللَّيلة ، وقالوا : نَنْظُرُ إنْ أُصيبَ لم نَهدِمْ [منها] شيئاً ، ورَدَدْناها كما كانتْ ، وإنْ لم يُصِبْهُ شيء - فقد رضي الله بما صنعنا - هدمْنا [٢] . فأصبح الوليد غادِياً على عمله وهدَمَ ، وهَدمَ الناسُ حتى انتهى الهدْمُ بهم إلى أساس إبراهيم عليه السلام ، فأفْضوا إلى حِجارةٍ خُضْرٍ كالأَسِنَّة [٣] آخِذٍ بعضُها ببعض . قال ابنُ إسحاق : ثمَّ إنَّ القبائِل مِنْ قريش جَمَعت الحِجارَةَ لبنائِها ، كلُّ قبيلة تَجْمَعُ على حِدَة ، ثمَّ بنوها

(١) في « السيرة » عبد مناف وزهرة .

(٢) في « السيرة » : وإن لم يصبه شيءٌ فقد رضي الله صنعنا فهدمنا .

(٣) الأسنة : جمع سنان ، شبهها بأسنة الرماح في الخضرة ، وفي « السيرة » : كالأسنمة ، وهي جمع سنام ، وهو أعلى الظهر ، وأراد أن الحجارة دخل بعضها في بعض كما تدخل عظام السنام بعضها في بعض فشبهها بها .

حتى بلغَ البنيانُ مَوضِع الرُّكن [١] فاختصموا فيه ، كلُّ قبيلة تُريد أنْ ترفعه إلى موضِعه دونَ الأُخرى حتى تحاوروا [٢] وتحالفوا وأعدُّوا للقتال فقرَّبت بنو عبد الدَّار جَفْنَةً مملوءَةً دماً ، وتعاقدوا هُمْ وبنو عبد الله بن كعب بن لؤيّ على الموت ، وغَمَسوا أيديَهم في ذلك الدَّم ، فسُمُّوا لَعَقَةَ الدَّم ، فمكثت قريش على ذلك أرْبَع ليالٍ أو خَمْساً . ثم إنَّهم اجتمعوا في المسجد فتشاوروا ، وتَناصَفوا ، فرُوي أنَّ أبا أُمَيَّة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، وكانَ أَسَنَّ قريش كلِّها عامَئذٍ ، قال : يامَعشر قريش اجعلوا بينكُم فيما تختلفون فيه أوَّلَ مَنْ يدخل مِنْ بابِ هذا المسجد يقضي بينكُم فيه ، ففعلوا ، فكان أوَّلَ داخِلٍ رسولُ الله ﷺ ، فلما رأوه قالوا : هذا الأمين ، رضينا ، هذا محمد ، فلما انتهى إليهم وأخبروه ، قال ﷺ : « هَلُمَّ إليَّ ثَوْباً » فأُتِيَ به ، فأخذ الرُّكنَ فوضَعه فيه بيده ، ثم قال : « لِتأخذْ كلُّ قبيلةٍ بناحية مِنَ الثَّوْبِ ، ثمَّ ارْفعوه جميعاً » ففعلوا حتى إذا بلغوا موْضِعه ، وَضَعَه هو بيده ، وبُني عليه [٣] .

(١) يريد بالركن : الحجر الأسود ، وسمي ركناً لأنه مبني في الركن .
(٢) ويروى : تحاوزوا ، ومعناه : انحازت كل قبيلة إلى جهة .
(٣) الخبر بطوله رواه ابن هشام في « السيرة » : ١/١٩٢ ، ١٩٧ عن ابن اسحاق .

قال أحمد بن يحيى قال رسول الله ﷺ حينَ وضعَ الحجر في الثَّوب : « ليأتِ مِنْ كلِّ رُبْع مِنْ أرباع قريش رجلٌ »(١) فرفعوه ثم وضعه ﷺ في موضعهِ ، فلما وَضع الحجر ، احتاجَ إلى حَجَرٍ يسنده به(٢) فذهب رجلٌ مِنْ أهل نَجْدٍ ليأتيَهُ فقال : لا ، وأمَرَ العبَّاسَ رضوانُ الله عليه ، فأتاه بحجر ، فأسنَدَه ، فغضِبَ النَّجْديُّ وقال : عَمَدْتُم إلى أصغرِكُم سِناً ، وأقَلِّكُم مالاً ، فوليتموه هذه المَكْرُمَة ، فكانَ يقال : إنَّه إبْليسُ لعنهُ الله ، فقال أبو طالب في وضع الرُّكن :

إنَّ لنـا أوَّلَهُ وآخِرَهْ في الحُكْم والحقِّ الذي لن نُنْكِرَهْ
وقد عَمَرْنا خَيْرَهُ وأكثَرَهْ لمَّا وَضعنا إذْ تَمارَوْا حَجَرَهْ(٣)

وكانت قريش تُسمِّي رسولَ الله ﷺ قبل أنْ يَنْزِل عليه الوَحيُ « الأَمين » .

وقال الله تبارك وتعالى : (وإذْ جَعَلْنا البَيْتَ مَثابَةً لِلنَّاسِ وَأمْناً ...)

---

(١) في « طبقات ابن سعد » ١٤٤/١ : فكان في ربع بني عبد مناف عتبة ابن ربيعة ، وكان في الربع الثاني أبو زمعة ، وكان في الربع الثالث أبو حذيفة ابن المغيرة ، وكان في الرابع قيس بن عدي .

(٢) في « الطبقات » : « حجراً يشد به الركن » .

(٣) الخبر مع الشعر في « طبقات ابن سعد » ١٤٦/١ ، ١٤٧ .

الآية [البقرة : ١٢٥] . يعني بالمثابة : أنهم يُثابُون على حَجّهِ ، وقيل : مُجمعاً لاجْتماع الناس عليه في الحجّ والعُمْرة ، وقيل : مرْجعاً ، مِنْ قوْلِهم : ثابَتْ العِلّة : إذا رَجَعتْ [(١)] .

وقال الله تبارك وتعالى : (وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ إبْراهِيمَ مُصَلًّى) . في سبب مُقامِهِ على الحَجر قولان .

أحدها : أنَّهُ لما ارتفَع بنيانُ البيتِ ، وضَعُفَ إبراهيمُ عليه السلام عن رَفْع الحِجارَة ، قامَ على هذا الحَجر ، فهو مَقامُ إبراهيم [(٢)] .

والثاني ، أنَّهُ حَجَرٌ وَضَعَتْهُ زَوْجَةُ اسماعيل عليه السَّلام تحت قَدَم ابراهِيم عليه السَّلام حِينَ غَسلَتْ رَأْسَهُ فوضعَ قَدَمَهُ عليه فغابَتْ قدَمُهُ فيه [(٣)] .

---

(١) في « الطبري » : ٣/١٢٥ : فمعنى قوله : (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس) : وإذ جعلنا البيت مرجعاً للناس ومعاذاً ، يأتون كل عام ويرجعون إليه، فلا يقضون منه وطراً .

(٢) « الطبري » : ٣/٦٨ ، و « البخاري » : ٦/٢٩٠ دون قوله : « فهو مقام إبراهيم » من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

(٣) « الطبري » ٣/٣٥ عن السدي ، وفي « زاد المسير » ١/١٤١ : وفي « مقام إبراهيم » ثلاثة أقوال . أحدها : أنه الحرم كله، قاله ابن عباس ، والثاني : عرفة والمزدلفة والجمار ، قاله عطاء ، وعن مجاهد كالقولين . وقد روي عن -

أنا موردٌ سببَ غَسْل ابراهيم صلّى الله عليه رأسه مختصراً ما أوْرَدَه أصحابُ السِّيَرَ في ذلك.

لما وَلدَتْ هاجر إسماعيل عليه السلام، أمَرَ الله سبحانه إبراهيم عليه السلام أنْ يُسْكِنَهما مكَّة فحملَهما اليها، فلَمَّا أرادَ الرُّجوعَ، قالت لهُ هاجَر: يا ابراهيمُ مَنْ أمركَ أنْ تضعني بأرْض لازرْعَ فيها ولا ضَرْعَ، ولا أنيسَ ولا ماء ولا زادَ؟ قال: ربي أمرَني. قالت: فإنَّه لن يُضيّعَنا، فلمَّا مضى ابراهيم، قال: (رَبَّنا إنَّكَ تعلَمُ مانُخْفي وَما نُعْلِنُ) يعني مِنَ الحُزْن. فلما ظَمِئ اسماعيلُ جَعلَ يَدْحَضُ الأَرْض بعَقِبَيْهِ، فذهبَتْ هاجَرُ حتى عَلَتِ الصَّفا والوادي يومئذٍ عميقٌ فأشْرَفَتْ، فلم تَرَ شيئاً، فانْحَدَرَتْ في الوادي، فسعَتْ فيه حتى خَرَجتْ منه، فأَتتِ المرْوَة، فصعِدَتْ واسْتَشْرَفتْ فلمْ تَرَ شيئاً، ففعلت ذلك سَبْعَ مرَّات، ثم جاءَتْ مِنَ المرْوَة الى إسماعيل وهو يدْحَضُ الأَرْض بعقبيه وقد نَبعَتْ العينُ وهي زَمْزَمُ، فجعلتْ تفحصُ الأَرض بيدها عن الماء، فكلَّما اجتمعَ

- ابن عباس وعطاء ومجاهد، قالوا: الحج كله مقام إبراهيم. والثالث: الحجر، قاله سعيد بن جبير وهو الأصح. وقد أيد الحافظ ابن كثير في تفسيره: ١٦٩/١ هذا القول، وأورد الآثار على صحته، ثم قال: «فهذا كله مما يدل على أن المراد بالمقام إنما هو الحجر الذي كان إبراهيم عليه السلام يقوم عليه لبناء الكعبة...»

ماءُ أخذَتْهُ بقَدَحِها وأفرغته في سِقائِها . فقال النبي ﷺ : « رَحِمَها الله لو تركَتْها لكانتْ عيناً سائحة تجري إلى يوم القيامة » ، وكانتْ جُرْهُمْ يَوْمئِذ بوادٍ قريب مِنْ مَكَّة ، وَلَزِمَتِ الطَّير الوادي حين رأتِ الماء ، فلما رأتْ جُرْهُم الطير قد لَزِمْت الوادي ، قالوا : مالزمته إلّا وفيه ماءٌ ، فجاؤوا الى هاجر ، فقالوا : لو شِئْتِ لكُنَّا مَعكِ وآنسْناكِ والماءُ ماؤُكِ . قالت : نعم ، فكانوا معها حتى شَبَّ إسماعيلُ عليه السلام ،وَماتتْ هاجر ، فتزوَّجَ امرأةً مِنْ جُرْهُم فاستأذَنَ ابراهيمُ عليه السلام سارةَ أنْ يأتي هاجر فأذِنتْ لهُ وَشرَطتْ عليه أنْ لاينزلَ فقَدِمَ إبراهيمُ وقد ماتَتْ هاجَرُ ، فذهبَ إلى بيتِ إسماعيل ، فقال لامْرأَتِهِ : أيْنَ صاحِبُكِ ؟ فقالت : ذَهَبَ يَتصيَّدُ فقال : هل عِندَكِ ضِيافة ؟ فقالت : ما عِندي طعامٌ ولا شرابٌ . فقال إبراهيم عليه السلام : إذا رَجعَ زَوْجُكِ فأقرئيهِ السلامَ وقُولي لهُ: فلْيُغيِّرْ عَتَبَةَ باب داره . وذهب إبراهيم وجاء إسماعيلُ فوَجَدَ ريحَ أبيه ، فقال لامْرأتِه : هل جاءَكِ أحد ؟ فقالت : جاءَني شيخٌ كذا وكذا ، كالمُسْتَخِفَّة بشأنه . قال : فما قالَ لكِ ؟ قالتْ : [قال] لي : اقرئي زوجكَ السلام وقُولي له : فلْيُغيِّرْ عتبَةَ بابه . فطلَّقها وتزوَّجَ أخرى ، فلَبِث إبراهيم عليه السلام ما شاء الله ، ثم اسْتأذنَ سارةَ في أن يأتي إسماعيل ، فأذِنتْ له ، واشترطت عليه أنْ لا ينزل ، فجاء إبراهيمُ حتى انتهى إلى بابِ اسماعيلَ عليهما

السلام ، فقال لامرأته : أينَ صاحِبُكِ ؟ قالتْ : ذهبَ يتصيَّدُ وهو يجيءُ الآن إنْ شاءَ الله ، فانْزِلْ رَحِمَكَ الله . فقال : هل عِندَكِ ضِيافة ؟ فقالت : نعم . فقال : هل عِندَكِ خُبْزٌ أوْ بُرٌّ أو شَعيرٌ أو تمرٌ ؟ [قالت : لا] فجاءَتْ باللَّبن واللَّحم ، فدعا لهما بالبَرَكة . فلو جاءَتْ يومئذٍ بخبزٍ أو بُرٍّ أو شعير أو تمرٍ ، لكانتْ مكَّة أكثرَ أرض الله بُرّاً وشعيراً وتمراً ، ثم قالت له وقد رَأَتْه أشْعَثَ الرأس : انْزِلْ - يَرْحَمُكَ الله - حتى أغْسِل رأْسَكَ ، فلم ينزِلْ واعتذر ، فجاءَتْه بالمُقام ، فوَضعتهُ تحتَ شِقِّه الأيمن ، فوضعَ قدمه عليه ، فبقي أثَرُ قدَمِه عليه ، ثمَّ غسلتْ شِقَّ رأْسِهِ الأيمن ، ثمَّ حوَّلتْ المُقامَ إلى شِقِّ رأْسِهِ الأيسَر ، فغسَلَتْه كما فعلت بالجانِبِ الأيمن ، فقال لها : إذا جاء زَوْجُكِ فأقرئيه السلام وقولي له : قدِ استقامَتْ عَتَبةُ بابكَ ، فلما جاء إسماعيلُ وجدَ ريح أبيه عليهما السلام ، فقال لامرأته : هلْ جاءَكِ أحدٌ ؟ قالت : نعم شيخٌ أحْسَنُ الناس وَجْهاً ، وأطْيَبُهُم ريحاً ، قال لي : كذا ، وقلتُ له كذا ، وغسلتُ رأْسَه ، وهذا موضِعُ قدمه ، وقال لي : قُولي لزوجك إذا جاء : قد استقامَتْ عَتَبةُ بابك . فقال : ذاكَ أبي إبراهيمُ خليلُ الرَّحمن عزَّ وجلَّ [١] .

---

(١) « الطبري » : ١٣/٢٣٠ ، ٢٣١ ، ورواه البخاري ٦/٢٨٣ ، ٢٩٠ بألفاظ مقاربة ، واختلاف يسير عن ابن عباس رضي الله عنهما، دون قوله : « ثم قالت له -

إنَّما أوْرَدتُ هـذا الخبر مُختصراً لئلا يقفَ على ذِكْرِ غَسْلِ ابراهيمَ عليه السـلامُ رأْسَه مَنْ لا يكُونُ عرفَ كيفَ كان ذلكَ ، فيتطلَّعُ الى مَعْرفَتِه .

وقال تباركَ وتعـالى : (وَعَهِدْنا الى ابراهِيمَ واسْماعِيلَ أنْ طَهِّرا بَيْتيَ ...) [البقرة : ١٢٥] فيه خَمْسةَ أوْجُـه . أحدُها : مِنَ الأصنام . والثَّاني : مِنَ الـكُفَّار ، والثالث : مِنَ الأنْجاس ، والرابع : مِنَ الآفات والرِّيَب ، والخامس : أنَّه لِمَنْ حَجَّه وطافَ به .

فإنْ قيل : فلم يَـكُنْ على عَهدِ ابراهيم عليه السلام قبلَ بناء البيتِ بَيْتٌ مُطَهَّرٌ ؟ فمن هذا جوابان . أحدُهما : أن ابْنِيا بيتيَ مُطَهَّراً . والثاني : أنْ طَهِّرا مكانَ بيتي للطَّائفين [١] .

وقال تبارك وتعالى : (وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بيتِهِ مُهاجِراً الى اللهِ ورَسُولِهِ ثُمَّ يُدرِكْهُ المَوْتُ فقـدْ وَقَعَ أجْرُهُ على اللهِ وَكانَ اللهُ غَفُوراً رَحيماً)

ـ وقـد رأته أشعث الرأس . . . . إلى قوله : كما فعلت بالجانب الأيمن » . وقال الحافظ ابن كثير في « البداية والنهاية » ١/١٥٤ ، ١٥٦ بعد أن ساق رواية البخاري : وهذا الحديث من كلام ابن عباس ، وموشح برفع بعضه ، وفي بعضه غرابة ، وكأنه مما تلقاه ابن عباس عن الاسرائيليات .

(١) انظر « الطبري » ٣/٣٩ ، و « زاد المسير » ١/١٤٢ .

[النساء : ١٠٠] . فيه وجهان . أَحَدُهما : أنه مَنْ خَرَجَ للهِجْرَةِ مِنْ مكة فماتَ في طريقه قبل وُصولِهِ المدينة ، فقد اسْتحقَّ ثوابَ عمله وجزاءَ هِجرتِهِ .

والثاني : فيمن خرجَ غازياً ، فماتَ قبلَ الوقعة ، فلَهُ ثَوابُ جهادِهِ .

واختلف فيمن نَزَلت فيه هذه الآية ، فقيل : إنَّها نَزَلت في أبي أُميَّة ضُمْرَةَ بن جُنْدُب الخزاعي خرج مِنْ مكَّة مُهاجراً ، فماتَ بالشعب [١] .

وقيل : نزلتْ في خالد بن حزام أخي حكيم بن حزام خرَجَ مُهاجراً ، فماتَ في الطريق [٢] .

وقال ابن عباس رضوانُ الله عليهما في رواية عطاء : كان عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه يُخْبِرُ أهلَ مكَّة بما يَنْزِلُ مِنَ القُرآن ، فكَتَبَ إليهم بقولِهِ عزَّ وجَل : (إنَّ الذينَ تَوَفَّاهُمُ المَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِم قالوا فِيمَ كُنْتُم ؟ قالوا : كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ في الأَرْض ، قالوا : أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ واسِعةً فتُهاجِروا فيها فأُولئكَ مأواهُم جهَنَّمُ وساءَتْ مَصيراً) [النساء : ٩٧]

---

(١) أورده ابن كثير في « تفسيره » ١/٥٤٣ عن ابن أبي حاتم على أكثر من عشرة أوجه .

(٢) ذكره ابن الجوزي في « زاد المسير » ١/١٨١ ، وابن كثير في تفسيره ١/٥٤٣ عن ابن أبي حاتم .

قال حبيبُ بنُ ضُمْرَةَ اللَّيثي لمَّا قرأها وكانَ شيخاً كبيراً: احملوني فإني لستُ مِنَ المُستضعفينَ وإنّي لأهتدي إلى الطريق، فحملوه على سَرير مُتوجِّهاً إلى المدينة، فلمَّا بَلَغَ التَّنْعيمَ [١]، أشْرَفَ على الموتِ فصَفَّقَ بيمينه على شِمالِهِ وقال: اللّهمَّ هذه لكَ وهذه لرسُولِكَ، أُبايعُكَ على ما بايَعت يد رَسول الله ﷺ ومات، فبلغ خبره أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: لو كانَ وافى المدينة لكانَ أتَمَّ أجْراً، فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهاجِراً إلى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ المَوْتُ فقدْ وَقَعَ أَجْرُهُ على الله ... ﴾ الآية [النساء: ١٠٠] [٢].

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿ إنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجسَ أهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُم تطهيراً ﴾ [الأحزاب: ٣٣]. قال عطاءُ بنُ أبي رَباح رَحِمَهُ الله: حدَّثني مَنْ سَمِعَ أُمَّ سَلَمَةَ رضي الله عنها: تَذْكُرُ أنَّ النبي ﷺ كان في بيتِها، فأتته فاطِمَةُ عليها السلام ببُرْمَةٍ فيها خَزيرَةٌ [٣] فدخلت عليه بها، فقال ﷺ: «ادعي لي زوجَكِ وابْنَيْكِ». قالت: فجاء عليٌّ والحسنُ والحسينُ رضوانُ الله عليهم، فدخلوا عليه، فجلسوا يأكلون

---

(١) التنعيم: موضع في الحل بين مر وسرف، بينه وبين مكة فرسخان، ومن التنعيم يحرم من أراد العمرة من أهل مكة.

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول»: ١٠٢ بدون سند.

(٣) البرمة: القدر مطلقاً وجمعها برام، والخزيرة: لحم يقطع صغاراً، ويصب عليه ماء كثير، فاذا نضج ذُرّ عليه الدقيق.

مِنْ تِلْكَ الخزيرَة وهو على مَنامَةٍ لهُ على دُكَّانٍ تحته كِساءٌ خَيْبَرِيٌّ ، قالت : وأنا في الحُجرَةِ أُصلِّي فأنْزَل الله عز وجل : (إنَّما يُريدُ اللهُ لِيُذهِبَ عنكم الرِّجسَ أهلَ البيتِ ويُطهِّركم تطهيراً) . فأخَذَ النبي ﷺ فضْلَ الكساء فغشَّاهُم به ، ثمَّ أخذ يديه [١] فألوى بهما إلى السَّماء ، ثم قال : « اللَّهمَّ هؤلاء أهل بيتي وخاصَّتي فأذْهِبْ عنهم الرِّجسَ أهلَ البيتِ وطَهِّرْهُم تطهيرا . قالت : فأدْخلتُ رأسي البيتَ وقلتُ : وأنا مَعكُم يا رسول الله ، فقال : إنَّكِ إلى خير إنَّكِ إلى خير [٢] .

وقال الله تبارك وتعالى : (يا أيُّها الَّذينَ آمنوا لا تَدْخُلوا بُيوتَ النَّبيِّ إلَّا أنْ يُؤذَنَ لكُم إلى طَعامٍ غَيْرَ ناظِرينَ إناهُ ولكنْ إذا دُعيتُمْ فادْخُلوا فإذا طَعِمتُمْ فانْتَشِروا ...) الآية [٣] [الأحزاب : ٥٣] قال أكثرُ المُفسِّرين :

---

(١) في « المسند » : ثم أخرج يده فألوى بها ... » .

(٢) « المسند » ٦/٢٩٢ و « المستدرك » : ٢/٤١٦ ، وقال ابن كثير بعد أن أورده عن « المسند » ٣/٤٨٤ : في إسناده من لم يسم وهو شيخ عطاء ، وبقية رجاله ثقات ، ثم ساق له طرقاً أخرى عن ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما ، فانظره .

(٣) في « مجاز القرآن » : ٢/١٤٠ : « إلى طعام غير ناظرين إناه » أي : إدراكه وبلوغه ، ويقال : أنى لك أن تفعل يأني أنياً ، أي : بلغ وأدرك ، وقال ابن كثير ٣/٥٥٥ في تفسير الآية : فقوله تعالى: (لا تدخلوا بيوت النبي) حظر على -

لمَّا بنى رسول الله ﷺ بزَيْنب بنتِ جَحْش رضي الله عنها ، أَوْلَمَ عليها بتَمْرٍ وَسويق ، وذَبَحَ شاة . قال أنس بن مالك رحمه الله : وَبَعثَتْ إليه أمُّ سليم بَحَيْس في تَوْرٍ مِنْ حِجارَة ، فأمَرَني النبي ﷺ أنْ أدْعُوَ أصحابه رضي الله عنهم إلى الطعـام ، فجعل القومُ يجيئُونَ فيأكلُونَ وَيخْرُجُونَ . فقلتُ : يارسولَ الله قد دَعَوْتُ حتى لاأجِدُ أحداً أدْعُوه . قال : ارْفعوا طعامَكم ، فرفعوا ، وخرجَ القومُ ، وبَقيَ ثلاثَةُ نفر يتحدَّثُون في البيت ، فأطالوا المكْث ، وَتأذَّى بهم رسول الله ﷺ ، وكانَ شديدَ الحَيـاء ، فأنْزَلَ الله عزَّ وجل هذه الآية [(١)] .

وقوله عزَّ وجل حكايَةً عن إبراهيم ﷺ : (رَبِّ إنِّي أسْكَنْتُ مِنْ

ـ المؤمنين أن يدخـــلوا منازل رسول الله ﷺ بغير إذن ، كما كانوا قبل ذلك يصنعون في بيوتهم في الجاهلية وابتداء الاسلام ، حتى غار الله لهذه الأمة ، فأمرهم بذلك ، وذلك من إكرامه تعالى هـــذه الأمة . . . ثم استثنى من ذلك فقال تعالى :(إلا أن يؤذن لـكم إلى طعام غير ناظرين إناه) قال مجاهد وقتادة وغيرهما: أي : غـير متحينين نضجه واستواءه ، أي : لا ترقبوا الطعام إذا طبخ حتى إذا قارب الاستواء تعرضتم للدخول ، فان هذا مما يكرهه الله ويذمه . . .

(١) رواه بمعناه «البخاري» : ٤٠٧/٨ ، و «مسلم» ١٠٥١/٢ ، و « الترمذي» ١٥٣/٢ ، و « النسائي » ١٣٦/٦ ، و « الطبري » ٣٧/٢٢ عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

ذُرِّيَتي بوادٍ غَيرِ ذي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ المُحَرَّم) [إبراهيم : ٣٧] ذُريته : إسماعيل ، وأُمُّه هاجر « بواد غير ذي زرع » يعني : مكة ، أسْكنَها بأَبْطحِها ولم يكُنْ بها ساكِن ، ثِقة بالله تعالى ، وتَوَكُّلاً عليه . « عند بيتك المحرَّم » أضافَ البيت إليه سبحانه ، لأنَّه لا يملكه غيرُه . و « المحرم » أنه يحْرُم فيه ما يحِلُّ في غيره مِنْ جماع واُسْتِبْذال .

وقوله عزَّ وجل : (وَالبَيْتِ المَعْمُورِ) [الطور : ٥] . فيه أربعة أَوْجه . أحدُها : ما رواهُ قتادَة عن أنس بن مالك رحمه الله ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أُتِيَ بي إلى السَّماءِ السَّابعةِ فرُفِعَ لنا البيتُ المَعْمُورُ فإذا هُوحِيالَ الكعبةِ لو خرَّ خرَّ عليها ، يَدْخُلُهُ كُلَّ يوم سبعونَ ألفَ مَلَك ، فإذا خَرجُوا منه لم يَعودوا فيه » [1] . والثاني : أنَّ البيتَ المعمُورَ هو بَيْتٌ في سِتِّ سَموات ودونَ السَّابعة يُدْعى الضُّراح يُصلّي فيه كل يوم سبعونَ ألفَ ملَكٍ مِنْ قَبيلةِ إبْليس لا يعودون إليه أبداً ، وهو بحِذاء البيت العتيق [2] . والثالث : ما قاله الرَّبيعُ بنُ أَنَسٍ أنَّه كان في الأَرض

---

(١) « البخاري » ٢١٩/٦ ، و « مسلم » ١٥٠/١ دون قوله : « فرفع لنا البيت المعمور فاذا هو حيال الكعبة لو خر خر عليها » فقد وردت في « الطبري » ١٧/٢٧ عن قتادة : « ذكر لنا أن نبي الله ﷺ . . . » وأخرجه الطبراني وابن مردويه بسند ضعيف عن ابن عباس مرفوعاً .

(٢) « الطبري » ١٦/٢٧ عن علي رضي الله عنه ، وليس فيه « من قبيلة ـ

البيتُ المَعْمُورُ في مَوْضع الكَعْبةِ في زمانِ آدمَ عليه السَّلامُ حتى كانَ زَمانُ نُوح عليه السَّلامُ ، فأَمرَهُم نوح أَنْ يَحُجُّوهُ ، فأَبَوْا عليه وعَصَوْهُ . فلمَّا طَغى الماءُ رُفِعَ فجُعِلَ بحِذائِهِ مِنْ سَماءِ الدُّنيا ، فيَعْمُرُهُ كل يومٍ سبعونَ ألفَ مَلَكٍ ثمَّ لا يَرْجعونَ إليه حتى يُنْفَخَ في الصُّور . قال : فبوَّأَ الله تعالى لإبراهيم عليه السَّلامُ الكعبةَ البيت الحرامَ حيثُ يقول سُبحانه : (وَإِذْ بَوَّأْنا لإِبْراهيم مَكانَ البيتِ . .) الآية [الحج : ٢٦] . والرَّابع : ما قاله الحسن رضي الله عنه أنَّ البيت المعمور هو البيتُ الحَرامُ . والمَعْمُور : قيل : إنَّه مَعمور بالقصدِ إليه . وقيل : بالمُقام عليه .

وقال تبارك وتعالى : (في بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فيها اسْمُهُ) [النور : ٣٦] . قيل : هيَ المساجِدُ . وقيل : إنها سائِرُ البيوت . « أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ » : أي : تُبنى ، كقولِهِ تعالى : (وإِذْ يَرْفَعُ إبراهيمُ القواعِدَ مِنَ البيت) . أي : يَبني . وقيل : تُرْفَعُ فيها الحَوائِجُ إلى الله عزَّ وجل .

وقال تبارك وتعالى : (يا أَيُّها الذين آمنوا لا تدخلُوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تَسْتَأْنِسُوا وتُسَلِّمُوا عَلَى أَهلِها . . .) الآية [النور : ٢٧] .

ـ ابليس » ، وروي أيضاً عن الضحاك قوله في « البيت المعمور » : يزعمون أنه يروح إليه كل يوم سبعون ألف ملك من قبيلة إبليس ، يقال لهم : الجن .

روي عَنْ عَـدِيّ بْنِ ثابت قال : جاءَتِ امْرأةٌ مِنَ الأَنصار ، فقالت : يا رَسُولَ الله إنّي أَكُونُ في بيتي على حالٍ لاأُحِبُّ أنْ يَراني عليها أَحَدٌ لا والِدٌ ولا وَلَدٌ ، فيأتي الأَبُ فيدْخُلُ عليَّ وإنَّهُ لايزالُ يدخُلُ رَجُلٌ مِنْ أَهلي وأنا على تلكَ الحال ، فكيفَ أصنعُ ؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية [1] . فقال أبو بكر الصّديق رضوانُ الله عليه : يا رسولَ الله أفرأيتَ الخانات والمساكِنَ في طُرُق الشّام ليسَ فيها ساكِنٌ ؟ فأنزل الله تعالى : (ليْسَ عليكم جُناحٌ أنْ تَدْخُلوا بيوتاً غيرَ مَسْكونةٍ ..) الآية [النور : ٢٩] .

وفي قولِهِ تعالى : (يا أيُّها الذين آمنوا لاتَدْخُلوا بُيوتاً غَيْرَ بُيوتِكُم حتى تَسْتَأْنِسوا وَتُسَلِّموا على أَهلِها) ثلاثة أوْجُه . قيل : حتى تَسْتَأْذِنوا . وقيل : حتى تؤْنِسوا أهـلَ البيتِ بالتنحنح ، فيعلَموا بالدُّخول عليهم . وقيل : حتى تستأْنِسوا : أي : تَعْلَمُوا هل فيها أحدٌ تستأذِنُوا فتُسَلِّموا عليه ؟ ومنه قوله تعالى : (فإنْ آنَسْتُم مِنهُمْ رُشْدا) [النساء : ٦] أي : عَلِمتُم . والإِذْنُ : يكونُ بالقَوْلِ والإِشارة . عن أبي هُريرة رحمهُ الله قال : قال رسول الله ﷺ : « رَسولُ الرَّجُلِ إذْنُه ، فإن استأْذَنَ ثلاثاً ، فلم يُؤْذَنْ لهُ وَلّى وَلَمْ يُراجِعْ » [2] .

---

(١) « تفسير القرطبي » : ٢١٣/١٢ .

(٢) الحديث ملفق من حديثين ، فقوله : « رسول الرجل إذنه » رواه ــــ

رُوي عن أبي سعيد الخدري [١] عن الأشعري ، أنَّهُ استأذَنَ على عمر ابن الخطاب رضوان الله عليه ثلاثاً فلم يُؤذَن له ، فرجع ، فأرسل إليه عُمر فقـال : ما رَدَّكَ ؟ فقال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ اسْتأذَنَ ثلاثاً فلم يُؤذَنْ لهُ فليَرْجِعْ » فقال عُمر رضوان الله عليه : لتجيئَنّي ببيّنةٍ وإلَّا جعلتُك نَكالاً . فأتى أبو سعيد [٢] رحمهُ الله ، فشَهِدَ له [٣] .

ـ البخاري في « الأدب المفرد » ٥١١/٢ ، وأبو داود : ٤٧٢/٤ عن أبي هريرة مرفوعاً واسناده صحيح ، وقوله « فان استأذن . . . » هو قطعة من حديث ثبت في الصحيح من طريق أبي موسى الأشعري .

(١) في الأصل « عن الحسن البصري » وهو خطأ ، فقد روى الحديث عن أبي موسى ، أبو سعيد الخدري ، وأبو بردة الأشعري ، وعبيد بن عمير ، وبسر ابن سعيد ، ولم يرد في المصادر التي بين أيدينا ذكر للحسن في هذا الحديث .

(٢) في الأصل : « طلحة » وهو خطأ ، فقد اتفق الرواة على أن الذي شهد لأبي موسى عند عمر أبو سعيد ، إلا ما عند البخاري في « الأدب المفرد » ٥٠٨/٢ من طريق عبيد بن حنين ، فان فيه : « فقام معي أبو سعيد الخدري أو أبو مسعود إلى عمر » هكذا بالشك . وفي رواية لمسلم من طريق طلحة بن يحيى عن أبي بردة في هذه القصة « قال عمر : يا أبا موسى ما تقول ؟ أقد وجدت ! قال : نعم أبيّ بن كعب ، قال : عدل ، قال : يا أبا الطفيل وفي لفظ : يا أبا المنذر ما يقول هـذا ؟ قال : سمعت رسول الله يقول ذلك يا ابن الخطاب ، فلا تكونَنّ عذابا على أصحاب رسول الله ﷺ .قال الحافظ : وطلحة بن يحيى فيه ضعف ، ورواية الأكثر أولى أن تكون محفوظة .

(٣) « الموطأ » ٩٦٤/٢ ، و « البخاري » ٢٣/١١ ، ٢٤ ، و« مسلم » ١٦٩٤/٣ ، ١٦٩٧ ، وأبو داود ٤٦٨/٤ ، و « الأدب المفرد » ٥٠٣/٢ .

قال الحسن رحمه الله : الأُولى : إذنٌ ، والثانية : مؤامرة ، والثالثة : عَزْمَةٌ ، إنْ شاؤوا أَذِنُوا ، وإنْ شاؤوا ردُّوا .

ولا يستأذنُ وهو مُستَقبِلُ البابَ إنْ كانَ الباب مفتوحاً . وإذا أُذِنَ لِأَوَّلِ القوم فقد أُذِنَ لِآخرِهم . ولا يَقعُدُ على الباب بعدَ الرَّدِ ، فإنَّ للنَّاس حاجات .

ثُمَّ قال تعالى : (وَتُسَلِّمُوا على أهلِها) . والسَّلامُ نَدْبٌ ، والاستئذانُ حَتْمٌ [1] .

وفي السلام قولان : [أحدهما] : أنه مسنونٌ بعد الإذْنِ على ما تَضَمَّنَتْهُ الآيةُ مِنْ تقديم الإذن عليه ، ولأنَّ السلام مِنْ تَحيَّاتِ اللِّقاء ، واللِّقاءُ يكونُ بعدَ الإذن . والثاني : أنَّه مَسنُونٌ قبل الإِذْنِ ، وأَنَّه إن تَأَخَّر في التلاوَةِ ، فهو مُقدَّمٌ في الحُكْم ، وتقدير الكلام : حتى تُسَلِّمُوا وتستأذِنُوا ، لما رَوى ربعي بن حراش [2] رحمه الله أنَّ رَجُلاً استأذَنَ على رسول الله ﷺ أأدْخُلُ ؟ فقال النبي ﷺ لِرَجُلٍ عنده : « قُمْ فعَلِّمْهُ كيف يَستأذِنُ فانَّه لم يُحْسِن »

---

(١) قال السيوطي في « الاكليل » في هـذه الآية وجوب الاستئذان عند دخول بيت الغير ، ووجوب الرجوع إذا لم يؤذن له ، وتحريم الدخول إذا لم يكن فيها أحد .

(٢) في الأصل : محمد بن سيرين ، والتصويب من كتب الحديث .

فسمعها الرَّجُلُ فسلَّم واستأذَنَ [١] . وقـد قيل : إنْ وَقعتْ العينُ على العين قبل الاستئذان ، فالأولى تقديمُ السَّلام على الاستئذان ، وإنْ لم تَقع العَيْنُ على العَيْن قبل الإذْن ، فالأَولى تقديمُ الاستئذان على السلام [٢] .

فأمّا الاستئذانُ على منازِلِ الأهـل ، فإنْ كانوا غيرَ ذوي مَحْرَم ، لَزِمَ الاستئذانُ عليهم كالأَجانِب ، وإنْ كانُوا ذوي مَحـارِم ، وكان المَنْزِل مُشتَرَكاً ، هو فيه وهُم ساكِنون ، لَزِمـه قبل دُخولِهِ إنْذارُهم ، إمّا بوَطْءٍ أو بنَحْنَحةٍ مُفهِمَةٍ ، إلّا الزَّوجة ، فلا يَلْزَمُ ذلك في حقهـا ، لارتفاع العورْة بينهُما . وإنْ لم يَكُن المنزلُ مُشتركاً ، ففي الاستئذان عليهم وجهان . أحدهما : النَّحنحةأوالحركة ، والثاني : بالقَوْلِ كالأَجانب ، وقد روى عطاء بن يسار رحمه الله أنَّ رجلاً قال للنبي ﷺ أَستأذِنُ على أمي؟ قال : « نعم » قال : فإني أَخدمُها ، قال : « استأذِنْ عليها » فعاوَدَه ثلاثاً ، فقال ﷺ : « أَتُحِبُّ أن تَراها عُرْيانةً ؟ » قال : لا . قال : « فاستأذِنْ

---

(١) « المسند » و « أبو داود » ٤/٤٦٨ ، والبخاري في « الأدب المفرد » ٢/٥١٨ ، والبيهقي في « السنن » كلهم من طريق ربعي بن حيراش قال : حدثنا رجل من بني عامر . . . وقـد جود اسناد هذا الحديث الحافظ ابن حجر وابن مفلح المقدسي ، وصححه الامام النووي في « الأذكار » .

(٢) نقل هذه الأقوال الثلاثة النووي رحـه الله في « الأذكار » عن الامام المـاوردي .

عليها »[1] (فإنْ لَم تجدوا فيها أحداً) يعني : يأذَنُ لكم (فلا تَدْخُلوها حتّى يُؤْذَنَ لَكُم) .

ولا يجوزُ أنْ يَتطَلّعَ إلى المنزل ليَرى مَنْ فيه فيستأذِنَه إذا كانَ البابُ مُغْلَقاً ، لقول النبي ﷺ : « إنَّما جُعِلَ الاستئذان لِأَجْل البصر »[2] . إلّا أنْ يكونَ البابُ مفتوحاً ، فيجوز أنْ ينظُرَ إذا كان خارِجاً منه ، لِأَنَّ صاحبه بالفتح قد أباحَ النَّظر .

(فإنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ) وهذا إنْ كانَ بعدَ الدُّخول عن إذْنٍ لَزِمَ الإنصرافُ وَحَرُمَ اللّبثُ . فإنْ كانَ قبل الدُّخول ، فهو رَدٌّ للإذْنِ وَمَنْعٌ من الدُّخول ، وَلا يَلْزَمه إلّا الانصراف عن مَوْقِفِه .

---

(١) « الموطأ » ٢/٩٦٣ قال أبو عمر : مرسل صحيح لا أعلمه يسند من وجه صحيح ولا صالح ، وذكره ابن مفلح في « الآداب الشرعية » ١/٤٤٣ عن سعيد ابن منصور ، وقال : مرسل جيد .

(٢) في الأصل : لأهل البصر . وخرجه «البخاري» : ١١/٢١ ، و « مسلم » : ٣/١٦٩٨ ، و « الترمذي » : ٢/٩٥ عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه بلفظ : « إنما جعل الاستئذان من أجل البصر » .

وقال تبارك وتعالى : (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَدْخُلوا بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ) قيل : الخاناتُ المشتركة ذوات البُيوتِ المسكونة . وقيل : حَوانيتُ التُّجّار ، وقيل : منازِل الأَسفار وَمناخاتُ الرِّحال التي يَرْتفِقُونَ(١) بها مَارَّةُ الطَّريق في أسفارِهم . وقيل : الخَراباتُ المُعطَّلَةُ . وقيل : هي بُيوتُ مَكَّةَ (فيها مَتاعٌ لكُم) فلا يَلْزَمُ الاستئذانُ في هذه المنازِل .

وقال الله تبارك وتعالى : (كَمَا أَخرَجَك رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بالحَقِّ) [الأنفال : ٥] . قِيل : كما أخرجكَ رَبُّكَ مِنْ مَكة إلى المدينة بالحَقّ مع كَراهَةِ فريقٍ مِنَ المؤمنينَ ، كذلك يُنجِزُ وَعْدَكَ بنصرِكَ على أعدائِكَ . وقيل : كما أَخرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بيتك بالمدينة إلى بَدْرٍ بالحَقِّ كذلك جعلَ لك غنيمة بَدْرٍ بالحَقِّ .

وقيل : في قوله تعالى : (بالحق) قولان . أحدُهما : أَنَّكَ خَرَجْتَ وَمعَكَ الحقُّ . والثاني : أَنه أَخْرَجَكَ بالحق الذي وَجبَ عليكَ .

وقال الله تبارك وتعالى حكاية عن المشركينَ : (وَقَالُوا لَنْ نُؤمِنَ لكَ حَتّى تَفْجُرَ لنا مِنَ الأرضِ يَنْبُوعاً ... أَوْ يَكُونَ لكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ) [الاسراء : ٩٠ ، ٩٣] . قيل : الزُّخرُف : المنقوش . وقيل :

---

(١) جرى المؤلف في هذا التعبير على لغة بني الحارث .

الذَّهب . قال مُجاهِد : لَمْ أَكُنْ أدري ما الزُّخْرُف حتى سَمِعنا في قِراءَةِ ابنِ مسعود رضي الله عنه (بيت من ذهب [١]) . وأَصلُه مِنَ الزَّخْرَفَة وهو تَحْسِينُ الصُّورة ، ومنه ، قولُ الله عز وجل : (حَتَّى إذا أَخذَتِ الأَرضُ زُخْرُفَها وازَّيَنَتْ) [يونس : ٢٤] . والذين قالوا لِرَسول الله ﷺ هذا القَولَ نفرٌ مِنْ قُرَيش . قال ابنُ عباس رضي الله عنه : وَهُم عتبة بنُ ربيعة وشَيبَةُ بنُ ربيعة ، وأبو سُفيان ، والأَسْوَد بنُ المطَّلب بنِ أَسد ، وزَمْعَةُ ابنُ الأَسود ، والوليد بنُ المُغيرة ، وأبو جَهْل بن هشام ، وعبد الله ابنُ أبي أُمَيَّة ، والعاصُ بن وائل ، وأُمَيَّة بن خلف ، ونَبِيه ومُنَبِّه ابنا الحجَّاج [٢] .

وقال الله تبارك وتعالى : (قُلْ : لَوْ كُنْتُم في بُيُوتِكُم لَبَرَزَ الذينَ كُتِبَ عليهمُ القَتْلُ إلى مَضاجِعِهم) [آل عمران : ١٥٤] . فيه قولان : لو تَخَلَّفْتم لبَرَزَ الذينَ كُتِبَ عليهم القتل ولم يُنْجِهِم قعودُهم . والثاني : لو تخلفتم لخَرَجَ

---

(١) في الأصل : « من زخرف » وهو خطأ ، والأثر خرجه الطبري في « جامع البيان » ١٥/١٦٣ ، وفي « تفسير ابن كثير » ٣/٦٤ : وقوله تعالى: (أو يكون لك بيت من زخرف) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة : هو الذهب ، وكذلك هو في قراءة ابن مسعود (أو يكون لك بيت من ذهب) .

(٢) « سيرة ابن هشام » ١/٢٩٥ ، و « ابن جرير » : ١٥/١٦٤ .

مِنكم المؤمنون ولم يتخلَّفوا بتخلُّفكم . وَيكون معنى قول الله عز وجل : (الذينَ كُتبَ عليهم القتل) أي : فُرِضَ عليهم القتال ، فعَبّرَ عنه بالقتل ، لأَنَّه يَؤولُ إليه ، إمَّا بالظَّفر أو بالشهادة .

وقال الله تبارك وتعالى : (وَيستأذِنُ فَريقٌ مِنهمُ النَّبيَّ يَقُولون : إنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ) [الأحزاب : ١٢] . قال السُّدِّي : الذي اسْتأذَنَهُ صلى الله عليه وسلم مِنهم رجلانِ مِنَ الأَنصار أبو عَرَابة بنُ أوْس ، وأوْس ابنُ قَيظي ، وَرَجعَ ثمانُونَ رجلاً بغير إذْن (يقولون : بيوتنا عورة) ، أي : قاصِيةٌ مِنَ المدينة نَخافُ على عَوْرَةِ النساء والصِّبيانِ مِنَ السَّبي . وقيل : أي : خالِيةٌ ليسَ فيها إلَّا العَوْرَةُ مِنَ النساء ، وقيلَ : مكشوفَةُ الحيطان ، يُخافُ عليها السَّرَقُ والطَّلَبُ ، والعربُ تقولُ : أعْوَرَ مَنزِلُك : إذا ذهبَ سَترُه أو سَقَطَ جِدارُه ، وكُلُّ ما كُرِهَ انكِشافُه عندَهم ، فهو عورةٌ . (وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقطارِهـا) [الأحزاب : ١٦] أي : لو دُخِلَ على المُنافِقين مِنْ أقطار المدينة ونواحيها (ثُمَّ سُئِلُوا الفِتْنَةَ لآتَوْهَا) قيل : [لو] سُئِلوا القتالَ في العصبية لأَسْرَعوا إليه . وقيل : لو سُئِلوا الشِّرْكَ لأَجابوا إليهِ مُسْرعين (وما تَلَبَّثُوا) عن الإجابة إلى الفتنة (إلَّا يسيراً) وقيل : ما لبِثُوا في المدينة إلَّا قليلا حتَّى يُعذَّبوا .

وقال الله تبارك وتعالى : (يُخرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بأيْدِيهِمْ وَأيدي المُؤمنين)

[الحشر : ٢] قيل : بأيديهم لِنَقْض المُوادَعة وَأَيْدي المؤمنينَ المُقاتلَة . وقيل : بأيديهم في تركِها وبأيدي المؤمنين بإجْلائِهم عنها . وَقيل : بأيديهم في خَراب دواخِلِها وما فيها ، لئلا يأخُذَهُ المسلمون ، وأيدي المؤمنينَ في خَراب ظواهِرها ليصِلُوا بذلك إليهم . وقيل : كانت منازِلُهم مُزَخْرَفَة ، فحسدوا المسْلمين أن يَسكُنُوها فخرَّبُوها مِنْ داخِلٍ ، وَخرَّبها المسلمونَ مِنْ خارِج . وقيل : إنَّهم كانوا كُلَّما هَدَمَ عليهمُ المسلمون مِنْ حُصونِهم شيئاً نَقَضوا مِنْ بُيوتِهم ما يَعْمُرُونَ به ما خَرِبَ مِنْ حُصونِهم . وقيل : تَخْرِيبُهُم لبيوتِهم أنَّهم لمَّا صُولِحوا على حَمْل ما أَقَلَّتهُ إبِلُهُم ، جعلوا يَنقُضونَ ما أعْجبهم مِنْ بيوتِهم حتى الأَوتادَ ، ليحمِلوها على إبلهم .

وقال الله تبارك وتعالى : (وَاللهُ جَعَلَ لَكُم مِنْ بُيُوتِكُم سَكَناً) [النحل : ٨٠] . قال مُجاهد : مَوْضِعاً تسكنونَ فيه (وَمِنْ جُلُودِ الأنعامِ بُيُوتاً) وهيَ : الخِيامُ (تَسْتَخِفُّونَها يَوْمَ ظَعْنِكم وَيَوْمَ إقامَتِكم) فذَكَرَ تعالى لهم النِّعْمَةَ عليهم فيما جَعَله لهم مِنْ بيوتِ الأَوطانِ الثابتة ، وبيوتِ الأَسفارِ المنقَّلة ، لِتَعُمَّهُم النِّعمة في إقامَتِهم وأسفارِهم .

وقال الله تبارك وتعالى حِكايةً عنْ نُوح عليه السلام : (رَبِّ اْغفِرْ لي وَلوالِدَيَّ وَلمنْ دَخلَ بَيْتيَ مُؤمِناً) [نوح : ٢٨] . قيل : أراد

أباه لمكا وأمه منخيل، وكانا مؤمنين . وقيل : أرادَ أباهُ وَحدَهُ .
(وَلِمَنْ دَخَلَ بَيتيَ مُؤمِناً) . قيل : صَديقي الدّاخِلُ إلى منزلي ،
وَقيل : مَنْ دَخَلَ مسجدي [1] . وقيل : مَنْ دخل في ديني .

وقال الله تبارك وتعالى : (ليسَ عَلَيكُم جُناحٌ أَنْ تأكُلوا مِنْ بُيُوتِكم أوْ بُيُوتِ آبائِكُم أَوْ بُيوتِ أُمَّهاتِكُم أوْ بُيوتِ إخوانِكم أوْ بُيوتِ أَخواتِكم أوْ بُيوتِ أعْمامِكُم أوْ بُيُوتِ عَمّاتِكم أوْ بُيُوتِ أَخوالِكُم أو بُيُوتِ خالاتِكم) [النور : ٦١] . أباحَ سُبْحانه الأَكلَ في بيوتِ هؤلاء لمكانِ النَّسَبِ مِنْ غيرِ اسْتِئْذانِهِم في الأَكل إذا كان الطعامُ مَبذولاً ، فإنْ كان مُحرَزاً دُونَهم لم يَكُنْ لهم هَتْكُ حِرْزِهِ . ولا يَجُوزُ أنْ يتجاوزَ الأَكل إلى الادِّخار إلى ما ليس بمأكول ، وإنْ كانَ غيرَ مُحْرَزٍ عنهم إلّا بإذنٍ منهم .

وقال الله تبارَكَ وتعالى : (وَأَوْحَينا إلى مُوسى وَأَخيهِ أَنْ تَبوَّءا لِقَوْمِكُما بِمِصْرَ بُيُوتاً) [يونس : ٨٧] . أي : مساكِنَ يسكنونها . وقيل : قوْلُهُ « مصْر » : إنّها الاسكندريّة ، وقيل : بلْ هيَ مِصْر ، وقيل : اتَّخِذوا قُصوراً ، وَقيلَ : مَساجِدَ (واجعَلُوا بُيُوتَكم قِبْلَةً) .

---

(١) نقل ابن كثير هذا التفسير عن الضحاك ، وقال : ولا مانع من حمل الآية على ظاهرها ، وهو أنه دعا لكل من دخل منزله وهو مؤمن .

قيل : مُقابلَ بعضِها بعضاً ، وقيل : اجعلوا مساجِدَكم قِبَلَ الكعبة .

وقال الله تبارك وتعالى : (وأوْحَى ربُّكَ إلى النَّحْل أنِ اتَّخِذي مِنَ الجبالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَممّا يَعْرِشُونَ) [النحل : ٦٨] . في «أوْحَى» ثلاثة أقوال ، أحدها : ألهمَها . والآخر : سَخَّرها ، والثالث : أنَّه سبحانه جعل ذلك في غرائزها مما يَخْفَى مِثْلُهُ على غيرها . (أنِ اتَّخِذي مِنَ الجبالِ بُيُوتاً) ذكرَ تعالى بُيُوتَها ، لِما ألْهمَها وأوْدَعَهُ غرائِزَها مِنْ صِحَّة القِسْمَة ، وَحُسْنِ الصَّنعة .

وقال الله تبارك تعالى : (مَثَلُ الَّذينَ اتَّخَذوا مِنْ دُونِ اللهِ أوْلِياءَ كَمَثَلِ العَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً ، وإنَّ أوْهَنَ البُيُوتِ لَبَيْتُ العنكبوت لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ) [العنكبوت : ٤١] يعني سبحانه آلهةً مِنْ أصنامٍ وَأوْثانٍ عَبَدُوها (كَمَثَل العَنكبوتِ اتَّخَذَتْ بيتاً) يعني : أنَّهُم عبدوا ما لا يُغْني عنهم شيئاً ، كبيتِ العنكبوتِ لا يَسْتُرُ الأَبصارَ ، ولا يَدْفَعُ الأَيدي .

وَعن عَطاءٍ عن ابن عباس رضي الله عنهما ذكرَ آلهةَ المُشركين ، فقال سبحانه : (وإنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شيئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنهُ) [الحج : ٧٣] . وَذَكرَ كَيْدَ الآلهةِ ، فجعلَهُ كبيتِ العنْكبوتِ ، فقالوا : أرَأيْتَ حيثُ ذكرَ اللهُ الذُّبابَ والعنكبوتَ فيما أُنْزِلَ على محمَّد ﷺ أيُّ شيءٍ يصنعُ

بهذا ؟ فأنْزَلَ اللهُ عزَّ وجل : (إنَّ اللهُ لايستَحيي أنْ يَضْرِبَ مثلاً ما بَعُوضَةً فما فوْقَها ...) الآية [1] [البقرة : ٢٦] .

قال القاضي الماوَرْدي رحمه الله : البَعُوضَة مِنْ صِغار البَقّ ، سُمِّيتْ بذلك ، لأنَّها كبعض البَقَّة في صِغرها . وقيل : نسجت العنكبوت مرَّتين : مَرَّة على داودَ عليه السلام ، ومَرَّةً على النبي ﷺ [2] . وجَمْعُ عنكبوت : عناكِب ، وتصغيرهُ : عُنَيْكِبْ .

وقد ذكر علي رِضوانُ الله عليه العنكَبوتَ في كلام لهُ . رُوي أنَّ رَجُلاً أتى عَلياً رضوان الله عليه فقال : يا أميرَ المؤمنينَ إنَّه قُضِيت عليَّ قضيَّةذهبَ فيها مالي وأهلي ، فخرج إلى الرَّحْبة ، فاجتمعَ عليه النَّاسُ ، فقال رضوانُ الله عليه : ذِمَّتي بما أقول رهينةٌ وأنا به زعيم إنَّ مَنْ

---

(١) « أسباب النزول » للواحدي : ١٣ .

(٢) جاء في « طبقات ابن سعد » ٢٢٩/١ : عن أبي مصعب المكي وقال : أدركت أنس بن مالك وزيد بن أرقم والمغيرة بن شعبه ، فسمعتهم يتحدثون أن النبي ﷺ ليلة الغار أمر الله شجرة فنبتت في وجه النبي ﷺ فسترته ، وأمر الله العنكبوت فنسجت على وجهه فسترته . . . » وفي سنده ضعيف ومجهول ، وفي مسند أحمد ٨٧/٥ من حديث ابن عباس « . . . فمروا بالغار فرأوا على بابه نسج العنكبوت » ، وفي سنده عثمان بن عمرو الجزري ، وثقه ابن حبان ، وضعفه غيره .

صَرَّحَتْ لهُ العِبَرُ عمّـا بينَ يديهِ مِنَ المَثُلاتِ [١] حَجزهُ التَّقوى عنْ تقحُّم الشُّبهـاتِ ، وإِنَّ أشقى النَّاس رجلٌ قَمَّشَ [٢] عِلماً في أوْباش الناس بغير عِلْم وَلا دليل ، فاستكْثر مِمّـا قَلَّ منه خير ، فأكثر حتى إذا ارْتَوَى مِنْ آجِنٍ آسِنٍ [٣] غـير طائل ، جلس للنَّاس مُفتياً ، ليُخَلِّصَ ما ٱلتبسَ على غيره ، فهو في قطَع مِنَ الشُّبُهات في مِثل نسْج العنكبوت ، لايدري أصاب أم أخطأ ، خبَّاطُ عَشَواتٍ ، رَكَّابُ جَهالاتٍ ، لم يَعَضّ على العِلْم بضِرْس قاطِعٍ فيغنَم ، ولم يسكُتْ فيسلَم ، تَصْرَخُ منه الدِّمـاء ، وتبكي منه المواريث ، ويُستَحَلُّ بقضائِهِ الفَرْجُ الحرام ، أولئك الذين حلَّت عليهم النِّياحةُ في أيام حياتهم . أَوجبَ إيراد هـذا الحديث ما فيه من ذكر العنكبوت .

عن أنس بن مالك رحمه الله قال : قال النبي ﷺ : « ما مِنْ بيتٍ إلّا وَمَلَكُ الموت يقفُ على بابه في كل يوم خمس مرَّات ، فإذا وَجدَ إنساناً قـد نَفِدَ أَجَلُه ، وانقطعَ عَمَلُه ، ألقى عليـه غمَّ الموت ، فغَشِيَته كُرُباته ، وغمرَتْهُ غمراته ، وَجهرَتْ الباكِية بشجوِها ، والصَّارخةُ بوَيْلها ،

---

(١) المثلات : واحدها : المَثُلة ، وهي العقوبة .

(٢) القمش : جمع الشيء من هاهنا وهاهنا .

(٣) الآجن : الماء المتغير الطعم واللون ، والآسن : مثل الآجن .

فيقولُ مَلَكُ الموتِ عليه السلام : وَيْلَكم وَفيمَ الفَزَعُ ، وَفيمَ الجَزَعُ ؟ ما أَذْهَبْتُ لواحِدٍ مِنكم رِزْقاً ، ولا قَرَّبْتُ له أجلاً ، ولا أتَيْتُه حتى أُمِرْتُ ، ولا قَبَضْتُ روحَه حتى استأمرت ، وإنَّ لي فيكم عَوْدَةً ، ثُمَّ عَوْدَة ثم عَوْدَةً حتى لا أبقي منكم أحداً . قال النبي ﷺ : « فوالذي نفسي بيده لو يَرَوْنَ مكانه أو يسمَعونَ كلامه لَذَهِلوا عن مَيِّتِهم ، ولبكوا على أنفُسهم » . حتى إذا حُمِلَ الميِّتُ على نعشه رَفرفَتِ الرُّوح فوق النَّعْش ، فهو ينادي : يا أهلي ويا وَلدي ؛ لا تَلْعَبَنَّ بكمُ الدُّنيا كما لَعِبَتْ بي ، جَمَعْتُ المال مِنْ حِلِّه ومن غيرِ حِلِّه ، ثمَّ خَلَّفْته لغيري ، فالهناءةُ له ، والتَّبِعَة عليَّ . فاحذَروا ما حَلَّ بي .

عن أبي موسى الأَشعري رحمه الله قال : قال رسول الله ﷺ : « مثلُ بيتٍ يُذكرُ الله تعالى فيه ، وبيتٍ لا يُذكرُ الله فيه مثلُ الحيِّ والميت » [١] . وقال ﷺ : « نَوِّروا بُيوتَكم بتلاوةِ القُرآن يَفِرّ منها

---

(١) « البخاري » ١٧٧/١١ ، و « مسلم » ٥٣٩/١ ، ولفظ البخاري : حدثنا محمد بن العلاء حدثنا أبو أسامة عن بريد بن عبد الله عن أبي بردة عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت » قال الحافظ ابن حجر : « هكذا وقع في جميع نسخ البخاري ، وقد أخرجه مسلم عن أبي كريب ، وهو محمد بن العلاء شيخ البخاري فيه بسنده المذكور بلفظ : « مثل البيت الذي يذكر الله فيه ، والبيت —

الشيطان » . وقال ﷺ : « نُزُولُ الضَّيفِ في البيتِ بَرَكة » . وقال ﷺ : « لا تَدخُلُ الخِيانَةُ بيتاً إلّا خَرِبَ » . وقال ﷺ : « لا تَدخُلُ السَّرِقةُ بيتاً إلّا أوْرَثَتْهم الذُّل » . وقال ﷺ : « ما مِنْ أَحَد يَخْرُجُ مِنْ بيته يطلُبُ العِلْم إلّا وَضعت لهُ المَلائكةُ أجنِحَتَها رِضىً بما يصنَعُ »[1] . وقال ﷺ : « ما مِنْ أَحَدٍ يَخْرُجُ مِنْ بيته مُجاهِداً في سبيل الله تعالى إلّا لم تزل الملائكة تستغفر له حتى يرجع . وقال الوزير الكاملُ أبو القاسم بنُ المغربي[2] وقد حج :

ـ الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت » وكذا أخرجه الاسماعيلي وابن حبان في صحيحه جميعاً عن أبي يعلى عن أبي كريب ، وكذا أخرجه أبو عوانة عن أحمد بن عبد الحميد ، والاسماعيلي أيضاً عن الحسن بن سفيان عن عبد الله بن براد ، وعن القاسم بن زكريا عن يوسف بن موسى وابراهيم بن سعيد الجوهري وموسى ابن عبد الرحمن المسروقي والقاسم بن دينار ، كلهم عن أبي أسامة . وانفراد البخاري باللفظ المذكور دون بقية أصحاب أبي كريب وأصحاب أبي أسامة يشعر بأنه رواه من حفظه ، أو تجوّز في روايته بالمعنى الذي وقع له . . . »

(١) رواه الترمذي من حديث صفوان بن عسال وصححه . والنسائي ، وابن ماجه ، وابن حبان ، والحاكم وصححه .

(٢) هو أبو القاسم الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن محمد بن يوسف ابن بحر بن بهرام المعروف بالوزير المغربي ، وبابن المغربي : أديب ، ناثر ، شاعر ، من أدهى البشر وأذكاهم ، ولي الوزارة ، وتوفي بميافارقين سنة ٤١٨ . ترجمته في «وفيات الأعيان» ١/٤٢٨ ، و«إرشاد الأريب» ١٠/٧٩، و«شذرات الذهب»٣/٢١٠ .

أستارُ بيتِكَ أَمْنُ الخوفِ منكَ وقدْ ... عَلِقْتُهـا مُستجيراً منكَ يا باري

وَمـا أَظُنُّكَ لمَّا أنْ عَلِقتُ بها ... خَوْفاً من النَّارِ تُدْنيني من النَّارِ

وَها أنا جارُ بيتٍ أنتَ قُلتَ لنا ... حُجُّوا إليهِ وقد أَوْصَيتَ بالجارِ

قُرِئَ على حائطِ قصرٍ بأعلى الحِجاز قد خَرِبَ وبادَ أهلُه :

باللهِ رَبِّك كمْ بيتٍ مَرَرْتَ بهِ ... قد كانَ يُعْمَرُ باللَّذاتِ والطَّرَبِ [(١)]

طارَتْ عُقابُ المنايا في سقائِفِهِ ... فصارَ مِنْ بعدِهم للوَيْلِ والحَرَبِ

هذانِ البيتانِ لإبراهيم بن المَهدي .

وقال أبو العلاء بن سليمان المعرّي :

كلُّ بيتٍ لِلْهَدْمِ ما تَبْتَني الوَرْ ... قاءُ والسَّيِّدُ الرَّفيعُ العِمـادِ [(٢)]

واللَّبيبُ اللَّبيبُ مَنْ ليسَ يَغْتَرْ ... رُ بِـكَوْنٍ مَصيرُهُ لِفَسادِ

---

(١) البيتان في « عيون الأخبار » ٢/٣٠٤ ، ونسبها لابراهيم بن المهدي .

(٢) « شروح سقط الزند » ٣/١٠٠٢ من مرثيته الرائعة التي رثى بها الفقيه أبا حمزة الحنفي ، ومطلعها :

غير مجد في ملّتي واعتقادي ... نوحُ باكٍ ولا ترنّمُ شـادي

قال البطليوسي : الورقاء : الحمامـة ، يقول : بيت السيد الرفيع العماد على حصانته ، وتأنقه في بنيانه ، كبيت الحمامـة في ضعفه ووهي أركانه . وخص الحمامة ، لأن العرب تضرب بها المثل في قلة الحذق بالعمل ، فيقولون للرجل الذي لا يحسن أن يعمل : « هو أخرق من حمامة » .

وقال أبو العتاهية :

عِشْ ما بَدا لكَ قَصْرُكَ المَوْتُ لا مَعقِلٌ منهُ ولا فَوْتُ [١]

بَيْنَا غِنى بَيْتٍ وساكنُه زالَ الغِنى وَتَقَوَّضَ البيتُ [٢]

وقال آخر - أظنه أبا العتاهية :

قد آنَ أَنْ يُسْمِعَكَ الصَّوْتُ أَنائِمٌ قَلْبُكَ أمْ مَيْتُ ؟ [٣]

يا بانِيَ البيتِ على غِرَّةٍ أَمامَكَ المنْزِلُ والبَيْتُ

وإنَّما الدُّنيا على طُولِها ثَنِيَّةٌ مَطْلَعُها المَوْتُ

وقال أبو العلاء بن سليمان مِنْ قَصيدة يَرْثي بها والِده :

---

(١) لم يردا في الديوان ، ولا في تكملته ، وهما في « عيون الأخبار » ٢/٣٠٤ منسوبين للخليل بن أحمد العروضي ، وفي « البيان والتبيين » ٣/١٨٣ ، و « اللسان » : « قصر » بدون نسبة . ورواية البيت الأول في « عيون الأخبار » :

كن كيف شئت فقصرُكَ الموت لا مرْحَلٌ عنه ولا فوتُ

وقصرك : قصاراك وغايتك .

(٢) في « عيون الأخبار » : ... بيت وبهجته .

(٣) لم ترد في الديوان ، وورد فيه : ص ٧٩ بيتان هما :

اسمع فقد آذنك الصوتُ إن لم تبادِرْ فهو الفوتُ

نَلْ كلَّ ما شئت وعش آمناً آخِرُ هذا كلِّه الموتُ

هَنيئاً لكَ البيتُ الجديدُ مُوَسَّداً ... يَمينَكَ فيـهِ بالسَّعادَةِ واليُمْنِ [١]

مُجاوِرَ سَكْنٍ في دِيارٍ بَعيدَةٍ ... مِنَ الحَيِّ سَقْياً للدِّيارِ وللسَّكْنِ [٢]

أُمِرُّ بِرَبْعٍ كُنتَ فيهِ كأنَّمـا ... أُمَرُّ مِنَ الإجلالِ بالحِجْرِ والرُّكنِ [٣]

وإجلالُ مَغْناكَ اجْتِهـادُ مُقَصِّرٍ ... إذا النَّصْلُ أَوْدى فالعَفاءُ على الجَفْنِ [٤]

وقال آخر [٥] :

---

(١) « شروح سقط الزند » ٢/٩٢٤ ومطلع القصيدة :

نَقِمتُ الرضى حتى على ضاحكِ المزن ... فلا جادني إلا عبوسٌ من الدَّجن

(٢) السكن : أهل الدار ، واحدهم ساكن . وبعد البيت :

طلبتُ يقيناً من جُهَينة عنهم ... ولن تخبرني يا جُهين سوى ظنّ

فان تعهدني لا أزالُ مُسائلاً ... فاني لم أُعطَ الصحيحَ فأستغني

وإن لم تكن للفضل ثَمَّ مزيّةٌ ... على النّقص فالويلُ الطويل من الغَبْن

(٣) في «السقط»: أمرّ من الاكرام ، والحجر : ما حواه الحطيم ، وكل ما حجرته من حائط فهو حجر ، وهو فعل بمعنى مفعول ، من الحجر وهو المنع .

(٤) في « السقط » : إذا السيف . المغنى : المـنزل ، والعفاء : دروس الشيء وبلاه ، وأودى : هلك ، والجفن : غمـد السيف . قال التبريزي : أنا أجل منزلك الذي كنت تحلّه ، وذلك اجتهـاد من مقصّر ، لأن السيف إذا فقد ، فلا فائدة في إجلال غمده .

(٥) هو كثير بن كثير بن المطلب بن أبي وداعة السهمي المكي ، روى الحديث عن أبيه ، وسعيد بن جبير وعلي بن عبد الله البارقي وغيرهم ، قال ابن -

أَسْعِدَاني بِعَبْرَةٍ أَسْرابِ مِنْ دُمُوعٍ كثيرةِ التَّسْكابِ (١)
إنَّ أهْلَ الحِصابِ قد تَرَكوني مُوْزَعاً مُولَعاً بأهْلِ الحِصابِ (٢)
أهْلِ بيتٍ تتايَعُوا لِلمنايا ماعلى الدَّهر بَعْدَهُمْ مِنْ عِتابِ (٣)
فارَقُوني وقد عَلِمْتُ يقيناً ما لِمَنْ ذاقَ مِيْتَةً مِنْ إيابِ
كَمْ بذاكَ الحَجُونِ مِنْ حَيِّ صِدْقٍ وَكُهُولٍ أَعِفَّةٍ وَشَبابِ (٤)
فلِيَ الوَيْلُ بعدَهُمْ وعليهِم صِرْتُ فَرْداً وَمَلَّني أصحابي

عن حَمّاد الرَّاوية قال: حَدَّثَنا ابنُ أختٍ لنا مِنْ مُرادٍ قال: وَلِيتُ صَدَقاتِ قومٍ مِنَ العرَب، فبيْنا أنا أَقْسِمُها في أهلِها، إذْ قال لي رجلٌ

= سعد: كان شاعراً قليل الحديث، وقال أحمد وابن معين: ثقة. مترجم في «التهذيب» ٨/٤٣٦، و«نسب قريش» ٤٠٧، و«معجم الشعراء» ٢٣٩.

(١) الأبيات في «الأغاني» ١/٣٢١، ٢/٣٤٣، والثالث والرابع في «معجم الشعراء» ٢٤٠ للمرزباني، والخامس والسادس في «معجم البلدان» ٥/٣٧١. أسراب: جمع سرب، والسرب: الماء السائل.

(٢) في «الأغاني»: مُوْلَهاً مولعاً. والحصاب، بكسر الحاء: موضع رمي الجمار بمنى، وأوزع بالشيء وزوعاً كأولع، وفي الحديث: أنه كان موزعاً بالسواك، أي: مولعاً به.

(٣) التتايع: الوقوع في الشر من غير فكرة ولا روية والمتابعة عليه، ولا يكون في الخير، وقيل: التتايع في الشر كالتتابع في الخير.

(٤) الحجون: جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها.

منهم : أَلا أُريكَ عجباً ؟ قلتُ : بلى . فأَدخَلَني في شِعْبٍ مِنْ جَبل . فإذا أنا بسَهْمٍ مِنْ سِهام عاد بن قنا قد نَشِبَ في ذروةٍ مِنَ الجبل مكتوبٍ عليـه :

أَلا هَلْ إِلى أَبْياتِ شمخٍ إِلى اللِّوى ... لِوَى الرَّمْل يَوْمـاً للنُّفُوس مَعادُ
بلادٌ بها كُنَّا وكُنَّا مِنَ أَهْلِهـا ... إِذِ النَّاسُ ناسٌ والبـلادُ بلادُ

ثمَّ أخرَجني إلى ساحل البحر ، فإذا أنا بحَجَر يعلوه المـاءُ طَوْراً ، وَيظهَرُ طوراً [وإذ] عليه مكتوبٌ : يا ابنَ آدَم ، يا عَبْدَ رَبِّهِ : اتَّقِ اللهَ ولا تعجَـلْ في أَمْرِكَ ، فإنَّكَ لنْ تسبِقَ رزقَكَ ، ولا تُرْزَقُ ما ليس لك . ومِنَ البصرةِ إلى دُبيل [١] ستمائةِ فَرْسَخٍ ، فمن لم يُصدِّقْ ، فليمْش على الطَّريق على السَّاحل حتى يتحقَّقَه ، فمَنْ لم يقْدِرْ على ذلك فلينْطَحْ برأْسه هذا الحَجَر [٢] . وقال أبو بكْر محمدُ بنُ عيسى الدَّاني مِنْ شُعراء الأَندلس يَندُبُ المُعتَمِد على الله أبا القاسم محمد بن المُعتضد بالله أبي عَمْرو عبَّاد ابن محمد بن عبَّـاد حينَ تَغلَّبَ على بلادِهِ يُوسف بن تاشـفين المُلثَّم ،

---

(١) « دبيل » في الأصل بضم الدال ، وضبطها ياقوت بفتح أوله وكسر ثانيه بوزن : زبيل ، وهو موضع يتاخم أعراض اليمامـــة ، وقيل : رمل بين اليمامة واليمن ، ودبيل أيضاً : مدينة أرمينية تتاخم أرَّاك ، ودبيل : من قرى الرملة.

(٢) الخبر مع الشعر في « الأغاني » ١٠٦/٢١ .

وانتزعه من ملكه ، وكان أديباً ، جواداً ، محسناً إلى أهل الأدب :

يَاضَيْفُ أَقْفَرَ بيتُ المَكْرُماتِ فَخُذْ ... في ضَمِّ رَحْلِكَ وأَجْمَعْ فَضْلَةَ الزَّادِ (١)

وَيا مُؤَمِّلَ واديهم لِيَسْكُنَهُ ... خَفَّ القَطِينُ وَجَفَّ الزَّرْعُ بالوادي

ضَلَلْتَ سُبْلَ النَّدى يابْنَ السَّبيلِ فسِرْ ... بغيرِ قَصْدٍ فما يَهْديكَ مِنْ هادِ (٢)

إنْ يُخْلَعُوا فبَنُو العبَّاسِ قد خُلِعُوا ... وَقدخَلَتْ قبلَ حِمْصٍ أرضُ بغدادِ (٣)

سارَتْ سَفائِنُهم والنَّوحُ يَتْبَعُها ... كأنَّها إبلٌ يَحْدُو بها حادِ (٤)

وأوَّلُ هذا الشعر :

تبكي السَّماءُ بدَمْعٍ رائحٍ غادي ... على البهاليل من أبناء عَبَّادِ

---

(١) الأبيات في « قلائد العقيان » ٢٣ ، و « المعجب في تلخيص أخبار المغرب » ١٤٨ ، و « نفح الطيب »

(٢) رواية البيت في « المعجب » :

خلّت سبيلُ النّدى بابنِ السبيل فسِرْ ... لغير قصدٍ فما يهديك من هادي

(٣) في الأصل تحت كلمة « حمص » ما نصه : حمص : بلد بالمغرب . قلت : وفي « معجم ياقوت » : وحمص أيضاً بالأندلس ، وهم يسمون مدينة اشبيلية حمص، وذلك أن بني أمية لما حصلوا بالأندلس وملكوها سمّوا عدة مدن بها بأسماء مدن الشام . وقال ابن بسام : دخل جند من جنود حمص ـ وهي التي بين دمشق وحلب ـ فسكنوا اشبيلية فسميت بهم .

(٤) في « القلائد » : ... والنوح يصحبها .

عِرِّيسَةٌ دَخَلَتْهـا الحادِثاتُ على أساوِدٍ منهُمُ فيهـا وَآسادِ [١]

وكَعْبَةٌ كانتِ الآمالُ تَعْمُرُها فاليومَ لا عاكِفٌ فيها ولا بادِ

كَمْ مِنْ دراري سُعودٍ قد هَوَتْ وَوَهَتْ منهم وَمِنْ دُرَرٍ لِلْمَجْدِ أَفْرادِ [٢]

وبعدَهُ الشِّعرُ المقدَّم .

وقال الشَّمَرْدَل بنُ شَريك المَنْقري [٣] يرثي أخاهُ وائلاً :

لعَمْرُكَ إنَّ الموتَ مِنَّا لَمُولَعٌ بِمَنْ كانَ يُرْجى نَفْعُهُ وفواضِلُهْ [٤]

وَما البُعْدُ إلّا أَنَّنا بعدَ صُحْبَةٍ كأنْ لم نُبايِتْ وائِلاً وَنُقايِلُهْ [٥]

فأَصْبَحَ بيتُ الهَجْرِ قد حالَ دُونَهُ وَغالَ امْرَءاً ما كانَ تُخْشَى غوائِلُهْ

سقى الضَّفِراتِ الغَيْثُ ما دامَ ثاوِياً بِهِنَّ وَجادَتْ أهلَ شَوْلٍ مَخايِلُهْ [٦]

---

(١) في «القلائد» و «المعجب» : ... النائبات ... أساوِدٍ لهم ، والعِرِّيسة : مأوى الأسد .

(٢) في «المعجب» : كم من دراريِّ سعدٍ ...

(٣) هو الشمردل بن شريك بن عبد الملك من بني ثعلبة بن يربوع التميمي ، شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية ، عاصر جريراً والفرزدق .

(٤) الأبيات في « الأغاني»: ١٣/٣٥٥ ، و « أمالي اليزيدي » : ٣٤، وذكر أنها مختارة من « الأصمعيات » ولم ترد فيها . وقال أبو عبيدة : وهي من مختار المراثي ، وجيد شعره .

(٥) بايته : بات معه ، وكذا قايله : نام وقت القائلة وهي الظهيرة .

(٦) الضفرات في الأصل بالصاد المهملة ، وفسر اليزيدي الضَّفرات –

وما بي حُبُّ الأَرض إلَّا جِوارُها   صَداهُ وقولٌ ظَنَّ أَنِّيَ قائِلُه

عن عُمَيْر الرَّمَّاح قال : رأَيْتُ مَهْناةَ بنت الذَّيَّال اليَشْكُرِيَّة وقدأَفسدت الدُّموعُ خدَّيْها لِكَثْرَةِ بُكائِها ، فقلتُ لها : إلى كمْ هذه العَبْرَة وشَرَق الحَسْرَة ؟ قالت : إلى أَنْ يَضُمَّني ماضَمَّ مَسْعوداً ، تعني : القبر . ومَسعود ابنُ عبد الله بن عَوْفٍ زوجُها قتله بنو جعفر بن كلابٍ يَوْمَ الخاصَّة ، فقالت لناعيهِ : هلْ قالَ شيئاً وهو يَجُودُ بنفسِهِ ؟ قال : نعم ، قال :

أَتُرى التي خَلَّفْتُها في بيْتِها   وضَمَمْتُ ساعِدَها إلى نَحْري

ثَبَتَتْ على العهدِ الذي عاهَدْتُها   أَمْ أَخْلَفَتْه وأَغْفلتْ أَمْري ؟

فصاحتْ وقالتْ : يامسعود إنْ أَغْفَلْتُه فأغفلني الله مِنْ رحمته .

وقال آخر :

لِلّهِ أَبيـاتٌ إذا أَوطنتهـا   غَنِيَ الفقيرُ بهـا وَعَزَّ الجاني

قَوْمٌ إذا نَزَلَ الغريبُ بدارِهِمْ   مَنَحوهُ سَلْوَتَهُ عن الأَوْطانِ

- بقوله : الضَّفِر والعَقِد من الرمـــل : ما تراكم وتلبَّد ، وفي « اللسان » : الضَّفِرة : أرض سهلة مستطيلة منبتة تقود يوماً أو يومين . وقوله : « أهل شول» كذا في الأصل و« أمالي اليزيدي » ، وفي « الأغاني » : أهل شَوْك . قال ياقوت: وشوك ، بالضم : ناحية نجدية قريبة من الحجاز .

عن ابنِ جُرَيج قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الله تعالى لَيُحِبُّ البيتَ الخَصِبَ » ، يعني الكثيرَ الخَيْر .

حضَرَتْ جَليلةُ بنتُ مُرَّة بن ذُهْل بن شَيبان أُختُ جَسّاس بن مُرّة قاتِل كُلَيْب - وهيَ امرأةُ كُلَيب بن ربيعة - مأتَمَ زَوْجِها كليب ، فأخْرَجَتْها أُخته ، وقالت لها : اخرُجي يا هَذه عنْ مأتَمِنا ، فأنتِ أختُ واتِرِنا ، وشقيقتُه . فلما خَرَجتْ لَقِيَها أبوها مُرّة ، فقال : ما وراءَكِ ياجليلة ؟ قالتْ : ثُكْلُ الأبد ، وقِلّةُ العَدَدْ ، وَفقْدُ حَليل ، وقَتْلُ أخٍ عنْ قليل ، وبينَ ذَيْنِ غرْسُ الأحقادِ ، وتَفَتُّتُ الأكباد . فقال لها : أوَ يَكُفُّ ذلك كَرَمُ الصَّفْح ، وإغْلاءُ الدِّيات ؟ فقالت : أُمنِيَّةُ مَخْدوعٍ وربِّ الكعبة ! أبالبُدْنِ تَدَعُ لكَ تَغْلِبُ دَمَ رَبِّها ! [1] ثم قالت جليلة في ذلك :

---

(١) في « الأغاني » بعد هذا الكلام زيادة وهي : « ولما رحلت جليلة ، قالت أخت كليب : رِحْلَة المعتدي ، وفراق الشامت ، ويلٌ غداً لآل مرة من الكرّة بعد الكرّة ، فبلغ قولها جليلة ، فقالت : وكيف تشمت الحرة بهتك سِترِها وترقّب وترها ! أسعد الله جد أختي ، أفلا قالت : نفرة الحياء ، وخوف الاعتداء ، ثم أنشأت تقول ...

يابْنَةَ الأَقْوامِ إنْ شِئْتِ فلا تَعْجَلي باللَّوْم حتى تَسْأَلي[1]
فإذا أنتِ تبيَّنْتِ الذي يُوجِبُ اللَّومَ فلُومي واُعْذُلي
إنْ تَكُنْ أُختُ امْرِئٍ لِيمَتْ على شَفَقٍ منها عليه فافْعلي
جَلَّ عِندي فِعْلُ جَسَّاسٍ فيا حَسْرَتا عَمَّا انْجَلَتْ أوْ تَنْجَلي[2]
يا قتيلاً قَوَّضَ الدَّهرُ بهِ سَقْفَ بيتيَّ جميعاً مِنْ عَلِ[3]
هَدَمَ البيتَ الذي اسْتَحْدَثْتُه وانْثَنى في هدْمِ بيتي الأوَّلِ
خَصَّني يَوْمُ كُلَيْبٍ بلَظًى مِنْ ورائي ولظًى مُستقْبِلي[4]
ليسَ مَنْ يبكي ليَوْمَيْهِ كَمَنْ إنَّما يبكي ليومٍ قد خَلي[5]
يَشْتَفي المُدْرِكُ بالثَّأْرِ وفي دَرَكي ثأريَ ثُكْلٌ مُثْكِلي[6]

---

(١) الأبيات في « الأغاني »: ٦٢/٦ ، ٦٣ ، و «الوحشيات » : ١٢٨ ، ١٢٩ لأبي تمام و « نهاية الأرب » : ٢١٧/٥ ، وغيرها .

(٢) في « الوحشيات » بعد هذا البيت :

فعل جساس على وجدي به قاطع ظهري ومُدْنٍ أجلي
لو بعين فقئت عيني سوى أختها فانفقأت لم أحفل
تحمل العين قذى العين كما تحمل الأم أذى ما تفتلي

(٣) في « الوحشيات » : قوضت صرعته .

(٤) في « الاغاني » : خصني قتل .

(٥) في « الاغاني » و « نهاية الأرب » : ينجلي ، وفي « الوحشيات » : بجل .

(٦) في « الوحشيات » : درك الثائر يشفيه وفي .

إنَّـني قاتِلَةٌ مَقْتولَةٌ فلَعَلَّ اللهَ أنْ يرْتاحَ لي

عن إسماعيل بن محمد قال : قلتُ لِأَبي العتاهِية : يا أبا إسحاق كلُّ شِعْرِكَ حَسَنٌ عجيبٌ ، وقد مرَّتْ بي منذُ أيام لك أبياتٌ استحسَنْتُها جداً ، وذاكَ أنَّها مُعادَةٌ مِنْ أنصافِ أوائِلِها على أواخِرِها كأنَّها رِسالَةٌ لو كتبها إنسانٌ إلى صديق لهُ كانَ حَسَناً ، فدَعْ ما يكونُ مِنْ شِعر ، فقال : وما هي ؟ فأنشدتُه :

المرءُ في تأخيرِ مُدَّته كالثَّوْبِ يَخْلَقُ بعدَ جِدَّتهِ (١)

وحياتُه نَفَسٌ يُعَدُّ لهُ ووَفاتُه اسْتكمالُ عِدَّتهِ

ومصيرُهُ مِنْ بَعْدِ أُنسَتِه بالنَّاس ظُلْمَةُ بيتِ وَحْدَته (٢)

مَنْ ماتَ مالَ ذوُو مَوَدَّته عَنْه وَحالوا عنْ مَوَدَّتهِ (٣)

عَجَباً لِمُحْتَجِبٍ يُضَيِّعُ ما يَحْتاجُ فيه ليوم رَقْدَتهِ (٤)

أَزِفَ الرَّحيلُ ونحنُ في لَعِبٍ لا نستعِدُّ لـهُ بعُـدَّتهِ

ولَقَلَّما تُبقي الخُطوبُ على أَشَرِ الشَّبابِ وَحَرِّ وَقْدَتهِ

---

(١) ديوانه : ٨٤ ، والأبيات وقصتها في « الأغاني » : ٨٢/٤ .

(٢) في الديوان : مرته ، وفي « الأغاني » : مدته ، وماهنا أجود .

(٣) في الديوان : « حال ذوو ... »

(٤) في الديوان و « الاغاني » : عجباً لمنتبه .

عن هِشام بن عُرْوَةَ قال : قال ابن عمر بن الخطاب لِعُمَر رضيَ اللهُ عنهما : اخطبْ عليَّ ابنةَ نعيم النَّحام رحمه الله تعالى ، فقال : ليسَ بفاعِل ، إنَّ لهُ ابنَ أخٍ يتيم في حجره ، وإنَّه لنْ يعْدُوَه بها . فقال ابنُ عمر لِأَبيهِ : اِئذَن لي في ذلك ، فأنا أُكلِّمُه . قال : أنتَ وذاكَ . قال : فخرج حتى كلَّمَه ، فقال : يابنَ أخي والله لَأَبوكَ خيرٌ مِنْ أبيها ، وأنتَ خيرٌ منها ، ولكن لي ابنُ أخٍ يتيمٌ في حجري قد زوَّجْتُه إيَّاها وأصْدَقْتُها عنه مِنْ مالي عشرةَ آلاف دِرْهم ، ولستُ بالذي أنْقُضُ لُحومَ النَّاس وأَتْرُكُ لحمي ترباً ، ثم تمثَّل بشعر قاله خالدُ بنُ واثِلَة اللَّيثي :

ولستُ ببانٍ لِامرىء سَمْكَ بيتِهِ وأَتْرُكُ بيتي خالياً بجمالي

جعلت بناتي في مواليَّ قصرة وما راعني ذو سَوْرَةٍ وَجمالِ

رأَيْتُ الأُلى يأتونَ لِلنَّصْر دَعْوتي مَواليَّ والأَقْصَيْنَ غيرَ مَوالِ

* * *

فصل آخر
في ذكر البيت

مِمّا يُنْسَبُ إلى المجنون قيس بن المُلَوّح :

ألا أيُّها البيتُ الذي لا أزُورُه	وَهِجْرانُه مِنّي إليه ذُنوبُ [1]
هَجَرْتكَ إشْفاقاً وزُرْتُكَ خائِفاً	وفيكَ عليَّ الدهرَ منك رَقيبُ
أرى أهلَكَ الأدْنَيْن صاروا لنا عِدىً	وأنتَ لنا سِلْمٌ وفيكَ حبيبُ
سأسْتعتِبُ الأيامَ فيكَ لعَلَّها	بيومِ سُرُورٍ في الزَّمانِ تؤوبُ [2]
فكمْ مِنْ بَعيدِ الدَّارِ ساعَفَهُ الهوى	ومُنقَطعِ الأسبابِ وهو قريبُ

ومِمّا يُنسَبُ إليهِ أيضاً :

لَعَمْرُكَ إنَّ البيتَ بالظَّاهِر الذي	مَرَرْتُ فلمْ أُلْمِمْ بهِ ليَ شائِقُ [3]
وإنَّ مُرُوري لا أُكلِّمُ أهلَهُ	أشَدُّ مِنَ الموْتِ الذي أنا ذائِقُ

---

(١) الاول والثاني والرابع في الديوان : ٥٢ ، و « الاغاني » : ٢/٤٨ ، ٦٣ .

(٢) في الديوان : « سأستعطف . . . في هواك تثيب » .

(٣) ديوانه : ٢٠٢ عدا البيت الثاني ، وانظر تخريجها فيه . وفيه : ...بالقبل ولم ألمم عليه لشائق . والقبل : الناحية .

وبالجَزْعِ مِنْ أَعلى الُجنَيْنَة منزِلٌ ... فسيحٌ شَجا صدري به مُتضايِقُ [1]

وماذا عسى الواشُونَ أَنْ يتحدَّثُوا ... سِوى أنْ يقولوا إنَّني لكِ عاشِقُ

أَجلْ صَدَقَ الواشُونَ أنتِ حَبيبَةٌ ... إليَّ وإنْ لمْ تَصْفُ منكِ الخلائِقُ

كأَنَّ على أنيابها الخَمْرَ شابَها ... بماءِ النَّدى مِنْ آخرِ اللَّيلِ غابِقُ [2]

وَما ذُقْتُه إلَّا بعيْني تفرُّساً ... كما شِيمَ مِنْ أَعْلى السَّحابَةِ بارِقُ

وقال آخر :

أَلا أيُّها البيتانِ بالأَجرَعِ الذي ... بأسفلِ مَنْضاهُ غضاً وكثيبُ

هَجرتُكما هَجْرَ البغيضِ وفيكُما ... مِنَ النَّاسِ إنسانٌ إليَّ حبيبُ

وقال آخر :

وإنِّي على هِجرانِ بيتِكِ كالذي ... رأى نَهلاً ريّاً وليسَ بناهِلِ

رأى بَرْدَ ماءٍ ذِيدَ عنهُ ورَوْضَةً ... بَرودَ الضُّحى فينانَةً بالأَصائِلِ

وقال قيسُ بنُ ذريح :

---

(١) في الديوان : « شجا حزن » والجنينة : روضة نجدية ، وفي « الحماسة البصرية » : من أعلى الثنية .

(٢) في الديوان : « شجها بماءسحاب آخر» وشجالخمر : فرجها بالماء ، والغابق: الذي يسقي الشراب بالعشي .

أرى بيتَ لُبنى أصبحَ اليومَ يُهجَرُ ... وهِجْرانُ لبنى - يالكَ الخيرِ - مُنْكَرُ [١]

فإنْ تكنِ الدُّنيا بلُبْنى تقلَّبتْ ... فللدَّهرِ والدُّنيـا بُطونٌ وأظْهُرُ [٢]

أَتبكي على لبنى وأنتَ تركْتَها ... وأنتَ عليها بالمَلا كنتَ تقدِرُ [٣]

وقال كُثيِّر :

ما بالُ ذا البيتِ الذي كنتَ آلِفاً ... أنارَكَ فيه بعـد إلفِكَ نائرُ

تزورُ بيوتاً حولَهُ ما تُحِبُّهـا ... وتهجرُهُ سَقْياً لِمَنْ أنتَ هاجرُ

قال بعضُهم : خَرَجْتُ والأَحوص بن محمد الأنصـاري مع عبد الله ابن الحسن إلى الحج ، فقلنا لعبدالله : لو أَرْسَلْتَ إلى سُليمان بن أبي دَباكل فأنشدَنا مِنْ شِعرِهِ ، فأرسـل إليه فأتانا ، فاستنشدْناه ، فأنشدَنا قصيدته التي أوَّلُها :

يا بيتَ خَنْساءَ الذي أتجنَّبُ ... ذهبَ الشبابُ وحُبُّها لا يَذْهبُ [٤]

---

(١) ديوانه : ٨٦ ، و « الاغاني » : ٢٨/٧ .

(٢) في الديوان : عليَّ فللدنيا بطونٌ وأظهر .

(٣) في الديوان : « بالملا أنت أقدر » وفي « الاغاني » : وأنت عليها بالحرا كنت أقدر . والحرا : جناب الرجل وما حوله ، يقال : نزل بحراه وعراه : إذا نزل بساحته .

(٤) الخبر مع الأبيات في « الأغاني » ١٠٨/٢١ ، ١١٣ ، و «جمع الجواهر» ٧١ ، ٧٣ ، و « خزانة الأدب » ٢٤٨/١ ، ٢٥٠ .

أصبحتُ أمنحُكِ الصُّدودَ وإنَّني قَسَماً إليكِ مع الصُّدودِ لأَجْنَبُ
مالي أَحِنُّ إذا جِمالُكِ قُرِّبتْ وأَصُدُّ عنكِ وأنتِ مِنّي أقْرَبُ
وأرى البعيدَ يُحِبُّكُم فأُحِبُّهُ إنْ كانَ يُنسَبُ منكِ أو يَتَنسَّبُ (١)
للهِ دَرُّكِ هلْ لديكِ مُعَوَّلٌ لِمتيَّمٍ أمْ هلْ لوِدِّكِ مَطلَبُ؟ (٢)
تبكي الحمامَةُ شَجْوها فتهيجُني ويَرُوحُ عازِبُ هَمِّيَ المتأوِّبُ
وتَهُبُّ جارِيَةُ الرِّياحِ مِنْ أرضِكُم فأرى البلادَ لها تُطَلُّ وتُخصِبُ (٣)
وأرى السَّمِيَّةَ باسْمِكُمْ فيزيدُني شَوْقاً إليكِ سَمِيُّكِ المُتَنَسِّبُ (٤)
وأُخالِقُ الواشِينَ فيك تَجَمُّلاً وَهُمُ عليَّ ذَوُو ضَغائِنَ دُرَّبُ (٥)
ثُمَّ اتخذتُهُمُ عليَّ وليجَةً حتى غَضِبْتُ ومثلُ ذلكَ يُغْضِبُ

---

(١) رواية البيت في « الأغاني » :

وأرى العدو يودُّكم فأودُّه إن كان ينسب منك أو لا ينسب

وفي « جمع الجواهر » : إن كان ينبىء عنك أو يتنسب ، وفي « الخزانة » : وأرى الصديق . وقوله : تنسب ، أي : أدعى أنه نسيبك .

(٢) في « جمع الجواهر » : وهل إليك . . .

(٣) في « جمع الجواهر » ، و « الخزانة » : وتهب سارية الرياح .

(٤) في « جمع الجواهر » : سميُّك المتقرِّب .

(٥) في « الأغاني » و « جمع الجواهر » : وأحالف الواشين ... دُؤَّب .

قال : فلما كانَ مِنْ قابلٍ حَجَّ أبو بكر بنُ عبد العزيز بن مروان ، فقَدِمَ المدينة ، فدخل عليه الأحوص فاستصحَبَهُ - أي طلبَ منهُ أنْ يصْحَبَهُ إلى دمشق - فوَعدَهُ أبو بكر بذلك ، فلَّما خَرجَ الأحوصُ ، قال لهُ بعضُ جُلَسائِهِ : تقدمُ بالأحوص الشَّام وفيه مَنْ يُناسِبُكَ مِنْ بني أبيكَ [1] ، وهو مِنَ السَّفَهِ على ما قد عَلِمْتَ !

فلَّما أرادَ أبو بكر الرُّجوعَ مِنَ الحجّ ، دخلَ عليه الأحوَصُ مُسْتَنْجِزاً لما وَعدَهُ مِنَ الصَّحابة . فدَعا له بمائة دينار وأثوابٍ ، وقال : ياخالُ إنّي نَظَرْتُ فيما سَألْتَني ، فكَرِهتُ أنْ أَهْجُمَ بكَ على أميرِ المؤمنين مِنْ غير إذنٍ فيَحْجُبَك ، فيشْمَتَ بي عَدُوّي مِنْ أهل بيتي ، ولكن خُذْ هذه الدّنانير والثّياب ، وأنا أستأذنُ لكَ أميرَ المؤمنين ، فإنْ أذنَ لكَ ، كَتبتُ إليكَ فقَدِمْتَ . قال : لا ، ولكنّي قدْ سُبِعْتُ [2] عندكَ ، ولاحاجةَ لي بعَطِيَّتكَ . ثمَّ خرجَ مِنْ عندِه وبلغَ ذلكَ أخاه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنـه وهو يوْمئذٍ أمـيرُ المدينة ، فأرسـلَ إلى الأحوص ، فأتاه ، فلَمَّا دَخل عليه ،

---

(١) في « الأغاني » : وبها من ينافسك من بني أبيك . وفي «جمع الجواهر» : وفيهـــا من تبعك من بني أبيـك . وفي « الخزانة » : وفيها من ينفسك من بني أبيك .

(٢) في « اللسان » : وسبعه يسبعه سبعاً : طعن عليـه وعابه وشتمه ووقع فيه بالقول القبيح . وفي « الأغاني » و « الخزانة » : شيعت ، ولعله تحريف .

أعطاهُ مائة دينار وَكساه ثياباً ، فأخذ ذلكَ منه ، ثمّ قال لهُ : ياخال هَبْ لي عِرْضَ أبي بكر ، قال : هُو لكَ . ثمّ خرجَ الأحوصُ ، فقال في عِراض قصيدةِ سُليمان بن أبي دَباكل قصيدةً مَدَحَ بها عمر بن عبد العزيز . أولها :

يا بيتَ عاتِكةَ التي أتعزّلُ ... حَذرَ العِدى وبهِ الفُؤادُ مُوكّلُ (١)

إنّي لأَمْنَحُكَ الصُّدودَ وإنّني ... قَسَماً إليكِ مع الصُّدودِ لأَمْيَلُ (٢)

هل عَيشُنا بكِ في زمانكِ راجعٌ ... فلقدْ تفاحَشَ بعدَكِ المُتَعَلَّلُ (٣)

وَتَجنُّبي بيتَ الحَبيبِ أَوَدُّهُ ... أَرْضى البغيضَ به حديثٌ مُعْضِلُ

ولئِنْ صَدَدْتِ لأَنتِ لولا رِقبتي ... أهوى مِنَ اللاّئي أزورُ وأدْخُلُ (٤)

أينَ الشّبابُ وعيشُنا اللَّذُّ الذي ... كُنّا بهِ زمناً نُسَرُّ ونَجذَلُ (٥)

ذهبتْ بشاشَتُهُ وأصبحَ ذِكْرُهُ ... حُزناً يُعَلُّ بـه الفُؤادُ ويُنهَلُ

---

(١) عاتكة : هي بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية . أتعزل : أتجنبه وأكون بمعزل عنه ، وقوله : « وبه الفؤاد موكل » من وكلته بأمر كذا : فوضته إليه .

(٢) يريد : أنه يظهر هجر هـذا البيت ومن فيه وهو محب لهم خوفاً من أعدائه .

(٣) تفـاحش : من فحش الشيء : إذا قبح ، والمتعلل : اسـم مفعول من تعلل بالشيء : إذا تلهّى به .

(٤) الرقبة ، بكسر الراء : اسم من المراقبة بمعنى الخوف .

(٥) في « الأغاني » : إن الشباب ... ، واللذ : اللذيذ .

إِلَّا تَذَكُّرَ ما مضى وَصَبابَةً مُنِيَتْ لِقلبِ مُتَيَّمٍ لا يَذْهَلُ
أَوْدى الشَّبابُ وأَخْلَفتْ أيامُهُ وَأنا الحزينُ على الشَّبابِ المُعْوِلُ

والقصيدة طويلة ، ثمَّ خرج فيها إلى مدح عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وشُكره ، ثمَّ ختمها بقوله :

وأراكَ تَفْعَلُ ما تقولُ وبعضُهُم مَذِقُ اللِّسانِ يقولُ ما لا يفعلُ
وأرى المدينةَ حينَ صِرْتَ أميرَها أَمِنَ البريءُ بها ونامَ الأَعزَلُ

فلما أنشدَها ، قال له عمر رضي الله عنه : ما أراكَ أعْفيْتَني مِمّا اسْتَعْفَيْتُكَ منه ، وذلكَ أنه مَدَحَ عمر، وعَرَّضَ بأخيه أبي بكر .

وقال الأحوص وهو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت ابن أبي الأَقْلَح :

أَدُورُ ولولا أنْ أرى أُمَّ جعفرٍ بأبياتِكم ما دُرْتُ حيثُ أَدُورُ [(١)]
وما كُنتُ زَوّاراً ولكِنَّ ذا الهوى إذا لم يُزَرْ لا بُدَّ أنْ سيزورُ
أَزورُ على أنْ ليس يَنفَكُّ كلّما أَتَيْتُ عَدُوٌّ بالبَنانِ يُشيرُ [(٢)]
فقد أَنكَرَتْ بعدَ اعترافٍ زيارتي وقد وُغِرَتْ فيها عليَّ صُدُورُ

(١) الأبيات في « الأغاني » : ٢٥٥/٦ وترتيبها يختلف عما هنا .
(٢) في « الأغاني » : ليس أنفك ... عدواً ، وما هنا أجود .

وقال أيضاً :

وإني لآتي البيْتَ ما إنْ أُحبُّهُ وَأُكْثِرُ هَجْرَ البيْتِ وهوَ حبيبُ (١)

وأُغضي على أشياءَ منكِ تَسوؤني وَأُدْعى إلى ما سَرَّكم فأُجيبُ (٢)

وقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي :

وَلهنَّ بالبيْتِ العَتيقِ لُبانَـةٌ وَالرُّكنُ يَعرفُهُنَّ لو يَتكلَّمُ (٣)

لو كانَ حيَّى قَبلَهُنَّ ظَعائناً حَيَّى الحَطيمُ وُجوهَهُنَّ وَزَمْزَمُ

لَبِثُوا ثلاثَ مِنىً بأنعمِ عِيْشةٍ وهُمُ على سَفرٍ لعَمْرُكَ ما هُمُ

مُتجاوِرَيْنِ بغيرِ دارِ إقامَـةٍ لَوْ قدْ أَجدَّ رحيلُهم لم يَنْدَمُوا

وكأنَّهنَّ وقد حَسَرْنَ لَوَاغباً بيضٌ بأكنافِ الحَطيمِ مُرَكَّمُ

وقال يزيد بنُ الطثريّة (٤) :

---

(١) « الأغاني » : ٢٥٦/٦ .

(٢) في « الأغاني » : على أشياء منكم .

(٣) لم ترد في الديوان .

(٤) الأبيات عـدا السادس والثامن والتاسع في « أمالي المرتضى » : ٤٣٢/١ للحسين بن مطير الأسدي ، والسادس والسابع في « أمالي ابن الشجري » : ١٥٠ له أيضاً ، والثلاثة الأولى في « الأمالي » : ٧٧/١ لابن الدمينة ، والثالث والسادس في « ديوان المجنون » : ١٤٣ ، وانظر « الزهرة » : ص ٣٨ .

أَلا أَيُّها البيْتُ الذي أنا هاجِرُهْ ... وإنّي بتَلْماحٍ مِنَ الطَّرْفِ ناظِرُهْ (١)

لَهِنَّكَ مِنْ بيْتٍ إليَّ لَمونِقٌ ... وآنَقُ في عيني مِنَ البيْتِ عامِرُهْ (٢)

أُصدُّ حَياءً أنْ يَلِجَّ بيَ الهوى ... وأنتَ المُنى لولا عَدُوٌّ أُحاذِرُهْ (٣)

وفيكَ حبيْبُ النَّفْسِ لو نستطيعُهُ ... لَماتَ الهوى والشَّوقُ حينَ نُجاوِرُهْ

فإنْ يكُنِ الأَعداءُ أحمَوا كلامَهُ ... علينا فلمَّا تُحْمَ عنَّا مناظِرُهْ

أَتهجُرُ بيتاً بالحِجازِ تَلَعَّبَتْ ... بهِ الحربُ والأَعداءُ أمْ أنتَ زائِرُهْ (٤)

فإنْ آتِهِ لاأَنْجُ إلَّا بظِنَّةٍ ... وإنْ يَأتِهِ غيري تُنَطْ بي جرائِرُهْ (٥)

---

(١) في « الأمالي » : ألا حُبَّ بالبيت ... وأنت ... زائره . وفي « أمالي المرتضى » و « معجم الأدباء » : ألا حبذا . والتلماح : اختلاس النظر .

(٢) في « اللسان » أنن : ومن العرب من يبدل همزة « إنَّ » هاءً مع اللام، كما أبدلوها في « هرقت » فتقول : لهنك لرجل صدق ، قال سيبويه : وليس كل العرب تتكلم بهـا . في « الأمالي » : فانك ... لعيني معجب وأحسن ... ، وفي « أمالي المرتضى » و « معجم الأدباء » : لأنك . . . وأملح ، وفي « اللآلي » : وإنك من بيت إليّ لمعجب .

(٣) في « الأمالي » : وفيك المـــنى ... وفي « أمالي المرتضى » : أن يلم بي الهوى .

(٤) في «أمالي ابن الشجري» : بالحجاز تكنفت ... جوانبه الأعداء ... ، وفي « ديوان المجنون » : للحبيب تعلقت به الحب ، ولا معنى لهذه الرواية ، والأشبه أن تكون محرفة .

(٥) في « أمالي المرتضى وابن الشجري » : لم أنج ...

وَمُستَخْبِرٍ عنها ليعلَمَ ما الذي	لَها في فؤادي وَدَّ أني أحاوِرُهْ
تَرَكْتُ على عَمْياءَظن ٍ ولم أكُنْ	إذا ما وَشَى واشٍ بليلى أُناظِرُهْ

وقال آخر :

أَمُرُّ مُجَنَّباً عنْ بيتِ ليـلى	وَلم أُلْمِمْ بهِ وبيَ الغَليلُ [1]
أَمُرُّ مُجَنَّباً وَهوايَ فيـهِ	وَطَرْفي عنهُ مُنكسِرٌ كَليلُ
وَقلبي فيهِ مُرْتَهَنٌ فهلْ لي	إلى قلـبي ومالِكِهِ سبيلُ [2]
فآمُلُ أنْ أُعلَّ بشِرْبِ ليلى	ولم أُنْهَلْ فكيفَ ليَ العُلولُ [3]

وقال آخر :

وإني وإنْ لَمْ آتِ أبياتَ بَجْدَلٍ	إلى أُمِّ يحيى مِنْ مَدى العَيْنِ ناظِرُ
بنَفْسيَ مَجْرى الطَّوْقِ مِنها وَحبَّذا	إلينا غشاشاً طَرْفُهـا المتَشازِرُ

وقال أبو ذُؤيب الهُذلي واسمُهُ خُوَيلِد بن [خالد] محرِّث :

لعَمْري لأَنتَ البيتُ أُكرِمُ أهلَهُ	وأقْعُـدُ في أفيائِـهِ بالأَصائِلِ [4]

---

(١) الأبيات غير منسوبة في « أمالي القالي » ١/٨٤ .

(٢) في « الأمالي » : مقتتل ... وساكنه سبيل .

(٣) في « الأمالي » : أؤمل أن أعـل ... فكيف لي العليل ، والشِّرب : الماء بعينه يشرب .

(٤) « شرح أشعار الهذليين » : ١/١٤٢ على اختلاف في ترتيب الأبيات . والأفياء : جمع فيء، وهو : الظل ، والأصائل : العشيات ، وتصغيره : أصيلال وأصيلان.

وإنَّ حَديثاً منكِ لو تبذُلينَهُ جَنَى النَّحل في ألبانِ عُوذٍ مَطافِلِ (١)

فتِلْكَ التي لا يُذهِبُ الدّهرُ حُبَّها وَلا ذِكْرَها ما أرْزَمَتْ أُمُّ حائِلِ (٢)

فلوْ أنَّ ما عِندَ ابنِ بُجْرَةَ عندَها مِنَ الخَمْرِ لم تَبْلُلْ لَهاتي بناطِلِ (٣)

وقال آخر :

أَلا يا بَيْتُ بالعَلْياءِ بَيتُ ولولا حُبُّ أهلِكَ ما أتَيْتُ

أَلا يا بيتُ أهْلُكَ أوْعَدوني كأنّي كُلَّ ذَنْبِهِمُ جَنَيْتُ

وقال أبو العلاء بن سليمان المعري :

أيا جارَةَ البيتِ المُمَنَّعِ جارُهُ رَحَلتُ ومَنْ لي عِندَكم بمَقيلِ (٤)

---

(١) العوذ : الحديثات النتـاج ، والواحدة : عائذ ، قال أبو عبيدة : أولادها تعوذ بها ، فولدهـــا : عائذ ، وهي معوذ بها . والمطافل : الصغـار الأولاد ، والواحدة مطفل .

(٢) في « شرح أشعار الهذليين » : ... لا يبرحُ القلبَ حبُّها ولا ذكرُها . وأرزمت : حنت وصوتت ، والحائل : الأنثى من أولاد الابل ، والذكر : سقب.

(٣) ابن بجرة : خمار كان بالطائف ، والناطل : مكيال تـكال به الخمر .

(٤) « شروح سقط الزند » ٣/١٠٤١ قال البطليوسي : وصفها بالعزة والمنعة، وأن من استجار ببيتها عز جانبه ، ولم يطمع في اهتضامه عدوه وطالبه ، والمقيل : الموضع الذي ينام فيه ، أو يتودع في القائلة ، وهذا يحتمل معنيين ، أحدهما : أن يريد ان الدهر قد أزعجني للسفر ، وحال بيني وبين الأمنية والوطر ، ولم -

نسيتِ مكانَ العِقْدِ مِنْ دَهَشِ النَّوى   وَعلَّقتِهِ في وَجْنَـةٍ ومَسيلِ (١)

وأرسلْتِ طيفاً خانَ لمـا بَعثْتِهِ   فلا تثقي مِنْ بعدِهِ برسولِ (٢)

أسَرْتِ أخانا بالخِـداعِ وإنَّهُ   يُعَدُّ إذا اشتدَّ الوغى بقبيلِ (٣)

فإنْ تُطلقيهِ تَرْتجي شُكرَ قومِهِ   وإنْ تَقتُليه تُؤخَـذي بقتيلِ (٤)

وإنْ عاشَ لاقى ذِلَّةً واختيارُهُ   وفـاةُ عزيزٍ لا حَياةُ ذليلِ

- يوجدني سبيلاً إلى التمتع بوصلكم والمقيل عندكم ، والآخر أن يريد : من لي بأن يساعدني الزمان بالعودة إليكم بعد فراقكم حتى أقيل عندكم ، وأنال البغية منكم .

(١) قال البطليوسي : الوجنة : عظم الخد المشرف ، والمسيل : مجرى الدمع من خدها . أراد : أنها بكت عند الوداع ، فسال دمعها على خدها شبيهاً باللؤلؤ ، فكأنها دهشت حين فاجأها الفراق ، فأرادت أن تعلق عقدها في جيدها ، فأخطأت وعلقته في خدها ، وهذا من معانيه التي اخترعها ولا أحفظ فيه شيئاً لغيره .

(٢) في « السقط » بعد هذا البيت :

خيـالٌ أرانا نفسه متجنباً   وقد زار من صافي الوداد وصول

وترتيبها فيه قبل البيت الخامس هنا .

(٣) قال البطليوسي : العرب تستعمل الأخوة على أربعة معان ، أحدها : النسب ، الثاني : الصداقة ، والثالث : المجانسة والمشابهة ، كقولهم : هذا الثوب أخو هذا الثوب ، وهذا الدينار أخو هـذا الدينار ، والرابع : الملازمة للشيء والمواصلة له ، كقولهم : فلان أخو الحرب وأخو الليل : إذا كان ملازماً لحضور الحرب والمشي بالليل .

(٤) في « السقط » : فان تطلقيه تملكي شكر ...

وقال أبو نواس :

أَجارَةَ بيتَيْنـا أبوكِ غَيورُ ... ومَيسُورُ ما يُرْجى لديكِ عَسيرُ [١]

فإنْ كُنتِ لا خِلْماً ولا أنتِ زوجَةٌ ... فلا بَرِحتْ دوني عليكِ سُتُورُ [٢]

وجاوَزْتُ قوماً لا تَجاوُرَ بينَهُم ... ولا وَصْلَ إلّا أنْ يكونَ نُشورُ [٣]

يقول فيها :

تقولُ التي مِنْ بيتها خفَّ مَرْكبي ... عَزيزٌ علينا أنْ نَراكَ تَسيرُ [٤]

أما دونَ مِصْرٍ لِلْغِنى مُتَطَلَّبٌ ؟ ... بلى إنَّ أبوابَ الغِنى لَكثيرُ [٥]

فقلتُ لهـا واسْتَعْجَلَتْها بَوادِرٌ ... جَرَتْ فجرى في جَرْيِهِنَّ عَبيرُ

ذَريني أُكَثِّرْ حاسدِيكِ برحْلَةٍ ... إلى بَلَدٍ فيه الخَصيبُ أميرُ

إذا لم تَزُرْ أرضَ الخَصيبِ رِكابُنا ... فأيُّ فتىً بعـدَ الخَصيبِ تَزُورُ

رَوى الفَرَزْدَق قال : أَبَق غلامانِ لرَجُلٍ منّا ، فخَرَجَ في طلبِهما ، فلمّا صـارَ في ماءٍ لبني حنيفة ، ارتفعتْ له حِلَّةٌ [٦] . قال : فعدَلتُ إلى

---

(١) ديوانه : ٣٢٧ .

(٢) الخلم : الصديق أو الصاحب .

(٣) في الديوان : « لا تزاور بينهم » .

(٤) في الديوان : « ... عن بيتها ... » .

(٥) في الأصل فوق كلمة « أبواب » أسباب . قلت : وهي رواية الديوان .

(٦) الحلة : جماعة بيوت الناس ، لأنها تحل ، وفي « الأغاني » : ارتفعت سحابة .

بعض دِيارِهم وسألتُ القِرى ، فأجابوا ، فدخلتُ الدَّار ، وأنَخْتُ النَّاقَةَ ، وجلستُ تَحْتَ ظُلَّةٍ لهم مِنْ جَريد النَّخْل ، وفي الدَّارِ جارِيَة سوداء ، إذْ دخلت جاريةٌ كأنَّها سَبيكَةُ فِضَّة [وكأنَّ عينيها كوكبان دُرِّيان] فقالت للسوداء : لِمَنْ هذه النَّاقة ؟ قالت : لضَيْفِكُم [هذا] ، فعدَلتْ إليَّ ، فسلَّمتْ ، فرَدَدْتُ السلام ، وقالت : مَنِ الرَّجـل ؟ (١) قلتُ : رَجُلٌ مِنْ بني حَنْظَلَةَ . قالت : مِنْ أيِّهم ؟ قلتُ : مِنْ بني نَهْشَل ، فتبسَّمَتْ ، ثم قالت : أنتَ إذاً مِمَّنْ عَناهُ الفرزدق بقوله :

إنَّ الذي رفعَ السَّماءَ بنى لنا ... بيتاً دعائِمُهُ أعزُّ وأطْوَلُ (٢)
[بيتاً بناهُ لنا المليكُ وما بَنى ... مَلِكُ السَّماء فإنَّه لا يُنْقَلُ]
بيتاً زُرارَةُ مُحتَبٍ بفِنائِـهِ ... ومُجاشِعٌ وأبو الفوارِس نَهْشَلُ (٣)

---

(١) في « الأغاني » : ممن الرجل .

(٢) في « الأغاني » و « النقائض » : سمك السماء ، وسمك ورفع بمعنى ، ودعائم البيت : العيدان التي تقيمه ، وقوله : « أعز وأطول » أراد : أعز وأطول من بيتك فلما صار في موضع الخبر استغنى عن «من» لقوة الخبر ، وخرج مخرج: « الله أكبر ، الله أعلى وأجل » .

(٣) قوله : زرارة لبني زرارة بن عُدُس بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك ، ومجاشع ابن دارم ، ونهشل ابن دارم .

فضحكتْ وقالت : فإنَّ ابنَ المَراغَةِ (١) قد نَقَضَ عليكم بيتَكم هذا [الذي فخرتم به] حيثُ يقول :

أَخزى الذي رَفعَ السَّماءَ مُجاشِعاً ... وَبنى بناءَكَ بالحَضيضِ الأَسْفَلِ

بَيْتاً تيمَّمَ قَيْنُكم بفنائِـهِ ... دَنِسٌ مقاعِدُه خبيثُ المأْكلِ (٢)

قال : فوجمْتُ ، فلمَّا رأتْ ذلكَ في وجهي ، قالت : لا عَليك ، فإنَّ النَّاسَ يقولون ويُقال لَهم . ثم قالت : أيْنَ تؤمُّ ؟ قلتُ : اليمامة . فتنفَّسَتِ الصُّعَداء ، ثمَّ قالت :

تُذَكِّرُني بلاداً خَيْرُ أهلي ... بها أهْـلُ المُروءَةِ والكَرامَهْ

ألا فسَقى الإِلهُ أجشَّ صَوْبٍ ... يَسُحُّ بدَرِّهِ بَلَدَ اليَمَامَـهْ (٣)

وَحيَّـا بالسَّلام أبا نُجَيْدٍ ... وقَلَّ لهُ التَّحِيَّةُ والسَّلامَـهْ (٤)

---

(١) في « الأغاني » : قال ابن الخطفي .

(٢) في « الاغـاني » و « النقائض » والديوان : يحمم ... خبيث المدخل ، ويحمم : يدخن فيه فيسوده ، والقين : الحداد . يشير إلى أن مجاشعاً قبيلةالفرزدق كانت قيوناً لعبد كان لصعصعة بن ناجية بن عقال يسمى جبيراً ، فنسب جرير غالباً أبا الفرزدق إلى القين .

(٣) في « الأغاني » : أجش صوباً . يقـال : سحاب أجش : إذا كان شديد الصوت .

(٤) في « الأغاني » : فأهل للتحية والسلامة .

قال : فأَنِسْتُ بها وقُلتُ : أَخالِيَةٌ ، أمْ ذاتُ بَعْل ؟ فقالت :

إذا رَقَـدَ النِّيامُ فإنَّ عَمْراً تُؤرِّقُـهُ الهمومُ إلى الصَّباحِ

تُقَطِّـعُ قلبَهُ الذِّكرى وقلبي فلا هو بالخَلِيِّ ولا بصاحِ

سَقى اللهُ اليَمامَةَ دارَ قَوْمٍ بهـا عَمْرو يحِنُّ إلى الرَّواحِ

فقلتُ لها : وَمَنْ عَمْرو ؟ فأنشأتْ تقول :

سَأَلتَ ولو عَلِمْتَ بحالِ عَمْروٍ وَمَنْ لكَ بالجَوابِ سِوى الخَبِيرِ [1]

فإنْ تَكُ ما عَلِمْتَ فإنَّ عَمْراً لكالقَمَرِ المُضيءِ المُستنيرِ [2]

ومـا لي بالتَّبَعُّلِ مُستراحٌ ولو رَدَّ التبعُّـلُ لي أسيري

ثمَّ سَكَتَتْ سَكْتَةً كأَنَّها تَسْمَعُ إلى كلام ، ثم تَهافَتَتْ وقالتْ :

يُخَيَّلُ لي هَيا عَمْرُو بن كَعْبٍ كأَنَّكَ قد حُمِلْتَ على السَّريرِ

[يسيرُ بكَ الهُوَيْنى القومْ لما رَمـاكَ الحُبُّ بالعَلَق العَسيرِ]

فإنْ تَكُ هـكذا يا عَمْرُو إنِّي مُبَكِّرَةٌ عليـكَ إلى القُبورِ

ثم شهِقَتْ شَهْقَةً ، فخَرَّت مَيْتَةً . فقلتُ : مَنْ هـذه ؟ قالوا : هذه

---

(١) في « الأغاني » : ولو علمت كففت عنه .

(٢) في « الأغاني » :

فان تك ذا قبول إن عمراً هو القمر المضيء المستنير

وفيه إقواء .

عَقيلة بنتُ الضَّحَّاكِ بن عمْرو بن مُحرّقِ بن النُّعمانِ بن المُنذرِ بن ماء السَّماء .
فقلت لهم : مَنْ عمْروٌ هذا ؟ قالوا : ابنُ عمِّها عمْرو بن كعب بن مُحرّق .
قال : فارْتحلتُ مِنْ عندِهم ، فلما دخلتُ اليمامة ، سألتُ عن عمْرٍو [هذا]
فإذا هو قد دُفِنَ في ذلك الوقت الذي قالت فيه ما قالت (١) .

وقال مهيار :

أَسْتوْدِعُ اللهَ في أبياتِكم قمراً ... تَراه بالشَّوْقِ عيني وهوَ مَحْجُوبُ (٢)

أَرْضاه أَسْخَطُ أوْ أرضى تَلَوُّنَهُ ... وكلُّ ما يَفْعَلُ المحبوبُ مَحْبُوبُ (٣)

وقال آخر (٤) :

لِلهِ أبياتٌ إذا أوطنْتَهـا ... غَنِيَ الفقيرُ بهـا وَعزَّ الجاني

قومٌ إذا تُرِكَ الغريبُ بدارِهم ... مَنَحُوهُ سَلْوَتَهُ عنِ الأوطانِ

وقال البحتري :

مُقامُ الفتى في الحيِّ حَيّاً مُسَلَّماً ... مُعافىً مُقـامُ ذِلَّةٍ بالفتى تُزْري (٥)

---

(١) الخبر بطوله في « الأغاني » : ٨/٤٤ ، ٤٦ ، وما بين معقفين منه .

(٢) ديوانه : ١/٢٤ من قصيدة كتب بها إلى الرئيس أبي الحسن الهَماني مطلعها:
أستَنْجِدُ الصَّبر فيكم وهو مغلوبُ ... وأسأل النومَ عنكم وهو مسلوب

(٣) في الديوان : « أرضى وأسخط » .

(٤) سبق ذكر البيتين .

(٥) ديوانه : ٢/١٠٨١ من قصيدة يفتخر بها مطلعها :
لدُنْ هجرَته زَجَرْتَه عن الصبر ... سواءٌ عليه الموتُ أو لوعة الهجر -

مَتى ما تَنمْ في ظِلِّ بيتِكَ عاجزاً تُصِبْكَ خُطُوبُ الدَّهرِ بالنَّابِ والظُّفْرِ (١)

وقال أبو العلاء بن سليمان المعري :

لَزِمْتُ بيتاً بَناهُ الجَدُّ مِنْ مَدَرٍ كأنَّهُ بيتُ شِعْرٍ ليس يَـتَّزِنُ (٢)

إذا شَتَوْتُ فَمِنْ تَوْكافِه عَنَتي وَبالحَرُوْرِ إذا ماصِفْتُ يَقْتَرِنُ (٣)

عُدْمٌ فحسبي وَعَيْنٌ غيرُ مُبْصِرَةٍ وَشِقْوَةٌ وحليفُ الشِّقْوةِ اليَفَنُ (٤)

لَوْلا القَناعَـةُ جاءتْني بِمَمْلَكَةٍ لَهَتَّـكَتْ دُونيَ الأَستارُ والجُنَنُ

وقال آخر :

وَلَيْلَةٍ واكِفٍ لا نَوْمَ فيهـا سَهِرْتُ بها إلى الصُّبحِ الفَتيقِ (٥)

– وهذه القصيدة من أوائل شعره ، وقد نظمها وهو في السادسة عشرة من عمره ، يدل على ذلك قوله فيها :

وقائلةٍ والدمع يصبغُ خدَّها رويدك يا ابن الستّ عشرة كم كسري

فقلت أحقُّ الناس بالعزم والسُّرى طلابَ المعالي صاحب الستّ والعَشْرِ

(١) في الديوان : « ومهما تنم ... خطوب الدهر من حيث لا تدري »

(٢) لم نجد هذه الأبيات في « اللزوميات » ولا في غيره من كتب أبي العلاء.

(٣) وكف البيت وكفاً ووكيفاً ووكوفاً ووكفاناً وتوكافاً وأوكف وتوكف: هطل وقطر وكذلك السطح . والحرور : استيقاد الحر ولفحه .

(٤) اليفن : الشيخ الكبير الفاني .

(٥) يقال : صبح فتيق ، أي : مشرق .

تَرِقُّ قُلُوبُ جِيرَتِنا علينا إذا نَظروا إلى الغَيْمِ الرَّقيقِ
حَمَاني النَّوْمَ فيه سَقْفُ بيتٍ كأنَّ سماءَهُ عَينُ المَشُوقِ
تَواصَلَتِ السَّحائبُ وهو بيتٌ وَصدَّتْ وهو قارِعَةُ الطَّريقِ

وقال آخر :

وبَيتٍ تساوى والغمامُ وإنَّه لأغْزَرُ منها دَمْعةً حينَ تَذْرِفُ
إذا السُّحْبُ عنه أقْلَعتْ فلِوَكْفِهِ سَحابٌ هَتُونٌ ماؤهُ ليس يَنْزِفُ [1]
فثوْبيَ مِنْ تَوْكافِ أسودِ سَقْفِه وَتُرْبَتِهِ الحَمراء بُرْدٌ مُفَوَّفُ
فدَعْهُ وَنَمْ تحتَ السَّحابِ فإنّه سَحابٌ ولكِنْ صَيِّبُ الجوِّ أنْظَفُ

وقال آخر :

بيتي سُتُورُ العنكبوتِ سُتُورُهُ وَمَطارِحُ الغَبْراء فيهِ مَطارِحي
وإذا أصابَتْهُ السماءُ بطَلِّها فسماؤهُ تَهْمي بِوَكْفٍ سافِحِ
وكأنَّني مِنْ ضِيقِهِ وظَلامِهِ مَيْتٌ دفينٌ في ثَرًى وَصفائحِ

وقال آخر :

العنكبوتُ بَنَتْ بيتاً على وَهَنٍ تأوي إليهِ وما لي مِثْلَها وَطَنُ
والخُنْفُساءُ لها مِنْ جِنْسِها سَكَنٌ وليسَ لي مِثْلَها إلْفٌ ولا سَكَنُ

---

(١) سحابة هتون : هطول ، وليس ينزف : لا يفيض ولا ينضب .

وقال آخر :

إذا نحنُ جئنا لِلسَّلام ورُفِّعَتْ ... سُتورُكَ فانظرْ ما بهِ أنا خارجُ
فسِيَّانِ بيتُ العنكَبوتِ وجَوْسَقٌ ... على الشَّطِّ ما لم تُقْضَ فيه الحَوائِجُ (١)

وقال أبو القاسم أسعد بنُ إبراهيم ، وتروى لابن الشقَّاق :

رأيتُ لِيُوسُفَ في بيتِـهِ ... فخرّبه اللهُ بـينَ البيوتْ
حَصيرَ صَـلاةٍ عَلاهُ الغُبارُ ... وقد نسَجَتْ فوقَهُ العنكبوتْ
فقلتُ له كم لِهذا الحَصير ... وكم لكَ لمْ تَقْرَ فيه القُنُوتْ
فقال هُنالكَ أَلْفَيْتُهُ ... وَثَمَّ يدومُ إلى أنْ أموتْ

وقال آخر :

لمَّا رأيتُ الزَّمـانَ نَكْساً ... وَليسَ في أهلِهِ انتفـاعُ
لَزِمْتُ بيتي وَصُنْتُ نفساً ... لَهـا عن الذِّلَّةِ امْتناعُ
أَشْرَبُ مِمَّا اقتَنَيتُ راحاً ... لَهـا على راحَتي شُعاعُ
لي مِنْ قواريرِها نَدامَى ... ومِنْ قَواقيزِهـا سَماعُ
وأجْتني مِنْ ثِمـارِ قَوْمٍ ... قَـد أَوْحشَتْ منهم الرِّباعُ

---

(١) قال الجواليقي : الجوسق : فارسي معرب ، وهو تصغير قصر « كوشك » أي : صغير ، وفي « اللسان » : الجوسق : الحصن ، وقيل : هو شبيه بالحصن معرب ، وأصله كوشك بالفارسية ، والجوسق : القصر أيضاً .

قال الأحنف بنُ قيس : جِزْيَةُ المُسْلِمِ كرى بيته وذلُّ رَقَبته ، وعذابُ الرَّجل سُوءُ خُلُق امرأتِهِ .

وقال آخر :

وبيتٍ خَلا مِنْ كلِّ خَيْرٍ عَلِمْتُه   وضاقَ علينا وهو رَحْبُ المساكِنِ
كأنّا مع الجُدْرانِ في جَنَباتِهِ   دُمىً في انقطاعِ الرزقِ لافي المحاسِنِ

وقال ابن المرعزّى النصراني :

نزلتُ في آلِ مَكحولٍ وضيفُهُمُ   كنازِلٍ بينَ سَمْعِ الأَرض والبَصَرِ
لا تَستضيءُ بضوْءٍ في بيوتِهِمُ   إنْ لمْ يكن لكَ تطفيلٌ على القَمَرِ

وقال آخر :

تُريدُ إهالُ النَّحضَ والنَّحْضُ مُعْوِزٌ   وليسَ لنا نابٌ يُكَبُّ ولا بَكْرُ
ولا ضأْنٌ يُغْنينا ولا ماعِزٌ لنـا   ويقبحُ أنْ يُشكى إلى جارِنا الفَقْرُ
ونحنُ أُناسٌ مُنفِضُونَ بمعْزِلٍ   عَنِ الخيرِ لا بُرٌّ لدينا ولا تَمْرُ[(١)]
وَلو كانَ في الأَرضِ العريضةِ نابتٌ   رَعَيْنا ولكنْ لا نباتٌ ولا قَطْرُ
فدونكِ هذا البيتَ فاستتري بِهِ   وأسْتَرُ منه إنْ رَضيتِ بهِ القَبْرُ

رُوِيَ أنَّ رجلاً تعاهَـدَ هوَ وامرأَتُهُ أَيُّهُما مات لا يَتزَوَّجُ الآخرُ

---

(١) يقال : انفض القوم : نفذ طعامهم وزادهم مثل أرملوا .

بعده ، فمات الرجل ، فلمَّا أوْفَتِ الامرأةُ العِدَّةَ ، خُطِبتْ فامتنعتْ فما زِلنَ بها النساء يُسهِّلْنَ عليها الأَمر ، ويُشِرْنَ عليها بالزَّواج حتى أجابَتْ ، وحُمِلَ إليها الصَّداقُ ، فرأَتْ قبلَ دُخولِها بليلةٍ كأَنَّ زوجَها قد وَقَفَ ببابها ، ومَدَّ يَدَيه ، فأخذ عُضادَتي البابَ وقال :

حُيِّيتَ ساكِنَ هذا البيْتِ كُلَّهُمُ ... إلَّا الرَّبابَ فإنِّي لا أُحَيِّيها

اِستبدَلَتْ بدلاً مني وقد عَلِمَتْ ... أنَّ القبورَ تُواري مَنْ ثَوى فيها

فاستيقظت مرعوبةً وقد حفِظتِ الأَبياتَ ، فردَّتْ ما قُدِّمَ لها ، وقالت : والله لاضَمَّني وبعلاً بيْتٌ أبداً .

وقال مهيار :

نَعَمْ سقى اللهُ بُيوتاً بالحِمى ... مُسْدَلَةً على الدُّمى أَسْتارُها [١]

وأَوْجُهاً يشِفُّ مِنْ أثْوابها ... عُنصُرُها الكريم ونِجارُها [٢]

وقال الفرزدق :

عَزَفْتَ بأعشاشٍ وما كِدتَ تَعزِفُ ... وأنكَرْتَ مِنْ حَدْراءَ ما كُنتَ تَعْرِفُ [٣]

---

(١) ديوانه : ٨٨ ، من قصيدة كتب بها إلى عميد الدولة أبي سعد بن عبد الرحيم وهو مقيم بسرَّ من رأى ، يستوحش لبعده ، ويهنئه بالنيروز .

(٢) النجار : الأصل ، وفي الديوان : أو نجارها .

(٣) ديوانه : ٢/٥٥١ ، و « النقائض » : ٢/٢٤٢ ، و « معجم البلدان »: -

وَلَجَّ بكَ الهِجْرانُ حتى كأنَّما ... تَرى الموتَ في البيتِ الذي كُنتَ تَيْلَف[(١)]

وقال جميل بن معمر العذري :

ثلاثةُ أبياتٍ فبيتٌ أُحِبُّهُ ... وبيتانِ لَيسا مِنْ هَوايَ ولا شَكْلي[(٢)]

أَلا أَيُّها البيتُ الذي حِيلَ دونَهُ ... بنا أنتَ مِنْ بيتٍ وأهلُكَ مِنْ أهلِ

بنا أنتَ مِنْ بيتٍ دُخولُكَ لَذَّةٌ ... وظِلُّكَ لو يُسْطاعُ بالبارِدِ السَّهْلِ

وقال آخر :

أَلاهلْ إلى الأَبياتِ بالحَبْل ذي الغَضى ... ذُراهُنَّ أو أظلالُهُنَّ سبيلُ

بنفسي مَنْ قد حِيلَ دُونَ لِقائِهِ ... وَمَنْ حُبُّهُ حُبٌّ عليَّ ثقيلُ

وقال إبراهيم بن خفاجة في الحَمّام :

أَهلاً ببيتِ النَّارِ مِنْ مَنْزِلٍ ... شِيدَ لِأَبْرارٍ وفُجّارِ[(٣)]

ـ أعشاش . يقول : عزفت نفسك عما كنت فيه من باطلك ، وحدراء : امرأة الفرزدق ، وأعشاش : موضع في ديار بني يربوع . وفي « اللسان » : أراد عزفت عن أعشاش ، فأبدل الباء مكان عن ، ويروى: بأعشاش، أي: بكره ، يقول : عزفت بكرهك عمن كنت تحب ، أي : صرفت نفسك .

(١) قال أبو عبيدة : تيلف : لغة تميم ، يقول : هجرت فلججت في الهجر حتى صار صرماً صحيحاً .

(٢) ديوانه : ١٧٥ وانظر تخريجها فيه .

(٣) ديوانه : ٣٧٣ .

نَقْصِدُهُ مُلْتَمِسي لَـذَّةٍ   فندخلُ الجَنَّـةَ في النَّـارِ

نزلَ حمّـاد عجْرَد على محمد بن طلحة ، فأبطأ عليه بالطعام ، واشتدَّ جُوعُ حمّاد فقال :

زُرْنا امرءاً في بيتهِ مَرَّةً   لهُ حَيـاءٌ ولـهُ خِـيْرُ [١]

يَـكرَهُ أنْ يُتخِمَ أضيافَهُ   إنَّ أذى التُّخْمَةِ محـذورُ

وَيَشْتَهي أَنْ يُؤجَروا عِندَه   بالصَّومِ والصَّـائمُ مأْجُورُ

فقال لهُ محمد : عليكَ لعنةُ الله ، ما حَمَلَكَ على هذا ؟ قال : الجُوعُ وحَياتِكَ وإن زِدْتَ في الإبطاء زِدْتُ في القول . فبادَرَ بإحْضارِ المائدة .

وقال صخر بن الجَعْد [٢] :

مَررْتُ على أَبياتِ كأسٍ فأَسبلَتْ   مدامِعُ عيني والرياحُ تُميلُها [٣]

---

(١) الخـبر مع الأبيات في « الأغـاني » : ٣٥١/١٤ ، والخير : الكرم والشرف والأصل .

(٢) هو صخر بن الجعد الخضري ، شـاعر فصيح من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، كان مغرماً بفتاة تدعى كأس بنت بجير ، وأشهر شعره ما قاله فيها . ترجمته في « الأغاني » ٣٨/٢٠ ، و « شرح شواهد المغني » ١٥٣ .

(٣) الأبيات في « الأغاني » ٤٣/٢٢ .

وفي دارهم قومٌ سِواهُم فأسبلَت دُموعٌ مِنَ الأجفانِ باقٍ مَسيلُها
كذاكَ اللّيالي ليسَ فيها بسالِمٍ صَديقٌ ولا يبقى عليها خليلُها

★ ★ ★

(★) جاء في نهاية هـــذا الفصل بخط مغاير الأصل ما نصه : قرأ فيه العبد الفقير إلى الله تعالى حسن بن اسماعيل بن علي بن محمـد المصري الساكن يومئذ بدير عطية غفر الله له ولوالديه ، ولمن علّمه ، ولمن أحسن إليه ، ولجميع المسلمين والحمد لله رب العالمين .

فصـــل
في بكاءِ الأهلِ والإخوان

قلتُ : هذا الفَصْلُ كانَ موضِعَه صدْرُ الكتابِ ، إذْ كانت المنازِلُ والدِيّارُ إنَّما تُبكى لِسكَّانِها مِنَ الأهل والإخوانِ والأَحباب ، لكني أخَّرْتُه لِأَخْتِمَ به الكتاب .

رُوِيَ عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضوانُ الله عليه أنَّه كان كثيراً ما يتمثَّلُ بهذا الشعر :

أَلا قد أرى واللهِ أنْ لستُ منكمُ ... ولا أنتُمُ منّي وإنْ كنتمُ أهْلي [1]

وانّي ثَوِيٌّ قد أحَمَّ انطلاقُهُ ... يُحيِّيه مَنْ حيَّاهُ وهو على رحْلِ [2]

وَمنطلقٌ منكم بغير صَحابَةٍ ... وتابعُ إخواني الذينَ مضوا قَبْلي

أَلَمْ أكُ قدْ صاحَبْتُ عَمْراً وما لِكاً ... وَأَدْهمَ يعْدو في فوارِس أوْ رَجْلِ

وَصاحَبْتُ شيباناً وصاحبتُ ضابئاً ... وصاحَبَني الشُّمُّ الطِّوالُ بنو شِبْلِ

أولئِكَ إخواني مَضَوْا لسبيلِهم ... يَكادُ يُنسّيني تذكُّرُهم عَقْلي

---

(١) الأبيات في « أمالي اليزيدي » : ٨٤ .

(٢) قال اليزيدي : وروى إسحاق : قد أجم .

يقولُ أُناسٌ أَخلياءُ تَناسَهُمْ ... وَليسَ بناسٍ مِثلَهُم أبداً مِثلي[1]

أُلاكَ أَخلَّائي إذا ما ذَكرْتُهُم ... بكَيتُ بعينٍ ماءُ عَبرتِها كُحلي

وكانُوا إذا ما القُرُّ هَبَّتْ رياحُهُ ... وَضَمَّ سوادُ اللَّيل رَحلاً إلى رَحْلِ

يُدِرُّونَ بالسيفِ الوريدَيْنِ والنَّسا ... إذا لم يَقُمْ داعي أُناسٍ إلى رِسْلِ

إذا ما لَقُوا أَقرانهم قَتلُوهُمُ ... وإنْ قُتِلُوا لم يَقْشَعِرُّوا مِنَ القَتْلِ

فكمْ مِنْ أَسِيرٍ قد فككتُمْ قيودَهُ ... وَسَجْلِ دَمٍ أَهرَقْتُموهُ على سَجْلِ

وقال يزيد بن ضَبَّة بن مُقْسِم[2] :

لَمْ يَنْسَ سَلْمى فُؤادُكَ السَّدِكُ ... وكَيفَ تَصبُو وأَنتَ مُحتَنِكُ[3]

لو كانَ ما واحداً هَواكَ لَقَدْ ... أَقصَرْتَ لكِنْ هَواكَ مُشتَرَكُ[4]

تقولُ سَلمى واستنكَرتْ عَجباً ... ما بالُ أشياءَ مِنكَ تُنْتَهَكُ

---

(١) في « أمالي اليزيدي » : يقول رجال . . .

(٢) ضبة أمه ، غلبت على نسبه ، لأن أباه مات وخلفه صغيراً ، واسمه يزيد ابن مقسم الثقفي مولى ثقيف ، وكان منقطعاً إلى الوليد بن يزيد في حياة أبيه متصلاً به لا يفارقه ، فلما ولي هشام الخلافة ، وتنكر له، صار إلى الطائف ، فلم يزل مقيماً بها إلى أن ولي الوليد الخلافة ، فوفد عليه فأدناه وضمه إليه وأكرمه .

(٣) السدك : المولع بالشيء ، والمحتنك : الرجل المتناهي عقله وسنّه، واحتنك الرجل ، أي : استحكم .

(٤) « ما » في قوله : لو كان ما واحداً : زائدة .

فقلتُ مِنْ تَرْحَةٍ ومِنْ أَسفٍ أَنْباءُ عَوْفٍ ومالكٍ هلكوا
خَلَّوا فِجاجاً عليَّ فانخرَقَتْ لَمْ يَستطِعْ سَدَّهُنَّ مَنْ تَركوا

وقال وُعَيْل العبسي :

أَلَمْ تَرَني بعـد الذينَ تتـابَعوا وكانُوا الأُلَى أُعْطي بهم وأُمانِعُ
كَذيْ وقَراتٍ كِدْنَ يَكسِرْنَ عَظْمَهُ ولن تُلْبِثَ العظمَ الصحيحَ القوارِعُ
فإنّي وتأميلي الحياةَ وقد مَضَوْا كَمحتبسٍ عن مَطْلَعٍ وهو طالِعُ

وقال مَقّاسُ بن شَريك بن عمرو حَليفٌ لبني شيبان [1] :

بكيت شَريكاً في الغُوارِ وأسوَداً وذو العَلْق حتى ما بعَيْنيَّ مِنْ بَلَلْ [2]

---

(١) مقاس : لقب لُقِّبَ به ، لأن رجلاً قال : هو يمقس الشعر كيف شاء ، أي : يقوله . وقال ابن الكلبي : سمي مقاساً بقوله :

مقست لهم ليـــل التمام بفتية إلى أن بدا خيط من الفجر طالع

واسمه مسهر بن النعمان بن عمرو من بني خزيمـة من لؤي بن غالب ، لأنهم عائذة قريش ، وعائذة أمهم . قال الآمـدي في « المؤتلف والمختلف » : ١٠٧ : ومقاس : شـــاعر محسن كان مجاوراً لبني أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان ، وهو القائل يرثي شريك بن عمرو بن قيس . . . ثم ذكر الأبيات . وفي « الأمالي » ٥٦/١ خبر له مع هشام بن عبد الملك . ترجمته في « السمط » ٢١٢ و « معجم المرزباني » ٣٣١ ، و « المؤتلف والمختلف » ١٠٧ .

(٢) في « المؤتلف والمختلف » : في المغار ... وذا العلق .

رجالاً لهم رِبْعيَّةُ المَجْدِ لم يَخَفْ ... مُجاوِرُهم ريبَ الحَوادِثِ والزَّلَلْ
وكُنَّا بهم نَرْعَى الجميعَ ونأكل الـ ... رَّبيعَ ونكفي حامِلَ الغُرْمِ ما حَمَلْ [1]

وقال ابن المعتز :

لِلّهِ أَقْوامٌ فَقَدْتُهُمُ ... سَكَنُوا بُطونَ الأَرضِ والحُفَرا [2]
مَرِدَ الزَّمانُ عليَّ بعدَهُمُ ... وَعرَفْتُ طولَ الهمِّ والسَّهَرا

وقال نَهارُ بنُ تَوْسِعَةَ [3] يرثي أخاه عِتْبان :

---

(١) في « المؤتلف والمختلف » : ونكفي حامل الأصل ما احتمل . وما هنا أجود .

(٢) البيت الأول في « زهر الآداب » ٧٧٨/٢ ضمن قصيدة مطلعها :

أخنى عليك الدهرُ مقتدراً ... والدهرُ ألأم غالب ظفرا

(٣) هو نهار بن توسعة بن تميم بن عرفجة بن عمرو بن حنتم بن عدي بن الحارث بن تيم الله بن ثعلبة أحد شعراء بكر بن وائل هو وأبوه توسعة ، وهو شاعر أموي ، قال التبريزي : وكان أشعر بكريٍّ بخراسان ، وهو القائل :

أبي الاسلام لا أبَ لي سواه ... إذا هتفوا ببكر أو تميم
دعيُّ القوم ينصر مدّعيه ... فيلحقه بذي النّسب الصميم
وما كرمٌ ولو شرُفت جدودٌ ... ولكنّ التقيّ هو الكريم

ترجمته في « الشعر والشعراء » ٥٢١ ، و « المؤتلف والمختلف » ٢٩٦ ، و « السمط » ٨١٧ .

عِتْبانُ قد كنتُ امرءاً ليَ جانِبٌ — حتى رُزِئْتُكَ والجُدُودُ تَضعضَعُ [١]

قد كنتُ أَشْوَسَ في المَقادَةِ سادِراً — فنظَرْتُ قصدي واستقامَ الأَخْدَعُ [٢]

وفقَدتُ إخواني الذينَ بعيشِهِم — قد كنتُ أُعطي ما أَشاءُ وأَمْنَعُ

فلِمَنْ أقولُ إذا تُلِمُّ مُلِمَّةٌ — أَرِني برأْيكَ أوْ إلى مَنْ أَفْزَعُ [٣]

وقال البَراء بنُ رِبْعيّ :

أَبَعْدَ بنيّ أُمّي الذينَ تتابَعُوا — أُرَجّي حياةً أو مِنَ الموتِ أَجْزَعُ [٤]

ثمانيةٌ كانوا ذُؤابةَ قَوْمِهِم — بهم كنتُ أُعطي ما أَشاءُ وأَمْنَعُ

وكانوا كنَبْلِ المُرْتَمى في كِنانةٍ — فأَضْحَتْ وما فيها مِنَ النَّبْلِ أَهْزَعُ [٥]

---

(١) الأبيات في « الحماسة » ٣/٩ بشرح التبريزي .

(٢) في « الحماسة » : في المقامـــة ، والشوس : النظر في اعتراض كنظر الغضبان والكاره للشيء المعرض عنه ، والسادر : الذاهب عن الشيء ترفعاً ، وقوله: « فنظرت قصدي » أي : حيث أقصد ومكان قصدي ، والأخـــدع : عرق في العنق ، يقال للمتكبر : لأقيمن أخدعيك ، أي : لأذهبن كبرك .

(٣) في « الحماسة » : أم إلى من أفزع .

(٤) الأول والثاني في « الحماسـة » ٢/١٦٧ بشرح التبريزي ، و « المؤتلف والمختلف » ١١٩ ، و « شرح المضنون به على غير أهله » ٣٤٤ .

(٥) في « اللسان » : والأهزع من السهـام : الذي يبقى في الكنانة وحده، وهو أردؤها ، وقيل : الأهزع : خير السهام وأفضلها تدخره لشديدة ، وقيل : هو آخر ما يبقى من السهام في الكنانة جيداً كان أو رديئاً .

وقال أبو كبير الهذلي :

وَلُربَّ مَنْ طَأطَأْتُهُ في حُفْرَةٍ مِنْ كلِّ مُقْتَبَلِ الشَّبابِ مُحَبَّرِ (١)
ثم انْثَنَيْتُ فلا أَبُثُّكَ خَيْبَتي رَعِشَ القِيامِ أَمِيسُ مَيْسَ الأَصْوَرِ (٢)

وقال آخر :

أصبحتُ بعدَ مُضَرَّسٍ ومُغَلَّسٍ غَرَضاً بصَرْدَحَةٍ لِمَنْ راماني (٣)
فلأَزْمِيَنَّهُمُ برَغْمِ أنوفِهم أبداً على عَدَمٍ مِنَ الفِتْيانِ

أنشد أبو زيد عن المفضل :

أَخٌ لا أخا لي غيرَهُ غيرَ أنَّني كراعي الخيالِ يستطيفُ بلا فِكْرِ
فإنَّ حَراماً أَنْ أرى الدَّهرَ باكِياً على إلْفِهِ إلّا بَكَيْتُ على عمرو

وقال هُذَيْلَةُ بنُ سَماعة بن أشوَل (٤) :

---

(١) البيتان في « ديوان الهذليين » ١٠٢/٢ وفيه : ولرب من دليته ... كالسيف . ومقتبل الشباب : مستأنفه ، ومحبر : محسَّن مزيَّن .

(٢) سبق أن استشهد المصنف بهذا البيت في مقدمته ، وهو في « ديوان الهذليين »: ثم انصرفت فلا أبثك حيبتي ... رعش الجنان أطيش فعل ... وحيبته : سوء حاله، والرجل الأصْوَر : الذي فيه صور إلى أحد شقيه ، وذلك أنه انشناج في أخادعه فيصور .

(٣) الصردحه : الصحراء التي لا تنبت ، وهي غلظ من الأرض مستو .

(٤) لم نقف له على ترجمة ، وقد أورد ياقوت في « معجمه » : قنا : البيت الخامس ، ونسبه لمسلمة بن هذيلة .

وعـاذلةٍ باتتْ بلَيْلٍ تلُومُني ... فبتُّ كأنَّ الهمَّ قِرْنٌ أُجاذِبُهْ

ذَكَرْتُ بني سَهْلٍ وبيني وبينَهُم ... شِراجُ الحِمى أرْكانُه ومناكِبُهْ

أَجِدِّيَ لنْ أَلقى زياداً ولا أرى ... قَناناً يَقُودُ الخيلَ شُعْثاً ذوائِبُهْ

ولا مِثلَ فِتيانٍ تَوَلَّوْا لِمَنعِـجٍ ... عَجالي إذا ما الخوفُ أوْضَعَ راكِبُهْ

رِجالاً لو أنَّ الصُّمَّ مِنْ جانبي قَناً ... هَوَتْ مِثلَهُم منه لَزَلَّتْ جوانِبُهْ

وقال الفرزدقُ هَمَّامُ بن غالب يرثي همام بن ناشِرَة أحد بني عامر [(١)] :

وَقَتْنتُ فأبكتني بدارِ عشيرَتي ... على رُزْئِهِنَّ الباكِياتُ الحَواسِرُ [(٢)]

غَدَوا كسُيُوفِ الهِنْدِ وُرَّادَ حَوْمَةٍ ... مِنَ المَوْتِ أَعْيا وِرْدُهُنَّ المَصادِرُ

مُحامِينَ حامَوا عن حَريمٍ وحافَظوا ... بدارِ المنايا والقَنا مُتشاجِرُ [(٣)]

كأنَّهُمُ تحتَ الخَوافِقِ إذْ غَدَوا ... إلى الموتِ أُسْدُ الغابَتَيْنِ الهَواصِرُ

ولو أنَّ سلمى نالها مِثلُ رُزْئِنا ... لَهُدَّتْ ولكنْ تَحمِلُ الرُّزْءَ عامِرُ

عن الشَّعبي قال : كنتُ عند عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضوانُ الله عليهما ، فأنشدْتُه قَولَ حارثة بن بدر الغُداني :

---

(١) في الديوان : وقال في عبد الله بن ناشرة أحد بني عامر من بني زيد مناة وهم في بني مجاشع .

(٢) ديوانه : ٢٦٧/١ .

(٣) في الديوان : فوارس حاموا .

وكانَ لنا نَبْعٌ يَقيناً فُروْعُهُ ... فقدْ بَلَغَتْ إلّا قَليلاً عُرُوقُها [١]

وَشَيَّبَ رأْسي واسْتَخَفَّ حُلُومَنا ... رُعُودُ المنايا حولَنا وبُرُوقُها

وإنّا لَتَسْتَحْلي المنايا نُفُوسُنـا ... وتُتْرَكُ أُخرى مُرَّةً ما تَذُوقُها

رأيتُ المنـايا بادِياتٍ وَعُوَّداً ... إلى دارِنا سَهْلاً إلينا طَريقُها

وَقدْ قُسِّمَتْ نفسي فريقَينِ منهما ... فريقٌ مع الموتى وعندي فريقُها

فقال لي ابن جعفر رضي الله عنهما : نحنُ كنَّا أَحقَّ بهذا الشِّعر ، وجاءَه غلامُه بدراهِمَ في منديل ، فقال : هذه غَلَّةُ أرضكَ بمكانِ كذا وكذا ، فقال : أَلْقِها في حِجْر الشَّعبي ، فرمى بها إليَّ .

وقال أبو دُوادُ الإيادي :

لا أُعدُّ الإقْتارَ عُدْماً ولكنْ ... فَقْدُ مَنْ قـد رُزِئْتُه الإعدامُ [٢]

مِنْ رِجالٍ مِنَ الأَقارِبِ فادُوا ... مِنْ خِذامٍ هُمُ الرُّؤوسُ العِظامُ [٣]

---

(١) الأبيات مع الخبر في « الأغاني » ٢٣/٤٦٧ ، ٤٦٨ .

(٢) ديوانه : ٣٣٨ ، و « الأصمعيات » ٢١٥ . الاقتار : قلة المـال وضيق العيش ، والعدم والاعدام : الفقر .

(٣) في الأصل تحت كلمة : « فادوا » ما نصه : يريد ماتوا ، وتحت قوله : خذام : قبيلة ، وفي « الاصمعيات » : من حـذاق ، وحذاق : قبيلة من إياد كما في « الشعر والشعراء » : ١٩٠ ، والذي في « الاشتقاق » : ١٦٩ حـــذاقة ، ـ

مِنْ رجالٍ أَبُوهُمُ وأبي عَمْروٌ وكعبٌ بيضُ الوُجوهِ وِسامُ (١)

وشَبابٍ كأنهم أُسْدُ غِيلٍ حالفَتْ فَرْطَ حَدّهـا الأَحلامُ (٢)

وكُهولٍ بَنى لهـمْ أَوّلُوهُمْ مَأْثُراتٍ يَهابُهـا الأَقوامُ

فيهِمُ لِلْمُلايِنِيـنَ أَناةٌ وعُرامٌ إذا يُرادُ العُرامُ (٣)

وَسماحٌ لدى السّنينَ إذا ما قَحَطَ القَرُّ واسْتَقَلَّ الغَمامُ (٤)

سُلِّطَ المَوتُ والمَنونُ عليهِمُ فلَهُم في صَدى المَقابرِ هـامُ (٥)

وكذاكُم يصيرُ كلُّ أُناسٍ سَوفَ حَقّاً تُبليهِمُ الأَيّامُ

– ونص عليها في « القاموس » و « اللسان » ، وزاد في « اللسان » أنه ورد في شعر أبي دواد « حذاق » بغير هاء .

(١) في « الأصمعيات » : ورجالٌ أبوهم ...

(٢) في « الاصمعيات » : خالطت فرط حدّهم أحلام . والغيل : الأجمة ، وهي الشجر الكثير الملتف ، والحد : الحدة والغضب ، وفرطها : غلبتها وإسرافها. وفي الاصل تحت قوله : « حالفت ... » : يريد خالط حدتهم حلم .

(٣) في « الاصمعيات » : فيهم للملائمــين ، والملائم : الموافق ، وأناة : تأنٍّ ورفق وصف بالمصدر ، والعرام : الشدة والقوة والشراسة .

(٤) القر : البرد ، واستقل : ارتفع . وفي « الاصمعيات » : قحط القطر واستقل الرّهام . والرهام : الامطار الضعيفة ، الواحدة : رهمة ، بكسر الراء .

(٥) الهام : جمع هامة ، وكانوا يزعمون أن عظام الميت – وقيل : روحه – تصير هامة فتطير ، ويسمونه الصدى ، فنفاه الاسلام ، ونهاهم عنه ،

فعلى إثْرِهم تَساقَطُ نفسـي حَسَراتٍ وذِكْرُهم لي سَقـامُ

وقال الشريف الرضي رضي الله عنه :

بني أبي قد رمى فيكم بشِكَّتِهِ ونالَ ما شاءَ هذا الأزْلَمُ الجَذَعُ (١)

كُنْتُم نُجوماً لَدى الدَّهْناءِ زاهِرَةً تُضيءُ منها الدَّياجي السُّودُ والدُّرَعُ (٢)

إنْ تَخْبُ أنْوارُكم مِنْ بعدِ ما صَدَعَتْ ثَوْبَ الدُّجى فَلِضَوْءِ الصُّبحِ مُنْقَطَعُ

أرْسى النَّسيمُ بنادِيكُم ولا بَرِحَتْ حَوامِلُ المُزْنِ في أجداثِكم تَضَعُ

وقال زبَّانُ بن منظور بن سيَّار :

لئنْ فُجِّعْتُ بالقُرَناءِ يوماً لقد مُتِّعْتُ بالأمـلِ البعيدِ (٣)

وما تجِدُ المنيَّةُ فوقَ نفسي ولا نَفْسِ الأحبَّةِ مِنْ مَزيدِ (٤)

---

(١) ديوانه : ٦٤٦/١ ، ويقال للدهر الشديد الكثير البلايا : الأزلم الجذع ، أي : الحدث الذي لا يهرم .

(٢) الليالي الدُّرَع : هي الثلاث التي تلي البيض ، وهي ليلة ست عشرة وسبع عشرة وثمان عشرة ، وذلك لان بعضها أسود وبعضها أبيض .

(٣) الأبيات في « ذيل الأمالي » ٥١ ، و « تهذيب ابن عساكر » ٣٦٦/٢ . وفي الذيل : « لئن فجِّعتُ بالقرباء مني » .

(٤) في الذيل : « وما تبغي المنية حين تأتي .. على أدنى الأحبة .. » وفي « تهذيب ابن عساكر » : وما تجد المصيبة ..

أَلسنا أنْفُساً وبني نُفُوسٍ ولسنا بالسِّلام ولا الحـديدِ (١)

قال الأَصمعيُّ : أنشدني المذحجي لأمِّ معدان الأنصاريَّة :

لا يُبْعِدِ اللهُ فتياناً رُزِئْتُهم بانُوا لِوَقْتِ مناياهُم فقد بَعُدُوا

أضحتْ قُبورُهم شتّى ويجمعُهم رَوُّ المنونِ ولم يَجْمَعْهُمُ بَلَدُ (٢)

مَيْتٌ بمِصْرٍ ومَيْتٌ بالعراقِ ومَيْـ ـتٌ بالحِجازِ منايا بينهم بَدَدُ

دَعَوْا من المجدِ أكْنافاً إلى أجلٍ حتى إذا بلغت أظماؤهم وردوا

كانتْ لهم هِمَمٌ فرَّقْنَ بينهمُ إذا القَعاديدُ عَنْ أمثالِها قَعدوا

فِعْلُ الجميلِ وتفريجُ الجليلِ وإعْـ ـطاءُ الجزيلِ إذا لم يُعْطِهِ أحدُ

قلتُ : لي أبياتٌ تشبهُ معنى هـذه الأبيات ، وهي شَرْحُ حالٍ صحيحةٍ ، لا على مذهب الشُّعراء ، وذلك أنني مَرَّ بي قولُ رسول الله ﷺ « مَنْ زارَ قَبْرَ أبوَيْهِ أوْ أحدَهُما في كل جُمُعَةٍ غُفِرَ لَهُ ، وكُتِبَ بَرّاً »(٣) فآسفني ما حُرِمْتُه مِنْ زيارتِهِما وشتاتِ شَمْلِنا أحياءً وأمواتاً ، فقلت :

نافسَتْني صُروفُ دهري في الفو ز ببرِّ الآباءِ في الرَّجَمِ

لوْ كُنتُ أسْطِيعُ أنْ أزُورَهُما مَشْياً على الرأس لا على القَدَمِ

(١) في « الذيل » و « التهذيب » : خلقنا أنفساً وبني نفوس .

(٢) في الأصل تحت قوله : رو المنون ، مانصه : الرو : الهلاك واختلاف المنية.

(٣) رواه الحكيم الترمذي والطبراني عن أبي هريرة ، قال الهيثمي : فيه عبد الكريم أبو امية : ضعيف .

بادَرْتُ أمشي إلى ثرَى جَدَثي أعزّ أهلي عليَّ كالقلمِ

لكنْ بمصر قَبْرٌ وفي شَيْزَرٍ قَبْرٌ وداري بمنتأى العَجَمِ

والظُّلْمُ في الأرض مانِعي كل ّما أبْغيهِ حتى زيارة الرِّمَمِ

وما ظَنَنْتُ الذي لقيتُ مِنَ الدْ دُنيا تَراهُ عَيناي في الحُلُمِ

وقال آخر :

وكانوا بني كنٍّ كَنينٍ فأصبحوا بني الأَرض قد وارَتْهُم غيرَ واحدِ

وقد خُطَّ لِلباقي المُخَلَّفِ أنَّهُ لِما وَردوا مِنْ حَوْمَةِ الموتِ وارِدِ

وقال أبو ذُؤيب الهذلي واسمهُ خُوَيلد بن خالد، وهَلَكَ له بَنُون خمسة في عام واحد أصابهم الطَّاعُون، وكانوا توَجَّهُوا إلى مصر :

أَمِنَ المَنُونِ ورَيْبِها تَتَوَجَّعُ والدَّهرُ ليس بمُعْتِبٍ مَنْ يَجْزَعُ [1]

قالتْ أُمَيْمَةُ ما لِجِسمِكَ شاحِباً مُنذُ ابْتَذَلتَ ومِثلُ مالِكَ يَنْفَعُ [2]

---

(١) « ديوان الهــذليين » ١ ، و « المفضليات » ٤٢١ ، و « جمهرة أشعار العرب » ٢٤١ ، قال الشعبي : المنون : الدهر ، سمي منوناً ، لأنه يذهب بالمنة ، بضم الميم وتشديد النون ، أي : القوة . وريبه : ما يأتي به من الفجائع ، وقيل : المنون : هي المنية ، وعلى التفسير الأول روي « وريبه » بتذكير الضمير ، وعلى الثاني روي « وريبها » بمعتب ، أي : ليس الدهر بمراجع من جزع منه ما يحب ، والعتبى : المراجعة .

(٢) الشاحب : المتغير المهزول ، ويروى : « ما لجسمك سائياً » أي : يسوء

أَمْ ما لِجَنْبِكَ لا يُلائِمُ مَضْجَعاً ... إلَّا أَقَضَّ عليكَ ذاكَ المَضْجَعُ (١)

فأَجَبْتُها أنْ ما لِجِسمي أنَّهُ ... أوْدى بَنِيَّ مِنَ البِلادِ فودَّعوا (٢)

أوْدى بَنِيَّ وأعقَبوني حَسْرَةً ... بعدَ الرُّقادِ وعَبْرَةً ما تُقْلِعُ (٣)

سَبقوا هَوَيَّ وأعنَقُوا لِهواهُمُ ... فَفُقِدْتُهم ولِكلِّ جَنْبٍ مَصْرَعُ (٤)

— من نظر إليه . و « ابتذلت » بالبناء للفاعل ، أي : امتهنت نفسك في الأعمال لموت من كان يكفيك أمر ضيعتك من بنيك « ومثل مالك ينفع » : أي : مثل مالك كثير يكفي صاحبه البذلة والامتهان ، فتشتري من العبيد من يكفيك أمر ضيعتك ويقوم عليها .

(١) أقض عليك : أي : صار تحت جنبك مثل القضض ، أي : الحصى ، يقول : كأن تحت جنبك حصى يقلقك ويمنعك النوم ، ويروى : أم ما لجسمك .

(٢) قال الأخفش : « ما » صلة إنما هو : أن لجسمي ، و « أن » الأولى في معنى خفض ، والثانية : في موضع رفع ، والمعنى : فأجبتها أن الذي بجسمي إيداء بنيّ ، والايداء : الهلاك ، وقال الأصمعي : « أن ما لجسمي » في موضع الذي ، يقول : إن الذي بجسمي غميّ لذهاب ولدي ونفادهم ، فهذا الذي تريْن بجسمي لذلك .

(٣) في « المفضليات » : وأعقبوني غصة . وقوله : بعد الرقاد : يريد أن حزنه يمنعه النوم حين ينام الناس .

(٤) في « ديوان الهذليين » و « المفضليات » : فتُخُرِّموا . وهوي : هواي بلغة هذيل ، أي : ماتوا قبلي ، وكنت أحب أن أموت قبلهم ، أعنقوا : أسرعوا ، وجعلهم كأنهم هووا الذهاب ولم يهووه ، وإنما ضربه مثلا .

وَلَبِثْتُ بعدَهُمُ بعيشٍ ناصِبٍ ... وأخالُ أني لاحِقٌ مُستَتبَعُ [1]

ولقد حَرَصْتُ بأنْ أدافِعُ عنهمُ ... وإذا المنيَّةُ أقبلَتْ لا تُدفَعُ

وإذا المنيةُ أنشبَتْ أظفارَها ... أَلْفَيتَ كلَّ تَميمَةٍ لا تَنفَعُ

فالعينُ بعدَهم كأنَّ حِداقَها ... كُحِلَتْ بشوْكٍ فهيَ عُوْرٌ تَدمَعُ [2]

حتى كأنّي لِلْحوادِثِ مَرْوَةٌ ... بصَفا المُشَقَّرِ كل يومٍ تُقْرَعُ [3]

وتَجَلُّدي للشامِتينَ أُريهِمُ ... أنّي لِرَيْبِ الدَّهرِ لا أتَضَعْضَعُ

وقال أبو ذُؤَيب أيضاً :

فإنَّكَ حقاً أيَّ نظرَةِ ناظِرٍ ... نظَرْتَ وَقُفٌّ دونَها وَوَقيرُ [4]

---

(١) في « ديوان الهذليين » و « المفضليات » : فغبرت . وناصب ، أي : ذي نصب بالتحريك وهو الجهد والتعب ، ومستتبع : مستلحق ، استتبع فلان فلاناً ، أي : ذهب به ، يقول : أنا مذهوب بي وصائر إلى ما صاروا إليه .

(٢) في « ديوان الهذليين » و « المفضليات » : سملت بشوك . والحداق : جمع حدقة بالتحريك ، وهي واحدة ، وإنما جمعها باعتبارها وما حولها .

(٣) المروة : حجر أبيض براق تقتدح منه النار ، ويقال لمن كثرت مصائبه : قرعت مروته . وصفا المشقر : حصن بالبحرين بهجر ، وفي « ديوان الهذليين » و « المفضليات » : بصفا المشرق ، والمشرق : مسجد الخيف بمنى ، وإنما خصه لكثرة مرور الناس به ، فهم يقرعون حجارته بمرورهم . يقول : أنا من كثرة المصائب كمروة يقرعها مرور الناس بها .

(٤) « شرح أشعار الهذليين » ١/٦٥ ، القف : موضع غليظ مرتفع لا يبلغ —

دِيارُ التي قالت غَداةَ لَقِيْتُها ... صَبَوْتَ أبا ذيبٍ وأنتَ كبيرُ

تَغَيَّرْتَ بعدي أو أصابَكَ حادِثٌ ... مِنَ الدَّهر أمْ مَرَّتْ عليكَ مَرُورُ (١)

فقلتُ لها فَقْدُ الأَحِبَّةِ إنَّني ... حَديثٌ بأرْزاء الكرامِ جَديرُ (٢)

فِراقٌ كنَغْضِ السِّنِّ فالصَّبْرَ إنَّهُ ... لِكُلِّ أُناسٍ عَثْرَةٌ وَجُبُورُ (٣)

نَغضُ السِّن : تحريكُها ، قال الله تعالى : (فَسَيُنْغِضُونَ إلَيْكَ رُؤوسَهُم) [الاسراء : ٥١] ، أي : يُحَرِّكُونها . ويُروى « كقيض السِّن » وقيضُها : انشقاقُها .

فأصبحتُ أمشي في دِيارٍ كأنَّها ... خِلافَ دِيارِ الكاهِلِيَّةِ عُورُ (٤)

ـ أن يكون جبلا ، وفي « أشعار الهذليين » : أي نظرة عاشق ... وقدس ... وقدس : جبل عظيم بنجد ، ووقير : ذكره ياقوت ولم يعين موضعه .

(١) قال السكري : مرور : مثل قتول : حال بعد حال ، ما يمر على الناس من الحوادث . قلت : الذي في « اللسان » و « التاج » : مُرور بضم الميم .

(٢) في « شرح أشعار الهذليين » : حري بأرزاء ، قال السكري : خليق بأن أرزأهم ، ويروى : خليق ، ويروى : حديث بأرزاء ، أي : أنا حديث العهد بأن رزئت قوماً جدير بأن أرزأهم .

(٣) قوله : الصبر ، أي : الزم الصبر على الاغراء ، وقوله : عثرة وجبور ، أي : يعثرون ثم يجبرون .

(٤) الكاهلية : من بني كاهل من هذيل .

يُقال : خَلَفٌ أعوَرُ : إذا كان فاسِداً ، يقول : هذه الدّارُ خَلَفٌ أعْوَرُ مِنْ هاتيك .

أُنادي إذا أُوْفي مِنَ الأَرض مَرْبَأً ... لِأَني سميعٌ لو أُجابُ بصيرُ (١)

وقال إبراهيمُ بن هَرْمَة :

تَفانَوا ولم يبقَوا وكلُّ قبيلةٍ ... سَريعُ إلى وِرْدِ الفَناء كِرامُها

وكَيفَ وقد صاروا عِظاماً وأَقْبُراً ... يَصِيحُ صَداها بالعَشِيِّ وهامُها

وقال أبو العيص بن حزام :

وكمْ مِنْ صاحِبٍ قـد ناءَ عنّي ... رُميتُ بفَقْدِهِ وهو الحبيبُ

فلمْ أُبْدِ الذي تُخْفي ضُلوعي ... عليـه وإنَّني لَأَنا الكئيبُ

مَخافـةَ أنْ يَراني مُستكيناً ... عَـدُوٌّ أو يُساء بهِ قريبُ

فيشْمَت كاشِحٌ ويَظنّ أني ... جَزوعٌ عنـد نائبةٍ تنوبُ

فَبَعْدَكَ مدّت الأَعداءُ طرْفاً ... إليَّ ورابَـني دهرٌ مُريبُ

وأنكرْتُ الزّمانَ وكلَّ أهْلي ... وهَرَّتني لغَيْبَتِـكَ الكَليبُ (٢)

---

(١) مربأ : أي أعلو شرَفاً ، والشرف : الارتفـاع حيث ينظر الربيئـة ، يقول : أنادي كلما أشرفت على مربأٍ من الأرض : يا دار أين أهلك ؟

(٢) في « اللسان » : الكليب والـكالب : جماعة الكلاب ، فالكليب كالعبيد ، وهو جمع عزيز .

وكنتُ تَقَطَّعُ الأَبصارُ دوني ... وإنْ وَغِرَتْ مِنَ الغيظِ القُلوبُ

وَيَمنَعُني مِنَ الأعداءِ أنّي ... وَإنْ رَغِموا لَمَخْشِيٌّ مَهيبُ

فلمْ أرَ مثلَ يومِكَ كان يوماً ... بَدَتْ فيهِ النُّجومُ فما تَغيبُ

وليلٍ ما أنامُ به طويلٍ ... كأني للنُّجوم بهِ رَقيبُ

وما يَكُ جائياً لا بُدَّ منهُ ... إليكَ فسوفَ تَجلِبُهُ الجُلوبُ

وقال كَثيرُ بنُ عبد الله ، وهو ابنُ الغُريرة وهي أمه[1] :

ألا مَنْ لِشَوْقٍ آخرَ اللَّيل شائقٍ ... وَقلْبٍ كَمكْسورِ الجناحَينِ خافقِ

وَصبٍّ حَزينٍ كُلَّما جَنَّ ليلُهُ ... تَذَكَّرَ ذِكرى مِنْ حَبيبٍ مُفارقِ

فلا تَعذُليني يابْنَةَ الخَيْرِ إنَّما ... تَخَرَّمَتِ الأيامُ مِني أصادِقي[2]

فاصبحْتُ رَهْناً بَعْدَهُمْ في دِيارِهِم ... كَمُستَوْثقٍ منهُ وليسَ بآبِقِ

وقال الحرثُ بنُ عَوْف الجُشَمي :

---

(١) هو كثير بن عبد الله بن مالك بن هبيرة بن صخر بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة ، مخضرم ، بقي إلى أيام الحجاج . والغريرة : أمه ، ويقال: جدته، وقد ورد ضبطها في الأصل وفي « الخزانة » ١١٨/٤ كما أثبتنا ، وهي في مصادر ترجمته : ابن الغَرِيزة . انظر « الأغاني » ط الدار ٢٧٨/١١ و « ذيل السمط » ٢٨ ، و « معجم الشعراء » ٢٤٠ .

(٢) أصادق : جمع صديق . تخرَّمتهم : استأصلتهم .

فإنْ تَكُنِ الحوادِثُ غيَّرَتني ... فلمْ أرَ هالكاً كابْني زِيادِ

هُما رُمحانِ خَطِّيانِ كانا ... مِنَ السُّمْرِ المُثَقَّفَةِ الجِلادِ

تُهالُ الأرضُ إنْ يَطآ عليها ... بمثلِهِما تُسالِمُ أو تُعادي

وقال تميمُ بن أبيّ بن مُقبل العَجْلاني :

تذكَّرْتُ إخواني الذينَ عَهِدْتُهُمْ ... كأنْ لمْ يَكُنْ شَكْلي لهمْ مرَّةً شَكْلا [1]

هَجرْتُهمُ مِنْ غيرِ بُغْضٍ ولا قِلىً ... ولكنَّ مَرَّ الدَّهر كان لهم شُغْلا

وقال محمد بن خالد بن الوليد بن عقبة [2] :

هلْ في الخُلودِ إلى القيامَةِ مَطْمَعُ ... أمْ لِلمَنونِ عنِ ابنِ آدمَ مَدْفَعُ

هيهاتَ ما للنَّفسِ مِنْ مُتأَخَّرٍ ... عنْ وَقتِها لوْ أنَّ عِلمَكَ يَنْفَعُ [3]

أينَ المُلوكُ وَعيشُهُمْ فيما مَضى ... وَزمانُهُمْ فيهم وما قد جَمَّعوا [4]

ذَهبوا ونحنُ على طَريقةِ مَنْ مَضى ... مِنهم فمَفْجوعٌ به ومُفَجَّعُ

---

(١) « ديوان ابن مقبل » ٢٠٣ وفيه : ... الذين هجرتهم . والشكل : الشبه والمثل .

(٢) قال المرزباني في ترجمته « المعجم » ٣٤٥ : محمد بن خالد بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، يتهم في دينه ، وهو القائل يرثي عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى . ثم أورد الأبيات .

(٣) في « معجم الشعراء » : لو أن علماً ينفع .

(٤) في « معجم الشعراء » : وزمانهم فيه .

عَثَرَ الزَّمانُ بنا فأوْهى عَظْمَنا إنَّ الزَّمانَ بمـا كرِهتَ لَمولَعُ (١)

وقال إبراهيم بن كَنَف (٢) :

تَعزَّ فإنَّ الصَّبْرَ بالْحرِّ أَجْمَلُ وليسَ على رَيب الزَّمانِ مُعوَّلُ

فلَوْ كانَ يُغْني أنْ يُرى المرءُ جازِعاً لِحادِثـةٍ أو كانَ يُغني التَّذلُّـلُ (٣)

لَكانَ التَّعَزّي عند كل مُصيبةٍ وَنائبةٍ بالْحُرّ أوْلى وأجْمَـلُ (٤)

فكيفَ وكلٌّ ليسَ يعدو حِمامَهُ وما لامرئٍ عمّا قَضى اللهُ مزْحَلُ (٥)

فإنْ تـكُنِ الأيَّامُ فينا تَبدَّلتْ ببُؤسى ونُعْمى والحوادِثُ تَفعلُ (٦)

فمـا ليَّنَتْ منَّا قناةً صَليبةً ولا ذَلَّلَتْنا لِلَّتي ليسَ تَجْمُلُ (٧)

---

(١) في « معجم الشعراء » : إن الزمان بما كرهنا مولع .

(٢) في « السمط » ٤٣٠ : إبراهيم بن كُنَيف ، شاعر إسلامي . وذكر الميمني أن الأصل كنف . قلت : والأبيات مع آخر في « الأمالي » ١٦٨/١ ، و « زهر الآداب » ٩٨٨/٢ ، والبيت الأول والخامس والسادس والسابع في « شرح الحماسة للمرزوقي » ٢٥٨/١ .

(٣) في « الأمالي » و « زهر الآداب » : جازعاً لنازلة أو ..

(٤) في « الأمالي » و « الزهر » : ونازلة بالحرّ ..

(٥) في « الزهر » : مما قضى الله مزحل .

(٦) في « الأمالي » : ببؤس ونعمى .. وفي « الزهر » بنعمى وبؤسى .

(٧) في « الأمالي » و « الزهر » : للذي ليس يجمل .

ولكن رَحَلْناها نفوساً أبيَّةً تُحَمَّلُ ما لا تَستَطيعُ فتَحْمِلُ (١)

وقال أبو الحسن علي بن محمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم :

هَبْني بَقيتُ على الأيام والأَبَدِ وَنِلْتُ ما شِئْتُ مِنْ مالٍ ومِنْ وَلَدِ

مَنْ لي برُؤيةِ مَنْ قد كُنتُ آلَفُهُم وَبالزَّمانِ الذي وَلّى فلمْ يَعُدِ

لا فارَقَ الُحزْنُ قلبي بَعْدَهُمْ أَبَداً حَتى يُفَرِّقَ بينَ الرُّوحِ والجَسَدِ

وقال آخر :

صَبَرْتُ ابْتغاءَ الأَجْرِ بعدَ جُوَيْلِدٍ وبعدَ رِزامٍ والنُّفُوس تَوالِفُ

وبعدَ الفتى فَجْرٍ ولَيْثٍ تتابَعا فلمْ يَبْقَ بَعْدَ الإلفِ إلّا المَعارِفُ

فقد جَعلَتْ نفسي تلَذُّ اتِّباعَهُمْ كما لَذَّ بَرْدَ الماءِ حَرّانُ صائِفُ

غاب شبيبُ بن البَرْصاء (٢) عن أهله غيبةً ثمَّ عاد بعدَ مدةٍ وقد مات جماعةٌ من أهله وبني عمه فقال :

---

(١) في « الأمالي » و « الزهر » :

ولكن رحلناها نفوساً كريمة تُحمّل ما لا يستطاع فتحمل

وبعده :

وقينا بعزم الصبر منا نفوسنا فصحّت لنا الأعراض والناس هُزّل

(٢) شبيب بن يزيد بن جبرة ، وأمه: قِرصافة بنت الحارث بن عوف بن أبي حارثة ، لقبت البرصاء لشدة بياضها ولم يكن بها برص . وقيل : إنما سميت ـ

تَخَرَّمَ الدّهرُ إخواني وغادرني كما يُغادَرُ ثورُ الطاردِ الفَرِدُ [١]

إني لباقٍ قليلاً ثمَّ لاحِقُهُمْ وَواردٌ مَنْهَلَ الحوْضِ الذي وَردوا [٢]

وقال العتبي [٣] :

ينامُ المُسْعَدونَ ومَنْ يَلومُ وتُوقِظُني وأُوقِظُها الهمومُ

صَحيحٌ بالنَّهارِ لِمَنْ يَراني ولَيْلي لا ينامُ ولا يُنيمُ

ـ بذلك لبرص حدث بها ، وذلك أن النبي ﷺ ، خطبها إلى أبيها فقال: إن بها وضحاً ، فأصابها ذلك ، ولم يكن بها . وشبيب شاعر فصيح إسلامي من شعراء الدولة الأموية ، بدوي ، لم يحضر إلا وافداً أو منتجعاً . ترجمته في « السمط » ٦٣٠ و « الأغاني » ط الدار ٢٧١/١٢ والخبر فيه ص ٢٧٧ .

(١) في « الأغاني » ٢٧٧/١٢ : الطارد الفئد . والفئد : الذي يشكو فؤاده.

(٢) في « الأغاني » : ثم تابعهم ووارد منهل الحوض ..

(٣) أبو عبد الرحمن العتبي ، محمد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان . قال المرزباني : بصري علامة ، راوية للأخبار والآداب وكان حسن الصورة جميل الأخلاق ، وبلغ سناً عالية ، وكان حسن الخضاب ويلبس الطيالسة الزرق ، فلقب الشَّقِرّاق للون خضابه وشدة حمرة وجهه وتلون طيالسته . وتتابعت على العتبي مصائب بالذكور من ولده في الطاعون الكائن بالبصرة سنة تسع وعشرين ومئتين وقبل ذلك ، فمات منهم ستة ، فرثاهم بمراثٍ كثيرة . ترجمته في « معجم الشعراء » ٣٥٦ و « تاريخ بغداد » ٣٢٤/٢ و « وفيات الأعيان » ٣١/٤ و « شذرات الذهب » ٦٥/٢ .

كأنَّ اللَّيـلَ محبُوسٌ دُجاهُ   وأَوَّلُهُ وآخِرُهُ مُقيمُ
لِمَهْلِكِ فِتْيَةٍ تَرَكوا أَباهُمْ   وأَصغَرُ مـا بهِ منهم عظيمُ
يُذكِّرُنيهمُ ما كُنْتُ فيـهِ   فسِيَّانِ المَساءَةُ والنَّعيمُ
فبالخَدَّينَ مِنْ دَمْعي نُدوبٌ   وبالأَحْشاء مِنْ وَجْدي كُلُومُ
فإنْ يَهلِكْ بَنيَّ فليسَ شيءٌ   مِنَ الدنيا على أَحَـدٍ مُقيمُ

وقال أبو زُبَيْد الطائي [١] :

مَنْ رأى العيرَ لابن أزوى على   ظَهرِ المَرْوَرى حُداتُهُنَّ عِجالُ [٢]
مُصْعِداتٍ والبيتُ بيتُ أبي وَهْـ   ـبٍ خَلاءٌ تَهبُّ فيهِ الشَّمالُ

---

(١) هوالمنذر بن حرملة الطائي القحطاني ، أبو زبيد (٠٠ - نحو ٦٢ هـ) : شاعـــر معمّر ، من نصارى طيىء ، عاش زمناً في الجاهليـــة ، وكان يزور الملوك ، ولا سيما ملوك العجم لعلمه بسيرهم ، وأدرك الاسلام وقيل انه أسلم ، وكان يدخل مكة متنكراً ، مات في الكوفة أو في باديتها في زمن معاوية . ترجمته في « الأغاني » ١٢/١٢٧ ط الدار . و « الشعر والشعراء » ٢٦٠ ، و « الخزانة » ٢/١٥٥ و « المعمرين » ٨٦ ، و « اللآلي » ١١٨ ، ورجح صاحب « الأغاني » أن اسمه حرملة بن المنذر .

(٢) البيت في « الأغاني » ط الدار ٤/٣٢٦ ، و « الشعر والشعراء » ٢٦١، وهو من قصيدة أورد أبياتاً منها ابن قتيبة ، قالها المنذر عندما عزل عثمانُ الوليدَ بن عقبة عن الكوفة ، وحدّه في الخمر ، وكان المنذر ينادمـه . وابن أروى : هو الوليد، وأروى : أمه وأم عثمان بن عفـان . المروری : جمع مروراة ، وهي الصحراء . وفي « الشعر والشعراء » : المُروّى ، وهو موضع .

يَعرِفُ الجاهِلُ المُضَلَّلُ أنَّ الدْ دَهرَ فيهِ النَّكراءُ والزَّلْزالُ
لَيتَ شِعْري كذاكُمُ العهدُ أمْ كا نوا أُناسٌ كمَنْ يَزولُ فزالوا
بَعْدَ ما تعلَمينَ يا أُمَّ زيدٍ كانَ فيهم عِزٌّ لنا وجَمالُ
مِنْ وجوهٍ بوُدِّنا مُشرِقاتٍ ونَوالٍ إذا أُريدَ النَّوالُ

وقال البُرَيْقُ بن عياض الهذلي [١] :

ما إنْ أبو زَيْدٍ برَثٍّ سِلاحُهُ جَبانٍ وما إنْ وَجْهُهُ بدَميمِ
وكُنتُ إذا الأيّامُ أحدَثْنَ نَكبةً أقولُ شَوىً مالمْ يُصِبْنَ صَميمي [٢]

يقال : رمى فأصمى : إذا أصابَ مَقْتَلاً . ورمى فأشوى : إذا لم يُصِبْ مقتلا .

أَصبْنَ أبا زَيْدٍ ولا حَيَّ مِثلُهُ وكانَ أبو زَيْدٍ أخي وحَميمي [٣]

---

(١) هو البُرَيق بن عياض بن خويلد الخُناعي ، وورد شعره في « شرح أشعار الهذليين » ٧٤١/٧٦٠ والأبيات فيه ص ٧٤٤ - ٧٤٥ . وفي « ديوان الهذليين » ٣/٦٠ . وجاء فيه : البريق - واسمه عياض بن خويلد .

(٢) في « شرح أشعار الهذليين » : أحدثن هالكاً . قال السكري : إذا هلك هالك قلت : هـذا أمر شوىً ، أي : يسير هيّن ، ما لم تقع المنية بالصميم وتقصد له .

(٣) في « شرح أشعار الهذليين » : أخي ونديمي .

فأصبحْتُ لا أدعو مِنَ النَّاس واحداً ... سِوى وِلْدَةٍ في الدّارِ غيرَ حَكيمِ

يقول : لم يبق الموت إلا الأطفال .

كأنَّ عَجوزي لمْ تَلِدْ غيرَ واحدٍ ... وماتَتْ بذات الشَّري غيرَ عَقيمِ [1]

يقول : كانت كبيرةَ الولد فماتوا وبقيتُ أنا وحدي ، فكأنها لم تلِدْ غيري .

وقالَ وَضّاحُ اليمَنِ ، واسمُهُ عبدالرحمن بن إسماعيل بن عبد كلال [2] :

كأنيَ إذْ أُكَفْكِفُ دَمْعَ عَيْني ... وأنْهاهـا أَقُولُ لهـا هَريقي [3]

سأصبرُ للقَضـاء فكلُّ حَيٍّ ... سَيلقى سَكْرَةَ الموتِ المَذُوقِ

---

(١) كتب في الأصل تحت قوله : « ذات الشري » ما نصه : موضع ، والشري: الحنظـــل .

(٢) شاعر أموي ، رقيق الغزل ، كان جميل الطلعة يتقنّع في المواسم ، له أخبار مع عشيقة له اسمها روضة . من أهل اليمن ، قدم مكة حاجاً في خلافـة الوليد بن عبد الملك ، فرأى أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان زوجة الوليد، فتغزّل بها ، فقتله الوليد . ترجمته في « الأغاني » ٢٠٩/٦ و « الفوات » ٢٥٣/١ و « تهذيب ابن عساكر » ٢٩٥/٧ .

(٣) الابيـات من قصيدة رثى بها أخاه وأباه ، وهي بتمامها في « الأغاني » ٢٢٨/٦ — ٢٢٩ ومطلعها :

أراعك طائر بعد الخفوق ... بفاجعـة مشنّعـةِ الطروق

فما الدُّنيا بقائِمَةٍ وفيها مِنَ الأَحياء مِنْ عَيْنٍ دَمُوقِ [(١)]
فأغناهُمْ كأعْدَمِهِمْ إذا ما تَقَضَّتْ مُـدَّةُ العيشِ الرَّقيقِ
كذلكَ يُبْعَثُونَ وَهُمْ فُرادى لِيومٍ فيهِ تَوْفِيَـهُ الحُقوقِ

وقال أبو سعيد مولى فائد [(٢)] :

أثَّرَ الدَّهرُ في رجالي فقَلُّوا بَعْدَ جَمْعٍ فراحَ عَظْمي مهيضاً [(٣)]
ما تذَكَّرْتُهُمْ فتَمْلِك عيني فَيْضَ دَمْعي وحُقَّ لي أنْ تفيضا

وقال أيضاً :

أولئكَ قومي بعدَ عِزٍّ وَثَرْوَةٍ تَفانَوا فإلّا تَذْرِفِ العَيْنُ أكمَدِ [(٤)]
أرى أُسْرَتي في كلِّ يَوْمٍ وليلَةٍ يَروحُ بهم ريبُ المنونِ ويَغْتدي
كأنَّهم لا ناسَ لِلْموتِ غيرُهُمْ وإنْ كانَ فيهم مُنصِفٌ غيرُ مُعْتَدِ [(٥)]

---

(١) في « الأغاني » : من الأحياء ذو عين .

(٢) هو أبو سعيد مولى فائد ، وفي الأصل قائد . وفائد مولى عمرو بن عثمان ابن عفان رضي الله عنه . ترجمته في « الأغاني » ط الدار ٣٣٠/٤ .

(٣) البيتان في « الأغاني » ط الثقافة ٣٥٥/٤ . قال أبو الفرج : ومما قاله فيهم — أي : في قتلى بني أمية — وغني فيه ، على أنه قد نسب إلى غيره ، ثم ذكر الصوت الذي فيه البيتان .

(٤) البيتان ، الأول والأخير في « الأغاني » ٣٥٥/٤ .

(٥) في « الأغاني » : وإن كان فيهم منصفاً غير معتدي .

وقال نُصيب يرثي عبد العزيز بن مروان :

عَرَفْتُ وجَرَّبْتُ الأُمورَ فما أرَى ... كماضٍ تَلاهُ الغابِرُ المُتأَخِّرُ [١]

ولكنَّ أهل الفَضْل مِنْ أهل نِعمتي ... يمُرُّونَ أرْسالاً أمامي وَأَغْبُرُ [٢]

فإنْ أبْكِهِم أُعْذَرْ وإنْ أَغْلِبِ الأسى ... لِصَبْرٍ فمثلي عندما اشْتَدَّ يصْبِرُ [٣]

دخل نُصَيب على عبد الملك بن مروان فاستَنْشَدَهُ ما قال في أخيهِ عبد العزيز ، فلما أنشده هذه الأبيات بكى وقال : أنا كُنتُ أولى منك بهذا القول .

وقال عُصَيْمَة التميمي تيم الله بن ثعلبة :

وَلو أنَّ قومي مثلُ قومِ عُباعِب ... وإِخْوَتِهم ما استِيقَ ظُلْماً رَكائِبي

ولكنْ أصابَتهمْ خُطوبٌ وأَخطأَتْ ... رِجالاً أَرَوْني بالنَّهار كواكِبي

وقال أبو عبد الله القَزّاز وهو محمَّد بن جعفر النَّحوي من أبيات [٤] :

---

(١) الأبيات في « الأغاني » ٣٦١/١ مع خمسة أخرى تلتها .

(٢) في « الأغاني » : يمرون أسلافاً . الغـابر : الباقي ، قال تعالى : « إلا عجوزاً في الغابرين » وغبر من الأضداد يستعمل بمعنى ذهب وبقي .

(٣) في « الأغاني » : فان أبكه .

(٤) هو محمد بن جعفر التميمي ، أبو عبد الله القزاز (٣٤٢ - ٤١٢ هـ) : أديب عالم باللغة من أهل القيروان مولداً ووفاة ، والقزاز نسبة إلى عمل القز . له عدة –

وَاحَسْرَتا ماتَ إخواني وأَقْراني   وَشَتَّتَ الدَّهرُ خُلَّاني وأَعْواني [١]

وَغَيَّرتْ غِيَرُ الأَيَّامِ خالِصتي   والمُصطفى الحُرَّ مِنْ أَهْلي وجِيراني

وَصارَ مَنْ كُنتُ في السَّراءِ أذكُرُهُ   بلْ لستُ أنساهُ في الضَّراءِ ينساني

وقال الفقيه أبو طاهر إبراهيم بن خَفاجة المغربي :

أَإخواني ولا إخوانَ صِدقٍ   أُصافي بَعدكم إلّا الصفاحُ

لِحُسْنِ الصَّبْرِ دُونكمُ حرانٌ   وَلِلعَبَراتِ بعدَكمُ جِماحُ

فَدَيْتُكمُ بنفسي مِنْ كِرامٍ   يَهُزُّ بهِمْ مَعاطِفَهُ السَّماحُ

أرى بهمُ النُّجومَ وَلا ظَلامٌ   وأوضاحَ النَّهارِ ولا صباحُ

لَهمْ هِمَمٌ كما شَمَخَتْ جِبالٌ   وأَخْلاقٌ كما دَمِثَتْ بِطاحُ

قيل : إنَّ الرَّشيد استحضَرَ بعضَ جواري البرامكة بعد نَكْبَتِهِمْ وقال لها : غني فغَنَّتْ :

لَهفي على فتيةٍ ذَلَّ الزَّمانُ لَهمْ   فما يُصيبُهُمُ إلّا بما شاؤوا [٢]

- مؤلفات وشعر رقيق . ترجمته في « وفيات الأعيان » ٩/٤ ، و « بغية الوعاة » ٢٩ ، و « إرشاد الأريب » ١٠٥/١٨ .

(١) البيت والذي يليه في « إرشاد الاريب » ١٠٨/١٨-١٠٩ وروايته فيه :

واحسرتا مات أحبابي وخِلّاني   وشيَّبَ الدهر أترابي وأخداني

(٢) الأبيات عدا الأخير في « الأغاني » ٦٥/١ ، وهي مما غناه معبد للوليد ابن يزيد . وقد ورد البيت الاول في الجزء ١٩٩/٧ من « الاغاني » مع أبيات أخرى من قصيدة لأبي نواس ، وروايته : دارت على فتية .. فما أصابهم ..

أبكى فِراقُهم عيني وأرَّقها   إنَّ التَّفرُّقَ للأحبابِ بكّاءُ
مازالَ يَعدو عليهم رَيبُ دَهرِهِمُ   حتى تفانوا ورَيبُ الدَّهرِ عدّاءُ
فظَلْتُ أبكيهم طَوْراً وأَندُبُهُمْ   حتى انْثَنَيتُ وما في مُقلتي ماءُ

وقال آخر :

مَضوا بَدَداً عني وَخَلَّفَ بعدَهُمْ   بما سَرَّني في العيش قادِمَتا نَسْرِ[(١)]
فما أُغمِضُ الأجفانَ إلّا على قذىً   ولا أُقلبُ الجَنْبَيْنِ إلّا على جَمْرِ
وأصبحتُ أعفُو عن ذُنوبٍ كثيرةٍ   وأَحمِلُ زلّاتِ الصَّديقِ على الدَّهرِ
وأعذِرُ قوماً لو أُحاكِمُ بعضَهُمْ   إلى نَفسِهِ أَغْضى حياءً مِنَ الغَدْرِ

وقال آخر :

نَقَّبوا في البلادِ مِنْ حَذَرِ المَوْ   تِ وَجالُوا في الأرض كلَّ مَجالِ
ثمَّ صاروا إلى التي خُلِقُوا فيـ   ـها وكلٌّ مَصيرُهُ لِزوالِ

وقال آخر :

ثَوَى بينَ الحُرَيش وتَلِّ مَحرى   فوارِسُ مِنْ نُمارَةَ غيرُ ميلِ[(٢)]

---

(١) بدداً : متفرقين .

(٢) البيتان مع قصة لهما في « معجم البلدان » ٢/٤٠٧-٤٠٨ . وفيه : « الجَرِيش » بالجيم المعجمة . الميل : جمع أميل ، وهو الذي يميل على السرج في جانب ولا يستوي عليه ، وقيل : هو الذي لا سيف معه . وتل محرى : قال

فلا فَرِحينَ إنْ نعْماءُ وَافَتْ ولا جَزِعينَ للخَطْبِ الجليلِ [١]

وقال ابن الرومي :

قد كنتُ أبكي على مَنْ ماتَ مِنْ سَلَفي
وَأهلُ وُدِّي جَميعٌ غيرُ أشْتاتِ
فاليومَ إذْ فَرَّقتْ بيني وَبينَهُمُ نوىً بكيتُ على أهلِ المودّاتِ
وما حياةُ امرىءٍ أضحتْ مدامِعُهُ مَقْسُومَةً بينَ أحياءٍ وأمواتِ

وقالت عِنان جارية النَّطاف [٢] :

نفسي على حَسَراتِها موقوفةٌ فوَدِدْتُ لو خَلَصَتْ مِنَ الحَسَراتِ
لو في يديَّ حسابُ أيّامي إذاً خطْرَفتُهُنَّ تَعَجُّلاً لِوَفاتي [٣]
لا خيرَ بعدَكَ في الحياةِ وإنَّما أبكي مخافَةَ أنْ تطول حياتي

ـ ياقوت : بفتح الميم وسكون الحاء المهملة والراء والقصر ، وهو تل بحري ـ بالباء الموحدة ـ وتل البليخ ، وهي بليدة بين حصن مسلمة بن عبد الملك والرقة .

(١) رواية البيت في « معجم البلدان » :

فلا جزِعونَ إن ضَرّاءُ نابت ولا فرحون بالخير القليلِ

(٢) عنان جارية مولدة من مولدات اليمامة ، وبها نشأت وتأدبت ، فاشتراها الناطفي ورباها . انظر ترجمتها في « الأغاني » ط الثقافه ٢٢/٥٢١ .

(٣) في « اللسان » : تخطرف الشيء : إذا جاوزه وتعدّاه .

وقال الحُسينُ بن الضحّاك (١) :

تَحوَّنَ الدّهرُ مِنّا إذْ تَخوَّنهم ... ما لا يعودُ علينا آخرَ الأَبدِ

ياليتَ شعري إذا ما بَرْمَكٌ دَرَجتْ ... وأصبحَ الفرِحُ المسْرورُ ذا كَمدِ

هل يستَقِلُّ كيحيى بعدَهُ بشَرٌ ... أمْ هلْ يجودُ كجودِ الفضْلِ منْ أحدِ

وقال شُقران (٢) :

ذكرْتُ أبا أرْوى فبتُّ كأنّني ... بردِّ الأُمورِ الماضياتِ وَكيلُ (٣)

وإنَّ افْتقادي واحداً بعدَ واحدٍ ... دليلٌ على أنْ لا يدُومَ خليلُ

لكُلِّ اجتماعٍ منْ خليلَين فُرقةٌ ... وَكلُّ الذي دونَ الفِراق قليلُ

وقال أبو العتاهية (٤) :

كمْ مِنْ أخٍ لِيَ لا يُرى ... مُتصرِّفاً فيمنْ تَراهُ (٥)

---

(١) هو الحسين بن الضحاك بن ياسر الباهلي ، من مواليهم ، أو هو منهم ، أبو علي (١٦٢ - ٢٥٠ هـ) : شاعر من ندماء الخلفاء ، قيل : أصله من خراسان ، ولد ونشأ في البصرة وتوفي ببغداد ، ونادم الأمين . ترجمته في « الأغاني » ١٤٦/٧ و « وفيات الأعيان » ٤٢٤/١ و « تهذيب ابن عساكر » ٢٩٧/٤ و « تاريخ بغداد » ٥٤/٨ .

(٢) لعله شُقران مولى بني سلامان بن سعد ، عاصر ابن ميادة ، وكان بينهما هجاء . انظر « الأغاني » ٢٦٦/٢ ، ٢٦٩ .

(٣) كتب في الأصل فوق كلمة أروى : أوفى .

(٤) ديوانه : ٤٠٧ .

(٥) في الديوان : كم من أخ لك لا ترى .

أمْسى قريبَ الدارِ في الـ أجْداثِ قد شَحَطَتْ نَواهُ
قـد كانَ مُغتَرّاً بيو م وَفاتِـهِ حتى أتاهُ
الناسُ في غفـلاتِهِمْ والموتُ دائرَةٌ رَحاهُ
فالحمـدُ للهِ الذي يبقى ويَهْلكُ مَنْ سِواه (١)

وقال آخر :

أخِلّايَ مِنْ أهل القُبُورِ عليكُمُ السـ لامُ أمَا مِنْ دَعوَةٍ تسمَعُونَهـا
وَلا مِنْ كلامٍ تَرْجِعونَ جوابَهُ إلينا وَلا مِنْ حاجـةٍ تَطلُبُونَهـا
سَكَنتُمْ ظُهُورَ الأرْضِ في الدّهرِ بُرْهَةً فلمْ تَلْبَثُوا حتى سكنتُمْ بُطُونَهـا
وَقد كانَ في الدُّنيا قرونٌ كثيرةٌ وَلكنّ رَيبُ الدهر أفنى قُرُونَها

وقال أصْرَمُ بنُ حُمَيْد : وقيل : هي لمفضل العمّي .

عـاداتُ قومي مِنْ بني أسَدٍ رِيُّ القَنا وخِضابُ كلِّ حُسامِ
لَهفي على قَتْلى النُّباجِ فإنّهمْ كانوا الذُّرى ورواسِيَ الأعْلامِ (٢)
كانوا على الأعداء جَمْراً مُحرِقاً وَلقومِهِمْ حَرَماً مِنَ الأحْرامِ
لا تَهْلكي أسَـفاً فإنّيَ واثِقٌ برماحِنـا وعواقِبِ الأيّامِ

(١) في الديوان : ويهلك ما سواه .

(٢) النباج : موضع ، وهو في الأصل بضم أوله ، وضبطه ياقوت بالكسر .

وَصفَ أعرابيٌّ قومَه فقال : كانوا واللهِ ليُوثَ حَرْبٍ ، وغُيُوثَ جَدْبٍ . إنْ قاتَلُوا أبلَوا ، وإنْ أَعْطَوْا أَغْنَوْا ، ثمَّ عَجَّلَ لهمُ الدَّهرُ ما أَخَّرَ لغيرِهِمْ .

قال أمير المؤمنينَ عمر بن الخطاب ، رضوانُ الله عليه ، لعَمْرو بن مَعْدي كَرِب الزُّبيدي : صِفْ لي قومَكَ . فقال : نِعْمَ القومُ عند السيفِ المَسْلُول ، والخير المسؤول ، والطعام المأكول .

وقال آخر :

أَبعْدَ بني بَكْرٍ أُؤَمِّلُ مُقْبلاً ... مِنَ الدَّهر أوْ آسى على فَقْدِ مُدْبِرِ

وليسَ وراءَ الفَوْتِ شيءٌ يَرُدُّهُ ... عليكَ إذا وَلَّى سوى الصَّبْرِ فاصبرِ

وقال ابن المعتز :

أشكو إلى الله أحداثاً مِنَ الزَّمَنِ ... بَرَيْنَني مثلَ بَرْيِ القِدْحِ بالسُّفُنِ

لم يَبقَ في العيشِ لي إلّا مَرارَتُهُ ... إذا تَذوقْتُهُ والحُلوُ منه فني

يانفسُ صبراً وإلّا فاهلكي جَزَعاً ... إنَّ الزمانَ على ما تكرهينَ بُني

وقال الأستاذ أبو اسماعيل الطغرائي [1] :

---

(١) هو الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد ، أبو اسماعيل ، مؤيد الدين الأصبهاني ، الطغرائي (٤٥٥ - ٥١٣ هـ) : شاعر من الوزراء الكتاب ، كان ينعت بالأستاذ ، ولد بأصبهان ، واتصل بالسلطان مسعود بن محمد السلجوقي —

أَثبتُ بالحَظِّ لو نادَيتُ مُستَمِعاً والحَظُّ عنّيَ بالجُهّالِ في شُغُلِ [(١)]

تَقَدَّمَتْني رجالٌ كانَ شَوْطُهُمُ وراءَ ظهريَ لو أمشي على مَهَلِ [(٢)]

هذا جزاءُ امرىءٍ أقرانُهُ دَرَجوا مِنْ قبلِهِ فتمنى فُسْحَةَ الأَجَلِ [(٣)]

فإنْ عَلانيَ مَنْ دُوني فلا عَجَبٌ لي أُسْوَةٌ بانْحِطاطِ الشَّمْسِ عنْ زُحَلِ [(٤)]

وقال بَيْهَس ويُلقَّبُ نَعامَة [(٥)] وقد قُتِلَ إخوتُه :

صاحب الموصل — فولاه وزارته ، ومات قتلاً . أشهر شعره لامية العجم التي منها هذه الأبيات . انظر ترجمته في « وفيات الأعيان » ١/٤٣٧ ، و « الأنساب » للسمعاني ٥٤٣ .

(١) البيت في « شرح لامية العجم » ٢/٦٩ : أهبت بالحظ .. وأهاب الراعي بغنمه : إذا صاح بها لتقف أو لترجع .

(٢) في « شرح اللامية » ٢/١٢١ : تقدمتني أناس .. وراء خطوي .

(٣) « شرح اللامية » ١/١٢٨

(٤) « شرح اللامية » ١/١٤٣ .

(٥) هو بيهس بن هلال بن خلف بن جمحة بن غراب بن ظالم بن فزارة ، وهو الملقب بنعامة ، لقب بذلك لطوله ، وكان أهوج ، وكان على هوجه شاعراً مجيداً . وهو القائل : « مُكرَه أخوك لا بطل » في قصة كانت له مع أشجع ، وقتلت إخوة كانت له سبعة ، فألح عليهم حتى أدرك ثأره . انظر في ترجمته « المؤتلف والمختلف » ٨٥ .

أَرُقاداً أردْتَ أمْ تَهْوِيمـا   أمْ عَرَتْكَ الهمومُ فانْفِ الهموما

لا بلِ الحادِثُ الجليلُ مِنَ الخطْـ   ـبِ أتاني فبِتُّ أرْعى النُّجوما

عينُ فابكي الحُماةَ للمَجْدِ وابكي   مَنْ يُجيرُ الجاني ويحمي الحريما

وقال ابن المعتز[1] :

أُسْدُ الوغى وبدورُ أنْـ   ـدِيَة وفرسانُ المنابرْ

خاضُوا غديرَ الموتِ مُنْـ   ـجَرداً مِنَ الأقذاء حاسر

فمَضَوْا وأبقوا آجِناً   مُرّاً تُقَسِّمُهُ الحناجرْ

وقال أيضاً :

لا يُهنِئ الدَّهرَ الخؤو   نَ وَلا أساغَ فكمْ أكلْ

فتكَ الزمانُ بمثلِهِ   بَطَلٌ أُتيحَ لـهُ بَطَلْ

مَنْ لِلْمَجامِدِ لا أقو   لُ عسى يَكونُ وَلا لعَلْ

أَنْشدَ ابنُ دُرَيْد عن أبي حاتِم :

أَلا في سبيل الله ماذا تَضَمَّنَتْ   بُطونُ الثَّرى واسْتُودِعَ البَلَدُ القَفْرُ[2]

بدورٌ إذا الدُّنيا دَجتْ أشرَقَتْ بهم   وإنْ أَجدَبتْ يوماً فأَيْديهمُ القَطْرُ

---

(١) ليست في ديوانه .

(٢) الأبيات عدا الأخير وبزيادة بيت آخر في « زهر الآداب » ٧٩٦ ، وفيه : « قال أبو إسحاق : وأنشد أبو حاتم ولم يقل قائله » ثم ذكر الأبيات .

فيا شامِتاً بالموْتِ لا تَشْمَتَنْ بهمْ ... حياتُهُمُ فخْرٌ ومَوْتُهُمُ ذِكْرُ [١]

حياتُهُمُ كانتْ لِأَعْدائِهِمْ عَمًى ... وموتُهُمُ للفاخِرِينَ بهمْ فخْرُ

وقال مُنْقِذُ بنُ عبد الرحمن الهلالي [٢] :

الدَّهرُ لاءَمَ بينَ أُلْفَتِنا ... زَمناً وفَرَّقَ بيننا الدَّهرُ [٣]

وكذاكَ يفعلُ في تصَرُّفِهِ ... والدَّهرُ ليس ينالُهُ وِتْرُ [٤]

كُنتُ الضَّنينَ بِمَنْ فُجِعْتُ بِهِ ... وسَلَوْتُ حينَ تقادَمَ الأَمْرُ [٥]

ولَخيرُ حَظِّكَ في الرَّزِيَّةِ أنْ ... يَلْقاكَ عندَ نُزُولِها الصَّبْرُ

وقال السيد بن مدّك الأسدي ؟ :

أَبَعْدَ أبي حِصْنٍ حُصَيْنٍ ومالكٍ ... وَعَبْدَةَ أبكي الهالِكينَ وأجْزعُ

---

(١) وبعد هذا البيت في « زهر الآداب » :

أقاموا بظهر الأرض فاخضرّ عودها ... وصاروا ببطن الأرض فاستوحش الظهر

(٢) قال المرزباني في « المعجم » ٣٣٠ : بصري خليع ماجن ، متّهم في دينه يرمى بالزندقة . كان في صدر الدولة العباسية ، ثم أنشد له الأبيات عدا الثاني منها . قلت : والأبيات في « شرح الحماسة » للمرزوقي ١٠٥٢ .

(٣) في الأصل : الدهر لأّم ... ، وفي « الحماسة » و « المعجم » : وكذاك فرق بيننا الدهر .

(٤) قال المرزوقي : قوله : « والدهر ليس يناله وتر » يريد أنه يتر غيره فلا يوتر ، وينكي فلا يجازى ، فليس معه إلا الاستسلام لحكمه والرضا بمحتومه .

(٥) في الأصل : تفاقم ، وقد صحّحت فيه كما أثبتنا .

أولئكَ إخوانُ الصَّفاء رُزِئتهمْ ... وَما الكفُّ إلّا أُصبُعٌ ثم أُصبُعُ

كانَ الشَّمَرْدَل بن شـريك المنقري خرَجَ هو وإخوَتُهُ حكَمٌ ووائِلٌ وقدامُة في جَيشٍ مع وَكيع بن أبي سُود، فبعثَ كلَّ واحدٍ منهم في جيش، فأتاهُ الشمردَل فقال: أيُّها الأمير إنْ رأيتَ أن تَبعَثَنا معاً في وجهٍ واحد، فإنّا إذا اجتمعنا تعاوَنّا وتواسَينا وتناصَرْنا، فأبى عليه، وبعثَ كلَّ واحدٍ منهم في جيش، فقُتِلَ إخوَتُهُ وأتاهُ نَعيُّهُم فرثاهمْ وقال:

أَعاذِلُ كمْ مِنْ رَوْعَةٍ قدشَهِدْتُها ... وغُصَّةُ حُزنٍ مِنْ فِراق أخٍ جَزْلِ (١)

إذا وَقَعتْ بينَ الحيازِيم أَسْدَفتْ ... عليَّ الضُّحى حتى يُؤَسّيني أهـلي (٢)

أقولُ إذا أَسَّيتُ نفسي بإِخوةٍ ... مَضَوا لاضِعافٍ في الحياةِ ولا عُزْلِ (٣)

أبى الموتُ إلّا أنَّ كلَّ بني أَبٍ ... سَيُمسُونَ شتّى غيرَ مُجْتمِعي الشَّمْلِ (٤)

سأبكي أَخِلّائي الذينَ تَبَرَّضُوا ... دُمُوعيَ حتى أَسْرَعَ الحُزْنُ في عقْلي (٥)

---

(١) الأبيات مع خبرها في « الأغاني » ١٣/٣٥٢ . وفيه : حزن في فراق .

(٢) في « الأغـاني » : حتى تنسّيني أهلي . الحيازيم : جمع الحيزوم ، وهو ما استدار بالظهر والبطن أو ضليع الفؤاد ، وما اكتنف الحلقوم من جانب الصدر . أسدفت : أظلمت في لغة تميم ، والشمردل تميمي .

(٣) في « الأغاني » : إذا عزيت نفسي .

(٤) في « الأغاني » : أبى الموت إلا فجع كل بني أب .

(٥) في « الأغاني » : سبيل حبيبيَّ اللّذين تبرّضا . تبرضوا الدموع : استنزفوها قليلا قليلا .

كأَنْ لم نَعِشْ يوماً ونحنُ بغِبطةٍ جَميعاً ويَنزِلْ عندَ رَحْلِهِمُ رَحْلي [١]

كان مُتمّمُ بن نُوَيْرَة [٢] لا ينفكُّ يبكي أخاهُ مالكاً ، فخاف قومُهُ عليه أن يذهبَ بصرُه من البكاء فزوَّجوه أمّ خالد لعلَّهُ يسلو ويَكُفُّ عن البكاء ، فبينا هو واضِعٌ رأْسَهُ على فخذها إذْ بكا فقالت : لا إله إلّا الله، ألا تنسى أخاكَ في حال، فقال :

أقولُ لها لما نَهَتْني عن البُكا أفي مالكٍ تَلْحَيْنَني أمَّ خالدِ [٣]

فإنْ كانَ إخواني أُصيبوا وأخطأَتْ بني امِّكِ أسبابُ الحتوفِ الرّواصِدِ [٤]

فكُلُّ بني أمٍّ سيُمْسُونَ ليلةً ولَمْ يَبقَ من أعيانِهِمْ غيرُ واحدِ

ذريني فإلّا أَبْكِهِ لم أنسَ ذِكْرَهُ وإنْ أَمَرْتِني بالعزاء عَوائدي

---

(١) في « الأغاني » : كأن لم نسر ... عند رحليها .

(٢) هو متمم بن نويرة بن جمرة بن شداد اليربوعي التميمي ، أبو نهشل (٠٠ نحو ٣٠ هـ) : شاعر فحل ، صحابي من أشراف قومه ، اشتهر في الجاهلية والاسلام، وكان قصيراً أعور ، أشهر شعره رثاؤه لأخيه مالك . ترجمته في « الأغاني » ٢٣٩/١٥ ط بيروت . و « الشعر والشعراء » ٢٩٦ و « الاصابة » ت ٧٧١٩ ، و « السمط » ٨٧ ، و « الخزانة » ٢٣٦/١ .

(٣) الأبيات الثلاثة الأولى في « الأغاني » ٢٤٩/١٥ .

(٤) في « الأغاني » : بني أمك اليوم الحتوفُ الرواصد ، وفيه إقواء .

ذَريني فكمْ مِنْ صالحٍ قد رُزِئْتُهُ ... أخٍ لي كصدرِ الهُنْدُوانيِّ ماجدِ

بوُدِّيَ لو أنّي تَمَلَّيتُ عُمْرَهُ ... بمالِيَ مِنْ مالٍ طريفٍ وتالدِ

وبالكَفِّ مِنْ يُمنى يديَّ حياتَه ... ففارَقني منها بناني وساعدي

فعِشْنا لنا أيدٍ ثلاثٌ وإنّما ... تَصافي الحياةِ بذلُها بالتحامُدِ

وقال مُتَمِّم أيضاً:

لعَمْري وما دهري بتأبينِ هالكٍ ... ولا جَزَعاً والدَّهرُ يَعثُرُ بالفتى

لئنْ مالكٌ خَلَّى عَلَيَّ مكانَهُ ... لفي أُسوةٍ إنْ كانَ ينفَعُني الأُسى

كُهُولٌ ومُرْدٌ من بني عَمِّ مالكٍ ... وأيسارُ صِدْقٍ لو تَمَلَّيْتُهُمْ رِضى

سُقُوا بالعقارِ الصِّرْفِ حتى تتابَعوا ... كدأْبِ ثمودٍ إذ رَغا بِكرُهم ضُحى

وَهوَّنَ وجْدي بعدَما كِدْتُ أنتحي ... على السَّيفِ حتى يبلُغَ الجوْفَ والحَشى

رِجالٌ أراهُمْ من مُلُوكٍ وسُوقةٍ ... خَبوْا بعدَما نالوا السَّلامَةَ والغِنى

على مِثلِ أصحابِ البعوضَةِ فاخْمِشي ... لكِ الوَيْلُ حُرَّ الوَجْهِ وَلْيَبْكِ مَنْ بكَى

على يَسَرٍ منهمْ يسيرٌ وفارسٌ ... إذا ارْتَدَفَ السَّبيَ الحَوارِكُ والذُّرى

إذا القَومُ قالوا مَنْ فتى يومَ نَجْدَةٍ ... فكُلُّهُمْ يُعنى وَلكنَّهُ الفتى

رُوي أنَّ عبد الله بن عمروٍ العَبْلي [1] قال له عبد الله بن حسن بن

---

(١) الخبر مع الأبيات في « الأغاني » ٤/٣٣٩ - ٣٤٠ . وفيه عبد الله بن عمر، وفي حاشيته أن « عمرو » تحريف .

حسن رضي الله عنهم : أنشدني شيئاً ممّا رَثَيْتَ بِهِ قومكَ ، فأنشدَهُ :

تقولُ أُمامَـةُ لمـا رأَتْ　　نُشُوزي عن المضجَعِ الأَنْفَسِ

وَقِلَّـةَ نَوْمي على مَضْجَعي　　لَدى هَجْعَةِ الأَعْينُ النُّعَّسِ

أَبي ما عَراكَ فقلتُ الْهمومُ　　عَرَيْنَ أباكِ فـلا تَبأَسي [١]

لِفَقْـدِ الأَحِبَّةِ إذْ نالَهـا　　سِهامٌ مِنَ الحَدَثِ الْمونِسِ [٢]

رَمَتْهـا المَنونُ بلا نُصَّلٍ　　وَلا طائشاتٍ وَلا نُـكَّسِ [٣]

بأَسْهُمِهـا الْمُتلِفاتِ النفوسَ　　متى ما تُصِبْ مُهْجَةً تَخْلَسِ

فصَرَّعَتْهُمْ بنواحي البـلادِ　　مُلَقَّى بأَرْضٍ وَلَمْ يُرْمَسِ [٤]

فذاكَ الذي غالني فاعلَمي　　وَلا تَسأَلي بامْرِىءٍ مؤْتَسِ [٥]

أولئـكَ قومي أَناخَتْ بهِمْ　　نَوائبُ مِنْ زَمَنٍ مُتْعِسِ

قال : فرأَيتُ دُموعَ عبد الله بن حسن بن حسن رضي الله عنهم ،

---

(١) في « الأغاني » عرون .. فلاتبلسي . وعراه يعروه ويعريه ، من بابي ضرب ونصر : غشيه . ولا تبلسي : لا تحزني .

(٢) في « الأغاني » : الحدث المبئس .

(٣) في « الأغاني » : بلا نكل .

(٤) في « الأغاني » : فصرعنهم في نواحي .. ولم يرمس . والرمس والرس : الدفن . وبعد هذا البيت ثلاثة أخرى .

(٥) في « الأغاني » : بامرىء متعس .

تنحدرُ على خَدِّه . ويُروى أنَّ هذا الشعر لأبي سعيد مولى فائد ، مولى عمرو بن عثمان بن عفان رضوان الله عليه يَرْثي قتلى بني أمَيَّة الذين قتلهم عبد الله وداود ابنا علي بن عبد الله بن العباس ، رضي الله عنهم . وكان الرشيدُ لما حَجَّ أحْضَرَ أبا سعيد وقال له : أنشدْني قصيدتَكَ : تقولُ أُمامةُ لما رأت ... فأنشدَهُ وقال : يا أميرَ المؤمنين ، كان القومُ مواليَّ ، وأنعموا عليَّ فرَثيْتُهُم ، ولم أهجُ أحداً ، فتركه .

وقال الأَشهب بن رُمَيْلَة [1] :

إنَّ الأُلى حانتْ بفَلْجٍ دماؤُهمْ ... هُمُ القَومُ كلُّ القومِ يا أُمَّ خالِدِ [2]

هُمُ ساعِدُ الدَّهر الذي يُتَّقى به ... وَما خيرُ كفٍّ لا تنوءُ بساعِدِ [3]

---

(١) هو الأشهب بن ثور بن أبي حارثة بن عبد المدان النهشلي الدارمي التميمي (٠٠ - بعد ٨٦ هـ) : شاعر نجدي ، ولد في الجاهلية وأسلم ، ولم يجتمع بالنبي ﷺ وعاش إلى العصر الاموي . وهجا غالباً (أبا الفرزدق) فهجاه الفرزدق ، وضعف الأشهب عن مجاراته . ترجمته في « الأغاني » ٩/٢٦٩ ، و « السمط » ٣٥ ، و « الموشح » ١٦٥ ، و « طبقات فحول الشعراء » ٤٩٧ .

(٢) البيتان مع ثالث في « البيان والتبيين » ٤/٥٥ ، و « الخزانة » ٢/٥٠٨، و « العيني » ١/٤٨٢ ثم « السمط » ٣٥ وفيه : وإن الذي حانت ..

(٣) وبعد هذا البيت :

أسود شرىً لاقت أسود خفيَّةٍ ... تساقوا على حَرْدٍ دماء الأساود

أنشد النُّجَيرمي لمنظور بن مَرْثَـد [١] الراجز يَرْثي مقاتلاً وجيشاً ابني جزء :

إمّـا تَرَيني اليومَ ياأمَّ صالحٍ طويلاً قيامي للأسى وقعودي
فانَّ مُصيباتٍ أَصَبْنَ مُقاتلاً وأصحابَهُ استجهَلْنَ كلَّ جليدِ
وكانوا جمالي في الحياةِ وعُدَّتي وحِرْزي إذا ما قُلتُ أَيْنَ أسودي

وقال دعْبل بن علي الخُزاعي [٢] :

كانتْ خُزاعَةُ مِلءَالأَرض مااتَّسَعَتْ فقَصَّ مَرُّ اللّيالي مِنْ حواشيها
هـذا أبو القاسِم الثّاوي ببَلْقَعَةٍ تَسْفي الرياحُ عليه مِنْ سوافيها
هَبَّتْ وقد عَلِمَتْ أنْ لا هُبوبَ بهِ وقد تكونُ حَسيراً إذْ يُباريها [٣]

---

(١) هو منظور بن مرثد بن فروة الفقعسي ، قال المرزباني : وقيل : هو منظور ابن فروة بن مرثد بن نضلة بن الأشتر بن جحوان بن فقعس بن طريف ، إسلامي ، ثم أورد له أبياتاً مختارة من شعره . انظر « معجم الشعراء » ٢٨١ .

(٢) هو دعبل بن علي بن رزين الخزاعي ، أبو علي (١٤٨ - ٢٤٦ هـ) : شاعر هجاء ، أصله من الكوفـــة ، أقام ببغداد ، له أخبار ، وشعره جيد ، وكان صديق البحتري . انظر في ترجمته : « وفيات الأعيان » ، و « الشعر والشعراء » ٨٢٥ ، و « الأغاني » ٢٠/٦٨ ، و « تاريخ بغداد » ٨/٣٨٢ . والأبيات قالهـا في رثاء المطلب بن عبد الله ، ونعي إليه وكان دعبل في الجبل ، وهي في «ديوانه» ١٦٥ وفي « الأغاني » ٢٠/٨١ .

(٣) في « الأغاني » : لا هبوب له . وحسيراً : كليلة .

أضحى قِرىً للمنايا إذ نَزَلْنَ بهِ   وكانَ في سالفِ الأيَّام يَقريها

قال إسحاق بن إبراهيم : كان الرَّشيد بعد قتل البَرامكة شديدَ الأَسف عليهم والنَّدَم على فِعْلِه ، ففطِنَ لذلك الزُّبيرُ بن دحمان ، فكان يغنيه في هذا المعنى فيُحرِّكه ، فغناه يوماً :

مَنْ للخُصُوم إذا جَدَّ الخِصام بهم   بعدَ ابن سَعدٍ ومَنْ للضُّمَّرِ القُودِ [١]

وَموْقِفٍ قد كَفَيْتَ الناطقينَ بهِ   في مَجْمَعٍ منْ نواصي الناس مشهودِ

فرَّجْتَهُ بلسانٍ غيرِ مُلتَبسٍ   عندَ الحفاظِ وقلبٍ غير مَزْؤودِ

فقال الرَّشيد : أَعِدْ ، فأعادَ ، فقال له : وَيْحَكَ ! كأنَّ قائلَ هذا الشعر يصف يحيى بن خالد وجعفر بن يحيى ، وبكى حتى جرَتْ دُموعُه ، ووصل الزبير بصلة سَنيَّة .

وقال أبو خراش الهذلي [٢] يرثي إخوتَهُ :

فَقَدْتُ بني لُبْنى فلما فَقَدْتُهُمْ   صَبَرْتُ ولمْ أقْطعْ عليهم أنامِلي [٣]

---

(١) الأبيات مع الخبر في « الأغاني » ط الثقافة ١٨/٢٢٤ ، منسوبةً لامرأة من بني أسد ، ورواية الشطر الثاني فيه : يوم النزال ومن ... ، والقود : جمع أقود ، وهو من الخيل : الذلول المنقاد .

(٢) اسمه خُوَيْلد بن مُرَّة أحد بني قِرد بن عمرو بن معاوية بن تميم بن سعد بن هذيل ، صحابي ، مات في زمن عمر بن الخطاب ، نهشته حيَّة .

(٣) الأبيات في « ديوان الهذليين » ٢/١٢٣ ، وفيه : ولم أقطع عليهم أباجلي . قال أبو سعيد : بنو لبنى : إخوته ، وضربهم مثلاً . قال : يقول : لم أجزع كجزع غيري . والأبجل : عرق في الرجل . يقول : صبرت فلم أقطع نفسي في آثارهم ، وأقطع عروقي عليهم .

رِماحٌ مِنَ الخَطِّي زُرْقٌ نِصالُها ... حِـدادٌ أعاليها شِدادُ الأَسافِلِ (١)

فَلَهْفي على مَيْتٍ بنعمانَ للْفَتى ... وَلَهفي على مَيْتٍ بقوس المعاقِلِ (٢)

حِسانُ الوجوهِ طَيِّبٌ حُجُزاتُهمْ ... كريمٌ نَثاهُمْ غيرُ لُفٍّ مَعازِلِ (٣)

وقال آخر :

أَجِدَّكَ ما تَعفُو كلُومُ مُصيبةٍ ... على صاحِبٍ إلّا فُجِعْتُ بصاحِبِ (٤)

تَقَطَّعُ أَحشائي إذا ما ذكرْتَهمْ ... وَتَنْهَلُّ عيني بالدُّموعِ السَّواكِبِ

وكنتُ امرأً جَلْداً على ما ينوبُني ... وَمُعترِفاً بالصَّبْرِ عندَ النَّوائِبِ (٥)

---

(١) زرق : بيض ، وتقول : نطفة زرقاء ؛ إذا كانت بيضاء ، تريد الماء ، وعنى بالنصال : الأسنَّة .

(٢) في « ديوان الهذليين » :

فلهفي على عمرو بن مُرّة لهفةً ... ولهفي على ميت بقَوْسَى المعاقِلِ

قال أبو سعيد : قوسى المعاقل : موضع من بلاد هذيل أو بناحيتهم . وذكر ياقوت أن قوسى : بلد بالسراة ، كما ذكر أيضاً أن فيه قتل عروة أخو أبي خراش الهذلي ، ونجا ولده .

(٣) قوله : طيب حجزاتهم ، أي : هم أعفاء ، والحجزة في الأصل : معقد السراويل والازار .

(٤) الأبيات لسلمة بن عياش ، شاعر بصري من مخضرمي الدولتين ، وهي في « الاغاني » ٢٠/٢٥٨ يرثي بها صديقه سفيان بن العلاء .

(٥) في « الأغاني » : بالصبر عند المصائب .

فهَدَّ أبو سُفيانَ رُكني ولمْ أكنْ جَزُوعاً ولا مُستنكِراً للنَّوائِبِ
غَنينا معاً بِضْعاً وخمسين حِجَّةً خليلي صَفاءٍ وُدُّنا غيرُ كاذِبِ (١)
فأصبحْتُ لما حالَتِ الأرضُ دونَهُ على قُرْبهِ مني كمَنْ لم أصاحِبِ

وقال أعشى بني أَسَدٍ وهو خَيْثَمَةُ بن معروفٍ أخو الكميت بن معروف (٢) :

نامَ الخَلِيُّ وَبتُّ اللَّيْلَ مُرْتَفِقاً كما تَزاوَرَ يَخْشى دَفَّهُ النَّكِبُ (٣)
إذا رجعْتُ إلى نفسي أُحدِّثُها عَمَّنْ تضَمَّنَ مِنْ أصحابيَ القُلُبُ
ازدَدْتُ وَجْداً على وَجْدٍ أكابدُهُ حتى تكادَ بناتُ الصَّدْرِ تلْتَهِبُ (٤)
وقد عَلِمْتُ وإنْ مُلِّيتُ بعدَهُمُ أنّي سأنْهَلُ بالشِّرْبِ الذي شربوا (٥)

---

(١) في « الاغاني » : بضعاً وستين حجة ...

(٢) شاعر إسلامي ، ترجمته في « المؤتلف والمختلف » ١٧ . وأخوه الكميت ابن معروف شاعر أيضاً ، ترجم له أبو الفرج في « الاغاني » ٢٢/١٣٧ ، وهذه الأبيات في ترجمته ٢٢/١٣٩ .

(٣) تزاور : عدل وانحرف . الدف : الجنب من كل شيء . النكب : الذي أصابت الحجارة رجله وخدشتها .

(٤) في « الاغاني » : عاودت وجداً على وجد .

(٥) في « الاغاني » : لقد علمت ولو مليت ..

وقال أبو العباس الأعمى، وهو السائب بن فروخ [١] :

آمَتْ نساءُ بني أُميَّةَ بعدَهُمْ ... وَبناتُهم بمَضيعةٍ أيْتامُ

نامَتْ جُدُودُهمُ وأسقِطَ نَجْمُهُمْ ... والنَّجْمُ يسقُطُ والجُدودُ تَنامُ [٢]

خَلَتِ المنابرُ والأَسِرَّةُ مِنهُمُ ... فعليهِمُ حتى المماتِ سلامُ

وقال أيضاً [٣] :

ليتَ شِعْري مِنْ أيْنَ رائحةُ المِسْـ ... ـكِ وما إنْ أخالُ بالخَيْفِ إنْسي

حينَ غابَتْ بنو أُميَّةَ عنها ... والبَهاليلُ مِنْ بني عبدِ شَمْسِ [٤]

خُطباءُ على المَنابرِ فُرْسا ... نٌ عليها وقالَةٌ غيرُ خُرْسِ

لا يُعابُونَ صامِتين وإنْ قا ... لوا أصابوا ولم يقولوا بلَبْسِ

بحُلومٍ إذا الحُلومُ استُخِفَّتْ ... وَوُجوهٍ مثلِ الدَّنانيرِ مُلْسِ [٥]

---

(١) قال أبو الفرج في ترجمته « الأغاني » ١٦/٢٢٨ : كان من شعراء بني أمية المعدودين المقدمين في مدحهم والتشيُّع لهم . وقد روى عن صدر من الصحابة الحديث . والأبيات في « الأغاني » ١٦/٢٣٠ مع قصتها .

(٢) في « الأغاني » والجدود نيام .

(٣) « الأغاني » ١٦/٢٢٩ .

(٤) في « الأغاني » بنو أمية عنه .

(٥) في « الأغاني » : إذا الحلوم تقضَّت ، ويروى مكان « تقضت » : « اضمحلت » .

عن خِداش بن فراس النُّميري قال : أغارَتْ علينا بَنو جُشَم بن بكر بظهرِ البشر ، فأصابوا منَّا أخوين فارسَينِ سَيِّدَيْن ، يقال لأحدهما : مسعود ، وللآخر : حاتم ، ابنا شيظَم ، وكانتْ لهما أختٌ سيّدةٌ بَرْزَةٌ يُقالُ لها : رائطة بنت شيظم ، فبكتْهما ورَثتهُما طويلاً ، وكانتْ أحرَّ ما تكونُ أسىً وأسَفاً ، وأطولَ ما تكونُ حُزناً ولهفاً ، إذا صاحَ صائحنا ، وذُعِرَ سارِحُنا ، ورَكبَ فارِسُنا ، ولقد رأيتُها على مثل تلكَ الحال في بعض الأيام والناسُ ثائرون ، والأصواتُ متواترةٌ ، والخيلُ متبادِرَة والصَّارخُ هاتفٌ ، وهي تندبُهما وتقول :

لهفي على الأخوَيْنِ كالـ ... أسـدَيْن مَسعودٍ وحاتِمْ
السَّيِّدَيْن المـانِعَيْـ ... ـنِ الذّائدين عن المحارِمْ
الفـاتِقين الرّاتِقيـ ... ـنِ السّابقين إلى المكارِمْ
الضّـاربين جَماجِمَ الـ ... أبطال بالبيض الصَّوارِمْ
والطّاعِنين بكلِّ مـا ... رِنةٍ وقاصِمـةٍ وقاصِمْ
حِدَقَ الفوارس بالأسِنْـ ... ـنَةِ والقُلوبُ لَدَى الغَلاصِمْ
كانا يَدَيَّ فشُلَّتا ... بالسَّاعِـدَيْن وبالمعاصِمْ
فبقيتُ كالطَّيرِ المُقَصْـ ... ـصَصِ ريشُهُ واهي القوادِمْ
لا أستطيعُ ولا أُطِيـ ... ـقُ أرُدُّ عني كَفَّ ظالِمْ

مع كلِّ رنَّةِ مأتمٍ   لي مأتمٌ وعليّ مأتمْ

فاليومَ أخضعُ للذَّليـ   ـل وللمُحارِبِ والمُسالِمْ

وقالت فاطِمَةُ بنت الأَجْحَم بن دِنْدِنَةَ الخُزاعِيَّة ترْثي أباها [1] - والجحم : حُمْرةُ العين :

قد كنتُ ذاتَ حَمِيَّةٍ ما عِشْتَ لي   أمشي البَراحَ وكنتَ أنتَ جناحي [2]

قد كنتَ لي جَبلاً أَلوذُ بظِلِّهِ   فتركْتني أمشي بأَجْرَدَ ضاحِ [3]

---

(١) هي فاطمة بنت الأجحم - بتقديم الجيم المعجمة - وفي « الحماسة » ٢/٩٠٩ ، و « الأمالي » ٢/١ بتقديم الحاء على الجيم : شاعرة من شواعر العرب في الجاهلية ، رثت زوجها وإخوتها ، كان والدها أحد سادات العرب ، وزوجته هي خالدة بنت هاشم بن عبد مناف . والأبيات في « الحماسة » للمرزوقي ٢/٩٠٩ و « الحماسة البصرية » ١٣٠ عدا الأول ، وبزيادة بيتين غيره ، و « الأمالي » ٢/١ و « الخزانة » ٢/٥١٣ . قال البغدادي : وتمثلت بها سيدتنا فاطمة ، رضي الله عنها ، حين قبض رسول الله ﷺ .

(٢) رواية مصادر التخريج الآنفة الذكر : أمشي البراز وكنت ... ، قال المرزوقي : قولها : قد كنت ذات حمية ، المعنى : كنت في حياتك آنف مما أسام من الضيم فأتسخطه ، وتتسع المقدرة لدفعه والاباء منه ، والآن صار بدل ذلك السخط الرضا . قولها : أمشي البراز : البراز : المكان الفضاء الرحب .

(٣) في « الأمالي » و « الحماسة » : فتركتني أضحى .. ، والضاحي : البارز للشمس ، والفعل منه ضَحِيَ يضحى . والأجرد : الأملس ، أي : لا ظل فيه .

فالآنَ أَخْشَعُ للذليل وأتّقي ... منهُ وأَدْفَعُ ظالِمي بالرّاحِ [1]

وإذا دَعَتْ قُمْرِيَّةٌ شَجَناً لها ... يَوماً على فَنَنٍ دَعَوْتُ صباحي [2]

وقع الطاعونُ بالكوفة ، فأفنى بني غاضِرَة ، وماتَ فيه بنو زِرّ بن حُبَيْش ، صاحب أمير المؤمنينَ عليّ ، رضوانُ الله عليه ، فقال ابن ميّادة يَرْثيهم [3] :

أَبَعْدَ بني زِرٍّ وبعدَ ابن جَنْدلٍ ... وعَمْرو أُرَجّي لذّةَ العيش في خَفْضِ

مَضَوا وبقِيناً نأمُلُ العيشَ بعدَهُمْ ... أَلا إنَّ مَنْ يبقى على إثْرِ مَنْ يَمْضي

وقالت الخنساء بنت عَمْرو بن الشَّريد :

تَعَرَّقني الدَّهرُ نَهْساً وَحزّا ... وأَوْجَعَني الدَّهرُ قَرْعاً وَغَمْزا

وأَفْنى رجالي فبادوا معاً ... فأَصبحَ قلبي لهم مُسْتَفَزّا

---

(١) في « الأمالي » و « الحماسة » و « الخزانة » : فاليوم أخضع .. ، ومعنى أدفع ظالمي بالراح ، أي : بالدعاء .

(٢) قال المرزوقي : تقول : إذا ناحت حمامة على غصن ، وهي تدعو حزنها ليهتاج بكاؤها ، ويمتد صوتها ، فاني أشجى لصوتها وأجاوبها داعياً : صباحي ، أي : قائلاً : واصباحاه . وفي « السمط » ٢/٦٢٦ أن أبا العلاء المعري رد رواية الشطر الأول ، وقال : إنها تصحيف ، وأنشده : « واذا دعت قمرية شجباً لها » يعني فرخها الهالك ، وهو الهذيل ، والشجَب : الهلاك . والشجِب : الهالك .

(٣) البيتان مع الخبر في « الأغاني » ٢/٣٦٦ وبزيادة بيتين آخرين بعدهما ، وقد نسبت فيه للحكم بن عبدل .

وكانوا سَراةَ بني مـالكٍ ... وزَيْنَ المقامةِ فخراً وَعِزّا

كأنْ لم يكونوا حِمىً يُتَّقى ... إذِ الناسُ في ذاكَ مَنْ عَزَّ بَزّا (١)

وقال البحتري يرثي المتوكل والفتح بن خاقان من قصيدة :

مضى جعفرٌ والفتحُ بينَ مُزَمَّلٍ ... وبينَ صَبيغٍ بالدِّماءِ مُضَرَّجِ (٢)

أَأَطْلُبُ أنصاراً على الدَّهرِ بعدَما ... ثَوى منهما في التُّربِ أوْسي وَخَزْرَجي

أولئكَ ساداتي الذينَ بفضْلِهم ... حَلَبْتُ أفاويقَ الرَّبيعِ المُثَجَّجِ (٣)

وقال تَوْبَةُ بن مُضَرِّس :

وسـائلةٍ عنْ تَوْبَةَ بن مُضَرِّسٍ ... وهانَ عليها ما أصابَ به الدَّهرُ

وسائلةٍ أخرى حفيٍّ سؤالهـا ... إذا ذكرتْهُ فاضَ مِنْ دَمْعِها غزرُ

رأتْ إخوتي بعدَ ائتلافٍ تفرَّقوا ... فلمْ يبقَ إلّا واحـداً منهم شَفْرُ (٤)

---

(١) في « الديوان » : إذ الناس إذ ذاك ..، ومن عز بز : من غلب سلب .

(٢) « ديوان البحتري » تحقيق الصيرفي ٤١٨/١ وفيه : بين مُرَمَّل صبيغ في الدماء . وجعفر هو الخليفة المتوكل ، والفتح : هو الفتح بن خاقان .

(٣) الأفاويق : ما يجتمع من الماء في السحاب ، فهو يمطر ساعة بعد ساعة ، وما يتجمع من اللبن في الضرع بعد حلبتين . المثجج : الذي يسيل .

(٤) البيت في « اللسان » مادة شفر : قال ابن سيدة : ما بالدار شُفر وشَفْر ، أي: أحد.

فلَا وأبيك الخير ما كانَ إخوتي　　معازيلَ أبراماً إذا حاردَ القَطْرُ
أَرَبَّ بهمْ ريبُ المَنونِ كأنَّما　　على الدَّهر فيهم أنْ يُفرِّقهم نَذْرُ [(١)]

وقال أيضاً :

وقائلةٍ لمـا رأتْ شَيْبَ لِمَّتي　　لها وَيْلُها ما بالُ رأسِ أبي الجَعْدِ
برأسي خُطُوبٌ لوْ عَلِمتِ كثيرةٌ　　أُصبتُ بها ظُلْماً وأطلُبها وحدي
تُعَرّي المُصيباتُ الفتى وهو عاجزٌ　　ويَلعَبُ رَيبُ الدَّهر بالحازمِ الجَلْدِ
وإني امرؤٌ لا يَنقُضُ العَجزُ مِرَّتي　　إذا ما انطَوى مِنّي الفؤادُ على الحِقْدِ
ولستُ بمُختار الحيـاةِ بسُبَّةٍ　　تُثنّي بهـا حيّاً عليَّ بنو سَعْدِ

وقال دريد بن الصِّمَّة يرثي إخوتهُ :

تقول ألا تَبكِي أخاكَ وقد أرى　　مكانَ البُكا لكنْ بُنِيتُ على الصَّبْرِ [(٢)]
فقُلْتُ أعبدَ اللهِ أبكي أم الذي　　على الشَّرَفِ الأعلى قَتيلَ أبي بكرِ [(٣)]
وعَبْدَ يَغُوثٍ أمْ نَديميَ مالِكاً　　وعزَّ المصابُ حثو قَبْرٍ على قبرِ [(٤)]

---

(١) أرب بالشيء : لزمه ، وأربت السحابة : دام مطرها .
(٢) الأبيات في « الأغاني » ١٠/٥ .
(٣) رواية البيت في « الأغاني » :

لمقتل عبد الله والهـالك الذي　　على الشرف الأعلى قتيل أبي بكر

(٤) في « الأغاني » ... أو خليلي خالدٍ　　وعزّ مصاباً ...

أبى القتلُ إلا آلَ صِمَّةَ إنَّهُمْ أَبَوْا غيرَهُ والقَدْرُ يجري على القدر

قال أبو الفرج الأصبهاني [١] : ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم قُسُّ بن ساعدة الأيادي ، فقال رجلٌ : يا رسول الله لقد رأيتُ من قُسٍّ عجباً . قال : وما رأيت ؟ قال : بينا أنا بجبلٍ يقال له سمعان ، في يوم شديد الحر ، إذا بقُسٍّ بن ساعدةَ تحتَ ظلِّ شجرةٍ عندَ عينِ ماءٍ وعندَهُ سباعٌ كلّما زأرَ منهم سبعٌ على صاحبه ضربهُ بيده وقال : كُفَّ حتى يشربَ الذي وَرَدَ قبْلَكَ ، قال : ففَرِقْتُ ، فقال : لا تخَفْ ، وإذا بقَبْرَيْنِ بينهما مسجدٌ ، فقلت : ما هذانِ القبرانِ اللذانِ أراهما ؟ قال : هما قبرا أخوَينِ كانا لي فماتا ، فاتخذت بينهما مسجداً أعبدُ الله فيه حتى ألحقَ بهما ، ثم ذكر أيامَهُما فبكى ، وأنشأ يقول :

خليليَّ هُبّا طالَ ما قَدْ رقدتُما أجِدَّكُما ما تقْضِيانِ كَراكُما

ألَمْ تعلَما أني بسَمْعانَ مُفْرَدٌ ومالِيَ فيهِ من حَبيبٍ سِواكما

أُقيمُ على قَبْرَيْكُما لَسْتُ بارحاً طوالَ اللَّيالي أو يُجيبَ صَداكما

---

(١) الخبر في « الأغاني » ١٥/١٩٣ .

كأنكُما والموتُ أقربُ غايةٍ بجسمي في قبريكما قد أتاكما

فقال رسول الله ﷺ : « يَرحمُ اللهُ قُساً » .

وروي أنَّ هذا الشعرَ لعيسي بنِ قدامة ، وكان له نديمانِ فماتا براوَنْد فكان يجيءُ فيجلسُ بين القبرَين بموضعٍ يقالُ لهُ حُزاقُ ، فيشربُ ويصُبُّ على القبرين حتى يقضي وطرهُ وينصرفُ ويُنشدُ وهو منصرِف :

خليليَّ هُبَّا طالَ ما قدْ رقدتُما أجِدَّكما ما تقضِيانِ كراكُما (١)

ألَمْ تعلَما مالي براوَنْدَ مِنْ أخٍ ولا بحُزاقٍ مِنْ نديمٍ سِواكُما (٢)

مُقيماً على قبرَيْكُما لستُ بارحاً طوالَ الليالي أو يُجيبَ صداكما

جرى النومُ مَجرى اللحمِ والدمِ منكُما كأنَّ الذي يسقِي العُقارَ سقاكما

تحمَّلَ مَنْ يهوَى القفولَ وغادَرُوا أخاً لكُما أشجاهُ ما قدْ شجاكما

فأيُّ أخٍ يجفُو أخاً بعدَ موتِهِ فلستُ الذي مِن بعدِ موتٍ جفاكما

أُصبُّ على قبرَيْكُما مِنْ مُدامةٍ فإلاّ تذوقاها تروِّ ثراكما (٣)

أناديكُما كيما تُجيبا وتنطِقا وليسَ مُجاباً صوتُهُ مَنْ دعاكما

---

(١) في « الأغاني » : أجدَّكما لاتقضيان . .

(٢) في « الأغاني » : براوند هذه .

(٣) في « الأغاني » : فالا تذوقا أرْوِ منها . .

خليليَّ ماهذا الذي قدْ دَهاكما ... أمِنْ طُولِ نَوْمٍ لَمْ تُجيبا وتَنْطِقا [١]

قَضَيْتُ بأنِّي لامَحالةَ هالِكٌ ... وأَنِّي سَيَعْرُوني الذي قد عَراكما

سأبكيكُما طُولَ الحياةِ وما الذي ... يَرُدُّ على ذي لَوْعَةٍ أَنْ بُكاكما

وذكر العُتْبي أنَّ الشعرَ للحارث بن الحارث [٢] أحد بني عامر بن صَعصَعَة، وكان له نَديمان أَحَدُهما مِنْ بني أسد، والآخرمن بني حَنيفةَ، فماتَ أحدُهما، فكانا يَشربانِ ويَصُبّانِ على قبرِه ويقولُ أحدهما:

لاتُصَرِّدْ هامَةً عَنْ شُرْبِها ... واسقِهِ الرّاحَ وإنْ كان قُبِرْ [٣]

كانَ حُرّاً فهَوَى فِيمَنْ هَوَى ... كُلُّ عُودٍ ذي شُعُوبٍ يَنْكَسِرْ

ثم مات الآخرُ فكان الثالثُ يشربُ عندَ قبرَيهما ويُنشد:

خليليَّ هُبا طالَ ماقدْ رَقَدْتُما ... أجِدَّكُما ماتَقْضِيانِ كَراكُما... الأبيات.

وقال أعرابيّ:

ألا يادَهرُ أَفْرِشْ عَنْ شَريدي ... فقَدْ أَدْرَكْتَ منيّ ما تُرِيدُ [٤]

---

(١) في «الأغاني»: أمن طول نوم لا تجيبان داعياً..

(٢) في «الأغاني»: أن الشعر للحزين بن الحارث.

(٣) لا تصرّد: لا تسق دون الري وإطفاء الغليل.

(٤) أفرش: كف وابتعد.

ذَهَبْتَ بسالِمٍ وأبي سِنانٍ ... فما للرُّزْءِ بَعدَهُما مَزيدُ
تُصِيبُ أقارِبي وتَحيدُ عَنّي ... ومِنْ حَوْلي التَّخَوُّفُ والوَعيدُ
ومَنْ تَكُنِ المَنِيَّةُ غَيَّبَتْهُ ... فَسَوْفَ على تَفيئَتِهِ تَعُودُ

هكذا رأيتها بخط الوزير أبي القاسم بن المغربي، وكنت أظنها بقيته.

كان مُحمدُ بن صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، رضوانُ الله عليهم، لمّا مَنَّ عليه المتوكلُ وأخرجهُ منَ الحبسِ، سلّمه إلى الفتح بن خاقان، وضَمَّنَهُ إيّاهُ أن لا يُفارِقَ «سُرَّ مَنْ رأى» فكانَ مُقيماً بِها يَلْتَمِسُ الرُّجوعَ إلى الحجازِ فلا يقدِرُ، وكان مَألفاً لسَراةِ الناسِ ووُجوهِ أهلِ البلدِ، وكان كثيرَ الأُنسِ بسعيد ابنِ حُمَيد لا يكادُ يفارِقُهُ. وفي سعيدٍ يقول محمد بن صالح [1]:

أصاحِبُ مَنْ صاحَبْتُ ثُمّت أنْثَني ... إليكَ أبا عُثمانَ عَطْشانَ صادِيا
أبى القَلبُ لَمْ ينقعْ بِهِم وَهوَ حائمٌ ... إليكَ وإنْ كانُوا الفُروعَ العَواليا [2]
وإنّا إذا جئناكَ لَمْ نَبْغِ مَشْرباً ... سِواكَ وَرَوَّينا العِظامَ البَواليا

---

(١) الخبر بمعناه مع الأبيات في «الأغاني» ١٦/٢٨٩.

(٢) في «الأغاني» أبى القلب أن يروى..

فتوفي محمد بنُ صالحٍ ، رحمه الله ، بـ« سُرَّ مَنْ رأى » ، فجزع عليه سعيد ، وقال يرثيه :

بأيِّ يدٍ أَسْطُو على الدَّهْرِ بَعْدَمَا ... أبانَ يَدِي عَضْبُ الذُّبابَيْنِ قَاضِبُ

وهاضَ جَناحِي حَادِثٌ جَلَّ خَطْبُهُ ... فَسُدَّتْ عَنِ الصَّبرِ الجميلِ المذاهِبُ

وَمِنْ عادَةِ الأَيّامِ أَنَّ صُرُوفَها ... إذا سَرَّ مِنْها جانبٌ ساءَ جانِبُ

لَعَمْرِي لقد غالَ التَّجَلُّدَ أَنَّنَا ... فَقَدْناكَ فَقْدَ الغَيْثِ والعامُ جادِبُ

وَما أَعْرِفُ الأَيّامَ إِلّا ذَمِيمَةً ... ولا الدَّهْرَ إلّا وهو بالثأْرِ طالِبُ

لَعَمْرِي لئِنْ كانَ الرَّدَى بكَ فاتَني ... فَكُلُّ امرِئٍ يوماً إلى اللهِ ذاهِبُ

لَقَدْ أَخَذَتْ مِنِّي النَّوائِبُ حَقَّها ... فَما تَرَكَتْ حَقّاً عَلَيَّ النوائِبُ

وَلا تَرَكَتْني أَرْهَبُ الدَّهْرَ بَعْدَهُ ... لَقَدْ كَلَّ عَنِّي نابُهُ وَالمخالبُ

سَقَى جَدَثاً أَمْسى الكَرِيمُ بْنُ صالحٍ ... يَحُلُّ به دانٍ مِنَ الْمُزْنِ ساكِبُ

لما ظهر عَبدُ الله بن يحيى الكندي الأباضِيّ المُلَقَّبُ بطالِبِ الحقِّ ، واستولى على صنعاءَ ، وكثيرٍ مِنْ بلاد اليمن ، جَهَّزَ أبا حَمْزَةَ في جيشٍ مِنَ الأَباضِيَّةِ ، فيهم أَبْرَهَةُ بنُ الصَّبّاح ، وبُلْجُ بن عُقْبَةَ ، فاستولى على المدينة ومكة ، فَجَهز إليهِ مروانُ بن مُحَمَّدٍ عبدَ اللهِ بنَ عطية ، فلقيه أبو حمزة بوادي العفرة ، فقتل أبا حمزة ومن معه ، واستولى عبدُ اللهِ بنُ

عَطِيَّةَ على عسكرهمْ ، وحَازَ غنائمهمْ ، وبلغ ذلك عبدَ اللهِ بن يحيى ، المُلقب بطالِبِ الحقِّ ، وهو بصنعاءَ ، فسارَ يُريدُ عبد الله بن عطيَّة ، وَبَلغَ مَسيرُهُ ابنَ عطيَّة فسار إليهِ ، فالتقى العَسكرانِ فظَفِر به عبد الله ابن عطية ، وقتل عبدَ الله بن يحيى الكندي ، ومعظمَ جَمْعِهِ ، وتفَرَّقَ مَن سَلِمَ منهم منَ القتل في البلاد ، وبعثَ برأْسِهِ إلى مروان بن مُحَمَّـدٍ ، فقال عمرو بنُ الحُصَيْنِ العنبري يرثي عبد الله بن يحيى ، وأبا حمزة ، وأبرهة وبلْجاً وغيرَهم مِمنْ قُتِلَ منَ الأباضيَّة [1] :

هَبَّتْ قُبَيْلَ تبَلُّجِ الفَجْـرِ	هِندٌ تقُولُ ودَمعُها يجْري
إذْ أبصَرَتْ عيني وأدْمُعَها	يَنْهلُّ واكِفُهـا على نَحْري [2]
أَنّى اعترَاكَ وكنتَ عهدِي لا	سَرِبَ الدُّموعِ وكُنْتَ ذا صبْرِ
أَقَذىً بعينكَ ما يُفـارِقُها	أمْ عائرٌ أمْ مالَها تُذْرِي
أمْ ذِكْرُ إخوانٍ فُجِعْتَ بهمْ	سَلَكُوا سَبيلَهُمُ على خُبرِ
فأَجَبْتُها مِنْ ذِكْرِ مَصْرَعِهِمْ	لا غيرِهِ عَبَراتُها تَجْري

(١) الخبر موسعاً مع القصيدة بتمامها في « الأغاني» ١٤١/٢٣ - ١٥٤ و « شرح نهج البلاغة » ١٢٠/٥ - ١٢٨ .

(٢) في « الأغاني » : أن أبصرت . . على النحر .

في فِتيَةٍ صَبَرُوا نُفُوسَهُمُ	لِلْمَشْرَفِيَّةِ والقَنَا السُّمْرِ
تاللهِ أَلقى الدَّهرَ مِثلَهُمُ	حتى أكونَ رَهينَةَ القَبْرِ
أَوْفى بِذِمَّتِهِمْ إذا عَقَدُوا	وأَعفَّ عِنْدَ العُسْرِ واليُسْرِ
مُتأَهِّلُونَ لِكُلِّ صالِحَةٍ	ناهُونَ مَنْ لاقَوْا عَنِ النُّكْرِ
صُمْتٌ إذا احْتَضَرُوا مَجالِسَهُمْ	أُذُنٍ لقولِ جَليسِهِمْ وَقْرِ [1]
مُتأَوِّهونَ كأَنَّ جَمْرَ غَضاً	لِلْخَوْفِ بينَ ضُلوعِهِمْ يَسْرِي
لم تَلْقَهُمْ إلّا كأَنَّهُمُ	صَدَرُوا لِخَوْفِهِمُ عَنِ الحَشْرِ
كَمْ مِنْ أَخٍ لكَ قد فُجِعْتَ بهِ	قَوّامِ لَيلَتِهِ إلى الفَجْرِ
صَوّامِ وَقْدَةِ كلِّ هاجِرَةٍ	تَرّاكِ لَذَّتِهِ على قَدْرِ
تَرّاكِ ما تَهْوى النُّفُوسُ إذا	رُغَبُ النفوسِ دَعَتْ إلى النَّزْرِ
خَوّاضِ غَمْرَةِ كلِّ مُتْلِفَةٍ	في اللهِ تحتَ العِثْيَرِ الكُدْرِ
في فِتيَةٍ صُبُرٍ رُزِئْتُهُمُ	كانُوا يَدِي وَهُمُ أُولو نَصْرِي

القصيدةُ طويلةٌ ، اقتصرت منها على ما أثبتُّهُ .

---

(١) كذا بالجر دون سابق جار ، ورواية الشطر في « شرح نهج البلاغة » ١٢٥/٥ : من غير ماعيٍّ بهم يزْري .

رُوِيَ أنَّ رَجُلينِ قَدِما المَوْسِم أيَّامَ الحجّ ، فسألا رجلاً يُعرَف بابنِ أبي دباكل [١] أن يقفَهُما على قبر ابنِ سُريج ، فلما وقفـا حسَر أحدهُما عَمامَتهُ ، فإذا هو عبدُ اللهِ بنُ سعيد بن عبد الملك بن مروان ، فنزل فعقَر ناقته ، وأنشد عند قبرِ ابن سُرَيج [٢] :

وَقفْنا على قَبرٍ بدَسْمٍ فَهاجنا ... وَذَكَّرَنا بالعَيْشِ إذْ هو مُصْحِبُ [٣]

فجالَتْ بأَرجاء الجُفونِ سَوافِحٌ ... مِنَ الدَّمعِ تَستَتْلي الذي يتعقَّبُ

إذا أَبْطأَتْ عنْ ساحَةِ الخدساقها ... دَمٌ بعدَ دَمعٍ إثْرَهُ يَتصَبَّبُ

فإنْ تُسعِدا نَنْدُبْ عُبَيْداً بعَبْرَةٍ ... وَقَلَّ لهُ منّـا البُكا والتَّنَحُّبُ [٤]

ثم نزل صاحبهُ فعقَر ناقتهُ ، فقال له القُرشي : خُذْ في صوتِ أبي يحيى فاندَفع يُغنّي :

أَسْعِدانِي بعَبرَةٍ أَسْرابِ ... مِنْ دُموعٍ كَثيرَةِ التَّسْكابِ

إنَّ أَهْلَ الحصابِ قد تركوني ... مُوزعاً مُولَعاً بأَهْلِ الحِصابِ [٥]

---

(١) شاعر خزاعي من شعراء «الحماسة» ومعناه : الغليظ الجلد السمج .

(٢) الخبر بمعناه مع الأبيات في « الأغاني » ١/٢٩٨ - ٣٠٢ .

(٣) المصحب : الذليل المنقاد بعد صعوبة .

(٤) في « الأغاني » : عبيداً بعوْلة . . البكا والتحوب .والتحوب : التوجع .

(٥) في « الأغاني » : مولعاً مولهاً . . والموزع والمولع بمعنى .

أهـلُ بيتٍ تتـايَعُوا للمنـايا ... ماعلى الدَّهرِ بعدَهُمْ مِنْ عِتابِ
فارَقُوني وقدْ علِمْتُ يقيناً ... ما لِمَنْ ذاقَ مِيتَةً مِنْ إيابِ
كم بذاكَ الحُجُونِ مِنْ حيِّ صِدْقٍ ... وكُهولٍ أعِفَّةٍ وشَبابِ
فلِيَ الوَيْلُ بعْدَهُمْ وعلَيْهِمْ ... صِرْتُ فرْداً وملَّني أصحابي

قال : ثم وهبا لي عشرين ديناراً وسارا ، فعُدْتُ إلى الناقتين فبِعْتُهُما ورَحْلَيْهِما بثلاثين ديناراً .

وقال الفرَزْدَقُ يرثي بَنيه (١) :

إذا ذَكَرَتْ عيني الذين هُمُ لَها ... قَذًى هَيَّجَ منها للبُكاءِ انسِكابُها
بَني الأرْضِ قد كانوا بَنِيَّ فعزَّني ... علَيْهِمْ لآجالِ المنايا كِتابُها
ولولا الذي للأرْضِ ماذَهَبَتْ بهم ... ولَمّا يفَلِّلْ بالسُّيوفِ جِذابُها
إذا ذُكِرَتْ أسماؤُهمْ أوْ دُعوا بِها ... تكادُ حيازيمي تفَرَّى صِلابُها

وقال شُتَيم بنُ خُوَيْلِد يرثي بني خالِدَة :

لا يُبْعِدِ اللهُ رَبُّ العبا ... دِ والمِلْحُ ماوَلَدَتْ خالِدَهْ (٢)

---

(١) لم ترد في ديوانه .

(٢) الشاعر جاهلي ، والأبيات عدا الأخير منها وردت في « الخزانة » ٤/١٦٥ و « رغبة الآمل » ٥/٥ قال البغدادي : الأبيات أوردها ابن الأعرابي في « نوادره » لنهيكة بن الحارث المازني من مازن فزارة . ونسبها المفضل بن سلمة في كتاب « الفاخر » لشتيم بن خويلد الفزاري . والملح هنا : البركة ، يقال : اللهم لا تبارك فيه ولا تملّحه . وخالدة : هي بنت أرقم أم كرْدم وكريدم ابني شعبة الفزاريين .

هُمُ المُطْعِمونَ سَدِيفَ العِشا ... رِ واللَّحْمَ في اللَّيلةِ البارِدَهْ (١)

وَهُمْ يكسرونَ صُدورَ الرِّما ... حِ في الخيلِ تَطْرُدُ أو طارِدَهْ (٢)

يذكرني حُسْنُ آلائهِمْ ... تأوُّهَ مُعْوِلَةٍ فاقِدَه (٣)

فإنْ يَكُنِ الموتُ أفناهُمُ ... فلِلْموتِ ما تَلِدُ الوالِدَهْ (٤)

وإنَّ التي بَقِيتْ بَعْدَهُمْ ... عَلى إثْرِ مَوْرِدِهِمْ وارِدَهْ

بنو خالِدَة الذين رثاهم شُتَيم بن خُوَيْلِد خمسةٌ ، منهم كُرْدَم ، وهو الذي طَعنَ دُرَيْدَ بنَ الصِّمَّة يومَ قُتِلَ أخوهُ عبدُ الله الذي يقولُ فيهِ دُرَيد:

تَنادَوْا فقالوا أَرْدَتِ الخيلُ فارِساً ... فقُلتُ أعبدُ اللهِ ذلِكُمُ الرَّدِي (٥)

فوقعَ دُرَيْد بينَ القتلى فأقبلَ رَجُلٌ من بني عَبْسٍ فرآهُ فقال : إني لأُظُنُّهُ حيّاً فأهوى له ليطعنهُ ، فقام كُرْدَم بالسيف دونهُ وقال : لا يَدْنُ

---

(١) في « الخزانة » :

هم المطعمو الضيف شحم السنا ... م والقاتلو الليلة البارده

وفي « الرغبة » . . . في المحل والليلة الباردة .

(٢) في « الرغبة » هم الكاسرون . .

(٣) الشطر الثاني في « الخزانة » : تفجُّع ثكلانة فاقدة .

(٤) في « الخزانة » : فإن يكن القتل . .

(٥) البيت من قصيدة في « الأغاني » ١٠/٧ – ٨

منْ قتيلِي أحدٌ ، ثم إن دُرَيداً تحامَلَ في اللّيلِ ، ومضى إلى قومه وبرأ . وحجَّ كَرْدَمٌ بَعدَ زمانٍ في أصحابٍ له فلم يشعروا حتى هجموا على بيتِ دُرَيد بن الصِّمَّة ، فأقبل دريد حتى انتهى إليهم ، فسلَّم عليهم ، ورحَّب بهم ، وقال : مَنِ القَوْمُ ؟ وهو لا يعرِفُهم . فغالطوه عن نسَبِهم ، وكان دريد عالماً بالنَّسَبِ ، فلم يزل حتى عرَفَهُمْ ، فلما رأى ذلك كَرْدَم ، كشفَ عن وجهِهِ فعرَفَهُ دُريد ، فسلم عليه وحيَّاه ، وقال : مرحباً بكم وبمن معكُمْ ، وأمر بقُبَّةٍ فضُرِبَتْ على كَرْدَم ، وبعثَ إليه بحُلَّةٍ وجَزُور ، فقال كردم : أما الجزورُ فقد قَبِلْتُها . وأما الحلة ، فتكونُ عندَكَ حتى أرْجِعَ إليكَ ، فأقامَ ما أقامَ ، ثُمَّ ارتحل فكان آخرَ العَهْدِ بهِ .

ورأيتُ هذه الأبيات بخط الوَزير الكامِل أبي القاسِم الُحسَيْن بن علي ابن الحسين المَغرِبي منسوبةً إلى الحارث بن عمرو الفزاري يرثي بني خالدة كردم وإخوته ، وهم بنو سعد بن حَرام ، والبيتُ السادس من الأبيات ما أورده الوزير .

وقال آخر :

أأمَيمُ هَيهاتَ الصِّبا ذَهبَ الصِّبا وأطارَ عَنِّي الحِلْمُ جَهْلَ غُرابِي

أَبْكِي الألى بالأمْس كانُوا جِيرَةً أمْسَوا دَفِينَ جَنادِلٍ وتُرابِ

ماتُوا وَلوْ أنّي قدَرْتُ بحِيلَةٍ ... لأحدْتُ صَرْفَ الموتِ عن أحبابي

ما حِيلَتي إلا البُكاءُ عليهمُ ... إنَّ البُكاءَ سِلاحُ كلِّ مُصابِ

وقال النابغةُ الجَعْدِيّ يرثي أهلَهُ من قصيدة أولها (١) :

أَلَمْ تَسْأَلِ الدارَ الغَداةَ متى هيا (٢)

عَهِدْتُ بها حَيّاً كِراماً كأنَّهُمْ ... عِظامُ الملوكِ عِزَّةً وتباهيا (٣)

لهُمْ مجلسٌ غُلْبُ الرِّقابِ مَرازِبٌ ... بدارِ الحِفاظِ أو يَعُدْنَ الأعادِيا (٤)

وَفتيانِ صِدْقٍ غيرِ وَخْشٍ أشابَةٍ ... مَكاسِبُ للمالِ الطَّريفِ معاطِيا (٥)

غَدَا فَتيَا دَهْرٍ وَرَاحا عَلَيْهِمُ ... نَهارٌ وَلَيلٌ يَلحقانِ التَّوالِيا (٦)

---

(١) هي في « شعر النابغة الجعدي » طبع المكتب الاسلامي ص١٦٦ ، وفيه تخريجها.

(٢) وتتمة البيت : عددت لها من السنين ثمانيا .

(٣) رواية البيت في « شعره » عهدت بها الحي الجميع . . . ، والحي الجميع : الحي المجتمع .

(٤) في « شعره » . . . مراجح قدار الحفاظ يدفعون الأعاديا

(٥) الوَخش كما كتب تحتها في الأصل : الرديء . وفي « اللسان » : الوَخْش : رذالة الناس وصغارهم وغيرهم ، يكون للواحد والاثنين والجمع والمؤنث بلفظ واحد . والأشابة من الناس : الأخلاط . الطريف : المستحدث ، وهو خلاف التليد .

(٦) في « شعره » : فمرّا عليهم نهار .

فلم يبقَ منْ تلكَ الدِّيارِ وأهلِها ... سُرَى الليلِ والأيامِ إلا مَغانيا

مَغانِيَ مَنْ غالتْ شَعُوبٌ فأصبحتْ ... حُلولُهُمُ تَبكي وتُبكي البَواكِيا (١)

إذا أَتَيا حَيًّا كراماً بِغبطَةٍ ... أَناخا بِهِمْ حتى يُلاقُوا الدَّواهِيا

وقال النابغةُ أيضاً :

لِمَنِ الدَّارُ كأنضاءِ الخِلَلْ ... عَهْدُها مِنْ حِقَبِ الدَّهْرِ الأُوَلْ (٢)

دارُ قَوْمِي قبلَ أنْ يُدرِكَهُمْ ... عَنَتُ الدَّهرِ وَعَيشٌ ذو خَبَلْ

إذْ هُمُ مِنْ خَيْرِ حَيٍّ سُوقَةً ... وَطِئَ الأَرضَ بسهلٍ أو جَبَلْ (٣)

لِغَرِيبٍ قامَ فِيهم سائلاً ... وَلِجارٍ جُنُبٍ جاءَ فَحَلّ (٤)

يَستَخِفُّونَ إلى الداعي بِهِم ... وإلى الضَّيفِ إذا الضيفُ نَزَلْ

هِزَّةُ النائلِ فيهِم والنَّدى ... وَثِقالٌ عندَ أطرافِ الأَسَلْ

وَلَهُم سِيما إذا مارُئِيتْ ... بَيَّنَتْ رِيبةَ مَن كانَ سَأَلْ

---

(١) في « شعره » توالي من غالت . . كلولهم تبكي . . ، والشعوب : المنية ، سميت بذلك لانها تشعب ، أي : تفرق .

(٢) وردت هذه الأبيات في « شعره » ٩٤ نقلاً عن هـذا المصدر ، وقـد سبقتها القصيدة نفسها برواية أخرى .

(٣) السوقة : الرعية .

(٤) في « القاموس » الجار الجنب ، بضمتين : جارك من غير قومك .

حُسنُ أجسامٍ وسروٌ ظاهِرٌ وَرِماحٌ وقِبابٌ وحُلَلْ

وَسَوامٌ لُجُبٌ سامِرَةٌ طُلُحٌ ذادَتُهُ يومَ النَّهَلْ [1]

جَعلوهُ دونَ أحسابِهِم فَوَقاهُمْ كلَّ ذمٍّ وبَخَلْ

سَألتني جارَتي عن أُمّتي وإذا ماعَيَّ ذُو اللُّبِّ سَأَلْ

سَألتني عن أناسٍ هَلَكُوا شرِبَ الدَّهرُ عليهم وأكَلْ

طلَبُوا المجدَ فلما أدركوا لِكتابٍ وانتهى ذاكَ الأَجَلْ

وضعَ الدَّهرُ عليهم بَرْكَهُ فأراهُ لم يُغادِرْ غيرَ فَلْ [2]

وأراني طَرِباً في إثْرِهِمْ طَرَبَ الوالِهِ أوْ كالمُخْتَبَلْ [3]

---

(١) السوام : كل مارعى من المال في الفلوات إذا خلي وسومه يرعى حيث شاء . شاة لجبة : مولية اللبن . الأصمعي : إذا أتى على الشاة بعد نتاجها أربعة أشهر فجف لبنها وقل ، فهي لجاب . سمرت الماشية النبات تسمُره : رعته . الطلح : الرعاة . النهل : أول الشرب .

(٢) البَرْك في « اللسان » : الصدر ، وقيل : هو ماولي الأرض من جلد صدر البعير إذا برك .

(٣) الطرب : خفة تعتري الانسان من فرح أو حزن ، والمناسب هنا الثاني . والمختبل : الفاسد العقل ، وللبيت شرح ضاف في « الاقتضاب » للبطليوسي ٢٩١

أَنْشُدُ الناسَ ولا أَنشُدُهمْ   إِنَّمَا يَنْشُدُ مَنْ كانَ أَضلّْ (١)

وقال النابغةُ أيضاً (٢) :

وقالتْ سُلَيْمىٰ أرى رأْسَهُ   كَناصِيَةِ الفَرَسِ الأَشْهَبِ (٣)

وَذلِكَ مِنْ وقَعَاتِ الزَّمانِ   ففِيئي إِليكِ ولا تعجَبِي (٤)

أَتَيْن على إخوتي سبعة   وَعُدْنَ على رَبْعِيَ الأقربِ

الربع : الدار ، أراد أهلها ، وقال أبو عمرو : ربعه : فخذه من عشيرته .

وَسادَةِ رَهطِي حتى بَقِيـ   تُ فرداً كَصِيصِيَةِ الأَعْضَبِ (٥)

---

(١) قال ابن قتيبة في « المعاني الكبير » ٢/٢٥٥ . أي : أبغي الناس ولا أبغيهم ، أقول : أين فلان وفلان ، فأما هؤلاء فقد حضرت هلكهم .

(٢) « شعره » ١٣ .

(٣) الناصية : منبت الشعر في مقدّم الرأس ، والأشهب : من الشهبة ، وهي في الألوان : البياض الذي غلب على السواد .

(٤) رواية البيت في « شعره » : من وقعات المنون . الوقعات : جمع وقعة ، وهي صدمة الحرب . المنون : الموت ، والمنون : الدهر . فيئي اليك ، أي : ارجعي إلى نفسك .

(٥) الرهط : القوم والقبيلة . يقول : أصاب الموت سادة رهطي ، والصيصية : القرن ، وجمعه صياصي . والأعضب : المكسور القرن ، ومن ليس له أخ .

أَصابَهُمُ القَتلُ ثُمَّ الوفاةُ هـذَّ الإشـاءَةِ بالمِخْلَبِ [1]
مَضَوْا سَـلَفاً ثم لم يَرْجِعُوا إلينا فَيالَكَ مِنْ موكِبِ
غُيُـوثاً تَنُوءُ على المُقْتِرِيـ نَ إنْ يَكْذِبِ الغَيْثُ لَمْ تَكْذِبِ
كِراماً لدى الضَّيفِ عِندَ الشِّتا ءِ والجَدْبِ في الزَّمَنِ الأَجْدَبِ
إذا عَزَبَ الناسُ أحلامُهُمْ أَراحُوا الحُلومَ فَلَمْ تَعْزُبِ

وقال أيضاً يرثي قومَهُ [2] :

دارُ حَيٍّ كانَتْ لَهُمْ زَمَنَ التَّوْ بَـةِ لاعُزَّلٍ وَلاَ أَكْفال [3]
لاأَرَى مِثْلَهُمْ وَلَوْ قَذَفَ الأعْـ داءُ فيهِـمْ هواجِرَ الأَقْوالِ [4]

---

(١) الهذّ : سرعة القطع . الاشاء : الفسيلة . والمخلب : المنجل الساذج الذي لا أسنان له .

(٢) « شعره » ٢٢٩ .

(٣) في « الأساس » مادة توب : زمن التوبة : الاسلام ، لأنه يتاب فيه من الشرك . عزل : لاسلاح معهم . أكفال : جمع كفل ، وهو الذي لا يثبت على ظهور الخيل .

(٤) الهواجر في « التاج » و « اللسان » : جمع هاجرة بمعنى الهجر ، وهو الفحش .

مِنْ كُهُولٍ غُلْبٍ مَلاوِيثَ قَطّا عِينَ قَدَّ الأَسِيرِ ذي الأَغلالِ [(١)]

وَهُمُ مَهْرَبُ الذَّليلِ كما يهـ رُبُ مَنْ خافَ في رؤوسِ الجبالِ

هَاجَرُوا يَطْلُبُونَ ماوَعَدَ اللّـــهُ فَبَانُوا وَجَارُهُمْ غـيرُ قالِ [(٢)]

فَسَلامُ الإلٰهِ يَغْـدُو علَيهم وَفُيوءُ الفِرْدَوْسِ ذاتُ الظِّلالِ

وقال أبو بلال مِرْداسٌ الخارجي [(٣)] يرثي قَتلى مِنَ الخوارج :

---

(١) غلب : جمع أغلب ، وهو الغليظ الرقبة . قال في « اللسان » : وهم يصفون أبداً السادة بغلظ الرقبة وطولها . الملاويث ، في « الصحاح » : يقال للقوم الأشراف : إنهم لملاوث ، أي : يطاف بهم ويلاث ، الواحد ملاث ، والجمع ملاوث وملاويث. القد : الجلد .

(٢) بانوا : فارقوا . والبين من الأضداد . قالٍ : بغيض .

(٣) هو مرادس بن حدير بن عامر بن عبيد بن كعب الربعي الحنظلي التميمي، أبو بلال ، ويقال له : مرادس بن أديّة ، وهي أمه (٠٠ - ٦١ هـ) : من عظماء الشراة ، وأحد الخطباء الأبطال العبّاد . شهد صفين مع علي ، رضي الله عنه ، وأنكر التحكيم ، وشهد النهروان ، وسجنه عبيد الله بن زياد في الكوفة ، ونجا من السجن ، فجمع نحو ثلاثين رجلاً ونزل بهم في آسك بالأهواز ، وانتهى الأمر بقتله . ترجمته في « رغبة الآمل » ٧/١٨٧ - ١٩٦ ، و « ابن الأثير » ٣/٢٠٣ و ٤/٣٨٠ .

أَبَعْدَ ابن وَهْبٍ ذي النَّباهَةِ والتُّقَى ... وَمَنْ خاضَ في تلكَ الحُروبِ المَهالِكا (١)

أُحِبُّ بَقاءً أَوْ أُرَجِّي سَلامَةً ... وقد قَتلوا زَيْدَ بنَ حِصْنٍ وَمالِكا (٢)

فيارَبِّ سَلِّمْ نِيَّتي وَبَصيرَتي ... وَهَبْ لي التُّقَى حتى أُلاقي أُولائكا

وقال أبو الشغب العَبْسِي (٣) :

أَبَعْدَ بَني الزُّهرِ الغَطارِفَةِ الأُلى ... أُرَجِّي رَخاءً أو نوالاً مِنَ الدَّهْرِ

غَطارِفَةٌ زُهْرٌ مَضَوْا لِسَبِيلِهِمْ ... أَلَهْفي على تلكَ الغَطارِفَةِ الزُّهْرِ

لَهُمْ ذِكَرٌ يَعْتَدْنَ قَلْبِي كأنَّما ... يُلَذِّعْنَهُ بينَ الجوانِحِ بالجَمْرِ

يُذَكِّرُنيهِمْ كلُّ خيرٍ رأيتُهُ ... وَشَرٍّ فَما أَنْفَكُّ مِنْهُمْ على ذِكْرِ

سَقَى اللهُ أجساداً ورائي تركتُها ... بِحافَةِ قِنَّسْرِينَ مِنْ سَبَلِ القَطْرِ

ثَوَوْا لا يُرِيدُونَ الرَّواحَ وَغالَهُمْ ... مِنَ الموتِ أسبابٌ جَرَيْنَ على قَدْرِ

---

(١) البيت وما يليه في « رغبة الآمل » ٧/١٩٠ . وابن وهب أراد به عبد الله ابن وهب الراسبي .

(٢) زيد بن حصن بن وبرة الطائي .

(٣) أبو الشغب العبسي : شاعر من شعراء الدولة الأموية . واسمه عكرشة ، وهو من شعراء « الحماسة » وأبياته في « المقطعات » ٩٩ ، غير بيت ، وخمسة منها في « الحماسة » للتبريزي ٣/٥٠ وثلاثة في « البيان » ٣٢٩ ، و بيتان في « السمط » ٤٢٨ .

ولو يستطيعونَ الرَّواحَ تَرَوَّحُوا معي ومضَوْا في المُصْحِبينَ على ظَهرِ
لَعَمْري لقد وارَتْ قُبورٌ ضَمِنَّهُمْ أَكُفّاً شِدادَ القَبْضِ للأَسَلِ السُّمْرِ
وآخِرُ عَهدٍ منكَ ياشَغْبُ شَمَّةٌ بشَرجٍ وَدَاعاً والمطايابنا تَسري
فكانَ وَداعاً لاتَلاقِيَ بَعْدَهُ وَبَيْناً إلى يوم القيامَةِ والحَشْرِ

وقال أيمنُ بنُ خُرَيم الأسدي (١) :

رَمى الحِدْثانُ نِسْوَةَ آلِ حَرْبٍ بِمِقدارٍ سَمَدْنَ لهُ سُمُودا (٢)
فَرَدَّ شُعورَهُنَّ السودَ بِيضاً وَرَدَّ وُجوهَهُنَّ البيضَ سُودا

---

(١) أيمن بن خريم بن الأخرم بن شداد بن عمرو بن فاتك بن العليب ابن عمرو بن أسد بن خزيمة بن مدركة الأسدي. قال المبرد في «الكامل» : له صحبة ، وأنشد له شعراً قاله في قتل عثمان ، وقال ابن عبد البر : أسلم يوم الفتح ، وهو غلام يفعة . قال الصولي : كان أيمن يسمى خليل الخلفاء لاعجابهم به وبحديثه لفصاحته وعلمه . انظر «الاصابة» ت ٣٩٣ . وقد وقع خلاف في نسبة الأبيات ، فهي في «الأمالي» ٣/١١٥ منسوبة للكميت ، وعزاها ابن قتيبة في «عيون الأخبار» ٣/٦٧ لفضالة بن شريك . وفي «شرح القاموس» مادة «سمد» لعبد الله بن الزبير الأسدي .

(٢) في «ذيل الأمالي» : رمى المقدار . . وفي «العيون» : بفادحة سمدن . . والسمود : الغفلة وذهاب القلب ، ومنه قوله تعالى : «وأنتم سامدون» أو هو تغيُّر الوجه من الحزن كأنه أصابها السهاد .

فإنَّكَ لو رأيتَ بكاءَ هِنْدٍ ورَمْلَةَ إذْ تَصُكَّانِ الخُدُودا
بَكَيْتَ بُكاءَ مُعْوِلَةٍ فَقِيدٍ أصابَ الدَّهْرُ واحِدَها الفَقِيدا

وقال أعرابي :

ألا أيُّها الموتُ الذي ليس جائياً أرِحْني فقد أفْنَيْتَ كُلَّ خليلِ
أراكَ بَصيراً بالذينَ أُحِبُّهم كأنَّكَ تُهْدَى نَحْوَهُمْ بدَليلِ

وقالت أمُّ الصريح الكنديَّة [1] :

هَوَتْ أُمُّهُمْ ماذا بِهِمْ يومَ صُرِّعُوا بجيشانَ مِنْ أَسبابِ مَجدٍ تَهَدَّما [2]
أبَوا أَنْ يَفِرُّوا والقَنَا في نُحورِهِمْ ولمْ يَرْتَقُوا مِنْ خَشْيَةِ الموتِ سُلَّما [3]
ولو أَنَّهُمْ فَرُّوا لَكانوا أَعِزَّةً ولكنْ رأَوا صبراً على الموتِ أكْرَما

---

(١) شاعرة من شواعر حضرموت ، ولدت في حضرموت حوالي سنة ٣٠ قبل الميلاد النبوي . وقتل أبناؤها في إحدى الوقعات الحربية فرثتهم بهذه الأبيات . « أعلام النساء » : ٢/٣٢٥ .

(٢) البيت وما يليه في « الحماسة » للمرزوقي ٩٣٣ و « ياقوت » في رسم جيشان . قال المرزوقي : قوله : هوت أمهم ، أي : هلكت .. وهذه اللفظة تستعمل عند الداهية يشرف عليها الانسان أو يقع فيها . وجيشان : مخلاف باليمن ، سمي باسم جيشان بن غيدان . وكانت في الأصل : بحسان .

(٣) في « ياقوت » : في صدورهم .

عن شبل بن بشير أنهُ خرج في سفرٍ وخلَّف الطَّاعون في أهله ، فلم يَدَع منهم أحداً إلا أَمَةً سوداء ، فتحوَّلت إلى بعض الجيران ، فقدم شِبلٌ ، فجعل يَدُقُّ البابَ ، فسمِعَتْ الأَمَةُ ، فقالت : مَنْ هذا ؟ فقال : أنا ربُّ الدارِ ، فقالت : مابقيَ في الدارِ أحدٌ ، فجاء الناس يُعَزُّونَهُ على ما افترط من أهله فقال :

أَتى دونَ حُلوِ العَيْش حتى أَمَرَّهُ	نكوبٌ على آثارِهِنَّ نكوبُ
تَتابَعْنَ في الأَحبابِ حتى أَبَدْنَهُمْ	فلم يَبقَ منهم في الدِّيار عَرِيبُ
إذا ذَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ عُلِّلْتُ بالمُنى	وَيأوي إليَّ الحُزْنُ حينَ تَغيبُ
ونامَ خَلِيُّ البالِ عني ولَمْ أَنَمْ	كما لم يَنَمْ عاري الفِناء عَزيبُ
أَضَرَّتْ بهِ الأَيامُ حتى تَرَكْنَهُ	بِطُولِ الذي عَقَّبْنَ وهو رَقوبُ
وكيفَ بقاءُ المرءِ مِنْ بعدِ أهلِهِ	وليس له في الغـابرِينَ حَبِيبُ
وما تركَ الطَّاعونُ مِنْ ذي هَوادَةٍ	إلينا إذا حانَ الإيابُ يؤوبُ
وكُنْتُ أُرَجِّي أن أَؤوبَ إليهمُ	فَغالَهُمُ مِنْ دونِ ذاكَ شَعُوبُ
مقاديرُ لا يُغْفِلْنَ مَنْ حانَ يومُهُ	لَهُنَّ على كلِّ النُّفوسِ رَقِيبُ
سقَيْنَ بكأسِ الموتِ من قَدْ أَمَتْنَهُ	وفي الحيِّ من أنفاسِهِنَّ ذَنُوبُ
أُرِيدُ لأَنسى ذِكْرَهُمْ فَيَهِيجُني	فُؤادٌ إلى أهلِ القُبُورِ طَرُوبُ
ولَسنا بأحيا مِنهمُ غيرَ أَنَّنـا	إلى أجَلٍ نُدعى لهُ فنُجِيبُ

وقال الرُّقَيعُ بنُ عُبيد الأسدي :

لَحى اللهُ دهراً شرُّهُ دونَ خيرِه ... وَجداً بصَيْفِيٍّ نأى بَعْدَ معبَدِ [١]

بقيَّةُ خُلاّنِي أتى الدَّهرُ دُونَهُمْ ... فما جزعي أم كَيفَ عنهمْ تَجلُّدِي

فلو أنَّها إحدى يديَّ رُزِيتُها ... ولكنْ يدي بانَتْ على إثْرِها يدي

كأنّي وَصيْفيّاً أخا الصِّدقِ لم نَقلْ ... لِموقدِ ليلٍ آخِرَ اللَّيلِ أَوْقِدِ

فلَستُ بباكٍ بعدَهُ إثْرَ هالِكٍ ... قدِيَ الآنَ مِنْ وَجْدٍ على هالكٍ قَدِي [٢]

وقال الشريفُ الرَّضي ، رضي اللهُ عنهُ :

ما لِلهُمومِ كأنَّها ... نارٌ على كَبِدِي تَشَبُّ [٣]

لِفراقِ إخْوانِ الشَّبا ... بِ غدَتْ مطاياهُمْ تَخبُّ [٤]

---

(١) الأبيات في « الحماسة » : للمرزوقي ، منسوبة لرجل من كلب ، الأول والثاني والثالث والخامس ص ١٠٧٤ - ١٠٧٥ . والرابع والثالث والخامس ص ٨٩٥ - ٨٩٦ ، وفي « الحماسة » : .. شره قبل .. وَوَجْداً .. أتى .. ، ولحى الله : دعاء على الدهر الذي وصفه .

(٢) في « الحماسة » ص ٨٩٦ : فأقسمت لا آسى على إثر .. وفي ص ١٠٧٥ : فآليت آسى بعدهم إثر .. وقوله : قدي الآن ، أي : حسبي .

(٣) « ديوانه » ١/١٧٠ وفيه : « على قلبي تشب »

(٤) في « الديوان » : لوداع .. مضت ..

فارَقْتُهُمْ فالعَيْنُ عَيْـ ـنٌ بعْدَهُمْ والقَلْبُ قَلْبُ
ما كُنْتُ أحسِبُ أنَّني جلْدٌ على الأَرْزاء صعْبُ
أوْ أنَّني أبقَى وظهـ ـري بعدَ إخواني أجبٌّ [١]
ما أَخْطَأتْكَ الحادِثا تُ إذا أصابتْ من تُحِبٌّ [٢]

وقال أبو رِفاعة :

أصْبَحَتْ من حُلولِ قَومي وَحْشاً رُحَبُ الجِذْرِ جلْسُها فالبِطاحُ
ولَقَدْ أُلْفِيَتْ وفِيها كُهُولٌ وشبابٌ بِيضُ الوُجوهِ صِباحُ
وَمهادِيرُ في البُدِيِّ ولا يَنْـ ـفكُّ فيه منهم ندًى وسماحُ

وقال البُرَيق بنُ عياضٍ الهُذَلي [٣] :

أَلَمْ تَسَلْ عنْ ليلى وقد ذهبَ العُمْرُ وقدْ أوْحشَتْ منها المَوازِجُ والحَضْرُ [٤]

---

(١) وبعد هذا البيت في « الديوان » :

لا الوجـد منقطع الوقو دِ ولا مزار الدمـع غب

(٢) في « الديوان » : ما أخطأتك النائبات .

(٣) الأبيات في « شرح أشعار الهذليين » ٧٤٨ و « ديوان الهذليين » ٣/٥٨، وقد سبقت ترجمة الشاعر . ورواها الأصمعي لعامر بن مسدوس .

(٤) في « الشرح » وقد ذهب الدهر .. وفي « ديوان الهذليين » وقد نفذ العمر . ونفذ العمر : ذهب . والموازج والحضر : مواضع .

وَقَدْ هاجني منها بِوَعْسَاء فروَعٍ فأجزاع ذي اللَّهْباء منزلَةٌ قفْرُ [(١)]

يظَلُّ بِهـا داعي الهديلِ كأنَّهُ على السَّاقِ نَشْوانٌ تميلُ به الخمْرُ [(٢)]

فإنْ تبكِ في رسمِ الدِّيارِ فإنَّهـا ديارُ بني زيدٍ وهل عنهُمُ صبرُ [(٣)]

وقال آخر :

ألا ليْتَ شِعْرِي هل يَعُودَنَّ مامضى ليالِيَ عَيْشُ الأصفِياء رَطِيبُ

وهل عائِدٌ قبلَ المماتِ فراجِعٌ إلى عهـدِهِ دَهْرٌ إليَّ حبيبُ

وهل يَجْمَعَنْ شمْلي مِنَ الدَّهرِ جامِعٌ بلى ذاكَ إنْ شاء الإِلَهُ قريبُ

وَلِي كَبِدٌ حرّى بما قد تَضَمَّنَتْ عليكُمْ وَعَيْنٌ بالدُّموعِ سَكُوبُ

أُصَعِّدُ أنفاسي حنينـاً إليكُـمُ كما حَنَّ مَقصُورُ اليدينِ نجيبُ

---

(١) ذكر ياقوت أن الوعساء رملة . وقرمد : موضع الوادي . والجزع : منعطف الوادي . وفَرْوع : موضع في بلاد هـذيل . وذكر ياقوت في « اللهباء » أنـه بفتح فسكون وباء موحدة . وقال : إنه موضع لعله في ديار هذيل ، ثم أنشد هذا البيت ونسبه لعامر بن سدوس الخناعي الهذلي .

(٢) في « الديوان » : يظل بها الداعي الهديل .. وفي « الشرح » : داعي هديل . الهديل : الصوت ، وهو أيضاً ذَكَر الحمام ، ويعني بالساق : ساق الشجرة .

(٣) أي : لا صبر عنهم ، لأنهم قرابة .

وقال حيانُ بنُ قيس [1] :

تَطاوَلَ ليلي بالقَطـاطِ إلى الغَمْرِ ... وَباتَ فِراشي مُشْعَراً جاحِمَ الجَمْرِ

تذكَّرْتُ مَنْ أضْحَتْ بحَورانُ دارُهُ ... وكيفَ مع الأحداثِ تَصبُو إلى الذِّكْرِ

فإنْ أرَهُمْ لا أَصدِفُ الدَّهرَ عنهُمُ ... سِوى سَفَرٍ حتى أُغَيَّبَ في القَبْرِ

لَعَمْري لقد أمسَتْ إليَّ بغِيضَةً ... نَوًى فرَّقَتْ بيني وبينَ بني عَمْرِو

إذا هبَطُوا الأذْوات والبحرُ دُوننا ... فقُلْ في تَناءِ بيننا آخِرَ الدَّهْرِ

وقال كُشاجِم :

تَحَرَّمَ الدَّهْرُ أَشْكالِي فأَفْرَدَني ... مِنْهُمْ وَكُنْتُ أراهم خَيْرَ جُلّاسي

وَصِرْتُ آلَفُ قوماً لا خَلاقَ لهُمْ ... والوَحْشُ يأنسُ عِنْدَ المحلِ بالناسِ

وقالت ليلى أخت الوليد بن طريف الشاري تبكيه :

ذَكَرْتُ الوَلِيـدَ وأَيّامَهُ ... إذ الأرْضُ مِنْ شخْصِهِ بَلْقَعُ [2]

فأقْبَلْتُ أطلُبُهُ في السماء ... كما يَبتغي أنفَهُ الأجْدَعُ

أضـاعكَ قومُكَ فلْيَطْلُبُوا ... إفادَةَ مِثْلِ الذي ضَيَّعُوا

---

(١) كذا ورد اسمه ، ولعله حبان بن قيس ، وهو النابغة الجعدي .

(٢) الأبيات في « الأغاني » ٩٢/١٢ .

لوَ أنَّ السُّيوفَ الذي حدُّها يُصِيبُكَ تعْـلَمُ ما تصنَعُ [(١)]
نَبَتْ عنكَ أو جَعَلَتْ هيبةً وخوفاً لصولكَ لا تَقْطَعُ

وقالت فارعة المُرِّيَّة أختُ مسعود بن شدّاد تبكيه [(٢)] :

يامنْ رأى بارِقاً قدْ بِتُّ أَرْمُقُه جَوْداً على الحرّةِ السَّوْداء والوادي [(٣)]
أَسقي بهِ قَبْرَ مَنْ أَعْني وَحُبَّ بهِ قَبراً إِليَّ وإنْ لَمْ يَفْدِهِ فادِ
شَـهّادُ أَنْدِيَةٍ رَفّـاعُ أَلوِيَةٍ سَدّادُ أَوْهِيَةٍ فَتّاحُ أَسـدادِ
نَحّـارُ راغِيَةٍ قَتّـالُ طاغِيَةٍ حَلّالُ رابِيَةٍ فَكّاكُ أَقْيـادِ [(٤)]

---

(١) في « الأغاني » : السيوف التي .

(٢) وهي شاعرة من شواعر العرب في الجاهلية ، قالت ترثي أخاها مسعود ، وكان أغار على جرم ، فأسروه ثم لم يسقوه حتى مات عطشـاً . والأبيـات في « الأغاني » ١٢/١٠١ . و « الأمالي » ٢/٣٢٦ . وفي « زهر الآداب » ٩٤١ مع بعض الزيادة والنقص ، ومنهـا أبيات في « حماسة ابن الشجري » ٨١ وثمة خلاف في الرواية بين تلك المصادر أغفلنا إثباته ، وهي من قصيدة جيدة أولها :

ياعين بكيّ لمسعود بن شدّاد بـكاء ذي عبرات شجوه باد

(٣) بارقاً ، أي : سحاباً ذا برق . وجوداً : كثير المطر .

(٤) الراغية : النـاقة .

قَوّالُ مُحْكَمَةٍ نَقّاضُ مُبْرَمَةٍ   فَرّاجُ مُبْهَمَةٍ حَبّاسُ أَوْرادِ [١]
حَلّالُ مُمْرِعَةٍ حَمّالُ مُضْلِعَةٍ   فَرّاجُ مُفْظِعَةٍ طَلّاعُ أَنْجادِ [٢]
أَبا زُرارَةَ لا تَبْعَدْ وكُلُّ فَتىً   يوماً رَهِينُ صَفيحاتٍ وأَعْوادِ [٣]

وقال الشريف المُرتضى ، رحمه الله [٤] :

أَوْرَدْتني وَمضَيْتَ مُبْتَدِراً   حَزَّ المُدَى وَلَواذِعَ الجَمْرِ [٥]
وتركْتَني والدَّهْرُ ذُو دُوَلٍ   أَعْشَى اللِّحاظِ مُقَلَّمَ الظُّفْرِ
أَرْمي فلا أُصمِي وإنْ رُميتْ   جِهَتي رُمِيتُ مُعَرَّضَ النَّحْرِ [٦]

---

(١) أوراد : جمع ورد ـ بالكسر ـ وهو الجماعة الواردون الى الماء ، والقطيع من الطير والابل ، والجيش ، على التشبيه بقطيع الطير والابل .

(٢) المضلعة : المثقلة للأضلاع .

(٣) الصفيحة هنا : الحجر العريض .

(٤) « ديوان الشريف المرتضى » ٢/٨٥ . من قصيدة طويلة يرثي بها فخر الملك سنة ٤٠٧ هـ أولها :

شَطّت عليك لُبانةُ الصدر   وحُرمتَها من حيث لا تدري

(٥) رواية « الديوان » : زودتني ومضيت .. ومبتدراً ، أي : مسرعاً ، وأصله للاشتراك ، ولكن المولّدين استعملوه للواحد أحياناً . المدى : جمع المدية ، وهي السكين .

(٦) في « الديوان » : فان رميت .. معرّضاً نحري .

وأُصدُّ عنْ لُقْيا العَدُوّ وهلْ　　أَلْقَى العَدُوَّ ولَسْتَ في ظَهرِي

وإذا مضى من كانَ يعضُدُني　　وَيشُدُّ يومَ كَريهَةٍ أزْرِي

وَيرُدُّ عنّي كُلَّ طارِقَةٍ　　ويَخُوضُ كُلَّ ردىً إلى نصْرِي

فالحظُّ لي أَنْ لاأهيجَ وَغىً　　حتى أكونَ مُسالِماً دَهْري

لامُتْعَةٌ لي في الحياةِ فما　　أحياهُ بعدَكَ ليسَ من عُمْري

وقال آخر :

يادَهْرُ قد أكثرْتَ فجْعَتَنا　　بِسَراتِنا وَوَقَرْتَ في العَظْمِ (١)

وَسلَبْتَنا ما لسْتَ مُخلِفَهُ　　يا دَهْرُ ما أنْصَفْتَ في الحُكْمِ

لو كانَ لي قِرْنٌ أناضِلُهُ　　ماطاشَ عِندَ حفيظَةٍ سَهْمِي

أوْكانَ يُعطِي النَّصْفَ قُلتُ لهُ　　أحرَزْتَ سهْمَكَ فالهُ عن سهْمِي (٢)

وقالت أميمَةُ بنتُ عبدِ شمسٍ ترثي قومها :

أبى ليْلُكَ أنْ يذهبْ　　ونِيطَ الطَّرْفُ بالكوكبْ (٣)

---

(١) الأبيات صوت في « الأغاني » ٣/٣١٩ . ولم تنسب .

(٢) النصف ، مثلثة : اسم بمعنى الانتصاف . السهم : النصيب والحظ ، والسهم في البيت الذي قبله : مايرمى به ، وهو واحد النبل .

(٣) الأبيات في « الأغاني » ٢٢/٨٠ وذكر أبو الفرج أن أميمة بنت عبد شمس قالتها ترثي ابن أخيها أبا سفيان بن أمية ، ومن قتل من قومها ، ثم أورد لها ثمانية عشر بيتاً .

وهذا الصُّبحُ لايأتي ولا يـدْنُو ولا يقْرُبْ
لِفقْـدِ عشيرَةٍ مِنـّا كِرامِ الخيمِ والمَنْصِب (١)
أَمالَ عَلَيْهِـمُ دَهْـرٌ حَديدُ النّـابِ والمِخْلَب (٢)
فَحَلَّ بِهِمْ وقدْ أمِنُوا فلَمْ يُقْصِرْ ولم يَشْطُبْ (٣)
ومَاعَنْهُ إذا ماحَـلْ لَ لامَنجىً ولا مَهْرَبْ (٤)
ألا ياعَـينُ فابكيهِمُ بِدَمعٍ مِنكِ مُستَغْرِبْ (٥)
فـإنْ أبْكِ فهُـمْ عِزّي وهُمْ رُكْني وهُمْ مَنْـكِبْ

وقال هِلالُ بن الأسْعَر (٦) يَرْثي رجلاً من قومه يقالُ له : المُغيرةُ بنُ قَنبر كان يعوله ويفضِّل عليه :

---

(١) في « الأغاني » : بِعقرِ عشيرة . .

(٢) في « الأغاني » : أحال عليهم . .

(٣) أقصر عن الأمر : انتهى وأمسك مع القدرة عليـه . وشطب : بعد ، وشطب عنه : مال وعدل .

(٤) في « الاغاني » : . . إذا ماحل من منجى .

(٥) استغرب الدمع : سال .

(٦) سبقت ترجمته في هذا الجزء من الكتاب ص ٤٣ تعليق رقم ٢ ، وقد ورد سمه ثمّ في الأصل مصحفاً بالشين المعجمة . وأبياته في « الأغاني » ٣/٥١ ،

أَلا لَيْتَ المُغيرةَ كانَ حيّاً ... وأفنى قَبلَهُ الناسَ الفناءُ

لِيَبْكِ على المُغيرةِ كُلُّ خَيلٍ ... إذا أفنى عرائِكَها اللِّقاءُ (١)

وَيَبْكِ على المُغيرةِ كُلُّ كَلٍّ ... فقيرٍ كانَ يُنعِشُه العَطاءُ

وَيَبْكِ على المُغيرةِ كلُّ جيشٍ ... تَمورُ لدى معارِكِهِ الدِّماءُ

فتى الفِتيانِ فارِسُ كلِّ حربٍ ... إذا شالَتْ وقدْ رُفِعَ اللِّواءُ (٢)

لقدْ وارَى جديدُ الأرضِ منهُ ... خِصالاً عقْدُ عِصْمَتِها الوَفاءُ (٣)

وصبراً للنوائبِ إنْ أَلَمَّتْ ... إذا ماضاقَ بالحدَثِ الفَضاءُ

هِزَبْرٌ تَنْجَلي الغَمراتُ عنهُ ... نَقِيُّ العِرْضِ هِمَّتُهُ العَلاءُ

إذا شهِدَ الكَريهَةَ خاضَ فيها ... بُحوراً لا تكدِّرُها الدِّلاءُ

وذكر أبو الفرج في مناسبتها أنه كان رجل من قومه من بني رزام بن مالك يقال له: المغيرة بن قنبر يعوله ويفضل عليه ، ويحتمل ثقله وثقل عياله فهلك فقال القصيدة في رثائه .

(١) العرائك : جمع عريكة ، وأصل العريكة: سنام البعير ، وتقال على النفس وعلى القوة والشدة .

(٢) شالت، في الأصل سالت ، وما أثبتناه عن « الاغاني » ، وشالت الحرب : تهيأت لأن يخوض الأبطال غمارها ، وهو من شالت الناقة : إذا رفعت ذنبها للقاح

(٣) يريد بجديد الأرض : قبره الذي جدّ منها وحفر ليدفن فيه .

جسُورٌ لايُوَرَّعُ منه رَوْعٍ ولا يثني عزيمتهُ اتّقاءُ [١]
حَلِيمٌ في عشيرته إذا ما حُبَا الحُلماء أطلقَها المِراءُ [٢]
حمِيْدٌ في عشيرتهِ فقيدٌ يطيبُ عليهِ في الملأ الثَّناءُ

وقال امرُؤُ القيس بنُ حِجْر الكندي :

تذكَّرْت أهلي الصالحينَ وقد أتى على حَمَلٍ مِنَّا الرِّكابُ فأَعْفَرا [٣]
ولما بدَتْ حَوْرانُ والآلُ دُونَها نظَرْتَ فلَمْ تَنْظُر بعَيْنَيْكَ منْظَرا [٤]
تقَطَّع أسْبابُ اللُّبانةِ والهوَى عشِيَّةَ جاوَزْنا حماةَ وَشيْزَرا [٥]

---

(١) في « الأغاني » :جسور لا يروّع عند ..

(٢) في « الأغاني » : حميد في مشاهده .. وحبا : جمع حبوة ، وهي الثوب الذي يحتبى به ، واطلاق الحبا يكنى به عن السفه والطيش . والمراء : المجادلة والملاجّة والمخاصمة .

(٣) « ديوان امرىء القيس» ٦١ ، وروايتـه فيه : على خملى خوصُ الركاب وأوجرا . وخملى وأوجر : موضعان قبل الشام .

(٤) يقول : لما جاوزت حوران ، فبدت لي في الآل دون أسماء لم أر شيئاً أسرّ به ، فكأنّ كل ماأراه غير مرئيٍّ لحقارته وقبحه في عيني .

(٥) يقول : لما جاوزت حماة وشيزر ، تقطعت أسباب الحاجة إلى من أحببت يأساً من اللقاء ، وشغلاً بما نحن فيه من الشدة .

عشيَّةَ جاوزْنا حماةَ وسيرُنا أُخو الجَهْدِ لا نلوي على من تعذّرا (١)

بكى صاحبي لما رأى الدَّرْبَ دُونهُ وأيقَنَ أنّا لاحقانِ بقيْصرا (٢)

فقلْتُ لهُ لا تبْكِ عينُكَ إنّما نُحاوِلُ مُلْكاً أو نموتَ فنُعذَرا

* * *

(١) في « الديوان » : بسير يضج العوْد منه يمنّه .. لا يلْوي .. ، ويمنّه ، أي : يذهب بمنته ويضْعِفُه . وقوله : أخو الجهد ، أي : الذي يجهد في مسيره ، ويحمّل عليه فوق طاقته . وقوله : لا يلوي على من تعذّرا ، أي : لا يحتبس ولا يتربص على من نابه عذر ، يصف أنهم يسيرون متعجلين ، فمن تخلف منهم لشيء أصابه لم يتربص عليه حتى يدرك .

(٢) صاحبه هذا عمرو بن قميئة اليشكري ، وكان قد مرّ ببني يشكر في سيره الى قيصر ، فسألهم : هل فيهم شاعر ؟ فذكروا له عمرو بن قميئة ، فدعاه ، ثم استنشده فأنشده وأعجبه ، فاستصحبه امرؤ القيس ، فأجابه الى صحبته ، فيقول : لما صحبني وجاوزنا بلاد العرب ، واتصلنا ببلاد الروم ، وأيقن عمرو بن قميئة أنا لاحقان بقيصر ، حنّ الى بلاده فبكى .

الفهارس

فهرس الجزء الاول

فهرس الجزء الثاني

★ ★ ★

فهرس القوافي

(الهمزة)

(الباء)

★ ★ ★

★ ★ ★

(الذال)

★ ★ ★

★ ★ ★

(الفـاء)

* * *

* * *

(الميم)

* * *

(النون)

(اليـاء)

★ ★ ★

★ ★ ★

★ ★ ★

* * *

فهرس الشعراء

مع قوافيهم

---

(١) جاء أسم الشاعر في هذه القافية : أرطاة بن كعب بن قعين .

(البـاء)

(التـاء)

(الثاء)

(الجيم)

(الحاء)

(الخاء)

(الدال)

(الذال)

(الراء)

(الزاي)

(السين)

(الشين)

(الصاد)

(الطاء)

(العين)

(الفـاء)

(القاف)

(الكاف)

(اللام)

(الميم)

(النون)

(الهاء)

(الواو)

(اليـاء)

★ ★ ★

فهرس الأعلام

(الراء)

(الزاي)

(السين)

(الغين)

(الفاء)

(القاف)

* * *

ثبت المصادر

الأغاني
الأمالي
أساس البلاغة
الاصابة
اعلام النبلاء
أعجب العجب في شالامية العرب للزمخشري
أمالي المرتضى
الاختيارين
أضداد ابن الأنباري
الأربعين الودعانية (مخطوط)
أمالي الزجاجي
أسباب النزول
الأذكار للنووي
أمالي اليزيدي
الأصمعيات
الاشتقاق
البيان والتبين
البداية والنهاية
ابن الأثير
تزيين الأسواق
تهذيب التهذيب
ابن خلدون
تاريخ بغداد
تفسير الطبري
تفسير ابن كثير
تقريب التهذيب
التكملة لكتاب الصلة
تفسير الكشاف للزمخشري
تذكرة الحفاظ
تفسير ابن كثير
الجامع الصغير للسيوطي
جمع الجواهر
حلية الأولياء
الحيوان
حماسة ابن الشجري
الخزانة للبغدادي
خريدة القصر
الدر المنثور
ديوان الأخطل
ديوان أسامة بن مرشد
ديوان بشر بن أبي خازم
ديوان البحتري
ديوان بشار بن برد
شرح ديوان أبي تمام للتبريزي
ديوان جميل بن معمر
ديوان جرير
ديوان ابن حيوس
شعر أبي دواد الايادي
ديوان ذي الرمة
ديوان زهير بن أبي سلمى
ديوان الشريف المرتضى
ديوان الشريف الرضي
ديوان ابن صدقة الخياط الدمشقي
ديوان طرفة بن العبد
ديوان علي بن الجهم
ديوان العباس بن الأحنف
عبث الوليد للمعري
ديوان أبي العتاهية

ديوان العرجي
ديوان عمر بن أبي ربيعة
ديوان الفرزدق
ديوان أبي الفرج الوأواء
ديوان أبي فراس الحمداني
ديوان كثير
ديوان المعاني
ديوان مهيار
ديوان المتنبي
شعر النابغة الجعدي
ديوان النابغة الذبياني
ديوان أبي نواس
ديوان ابن هانىء الأندلسي
الذخيرة لابن بسام
رغبة الآمل في شرح الكامل
الروضتين
زهر الآداب
الزهرة
زبدة الحلب لابن العديم
زاد المسير لابن الجوزي
سمط اللآلي
سيرة ابن هشام
سنن الترمذي
شرح الحماسة للتبريزي
شرح الحماسة للمرزوقي
شروح سقط الزند

الشعر والشعراء
شرح شواهد المغني للسيوطي
شرح الشواهد للعيني
شرح القصائد العشر للتبريزي
شرح القصائد السبع لابن الأنباري
صحيح مسلم
طبقات فحول الشعراء
الطرائف
طبقات ابن سعد
العمدة لابن رشيق
العقد الفريد
عيون الأخبار
فوات الوفيات
فتح القدير
قلائد العقيان
الكامل للمبرد
لسان العرب
لزوم ما لا يلزم (اللزوميات)
مختار الشعر الجاهلي
المؤتلف والمختلف
معاهد التنصيص
معجم ما استعجم
معجم الشعراء

معجم البلدان
المستدرك للحاكم
المُغرِب
من نسب الى أمه لابن حبيب
مجالس ثعلب
المعتمد بن عباد لصلاح خالص
مجمع الأمثال
مجمع الزوائد للهيثمي
مروج الذهب
منتهى الطلب (مخطوط)
المقاصد الحسنة للسخاوي
الموطأ
المفضليات
المواهب اللدنّية
الموازنة
المعرّب للجواليقي
مجاز القرآن
المعجب في تلخيص أخبار المغرب
النوادر
النجوم الزاهرة
نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب
الوافي للصفدي
الوحشيات
يتيمة الدهر